

حاشية العلامة الصاوي

على

تفسير الجلالين

جلال الدين السيوطي
(ت: ٨٩١١ هـ)

جلال الدين المحلي
(ت: ٨٦٤ هـ)

تأليف

العالم العلامة العارفي بالله تعالى

الشيخ أحمد بن محمد الصاوي الخلوئي

(١١٧٥ - ١٢٤١ هـ)

مُحَقَّقٌ عَلَى نَسْخِ خُطْبَةِ نَفِيسَةٍ

وَمَطْبُوعَةٍ قَدِيمَةٍ سَالِمَةٍ مِنَ التَّحْرِيفِ وَالْبَدِيلِ

رَاجِعًا وَقَدَّمَ لَهَا

الدكتور عبد القادر الحسين

شَرَفَ بِمُخَدِّعَتِهَا

مرعي حسن الرشيد

الجزء الأول

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ - سُورَةُ الْاٰنْكَارِ

دار تحقيق الكتاب
للطباعة والنشر والتوزيع

حاشية العامة الصاوي

تفسير الجلالين

١

دار تحقيق الكتاب

Title: Hāshiyat al-Şāwī 'alá Tafsīr
al-Jalālayn

Autor: Aḥmad Şāwī, Ġalāl-ad-Dīn
Maḥallī, Ġalāl-ad-Dīn Suyūṭī,

Editor: Mar'ī al-Rashīd

Publisher: Dar Tahkik Al Kitab

Pages: 644 (vol.1)

Year: 2024

Printed in: Lebanon

Edition: 1

الكتاب: حاشية الصّاوي على تفسير الجلالين.
المؤلف: أحمد الصاوي، جلال الدين المحلي، جلال
الدين السيوطي.

تحقيق: مرعي الرشيد

الناشر: دار تحقيق الكتاب

عدد الصفحات: 644 (المجلد الأول)

سنة الطباعة: 2024

بلد الطباعة: لبنان

الطبعة: الأولى (لونان، ورق شاموا)

©Yayın Hakları DAR TAHKİK AL KİTAB'a Aittir.

Bu kitabın her türlü yayın hakları Fikir ve Sanat Eserleri Yasası gereğince Dar Tahkik Al Kitab'a aittir.

Dar Tahkik Al Kitab'ın yazılı izni olmadan bu kitabın hiçbir bölümü kopyalanamaz ya da yeniden
üretim sistemine dâhil edilemez(elektronik, fotokopi vd.).

All Rights Reserved. Published by DAR TAHKİK AL KİTAB

No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any
form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording, or otherwise, without
written permission of the publisher.

دار تحقيق الكتاب

جميع الحقوق الملكية والفكرية محفوظة لـ دار تحقيق الكتاب
يمنع طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو
إدخاله على الحاسب أو نسخه على اسطوانات ليزرية إلا بموافقة الناشر خطياً.

مؤسسة محمد نوري ناص

MEHMET NURİ NAS
PUBLISHER OF ISLAMIC BOOKS

1948

ISBN 978-9933-638-15-3



9 789933 638153

DAR TAHKİK AL KİTAB

Büyük Reşit Paşa Caddesi Yümni İş Merkezi

No:16/B D:8 Vezneciler/Fatih/İstanbul/Turkey ☎ : +9 (0212)5190979

Merkez :1.Cadde No:66 MIDYAT/MARDİN ☎ : +9 (0482)4622775

www. tahkikalkitab.com



info@tahkikalkitab.com



Dar Tahkik Al Kitab, Nursabah Yayıncılık

Matbaacılık Ltd.Şti'nin Tescilli Markasıdır

دار تحقيق الكتاب هي دار تابعة لمؤسسة دار نور الصباح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



تقديم الدكتور عبد القادر الحسين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله العليم، مُنْزِلَ القرآن الحكيم، هَدَى وَنُوراً لِكُلِّ ذِي لُبٍّ سَلِيمٍ، والصلاة والسلام على سيدنا وحبیبنا وَقُرَّةِ أَعْيُنِنَا مُحَمَّدٍ الرَّؤُوفِ بِنَا الرَّحِيمِ.

اللهم؛ ارضَ عن العلماء العاملين الذين يَنْفُونَ عن هذا الدين تأويلَ الجاهليين، وتحريفَ الغالين، وانتِحَالَ المُبْطِلِينَ.

أَمَّا بعد:

فإنَّ خيرَ ما قُضِيَتْ فيه الأعمار، واستُهِلِكَ فيه الليل والنهار، فَهُمُ كتابُ الملكِ القَهَّارِ، المَهِيمِ عَلَى مَا تَقَدَّمَه من الأسفار، وإنَّ تفسیره وتَحْرِيَّ فِهمه بتنزيله على مُراد مُنْزَله تعالى وَتَقَدَّسَ بِحَسَبِ الطَّاقَةِ البَشَرِيَّةِ هُوَ صَنَعَةُ الرَّاسِخِينَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ الْأَحْبَارِ، وقد كَثُرَتْ كُتُبُ التفسير وتعددت اهتماماتها على حَسَبِ اختصاص مُحَرِّريها؛ فهي ما بين مُسَهَّبٍ مُتَوَسِّعٍ، ومُقْتَصِدٍ وَصَلَ به الإيجازُ إلى ما يَقْتَرِبُ من الإلغاز؛ اعتماداً على نَبَاهَةِ الدارسين العارفين بأسرار الإعجاز.

وإنَّ من أَوْجَزِ هذه الكُتُبِ مِمَّا كَتَبَ اللهُ تعالى لَهُ الْقَبُولَ وَالشُّيُوعَ فِي الْأَرْضِ ذَاتِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ: «تفسير الجلالين» المَحَلِّيُّ وَالشُّيُوطِيُّ رحمهما، وَلَكِنَّهُ لَوَجَّازَتُهُ وَاخْتِصَارُهُ مع سُهولة عبارته.. أَوْهَمَ دَارِسِيهِ أَنَّهُمْ قَدْ أَحَاطُوا بِمَقَاصِدِهِ وَمَرَامِيهِ؛ فَاشْتَدَّتْ الْحَاجَةُ إِلَى تَطْرِيْزِهِ بِالْحَوَاشِي التي تَكْشِفُ أَسْرَارَهُ، وَتُقَيِّدُ مُطْلَقَهُ، وَتُوضِّحُ مُجْمَلَهُ؛ لِأَجْلِ ذَلِكَ كَثُرَتْ حَوَاشِيهِ.

وَمِنْ أَفْضَلِهَا وَأَجْمَلِهَا: «حاشية الإمام الصاوي»، وهو مِنْ عُلَمَاءِ الْأَزْهَرِ الشَّرِيفِ الْعِظَامِ، وَسَادَةِ صَالِحِيهِ الْكِرَامِ؛ ففیه الإيضاحُ مع الدِّقَّةِ، وَالسَّهُولَةُ مع اللَّطْفِ، إضافةً إلى كثرة القواعد والفوائد.

وقد تعرّض الكتاب المطبوع سابقاً لـخيانة بعض الناشرين؛ بالاعتداء على الكتاب، وحذف ما لا يروق لأهل الهوى؛ لذلك وجب إعادة تحقيقه وتدقيقه، وقد انبرى لهذه المهمة الجسيمة أخونا الفاضل الشيخ المحقّق الأديب الأريب الدكتور مُرعي حسن الرشيد، فجزاه الله تعالى خير الجزاء.

وقد ندبني بحسن ظنّه لأراجعه، فقمْتُ بذلك تلبيةً لطلبه، ورجاء الاستفادة من علمه وأدبه، فأسأل الله تعالى النفع بالكتاب لنا وله ولكل قارئ وطالب للحق، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

حرّره أناملُ العبد الفقير ذي العجز والتقصير

عبد القادر بن محمد بن الحسين الشامي الضراحي

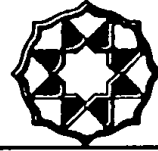
في مدينة يالوفا من البلاد التركية

ظهيرة الثلاثاء ٢٤ جمادى الآخرة

سنة (١٤٤٤هـ جري)

الموافق ١٧ كانون الثاني ٢٠٢٣م





بين يدي الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي نشر للعلم أعلاماً، وثبت لهم على الصراط المستقيم أقداماً، وجعل مقام العلم أعلى مقام، وفضل العلماء بإقامة الحُجج الدينية ومعرفة الأحكام، وأودع العارفين لطائف سرّه، فهم أهل المحاضرة والإلهام، ووفق العالمين لخدمته فهجروا لذيق المَنام، وأذاق المحبين لذّة قربهِ وأنسيه فشغلهم عن جميع الأنام.

أحمدُه سبحانه وتعالى على جزيل الإنعام، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المَلِكُ العَلَّامُ، وأشهدُ أن سيدنا ونبيّنا محمداً ﷺ عبده ورسوله وصفيّه وخليفه إمام كلِّ إمام، وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريّته الطيبين الطاهرين، صلاةً وسلاماً دائماً مُتلازمين إلى يوم الدين.

أمّا بعد:

فقد منّ الله جلّ شأنه علينا بكتاب مُبين ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٦]، وجعل له منه مُعجزةً باهرة، شاهدة على صدق دعوة نبيّه الأكرم ﷺ، مُؤيدة لحقيّة رسالته، فكان القرآن هو الهداية والحُجّة، هداية الخلق وحُجّة الرسول.

ولم يكد هذا القرآن الكريم يَقْرَعُ آذان القوم حتى وصل إلى قلوبهم، وتملّك عليهم جسّهم ومشاعرهم، ولم يُعرض عنه إلا نفرٌ قليل؛ إذ كانت على القلوب منهم أقفالها، ثم لم يلبث أن دخل الناس في دين الله أفواجاً، ورفع الإسلام رايته خفاقة فوق ربوع الكفر، وأقام المسلمون صرح الحق مُشيداً على أنقاض الباطل.

أيقن المسلمون أنّه لا شرف إلا والقرآن سبيل إليه، ولا خير إلا وفي آياته دليل عليه، فراحوا يُثَوِّرون القرآن؛ ليقفوا على ما فيه من مواعظ وعبر، وأخذوا يتدبرون في آياته؛ ليأخذوا من مضامينها ما فيه سعادة الدنيا وخير والآخرة.

وكان القوم عرباً خُلصاً، يفهمون القرآن، ويدركون معانيه ومراميّه بمقتضى سليقتهم العربية، فهماً لا تُعكّره عُجمة، ولا يشوبه تكدير، ولا يُشوّهه شيء من قُبْح الابتداع، وتَحَكُّم العقيدة الزائفة الفاسدة.

وكان للقوم وقفات أَمَامَ بعض النُصوص القرآنية التي دَقَّت مَراميها، وخَفِيَتْ معانيها، ولكن لم تَطل بهم هذه الوقفات؛ إذ كانوا يَرجعون في مثل ذلك إلى رسول الله ﷺ، فيكشف لهم ما دَقَّ عن أفهامهم، ويُجَلِّي لهم ما خَفِيَ عن إدراكهم، وهو الذي عليه البيان كما أن عليه البلاغ، والله تعالى يقول له وعنه: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

فكانت المنابع الأولى لهذا العلم على لسان هذا النبي الكريم، والسيد السند الرحيم، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، ثم تَوَالَت الألسُن والأقلام، فشَمِلَت الآلاف من العلماء الذين برَعوا في علوم حَدَّثت في المِلَّة، ولم يكن للعرب بها عهدٌ من قبل، فحاولوا أن يَصِلُوا بينها وبين القرآن، وأن يَربطوا بين ما عندهم من قواعد ونظريات وبين ما في القرآن من أصولٍ وأحكام وعقائد، وتمَّ لهم ذلك، فخرجوا على الناس بِتفاسير كثيرة، لكلٍّ منهم فيها مَنهج وطريقة في الشرح ووسيلة في البيان.

إلى أن حَطَّت رحلة هذا التصنيف عند الإمامين الجلالين: المحلي والسيوطي، فصنَّفَا لِأُمة كتاباً في بُب لباب التفسير، ابتدأ فيه الجلال المحلي من أول (سورة الكهف) إلى آخر (سورة الناس)، ثمَّ ابتدأ بتفسير (الفاتحة)، وبعد أن أتمَّها اخترمته المنية، فلم يُفسِّر ما بعدها، وجاء بعده الجلال السيوطي، فكمَّل تفسيره، فابتدأ بتفسير (سورة البقرة)، وانتهى عند آخر (سورة الإسراء)، ووضع تفسير (الفاتحة) في آخر تفسير الجلال المحلي؛ لِتَكُونَ مُلَحَقَةً به.

وقد نهَجَ الجلال السيوطي في تفسيره منهجَ المحلي؛ مِنْ ذِكر ما يُفهم من كلام الله تعالى، والاعتماد على أرجح الأقوال، وإعراب ما يحتاج إليه، والتنبيه على القراءات المختلِفة المشهُورة، على وجه لطيف، وتعبيرٍ وجيز، وترك التطويل بذكر أقوال غير مَرَضِيَّة، وأعارِبَ محلَّها كُتب العربية.

ولا شك أنَّ الذي يَقْرَأ «تفسير الجلالين» لا يكاد يلمس فرقاً واضحاً بين طريقة الشيخين فيما فسّراه، ولا يكاد يُحسُّ بمخالفةٍ بينهما في ناحيةٍ من نواحي التفسير المختلفة.

ثمَّ إنَّ هذا التفسير غايةً في الاختصار والإيجاز، ومع هذا الاختصار فهو قيّمٌ في بابه، وهو من أعظم التفاسير انتشاراً، وأكثرها تداولاً ونفعاً؛ لذلك أكبَّ العلماء عليه يتلقّونه بالأسانيد المتصلة، وتناقلته أيدي الطلبة في جميع الأصقاع، وانتشرت نُسخُه بين العلماء، وتوالّت عليه الشروح والتعليقات، والحواشي الموضحات، ومن هذه الحواشي:

- حاشية العَلَقَمِي، محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٦٩هـ)، أحد تلاميذ الجلال السيوطي.

- حاشية الخطيب الشربيني، محمد بن أحمد (ت ٩٧٧هـ).

- حاشية الكرخي، بدر الدين محمد بن محمد (ت ١٠٠٧هـ).

- حاشية القاري، المُلّا علي بن محمد (ت ١٠١٠هـ).

- حاشية الشنواني، أبي بكر بن إسماعيل (ت ١٠١٩هـ).

- حاشية الفاسي، عبد الرحمن بن محمد (ت ١٠٣٦هـ).

- حاشية العقبي، عفيف الدين علي بن محمد الأنصاري الشافعي (ت ١١٠١هـ).

- حاشية اليازجي، إسماعيل بن عبد الباقي (ت ١١٢١هـ).

- حاشية الأجهوري، عطية الله بن عطية البرهاني الشافعي (ت ١١٩٠هـ).

- حاشية الدوماني، مصطفى الصالحي الحنبلي، المتوفى أواخر القرن الثاني عشر.

- حاشية الجمل، سليمان بن عمر الشافعي (ت ١٢٠٤هـ).

- حاشية التطواني، عبد الرحمن بن محمد (ت ١٢٣٧هـ).

- حاشية الصاوي، أحمد بن محمد الخلوتي المالكي (ت ١٢٤١هـ)، وهي الحاشية

التي نُشِرُفُ بخدمتها.

- حاشية الحفناوي، محمد بن صالح السباعي (ت ١٢٦٨هـ).

وغيرها من الحواشي التي اعتنت بهذا التفسير، واتصل سند أصحابها بسند المؤلفين الجلالين؛ كما سيظهر لنا في مقدمة العلامة الصاوي عند ذكر سنده للجلالين.

ولما كان اختيار الجلالين لتفسير بعض الآيات مغايراً للراجح من الأقوال، ولا سيما حين اعتماد الأخبار الإسرائيلية التي تُفسد المعاني والمقاصد، وتوجه المعاني إلى تشويه العقائد، ومقام الأنبياء عليهم السلام كان لازماً علينا أن نضع بين يدي القارئ الكريم بعضاً من هذه الأخبار، ونبين كيفية تعامل الصاوي صاحب الحاشية معها ردّاً وتفصيلاً.



الإسرائيليات في كتاب «الجلالين» وتعامل الإمام الصاوي معها

المراد بالإسرائيليات: ما يُعْمُ اللون اليهوديَّ واللون النصرانيَّ للتفسير، وما تأثر به التفسير من الثقافتين اليهودية والنصرانية.

وإنما أُطلق على جميع ذلك لفظ (الإسرائيليات) من باب: التغليب للجانب اليهودي على الجانب النصراني؛ فإن الجانب اليهوديَّ هو الذي اشتهر أمره، فكثُر النقل عنه؛ وذلك لكثرة أهله، وظهور أمرهم، وشِدَّة اختلاطهم بالمسلمين من مبدأ ظهور الإسلام إلى أن بسط رواقه على كثير من بلاد العالم ودخل الناس في دين الله أفواجا.

ومبدأ دخولها في التفسير يرجع لعهد الصحابة، غير أن الصحابة وإن تشوقوا لمعرفة التفاصيل لم يسألوا أهل الكتاب عن كل شيء، ولم يقبلوا منهم كل شيء، مع توقفهم فيما يلقي إليهم ما دام يحتمل الصدق والكذب؛ امثالاً لقول الرسول ﷺ: «لا تُصدقوا أهل الكتاب ولا تُكذبوهم وقولوا: آمنا بالله»^(١)، فلم يسألوهم عن شيء يتصل بالعتيدة، ولم يعدلوا عما ثبت عن النبي ﷺ، كذلك لا يُصدقون اليهود فيما يخالف الشريعة.

وهكذا لم يخرج الصحابة عن دائرة الجواز التي حددها لهم الرسول ﷺ في قوله: «بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً.. فليتبوأ مقعده من النار»^(٢)، كما أنهم لم يخالفوا قول رسول الله ﷺ: «لا تُصدقوا أهل الكتاب ولا تُكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله وما أنزل إلينا». أباح الأول أن يحدثوا عما وقع لبني إسرائيل من الأعاجيب؛ للعبرة والعظة، بشرط أن يعلموا أنه ليس مكذوباً، والثاني يُراد منه التوقف فيما يحدث به أهل الكتاب ممّا يكون مُحتملاً للصدق والكذب، أمّا ما خالف شرعنا.. فنحن في حلٍّ من تكذيبه.

أما التابعون: فقد توسّعوا في الأخذ عن أهل الكتاب، وكثرت في عهدهم الروايات الإسرائيلية؛ لكثرة من دخل منهم في الإسلام، فظهرت في هذا العهد جماعة حشوا التفسير بكثير من القصص المتناقضة كمقاتل بن سليمان، وهكذا تزايد أمر الإسرائيليات

(١) رواه البخاري (٤٤٨٥) عن سيدنا أبي هريرة رضى الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٣٤٦١) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضى الله عنه.

حتى كان جماعة بعد عصر التابعين لا يَرُدُّون قولاً، ثم في عصر التدوين وَجَد من المفسرين من حشوا كُتِبَهم بهذه القِصَص الإسرائيلية!

وقد كان للإسرائيليات أثر سيئ في كتب التفسير؛ لأنَّ الأمر لم يَقِف على ما كان في عهد الصحابة، بل زاد ودخل فيه النوع الخيالي المختَرع، فوضعوا الشوك في طريق المفسر؛ إذ إنه أصبح يَشْك فيها جميعاً؛ لا اعتقاده أنَّ الكلَّ من وادٍ واحدٍ.

وتنقسم الإسرائيليات إلى ثلاثة أقسام:

الأول: ما يُعلم صحته بالنقل عن النبي ﷺ، وهو صحيح مقبول، وكذا إذا كان له شاهد من الشرع يُؤيده.

الثاني: ما يُعلم كذبه، فلا يصحُّ قبوله، ولا روايته.

الثالث: مسكوت عنه، لا هو من الأول ولا من الثاني، فلا نُؤمن به ولا نُكذِّبه، وتجاوز حكايته، وهذا القسم غالبه مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني^(١).

ونجد أنَّ الإمامين المحلي والسيوطيَّ قد وقع في تفسيرهما بُدَّ متنوعة من هذه الأخبار الإسرائيلية؛ مما هو مُندرج تحت الأقسام الثلاثة السالفة؛ منها المقبول؛ لموافقة مقصد نص القرآن، ومنها المتوقَّف فيه؛ لغرابته، ومنها المردود الباطل، بعضها عند السيوطي، وأكثرها عند المحلي؛ لغلبة اشتغاله بالفقه، وقد تصدى الإمام الصاوي رحمه الله للرد على هذا القسم، وبخاصة فيما يتعلَّق بمقام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولنذكر بعضاً من الأمثلة على سبيل العدِّ لا الحصر في أسلُوبه رحمه الله تعالى:

فمن ذلك:

- ما أورده السيوطي في تفسير قوله تعالى في قصة سيدنا يوسف عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ يَهُودِيٌّ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾، قال السيوطي: (جواب «لولا» لجامعها)، وهذا مُشكل غير مقبول؛ لما هو معلوم من عصمة الأنبياء عليهم السلام عن القبائح قبل النبوة وبعدها، فجاء ردُّ الصاوي رحمه الله بقوله: (وقيل: إنَّ قوله: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ هو الجواب، والمعنى: ولولا أن رأى برهان ربه لهمَّ بها، امتنع همُّه بها؛ لرؤية برهان

(١) «علوم القرآن» للدكتور نور الدين عتر (ص ٧٥).

رَبِّهِ، فلم يقع همُّ أصلاً، وحينئذٍ فالوقفُ على قوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾، وهذا هو الأحسنُ في هذا المقام؛ لخلوّه من الكلفة والشبهة).

- ومنه: ما أورده المحلي من قصة الغرائيق عند قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَتَّقَ آلَقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُخَكِّمُ اللَّهُ أَمْرَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، فزعمت القصة الباطلة أن النبي ﷺ لما قرأ من سورة (النجم): ﴿وَمَوْزَةَ الثَّالِثَةِ الْآخِرَى﴾، ألقى الشيطانُ على لسانه: (تلك الغرائيق العلى، وإن شفاعتَهُنَّ لَتَرْتَجَى... إلخ)، فجاء الردُّ من العلامة الصاوي رحمه الله بقوله: (وما ذكره المفسرُ من قصة الغرائيق روايةٌ عامة للمفسرين الظاهريين، قال الرازي: أمّا أهل التحقيق فقد قالوا: هذه الرواية باطلةٌ موضوعة، واحتجُّوا على البطلان بالقرآن والسنة والمعقول)، ثم ساق الأدلة على بطلانها؛ تنزيهاً لمقام النبوة.

الإسرائيليات في «حاشية الصاوي»:

مع أن هذه الحاشية قد حوت تحقيقاتٍ رائعة، إلا أنه قد ورد فيها نبذٌ مُتنوعة من الأخبار الإسرائيلية، وعامتها من القسم المقبول، أو المسكوت عنه، وقد نبّهت على هذه الأخبار عند تخريجها من مصادرها الحديثية أو التفسيرية، وعقبتُ كلَّ خبر منها بـ(وهو من الإسرائيليات).

وأما القسم الثالث المردود.. فقد كان في بعض المواطن من هذه الحاشية، ولكنه قليل، فكان إزاماً علينا أن نُنبّه عليها، وأن نُبيّن وجه الصواب بالرجوع إلى المصادر الموثوقة؛ فعلى سبيل المثال: ما أورده الصاوي من قصة أوريا بن حنان وزير سيدنا داوود حين أرسله للجهاد ليُقتل، فيتزوجها سيدنا داوود.

وهذا لا يليق بالمتّسمين بالصلاح من أفناء - أي: جماعات - المسلمين فضلاً عن بعض أعلام الأنبياء، وقال عليّ رضي الله عنه: مَنْ حَدَّثَكُمْ بِحَدِيثِ دَاوُودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى مَا يَرَوِيهِ الْقُصَّاصُ.. جَلَدْتُهُ مِئَةً وَسِتِينَ، وَهُوَ حَدُّ الْفِرْيَةِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ. وَرُوي أَنَّهُ حَدَّثَ بِذَلِكَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْحَقِّ، فَكَذَّبَ الْمَحْدِّثَ وَقَالَ: إِنْ كَانَتْ الْقِصَّةُ عَلَى مَا فِي كِتَابِ اللَّهِ.. فَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُلْتَمَسَ خِلَافُهَا، وَأَعْظَمُ بَأْسُ يُقَالُ غَيْرُ ذَلِكَ! وَإِنْ كَانَتْ عَلَى مَا ذَكَرْتَ وَكَفَّ اللَّهُ عَنْهَا سِتْراً عَلَى نَبِيِّهِ.. فَمَا يَنْبَغِي إِظْهَارُهَا عَلَيْهِ، فَقَالَ عُمَرُ: لَسَمَاعِي هَذَا الْكَلَامَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ.

وقد أطال الإمام الرازي رحمه الله تعالى في «تفسيره» (٣٨٠ / ٢٦) بذكر الوجوه التي تدلُّ على أنَّ القصة التي ذكروها فاسدة باطلة، ثم أورد اعتراضاً وأجاب عنه، فقال: (فإن قال قائل: إنَّ كثيراً من أكابر المحدثين والمفسرين ذكروا هذه القصة؛ فكيف الحال فيها؟ فالجواب الحقيقي: أنه لما وقع التعارض بين الدلائل القاطعة وبين خبر واحد من أخبار الآحاد.. كان الرجوع إلى الدلائل القاطعة أولى، وأيضاً: فالأصل براءة الذمة، وأيضاً: فلمَّا تعارض دليل التحريم والتحليل.. كان جانب التحريم أولى، وأيضاً: طريقة الاحتياط تُوجب ترجيح قولنا، وأيضاً: فنحن نعلم بالضرورة أن بتقدير وقوع هذه الواقعة لا يقول الله لنا يوم القيامة: لِمَ لَمْ تَسْعَوْا في تشهير هذه الواقعة؟ وأمَّا بتقدير كونها باطلة فإنَّ علينا في ذكرها أعظم العقاب).



قراءة الجلالين المُعتمَدة

لما كان الإمامان الجلالان على معرفة قليلة بالقراءات المتواترة؛ كما ذكر الجلال السيوطي عن نفسه.. فقد بدأ للدارسين أنهما لم يتقيّدا في تفسيريهما بقراءة أو رواية واحدة، ولم يلتزما قراءة مُعينة في جميع الآيات، وكأنهما اختاراً ما كان يُحفظ من النص القرآني في ذلك العصر، وفي تلك البقاع المصرية، وهو غير ذي إسناد مُعين.

ولكن ذكر العالم المحقق الدكتور فخر الدين قباوة حفظه الله في مُقدمة تحقيقه لـ «تفسير الجلالين»: أنه يتّبع ما جاء في نُسخ «الجلالين»، وفي مُصنفات الحواشي والتعليقات على الجلالين.. تبين أن القراءة التي اختارها هذان المُفسران لآيات القرآن الكريم جمهورها الأساسي مُعتمدٌ على قراءة إمام البصرة ومُقرئها أبي عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ)، وما خالف ذلك كان فيه أشياء من قراءة إمام مكة المكرمة ومُقرئها عبد الله ابن كثير (ت ١٢٠هـ)، ثم من قراءة إمام المدينة المنورة ومُقرئها نافع بن عبد الرحمن (ت ١٦٩هـ)، ثم من قراءة إمام أهل الشام ومُقرئهم عبد الله بن عامر (ت ١١٨هـ)، وما خالف ذلك في بعض المواضع فهو قليلٌ، ومُعظمه عند الجلال المحلي، وبما أن النصّ القرآني في «الجلالين» ليس مُصحفاً، جاز فيه خلافُ القراءة الواحدة أيضاً^(١).



(١) مقدمة تحقيق «الجلالين» للدكتور قباوة (ص ١٦).

مصادر حاشية الصاوي

صَدَّرَ الإمامُ الصاوي رحمه الله تعالى حاشيته ببيان المصادر التي استقى منها حاشيته فقال:

(لَمَّا كَانَ عِلْمُ التفسيرِ أَعْظَمَ الْعُلُومِ مَقْدَاراً، وَأَرْفَعَهَا شَرَفاً وَمَنَاراً، إِذْ هُوَ رِئِيسُ الْعُلُومِ الدِّينِيَةِ وَرَأْسُهَا، وَمَبْنَى قَوَاعِدِ الشَّرْعِ وَأَسَاسُهَا، وَكَانَ كِتَابُ «الْجَلالين» مِنْ أَجَلِّ كُتُبِ التفسيرِ، وَأَجْمَعَ عَلَى الْاعتِنَاءِ بِهِ الْجَمُّ الْعَفِيرُ مِنْ أَهْلِ الْبَصَائِرِ وَالتَّنْوِيرِ، وَجَاءَنِي الدَّاعِي الْإِلَهِيُّ بِقِرَاءَتِهِ؛ فَاسْتَغْلَتْ بِهِ عَلَى حَسَبِ عَجْزِي.. وَضَعْتُ عَلَيْهِ كِتَابَةً مُلَخَّصَةً مِنْ حَاشِيَةِ شَيْخِنَا الْمُحَقِّقِ الْمَدَقِّقِ الْوَرَعِ الشَّيْخِ سُلَيْمَانَ الْجَمَلِ، مَعَ زَوَائِدَ وَفَوَائِدَ فَتَحَ بِهَا مَوْلَانَا مِنْ نُورِ كِتَابِهِ.

وإنما اقتصرتُ على تلخيص تلك الحاشية؛ لكوني وجدتها مُلَخَّصَةً مِنْ جَمِيعِ كُتُبِ التفسيرِ التي بأيدينا، تَنْسُبُ لِنَحْوِ عَشْرِينَ كِتَاباً؛ مِنْهَا: «الْبَيْضاوي» و«حواشيه»، و«حواشي هذا الكتاب»، وَمِنْهَا: «الْخَازَن»، و«الْخَطِيب»، و«السَّمِين»، و«أَبُو السَّعُود»، و«الْكُوشِي»، و«الْبَحْر» و«النَّهْر» و«السَّاقِيَّة»، و«الْقُرْطُوبِي»، و«الْكشَّاف»، و«ابن عَطِيَّة»، و«التَّحْبِير»، و«الْإِتْقَان»، وَلَمْ أَنْسُبِ الْعِبَارَاتِ لِأَصْحَابِهَا غَالِباً اِكْتِفَاءً بِنِسْبَةِ الْأَصْلِ، وَاللَّهُ عَلَى مَا أَقُولُ وَكِيلٌ).

وهذه لمحة سريعة عن هذه الكتب والحواشي^(١):

- حاشية الجمل على الجلالين: «الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين بالدقائق الخفية»، فرغ من تأليفها سنة (١١٩٨هـ)، وهو: سليمان بن عمر بن منصور العجيلي المصري الأزهري الشافعي، المعروف بالجمل، توفي (سنة ١٢٠٤هـ).

له «حاشية على شرح الرملي لمنهاج النووي»، «حاشية على متن الهمزية لابن حجر الهيتمي»، «شرح بانة سعاد»، «شرح حزب البر للشاذلي»، «الفتوحات الأحمدية بالمنح المحمدية لشرح الهمزية»، «فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب»، «القول المنير

(١) هذه اللوحة مستفادة من «التفسير والمفسرون» للذهبي، و«الإسرائيليات والموضوعات» لأبي شعبة، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة.

في شرح الحزب الكبير لأبي الحسن الشاذلي»، «المنح الإلهيات بشرح دلائل الخيرات»، «المواهب المحمدية بشرح الشمائل الترمذية».

- تفسير البيضاوي: «أنوار التنزيل وأسرار التأويل».

مؤلفه: قاضي القضاة، ناصر الدين أبو الخير، عبد الله بن عمر بن محمد بن علي، البيضاوي الشافعي، وهو من بلاد فارس.

قال ابن قاضي شُهبة في «طبقاته»: (صاحب المصنّفات، وعالم أذربيجان، وشيخ تلك الناحية. ولي قضاء شیراز).

وقال السبكي: (كان إماماً مُبرِّزاً نظّاراً خيراً، صالحاً مُتعبداً).

وقال ابن حبيب: (تكلم كلُّ من الأئمة بالثناء على مُصنّفاته، ولو لم يكن له غير المنهاج الوجيز لفظه المحرّر لكفاه).

ولي القضاء بشيراز، وتوفي بمدينة تبريز سنة (٦٩١هـ).

ومن أهم مُصنّفاته: «كتاب المنهاج وشرحه في أصول الفقه»، و«كتاب الطوالع في أصول الدين».

وتفسيره متوسط الحجم، جمع فيه صاحبه بين التفسير والتأويل، على مُقتضى قواعد اللغة العربية، وقرّر فيه الأدلة على أصول أهل السنة، وقد اختصر البيضاوي تفسيره من «الكشاف» للزمخشري، ولكنه ترك ما فيه من اعتزالات.

ثم إن هذا الكتاب رُزق من عند الله سبحانه وتعالى حُسن القبول عند جمهور الأفاضل والفحول، فعكفوا عليه بالدرس والتحشية، فمنهم من علّق تعليقة على سورة منه، ومنهم من حشّى تحشية تامة، ومنهم من كتّب على بعض مواضع منه، وجملة الحواشي عليه تزيد على الأربعين، وأشهر هذه الحواشي وأكثرها تداولاً ونفعاً: «حاشية قاضي زاده»، و«حاشية الشهاب الخفاجي»، و«حاشية القونوي».

- تفسير الخازن: «لُبّ التأويل في معاني التنزيل».

مؤلفه: علاء الدين، أبو الحسن، عليّ بن محمد بن إبراهيم بن عُمر بن خليل الشيعي. البغدادي، الشافعي، الصوفي، المعروف بالخازن. اشتهر بذلك لأنّه كان خازن كُتب خانقاه السميّسية بدمشق.

وُلد ببغداد سنة (٦٧٨هـ)، وسَمِعَ بها من ابن الدواليبي، وقَدِمَ دمشقَ فسمع من القاسم ابن مظفر ووزيرة بنت عمر، واشتغل بالعلم كثيراً.

قال ابن قاضي شُهبة: (كان من أهل العلم، جمع وألف، وحَدَّثَ بِبَعْضِ مُصَنَّفَاتِهِ)، وقد خَلَّفَ رحمه الله كتباً جَمَّةً في فُنُونٍ مختلفة، فَمِنْ ذَلِكَ: «شرح عُمدَةِ الأحكام»، و«مَقْبُولُ المنقول» في عَشْرِ مُجلَدات، جَمَعَ فِيهِ بين مُسْنَدِي الشافعي وأحمدَ والكتب الستة والموطأ وسنن الدارقطني، ورَتَّبَهُ على الأبواب، وجمعَ سيرة نبوية مُطوَّلة. وكان رحمه الله صوفيّاً، حَسَنَ السَّمْتِ، بَشُوشَ الوجه، كثير التودُّدِ للناس. تُوفي سنة (٧٤١هـ) بمدينة حلب، فرحمه الله رحمةً واسعة.

اختَصَرَ تفسيره من «معالم التنزيل» للبغوي، وضمَّ إلى ذلك ما نقله ولَخَّصَهُ من تفاسير من تقدَّم عليه، وليس له فيه سوى النقل والانتخاب، مع حذفِ الأسانيد، وتجنُّبِ التَطْوِيلِ والإسهاب، وهو مُكثِّرٌ من رواية التفسير المأثور إلى حدٍّ ما، مَعْنِيٌّ بِتَقْرِيرِ الأحكام وأدَلِّيَّها، مملوءٌ بالأخبار التاريخية.

- تفسير الخطيب: «السراج المُنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير».

مُؤَلِّفه: الإمام العلامة شمس الدين، مُحمد بن محمد الشربيني، الشافعي، الخطيب. تلقى العلم عن كثير من مَشايخ عَصْرِهِ؛ فَمِنْهُمْ: الشيخ أحمد البرلسي، والنور المحلِّي، والبدر المشهدي، والشهابُ الرملي، وغيرهم، ولَمَّا أَنَسَ مِنْهُ أَشْيَاخُهُ ورأوه أَهلاً للفتوى والتدريس.. أَجازوه بها، فدرَّسَ وأفتى في حياتِهِم، وانتفع به خلائقٌ لا يُحْصَوْنَ. ولقد كان على جانب عَظِيمٍ من الصَّلاح والورع، وقد أَجمع أَهْلُ مصر على ذلك، ووَصَفوه بالعلم والعمل، والزُّهد والورع، وكثرة التَّسَكُّعِ والعبادة. تُوفي في عصر يوم الخميس ثاني شعبان سنة (٩٧٧هـ).

ومن أَهمِّ مُؤَلَّفَاتِهِ: شرحه لِكِتَابِ «المنهاج» وكتابِ «التنبيه»، وهما شرحان عظيمان، جَمَعَ فِيهِمَا تحريراتِ أَشْيَاخِهِ بعد القاضي زكريا، وأَقْبَلَ الناس على قراءتهما وِكِتَابَتَهُمَا في حياتِهِ.

وذكر رحمه الله في مُقدِّمة تفسيره: أَنَّ أئمة السَّلَف أَلْفُوا في التفسير كِتَابًا، كُلٌّ على قَدَر فهمه ومَبْلَغ علمه، وَأَنَّهُ خَظَرَ له أن يَقتفي أثرهم، وَيَسْلُكَ طريقهم، وَلَكِنَّهُ تَرَدَّدَ في ذلك مُدَّةً من الزمن؛ مَخَافَةً أن يَدْخَلَ تحت الوعيد الوارد في حق مَنْ فَسَّرَ القرآن بِرَأْيِهِ أو بغير عِلْم، ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ استَخَارَ الله تعالى في حَضْرَتِهِ، بعد أن صَلَّى ركعتين في رَوْضَتِهِ، وسأله أن يَشْرَحَ صدره لِذلك وَيُيسِّرَ له، فشرح الله له صدره، ولما رَجَعَ من سفره.. كَتَمَ ذلك في سرِّه، حتى قال له شخصٌ من أصحابه: إِنَّهُ رأى في المنام أن النبي ﷺ أو الشافعي يقول: قُلْ لِفُلَانٍ يَعْمَلُ تفسيراً على القرآن.

وذكر أنه اقتصَر فيه على أَرْجَحِ الأقوال، وإِعْرَابٍ ما يُحتاج إليه عند السؤال، وتركِ التَّطْوِيلَ بذكر أقوالٍ غير مَرْضِيَةٍ، وأَعَارِبَ مَحَلُّهَا كُتِبَ العربية، وذكر أَنَّ ما يَذْكُرُهُ فيه مِنَ القراءات فهو من السَّبْعِ المشهورات. قال: وقد أَذْكَرُ بعض أقوالٍ وأَعَارِبٍ؛ لِقُوَّةِ مداركها، أو لِوُرُودِها وَلَكِنْ بِصِغَةٍ: (قيل)؛ لِيُعْلَمَ أَنَّ المَرْضِيَّ أَوَّلُهَا.

- تفسير السمين: «الدَّر المَصُون في علم الكتاب المَكْنُون».

مُؤَلِّفُهُ: أحمد بن يوسف بن محمد، العلامة شهاب الدين أبو العباس الحلبي ثم المصري النَّحْوِي المَقْرئ الفَقِيه، المعروف بابن السمين، قرأ النحو على أبي حيان، والقراءات على ابن الصائغ، وسمع وولي تصديرَ إقراء النحو بالجامع الطُولُونِي، وصنَّفَ تصانيفَ حَسَنَةً. توفي في جُمَادَى الآخِرَةِ - وقيل: في شعبان - سنة (٧٥٦هـ) بالقاهرة.

وتفسيره في أربعة أجزاء، ومادَّته فيه من تفسير شيخه أبي حيان، إلا أنه زاد عليه وناقشه في مواضع مُناقشةً حَسَنَةً.

- تفسير أبي السعود: «إرشادُ العقل السَّليم إلى مَزَايا الكتاب الكريم».

مُؤَلِّفُهُ: أبو السعود مُحمد بن محمد بن مصطفى، العمادي، الحنفي المولودُ في سنة (٩٨٣هـ)، بقرية قريبة من القُسْطَنْطِينِيَّة، وهو من بيت عُرف أهلُه بِالْعِلْمِ والفضل، قرأ كثيراً من كُتُبِ العلم على والده، وتَلَمَّذَ لكثير من جِلَّةِ العلماء، فاستفاد منهم عِلْماً جَمًّا، ثم طارت سُمْعَتُهُ، وفاضت شهرته، وعَظُمَ صِيتُهُ، وتولَّى التدريس في كثير من المدارس التركية، ثم قُلِّدَ قضاءَ بَرْوَسَةِ، ثم نُقِلَ إلى قضاء القُسْطَنْطِينِيَّة، ثم نُقِلَ إلى قضاء ولاية العسكر في ولاية روم أَيْلَى، ودام على قضائها مُدَّةَ ثمان سنين، ثم تولَّى أمر الفتوى

بعد ذلك، فقام بها خير قيام، ومكث في منصب الإفتاء نحواً من ثلاثين سنة، أظهر فيها الدقة العلمية التامة، والبراعة في الفتوى والتفتن فيها. توفي رحمه الله بمدينة القسطنطينية، ودُفن بجوار أبي أيوب الأنصاري، وذلك في أوائل جمادى الأولى سنة (٩٨٢هـ)، فرحمه الله رحمة واسعة.

وتفسيره غاية في بابه، ونهاية في حسن الصوغ وجمال التعبير، كشف فيه صاحبه عن أسرار البلاغة القرآنية بما لم يسبقه أحد إليه، ومن أجل ذلك ذاعت شهرة هذا التفسير بين أهل العلم، وشهد له كثير من العلماء بأنه خير ما كُتب في التفسير.

- تفسير الكواشي: له تفسيران: كبيرٌ وسماه: «التبصرة»، وصغيرٌ وسماه: «التلخيص».

مؤلفهما: موفق الدين: أحمد بن يوسف بن الحسين بن الحسن ابن رافع الكواشي، أبو العباس، موفق الدين الضرير، الموصلي الشافعي، وُلد سنة (٥٩١هـ)، وتوفي سنة (٦٨٠هـ).

وذكر في تفسيره الصغير ثلاثة وقوف بالرمز؛ فرمز (تا): إلى التام، و(حسن): إلى الحسن، و(كا): إلى الكافي، وأورد القراءات أيضاً.

- تفسير أبي حيان: «البحر المحيط».

مؤلفه: أثير الدين، أبو عبد الله، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، الأندلسي، الغرناطي، الحَيَّاني، الشهير بأبي حَيَّان، المولود سنة (٦٥٤هـ).

كان رحمه الله مُلماً بالقراءات صحيحها وشاذها، معروفاً بكثرة نظمهِ للأشعار والموشحات، كما كان على جانب كبير من المعرفة باللغة، أما النحو والتصريف فهو الإمام المطلقُ فيهما، خدَم هذا الفن أكثرَ عُمره، حتى صار لا يُذكر أحدٌ في أقطار الأرض فيهما غيره، وبجانب هذا كُلُّه كان لأبي حيان اليدُ الطولى في التفسير، والحديث، وتراجم الرجال، ومعرفة طبقاتهم، خصوصاً المغاربة.

ولقد أخذ كثير عنه العلم حتى صار من تلامذته أئمةٌ وأشياخ في حياته، وهو الذي جَسَّر الناس على كتب ابن مالك، ورَغَّبهم فيها، وشرح لهم غامضها.

وأما مؤلفاته فكثيرة، انتشرت في حياته وبعد وفاته في كثير من أقطار الأرض، وتلقاها الناس بالقبول، ومن أهمها: «تفسير البحر المحيط»، و«غريب القرآن»، و«شرح التسهيل»، و«نهاية الإعراب»، و«خلاصة البيان».

وقد قيل: إنَّ أبا حيان كان ظاهريَّ المذهب، ثم رجع عنه وتبع الشافعيَّ على مذهبه، وكان عريًّا من الفلسفة، بريئاً من الاعتزال والتجسيم، مُتمسكاً بطريقة السلف.

أما وفاته فكانت بمصر سنة (٧٤٥هـ)، فرحمه الله ورضي عنه.

وتفسيره «البحر» مُعتبرٌ عند أهل العلم المرجع الأول والأهم لمن يريد أن يقف على وجوه الإعراب لألفاظ القرآن الكريم؛ إذ إنَّ الناحية النحوية هي أبرز ما فيه من البحوث التي تدور حول آيات الكتاب العزيز، والمؤلف إذ يتكلم عن هذه الناحية، فهو ابن بجديتها، وفارس حليتها، غير أنَّه قد أكثر من مسائل النحو في كتابه، مع توسُّعه في مسائل الخلاف بين النحويين، حتى أصبح الكتاب أقرب ما يكون إلى كُتب النحو منه إلى كُتب التفسير.

هذا وإنَّ أبا حيان وإن غلبت عليه الصناعة النحوية في تفسيره، إلَّا أنَّه مع ذلك لم يُهمل ما عداها من النواحي التي لها اتِّصالٌ بالتفسير، فنراه يتكلم على المعاني اللغوية للمفردات، ويذكر أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والقراءات الواردة مع توجيهها، كما أنه لا يُغفلُ الناحية البلاغية في القرآن، ولا يُهملُ الأحكام الفقهية عندما يَمُرُّ بآيات الأحكام، مع ذكره لما جاء عن السلف ومن تقدَّمه من الخلف في ذلك.

- تفسير النهر: «النهر المادُّ من البحر».

مؤلفه: أبو حيان أيضاً، ذكر فيه: أنَّه لما كان «البحر» طويلاً.. اختصره منه، فقال: (وربما نشأ في هذا النهر ما لم يكن في «البحر»)، وذلك لتجدد نظر المستخرج لِلآلية، ونكبت فيه: عمَّا ذكرناه في «البحر» من أقوال اضطربت بها لُججه، وإعراب مُتكلف تقاصرت عنه حُججه).

- تفسير القرطبي: «الجامع لأحكام القرآن».

مؤلفه: الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر ابن فُرح الأنصاري، الخزرجي، الأندلسي، القرطبي، المفسر.

كان رحمه الله من عباد الله الصالحين، والعُلَماء العارفين، الزاهدين في الدنيا، المشغولين بما يعينهم من أمور الآخرة، وكانت أوقاته كُلُّها مَعَمُورَة بالتوجه إلى الله وعبادته تارة، وبالتصنيف تارة أخرى، حتى أخرج للناس كُتُباً انتفعوا بها.

ومن مُصنَّفاته: كتابه في التفسير المسمَّى بـ«الجامع لأحكام القرآن»، و«شرح أسماء الله الحُسنى»، وكتاب «التَّذْكَار في أفضل الأذكار»، وكتاب «التَّذْكَرة بأمور الآخرة»، وكتاب «شرح التَّقْصِي»، وكتاب «قَمع الحرص بالزهد والقناعة ورد ذلك السؤال بالكتب والشفاعة».

سَمِع من الشيخ أبي العباس بن عمر القرطبي، مؤلف «المُفْهِم في شرح صحيح مُسلم» بعضَ هذا الشرح، وحدث عن أبي عليِّ الحَسَن بن محمد البكري، وغيرهما. وتوفي في شَوَّال سنة (٦٧١هـ)، فرحمه الله رحمةً واسعة.

وتفسيرُهُ من أَجَلِّ التفاسير وأعظَمِها نفعاً، أسَقَط منه القصص والتواريخ، وأثبت عَوَضها أحكامَ القرآن واستنباط الأدلة، وذكر القراءات والإعراب والناسخ والمنسوخ، وذكر أسباب النزول، وبيَّن الغريب من ألفاظ القرآن، وأكثرَ من الاستشهاد بأشعار العرب، وردَّ على المعتزلة، والقدرية، والروافض، والفلاسفة، وغلاة المتصوفة.

- تفسير الكشاف: «الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل».

مؤلفه: الإمام محمود بن عمر بن محمد بن عمر النَّحوي اللغوي، الأديب، المعتزلي الزمخشري، الملقَّب بِجار الله؛ لأنَّه ارتحل إلى مكة وأقام بها مُجاوراً للبيت، وفيها أَلَف كتابه في التفسير.

وُلِد سنة (٤٦٧هـ)، وقد برَّع في اللغة، والأدب والنحو، ومعرفة أنساب العرب وأيامهم، حتى فاق أقرانه، كما كان عالماً بكثير من العلوم الإسلامية، كالفقه، ولا سيما الفقه الحنفي، والأصول والتفسير وغيرها، ثمَّ اعتنق مذهب الاعتزال، ودعا إليه، وصار من أئمة المعتزلة، والمنافحين عنهم، وله مؤلفات كثيرة، منها: «ربيع الأبرار»، و«الأساس»، و«الفائق»، وتوفي سنة (٥٣٨هـ).

وتفسيره «الكشاف» من خير كتب التفسير وأجلِّها، ولولا نزعته الاعتزالية في بعض الآيات القرآنية.. لما تناوله المعتزِّضون بالنقد، ولما شناه بعض الناس، وبحسب هذا

الكتاب فضلاً ومنزلةً أن كل من جاء بعد الزمخشري عالماً عليه فيما يذكره فيه من أسرار الإعجاز، والغوص على المعاني البلاغية الدقيقة.

ولبراعته في الكلام، وتمكُّنه من فنون القول، وبعد غوره يدُسُّ بعض آرائه في أثناء تفسيره، وتروج على خلق كثير من أهل السنة، ولذا قال البلقيني: استخرجت من «الكشاف» اعتزلاً بالمناقيش من قوله تعالى: ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّكَارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾.

- تفسير ابن عطية: «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز».

مؤلفه: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المغربي الغرناطي الحافظ القاضي. ولي القضاء بمدينة المرية بالأندلس، ولما تولى توخى الحق، وعدل في الحكم، وأعز الخطة. ويقال: إنه قصد مرسية بالمغرب؛ ليتولى قضاءها، فصد عن دخولها، وصُرف منها إلى الرقة بالمغرب، واعتُدي عليه رحمه الله، وتوفي بالرقة سنة (٥٤٦هـ).

وتفسيره له قيمته العالية بين كتب التفسير، وعند جميع المفسرين، وذلك راجع إلى أن مؤلفه أضفى عليه من روجه العلمية الفياضة ما أكسبه دقة، ورواجاً، وقبولاً، وقد لخصه مؤلفه - كما يقول ابن خلدون في «مقدمته» - من كتب التفاسير كلها؛ أي: تفاسير المنقول، وتحري ما هو أقرب إلى الصحة منها، ووضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب والأندلس، حسن المنحى.

والحق أن ابن عطية أحسن في هذا التفسير وأبدع، حتى طار صيته كل مطار، وصار أصدق شاهد لمؤلفه بإمامته في العربية وغيرها من النواحي العلمية المختلفة.

- تفسير التحبير: «التحبير في علوم التفسير».

مؤلفه: الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي.

قال عنه في «إتمام الدراية لقراء النقاية» (ص ٢٠): (لم أقف على تأليف في علم التفسير لأحد من المتقدمين، حتى جاء شيخ الإسلام جلال الدين البلقيني، فدونه ونقحه وهذبه ورتبه في كتاب سماه «مواقع العلوم من مواقع النجوم»، فأتى بالعجب العجيب، وجعله خمسين نوعاً على نمط أنواع علوم الحديث، وقد استدركت عليه من الأنواع ضعف ما ذكره، وتتبع أشياء متعلقة بالأنواع التي ذكرها ممّا أهمله، وأودعها كتاباً

سَمَّيْتُهُ : «التحبير في علم التفسير» ، وصَدَّرْتُهُ بِمُقَدِّمَةٍ فِيهَا حَدُودُ مَهْمَّةٍ ، وَنَقَلْتُ فِيهَا حَدُوداً كَثِيرَةً لِلتَّفْسِيرِ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ بَسْطِهَا ، فَكَانَ ابْتِدَاءُ اسْتِنْبَاطِ هَذَا الْعِلْمِ مِنَ الْبَلْقِينِي ، وَتَمَامُهُ عَلَى يَدَيَّ ، وَهَكَذَا كُلُّ مُسْتَنْبَطٍ يَكُونُ قَلِيلاً ثُمَّ يَكْثُرُ ، وَصَغِيراً ثُمَّ يَكْبُرُ . وَيَنْحَصِرُ فِي مُقَدِّمَةِ وَخَمْسَةِ وَخَمْسِينَ نَوْعاً بِحَسَبِ مَا ذَكَرَ هُنَا ، وَأَنْوَاعُهُ فِي «التحبير» مِئَةٌ نَوْعٍ وَنَوَاعَانٍ .

- «الإنقان في علوم القرآن» .

مُؤَلَّفُهُ : الْإِمَامُ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ جَلَالُ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ السِّيُوطِيُّ .

وَهُوَ مِنْ أَجْمَعَ مَا صُنِفَ فِي هَذَا الْبَابِ ، اسْتِفَادَ مِنْ مُؤَلَّفَاتِ السَّابِقِينَ وَخَاصَّةً «الْبُرْهَان» ، وَزَادَ عَلَيْهَا ، وَتَنَاوَلَ عُلُومَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَمَا يَلْحَقُ بِهَا فِي ثَمَانِينَ نَوْعاً ، أَوَّلُهَا : مَعْرِفَةُ الْمَكِّيِّ وَالْمَدَنِيِّ ، وَآخَرُهَا : طَبَقَاتُ الْمَفْسِّرِينَ ، وَأَشْبَعُ كُلِّ نَوْعٍ بَحْثاً وَبَيَاناً ، جَزَاءُ اللَّهِ عَنِ الْمُسْلِمِينَ خَيْرَ الْجَزَاءِ ، وَقَدْ طُبِعَ كِتَابُهُ عِدَّةَ مَرَّاتٍ فِي مَجْلَدَيْنِ كَبِيرَيْنِ ، مِنْهَا مَا طُبِعَ فِي الْمَكْتَبَةِ التِّجَارِيَّةِ ، وَعَلَى هَامِشِهِ كِتَابُ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ لِأَبِي بَكْرٍ الْبَاقِلَانِي ، وَمَعَ هَذَا لَا يَزَالُ هَذَا الْكِتَابُ بِحَاجَةٍ إِلَى تَحْقِيقٍ وَعِنَايَةٍ وَحُسْنِ إِخْرَاجٍ ؛ لَيْسَهُلَ عَلَى الْقُرَّاءِ تَنَاوُلُهُ وَالِاسْتِفَادَةُ مِنْهُ .



ترجمة الجلال المحلي



اسمه ونسبه:

هو الشيخ الإمام الفقيه الأصولي العلامة جلال الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن الكمال الأنصاري المحلي القاهري المصري .
ولادته ونشأته العلمية وشيوخه:

كان مولده سنة (٧٩١هـ) بالمحلة الغربية، و«المحلة» مدينة مشهورة في القاهرة^(١).
نشأ جلال الدين المحلي بالقاهرة، فقرأ شتى العلوم، وبرع في الفنون فقهاً وأصولاً،
وكلاماً ونحواً ومنطقاً، وغيرها، ومهر وتقدّم على الأقران، وتفنّن في العلوم العقلية
والنقلية.

قال السخاوي: أخذ جلال الدين الفقه والأصول والعربية عن الشمس البرماوي،
وكان مقيماً معه بالبيبرسية فكثرت انتفاعه به لذلك، والفقه أيضاً عن البيجوري، والجلال
البلقيني، والولي العراقي، والأصول أيضاً عن العزّابن جماعة، ولازم البساطي
في التفسير وأصول الدين وغيرها، وانتفع به كثيراً، وأخذ علوم الحديث عن أبي زرعة
العراقي، وابن حجر العسقلاني وبه انتفع، فإنه قرأ عليه جميع «شرح ألفية العراقي»،
وأذن له في إقرائه، وكان أحد الطلبة المؤيدة عنده، بل كان كلّما يشكّل عليه في الحديث
وغيره يراجع فيه.

وتلمذ الجلال المحلي رحمه الله تعالى على يد كثير من العلماء، منهم:

١ - الحافظ ولي الدين أبو زرعة أحمد بن عبد الرحيم العراقي الشافعي
(ت: ٨٢٦هـ).

٢ - الحافظ محمد بن عبد الدائم المصري البرماوي (ت: ٨٢٦هـ).

(١) انظر: «شذرات الذهب» لابن العماد: (٤٤٧/٩)، و«الضوء اللامع» للسخاوي: (٣٩/٧)، و«البدر الطالع»
للسوكاني: (٦٣١/٥)، و«إيضاح المكنون» للبغداد: (١٤٧/٣)، و«الأعلام» للزركلي: (٣٢٣/٥).

٣ - الحافظ شيخ الإسلام أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢ هـ).

٤ - سراج الدين ابن الملقن (ت: ٨٠٤ هـ).

٥ - سراج الدين البلقيني (ت: ٨٠٥ هـ).

٦ - عز الدين ابن جماعة (ت: ٨١٩ هـ).

مكانته العلمية:

وصف المحلّي بأوصاف كثيرة، فلقد كان مهاباً وقوراً، عليه سيما الخير، وكان رجّاعاً إلى الحق، إذا ظهر له الصواب على لسان من كان رجوع إليه، وكان زاهداً في المناصب، فقد عُرض عليه القضاء بعد وفاة الحافظ ابن حجر فأبى.

وكان شديد الذكاء، حتى قيل عنه: إن ذهنه يثقب الماس، وكان حادّ القريحة قوي الحجة.

قال السخاوي: «كان إماماً علامة محققاً نظّاراً مفرط الذكاء، صحيح الذهن»^(١).

وقال السيوطي: «وكان غرة هذا العصر في سلوك طريق السلف، على قدم من الصّلاح والورع، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»^(٢).

من تلامذته:

١ - يوسف بن شاهين قُطْلُوْبُغا الكَرْكُري الحنفي، سبط الحافظ ابن حجر.

(ت: ٨٩٩ هـ).

٢ - محمد بن عبد الرحمن الحافظ السخاوي. (ت: ٩٠٢ هـ).

٣ - جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. (ت: ٩١١ هـ).

٤ - نور الدين السمهودي. (ت: ٩١١ هـ).

٥ - إبراهيم بن محمد بن أبي شريف المقدسي. (ت: ٩٢٣ هـ).

(١) - «الضوء اللامع»: (٤١/٧).

(٢) - «حسن المحاضرة»: (٤٤٣/١).

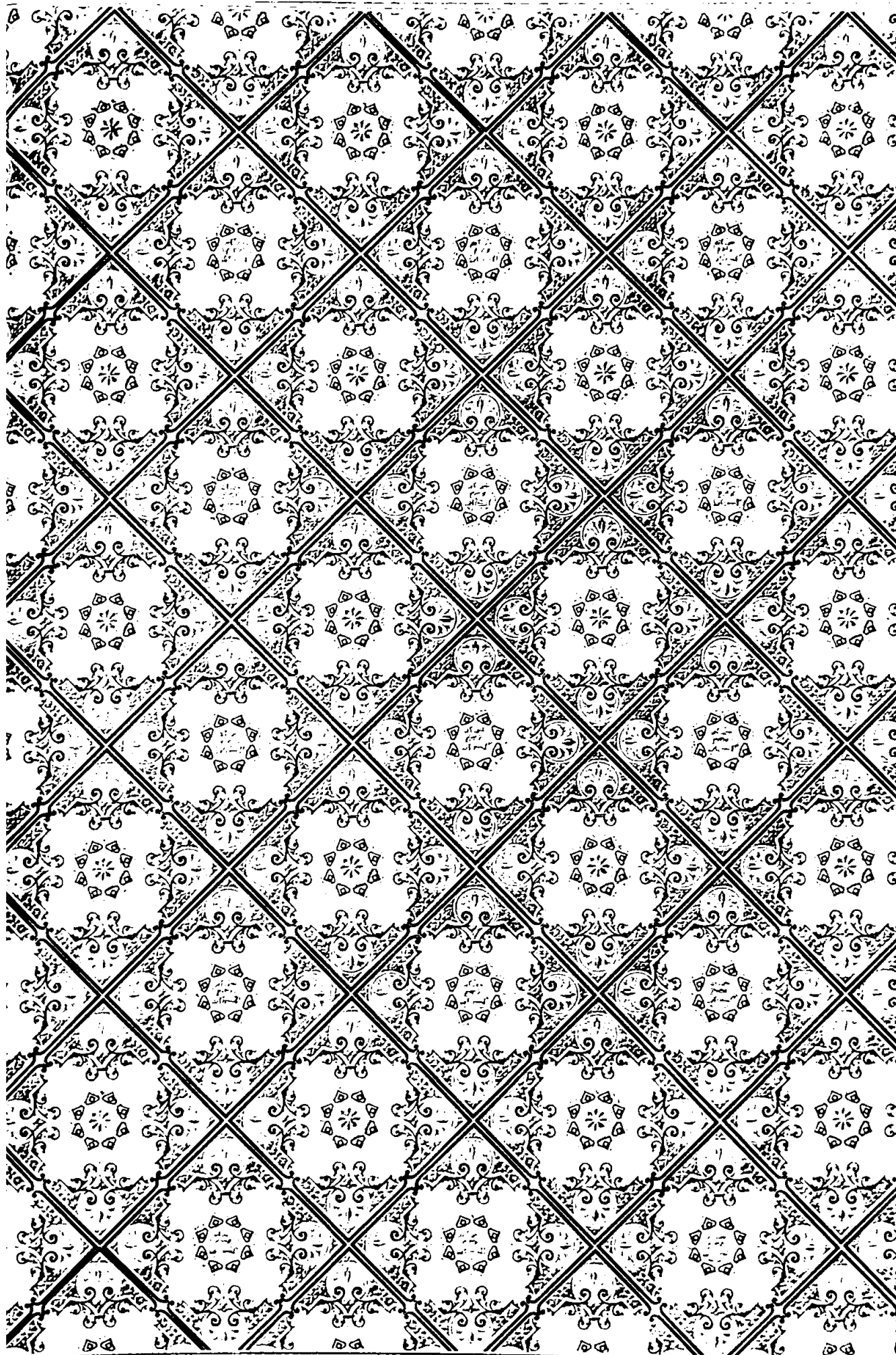
من مؤلفاته :

«البدر الطالع في حلّ جَمْع الجوامع»، و«شرح الورقات» في أصول الفقه، و«الجهر بالبسملة»، و«الحاشية على شرح جامع المختصرات»، و«الحاشية على جواهر البحرين للإسنوي»، و«شرح الفرائض»، و«كنز الراغبين في شرح منهاج الطالبين»، و«الأنوار المضية في مدح خير البرية ﷺ»، و«شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد» في النحو، و«شرح الإعراب عن قواعد الإعراب»، و«شرح الشمسية»، وتفسير القرآن («تفسير الجلالين» - وهو كتابنا هذا).

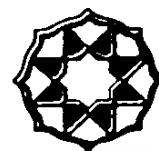
وفاته :

اتفق المؤرخون على أن وفاته كانت سنة (٨٦٤ هـ) بمصر، ودفن بالقرب من ضريح الإمام الشافعي .





ترجمة الجلال السيوطي



اسمه ونسبه:

هو عبد الرحمن بن الكمال أبي المناقب أبي بكر بن ناصر الدين محمد بن سابق الدين الخضير السيوطي - أو الأسويطي - الطولوني الشافعي^(١).

و«سيوط» أو «أسويط»: مدينة كبيرة تقع غربي النيل في صعيد مصر، وهي أكبر مدن الصعيد.

والده: قال الإمام السيوطي عن والده: (هو الإمام العلامة ذو الفنون، الفقيه الفرضي، الحاسب الأصولي، الجدلي النحوي، التصريفي البياني، المترسل البارع، كمال الدين أبو المناقب أبو بكر بن محمد، وكان مولد والدي بأسويط في أوائل هذا القرن تقريباً، أي: القرن التاسع، وقدم القاهرة سنة عشرين ونيّف، واستقر به المقام، وأقبل على العلوم بأنواعها، فأخذ عن مشايخ عصره، وتردد إلى مجالس الحفاظ ابن حجر العسقلاني وأخذ عنه الحديث، وكانت له اليد الطولى في الإنشاء).

ولوالد السيوطي بعض التصانيف وجلّها حواشٍ وشروح لكتب، منها: حاشية على «شرح الألفية» لابن المصنف، لم تتم، وصل فيها إلى باب الإضافة، وحاشية على «العضد»، لم تتم، وحاشية على كتاب «أدب القضاء» للغزّي، وأجوبة على اعتراضات ابن المقرئ على «الحاوي».

توفي والد السيوطي يوم الاثنين الخامس من صفر سنة (٨٥٥ هـ)، رحمه الله تعالى^(٢).

(١) ينظر: «حسن المحاضرة»: (١/٣٣٥)، و«التحدث بنعمة الله» ص ٥.

(٢) ينظر: «التحدث بنعمة الله» ص ٥ و ٨ و ٩، و«نظم العقيان» ص ٩٥، و«بغية الوعاة»: (١/٤٧٢)، و«حسن المحاضرة»: (١/٤٤١ و ٤٤٢)، و«الضوء اللامع»: (١١/٧٢ و ٧٣)، و«بدائع الزهور»: (٢/٢٨٩)، و«شذرات الذهب»: (٧/٢٨٤ و ٣٥٠).

ولادته ونشأته :

ولد السيوطي ليلة الأحد بعد المغرب مستهل رجب من سنة تسع وأربعين وثمانمائة (١/ رجب/ ٨٤٩هـ).

أما مكان ولادته فيذكر السيوطي أنه في القاهرة، هذا وقد اكتنفت ولادته حادثة طريفة، وذلك أن والده احتاج إلى كتاب، فأمر زوجته أن تأتية به من مكتبته، فذهبت لتأتية به، فجاءها المخاض وهي بين الكتب فوضعت، فأطلق عليه ابن الكتب^(١)، فكان كما قيل، فقد ولد وعاش مع الكتب، وأفنى عمره في تأليفها وتحريرها.

ولد السيوطي بالقاهرة بعد انتقال أبيه إليها بمدة طويلة حيث كان يعمل مدرساً للفقهاء الشافعي بالجامع الشيخوني، ونتيجة لغلبة الطابع الصوفي على البلاد من ناحية، ولكون والده من صوفية الشيخونية من ناحية أخرى، حمّله بعد مولده إلى أحد كبار الأولياء بجوار المشهد النفيس، وهو الشيخ محمد المجذوب، فباركه، وكان والده قد قارب الخمسين من عمره في ذلك الحين.

وعندما بلغ السيوطي الثالثة من عمره - وكانت شهرة الحافظ ابن حجر تملأ الدنيا، وكان شيخاً لأبيه - اصطحبه والده إلى مجلس الحافظ ابن حجر في إحدى المرات، وقد كان لحضور هذا المجلس أثره العميق في نفسية السيوطي وفي حياته العلمية فيما بعد^(٢).

ولم يلبث والده أن توفي بعد قليل في صفر عام (٨٥٥هـ)، حين كان ابنه لم يتم السادسة من عمره، وقد ولي الوصاية عليه بعد أبيه أحد أصدقائه من الصوفية، وهو الشيخ جمال الدين ابن الهمام الحنفي^(٣).

وقد أنشأ السيوطي يحفظ القرآن قبل وفاة أبيه، وقد بلغ في الحفظ عند وفاته إلى سورة التحريم، وواصل الحفظ بعد وفاته، فأتم القرآن الكريم ولم يبلغ الثامنة من عمره^(٤).

(١) ينظر: «حسن المحاضرة»: (٣٣٦/١)، و«التحدث بنعمة الله» ص ٧ و ١٦ و ٣٢، و«الضوء اللامع»: (٦٥/٤)،

و«النور السافر» للعيدروسي، ص ٥١ و ٥٤ و ٦٢، و«بدائع الزهور»: (٨٣/٤)، و«الكواكب السائرة»: (٢٢٦/١).

(٢) ينظر: «حسن المحاضرة»: (١٨٨/١)، و«النور السافر» ص ٥٤.

(٣) ينظر: «شذرات الذهب»: (٥٢/٨)، و«النور السافر» ص ٥٤.

(٤) ينظر: «حسن المحاضرة»: (١٨٨/١)، و«شذرات الذهب»: (٥٢/٨).

دلّ السيوطي بحفظه المبكر للقرآن الكريم على ذكاء متوقد، وذاكرة قوية، وقد حفظ بعد ذلك «عمدة الأحكام»، و«المنهاج الفرعي» في الفقه للنووي و«المنهاج في الأصول» له أيضاً على ما ذكر، و«ألفية ابن مالك» في النحو، و«منهاج البضاوي»، وقد أتم حفظ هذه الكتب وعرضها على شيوخ عصره، ومن ثم فقد أصبح أهلاً لأن يطلب العلم على أيدي علماء العصر في مختلف مناحي العلم^(١).

ومنذ مستهل عام (٨٤٦هـ) وحين كان السيوطي لم يتم الخامسة عشرة من عمره، أنشأ يطلب العلم، فأخذ الفقه والنحو عن جماعة من الشيوخ؛ منهم الشمس محمد بن موسى الحنفي إمام الشيخونية في النحو، وعن الفخر عثمان المقسي، والشموس البامي وابن الفالاتي وابن يوسف أحد فضلاء الشيخونية، والبرهانين العجلوني والنعماني بعضهم في الفقه وبعضهم في النحو، وأخذ الفرائض عن العلامة فرضي زمانه شهاب الدين الشارمساحي الذي كان قد بلغ المائة من العمر.

وقد أجاز بتدريس العربية في مستهل عام (٨٦٦هـ)، أي: حين كان في السابعة عشرة من عمره، وقد ابتدأ التأليف في هذه السنة؛ فكتب شرحاً للاستعاذة والبسملة، وأطلع عليه شيخه علم الدين البلقيني شيخ الإسلام، فكتب عليه تقريظاً، وقد لزم عليه كثيراً من أبواب الفقه، وأجازه بالتدريس والإفتاء في عام (٨٧٦هـ) حين كان السيوطي في السابعة والعشرين من عمره، وحضر تصديره، وقد توفي البلقيني عام (٨٧٨هـ).

كما لزم السيوطي شيخ الإسلام شرف الدين المناوي، فقرأ عليه بعض كتبه في الفقه والتفسير.

ولزم في الحديث والعربية العلامة تقي الدين الشمني أربع سنين، وكتب له تقريظاً على «شرح ألفية ابن مالك» وعلى «جمع الجوامع» في العربية، وكان شيخه يشهد له بالتقدم ويثق في علمه وسعة اطلاعه.

وقد أخذ جملة من العلوم منها التفسير والأصول والعربية والمعاني عن العلامة محيي الدين الكافيجي الذي لازمه السيوطي أربع عشرة سنة، وكتب له الكافيجي إجازة عظيمة بذلك، كما حضر دروساً عديدة عند الشيخ سيف الدين الحنفي^(٢).

(١) ينظر المرجعان السابقان.

(٢) ينظر: «حسن المحاضرة»: (١/١٨٩). وسيأتي الكلام عن شيوخه.

من شيوخه :

- ١- شيخ الإسلام شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني .
 - ٢- الإمام علم الدين صالح بن عمر بن رسلان الكناني البلقيني .
 - ٣- قاضي القضاة أبو زكريا يحيى بن محمد بن محمد المناوي القاهري الشافعي .
 - ٤- الإمام أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن حسن التميمي الداري الحنفي القسنطيني .
 - ٥- العلامة أبو عبد الله محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود البرغمي الرومي الحنفي ، ويعرف بالكافيجي لإكثاره من قراءة «الكافية» لابن الحاجب .
 - ٦- الإمام محمد بن عمر بن قطلوبغا البكتمري القاهري الحنفي النحوي .
 - ٧- الإمام جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الأنصاري المحلي .
 - ٨- الإمام يحيى بن محمد بن إبراهيم بن أحمد الأقصري الحنفي .
 - ٩- العلامة محمد بن أحمد بن محمد المخزومي الباني الفقيه الشافعي .
 - ١٠- نجم الدين بن تقي الدين بن تقي الدين محمد بن فهد المكي .
- من تلامذته :

- ١- الشيخ بدر الدين حسن بن علي القيمني .
- ٢- شيخ القراء ، أبو حفص سراج الدين عمر بن قاسم الأنصاري المصري .
- ٣- أبو الفضل شهاب الدين ، أحمد بن الأمير تاني بك الألياسي .
- ٤- شرف الدين قاسم بن عمر الزواوي المغربي القيرواني .
- ٥- الإمام المحدث شمس الدين محمد بن يوسف بن علي الشامي الصالحي الدمشقي .
- ٦- العلامة المسند المؤرخ أبو عبد الله شمس الدين محمد بن علي بن طولون الدمشقي الصالحي الحنفي .
- ٧- مؤرخ مصر أبو البركات محمد بن أحمد بن إياس الحنفي .

٨- الإمام العلامة السيد يوسف بن عبد الله الحسيني الأرميوني .

٩- الشيخ سليمان الخضيرى المصرى الشافعى .

١٠- الإمام عبد الوهاب بن أحمد بن على الشعرانى .

من مؤلفاته وآثاره :

الإتقان فى علوم القرآن، وإتمام الدراية لقراء النقاية، وأحسن الاقتناس فى محاسن الاقتباس، وأدب القاضى على مذهب الشافعى، وأذكار الأذكار مختصر حلية الأبرار، وإرشاد المهتدين إلى نصرة المجتهدين، والأزهار المتناثرة فى الأخبار المتواترة، وأسباب الاختلاف فى الفروع، وإسعاف الطلاب من مختصر الجامع الصغير بترتيب الشهاب، وإسعاف المبطل برجال الموطأ، والأشباه والنظائر فى الفقه، والأشباه والنظائر فى النحو، وأطراف الأشراف بالإسراف على الأطراف، والأعلام الحسنى بمعاني الأسماء الحسنى، والإفصاح على تلخيص المفتاح، والاقتراح فى علم أصول النحو، والإكليل فى استنباط التنزيل، وأنموذج اللبيب فى خصائص الحبيب، وبدائع الزهور فى وقائع الدهور، وبغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة، والبهجة المرضية فى شرح ألفية، وتاريخ الخلفاء، وتبييض الصحيفة بمناقب الإمام أبى حنيفة، والتحرير فى علوم التفسير، وتحذير الخواص من أكاذيب القصاص، وتحفة المجتهدين فى أسماء المجددين، وتدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى، وترجمان القرآن فى التفسير المسند، وتفسير الجلالين . (وهو الذى بين أيدينا)، وتناسق الدرر فى تناسب السور، وتنزيه الاعتقاد عن الحلول والاتحاد، وتنوير الحوالك شرح على موطأ مالك، والجامع الصغير لأحاديث البشير النذير، وجامع المسانيد، والحاوى للفتاوى، وحسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة، والخصائص الكبرى أو كفاية الطالب اللبيب فى خصائص الحبيب، والدرر المنثور فى التفسير بالمأثور، والدرر المنتثرة فى الأحاديث المشتهرة، والديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، ورفع الخصاصة فى شرح الخلاصة، والسيف الصقيل فى حواشى ابن عقيل، وشرح ألفية العراقي فى الحديث، وشرح شواهد المغنى، وشرح الصدور بشرح أحوال الموتى فى القبور، وعين الإصابة فى مختصر أسد الغابة، واللآلئ المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة، ولباب النقول فى أسباب النزول، ولب اللباب فى تحرير الأنساب، ومجمع

البحرين ومطلع البدرين في التفسير، ومجاز الفرسان إلى مجاز القرآن، والمزهر في علوم اللغة وأنواعها، والنكت على الألفية لابن مالك والكافية والشافية لابن الحاجب وشذور الذهب ونزهة الطرف لابن هشام، ونواهد الأبيكار وشوارد الأفكار على تفسير البضاوي، وهمع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية.

وفاته:

توفي الإمام السيوطي رحمه الله تعالى سحر ليلة الجمعة تاسع عشر من شهر جمادى الأولى من سنة (٩١١هـ) كما ذكره الشعراني في «ذيل طبقاته». وصلى عليه الشعراني بالروضة عقب صلاة الجمعة بجامع الشيخ أحمد الأباريقي، ثم صلى عليه خلق كثير مرة ثانية بالجامع الجديد في مصر العتيقة.



ترجمة الإمام الفقيه المفسر المتكلم

أحمد بن محمد الصاوي

رحمه الله تعالى

(١١٧٥ - ١٢٤١هـ)

اسمه ونسبه:

هو الإمام العلامة، قُدوة السالكين، ومُربي المُريدِين؛ شهابُ الدين أبو العباس أحمدُ بنُ مُحَمَّد بن محمد بن الشريف الحنفي الحُلَيفي الصاوي المالكي الخَلوتي .
يَنْتَهِى نَسَبُهُ لِلدَّوْحَةِ الْعَلَوِيَّةِ الْمُبَارَكَةِ، فَالْحَنَفِيُّ نِسْبَةً لِمُحَمَّد بن الحَنَفِيَّةِ، ابْنِ سَيِّدِنَا عَلِيِّ بن أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ولادته ونشأته:

وُلِدَ الْإِمَامُ الصَّائِي سَنَةَ (١١٧٥هـ) فِي قَرْيَةٍ عَلَى شَاطِئِ النَّيْلِ مِنْ إِقْلِيمِ الْغَرْبِيَّةِ بِمِصْرَ
تُدْعَى: (صَاءَ الْحَجَرِ)، وَإِلَيْهَا نِسْبَتُهُ، وَقَدْ مَاءَ الْيُونَانِ يُسَمُّونَهَا: (سَايسَ)، وَهِيَ الْيَوْمَ قَرْيَةٌ
مِنْ مَنَاطِقَةِ (بَسْيُونِ)، وَتَابِعَةٌ لَهَا.

أَمَّا نِسْبَتُهُ الْحُلَيفِي . . فَلِلْمِيقَاتِ الْمَعْرُوفِ بِذِي الْحُلَيْفَةِ؛ إِذْ أَجْدَادُ الْإِمَامِ كَانُوا مِنْ أَهْلِهِ
قَبْلَ هِجْرَتِهِمْ إِلَى مِصْرَ.

عُرِفَ وَالِدُهُ بِالصَّلَاحِ وَالْوَرَعِ وَكَثْرَةِ الْعِبَادَةِ وَالتَّبَتُّلِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، بَلْ كَانَ صَاحِبَ
وَلَايَةٍ شَهِدَ لَهُ بِهَا مَنْ حَوْلَهُ، وَأُمُّهُ مِنْ بَنَاتِ مَشَايِخِ عَرَبَانَ الْبَحِيرَةِ مِنْ قَرْيَةِ (جَبَارَسَ)،
كَانَتْ عَابِدَةً تَقِيَّةً وَرَعَةً، رُوي: أَنَّ الْإِمَامَ قَرَأَ عَلَيْهَا شَيْئاً مِنْ عُلُومِ التَّوْحِيدِ بَنِيَّةً تَعْلِيمَهَا،
فَقَالَتْ لَهُ: (يَا وَلَدِي؛ كُلُّ هَذَا الَّذِي تَقْرَأُ عَلَيَّ وَتَقُولُ لِي هُوَ فِي قَلْبِي، غَيْرَ أَنِّي لَا أَسْتَطِيعُ
أَنْ أَعْبَرَ عَنْهُ بِعِبَارَاتٍ كَعِبَارَاتِكَ).

نَشَأَ فِي حَجَرِ أَبِيهِ فِي رِيَاضٍ مِنَ التَّقْوَى وَالْمَعْرِفَةِ، فَبَدَأَ بِحِفْظِ الْقُرْآنِ بِإِشَارَتِهِ
وَمُتَابَعَتِهِ، وَمَا لَبِثَ أَنْ تُوفِيَ وَالِدُهُ وَهُوَ دُونَ الْخَامِسَةِ، وَأَتَمَّ حِفْظَهُ وَهُوَ ابْنُ خَمْسِ سَنِينَ،

ثُمَّ تَوَلَّى إِخْوَتَهُ رِعَايَتَهُ، فَطَلَبَ مِنْهُمْ الإِذْنَ لَهُ بِالسَّفَرِ لِطَلَبِ الْعِلْمِ فِي الْأَزْهَرِ بِالْقَاهِرَةِ، فَمَنْعُوهُ لَصِغَرِ سِنِّهِ يَوْمَئِذٍ، فَسَكَنَ فِتْرَةً رَاضِيًا، ثُمَّ فَرَّ مِنْهُمْ إِلَى قَرْيَةٍ (القضاة)، وَلَهُ فِيهَا بَعْضُ مِنْ أَقَارِبِهِ، فَأَخْبَرَهُمْ بِعَزْمِهِ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ، فَأَكْرَمُوهُ وَأَمَّنُوهُ، ثُمَّ كَانَ أَنْ اقْتَنَعَ إِخْوَتُهُ بِفِكْرَتِهِ الَّتِي أَلَحَّ فِي طَلَبِهَا، فَدَخَلَ الْقَاهِرَةَ قَاصِدًا الْأَزْهَرَ سَنَةَ (١١٨٧هـ) وَعَمَرُهُ يَوْمَهَا لَمْ يُجَاوِزِ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ؛ لِيَنَالَ قَدَرَ اللَّهِ الَّذِي قَسَمَهُ لَهُ وَهُوَ يَتَقَلَّبُ فِي أَحْشَاءِ أُمَّه.

مَرَحَلَةُ الطَّلَبِ وَالتَّأْهِيلِ الْعِلْمِيِّ:

كَانَ الْأَزْهَرُ يَوْمَهَا حَافِلًا بِأَسَاطِينِ الْعُلَمَاءِ الْأَفْذَاذِ، وَكَانَ مِنْ جَمَلَةٍ مَنْ تَوَلَّى وَصَايَتَهُ الْعَلَّامَةُ الشَّيْخُ شَافِعُ الْخَفَاجِيِّ، وَالْعَلَّامَةُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ عِبَادَةَ الْعَدَوِيِّ، وَمِنْهُمْ: الْعَلَّامَةُ الشَّيْخُ أَحْمَدُ السَّجَاعِيُّ صَاحِبُ الْحَوَاشِي الْمَشْهُورَةِ، وَكَانَ مِنْ لَطِيفِ أَخْبَارِهِ مَعَهُ: أَنَّهُ ذَاتَ يَوْمٍ مَرَضَ الشَّيْخُ السَّجَاعِيُّ، فَبَعَثَ لِلطَّلَبَةِ أَنْ يَحْضُرُوا الدَّرْسَ فِي بَيْتِهِ، وَكَانَ قَدْ بَقِيَ دَرْسٌ مِنْ «شَرْحِ ابْنِ عَقِيلٍ عَلَى الْخُلَاصَةِ»، فَلَمَّا جَاؤُوهُ.. قَالَ لَهُمْ: (هَلْ فِيكُمْ الصَّاوِي؟) فَقَالُوا: لَا، فَقَالَ: (انْتَظَرُوا حَتَّى يَحْضُرَ)، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَمَا قُرِئَ الدَّرْسُ إِلَّا بِحَضْرَتِهِ.

وَمِنْ جَمَلَةِ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ نَهَلَ مِنْهُمْ الْإِمَامُ الصَّاوِي: شَيْخُهُ فِي الْحَدِيثِ وَالتَّفْسِيرِ الْعَلَّامَةُ الْإِمَامُ سَلِيمَانُ بْنُ عَمْرِ الشَّهِيرِ بِالْجَمَلِ، وَهُوَ صَاحِبُ الْحَاشِيَةِ الْمَشْهُورَةِ عَلَى «الْجَلَالِينَ» وَالْمُسَمَّاةِ بِ«الْفُتُوحَاتِ الْإِلَهِيَّةِ»، وَالَّتِي هِيَ الْأَصْلُ لِحَاشِيَةِ عَلَّامَتِنَا الصَّاوِي عَلَيْهِ كَمَا سَيَأْتِي، وَكَانَ الشَّيْخُ الْجَمَلُ يُحِبُّهُ وَيُجِلُّهُ.

وَمِنْهُمْ: الْعَلَّامَةُ الَّذِي سَارَتْ بِأَثَارِهِ الرُّكَّائِبُ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَمِيرُ الْكَبِيرُ السَّنْبَاوِيُّ الْمَالِكِيُّ، وَكَانَ الشَّيْخُ الْأَمِيرُ يُحِبُّهُ وَيَسْتَوْصِيهِ بِالْدُّعَاءِ، وَيَشْهَدُ لَهُ بِالصَّلَاحِ وَرُتَبِ الْمَعْرِفَةِ. وَمِنْهُمْ أَيْضًا: الْعَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَرَفَةَ الدَّسُوقِيِّ الْمَالِكِيِّ، مَنْ صَارَتْ حَوَاشِيهِ خَاتِمَةَ الْقَوْلِ فِي كُلِّ فَنٍّ وَعِلْمٍ حَشَى فِيهِ.

وَمِنْهُمْ: شَيْخُ الْأَزْهَرِ الْعَلَّامَةُ عَبْدُ اللَّهِ الشَّرْقَاوِيُّ. كُلُّ هَؤُلَاءِ كَانَ لَهُمْ نَصِيبٌ عِنْدَ الْإِمَامِ الصَّاوِي، وَلَكِنْ مَا نَزَلُوا مِنْ قَلْبِهِ كَمَنْزِلَةِ شَيْخِهِ وَمُرَبِّيهِ أَوْحَدِ زَمَانِهِ الْعَلَّامَةِ الْبَحْرِ الشَّيْخِ أَحْمَدَ الدَّرْدِيرِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

في رحاب الشيخ الدردير :

العلامة الدردير كان نجم الهداية في سماء إمامنا الصاوي رحمهما الله، وكانت غُلقة كلٍّ منهما بصاحبه تُجاوِزُ حُدود المؤلف، قال العلامة المؤرخ الجبرتي في ترجمة الإمام الدردير رحمه الله تعالى : (الإمامُ العالم العلامة، أُوْحِدُ وَقته في الفنون العقلية والنقلية، شيخُ أهل الإسلام وبركةُ الأنام، أبو البركات أحمدُ بن محمد بن أحمد بن أبي حامد العدوي المالكي الأزهري الخلوتي الشهير بالدردير، وُلد ببني عدي كما أخبر عن نفسه سنة (١١٢٧هـ)، وحفظ القرآن وجوَّده، وحُبِّب إليه طلبُ العلم، فورد الجامع الأزهر وحضر دروس العلماء، وسمع الأوليَّ عن الشيخ محمد الدقري بشرطه، والحديث على كلٍّ من الشيخ أحمد الصباغ، وشمس الدين الحفني، وبه تخرَّج في طريق القوم، وتفقَّه على الشيخ علي الصَّعِيدِي، ولازمه في جُلِّ درسه حتى أنجب، وتلقن الذكر وطريق الخلوتية من الشيخ الحفني، وصار من أكبر خُلفائه، وأفتى في حياة شيوخه، مع كمال الصيانة والزهد والعِفَّة والديانة، وحضر بعض دُروس الشيخين: المَلَّوي، والجوهري وغيرهما، ولكن جُلَّ اعتماده وانتسابه على الشيخين: الحفني، والصعدي، وكان سَلِيم الباطن، مُهذَّب النفس، كريم الأخلاق).

ومؤلفات العلامة الدردير لها مكانة رَفِيعَةٌ بين كُتُب المتأخرين عند السادة المالكية، و«خريدته»، و«صلواته»، و«تُحَفُّهُ» لا تَغيب عن مكتبة طَلبة العلم المجدين، فمتى وكيف عَرَف الصاوي دَليلاً قلبه إلى ربِّه؟

في السنة التي وقَد فيها الفتى الصاوي إلى القاهرة قاصداً الأزهر (١١٨٧هـ)، وبعد ستة أشهر أقامها يومها، جذَبته الطَّلعةُ الحرَّةُ البهيَّة ذاتُ الأنوار الربانية للشيخ الدردير لأن يكون مُنتظماً في عقد الولاية، ووقعَ نظر الأحمدين على بعضهما، وحيرةُ الحياء والوجل تغلي في فؤاد الفتى؛ لِتَتَجَلَّى نظرةٌ مُنكسرةٌ راجية، تُخالطُها نظرة أبوية حانية مُتوقدة تلاًلًا شعشاعها، تجولُ في صفحات وجهِ الوصية الربانية الوافدة، ويُبَايع الشيخ الدردير ولده الروحي الصاوي، ويرتضيه ليثاً في طريق السادة الخلوتية، طريقِ العلم والعمل والولاية والأدب مع الله تعالى ومع رَسوله المصطفى عليه صلوات الله وسلاماته.

ولك أن تعلم أن الشيخ الدردير قام فنسج الصاوي نسيجاً جديداً لا تُبليه الأيام، فأخذ عنه المعقول والمنقول وهو يومها إمام مصر كلها فيهما، وتفقه على يديه حتى بلغ الأمر أن إذا رأى الشيخ الدردير خط الصاوي على فتوى ما . . سارع وختم عليها؛ ليعلمه بتدوينه وتحقيقه العلمي، والصاوي مع هذا مُلازمٌ لمجالس الشيخ وأوراده، لا يني ولا يتأول، حتى كان له في قلب الشيخ المقام الأول.

وبلغ من تعظيم الإمام الصاوي لشيخه الدردير ما تتحير فيه العقول، فكان لا يذوق نوماً وشيخه مُستيقظ، فإذا نام . . نام تحت رجله، واستيقظ قبله، ولا سيما بعدما أخذ الدردير بأذنه يوماً نام فيه عن ورده وقال: (أذنك باردة!)، قال الصاوي: (فقهمتُ إشارته، وتصببتُ عرقاً من شدة الحياء، ولزمتُ الهمة والاجتهاد في أخذ الأوراد)، فما فاته بعد ذلك وردٌ للشيخ إلا وكفره بإحياء ليلة كاملة.

وقد حاول بعض الوُشاة ممن أكلت الغيرة قلبه تغيير قلب الشيخ الدردير في حق الصاوي، فنعتته بالتفريط والغياب عن مجلس الذكر، فقال العلم الدردير: (ولدي أحمد لا نظير له أتى أو لم يأت)، حتى بلغ من الشيخ محمد عبادة - وهو من أقران الشيخ الدردير في الأزهر وابن بلدته، ومن جملة أشياخ الصاوي كما سبق - أن جعل الصاوي وسيلته للدخول لقلب الشيخ الدردير، ثم بعدها كان يقول: (أود أن أسلب العلم والشهرة وتكون منزلي عند الشيخ الدردير كمنزلتك يا صاوي!)، وكان قد شاهد يوماً كيف أخذ الصاوي عن الدردير ورداً خاصاً، فقال: (لقد امتلأ قلبي وجسدي نوراً من سماعي الذكر في أذنه، فكيف بمن أدخل الذكر إلى قلبه؟!).

بقي الصاوي مُلازماً لشيخه الدردير إلى آخر لحظة من حياته، وكان الشيخ الدردير أيام مرضه يسأل عنه، ويقول: أين ولدي أحمد؟ فيقولون: هو أسفل الدار، فأمر بمجيئه، فصعد إليه، فقال له الشيخ: لم تأخرت يا ولدي؟ ثلاثة أيام وأنا مُشتاق إليك، فقال الحاضرون: إنه لم يخرج من المنزل منذ أن حصل لك المرض، فقال الشيخ: (إن مت لا أقطع بأحد غير ولدي أحمد).

مُجاهداته في طريق القوم:

يوماً لَقَّن الشيخ الدردير جملةً من مُريديه ورداً خاصاً، وكان بينهم العلامة السيد خير الدين الغزي، فقال لهم: الطريقُ صعب، وهذا أوَّلُ قَدَمٍ يَضَعُهُ المريد فيها، فكونوا على حالة طيِّبة، والزموا الآداب، ولَمَّا وصل الصاوي.. قال له: يا ولدي؛ ارفقْ بنفسِكَ؛ إِنَّ لبدنك عليك حقاً، فقام الجماعةُ من عند الشيخ باكين على أنفسهم؛ بِتَشديدِهِ عليهم، وتَخفيفِهِ على الصاوي.

فقد كان الإمام لا يأكلُ إِلَّا لُقِيَمَات قليلة، ويُلازم الجوعَ مِنْ غير صَوْم، فضلاً عن الصوم، ودخل الخلوة بأمر شيخه، فبقي ثلاث ليالٍ يأكل قليلاً من الأرز، فاشتتهت نفسه طعاماً حُلواً، فأدَبَهَا بأن تركَ الطعام والشراب ثلاث ليالٍ، حتَّى صار يَسْمَع نفسه حال الذكر تقول: يا مغيثُ؛ أَغِثْنَا، فإذا برجل يَطْرُق الباب ومعه تمرٌ حَسَن، فأخذه وأغلق الباب، ولم يأكل، حتَّى عَرَض في قلبه: شيء أتاكَ بلا طَلَب؛ فكُله، فصار يأكل في اليوم ثلاث تمرات لا يزيد عليها!

وقد تأدَّب الإمام بِجُملة من طُرُق السادة الصوفيَّة؛ فقد تَلَقَّى الطريقةَ الخلوتيةَ عن شيخه الدردير، وعن الشيخ عبد المُتعال الخراشي، والطريقةَ الشاذليَّةَ عن الإمام عبد الوهَّاب العفيفي، والخراشي أيضاً، والطريقةَ القادريةَ عن السيد أعرابي البيروني، وكذا الطريقةَ الدمرداشيةَ عنه، بل وأخذ جُملة الطرق الصوفيَّةَ عن الإمام محمد الأمير الكبير رحمه الله تعالى.

أخلاقه وثناء العلماء عليه:

ألسنةُ الخلق أَقلامُ الحقِّ سبحانه وتعالى، قال السيد أحمد الششتي تلميذُ الإمام الصاوي في الكتاب السَّالف الذكر (مَنَاقِب الصاوي): (اشتغل بالإرشاد إلى طريق الرِّشاد، وأنقذ الله به مُهَجَّ العباد من الحَسَد والبَغْي والعِناد، فعمَّ نفعُهُ الحاضر والباد).

ثمَّ إِنَّ أستاذي رضي الله عنه وعَنَّا به شرعَ يدعُو النَّاسَ إلى الله بحاله وقالِهِ، وحالُهُ مع عباد الله العطفُ والرَّأفة وعدمُ التشديد، يُرَبِّي أتباعه بالألحاظ في كلِّ الأُلحاظ، ويدُلُّهم على المقام الأعلى مِنْ أول قَدَم، حتَّى فاح شذا عِطره في الأكوان، وانتشر سرُّه في جميع الوديان).

وقال العلامة محمد ابن ظافر المدني الأزهري المالكي في كتابه «اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة» (١/ ٦٤): (العلامة المحقق، والجهيد الفهامة الحبر المدقق، وحيدُ الزمان، وفريد العصر والأوان، قُدوةُ السالكين، ومُربي المريدين، شيخ الوقت والطريقة، العابرُ من المجاز إلى الحقيقة، لم أقف له على ترجمة، وأخذ رحمه الله تعالى عن سيدي أحمد الدردير، وسيدي محمد الأمير الكبير، ومَن في طبقتهما... إلى أن قال: وتُوفي بالمدينة المنورة سنة إحدى وأربعين ومِئتين وألفٍ رحمه الله تعالى).

وقال إمامُ أهل السنة في عصره العلامةُ يوسف النُبْهاني في كتابه «جامع كرامات الأولياء»: (الشيخ أحمد الصاوي شيخُ الطريقة الخلوتية، وأستاذُها الأعظم في مصر، بعد شيخه الشيخ أحمد الدردير أستاذُها الأعظم في مصر، بعد شيخه الشيخ محمد الحفني أستاذُها الأعظم في مصر، بعد شيخه السيد مصطفى البكري أستاذُها الأعظم ومُجدها الأكرم، ولكل منهم كراماتٌ كثيرة، وأعظمُها معرفتهم برب العالمين، وتسليكهم المريدين الصادقين، وكلُّهم من أكابر العلماء والأولياء العارفين، رضي الله عنهم أجمعين، ونفعنا ببركاتهم آمين، وعندهم انتشرت هذه الطريقة العلية في بلاد مصر والحجاز والشام والمشرق والمغرب وسائر البلاد الإسلامية).

ومن كرامات سيدي الشيخ أحمد الصاوي: ما ذكره صديقي العلامة الأكمل الشيخ حسين ابن الولي الكبير العارف الشهير سيدي الشيخ محمد الجسر الطرابلسي أحد أكابر خلفاء الشيخ أحمد الصاوي المذكور، قال الشيخ حسين المذكور في كتابه «نزهة الفكر» الذي ألفه في مناقب والده الشيخ محمد الجسر: وقد بلغني من كرامات سيدي الشيخ أحمد الصاوي قدس الله سره وبشاراته بوالدي: أنه قبل أن يرد خبر وفاة جدي والد الشيخ إلى مصر، قال سيدنا الصاوي في حضور والدي ومَحفلٍ من إخوانه: أسمعونا «الفتاحة» لروح الحاج مصطفى الجسر؛ يعني جدي! فجعل والدي يبكي، فأخذ سيدنا الشيخ الصاوي يُعزِّيهِ، ثمَّ إنَّه جعل يضرب ظهره بيده الكريمة ويقول له: أنت جسرٌ بإذن الله، أنت جسرٌ بإذن الله، ثمَّ بعد مُدَّة من الزمان ورد لوالدي الخبرُ بوفاة والده رحمهم الله تعالى، هذا ولا يخفى أنَّه في ذلك الزمان لم يكن تَلْغراف ولا بريد مُنتظم بين مصر والشام، انتهى كلام الشيخ حسين الجسر حفظه الله.

ومثلُ الشيخ أحمد الصاوي المذكور لا يحتاج للدلالة على ولايته وكثرة فضله ينقل كثير من كراماته؛ فإنه كان بإجماع المسلمين من أكابر أئمة العلماء العاملين الهادين المهديين، وأئمة الأولياء العارفين المرشدين الكاملين، والله ينفعنا ببركاتهم آمين).

وقال العلامة محمد مخلوف المالكي التونسي في كتابه «شجرة النور الزكية في طبقات المالكية»: (أبو العباس، أحمد الصاوي الخلوتي، الإمام الفقيه، شيخُ الشيوخ، وعمدة أهل التحقيق والرُّسوخ، العلامة المحقق، الحبر الفهامة المدقق، قُدوة السالكين، ومُرَبِّي المريدين).

مؤلفاته:

خَلَّفَ الشيخ الإمام الصاوي كتباً مُتنوعة العلوم كما سترى، وأكثرها على طريقة التحشية والشرح، وهي بحمد الله تعالى نافعةٌ بديعة، تتجلى في ثناياها كلماتُ العرفان وأهل الخصوصية، في ربط وثيق لا ترى فيه إغراباً، وقد وردت أسماء مؤلفاته في «مناقب الصاوي» مع بيان دواعيها وموضوعاتها:

- «الأسرار الربّانية والفيوضات الرحمانية على الصلوات الدرديرية».
- «الفرائد السنية على متن الهمزية»، شرح فيها همزية الإمام البوصيري رحمه الله تعالى.
- «شرح تحفة الإخوان في علم البيان» والأصل لشيخه الدردير.
- «بلغة السالك لأقرب المسالك»، وعُرف بـ«حاشية الصاوي على الشرح الصغير»، والشرح الصغير هو شرحُ شيخه الدردير لكتابه «أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك».
- «شرح منظومة أسماء الله الحسنى»، والأصل أيضاً لشيخه الدردير.
- «حاشية على شرح الخريدة البهيّة»، ومنظومة «الخريدة البهيّة» وشرحها كلاهما لشيخه الدردير.

- «شرح لمنظومة جوهرة التوحيد»، والأصل للعلامة إبراهيم اللقاني رحمه الله تعالى.

- «رسالة في الرد على مُنكري كرامات الأولياء»، ألفها في ليلة واحدة، وكان الداعي لتأليفها إنكار رجل للكرامات في حضرة الشيخ الدردير، وقد سَمِعَهَا الدردير وقال: كأنه كَتَبَهَا من صدري، وهذه الرسالة أوّل ما ألفه رحمه الله تعالى.

- «رسالة في الجهاد».
- «شرح جليل على دعاء يس».
- «تقارير على دلائل الخيرات».
- «رسالة فيما للخلوة من شروط وآداب».
- «حاشية على مختصر البخاري».
- «حاشية على قصيدة بانث سعاد».
- «حاشية على مولد شيخه الدردير».
- «رسالة في شرح البسمة».
- «حاشية على تفسير القاضي البيضاوي».
- «حاشية على الجلالين»، وهي التي بين أيدينا.

وفاته رضي الله عنه :

شدَّ الإمام رحاله للحج في سنة (١٢٤٠هـ)، وكان معه كوكبة من تلاميذه ومُحبِّيه، وكان في أيامه هذه كثيراً ما يُردَّد: (الوقت قُربٌ وحبِّيبي دُعاني)، وكان هذا الكلام سببَ كرب أصحابه.

ثمَّ إنَّه أتمَّ مناسك الحج، وعجَّل بالزيارة للمَقام الأفخم، والقبرِ المعظَّم في المدينة المنورة، وما هي إلَّا أيَّام حتَّى تمرَّض هناك، وفي السابع من شهر الله المحرَّم في مُستَهَلَّ سنة (١٢٤١هـ) لبَّى نداء حبيبهِ الأوحِدِ سبحانه وتعالى، وكان هذا في رياض المدينة المنورة على ساكنها أفضلُ الصلوات الزاكيَّات وأطيبُ التَّسليمات.

رحمه الله تعالى، وأعاد علينا جميعاً من أحواله وبركاته ما تَبَهَّجُ بِهِ القُلُوب آمين.





منهج العمل بالكتاب

لا تخفى المكانة العلمية التي عليها هذه الحاشية المباركة، نظراً لِمَكانة مؤلفها ومنهجه وطريقته، ولا سيَّما أنه كان في حِقبة زمنيَّة ظَهَرَت فيها النَّابتةُ خوارج هذا العصر، فتراه رحمه الله يُنبِّه عند أدنى مُناسبة على عظيم خَطرهم على أهل الحق، وجماعة المُسلمين. ولزَمَني ليس ببعيد عنَّا كان للطبعات القديمة لهذه الحاشية - وعلى رأسها المطبعة العامرة - الفضلُ في بيان هذه المواضع التي يُحذِّرُ فيها إمامنا الصاوي رحمه الله من هذا الخَطر الجسيم، ولكنَّا مع حُرقة في الفؤاد لا نَجِدُ لِهَذه المواضع أثراً في الطبعات الحديثة على كثرتها!

فكان من أوجب الواجبات الرجوعُ إلى نُسخ مَوثوق بها، وطبعات قديمة سليمة من التحريف، ضَمَنَ عمل تحقيقي رَصِين، يَضَعُ الأمانة العلمية بين عينيه؛ لِنَتعرَّفَ على أسباب هذا الغياب.

فكان من مَنهج العمل في هذه الحاشية المباركة:

- مُقابلة الحاشية على النُّسخ الخطية المعتمدة، ولا سيما تلك المواضع التي غابت في الطبعات الحديثة.

- إثباتُ فروق النسخ المُهمَّة، وهي قليلة.

- حصرُ الآيات القرآنية بين قوسين مُزهرين ﴿ 》 ، وجعلُها برسم المُصحف الشريف برواية حفص عن عاصم في جَميع المواضع التي في الحاشية، متى أمكَن ذلك ولم يَقُت الاستشهادُ المقصودُ منها، وعلى هذا جَرِينا فيما وافق رواية حفص من «تفسير الجلالين»، وأمَّا ما خالفها ووجب التعرُّضُ له - ممَّا جاء على قراءة أبي عمرو التي عليها نُسخ «الجلالين» غالباً، أو على قراءة غيره - فرسمناه على ما اقتَضَتْه تلك القراءةُ مُوافقاً لِرسم المُصحف في الغالب، وبِالخط العاديِّ قليلاً. هذا، ولم نَلتَفِت لِمَا لا تدعو إليه الحاجةُ، كياءات الإضافة، ومَواضع الإمالة، وتسكين هاء ﴿ وهو ﴾ ، فليُعلم!

- تخريجُ القراءات في الآيات الكريمة، وبيانُ أصحابِها بالرجوع إلى مَصادر المؤلف، ولا سيَّما «الدُّر المصون»، و«السراج المُنير».

- تخريجُ جميع الأحاديث الشريفة، والأخبارِ والمرويات، وعزُّوها إلى المصادر الحديثية، مع التنبيه على الإسرائيليات منها، وبيان ما يُقبل منها وما يُرد.
 - عزوُ النُّقول إلى مصادرها الأم حسبما بيَّنه المؤلف رحمه الله في مُقدمته.
 - شرحُ الغريب، وضبطُ المشكل وبيانه.
 - التعلُّيق على المسائل العلميَّة، ولا سيَّما اللغوية منها والنحوية؛ محاولةً لإغناء البحث، وزيادة في الاستشهاد.
 - نسبةُ الأبيات الشعرية إلى بُحورها مع تخريجها من كُتب الأدب واللغة.
 - ترصيعُ الكتاب بعلامات الترقيم المناسبة وفقَّ المنهج المتَّبَع في الدار.
 - وضعُ المُقدمات اللائقة بالحاشية؛ مِن بيان مصادر المؤلف، وترجمته رحمه الله تعالى، وبيان حكم الإسرائيليات في كتب التفسير، والقراءة المُعتمَدة عند الجلالين.
- تنبيهان:

الأول: قدَّمنا تفسيرَ الفاتحة وما يتعلَّق به من الكلام إلى أوَّل الكتاب قبل (البقرة) مُوافقةً لترتيبِ المُصحَّف الشريف، وإن كانت في الأصل في آخرِ الكتاب بعد سورة (الناس)؛ لِمَا تَقَرَّرَ مِن أنها من تفسيرِ الجلال المحلِّي لا من تِمَّةِ الجلالِ الشُّيوطي.

الثاني: جعلنا أرقام الآيات في التفسير في أوائلها تسهيلاً على القارئ في الوصول إليها؛ إذ تأخيرها إلى نهاية الآية ممَّا يتعسَّر معه ذلك، ولا سيَّما مع طول الآية وإطالة المفسِّر للكلام فيها. ورُبما جَمَعنا بين رقمين لآيتين؛ سواءً تَوالتا أم لا، وهو كثيرٌ جدًّا في النصف الثاني من التفسير؛ لِقَصْرِ الآيات، أو تكرارها وسُكُوتِ المفسِّر عنها، بحيثُ إنَّ إثباتها في سطر مُستقلٍّ وحدها يُؤدِّي إلى زيادةٍ في حجم الكتاب، وإلى تقطيع أوصال الآيات، من غير داعٍ إلى ذلك.

وختاماً:

أَسْأَلُكَ يَا اللَّهُ يَا رَحْمَنُ بِجَلَالِكَ وَنُورِ وَجْهِكَ ؛ أَنْ تُنَوِّرَ بَكِتَابِكَ بَصْرِي ، وَأَنْ تُطْلِقَ بِهِ لِسَانِي ، وَأَنْ تُفَرِّجَ بِهِ عَنْ قَلْبِي ، وَأَنْ تَشْرَحَ بِهِ صَدْرِي ، وَأَنْ تَغْسِلَ بِهِ بَدَنِي ؛ فَإِنَّهُ لَا يُعِينُنِي عَلَى الْحَقِّ غَيْرُكَ ، وَلَا يُؤْتِيهِ إِلَّا أَنْتَ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

وكتبه المفتقر إلى رحمة مولاه المجيد

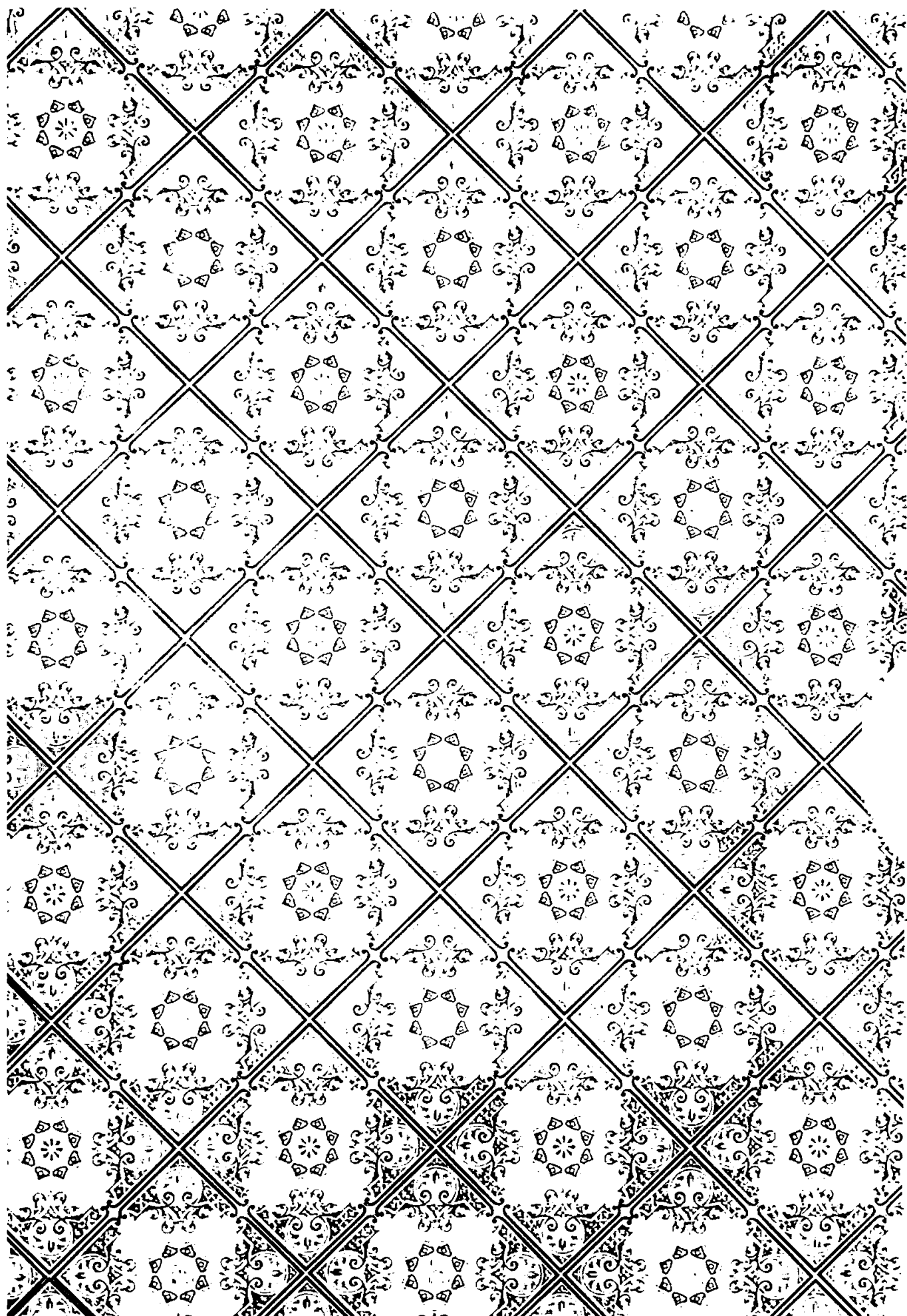
مرعي حسن الرشيد

في دمشق المحروسة، الجمعة،

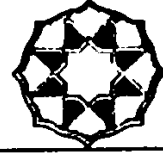
العاشر من شهر شعبان، ١٤٤٤ هـ

الموافق ٢٠٢٣/٣/٣ م





وصف النسخ الخطية



تم بفضل الله وتوفيقه اعتمادُ نُسختين خطيتين نفيستين، ومطبوعة قديمة سليمة من التحريف والتبديل، وهذه النسخ هي:

النسخة الأولى

نسخة المكتبة الأزهرية بمصر، ذات الرقم (٤٦/٦٨٧)، وهي نسخة تامة، كُتبت بخط نسخي حسن، ووقعت في مجلدتين، حوت المجلدة الأولى (٦٤٤) ورقة، والثانية (٥٩٤) ورقة، وكُتبت سنة (١٢٣٠هـ) أي: بعد الانتهاء من تأليف الحاشية بستين.

وناسخها: هو قاسم بن حميدة ابن السيد غازي الششتي المالكي، من أتباع المؤلف رحمه الله وتلاميذه.

وتميزت هذه النسخة بأنها نُقلت من نسخة المؤلف رحمه الله، وعلى هامشها تصحيحات وتصويبات بخطه، وفي بعض المواضع منها عبارات قد شُطب عليها بقلم المؤلف كذلك.

ورُمز لها بـ(أ).

النسخة الثانية

نسخة المكتبة المركزية بجامعة محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ذات الرقم (٤٣٠)، وهي نسخة للجزء الرابع من الحاشية.

وكُتبت بخط نسخي حسن، ووقعت في (٤١٦) ورقة، وكُتبت سنة (١٢٧٦هـ)، وحظيت بعناية ناسخها الذي لم يذكر اسمه.

وجاء على ورقة العنوان منها: «حاشية الشيخ الصاوي على تفسير الجلالين».

ورُمز لها بـ(ب).

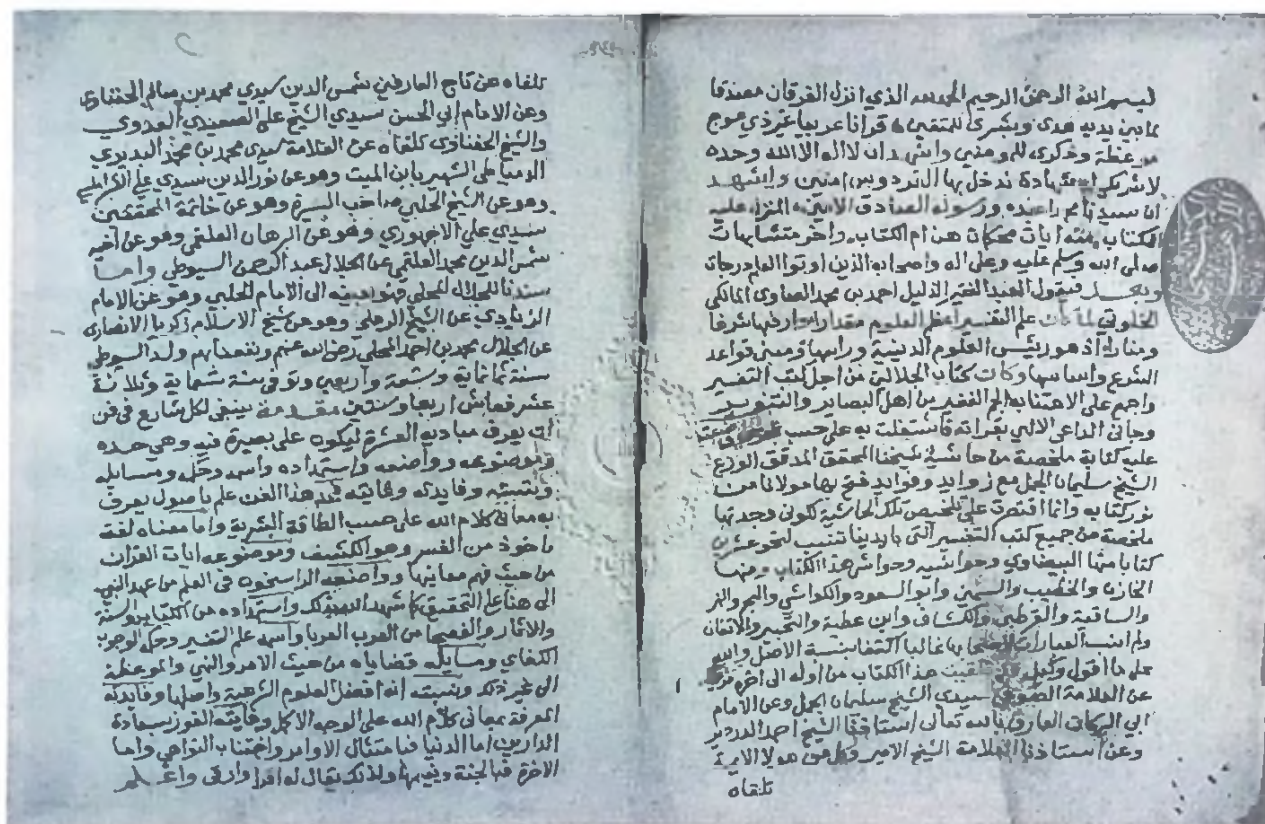
المطبوعة القديمة

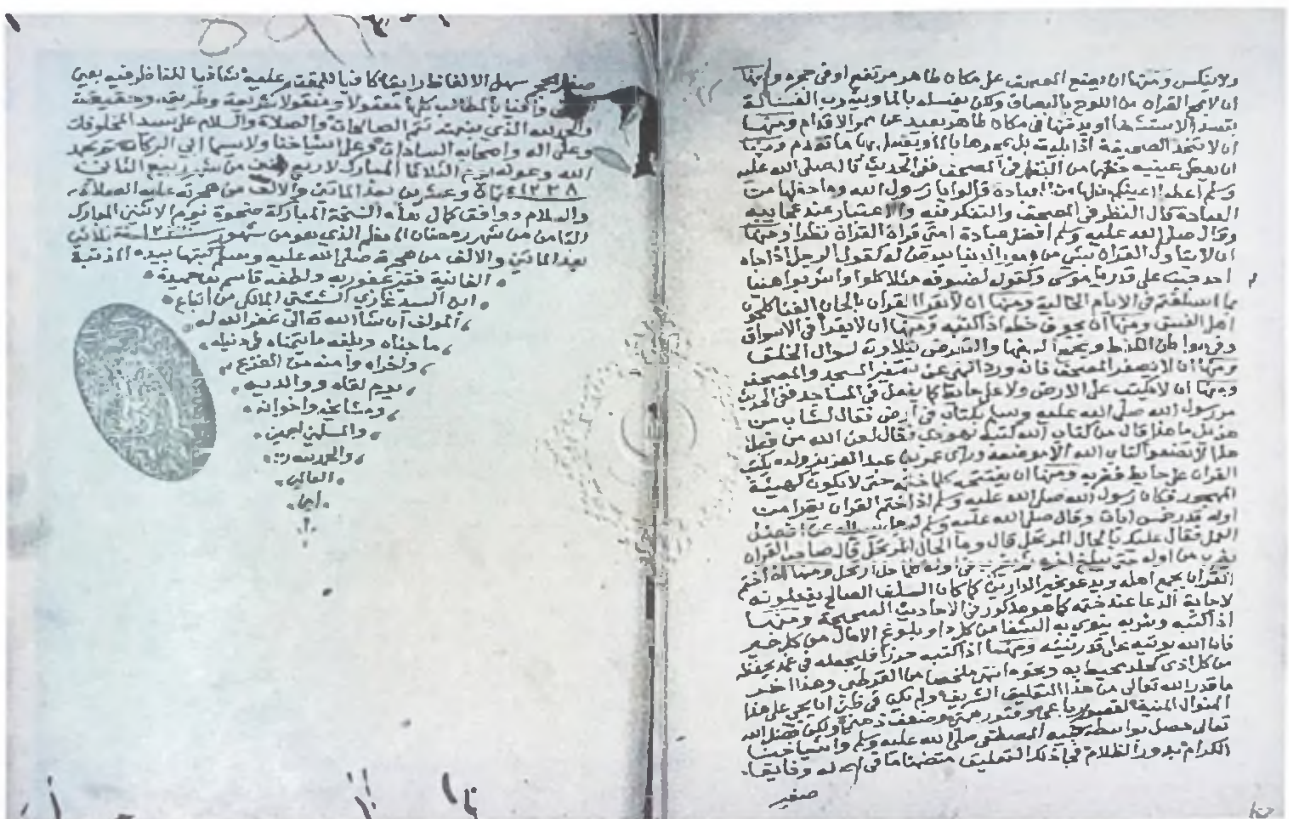
المطبوعة العامرة الشرفية، الطبعة الأولى (١٢٩٥هـ)، وقد قُوِّبَت على نُسخ مُعتمَدة مَوْثوق فيها، يَظهر ذلك بسلامتها من التحريف والتغيير الذي وَقَعَ عند الحديث على خوارج العصر، وقد حُذفت هذه المواضع من النُسخ المطبوعة الحديثة، والله المُستعان. وقد رُمز لهذه النسخة في الهوامش بـ(ط٢).

وكذلك كان لِإِسْتِناس أثناء العمل نُسخة المطبعة الأزهرية بمصر، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى (١٣٤٥هـ)، وفي كِلتا المطبوعَتَيْن كان «تفسيرُ الجلالين» على الهامش.



صور المخطوطات المستعان بها





سورة النجم التي هي من سورتي ياسين والشمس منها
من باب تفسير النجم باسم الله عليه السلام عاده سبحانه وتعالى
في كتابه قوله والصافات الخ والواحد عشر وهو
والصافات مسمى به في سورته وما بعده عطف عليه وقوله ان
المسلم المصدق جواب القسم وهذا القسم عليه والمعنى وحقق
الصافات وحقق الزمان وحقق التاليف وانما خص ما ذكر
لعمرك قد علمنا انه لا يترك عليه ما ورد من النبي عن الجلف
يقول الله واسم الله - جنانه وتم الى قسمه بعض مخلوقاته هو
للمعظم كقوله والنس والليل والنهي والنز وغير ذلك قوله
الملايكة نصف نفوسها الى اربع اقسام في ذلك الى ان المفسر
يخبرنا ان قلت ان التاليف الصافات وما بعده لها لثاني
والملايكة مفرعون عن الانصاف بالانتماء كالذكر في الجيب
بازن المتانك المظني والمزهر عن عنه الثاني المعروف
وقوله الملايكة صافات في تفسير الصافات وحقق
المعاد المجاهد او المصلون او الطيبين نصف الجنتي
قوله في المهادني في مقامات المعرفة او اجتهادها
في الهدى اي ومعنى صفها بطلها تذكروا انتم
اي من صعد وهبط فالزاجات زجرا العالين
باعتبار الوجود في الخارج في احتمال انهم المصلون لان
بعد الصلاة الاصطفاء في رتبة زجر النفس ثم يعقبه
التلوة وهكذا ويحتمل انها للترتيب في الزمان كما يعتبر
الترتيب فالصافات ذوات فضل فالزاجات المصلون والتاليف
أكثر فضلا او باعتبار التاليف فالصافات اعلى في الزمان
ثم التاليف وكل صحيح الملايكة زجر السحاب وقيل المراد

بهم العلماء زجر المصالحات فيصعدون على عرشات ويح
ان يكون مفعولا للتاليف والمراد بالذكر القرآن وهو من
تسبيح التوحيد والمراد بكم هنا كل ذكر من ملايكة وغيرهم
ان الحكم لواحد ان قلت ما حكيت ذكر القسم هنا
لان كان المقصود المؤمنين فلا حاجة له لانهم مصدقون
ولم يسم غير قسم وان كان المقصود الكفار فلا حاجة له
ايضا لانهم غير مصدقين على كل حال احيى بان المقصود
منه تأكيد الدولة التي تقدم تفصيلها في سورة يس
ليزيد الذين امنوا ايمانا ويزيدوا الكافر طرا ويزيد
رب السموات والارض اما بدل من واحد وخمسة اى
خمس كجوز وفي اي والمعاريف اشار بذلك اليه ان حب
الاية التفاعلية حد سبيل تقليم الحس وانما اقتصر على
المشارك لان نفعه اتم من الغروب ان قلت انه تعالى
جمع المشارقة هنا رخصا مقابلته وجمعها في سائر مواضعها
في البيت واخرها في الزمير فوجه الجمع بين هذه الايات
اجيب بان الجمع باعتبار مشرق كل يوم ومغرب اوله
لما في السنة ثلاثمائة وستون مشرقا وثلاثمائة وستون مغربا
فشرق كل يوم من مشرق منها وتغرب كل يوم في مقابلته من
تلك المعاريف والثلاثة باعتبار مشرقه اليه وغربه
الاستاء ومغربها والافراد باعتبار الجهة في كل واحد
الجمع هو هذه السورة المناسبة لجميع اولها السما
والدنيا اي القريب من اهل الارض بزيعة الكواكب تختلف
العلماء الكواكب في سائر الدنيا او قربت في العرش وتزجرها
يجل لسم الدنيا لسم السموات في اشارة لا تحجب ما وراها
بضمير اي زجر اولاده لكانت الاساطير في الدنيا

٤١٦

يعني الرضا والقيام بالمطالب كلها محفول ومتعول شرعية هو
وطريقة وحقيقة والمجد لله الذي بنعته تتم الصالحات
والصلوة والسلام عليه سيما فقلنا فأت وعلم الله ومحبته
الآيات وعلمه استياخنا وأدبها إله البركات ثم حمد
الله وعونه بهم الملأ الميار
١. لا يرفع يمينه من ربه الثاني
٢. الحائرين والذين همزهم عليه الصلاة
٣. والسلام وعلى الله عليه سبحانه
٤. النبي وآله وعليه السلام ومحبته
٥. اجمعين
وهذان المخرج من كتابه هذه النسخة الشريفة به
الآيتين المباركتين والشريفة خلت من شروا القدر
٧٦٦ قلتم بعد الحائرين والذين همزهم عليه الصلاة والسلام
عليهم يد ماله كرها



المحصف فإنه ورد عنهم عن تصغير المسجد والمصحف وما كان لا
يكف عن الأرض ولا على المصاحف كما يفعل بين المساجد ففي الحديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب علم أرض فقال
لشابه من هزيل ما هذا قال من كتاب الله كتبه يوتي
فقال لعنه الله من فعل هذا لا تضعوا كتاب الله الأرض
والمصحف من عبد الميرزا وآله بكتاب القرآن على حابل
خبريه وضربا أن يفتقروا كتابه ختمه حتى لا يلهي كسبه
المصحف فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ختم القرآن
يقول من أوله قدر خمس آيات وقال صلى الله عليه وسلم
لرجل يسئله عن أفضل العمل فقال عليك بلقاء المرتحل
قال وما لقاء المرتحل قال صاحب القرآن يضرب من أوله
حتى يبلغ آخر ثم يضرب في أوله كلما حل المرتحل ومنها
إذا ختم القرآن جمع أهله ويدعو فقير الدارين كما كان
السنة الصالح يفعلون لأجابه الدعاء عند ختمه كما هو
مذكور في السامويين الصحيحة ومنها إذا كتبه وشري
بني به الشفاعة كل داء ويلعق الأمان من كل خير فإن
الله يعطيه على قدر نيته ومنها إذا كتبه حرز
فلجمعه في تحت حفظه من كل آفة كبد سعيد به وخبره
انتهى من القرطبي وهذا أثر ما قدر الله تعالى
من هذه التعليقات الشريفة ولم يكن في ظني أن يحكي على هذا
البحر الكفيف لقصصناهم وقصصهم وضعف ذهني
ولكن فضل الله تعالى حصل بواسطه حبسه المصطفى
صلى الله عليه وسلم واستياخنا الكرم بدر الظلام بما ذكره
التعليق منحصرا في أصله وفأيا صغير المحرر
اللفاظ انقاسا في التمس عليه شافيا للناظر فيه
به في رضي

مقدمة العلامة الصاوي



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل الفرقان مُصَدِّقاً لما بين يديه هدى وبُشْرَى لِلْمُتَّقِينَ، قرآنًا عربيًّا غير ذي عَوَج موعظةً وذكرى لِلْمُؤْمِنِينَ.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً ندخل بها الفردوس آمِنِينَ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين، المنزَّل عليه الكتابُ منه آياتٌ محكماتٌ هنَّ أُمُّ الكتاب وأُخْر متشابهات، صَلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آلِه وأصحابه الذين أُوتوا العلم دَرَجَاتٍ.

وبعد: فيقول العبدُ الفقير الذَّلِيل، أحمدُ بن محمد الصاوي المالكي الحَلُوتِي:

لَمَّا كَانَ عِلْمُ التفسيرِ أعظمَ العلومِ مقداراً، وأرفعها شرفاً ومَناراً؛ إذ هو رئيسُ العلومِ الدينية ورأسها، ومبنى قواعدِ الشرع وأساسها، وكان كتاب «الجلالين» من أجلِّ كُتُب التفسير، وأجمعَ على الاعتناء به الجَمُّ الغفير من أهل البصائر والتَّنوير، وجاءني الداعي الإلهي بِقراءته؛ فاشتغلتُ به على حَسَبِ عَجْزِي، وَضَعْتُ عليه كتابَةً مُلَخَّصَةً من حاشية شيخنا المحقق المدقق الورع الشيخ سُلَيْمَانَ الجَمَلِي^(١)، مع زوائد وفوائد فَتَحَ بها مَوْلانا من نُور كتابه.

وإنما اقْتَصَرْتُ على تلخيص تلك الحاشية؛ لكوني وَجَدْتُها مُلَخَّصَةً من جميع كُتُب التفسير التي بأيدينا، تُنسَبُ لِنَحْوِ عَشْرِينَ كِتَاباً^(٢)؛ منها: «البيضاوي» وحواشيه، وحواشي هذا الكتاب، ومنها: «الخازن»، و«الخطيب»، و«السَّمِين»، و«أبو السَّعُود»، و«الكواشي»، و«البحر» و«النهر» و«السَّاقِيَّة»، و«الْقُرْطَبِي»، و«الكشَّاف»، و«ابن عطية»،

(١) انظر ترجمته في المقدمات (١٦/١).

(٢) انظر الحديث عن منهج المصنف في حاشيته، والتعريف بهذه الكتب في المقدمات (١٦/١-٢٤).

و«التحبير»، و«الإتقان»، ولم أنسب العبارات لأصحابها غالباً اكتفاءً بنسبة الأصل، والله على ما أقول وکیل^(١).

قد تلقيتُ هذا الكتابَ من أوّله إلى آخره^(٢) عن العلامة الصوفي سيّدي الشيخ سليمان الجمل، وعن الإمام أبي البركات العارف بالله تعالى أستاذنا الشيخ أحمد الدردير، وعن أستاذنا العلامة الشيخ الأمير، وكلُّ من هؤلاء الأئمة تلقّاه عن تاج العارفين شمس الدين سيدي محمد بن سالم الحفناوي، وعن الإمام أبي الحسن سيّدي الشيخ علي الصّعيدي العدوي، والشيخ الحفناوي تلقّاه عن العلامة سيدي محمد بن محمد البديري الدميّاطي الشهير بابن الميت، وهو عن نور الدين سيدي علي الشبراملسي، وهو عن الشيخ الحلبي صاحب «السيرة»، وهو عن خاتمة المحقّقين سيدي علي الأجهوري، وهو عن البرهان العلّقي، وهو عن أخيه شمس الدين محمد العلّقي، عن الجلال عبد الرحمن السيوطي.

وأما سنّدنا للجلال المحلّي فهو بعينه إلى الإمام الحلبي، وهو عن الإمام الزيادي، عن الشيخ الرّملي، وهو عن شيخ الإسلام زكريّا الأنصاري، عن الجلال محمد بن أحمد المحلّي، رضي الله عنهم ونفّعنا بهم.

وُلد السيوطي سنة ثمان مئة وتسعة وأربعين، وتُوفي سنة تسع مئة وثلاثة عشر، فعاش أربعاً وستين^(٣).



(١) في (ط) زيادة: (وهو حسبي وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى).

(٢) أراد كتاب «الجلالين».

(٣) تفرّد المصنف رحمه الله برواية سنة وفاة الإمام السيوطي هذه، والصحيح كما سبق في المقدمة: أنه توفي سنة

(٩١١هـ)، وعليه يكون قد عاش قرابة اثنتين وستين سنة.



مقدمة

يَنْبَغِي لِكُلِّ شَارِعٍ فِي فَنٍّ أَنْ يَعْرِفَ مَبَادِئَهُ الْعَشْرَةَ؛ لِيَكُونَ عَلَى بَصِيرَةٍ فِيهِ، وَهِيَ: حَدُّهُ، وَمَوْضُوعُهُ، وَوَضِيعُهُ، وَاسْتِمْدَادُهُ، وَاسْمُهُ، وَحُكْمُهُ، وَمَسَائِلُهُ، وَنِسْبَتُهُ، وَفَائِدَتُهُ، وَغَايَتُهُ. فَحَدُّ هَذَا الْفَنِّ: عِلْمٌ بِأَصُولٍ يُعْرِفُ بِهِ مَعَانِي كَلَامِ اللَّهِ عَلَى حَسَبِ الطَّاقَةِ الْبَشَرِيَّةِ. وَأَمَّا مَعْنَاهُ لُغَةً فَمَأْخُودٌ مِنَ: الْفَسْرِ؛ وَهُوَ: الْكَشْفُ. وَمَوْضُوعُهُ: آيَاتُ الْقُرْآنِ مِنْ حَيْثُ فَهْمُ مَعَانِيهَا. وَوَضِيعُهُ: الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْ عَهْدِ النَّبِيِّ إِلَى هُنَا عَلَى التَّحْقِيقِ؛ كَمَا شَهِدَ اللَّهُ بِذَلِكَ.

وَاسْتِمْدَادُهُ: مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْآثَارِ، وَالْفَصَحَاءِ مِنَ الْعَرَبِ الْعَرَبَاءِ. وَاسْمُهُ: عِلْمُ التَّفْسِيرِ.

وَحُكْمُهُ: الْوَجُوبُ الْكِفَائِيُّ.

وَمَسَائِلُهُ: قَضَايَاهُ مِنْ حَيْثُ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ وَالْمَوْعِظَةُ... إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ. وَنِسْبَتُهُ: أَنَّهُ أَفْضَلُ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَأَصْلُهَا.

وفائده: المعرفة بمعاني كلام الله على الوجه الأكمل.

وغايته: الفوزُ بِسَعَادَةِ الدَّارَيْنِ؛ أَمَّا الدُّنْيَا فَبِأَمْتَالِ الْأَوَامِرِ وَاجْتِنَابِ النَّوَاهِي، وَأَمَّا الْآخِرَةُ فَبِالْجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا، وَلِذَلِكَ يُقَالُ لَهُ: «اقْرَأْ وَارْقُ»^(١).

واعلم: أَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ جُمْلَةً وَاحِدَةً إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، فِي مَكَانٍ يُقَالُ لَهُ: بَيْتُ الْعِزَّةِ^(٢)، عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ الَّذِي نَقَرُّهُ؛ فَإِنَّهُ تَوْقِيفِي، ثُمَّ نَزَلَ عَلَى النَّبِيِّ فِي ثَلَاثِ وَعِشْرِينَ سَنَةً عَلَى حَسَبِ الْوَقَائِعِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣]^(٣)، لَكِنْ لَا عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ؛ فَإِنَّهُ نَزَلَ عَلَيْهِ ثَلَاثُ وَثَمَانُونَ سُورَةً بِمَكَّةَ؛ أَيْ: قَبْلَ الْهَجْرَةِ، وَبِالْمَدِينَةِ إِحْدَى وَثَلَاثُونَ عَلَى التَّحْقِيقِ^(٤).

(١) رواه أبو داود (١٤٦٤)، والترمذي (٢٩١٤، ٢٩١٥) واللفظ له، والضمير عائد على صاحب القرآن.

(٢) كما روى ذلك النسائي في «السنن الكبرى» (٧٩٣٧) موقوفاً على ابن عباس رضي الله عنه.

(٣) كما روى ذلك أيضاً النسائي في «السنن الكبرى» (١١٣٠٨) موقوفاً على ابن عباس رضي الله عنه.

(٤) أوردتها مرتبة صاحب الأصل العلامة الجمل في «حاشيته» (٣/١).

فأَوَّلُ ما نزل بمكة ﴿أَقْرَأْ﴾، وآخرُ ما نزل بها قيل: (العنكبوت)، وقيل: (المؤمنون)، وقيل: ﴿وَبَلِّغْ لِلْمُطَفِّينَ﴾.

وأَوَّلُ سُورَةٍ نزلت بالمدينة (البقرة)، وآخرُ سُورَةٍ نزلت بها (المائدة).

وهناك بعضُ سُورٍ اختلفَ فيها؛ منها (الفاتحة)، ويمكن تكرارُ نزولها^(١).

وأما أَوَّلُ آيةٍ نزلت على الإطلاق: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١]^(٢)، وآخرُ آيةٍ على الإطلاق: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١].

واعلم أيضاً أن القرآن ينقسم أربعة أقسام:

قسمٌ فيه الناسخ والمنسوخ؛ وهو خمسةٌ وعشرون سُورَةً، وقسمٌ فيه المنسوخ فقط؛ وهو أربعون سُورَةً، وقسمٌ فيه الناسخ فقط؛ وهو ستُّ سُورٍ، وقسمٌ لا ناسخ فيه ولا منسوخ؛ وهو ثلاثٌ وأربعون سُورَةً، وأغلبُه من الربع الأخير.

وعِدَّةُ حروف القرآن: ألف ألف وخمسةٌ وعشرون ألفاً، ودرَجُ الجنة على قدر ذلك، وبين الدرجتين خمسٌ مئة عام.

وعِدَّةُ آياته: ستة آلاف وستٌ مئة وستة وستون، ونصفُه بحسَب الآيات قوله تعالى في سورة (الشعراء): ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الشعراء: ٤٥]، ونصفُه بحسَب الحروف في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ [الكهف: ٧٤]، فالنون من النصف الأول، والكاف من النصف الثاني.

وعِدَّةُ كلماته: سبعةٌ وسبعون ألفاً وأربعٌ مئة وخمسون كلمةً، كلُّ كلمةٍ لها أربعةٌ علوم: علمٌ بحسَب ظاهرها، وعلمٌ بحسَب باطنها، وعلمٌ بحسَب حدِّها، وعلمٌ بحسَب مَقْطَعِها، وإن نظرتَ إلى تناسبها مع ما قبلها وما بعدها زادت كثيراً.

وترتيبُ السور هكذا توقيفيٌّ، وأما وَضْعُ أسمائها في المصاحف، وتقسيمُه إلى أعشارٍ وأرباعٍ وأثلاثٍ، وأجزاءٍ وأحزابٍ، فَمِنْ الحِجَّاجِ الثَّقَفِيِّ بأخذٍ عن الصحابة في وَضْعِ أسماءِ السُّورِ، وباجتهادٍ منه في تقسيمه إلى ما ذُكر؛ ولذلك تجد ابتداءَ الربعِ وَسَطَ قصة.



(١) على قول من قال: إنها نزلت مرتين؛ مرةً بمكة، ومرةً بالمدينة، وذلك تعظيماً لها. انظر «تفسير الثعلبي» (١/٩٠).

(٢) كما رجع ذلك الإمام النووي في «شرح صحيح مسلم» (٢/١٩٩)، قال بعد سَوْقه حديث بدء الوحي: (هذا دليل صريح في أن أول ما نزل من القرآن ﴿أَقْرَأْ﴾، وهذا هو الصواب الذي عليه الجماهير من السلف والخلف، وقيل: أوله ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدِينَةُ﴾، وليس بشيء).

مقدمة الجلال السيوطي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله حمداً مُوافياً لِنِعَمِهِ، مُكافئاً لِمَزِيدِهِ، والصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ

حاشية الصاوي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: (الحمد لله... إلخ)^(١) افتتح رحمه الله كتابه بهذه الصيغة لأنها أفضل المحامد كما ورد^(٢)، وهي مُقتبسة من قوله ﷺ: «الحمد لله حمداً يُوافي نعمه ويكافئ مزيده»^(٣)، وقد غير المصنف الحديث بعض تغيير، وهو مُغتفر في الاقتباس.

قوله: (موافياً لِنِعَمِهِ) أي: مقابلاً لها؛ بحيث يكون بِقَدْرِها، فلا تقع نعمة إلا مقابلةً بهذا الحمد، وهذا على سبيل المبالغة بحسب ما تَرَجَّاهُ، وإلا فكلُّ نعمة تحتاج لِحمد مستقل.

قوله: (مكافئاً لِمَزِيدِهِ) أي: مماثلاً ومساوياً له، والمزيد: مصدر ميمي من: زاده الله النعم، والزيادة التَّمَوُّ، وبابه: باع، ويُستعمل متعدياً ولازماً؛ يُقال: زاده الله خيراً، وزاد الشيء، والمعنى: أنه ترجى أن يكون الحمد الذي أتى به مُوفياً بحق النعم الحاصلة بالفعل وما يزيد منها في المستقبل.

قوله: (على محمد) في نسخة: (على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ)، وعليها: فعطف (وآله) وما بعده على (سيدنا)، لا على (محمد)؛ لِما يلزمُ عليه من إبدال (محمد) وما عطف عليه من (السيد)، وهو في نفس الأمر مُحمد فقط.

(١) هذه المقدمة للإمام السيوطي رحمه الله تعالى، فهو مفسر النصف الأول خلا الفاتحة، فهي والنصف الثاني من تفسير المحلي رحمه الله تعالى، وسبق بيان ذلك في المقدمات (٨/١).

(٢) فيما لو نذر أو حلف لياثنين بأفضل المحامد، فإن قال هذا فقد بر، انظر «الفواكه الدواني» (١١/١)، و«نهاية المطلب» (٤١٥/١٨)، وهو موضع اجتهاد، ورجح ابن حجر الهيتمي أنه يبر ب(يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك)، قال: (بل ينبغي أن يتعين؛ لأنه أبلغ معنى، وصح به الخبر). انظر «تحفة المحتاج» (٥٢/١٠).

(٣) قال الحافظ ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٢٥٢٤): (قال ابن الصلاح في كلامه على الوسيط: ضعيف الإسناد منقطع، غير متصل)، وهو من كلام محمد بن النضر، قال: «قال آدم: يا رب شغلني بكسب يدي، فعلمني شيئاً فيه مجامع الحمد والتسبيح، فأوحى الله إليه: يا آدم: إذا أصبحت فقل ثلاثاً، وإذا أمسيت فقل ثلاثاً: الحمد لله رب العالمين حمداً يُوافي نعمه، ويكافئ مزيده، فذلك مجامع الحمد والتسبيح»، ثم قال: (وهذا مُعضل).

وآله وصحبه وجنوده.

هذا ما اشتدَّت إليه حاجة الراغبين في تكملة تفسير القرآن الكريم

حاشية الصاوي

قوله: (وجنوده) جمع جُنْد، اسم جنس جمعي، يُفَرَّقُ بينه وبين واحده بالياء على خلاف الغالب، والياء في المفرد^(١)، والمراد بجنده: كلُّ مَنْ يُعِين على الدين بالقتال في سبيل الله، أو بتقرير العلم وضبطه، أو بتعمير المساجد، أو بغير ذلك، مِنْ عَصَرِهِ ﷺ إلى آخر الزمان.

قوله: (هذا) هي بمنزلة (أما بعد)، وبمنزلة (أيضاً) في أن كلا منهما اقتضابٌ مَشُوب بتخلُّص؛ لأن الكلام الثاني - وهو المقصود - مُقْتَطَع عن الكلام الأول الذي هو الخطبة، لكن فيه نوع مناسبة من حيث إنه سببُ التأليف، والمقصود أمرٌ ذو بالٍ، وقد ندب الشارع لابتداء فيه بالبسملة والحمدلة والصلاة على النبي، فَحَصَلَت المناسبة، ولكنها ليست كلية، وأثرها على (أما بعد) - وإن كانت الواردة - لاختصارها. واسمُ الإشارة عائدٌ إمَّا على المعاني، أو الألفاظ، أو النقوش، أو المعاني والألفاظ، أو النقوش والمعاني، أو النقوش والألفاظ، أو الثلاثة، احتمالاتٌ سبعة، المختارٌ منها: عَوْدُهُ على المعاني المستحضرة ذهنًا؛ سواء قلنا: إن الخطبة مُتَقَدِّمة على التأليف أو متأخرة. وفي الكلام استعارة تصريحية أصلية؛ حيث شبهَ المعقولَ بالمحسوس، واستعارَ اسمَ المشبه به - وهو اسمُ الإشارة - للمشبه.

قوله: (ما اشتدَّت) (ما): واقعةٌ على المعاني الذهنية كما هو المختارٌ من الاحتمالات المتقدمة، وعَبَّرَ بِ(اشتدَّت) دُونَ (دَعَتْ) إشارةً إلى أن حاجتهم بَلَغَتْ حَدَّ الضرورة؛ لِمَزِيد احتياجهم إلى هذه التكملة، وذلك أن تفسيرَ النصف الثاني قد احتَوَى على المعنى العزيز، وانطَوَى على اللفظ الوجيز، فلم يَسْجُجْ أَحَدٌ على منواله.

قوله: (الراغبين) أي: المحيِّين والمريدين لِتَكْمِيل هذا الكتاب بالتأليف، وتُسْتَعْمَل الرغبة مُتَعَدِّية بنفسها وب(في) في المحبة والميل، ومتعدية ب(عن) للزهد في الشيء والكراهية له.

قوله: (تفسير القرآن) المرادُ منه: ما يعمُّ التأويل، والفَرَقُ بينهما: أن التفسير هو التَّوْضِيح لِكَلَام الله أو رَسُوله أو الآثار أو القواعد الأدبية العقلية، وأما التأويل فهو أن يكون الكلام محتملاً لِمَعَانٍ، فَتَقْصِرُهُ على بعضها، كما في ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧].

(١) مفرد جند: جُنْدِي، واسم الجنس الجمعي يفرَّق بينه وبين واحده بياء النسب كما مُثِّل، وبناء الوحدة وهو الغالب؛ كنمر وتمرة.

الَّذِي أَلَّفَهُ الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ الْمُحَقِّقُ جَلَالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْمُحَلِّيِّ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ،
وَتَتِمِّيمٌ مَا فَاتَهُ،

حاشية الصاوي

والقرآن في اللغة: مأخوذ من القرء، وهو الجمع، وفي الاصطلاح: اللفظ المنزَّل على النبي،
المتعبَّد بتلاوته، ووصفه بالكريم؛ لأن نفعه ليس قاصراً، بل عمَّ الخلق جميعاً في الدنيا والآخرة.

واعلم: أن المدرسين وإن تباينت مراتبهم في العلم ثلاثة أصناف:

الأول: مَنْ إذا درس آيةً اقتصرَ على ما فيها من المنقول، وأقوال المفسرين، وأسباب النزول،
والمناسبة، وأوجه الإعراب، ومعاني الحروف.

والثاني: مَنْ يأخذ في وجوه الاستنباط منها، ويستعمل فكره بمقدار ما آتاه الله من الفهم،
ولا يشتغل بأقوال السابقين؛ اعتماداً على كونها موجودةً في بطون الأوراق لا معنى لذكرها.

والثالث: مَنْ يرى الجمع بين الأمرين، والتحلي بالوصفين، ولا يخفى أنه أرفع الأصناف،
ومن هذا الصنف الجلال المحلي والجلال السيوطي رضي الله عنهما وعنَّا بهما.

قوله: (الذي أَلَّفَهُ) صِفةٌ للتفسير مخصَّصةٌ له.

قوله: (الإمام) هو لغة: المقدَّم، واصطلاحاً: مَنْ بَلَغَ رتبةَ أهل الفضل.

قوله: (العلامة) مبالغةٌ في العلم، ومعناه: الجامع بين المعقول والمنقول بأبلغ وجه.

قوله: (المحقق) أي: الآتي بالأدلة على الوجه الحق.

قوله: (جلال الدين) لَقَبٌ له، ومعناه: ذو جلالَةٍ في الدين، أو مُجِلٌّ ومعظم له؛ لأنه شَيْدُهُ
وأظهر قواعده.

قوله: (محمد) هو اسمه، وقوله: (ابن أحمد) اسمُ أبيه.

قوله: (المحلي) بفتح الحاء، نسبةٌ للمحلة الكبرى، مدينةٌ من مُدُن مصر مشهورة، وُلِدَ سنة سبع
مئة وإحدى وسبعين، وتوفي سنة ثمان مئة وأربعة وستين، فعُمره ثلاثٌ وسبعون، وقبرُهُ قبالة باب
النصر مشهور.

قوله: (الشافعي) نسبةٌ للإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس.

قوله: (وتتيمم) بالرفع عطفتُ على (ما) في قوله: (ما اشتدَّت إليه حاجة الراغبين)، أو بالجَرِّ
عطفتُ على قوله: (في تكملة تفسير القرآن)، وذكره - وإن عُلِمَ ممَّا قبله - توطئةً للأوصاف التي ذكرها
بقوله: (على نمطه... إلخ). وفي التعبير بالتتيمم تسمُّحٌ؛ من حيث إنَّ ما أتى به السيوطي تتيممٌ
لما أتى به المحلي، لا لِمَا فاتَه؛ إذ الذي فاتَه هو نفسُ ما أتى به السيوطي.

وهو من أوّل «سورة البقرة» إلى آخر «الإسراء»، بتتمة على نمطه، من ذكر ما يفهم به كلام الله تعالى، والاعتماد على أرجح الأقوال، وإعراب ما يحتاج إليه، وتنبيه على القراءات المختلفة المشهورة،

حاشية الصاوي

وقوله: (وهو من أوّل... إلخ) الضمير راجع لـ(ما فات)، أو للتتميم؛ لما علمت أن ما فاته والتتميم مصدوقهما واحد، وهو تفسير السيوطي.

وقوله: (من أوّل سورة البقرة... إلخ) أي: وأما (الفاتحة) ففسرها المحلّي، فجعلها السيوطي في آخر تفسير المحلّي؛ لتكون منضمة لتفسيره، وابتدأ هو من أوّل (البقرة).

قوله: (بتتمة) متعلّق بـ(تتميم)، والباء بمعنى (مع)، أي: هذا التتميم الذي أتى به السيوطي تفسيراً للنصف الأوّل مُصاحِبٌ لتتمة، والمرادُ بها ما ذكره بعد فراغه من سورة (الإسراء) بقوله: (هذا آخر ما كملتُ به تفسير القرآن الكريم... إلخ).

قوله: (على نمطه) حالٌ من (التتميم)، أي: حال كون هذا التتميم كائناً على نمط تفسير المحلّي^(١)؛ أي: طريقته وأسلوبه.

قوله: (من ذكر ما يفهم... إلخ) بيانٌ للنمط.

قوله: (والاعتماد) بالجرّ عطفٌ على (ذكر)، أي: والاقتصار على أرجح الأقوال، وكذا قوله: (وإعراب وتنبيه... إلخ).

قوله: (وتنبيه... إلخ) نكّر هذا المصدر دون ما قبله؛ إشارةً إلى قلّة التنبيه المذكور، وأنه لم ينبّه على جميع القراءات المختلفة.

قوله: (المختلفة) أي: المتنوعة، وتنوعها من سبعة أوجه؛ لأنه إما من حيث الشكل فقط؛ كالْبُخْلُ والبَخْلُ، قُرئ بهما والمعنى واحد، وإما من حيث المعنى فقط؛ نحو: ﴿فَلَقَّيْءَ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ﴾ برفع (آدم) ونصب (كلمات) وعكسها، قُرئ بهما أيضاً، وإما من حيث اللفظ والمعنى وصورة الحرف واحدة؛ نحو: ﴿تَبَلَّوْا كُلَّ نَفْسٍ﴾ و﴿تَلَّوْا﴾، قُرئ بهما، وصورة الباء والتاء واجدة بقطع النظر عن النقط، وإما أن يكون الاختلاف في صورة الحرف لا في المعنى؛ كـ(سراط) و(صراط)،

(١) تبع المصنف رحمه الله تعالى صاحب «الفتوحات» (٧/١)، ولو قيل: صفة لـ(تتمة) لا يبعد أيضاً، ويعود الضمير في (على نمطه) على قوله: (تفسير القرآن الكريم الذي...).

على وجه لطيف، وتعبيرٍ وجيز، وتركِ التَّطْوِيلِ بذكر أقوالٍ غير مَرْضِيَّةٍ، وأعاريبٍ محلَّها كتب العربيَّة.

والله أسأل النَّفْعَ به في الدُّنْيَا، وأحسنَ الجزاء عليه في العُقْبَى، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ.

حاشية الصاوي

وإما من حيث اللفظ والمعنى وصورة الحرف؛ نحو: (فاسْعَوْا) (وامضُوا)، قرئ بهما، وإما من حيث الزيادة والنقص؛ كـ(أوصى) و(وصَّى)، وإما من حيث التقديم والتأخير؛ كـ(يَقْتُلُونَ) و(يُقْتَلُونَ) بتقديم المبني للفاعل على المبني للمفعول، وبالعكس.

قوله: (على وجه لطيف) مُتَعَلِّقٌ بالمصادر الأربعة قبله، والمراد باللطيف هنا: القصير، فعطف قوله: (وتعبيرٍ وجيز) لِلتَّفْسِيرِ.

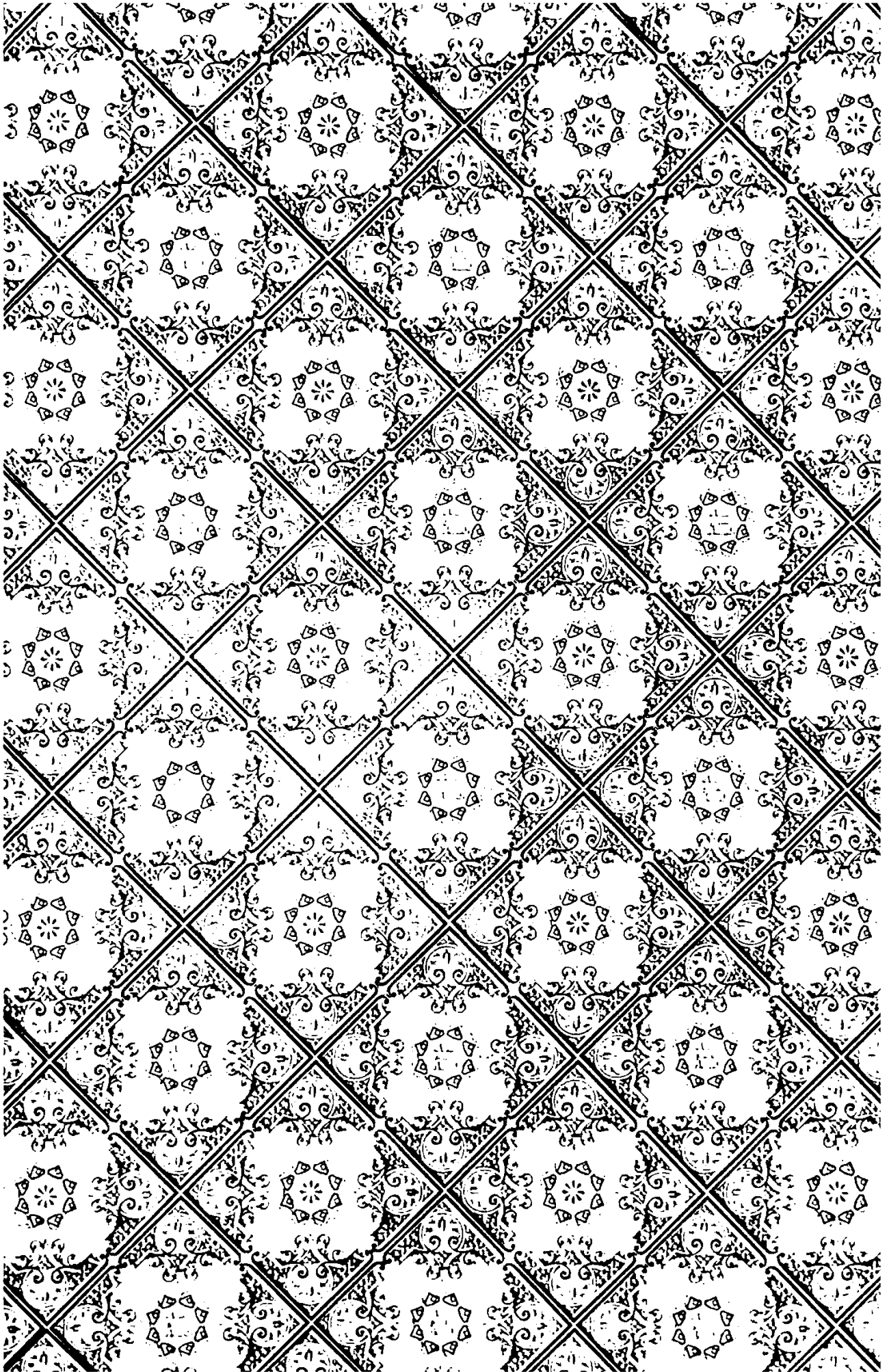
قوله: (وترك التطويل) معطوف على (وجه لطيف)، وهو تصريح بما عُلِمَ من قوله: (وتعبيرٍ وجيز)؛ إذ يلزم من كونه وجيزاً ألا يكون طويلاً.

قوله: (بذكر أقوال) مُتَعَلِّقٌ بـ(تطويل)، وقوله: (غير مرضية) أي: عند المفسرين، وقوله: (وأعاريب) معطوفٌ على (أقوال).

قوله: (والله أسأل النفع به) أي: بالتميم المذكور.

قوله: (بمَنِّهِ وَكَرَمِهِ) الباء: للتوسل؛ أي: أتوسل إليه بِصِفَتَيْهِ العَظِيمَتَيْنِ؛ وهما مَنُّهُ الَّذِي هو تَفَضُّلُهُ على عِبَادِهِ بالعطايا، وَكَرَمُهُ الَّذِي هو إِصَالُ فَضْلِهِ للِبَارِّ والفاجر.







مَكِّيَّةٌ، سَبْعُ آيَاتٍ بِالسَّمَلَةِ

حاشية الصاوي

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

(مَكِّيَّةٌ) هو قول الأكثر، وقيل: مدنيَّة، وَجَمَعَ بعضهم بين القولين فقال: نزلت مرَّتين: مرَّةً بمَكَّةَ حين فُرِضَتِ الصَّلَاةُ، ومرَّةً بالمدينة حين حُوِّلَتِ القبلة؛ ولذلك سَمَّيت: (مَثَانِي)، وقيل: نزل نصفها بمَكَّةَ، ونصفها بالمدينة، والأوَّل هو الصحيح؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧]، و(الحَجَرُ) مَكِّيَّةٌ بإجماع، وأيضاً: فرض الصلاة كان بمكة، ولم يثبت أنه وقع في الإسلام صلاةً بغيرها، يدلُّ على هذا قوله ﷺ: «لا صلاةَ إلَّا بفاتحة الكتاب»^(١)، بل هي من أوائل القرآن نزولاً.

وسمَّيت فاتحةً؛ لأنَّها مفتاح الكتاب العزيز، وهذا اسمٌ من جملة عشرين اسماً، ثانيها: فاتحة الكتاب، ثالثها: أمُّ القرآن؛ لأنَّه مفتَحُ بها، فكأنَّها أصلُه وأساسُه، رابعها: سورة الكنز؛ لأنَّها نزلت من كنزٍ تحت العرش، خامسها: الكافية، سادسها: الوافية؛ لأنَّها وافية كافيةٌ في صحَّة الصلاة عن غيرها عند القدرة عليها، سابعها: الشافية، ثامنها: الشفاء؛ لما ورد: «هي شفاء من كل داء»^(٢)، تاسعها: السبع المَثَانِي؛ لأنَّها سبع آيات على الصحيح؛ سواء قلنا: إنَّ البسملة منها أو لا، عاشرها: النور، الحادي عشر: الرقية، الثاني عشر: سورة الحمد والشكر، الثالث عشر: الدعاء، الرابع عشر: تعليم المسألة؛ لاشتمالها على ذلك، الخامس عشر: سورة المناجاة، السادس عشر: سورة التفويض، السابع عشر: سورة السؤال، الثامن عشر: سورة أم الكتاب، التاسع عشر: فاتحة القرآن، العشرون: الصلاة؛ لخبر: «قسمتُ الصلاةَ بيني وبين عبدي نصفين، فنصفُها لي، ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل؛ يقول العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾»، يقول الله: (حمدني

(١) رواه البخاري (٧٥٦)، ومسلم (٣٩٤) عن سيِّدنا عبادة بن الصامت ؓ، وفيهما: «لِمَن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»، وسياق المصنف رحمه الله تعالى رواه ابن راهويه في «مسنده» (١٢٦) عن سيِّدنا أبي هريرة ؓ.

(٢) رواه البيهقي في «شُعَب الإيمان» (٢١٥٤) عن عبد الملك بن عُمر مرسلاً.

إِنْ كَانَتْ مِنْهَا، وَالسَّابِعَةُ: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ...﴾ إِلَى آخِرِهَا، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْهَا.....

حاشية الصاوي

عَبْدِي)، يَقُولُ الْعَبْدُ: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، يَقُولُ الرَّبُّ: (أَتُنِي عَلَيَّ عَبْدِي)، يَقُولُ الْعَبْدُ: ﴿مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ﴾، يَقُولُ اللَّهُ: (مَجْدُنِي عَبْدِي)، يَقُولُ الْعَبْدُ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (هَذِهِ آيَةُ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ)، يَقُولُ الْعَبْدُ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ)، يَقُولُ اللَّهُ: (فَهَؤُلَاءِ لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ) (١).

ووردَ في فضلِها أحاديثُ كثيرةٌ؛ منها: ما هو مُسلسلٌ بِالْحَلْفِ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، عَنْ ابْنِ الْعَرَبِيِّ قَالَ: (إِذَا قَرَأْتَ «الْفَاتِحَةَ».. فَصِلْ بِ(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) بِ(الْحَمْدِ لِلَّهِ) فِي نَفْسٍ وَاحِدَةٍ مِنْ غَيْرِ قَطْعٍ؛ فَإِنِّي أَقُولُ: بِاللَّهِ الْعَظِيمِ؛ لَقَدْ حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ أَبُو الْفَتْحِ الطَّيِّبُ بِمَدِينَةِ الْمَوْصِلِ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّ مِائَةٍ وَقَالَ: بِاللَّهِ الْعَظِيمِ؛ لَقَدْ سَمِعْتُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ مِنْ فَمِهِ وَلَفْظُهُ، وَهُوَ أَبُو الْفَضْلِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَاتِبُ الْهَرَوِيُّ وَقَالَ: بِاللَّهِ الْعَظِيمِ؛ لَقَدْ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ الشَّاشِيُّ الشَّافِعِيُّ مِنْ لَفْظِهِ وَقَالَ: بِاللَّهِ الْعَظِيمِ؛ لَقَدْ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ الْمَعْرُوفُ بِأَبِي نَصْرِ السَّرْحَسِيُّ وَقَالَ: بِاللَّهِ الْعَظِيمِ؛ لَقَدْ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ وَقَالَ: بِاللَّهِ الْعَظِيمِ؛ لَقَدْ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْوَرَّاقُ الْفَقِيهَ وَقَالَ: بِاللَّهِ الْعَظِيمِ؛ لَقَدْ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْعُلُوِّيُّ الزَّاهِدُ وَقَالَ: بِاللَّهِ الْعَظِيمِ؛ لَقَدْ حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ عِيسَى وَقَالَ: بِاللَّهِ الْعَظِيمِ؛ لَقَدْ حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ الرَّاجِعِيُّ وَقَالَ: بِاللَّهِ الْعَظِيمِ؛ لَقَدْ حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ وَقَالَ: بِاللَّهِ الْعَظِيمِ؛ لَقَدْ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ الْمُصْطَفَى وَقَالَ: «بِاللَّهِ الْعَظِيمِ؛ لَقَدْ حَدَّثَنِي جَبْرِيلُ وَقَالَ: بِاللَّهِ الْعَظِيمِ؛ لَقَدْ حَدَّثَنِي إِسْرَافِيلُ وَقَالَ: قَالَ تَعَالَى: يَا إِسْرَافِيلُ؛ بَعَّرْتَنِي وَجَلَّالِي، وَجُودِي وَكِرْمِي؛ مَنْ قَرَأَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَرَّةً بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ مَرَّةً وَاحِدَةً.. اشْهَدُوا أَنِّي غُفِرَتْ لَهُ، وَقَبِلْتُ مِنْهُ الْحَسَنَاتِ، وَتَجَاوَزْتُ عَنْهُ السَّيِّئَاتِ، وَلَا أُحْرَقُ لِسَانُهُ فِي النَّارِ، وَأُجِيرُهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ النَّارِ وَالْفِرْعِ الْأَكْبَرِ، وَيَلْقَانِي قَبْلَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ أَجْمَعِينَ». اهـ مِنْ «الْمَنَاوِي عَلَى الْجَامِعِ الصَّغِيرِ» (٢).

قوله: (إِنْ كَانَتْ مِنْهَا... إلخ) هَذَا التَّعْبِيرُ يُوْهِمُ فِي بَادئِ الرَّأْيِ: أَنَّهَا إِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْهَا.. فَلَيْسَتْ سَبْعًا، مَعَ أَنَّهُ يُخَالَفُ مَا بَعْدَهُ، فَالْمُنَاسِبُ أَنْ يَقُولَ: (سَبْعَ آيَاتٍ؛ فَإِنْ كَانَتْ الْبَسْمَلَةُ مِنْهَا.. فَالسَّابِعَةُ: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ...﴾ إِلَى آخِرِهَا، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْهَا.. فَالسَّابِعَةُ: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ...﴾ إِلَى آخِرِهَا).

(١) رواه مسلم (٣٩٥) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) «فيض القدير» (٤/٤١٩) وعزاه لعبد بن حميد في «تفسيره» عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

فَالسَّابِعَةُ ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ...﴾ إِلَى آخِرِهَا،

حاشية الصاوي

وبعضهم جعل البسملة منها، وجعل ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ...﴾ إلخ ثامنة، وبعضهم جعلها ستَّ آيات، والبسملة ليست منها، وهذا القولان مرجوحان.

واعلم: أنه اختلف في البسملة؛ فقليل ليست آية من (الفاتحة)، بل ولا من كلِّ سورة سوى سورة (النمل)، وإنما يُندب الابتداء بها كالاستعاذة، وعليه قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها، والأوزاعي ومالك؛ مُستدلين بما روي عن أبي بكرٍ وعمرَ وعثمان وعليٍّ: أنه كان يفتح أحدهم بـ(الفاتحة) في صلاته إماماً من غير أن يقول: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^(١)، وعمل أهل المدينة حجة.

وقيل: آية من (الفاتحة) ومن كلِّ سورة، وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤها، وابن المبارك والشافعي؛ مُستدلين بما روي: أنه ﷺ قال: «إذا قرأتم الحمد لله.. فاقروا ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾؛ إنها أمُّ القرآن، وأمُّ الكتاب، والسبع المثاني، و﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ إحدى آياتها»^(٢).

والحاصل: أن البسملة من كلام الله قطعاً؛ فمن أنكرها.. كفر، وكونها آية من كلِّ سورة أو لا.. خلاف بين الأئمة.

قوله: (فالسابعة: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ...﴾ إلخ) إن قلت: إن لفظ (غير) صفة لما قبلها، والصفة مع الموصوف كالشيء الواحد؛ فكيف تكون آية مُستقلة؟

أجيب: بأن ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (٢٢) مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿صِفَتَانِ لِلَّهِ مَعَهُ أَنَّهُ مُجْمَعٌ عَلَى أَنَّهُمَا آيَتَانِ، فَكَذَلِكَ يُقَالُ هُنَا، وَنُوقِشَ: بِأَنَّ لَفْظَ (غَيْرِ) أَشَدُّ افْتِقَاراً إِلَى مَا قَبْلَهُ مِنْ غَيْرِهِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَتِمُّ مَعْنَاهُ إِلَّا بِمَا قَبْلَهُ، فَكَانَ مَعَهُ كَالشَّيْءِ الْوَاحِدِ، وَأَمَّا (الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) وَنَحْوُهُ إِذَا أُعْرِبَ نَعْتاً.. فَلَيْسَ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ؛ بِدَلِيلِ الْقِرَاءَةِ الشَّاذَّةِ بَرَفْعِهِمَا، أَوْ نَصْبِهِمَا^(٣)؛ فَإِنَّهُمَا يَخْرُجَانِ عَنِ الْارْتِبَاطِ.

(١) رواه البخاري (٧٣٤) وليس فيه ذكرُ سيدنا عثمان ولا سيدنا علي، ورواه الترمذي (٢٤٦) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه، وليس فيه ذكر سيدنا علي كرم الله وجهه.

(٢) رواه الدارقطني في «سننه» (١١٩٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه. وانظر «التلخيص الحبير» (٤٢١/١).

(٣) انظر «الدر المصنوع» (٤٧/١).

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (١)

وَيُقَدَّرُ فِي أَوَّلِهَا (قُولُوا)؛ لِيَكُونَ مَا قَبْلَ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ مُنَاسِباً لَهُ بِكَوْنِهِ مِنْ مَقُولِ الْعِبَادِ.

﴿١﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

حاشية الصاوي

أجيب: بأنَّ الآية لا يُشترط فيها عدم ارتباطها بما قبلها، وقد تخلَّص المفسر من هذا الإشكال بإعرابه بدلاً؛ كما يأتي.

قوله: (ويُقَدَّرُ فِي أَوَّلِهَا) أي: (الفاتحة) قبل البسملة على القول بأنَّها منها، أو بعدها وقبل الحمدلة على القول بأنَّها ليست منها.

قوله: (بكونها) الباء: بمعنى (في)، أي: في كون (الفاتحة) كلّها من مَقُولِ الْعِبَادِ، وفي نسخة: (بكونه)، وهي أوضح، والضَّمير عائدٌ على ما قبل ﴿إِيَّاكَ﴾، ومحضّله: أَنَّ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ لما كان من مَقُولِ الْعِبَادِ.. احتيج إلى تقدير (قُولُوا) فيما قبله؛ ليكون ما قبله من مَقُولِ الْعِبَادِ أيضاً، فتكون (الفاتحة) كلّها من مَقُولِ الْعِبَادِ، ولو ترك هذا التقدير.. لا حتمل أَنَّ قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إلى آخرها^(١) ثناءً من الله على نفسه، فيكون من مَقُولِهِ هو، وذلك صحيحٌ في حدِّ ذاته، لكنَّ التَّنَاسُبَ أبلغ.

قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ لم يتكلَّم الجلال المحلي ولا تلميذه عليها، ولعلَّهما اتَّكَلَا على شهرته، ونتكلَّم على شيءٍ منها فنقول: ابتدأ كتابه تعالى بالبسملة؛ تعليمًا لعباده الاقتداءً بذلك، والإتيان بها في كلّ أمرٍ ذي بالٍ؛ إشعاراً بأنَّها أمُّ (الفاتحة)؛ كما أَنَّ (الفاتحة) أمُّ القرآن؛ كما أَنَّ القرآن أمُّ الكتب السماوية.

والله: علَّم على الذات الواجب الوجود، المستحق لجميع المحامد.

والرحمن: المنعم بجلال النعم كمًّا وكيفاً، دُنْيَا وَآخِرَى.

والرحيم: المنعم بدقائقها كذلك.

فائدة: روى الشعبي والأعمش: أَنَّ رسول الله ﷺ كان يكتب: «بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ» حتَّى نزل: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ نَجْرِبُهَا وَنُمَسِّهَا﴾ [هود: ٤١] كَتَبَ: «باسم الله»، فلمَّا نزلت: ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾.. كَتَبَ: «بسم الله الرحمن»، فلمَّا نزلت: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.. كَتَبَهَا^(٢).

(١) في (ط ٢): (إلى آخر الآيات الأربع).

(٢) رواه الثعلبي في «الكشف والبيان» (١/١٠٢)، وانظر «كنز العمال» (١٠/٣١١).

الْحَمْدُ لِلَّهِ

﴿٢﴾ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: جُمْلَةٌ خَبَرِيَّةٌ، قُصِدَ بِهَا الثَّنَاءُ عَلَى اللَّهِ بِمَضْمُونِهَا مِنْ أَنَّهُ تَعَالَى مَالِكٌ لِجَمِيعِ الْحَمْدِ مِنَ الْخَلْقِ، أَوْ مُسْتَحَقٌّ لِأَنْ يُحَمَدَ، وَ(الله): عَلَّمَ عَلَى الْمَعْبُودِ بِحَقٍّ،

حاشية الصاوي

وعن عبد الله بن مسعود قال: (مَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَجِّيَهُ اللَّهُ مِنَ الزَّبَانِيَةِ التَّسْعَةِ عَشَرَ . . . فليقرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾؛ لِيَجْعَلَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهَا جُزْءًا مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ)^(١).

وفسرها بعض العارفين على مقتضى الحروف فقال: إِنَّ كُلَّ حَرْفٍ مِنْهَا مِفْتَاحٌ كُلُّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى، مَبْدُوءٌ بِذَلِكَ الْحَرْفِ؛ فَالْبَاءُ: مِفْتَاحُ اسْمِهِ تَعَالَى (بصير، وباقي، وبر) ونحو ذلك، والسين: مِفْتَاحُ اسْمِهِ تَعَالَى (سميع، سلام)، والميم: مِفْتَاحُ اسْمِهِ (مَلِك) ونحوه، والألف: مِفْتَاحُ اسْمِهِ (الله) ونحوه، واللام: مِفْتَاحُ اسْمِهِ (لَطِيف) ونحوه، والهاء: مِفْتَاحُ اسْمِهِ (هادي) ونحوه، والراء: مِفْتَاحُ اسْمِهِ (رَزَاق) ونحوه، والحاء: مِفْتَاحُ اسْمِهِ (حليم) ونحوه، والنون: مِفْتَاحُ اسْمِهِ (نافع) ونحوه، فَكَأَنَّ الْمِفْتَاحَ بِهَا مِفْتَاحٌ بِجَمِيعِ أَسْمَائِهِ تَعَالَى.

قوله: (جملة) أي: مركبة من مبتدأ وخبر، وقوله: (خبر) أي: لفظاً، وهي إنشائية معنًى؛ بدليل قوله: (قُصِدَ بِهَا الثَّنَاءُ) أي: قُصِدَ بِهَا إِنْشَاءُ الثَّنَاءِ.

قوله: (من أنه تعالى . . . إلخ) بيانٌ للمضمون، وفي ذلك إشارةٌ إِلَى أَنَّ (أَل) فِي ﴿الْحَمْدُ﴾ جَنْسِيَّةٌ، وَهُوَ الْأَوَّلَى مِنْ جَعْلِهَا اسْتِغْرَاقِيَّةٌ أَوْ عَهْدِيَّةٌ؛ أَمَّا الْأَوَّلُ . . . فَلأنَّهُ لَيْسَ فِي طَاقَةِ الْعَبِيدِ حَصْرُ أَفْرَادِ الْحَمْدِ^(٢)، وَأَمَّا الثَّانِي . . . فَلِقُصُورِهِ، كَذَا قَالَ النَحْوِيُّونَ، وَاخْتَارَ الصُّوفِيَّةُ: أَنَّهَا لِلْعَهْدِ، قَائِلِينَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا عَلَّمَ عَجَزَ خَلْقَهُ عَنْ كُنْهِ حَمْدِهِ . . . حَمِدَ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ، وَوَضَعَ لَهُمْ يَحْمَدُونَهُ بِهِ، وَهَذَا الْمَعْنَى هُوَ الْمُنَاسِبُ لِلْحَمْدِ الْوَاقِعِ فِي الْقُرْآنِ، فَتَدَبَّرْ.

قوله: (أو: مُسْتَحَقٌّ . . . إلخ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ اللَّامَ فِي ﴿لِلَّهِ﴾ لِلْمَلِكِ، أَوْ: لِلْإِسْتِحْقَاقِ.

قوله: (و«الله»: عَلَّمَ عَلَى الْمَعْبُودِ بِحَقٍّ) أي: عَلَّمَ شَخْصَ عَرَبِيٍّ مُرْتَجِلٍ جَامِداً، وَهُوَ الصَّحِيحُ،

(١) أورده القرطبي في «تفسيره» (٩٢/١).

(٢) اختار الأستاذ القشيري في «لطائفه» (٤٥/١) أنها للجنس فقال: (واللام ههنا للجنس، ومقتضاها: الاستغراق، فجميع المحامد لله سبحانه إمّا وصفاً وإمّا خلقاً، فله الحمد لظهور سلطانه، وله الشكر لوفور إحسانه).

رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: مَالِكِ جَمِيعِ الْخَلْقِ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَالْمَلَائِكَةِ وَالذَّوَابِّ وَغَيْرِهِمْ، وَكُلُّ مِنْهَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ عَالَمٌ، يُقَالُ: عَالَمُ الْإِنْسِ وَعَالَمُ الْجِنِّ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَغُلِبَ فِي جَمْعِهِ بِالْيَاءِ وَالتَّوْنِ أَوَّلُو الْعِلْمِ عَلَى غَيْرِهِمْ. وَهُوَ مِنَ الْعَلَامَةِ؛ لِأَنَّهُ عَلَامَةٌ عَلَى مُوجِدِهِ.

حاشية الصاوي

ومعنى كونه عَلمَ شخص: أَنَّهُ عَلمٌ عَلَى ذَاتٍ مَعِيْنَةٍ مُسْتَجْمَعَةٍ لصفَاتِ الْكَمَالِ، وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: (إِنَّهُ اسْمُ جِنْسٍ، صَارَ عَلمًا بِالْغَلْبَةِ)^(١)، مُشْتَقٌّ مِنْ: (أَلَّةٌ) كـ(عَبْدٌ) وَزَنًا وَمَعْنَى، أَوْ مِنْ: (أَلَّةٌ) بِمَعْنَى: سَكَنٌ، أَوْ مِنْ: (وَلَّةٌ) بِمَعْنَى: تَحْيِيرٌ وَدِهْشٌ وَطَرِبٌ، أَوْ مِنْ: (لَاةٌ) بِمَعْنَى: احْتَجَبَ أَوْ ارْتَفَعَ أَوْ اسْتَنَارَ^(٢)، وَمَجْمُوعُ الْأَقَاوِيلِ: هُوَ الْمَعْبُودُ لِلْخَوَاصِّ وَالْعَوَامِّ، الْمَفْزُوعُ إِلَيْهِ فِي الْأُمُورِ الْعِظَامِ، الْمُرْتَفِعُ عَنِ الْأَوْهَامِ، الْمَحْتَجِبُ عَنِ الْأَفْهَامِ، الظَّاهِرُ بِصِفَاتِهِ الْفَخَامِ، الَّذِي سَكَنَتْ إِلَى عِبَادَتِهِ الْأَجْسَامُ، وَوَلَعَتْ بِهِ نُفُوسُ الْأَنَامِ، وَطَرِبَتْ إِلَيْهِ قُلُوبُ الْكَرَامِ.

قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الرَّبُّ يُطْلَقُ عَلَى: السَّيِّدِ، وَالْمَالِكِ، وَالْمَعْبُودِ، وَالثَّابِتِ، وَالْمُصْلِحِ، اقْتَصَرَ الْمَفْسَّرُ عَلَى (الْمَالِكِ)؛ لِكَوْنِهِ الْمُنَاسِبَ لِلْمَقَامِ.

وجمع (العالمين) جمع قَلَّةٍ مَعَ كَثَرَتِهَا جَدًّا فِي الْوَاقِعِ؛ تَنْبِيْهُاً عَلَى أَنَّهُمْ وَإِنْ كَثُرُوا فَهَمْ قَلِيلُونَ فِي جَانِبِ عَظَمَتِهِ تَعَالَى.

إِنْ قُلْتَ: الْجَمْعُ يَقْتَضِي اتِّفَاقَ الْأَفْرَادِ فِي الْحَقِيقَةِ، وَهِيَ هُنَا مُخْتَلَفٌ؟

أُجِيبُ: بِأَنَّهَا مُتَّفَقَةٌ مِنْ حَيْثُ إِنَّ كَلًّا مِنْهَا عَلَامَةٌ عَلَى مُوجِدِهَا.

قوله: (يُقَالُ: عَالَمُ الْإِنْسِ... إلخ) الْإِضَافَةُ بَيَانِيَّةٌ؛ أَي: عَالَمٌ هُوَ الْإِنْسُ.

قوله: (وَعُلِبَ فِي جَمْعِهِ... إلخ) وَقِيلَ: لَا تَغْلِبُ، بَلْ هُوَ اسْمٌ وَضَعَ لِذَوِي الْعِلْمِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالثَّقَلَيْنِ، وَتَنَاولُهُ لِغَيْرِهِ بِطَرِيقِ التَّبَعِ.

قوله: (أَوَّلُو الْعِلْمِ) أَي: لِشَرْفِهِمْ.

قوله: (وَهُوَ) أَي: الْعَالَمُ - وَهُوَ: مَا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى - عَلَامَةٌ عَلَى مُوجِدِهِ؛ لِأَنَّهُ حَادِثٌ، وَكُلُّ حَادِثٍ يَحْتَاجُ إِلَى مُحْدِثٍ.

(١) «الكشاف» (٤٩/١).

(٢) وَذَكَرَ السَّيُوطِيُّ فِي «نَوَاهِدِ الْأَبْكَارِ وَشَوَارِدِ الْأَفْكَارِ» (١٢٧/١) أَرْبَعَةَ وَعِشْرِينَ قَوْلًا فِي اسْتِثْقَاقِ اسْمِ الْجَلَالَةِ.

الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾

﴿٣﴾ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٣﴾ أي: ذي الرَّحْمَةِ، وهي إرادة الخير لأهله.

﴿٤﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ أي: الجزاء، وهو يومُ القيامة، وخصَّ بالذكرِ لأنه لا مُلْكَ ظاهراً فيه لأحدٍ إلَّا لله تعالى، بِدَلِيلِ ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ﴾ [غافر: ١٦]، وَمَنْ قَرَأَ: ﴿مَلِكِ﴾ فَمَعْنَاهُ مَالِكُ الْأَمْرِ كُلِّهِ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ، أي: هو مَوْصُوفٌ بِذَلِكَ دَائِماً، كـ ﴿غَافِرٍ الذُّبِّ﴾ [غافر: ٣]، فَصَحَّ وَقُوعُهُ صِفَةً لِلْمَعْرِفَةِ.

حاشية الصاوي

قوله: (أي: ذي الرَّحْمَةِ) أشار بذلك إلى أَنَّ ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ بُنِيَ للمبالغة من: (رَحِمَ)، والرَّحْمَةُ في الأصل: رَأْفَةٌ في القلب تقتضي التَّفَضُّلَ وَالْإِحْسَانَ، وهي بهذا المعنى مُسْتَحِيلَةٌ فِي حَقِّهِ تَعَالَى، فَتُحْمَلُ عَلَى غَايَتِهَا؛ لِأَنَّ مَا اسْتَحَالَ عَلَى اللَّهِ بِاعْتِبَارِ مَبْدِئِهِ وَوَرَدَ . . يُطْلَقُ ويراد منه لازمه وغايته.

قوله: (وهي إرادة الخير . . إلخ) أشار بذلك إلى أَنَّهُمَا صِفَتَا ذَاتٍ، وَيَصَحُّ أَنْ يَكُونَ صِفَتِي فَعْلٍ؛ أي: المتفضل المحسن، وفي الإتيان بـ ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ عَقِبَ اتِّصَافِهِ بِـ ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ تَرْغِيبٌ بَعْدَ تَرْهِيْبٍ، فَيَكُونُ أَعْوَنَ لِلْعَبْدِ عَلَى الطَّاعَةِ، وَأَمْنَعَ مِنَ الْمَعْصِيَةِ.

قوله: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ من: الْمُلْكُ - بضم الميم - وهو: عبارة عن السلطان القاهر، والاستيلاء الباهر، والغلبة الثَّامَّة، والقدرة على التصرف الكلي بالأمر والنهي.

قوله: (أي: الجزاء) أي: بالثَّوَابِ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَالْعِقَابِ لِلْكَافِرِينَ.

قوله: (لا مُلْكَ ظاهراً فيه لأحدٍ) أي: وأمَّا الدنيا . . ففيها الملك ظاهراً لكثيرٍ من النَّاسِ، فَتَحْصُلُ: أَنَّ الْوَصْفَ بِالْمُلْكِيَّةِ ثَابِتٌ أَزْلاً، وَظُهُورُهُ يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِقْرَارِ جَمِيعِ الْخَلْقِ بِهِ.

قوله: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ الجارُّ والمجرور خبرٌ مُقَدَّم، و﴿الْمُلْكُ﴾: مبتدأ مؤخر، و﴿الْيَوْمَ﴾: ظرفٌ لِلْمَبْتَدَأِ، وقوله: ﴿لِلَّهِ﴾: جوابٌ منه تَعَالَى عن السؤال.

قوله: (وَمَنْ قَرَأَ ﴿مَلِكِ﴾ . . إلخ) اعْلَمْ: أَنَّ فِي لَفْظِ (ملك) قراءتين سبْعِيَّتين: الأولى بحذف الألف، والوصفُ بها ظاهر، والثَّانِيَةُ بِإِثْبَاتِهَا، وفيها إشكالٌ وهو أَنَّ (مالك) اسم فاعل، وإضافته لفظية لا تُفِيدُهُ التَّعْرِيفَ؛ فكيف تُوصَفُ المعرفة بالنكرة؟

وأجاب المفسر: بأنَّ محلَّ كونِ إضافة اسم الفاعل لفظية: إن لم يكن بمعنى الزَّمانِ المُسْتَمَرِّ، وإلَّا . . كانت إضافته حَقِيقَةً.

إِيَّاكَ نَعْبُدُ

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾

حاشية الصاوي

والحاصل: أن اسم الفاعل؛ إن قصد به الحال والاستقبال.. فإضافته لفظية، وإن قصد به الماضي أو الدوام كما هو شأن أوصاف الله تعالى.. فإضافته حقيقية، والتعويل على القرائن. واختُلف في أيِّ القراءتين أبلغ؛ ف قيل: (ملك) أعم وأبلغ من (مالك)؛ إذ كلُّ ملكٍ مالكٌ، ولا عكس، ولأنَّ أمرَ الملك نافذٌ على المالك في ملكه حتى لا يتصرَّف المالك إلا عن تدبير المَلِك.

وقيل: (مالك) أبلغ؛ لما فيه من زيادة البناء، فتدلُّ على كثرة الثواب.

قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: مفعولٌ مقدَّم لـ ﴿نَعْبُدُ﴾، قُدِّم لإفادة الحصر والاختصاص، ﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: معطوفٌ على ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أي: لا نعبد إلا إِيَّاكَ، ولا نستعين إلا بك؛ لأنَّك الحقيقُ بتلك الصفات العظام. والمعنى: يا مَنْ هذا شأنه نخضُّك بالعبادة والاستعانة، فهذا تَرَقُّ من البرهان إلى العيان، والغيبة إلى الحضور، فهو تعليمٌ من الله تعالى لعباده كيفية التَّرقِي؛ فإنَّ العبد إذا ذكر الحقيق بالحمد وهو ربُّ الأرباب عن قلبٍ حاضرٍ.. يجدُّ ذلك العبد من نفسه مُحَرِّكاً للإقبال عليه، وكلِّما أجرى على قلبه ولسانه صفةً من تلك الصفات العظام.. قويَّ ذلك المحرِّك إلى أن يؤوِّل ذلك الأمرُ لخاتمة تلك الصفات، فحينئذ: يُوجب ذلك المحرِّك لِنَهايه في القوة إقبالَ ذلك العبدِ على ربِّه وخالفه المتَّصف بتلك الصفات، فانتقل من الغيبة لخطابه، والتلذُّذ بمناجاته، فأوَّل الكلام مبنًى على ما هو مبادئ حال العارف من الذِّكر والفكر والتأمُّل في أسمائه العظام، والنَّظَر في آلائه، والاستدلال بِصُنْعِهِ على عظيم شأنِهِ، وباهر سُلْطَانِهِ، ثمَّ بعد ذلك أتى بِمُنْتَهَاهِ، وهو الخطاب والحضورُ المشعُّرُ بكونِهِ في حَضرة الشهود، وإلى هذا المعنى أشار بعض العارفين بقوله: [الخفيف]

هَذِهِ آثَارُنَا تَدُلُّ عَلَيْنَا فَاَنْظَرُوا بَعْدَنَا إِلَى الْآثَارِ

وهو مقام الإحسان المشارُّ له بقوله ﷺ: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه»^(١).

واعلم: أنَّ (إِيَّاكَ) واجبُ الانفصال، واختُلف فيه هل هو من قبيل الاسم الظاهر وبه قال الزجاج^(٢)، أو هو ضميرٌ وعليه الجمهور، واختُلف القائلون بأنَّه ضميرٌ على أربعة أقوال:

(١) رواه البخاري (٤٧٧٧)، ومسلم (٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» (٤٨/١).

وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾

وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ أي: نَخْصُصُكَ بِالْعِبَادَةِ مِنْ تَوْحِيدٍ وَغَيْرِهِ،
حاشية الصاوي

أحدها: أنه كله ضمير، الثاني: أن (إِيَّا) وحده ضمير، وما بعده اسم مضاف إليه يُفسَّر ما يُراد به من تكلم وغيبة وخطاب، الثالث: أن (إِيَّا) وحده ضمير، وما بعده حروف تُفسَّر ما يراد منه، وهو المشهور، الرابع: أن (إِيَّا) عماد وما بعده الضمير.

والضمير المستكن في ﴿نَعْبُدُ﴾ و﴿نَسْتَعِينُ﴾ للقارئ وَمَنْ مَعَهُ من الحفظة وحاضري صلاة الجماعة، أو: له ولسائر الموحدين، أدرج عبادته في عباداتهم، وخلط حاجته بحاجاتهم؛ لعلَّ عبادته تُقبَل بركة عباداتهم، وحاجته يُجَاب إليها ببركة حاجاتهم، ومن هنا شُرِعت الجماعة في الصلوات، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢]، وقال ﷺ: «يدُ الله مع الجماعة»^(١).

قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ كرَّر الضمير للدلالة على تخصيصه تعالى بكل من العبادة والاستعانة، والتلذذ بالمناجاة والخطاب، وقَدِّم العبادة على الاستعانة؛ لأنها وُصلة لطلب الحاجة، فإذا أفرد العبد ربه بالعبادة.. أعانه، وحذف المعمول من كل؛ ليؤدِّن بالعموم، فيتناول كلَّ معبود به وكلَّ مُستعانٍ عليه.

وأصل (نستعين): (نستعون) استثقلت الكسرة على الواو، فنقلت إلى الساكن قبلها، فسكنت الواو بعد النقل، وانكسر ما قبلها، فقلبت ياء، والقراءة السبعية بفتح النون، وقرئ شذوذاً: (نستعين) بكسر حرف المضارعة، وهي لغة مُطَّردة في حروف المضارعة؛ بشرط ألا يكون ما بعد حرف المضارعة مضموماً، فإن ضُمَّ كـ (تقوم).. امتنع كسر حرف المضارعة؛ لثقل الانتقال من الكسر إلى الضم، وبشرط أن يكون المضارع من ماضي مكسور العين نحو (علم)، أو في أوله همزة وصلٍ نحو (استعان)، أو تاء مطاوعة نحو (تعلم)^(٢).

قوله: (من توحيد... الخ) بيان للعبادة، وهو إشارة إلى العبادات الأصلية الاعتقادية، وقوله: (وغيره) إشارة إلى العبادات العملية؛ من صلاة وصوم وزكاة ونحو ذلك.

(١) رواه الترمذي (٢١٦٦) عن سيدنا ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) انظر «الدر المصون» (١/٦٠).

أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾

وَنَطْلُبُ مِنْكَ الْمَعُونَةَ عَلَى الْعِبَادَةِ وَغَيْرِهَا.

﴿٦﴾ ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أي: أرشدنا إليه، - وَيُبَدِّلُ مِنْهُ: -

حاشية الصاوي

قوله: (وَيَطْلُبُ الْمَعُونَةَ) بالباء عطف على (بالعبادة)، ولا يجوز أن يكون بالنون عطفاً على (نخلصك)؛ لخروجه عن إفادة التخصيص.

قوله: (وغيرها) أي: من مهمات الدنيا والآخرة.

قوله: ﴿أَهْدِنَا﴾ أي: زدنا هدايةً وأدمننا عليها، والهداية تُطْلَقُ عَلَى الدَّلَالَةِ وَالتَّبْيِينِ وَإِنْ لَمْ يَحْصُلْ وَصُولٌ؛ نَحْوُ: ﴿وَأَمَّا تَمُودُ فَهَدَيْنَهُمْ﴾ [فصلت: ١٧] أي: بيّنا لهم، وتُطْلَقُ عَلَيْهِمَا مَعَ الْوَصُولِ لِلْخَيْرِ، وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا، وَمَادَّةُ الْهَدَايَةِ تَتَعَدَّى لِمَفْعُولَيْنِ: الْأَوَّلُ بِنَفْسِهَا، وَالثَّانِي: إِمَّا كَذَلِكَ كَمَا هُنَا، وَإِمَّا بِاللَّامِ، أَوْ (إِلَى)، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَهْدِي لِلَّذِي هُوَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

قوله: ﴿الصِّرَاطَ﴾ هو في الأصل: الطَّرِيقُ الْحَسَنِيُّ، وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا: دِينُ الْإِسْلَامِ؛ فَفِيهِ اسْتِعَارَةٌ تَصْرِيحِيَّةٌ أَصْلِيَّةٌ؛ حَيْثُ شَبَّهَ دِينَ الْإِسْلَامِ بِالطَّرِيقِ الْحَسَنِيِّ؛ بِجَامِعِ أَنَّ كُلًّا مُوَصَّلٌ لِلْمَقْصُودِ، وَاسْتُعِيرَ اسْمُ الْمَشَبَّهِ بِهِ لِلْمَشَبَّهِ.

وأصل (صراط) بالصاد: (سراط) بالسين، وبها قرأ قُنبِلَ حَيْثُ وَرَدَ، أُبْدِلَتْ صَادًا؛ لِأَجْلِ حَرْفِ الِاسْتِعْلَاءِ، وَقَدْ تُشَمُّ الصَّادُ زَايَاً، وَبِهِ قَرَأَ خَلْفٌ، وَكُلُّهَا سَبْعِيٌّ، لَكِنْ لَمْ يُرْسَمَ فِي الْمَصْحَفِ إِلَّا بِالصَّادِ^(١).

والصراط: يذكَرُ وَيؤنَّثُ؛ فَالتَّذْكِيرُ لُغَةً تَمِيمٌ، وَالتَّأْنِيثُ لُغَةً الْحِجَازِ، وَجَمْعُهُ: (صُرُطٌ)؛ كـ(كِتَابٍ وَكُتُبٍ).

قوله: ﴿الْمُسْتَقِيمَ﴾ اسم فاعل من: (استقام) أي: استَوَى مِنْ غَيْرِ اعْوِجَاجٍ، وَأَصْلُهُ: (مُسْتَقِيمٌ) أَعْلَى كَالْعَالِ (نَسْتَعِينُ).

قوله: (وَيُبَدِّلُ مِنْهُ) أي: بَدَلَ كُلٍّ مِنْ كُلٍّ، أَتَى بِهِ زِيَادَةٌ فِي مَدْحِ الصِّرَاطِ.

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

٧

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بِالْهُدَايَةِ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ (الإنعام: إيصالُ الإحسان إلى الغير؛ بشرط أن يكون ذلك الغير من العقلاء؛ فلا يُقال: أنعم فلان على فرسه، ولا على حمامه.

قوله: (بالهداية) أشار بذلك إلى أن المراد بالمنعم عليهم: المؤمنون، وهو أحد أقوال المفسرين، وقيل: هم المذكورون في قوله تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالضَّالِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩]، وقيل: هم الأنبياء خاصة، وقيل: المراد بهم: أصحاب موسى وعيسى قبل التحريف والنسخ.

وحذف متعلق ﴿أَنْعَمْتَ﴾؛ لِيُؤْذَنَ بالعموم، فشمل كلَّ نعمة.

ونعم الله تعالى لا تحصى باعتبار أفرادها، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤]، وأما باعتبار جُمليتها.. فتحصى؛ لأنها قسمان: دنيوية، وأخروية، والأول: إمّا وهبي، أو كسبي، والوهبي: إمّا روحاني كنَفَخَ الرُّوحَ، والتَّزَيَّنَ بالعقل والفهم والفكر والمنطق، أو جسماني كتخلُّق البدن، والقوى الحَالَّةِ فيه، والصُّحَّة، وكمال الأعضاء. والكسبي: كتركيب النفس، وتخلُّقها عن الرَّذائل، وتخلُّقها بالأخلاق السَّيِّئَةِ والفضائل.

والثاني، وهو الأخروي: أَنَّهُ يَغْفِرُ ما فرط منه، ويُنزله أعلى عليين، مع الملائكة المقربين، أبد الآبدين، ودَهْرَ الدَّاهرين.

قوله: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ لفظ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ الأول في محلِّ نصبٍ على المفعولية، والثاني: في محلِّ رفعٍ نائب ﴿الْمَغْضُوبِ﴾، وفيه عشر لغات: ست مرويَّات عن القراء؛ الثلاثة الأولى منها سبعيات، وهي: كسر الهاء وضمُّها مع إسكان الميم فيهما، وكسر الهاء وضمُّ الميم بواو بعد الضمة^(١)، وكسر الهاء والميم بياء بعد الكسرة للإشباع، وضمُّ الهاء والميم بواو بعد الضمة وبدونها، وأربع لم يقرأ بها، وهي: ضم الهاء مع كسر الميم وإدخال ياء بعدها، وضم الهاء وكسر الميم من غير ياء، وكسر الهاء مع ضم الميم، وكسر الهاء والميم من غير ياء.

(١) قرأ ابن كثير وأبو جعفر وقائلون بخلف عنه بضم ميم الجمع حالة الوصل مع وصلها بواو لفظاً، وقرأ ورش بصلة ميم الجمع، وقرأ حمزة ويعقوب بضم الهاء وصلاً ووقفاً، والباقون بكسرها كذلك. انظر «البدور الزاهرة» (ص ١٦).

غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ

- وَيُبدَلُ مِنْ ﴿الَّذِينَ﴾ بِصِلَتِهِ - ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وَهُمْ الْيَهُودُ،

حاشية الصاوي

قوله: (ويُبدَلُ مِنْ ﴿الَّذِينَ﴾ بِصِلَتِهِ) أي: بدل كل من كل، ولا يضرُّ إبدال النكرة من المعرفة، وقيل: نعت لـ ﴿الَّذِينَ﴾، واستشكل: بأنَّه يلزم نعت المعرفة بالنكرة، وهو لا يصح؛ لأنَّ (غير) مُتَوَعِّلَةٌ في الإبهام، لا تتعرَّفُ بالإضافة كـ (مثل، وشبه، وشبيه).

وأجيب بجوابين: الأول: أنَّ (غير) إنما تكون نكرة إذا لم تقع بين ضدين، فأما إذا وقعت بين ضدين.. فتتعرَّفُ حيثنَّذٍ بالإضافة، تقول: (عليك بالحركة غير السكون)، والآية من هذا القليل.

والثاني: أنَّ الموصول أشبه النكرات في الإبهام الذي فيه، فعومل مُعاملة النكرات^(١).

و(غير): من الألفاظ الملازمة للإضافة لفظاً أو تقديرًا، فإدخال (أل) عليها خطأ، وقد يستثنى بها حملاً على (إلا)؛ كما يوصف بـ (إلا) حملاً عليها.

قوله: (﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ﴾ بكسر الرَّاء، بدل كما قال المفسِّر، أو نعتٌ وتقدَّم ما فيه، وهذه قراءة العامة، وقرئ شذوذاً: بالنَّصب على الحال، أو الاستثناء^(٢).

والغضب: ثوران دم القلب لإرادة الانتقام، ومنه: قوله ﷺ: «اتَّقُوا الغضب؛ فإنه جمرَةٌ تتوقَّدُ في قلب ابن آدم، ألم تروا إلى انتفاخ أوداجه وحُمرة عَيْنَيْهِ؟»^(٣)، فإذا وُصِفَ به الله تعالى.. فالمرادُ به: الانتقام، أو إرادة الانتقام، فهو صفة فعل، أو صفة ذات.

وبنى الغضب للمجهول، ولم يُقَل: (غير الذين غضبت عليهم)؛ تعليمًا لعباده الأدب؛ حيث أسند الخيرَ لنفسِهِ، وأبهم في الشرِّ؛ نظير قوله تعالى: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩]، ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢]، ﴿وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي﴾ [الشعراء: ٨٠].

قوله: (وهم اليهود) أي: لقوله تعالى فيهم: ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ...﴾ [المائدة: ٦٠] الآية، ولحديث: «إِنَّ ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ هُمُ الْيَهُودُ، وَإِنَّ ﴿الضَّالِّينَ﴾ النَّصَارَى»^(٤).

(١) أي: فالَّذِينَ قريب من النكرة؛ لأنَّه لم يُرْزَ به قومٌ بأعيانهم، و(غير المغضوب عليهم) قريب من المعرفة؛ للتخصيص الحاصل له بإضافته، فكلُّ واحدٍ منهما فيه إبهامٌ من وجه، واختصاصٌ من وجه، فاستؤيَا. انظر «تفسير النسفي» (٣٣/١).

(٢) انظر «الدر المصون» (٧٣/١).

(٣) رواه البغوي في «شرح السنة» (٤٠٣٩) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٢٤/٣٢) عن سيدنا عدي بن حاتم رضي الله عنه.

وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾

﴿وَلَا﴾: وَغَيْرِ ﴿الضَّالِّينَ﴾ وَهُمْ النَّصَارَى. وَنُكْتُةُ الْبَدَلِ إِفَادَةُ أَنَّ الْمُهْتَدِينَ لَيْسُوا يَهُودًا وَلَا نَصَارَى.

حاشية الصاوي

قوله: (وغير ﴿الضَّالِّينَ﴾) أشار بذلك إلى أَنَّ (لا) بمعنى (غير)، فهي صفةٌ ظهرَ إعرابُها فيما بعدها، ويُؤيِّده قراءةُ عمرَ بن الخطاب وأبي بن كعب: (وغير الضالين) بدلَ (لا) ^(١). وأتى بـ(لا) ثانياً لتأكيد معنى النفي المفهوم من (غير)، ولثلاً يُتوهم عطفُ ﴿الضَّالِّينَ﴾ على ﴿غَيْرِ﴾؛ فيكون من وصف ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾.

والضَّلَال يَطْلُقُ عَلَى الْخَفَاءِ وَالْغَيْبَةِ، ومنه: قولهم: (ضَلَّ الماء في اللبن)، والهلاك، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ [السجدة: ١٠]، والنسيان، ومنه قوله تعالى: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ [البقرة: ٢٨٢]، والعُدُولُ عن الطريق المستقيم، وهو المراد هنا.

وفي ﴿الضَّالِّينَ﴾ مَدَّان: مَدَّ لازمٌ على الألف بعد الضاد وقبل اللام المشددة، وعارضٌ على الياء قبل النون للوقف.

قوله: (وهم النصاري) أي: لقوله تعالى: ﴿وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

قوله: (إفادة أَنَّ الْمُهْتَدِينَ) أي: المذكورين بقوله: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، فَمَصْدُوقُ (الذين أنعمت عليهم) هو مَصْدُوقُ (غير المغضوب عليهم) و(غير الضالين)، فَمَصْدُوقُ العبارات الثلاث: هم المؤمنون، لكن استشكل: بأن تفسير (الذين أنعمت عليهم) بالفرق الأربعة المذكورة في سورة (النساء)... لا يشمل بَقِيَّةَ الْمُؤْمِنِينَ، وتفسير (المغضوب عليهم والضالين) باليهود والنصارى... لا يشمل بَقِيَّةَ طَوَائِفِ الْكُفَّارِ، فمقتضى ذلك: أَنَّ بَقِيَّةَ الْمُؤْمِنِينَ لَيْسُوا مِمَّنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وسائر طوائف الكفار خارجون من وصف الغضب والضلال، فالمبدلُ منه يخرجهم، والبديلُ يدخلهم في المبدل منه.

والمُخْلَصُ من هذا الإشكال: أن يُفسَّرَ المنعم عليهم بجميع المؤمنين؛ كما درج عليه المفسر في قوله: (أنعمت عليهم بالهداية)، ويُراد من (المغضوب عليهم والضالين): عموم الكفار؛ اعتباراً بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب.

حاشية الصاوي

إن قلت: ما فائدة الإتيان بـ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ...﴾ إلخ بعد قوله: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾؟

أجيب: بأن الإيمان إنما يكمل بالرجاء والخوف، فقوله: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ يُوجب الرجاء الكامل، وقوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ...﴾ إلخ يُوجب الخوف الكامل، فيتقوى الإيمان بالرجاء والخوف.

فائدة: لفظ (آمين) ليس من (الفاتحة)، بل ولا من القرآن قطعاً، بل يُسنُّ الإتيان بها لقارئ (الفاتحة) مفصولة منها بسكتة؛ لِيَتَمَيَّزَ ما هو قرآنٌ عما ليس بقرآن، ولكلِّ داعٍ. وهي اسم فعلٍ على الصَّحيح بمعنى: (استجب)، مبنيٌّ على الفتح، ويجوز فيه مدُّ الهمزة وقصرها.

وقيل: هي اسمٌ من أسماء الله تعالى، والتقدير: (يا آمين)، وردَّ بوجهين: الأوَّلُ أنه لو كان كذلك.. لكان ينبغي أن يُبنى على الضَّم؛ لأنه منادى مُفرد معرفة. الثاني: أن أسماء الله توقيفية.

وهو من خصوصيات هذه الأمة، لم يُعط لأحدٍ قبلهم إلا ما كان من موسى وهارون؛ لما ورد في الحديث: «إنَّ الله أعطى أمتي ثلاثاً لم تُعطَ أحداً قبلهم: السَّلام وهو تحية أهل الجنة، وصفوف الملائكة، و(آمين) إلا ما كان من موسى وهارون»^(١)، ومعناه: أن موسى دعا على فرعون، وأمن هارون، فقال الله تعالى عندما ذكر دعاء موسى: ﴿فَقَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا﴾، ولم يذكر مقالة هارون، فسماه داعياً.

وقال عليُّ (عنه): (آمين: خاتم ربِّ العالمين، ختم بها دعاء عباده)^(٢)، وفي الخبر: «أنَّ آمين: كالطَّابع الذي يُطَبَّع به على الكتاب»^(٣)، وفي حديث آخر: «آمين: درجة في الجنة»، قال أبو بكر: (إنَّه حرفٌ يُكْتَبُ به لقائله درجة في الجنة)، وقال وهبُ بن مُنبه: (آمين: أربعة أحرف، يخلق الله من كلِّ حرفٍ ملكاً يقول: اللهم اغفر لكلِّ مَنْ قال: آمين)^(٤).

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠٥٥٢)، والحكيم الترمذي في «نَوَادِرُ الْأَصُول» (١٩/٤) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) رواه الطبراني في «الدعاء» (٢١٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٣) رواه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٤٤٢).

(٤) أورد الأخبار الثلاثة القرطبي في «تفسيره» (١٢٨/١).

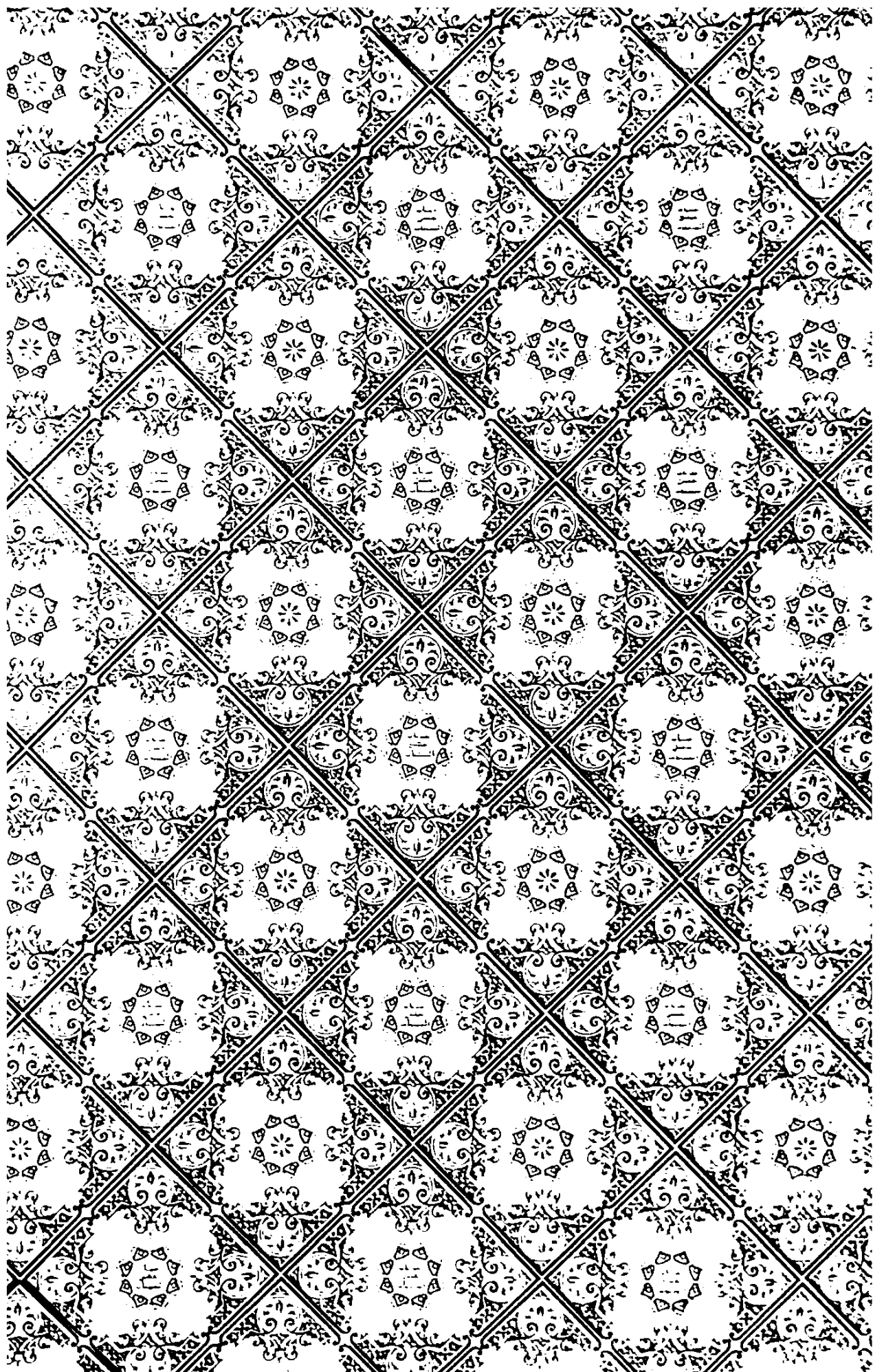
[والله أعلم بالصواب].

حاشية الصاوي

قوله: (والله أعلم بالصواب... إلخ) هذه العبارة من وضع تلامذة المحلي؛ لما عرفت أنه قد شرع في تفسير النصف الأول، فكمّل (الفاتحة)، وارتحل إلى رضوان الله، فيبعد أن يأتي بعبارة تشعر بالانتهاء.

والصواب: ضد الخطأ، والمرجع: الرجوع، والمآب: مُرادفٌ، وقوله: (وحسبنا الله) أي: كافينا، وقوله: (ونعم الوكيل) أي: المفوض إليه الأمر.







مَدَنِيَّةٌ، مِثَّتَانِ وَسِتٌّ - أَوْ سَبْعٌ - وَثَمَانُونَ آيَةً.

حاشية الصاوي

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

قوله: (سورة البقرة... إلخ) مبتدأ، و(مدنية) خبر أول، و(مِثَّتَانِ... إلخ) خبر ثانٍ، ويُؤخذ من هذا أن تسميتها بما ذكر غير مكروه، خلافاً لمن قال بذلك وادّعى أنه إنما يُقال: السورة التي تُذكر فيها البقرة.

وأسماء السور توقيفية، وكذا ترتيبها على التحقيق كما تقدّم، والسورة: مأخوذة من سُور البلد؛ لارتفاع رُتبتها وإحاطتها، وهي طائفة من القرآن لها أول وآخر، وترجمة باسم خاص بها يتوقف كما سبق، والراجع: أن المكيّ: ما نزل قبل الهجرة ولو في غير مكة، والمدنيّ: ما نزل بعد الهجرة ولو في غير المدينة.

قوله: (وثمانون آية) قيل: أصلها: آية، قُلبت عينها ألفاً على غير قياس، وهي في العُرف: طائفة من كلمات القرآن مُتميزة بفصل، وقد تكون كلمة؛ مثل: ﴿وَالْفَجْرِ﴾، ﴿وَالضُّحَى﴾، ﴿وَالْعَصْرِ﴾، وكذا ﴿الْمَرْءِ﴾، و﴿طه﴾، و﴿يس﴾ ونحوها عند الكوفيين، وغيرهم لا يُسمّيها آيات، بل يقول: هي فواتح السُور، وعن أبي عمرو الداني: (لا أعلم كلمة هي وحدها آية إلا قوله تعالى: ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾)^(١).

فائدة: قال ابن العربي: (سورة البقرة فيها ألف أمرٍ، وألف نهْيٍ، وألف حُكمٍ، وألف خبرٍ، أخذها بركة، وتركها حسرةً، لا تستطيعها البطلة وهم السحرة، إذا قرئت في بيت لم تدخل مرّة الشياطين ثلاثة أيام). اهـ^(٢)

(١) كذا تُنوّلت عبارة أبي عمرو الداني رحمه الله عند المفسرين، ولا يخفى على مثل أبي عمرو وجود آيات أخريات من كلمة واحدة؛ كـ ﴿الرَّحْمَنِ﴾، و﴿الْمَلَأْتُهُ﴾، و﴿أَلْفَاظُهُ﴾، وأصل العبارة كما نبّه عليه فضيلة الشيخ محمد عوامة في مقدمة «مصنف ابن أبي شيبة» (٧٥/١) هو: (فأما في حشوهن - يعني السور - فلا أعلم كلمة هي وحدها آية في ذلك إلا قوله تعالى في «الرحمن»: ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾)، وكذا هي في «البيان» لأبي عمرو (ص ١٢٦)، فقصد وسط السور لا أوائلها.

(٢) كذا نقله صاحب «الفتوحات» (٩/١) عن الدميري عنه، وبنحوه في «أحكام القرآن» (١٥/١).

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

حاشية الصاوي

وروى مُسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان يَفِرُّ من البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة»^(١)، وعنه في رواية: «لكلِّ شيء سَنَامٌ، وسَنَامُ القرآن سورة البقرة»^(٢)، وفي رواية: «سَيِّدَةُ آيِ القرآن آيَةُ الكرسي»^(٣).

فائدة أخرى: في الكلام على الاستعاذة: ولفظها المختار: (أعوذُ بالله من الشيطانِ الرجيم) عند مالك وأبي حنيفة والشافعي؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]، وقال أحمد: الأولى أن يقول: (أعوذُ بالله السميع العليم من الشيطانِ الرجيم) جمعاً بين هذه الآية وآية: ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦]، وقال الثوري والأوزاعي: الأولى أن يقول: (أعوذُ بالله من الشيطانِ الرجيم إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ).

فاتَّفَق الجمهورُ على أنه يُستحب لقارئ القرآن خارج الصلاة أن يتعوَّذ، وحُكي عن عطاء وجوبها، وقال ابن سيرين: (إذا تعوَّذ الرجل في عُمره مرةً واحدة كفى في إسقاطِ الوجوب). ووقتُ الاستعاذة: قبل القراءة عند الجمهور، وحُكي عن النَّخعي أنه بعد القراءة، وهو قول داود، وأحد الروايَيْن عن ابن سيرين.

ومعنى (أعوذُ بالله): ألتجئُ إليه وأتحصنُ به ممَّا أخشاه، و(الشيطانُ): أصله من: شَطَنَ؛ أي: بُعدَ عن الرحمة، وقيل: من شَاظَ؛ بمعنى: احترق، وهو اسمٌ لكل عاتٍ من الجن والإنس، و(الرَّجِيم): فَعِيل بمعنى فاعل؛ أي: راجِمٌ بالوسوسة والشرِّ، وقيل: بمعنى مفعول؛ أي: مَرْجوم بالشُّبُه عند استراق السمع، أو بالعذاب، أو مطرود عن الرحمة والخيرات، فحِكْمَةُ الاستعاذة: تطهير القلب من كلِّ شيء يَشغله عن الله تعالى؛ فإن في تعوُّذ العبد بالله إقرار بالعجز والضعف، واعتراف بِقُدرة الباري^(٤)، وأنه الغني القادر على دَفْع المضرَّات، وأن الشيطان عدوٌّ مُبين، وقد دخل منه في الحصن الحصين.

قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾: اختلف الأئمة في كون البسملة من (الفاتحة) وغيرها

(١) رواه مسلم (٧٨٠).

(٢) رواه الترمذي (٢٨٧٨).

(٣) هذه الرواية تنمُّ رواية الترمذي المتقدمة.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: (إقراراً واعترافاً) كما لا يخفى.



﴿١﴾ ﴿آلَمْ﴾: اللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ بِذَلِكَ.

حاشية الصاوي

من السُّورِ سِوَى سُورَةِ (بَرَاءة)، فذهب الشافعي وجماعة من العلماء إلى أنها آية من (الفاتحة) ومن كلِّ سورة ذُكِرت في أولها سِوَى سُورَةِ (براءة)، وقال به جماعة من الصحابة، وذهب الأوزاعي ومالك وأبو حنيفة إلى أن البَسْمَلَةَ ليست آيةً من (الفاتحة)، وزاد أبو داوود: ولا من غيرها من السُّور، وإنما هي بعضُ آية في سورة (النمل)، وإنما كُتِبَت للفصل والتبرُّك، قال مالك: ويكره استفتاح صلاة الفرض بها، واختلفت الرواية عن أحمد في كونها من (الفاتحة) أو لا؟ والأحسن: أن يُقدَّر متعلِّقٌ الجارُّ هنا (قولوا)؛ لأن هذا المقام مقامُ تعليم صادرٍ عن حضرة الربِّ تعالى.

قوله: ﴿آلَمْ﴾ اعْلَمَ: أن مجموع الأحرف المنزلة في أوائل السور أربعة عشر حرفاً، وهي نصف حروف الهجاء، وقد تفرَّقت في تسع وعشرين سورة، المبدوء بالالف واللام منها ثلاثة عشر، وبالحاء والميم سبعة، وبالطاء أربعة، وبالكاف واحدة، وبالياء واحدة، وبالصاد واحدة، وبالقاف واحدة، وبالنون واحدة، وبعضُ هذه الحروف المبدوء بها أحادي، وبعضها ثنائي، وبعضها ثلاثي، وبعضها رباعي، وبعضها خماسي، ولا تزيد.

قوله: (الله أعلم بمُراده بذلك) أشار بهذا إلى أرجح الأقوال في هذه الأحرف التي ابتدئ بها تلك السُّور، وهو أنها من المتشابهة، جرياً على مذهب السلف القائلين باختصاص الله تعالى بعلم المراد منه، وعلى هذا: فلا محل لها من الإعراب؛ لأنه فرع إدراك المعنى، فلا يُحكم عليها بإعراب ولا بناء ولا بتركيب مع عاملٍ، ومُقابلٌ هذا أقوال؛ قيل: إنها أسماء للسور التي ابتدئت بها، وقيل: أسماء للقرآن، وقيل: لله تعالى، وقيل: كلُّ حرف منها مفتاح اسم من أسمائه تعالى؛ أي: جزء من اسم، فالألف: مفتاح لفظ الجلالة، واللام: مفتاح اسم (لطيف)، والميم: مفتاح اسم (مجيد) . . . وهكذا، وقيل: كلُّ حرف منها يُشير إلى نعمة من نعم الله، وقيل: إلى ملك، وقيل: إلى نبي، وقيل: الألف: تُشير إلى آلاء الله، واللام: إلى لطف الله، والميم: إلى مُلك الله، وعلى هذه الأقوال: فلها محلٌّ من الإعراب؛ فقيل: الرفع، وقيل: النصب، وقيل: الجر، فالرفع على أحد وجهين؛ إما بكونها مبتدأ، وإما بكونها خبراً، والنصب على أحد وجهين أيضاً؛ إما بإضمار فعل لائق تقديره: (اقروا) مثلاً، وإما بإسقاط حرف القسم؛ كقول الشاعر: [الوافر]

ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ

﴿٢﴾ ﴿ذَلِكَ﴾ أي: هذا ﴿الْكِتَابُ﴾ الَّذِي يَقْرُؤُهُ مُحَمَّدٌ ﴿لَا رَيْبَ﴾: لَا شَكَّ ﴿فِيهِ﴾ ...

حاشية الصاوي

إِذَا مَا الْخُبْرُ تَأْدِيمُهُ بِلَحْمٍ فَذَاكَ أَمَانَةُ اللَّهِ الثَّرِيدُ^(١)
يُرِيدُ: وأمانة الله، والجَرُّ بوجه واحد، وهو أنها مُقَسَّمٌ بها حُذِفَ حرفُ القسم وبقي عَمَلُهُ،
أجاز ذلك الزمخشري وإن كان ضعيفاً؛ لأن ذلك من خصائص الجلالة المعظمة، لا يُشاركها فيه
غيرها^(٢).

قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ اسم الإشارة مبتدأ، واللام: للبعد، والكاف: حرف خطاب، و﴿الْكِتَابُ﴾
نعت لاسم الإشارة، أو عطف بيان، وجملة: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ خبرٌ كما قال المفسر.

قوله: (أي: هذا) أشار بذلك إلى أن حقَّ الإشارة أن يُؤتى بها للقريب، وسيأتي الجواب عنه.

قوله: ﴿الْكِتَابُ﴾ بمعنى المكتوب، وهو القرآن.

إِنْ قُلْتَ: إن القرآن قريب، فلا يُشار له بإشارة البعيد؟

أجاب المفسر بقوله: (والإشارة به للتعظيم) أي: فالقرآن وإن كان قريباً منا إلا أنه مرفوع الرتبة
وعظيم القدر، من حيث إنه مُنَزَّهٌ عن كلام الحوادث، وذلك كمُنَادَاةِ المولى سبحانه وتعالى بـ(يا)
التي يُنادي بها البعيد مع كونه أقرب إلينا من حبل الوريد؛ لكونه سبحانه منزهاً عن صفات
الحوادث، فنزَّلَ تنزُّهَهُ عن الحوادث منزلةً بُعِدْنَا عنه. والكتاب في الأصل: مصدرٌ يُطلق بمعنى:
الجمع.

قوله: (الذي يقرؤه محمد) أي: وهو القرآن، احترز بذلك عن باقي الكتب السماوية.

قوله: (لا شك) هذا أحدُ معانٍ ثلاثة، والثاني: التَّهْمَةُ، والثالث: القَلْقُ والاضطراب، وكلُّها
منزَّهٌ عنها القرآن؛ لخروجه عن طاقة البشر، قال تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ
هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ...﴾ الآية [الإسراء: ٨٨].

(١) البيت من شواهد سيبويه في «كتابه» (٦١/٣) وشكك فيه، والشاهد فيه: (أمانة الله) بنصب (أمانة) بفعل مقدر، تقديره:

أقسم بأمانة الله؛ فإذا حذفوا الجار نصبوا، والجعر بحرف القسم ضعيف كما سيأتي، وانظر «الدر المصون» (٨٠/١).

(٢) «تفسير الزمخشري» (٢٤/١) وما بعدها، والجعر مع حذف الجار كما ذكر من خصائص لفظ الجلالة (الله)، وقيل غير ذلك.

هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾

أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، - وَجُمْلَةُ النَّفْيِ خَبَرٌ مُبْتَدَأُهُ ﴿ذَلِكَ﴾، وَالْإِشَارَةُ بِهِ لِلتَّعْظِيمِ - - ﴿هُدًى﴾
- خَبَرٌ ثَانٍ - أَي: هَادٍ ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾:
حاشية الصاوي

إِنْ قُلْتَ: إِنْ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ خَبَرٌ، وَهُوَ لَا يَتَخَلَّفُ، مَعَ أَنْ بَعْضَ الْكَفَّارِ ارْتَابَ فِيهِ؛
حَيْثُ قَالُوا: سِحْرٌ وَكُهَانَةٌ وَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ.
أُجِيبُ بِأَجْوَبَةٍ؛ أَحْسَنُهَا: أَنْ قَوْلُهُ: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أَي: لِمَنْ أَذْعَنَ وَأَقَامَ الْبِرْهَانَ وَتَأَمَّلَ،
فَلَا رَيْبَ فِيهِ لِلْعَارِفِينَ الْمُنْصِفِينَ، وَأَمَّا مَنْ عَانَدَ فَلَا يَعْتَدُّ بِهِ، ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾
[الفرقان: ٤٤].

ومنها: أَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أَي: لَا يَنْبَغِي أَنْ يُرْتَابَ فِيهِ؛ لِقِيَامِ الْأَدْلَةِ الْوَاضِحَةِ
عَلَى كَوْنِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.

ومنها: أَنْ مَعْنَى ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أَي: لِلْمُؤْمِنِينَ، وَأَمَّا الْكَافِرُونَ فَلَا يُعْتَدُّ بِهِمْ.
فَالْجَوَابُ الْأَوَّلُ عَامٌّ، فَمَنْ تَأَمَّلَ لَا يَحْصُلُ لَهُ رَيْبٌ مُسْلِمًا أَوْ كَافِرًا، وَجَحْدُهُ بَعْدَ ذَلِكَ عِنَادٌ،
وَالْجَوَابُ الثَّانِي أَنَّهُ نَفْيٌ بِمَعْنَى النِّهْيِ، وَالثَّلَاثُ خَاصٌّ بِالْمُسْلِمِ.
قَوْلُهُ: (أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) يَفْتَحُ الْهَمْزَةَ بَدَلًا مِنَ الضَّمِيرِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فِيهِ﴾، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى
فِي الْآيَةِ الْآخَرَى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [السجدة: ٢].
قَوْلُهُ: (وَالْإِشَارَةُ بِهِ لِلتَّعْظِيمِ) تَقَدَّمَ أَنَّ هَذَا جَوَابٌ عَنْ سُؤَالٍ مُقَدَّرٍ.

إِنْ قُلْتَ: إِنَّهُ لَا يَشَارُ إِلَّا لِمَحْسُوسٍ، وَالْقُرْآنُ أَلْفَاظٌ تَنْقُضِي بِمَجَرَّدِ النُّطْقِ بِهَا.
أُجِيبُ: بِأَنَّهُ نَزَلَ الْمَعْقُولُ مَنْزِلَةَ الْمَحْسُوسِ، أَوْ الْإِشَارَةُ لِمَا فِي الْمَصَاحِفِ، أَوْ اللَّوْحِ
الْمَحْفُوظِ.

قَوْلُهُ: (هُدًى) أَي: رِشَادٌ وَبَيَانٌ، وَهُوَ مَصْدَرٌ؛ إِمَّا بِمَعْنَى اسْمِ الْفَاعِلِ، وَهُوَ الَّذِي اقْتَصَرَ عَلَيْهِ
الْمُفَسِّرُ، أَي: مَرشِدٌ وَمُيَبِّنٌ، وَالْإِسْنَادُ لَهُ مَجَازٌ عَقْلِيٌّ مِنَ الْإِسْنَادِ لِلْسَبَبِ، أَوْ ذُو هُدًى، أَوْ يُوَلِّغُ فِيهِ
حَتَّى يُجِيلَ نَفْسَ الْهَدَى؛ عَلَى حَدِّ: زَيْدٌ عَدْلٌ.

قَوْلُهُ: ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ إِنْ قُلْتَ: إِنْ الْقُرْآنَ هَدًى بِمَعْنَى مُبَيِّنٍ طَرِيقَ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ لِلنَّاسِ مُؤْمِنِهِمْ
وَكَافِرِهِمْ، فَلِمَ خَصَّ الْمُتَّقِينَ؟

الصَّائِرِينَ إِلَى التَّقْوَى بِامْتِثَالِ الْأَوَامِرِ واجْتِنَابِ النَّوَاهِي؛ لِاتَّقَائِهِمْ بِذَلِكَ النَّارَ.

حاشية الصاوي

أُجِيب: بأنه خَصَّهُم بالذكر لِكُونِهِمْ انتفعوا بِثَمَرَتِهِ عاجلاً وَآجَلاً، وهذا إن أُريدَ به البَيَانُ؛ حَصَلَ وَصُولٌ لِلْمَقْصُودِ أَمْ لَا، وَأما إن أُريدَ به الوَصُولُ لِلْمَقْصُودِ فَالْتَّخْصِصُ ظَاهِرٌ. وَأَصْلُ (مُتَّقِينَ): مُتَّقِيَيْنَ، اسْتَثْقَلَتِ الْكُسْرُ عَلَى الْيَاءِ الْأَوَّلَى، فَحُذِفَتْ، فَالْتَقَى سَاكِنَانِ، وَحُذِفَتِ الْيَاءُ لِالْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ.

قوله: (الصائرين للتقوى) أشار بذلك إلى أَنَّ فِي الْكَلَامِ مَجَازَ الْأَوَّلِ^(١)؛ أَي: الْمُتَّقِينَ فِي عِلْمِ اللَّهِ، أَوْ مَنْ يُؤُولُ إِلَى كُونِهِمْ مُتَّقِينَ، فَهُوَ جَوَابٌ عَنْ سُؤَالٍ مُقَدَّرٍ حَاصِلُهُ: أَنَّهُمْ إِذَا كَانُوا مُتَّقِينَ فَهَمَّ مُهْتَدُونَ فَلَا حَاجَةَ لَهُ^(٢).

قوله: (بِامْتِثَالِ الْأَوَامِرِ) يَصِحُّ أَنْ تَكُونَ الْبَاءُ سَبَبِيَّةً، أَوْ لِلتَّصْوِيرِ، وَقوله: (واجتناب النواهي) عَطَفْتُ عَلَيْهِ، وَالْمَعْنَى: أَنْ امْتِثَالَ الْأَوَامِرِ عَلَى حَسَبِ الطَّاقَةِ وَاجْتِنَابِ النَّوَاهِي جَمِيعُهَا سَبَبٌ لِلتَّقْوَى، أَوْ هِيَ مُصَوَّرَةٌ بِذَلِكَ.

قوله: (لِاتَّقَائِهِمْ) عِلَّةٌ لِتَسْمِيَّتِهِمْ مُتَّقِينَ، وَقوله: (بذلك) أَي: الْمَذْكُورِ، وَهُوَ امْتِثَالُ الْأَوَامِرِ وَاجْتِنَابُ النَّوَاهِي، وَهَذَا إِشَارَةٌ إِلَى تَقْوَى الْخَوَاصِّ، وَتَحْتَهَا تَقْوَى الْعَوَامِّ؛ وَهِيَ تَقْوَى الشَّرْكِ، وَفَوْقَهَا تَقْوَى خَوَاصِّ الْخَوَاصِّ؛ وَهِيَ تَقْوَى مَا يَشْغُلُ عَنْ اللَّهِ، قَالَ الْعَارِفُ^(٣): [الطويل]

وَلَوْ خَطَرْتُ لِي فِي سِوَاكَ إِرَادَةً
عَلَى خَاطِرِي يَوْمًا حَكَمْتُ بِرِدَّتِي
وَالْآيَةُ فِي حَدِّ ذَاتِهَا شَامِلَةٌ لِلْمَرَاتِبِ الثَّلَاثِ.

(١) تسمية الشيء بما يؤول إليه؛ كقولهم: عصرت خمراً، وهنا سُمِّيَ غير المتقين بالمتقين لأنهم صائرون للتقوى، ويُسمى مجاز الصيرورة، ومجاز المشاركة إن كان المأل على الفور؛ نحو: «مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا». انظر «حاشية الشهاب على البيضاوي» (١/٢٠٤).

(٢) وقع في حاشية (أ) زيادة واستدراك للمؤلف، وهي: (قوله: «أي: المتقين في علم الله» هذا جوابٌ ثانٍ عن السؤال المقدر، فكان المناسب تأخيره عن قوله: «أو من يؤول... إلخ»، وإنما منعتني من إصلاحها انتشارُ النسخ). اهـ مؤلفه

(٣) عمر بن الفارض رحمه الله تعالى، ت (٦٣٢هـ) من تائيته المشهورة، ويُروى عجزه: (على خاطري سهواً قضيت بردتني).

الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ

﴿٣﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ: يُصَدِّقُونَ ﴿بِالْغَيْبِ﴾: بِمَا غَابَ عَنْهُمْ مِنَ الْبَعْثِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ،
﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ هذا تفصيلٌ لبعض صفات المتقين، وخصّها لأنها أعلى الأوصاف، وهو في محلّ جر صفة لـ (المتقين)، أو رفع خبر لمحذوف، أو نصب مفعول لمحذوف، ويصح أن يكون مستأنفاً مبتدأ خبره قوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى﴾، وعلى هذا: فالوقف على ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ تامٌّ؛ لعدم ارتباطه بما بعده، وعلى الإعراب الأول: فهو حسن؛ لأنه رأسُ آية وإن كان له ارتباط بما بعده.

قوله: (بما غاب) أشار بذلك إلى إطلاق المصدر وإرادة اسم الفاعل، وما غاب عنا قِسمان: ما دلّ عليه دليلٌ عقلي أو سمعي؛ كالجنة والنار والملائكة والعرش والكُرسى واللوح والقلم، والمولى سبحانه وتعالى وصفاته، وما لم يدلّ عليه دليل، كالساعة ووقت نزول المطر وما في الأرحام، وباقي الخمسة المذكورين في الآية^(١).

وأما الشهادة فهي ما ظهر لنا حسّاً أو عقلاً ببداية العقل؛ كالواحد نصف الاثنين، وأنّ الجرم مُتَحَيِّزٌ.

قوله: (من البعث... إلخ) بيانٌ لـ (ما)، وقوله: (والجنة والنار) عطفٌ عليه؛ أي: ونحو ذلك ممّا قام لنا الدليل عليه، ويحتمل أن يبقى الغيبُ على مصدريته^(٢)، والباء متعلّقة بمحذوف حال؛ أي: إيماناً ملتبساً بحالة الغيبة، ففيها بيانٌ لحال المؤمنين الخالصين، وتعرضٌ لحال المنافقين؛ فإنهم كانوا يؤمنون ظاهراً فقط، فمدّح الله مَنْ يؤمن في حال غيبته عن كلّ أحد كما يؤمن ظاهراً، ويحتمل أن المراد بالغيب القلب، سُمّي بذلك لخفائه؛ أي: يؤمنون بحالة السرّ، وهو الإيمان القلبي، فالمصدر باقي على حاله، وفيه ردٌّ على المنافقين أيضاً؛ حيث قالوا بالسنتهم ما ليس في قلوبهم.

قوله: ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ إما مأخوذة من الصلاة اللغوية بمعنى: الدعاء؛ لأنها مُشتملة عليه في الركوع والسجود، وعليه: فأصلها: صَلَوَة، تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً، وقيل:

(١) أي: في الآية الرابعة والثلاثين من سورة (لقمان).

(٢) فلا يكون بمعنى الغائب، وعليه فلا تعلق الباء بالفعل، والمعنى حينئذٍ كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾.

وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ

أي: يَأْتُونَ بِهَا بِحَقُوقِهَا، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾: أَعْطَيْنَاهُمْ ﴿يُنْفِقُونَ﴾ في طاعة الله.
﴿٤﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ

حاشية الصاوي

من الوُضْلَةِ؛ لأنها وُضْلَةٌ بين العبد وربّه، وعليه: فأصلُها: وَضْلَةٌ، قُلِبَتْ قَلْبًا مَكَانِيًّا، فصار صَلَوَةٌ، تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً.

وقوله: (يُقيمون) من: قَوَّمت العود: عدَّلته.

قوله: (أي: يأتون بها بحقوقها) أي: الظاهرية؛ كالشروط والآداب والأركان، والباطنية؛ كالخشوع والخضوع والإخلاص.

قوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ فيه حذف نون (من) التبعيضية لفظاً وخطاً؛ لإدغامها في (ما) الموصولة، و(رزقنا): صلة الموصول، و(نا): فاعل، والهاء: مفعول أول، وحذفت المفعول الثاني، فيصح تقديره متصلاً؛ أي: رزقناهموه، أو منفصلاً؛ أي: رزقناهم إياه؛ على حد قول ابن مالك: [الرجز]

وَصِلْ أَوْ أَفْصِلْ هَاءَ سَلْنِيهِ^(١)

قوله: (أعطيناهم) أشار بذلك إلى أن الرزق معناه: المَلِكُ، وليس المراد به الرزق الحقيقي؛ إذ لا يتأتى تعديّه لغيره^(٢)، وقَدَّم الجارَّ والمجرور للاهتمام.

قوله: ﴿يُنْفِقُونَ﴾ أي: إنفاقاً واجباً؛ كالزكاة والنفقة على الوالدين والعيال، أو مندوباً؛ كالتوسعة على العيال ومواساة الأقارب والفقراء.

قوله: (في طاعة الله) (في): تعليلية؛ أي: مِنْ أَجْلِ طاعة الله، لا رِيَاء ولا سمعة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩].

قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ معطوف على الموصول الأول، وهو نوعٌ آخرٌ للمتقين؛ فإنها نزلت

(١) تمامه: (وما أشبهه في كتبه الخلف انتمى)، في «الخلاصة» (باب النكرة والمعرفة).

(٢) لأن الرزق الحقيقي عند أهل السنة ما ينتفع به المرء كما اختار المصنف في «حاشيته على الجوهرة» (ص ٤٠٩)، ولو عُذِّي للغير فلا يُتصور الانتفاع به، فلا يكون حقيقياً، والرزق عند المعتزلة الذي يملكه المرء وإن لم ينتفع به، وفي الآية شبهة دليل لهم.

بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾

بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴿٤﴾ أي: القرآن، ﴿وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ أي: التَّوْرَةُ والإنجيل وغيرهما، ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾: يَعْلَمُونَ.

﴿٥﴾ ﴿أُولَئِكَ﴾ المَوْصُوفُونَ بِمَا ذَكَرَ ﴿عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: الْفَائِزُونَ بِالْجَنَّةِ النَّاجُونَ مِنَ النَّارِ.

﴿٦﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ كَأَبِي جَهْلٍ وَأَبِي لَهَبٍ

حاشية الصاوي

فِيمَنْ كَانَ آمَنَ بِعِيسَى وَأَدْرَكَ النَّبِيَّ ﷺ؛ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَعَمَارِ بْنِ يَاسِرٍ وَسَلْمَانَ وَالنَّجَاشِيَّ وَغَيْرِهِمْ، وَأَمَّا النَّوْعُ الْأَوَّلُ فَهُمْ مُشْرِكُو الْعَرَبِ الَّذِينَ لَمْ يُرْسَلْ لَهُمْ غَيْرُهُ ﷺ، فَنَزَلَتْ فِيهِمُ الْآيَةُ الْأُولَى.

قوله: ﴿بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ نَزَلَ الْمُسْتَقْبَلُ مَنْزِلَةَ الْمَاضِي لِتَحَقُّقِ الْوُقُوعِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ تَمَّ نَزْوُهُ.

قوله: ﴿وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ أي: فَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ؛ بَحِثْ يُؤْمِنُونَ بِبَعْضٍ وَيَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ.

قوله: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ قَدَّمَ الْجَارَّ وَالْمَجْرُورَ لِإِفَادَةِ الْحَصْرِ، وَأَتَى بِالْجُمْلَةِ اسْمِيَّةً لِأَنَّهُ أَعْلَى مِنَ الْإِنْفَاقِ.

قوله: (يَعْلَمُونَ) أي: عِلْمًا لَا شَكَّ مَعَهُ وَلَا رَيْبَ، وَلِذَا اتَّصَفَ مَوْلَانَا بِالْعِلْمِ وَلَمْ يَتَّصَفَ بِالْيَقِينِ، وَفِيهِ رَدٌّ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ الْآخِرَةَ مَمَّنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِمُحَمَّدٍ.

قوله: ﴿أُولَئِكَ﴾ الْمَوْصُوفُونَ بِمَا ذَكَرَ (إِنْ قُلْنَا: إِنَّ قَوْلَهُ: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ...﴾ إلخ وَصَفُ لِلْمُتَّقِينَ، كَانَ مَا هُنَا مَبْتَدَأً وَخَبَرًا بَيَانٌ لِعَاقِبَةِ الْمُتَّقِينَ، وَإِنْ قُلْنَا: إِنَّهُ مُسْتَأْنَفٌ مَبْتَدَأٌ كَانَ مَا هُنَا خَبَرًا.

قوله: ﴿عَلَى هُدًى﴾ عَبَّرَ بِ(عَلَى) إِشَارَةً إِلَى تَمَكُّنِهِمْ مِنَ الْهُدَى كَتَمَكُّنِ الرَّائِبِ مِنَ الْمَرْكُوبِ.

قوله: (الناجون من النار) أي: ابْتِدَاءً وَانْتِهَاءً، وَعَطَفَ الْجُمْلَتَيْنِ إِشَارَةً إِلَى تَغَايِرِهِمَا، وَأَنَّ كَلًّا غَايَةً فِي الشَّرَفِ، وَأَنَّ الثَّانِيَةَ مُسَبِّبَةٌ عَنِ الْأُولَى.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ جَرَتْ عَادَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ أَنَّهُ إِذَا ذَكَرَ بَشَرِي

وَنَحْوَهُمَا ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ﴾ - بِتَحْقِيقِ الْهَمْزَتَيْنِ، وَإِبْدَالِ الثَّانِيَةِ أَلِفًا وَتَسْهِيلِهَا، وَإِدْخَالَ أَلِفٍ بَيْنَ الْمُسَهَّلَةِ وَالْأُخْرَى وَتَرْكِه - ﴿أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾؛ لِعِلْمِ اللَّهِ مِنْهُمْ

حاشية الصاوي

المؤمنين يذكرُ بِلَصْقِهَا وَعَيْدِ الْكَافِرِينَ، فَذَكَرَ حَالَ الْكَافِرِينَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، ثُمَّ ذَكَرَ حَالَ الْكَافِرِينَ بَاطِنًا، وَهُمْ الْمُنَافِقُونَ، وَأَنْهُمْ أَسْوَأُ حَالًا مِنَ الْكَافِرِينَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا.

و﴿إِنَّ﴾: حَرْفُ تَوْكِيدٍ وَنَصْبٍ، وَ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: اسْمُهَا، وَجُمْلَةُ ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾: خَبَرُهَا، وَجُمْلَةُ ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾: مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ اسْمِ (إِنَّ) وَخَبَرِهَا، وَإِعْرَابُهَا أَنْ تَقُولَ عَلَى الْمَشْهُورِ: ﴿سَوَاءٌ﴾: اسْمُ مُصَدَّرٍ مُبْتَدَأٌ بِمَعْنَى مُسْتَوٍ، وَسَوْغُ الْإِبْتِدَاءِ بِهِ تَعَلُّقُ الْجَارِ وَالْمَجْرُورِ بِهِ، وَ﴿ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾: مُؤَوَّلٌ بِمَفْرَدٍ خَبَرٍ، تَقْدِيرُهُ: مُسْتَوٍ عَلَيْهِمْ إِنْذَارُكَ وَعَدْمُهُ، وَهُوَ فِعْلٌ مَسْبُوكٌ بِلا سَابِقٍ.

إِنْ قُلْتَ: إِنْ خَبَرَ الْمُبْتَدَأَ إِذَا وَقَعَ جُمْلَةً لَا بَدْلَ لَهُ مِنْ رَابِطٍ.

أَجِيبْ: بِأَنَّ الْخَبَرَ عَيْنُ الْمُبْتَدَأِ فِي الْمَعْنَى، وَهُوَ يَكْفِي فِي الرِّبْطِ، وَأُجِيبْ أَيْضًا: بِأَنَّ مَحَلَّ الْإِحْتِيَاجِ لِلرَّابِطِ مَا لَمْ يُؤَوَّلِ الْخَبَرُ بِمَفْرَدٍ، وَإِلَّا فَلَا يَحْتَاجُ لِلرَّابِطِ، وَقَوْلُهُمْ: لَا بَدْلَ لِلْفِعْلِ مِنْ سَابِقٍ أَغْلَبِيٌّ. وَيَصَحُّ الْعَكْسُ، وَهُوَ أَنَّ الْجُمْلَةَ مُبْتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ، وَ﴿سَوَاءٌ﴾: خَبَرٌ مُقَدَّمٌ.

قوله: (ونحوهما) أي: مِنْ كَفَارِ مَكَّةَ الَّذِينَ سَبَقَ عِلْمُ اللَّهِ بِعَدَمِ إِيْمَانِهِمْ، وَالْحِكْمَةُ فِي إِخْبَارِ اللَّهِ نَبِيَّهُ بِذَلِكَ لِتُرِيحِ قَلْبِهِ مِنْ تَعَلُّقِهِ بِإِيْمَانِهِمْ، فَلَا يَشْتَغِلُ بِهَدَايَتِهِمْ وَلَا تَأْلِيْفِهِمْ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ ذَلِكَ إِعْلَامٌ مِنَ اللَّهِ لِنَبِيِّهِ بِمَنْ كَفَرَ مِنْ أَوَّلِ الزَّمَانِ إِلَى آخِرِهِ؛ لِأَنَّهُ أَطْلَعَهُ عَلَى النَّارِ وَعَلَى مَنْ أَعَدَّ لَهَا مِنَ الْكُفَّارِ، وَالْحِكْمَةُ فِي عَدَمِ الدَّعَاءِ مِنْهُمْ عَلَيْهِمْ مَعَ عِلْمِهِ بِأَنَّهُ يَسْتَحِيلُ إِيْمَانُهُمْ: أَنَّهُ يَرْجُو الْإِيْمَانَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمْ.

قوله: (بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً) أي: مَدًّا لَازِمًا، وَقَدْرُهُ سِتُّ حَرَكَاتٍ، وَقَوْلُهُ: (وتسهيلها) أي: بِأَنَّ تَكُونَ بَيْنَ الْهَمْزَةِ وَالْهَاءِ، وَقَوْلُهُ: (وإدخال ألف) الواو: بِمَعْنَى مَعَ.

فحاصله: أَنَّ الْقُرْآنَ خَمْسُ قُرْآنَاتٍ مَعَ التَّحْقِيقِ، وَقُرْآنَاتَانِ مَعَ التَّسْهِيلِ، وَقُرْآنَةٌ مَعَ الْإِبْدَالِ، وَكُلُّهَا سَبْعِيَّةٌ عَلَى التَّحْقِيقِ، خِلَافًا لِلْبِيضَاوِيِّ؛ حَيْثُ قَالَ: (إِنْ قُرْآنَةُ الْإِبْدَالِ لَحْنٌ لَوْجِهَيْنِ: الْأَوَّلُ: أَنَّ الْهَمْزَةَ الْمُتَحَرِّكَةَ لَا تُبَدَّلُ أَلْفًا، وَالثَّانِي: أَنَّ فِيهِ التَّقَاءَ السَّاكِنِينَ عَلَى غَيْرِ حَذِّهِ) ^(١)، رَدَّ عَلَيْهِ مُلَّا عَلِي قَارِي بِأَنَّ الْقُرْآنَ مُتَوَاتِرَةٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، وَمَنْ أَنْكَرَهَا كَفَرَ، فَيُسْتَدَلُّ بِهَا لَهَا ^(٢)، وَأَمَّا قَوْلُهُ:

(١) «تفسير البضاوي» (١/٤١).

(٢) «حاشية ملا علي على البضاوي».

خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَرِهِمْ غِشْوَةً.....

ذلك، فلا تَطْمَعُ في إيمانهم. والإنذارُ: إعلامٌ مع تخويف.

﴿٧﴾ ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾: طَبَعَ عليها واستوثق، فلا يَدْخُلُها خَيْرٌ، ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ أي: مَوَاضِعِهِ، فلا يَنْتَفِعُونَ بِمَا يَسْمَعُونَهُ مِنَ الْحَقِّ، ﴿وَعَلَى أَبْصَرِهِمْ غِشْوَةً﴾: غِطَاءٌ،

حاشية الصاوي

(إن الهمزة المتحركة لا تبدل ألفاً) محلُّه في القياسي، وأما السَّماعي فلا لحن فيه؛ لأنه يُقتصر فيه على السماع.

وقوله: (فيه التقاء الساكنين على غير حَدِّه) نقول: سَهَّلَهُ طَوْلُ المَدِّ والسماع، وأما قولهم: (كل ما وافق وجه النحو... إلخ) محلُّه في قراءة الآحاد لا في المتواترة، وإلا فالتواتر نفسه حُجة على غيره لا يحتجُّ له.

قوله: (إعلام مع تخويف) أي: في وقت يَسَعُ التحرُّز من الأمر المَخُوف، وإلا فيسمَّى إخباراً بالعذاب.

قوله: ﴿﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾﴾ هذا وما بعده كالعلة والدليل لما قبله، والمراد بالقلوب: العقول؛ وهي اللطيفة الربانية القائمة بالشكل الصنوبري قيام العرض بالجواهر، أو قيام حرارة النار بالفحم.

قوله: (طبع عليها) هذا إشارة إلى المعنى الأصلي، فأطلقه وأراد لازمه، وهو عدم تغيير ما في قلوبهم؛ بدليل قوله: (فلا يَدْخُلُها خَيْرٌ)، وفي القلوب استعارة بالكناية؛ حيث شبه قلوب الكفار بمحلٍّ فيه شيء مختوم عليه، وطوى ذكر المشبه به ورُمز له بشيء من لوازمه، وهو الختم، فأثبتته تخييل.

قوله: (أي: مواضعه) إنما قَدَّرَ ذلك المضاف لأن السمع معنى من المعاني لا يصحُّ إسناد الختم لها، وإفراذه إما لأنه مصدر لا يثنى ولا يجمع^(١)، أو ليكون المسموع واحداً، وتمَّ الوقف على قوله: ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾، وقوله: ﴿وَعَلَى أَبْصَرِهِمْ﴾ خبر مُقَدَّم، و﴿غِشْوَةً﴾: مبتدأ مؤخر، جُملة مستأنفة، نظير قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَهُ...﴾ الآية^(٢). والمراد من الغشاوة: عدم وصول النور المعنوي لهم، فأطلق اللازم وأراد الملزوم، وخصَّ الثلاثة لأنها طُرُقُ العِلْمِ بالله.

(١) وما قرئ شاذاً: ﴿وَعَلَى أَسْمَاعِهِمْ﴾ فالجمع هنا للسمع اسماً لا مصدراً؛ كلفظ وألفاظ، فعاد المعنى للمواضع.

(٢) تمامها: ﴿وَأَسْأَلُهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشْوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ

فلا يُبْصِرُونَ الْحَقَّ، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: قويٌّ دائمٌ.

﴿٨﴾ وَنَزَلَ فِي الْمُنَافِقِينَ: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ العذاب: هو إيصال الآلام لِلْحَيَوَانِ عَلَى وَجْهِ الْهَوَانِ.

قوله: (قوي دائم) إنما فُسِّرَ بذلك لأنَّ الأصل في الْعِظَمِ أَنْ يَكُونَ وَصْفًا لِلْأَجْسَامِ، فَلِذَلِكَ حَوَّلَ الْعِبَارَةَ.

قوله: (ونزل في المنافقين) أي: في أحوالهم وهوانهم، واستهزاء الله بهم، وضرب الأمثال فيهم، وعاقبة أمرهم، وجملته ذلك ثلاث عشرة آية، آخرها ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، وأخَّرَهم عن المؤمنين والكافرين ظاهراً وباطناً؛ إشارةً إلى أنهم أسوأ حالاً من الكفار.

قوله: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ﴾: يحتمل أن الجار والمجرور خبرٌ مُقَدَّمٌ، و﴿مَنْ﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبتدأ مؤخرٌ، وجملة ﴿يَقُولُ﴾ إما صلة أو صفة، والمعنى: الذي يقول، أو فريقٌ يقول ما ذكر كائنٌ من الناس، ورُدَّ ذلك: بأنه لا فائدة في ذلك الإخبار، والحقُّ أن يُقال: إن (مَنْ) اسم بمعنى بعض مبتدأ، وجُرَّ بها لأنها على صورة الحرف، أو صفةٌ لمحذوف مبتدأ، تقديره: فريقٌ من الناس، وخبره قوله: ﴿مَنْ يَقُولُ...﴾ إلخ، وعُهِدَ جَعْلُ الظرف مبتدأ حيث كان تمامُ الفائدة بما بعده؛ كقوله تعالى: ﴿وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ﴾ [الجن: ١١]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ [التوبة: ٦١].

وأصل (ناس): أناس، أتى بـ(أل) بدلَ الهمزة، مشتقٌّ من التأنس؛ لتَأَنُّسِ بعضهم ببعض، وتسمية الإنسان به حقيقةً، والجنُّ مجازٌ، وقيل: مُشتقٌّ من (ناس): إذا تحرَّك، وعليه: تسمية الجنِّ به حقيقةً أيضاً، والحقُّ الأول؛ ولذا قيل: لم يُوجد مُنَافِقٌ أو مشرك إلا في بني آدم فقط، وكُفِرَ الجنُّ بغير الإشراك والنفاق، وهو جمعُ إنسان أو إنسي، والمراد من المنافقين هنا: بعضُ سكان البوادي، وبعضُ أهل المدينة في زمنه ﷺ، [الرجز]

وخيّرُ ما فُسِّرَ به بِالْوَارِدِ^(١)

قال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ...﴾ [التوبة: ١٠١] الآية.

(١) وتماهه كما في «ألفية العراقي» (ص ١٦١):

كَالدُّخِّ بِالدُّخَانِ لِابْنِ صَائِدٍ

وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ

وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴿٨﴾ أي: يوم القيامة لِأَنَّهُ آخِرُ الْأَيَّامِ، ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ - رُوِيَ فِيهِ مَعْنَى ﴿مَنْ﴾، وفي ضَمِير ﴿يَقُولُ﴾ لَفْظُهَا ..

﴿٩﴾ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِإِظْهَارِ خِلَافٍ مَا أَبْطَنُوهُ مِنَ الْكُفْرِ؛ لِيَدْفَعُوا عَنْهُمْ أَحْكَامَهُ الدُّنْيَوِيَّةَ، ﴿وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ لِأَنَّ وَبَالَ خِدَاعِهِمْ
حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أعاد الجارَّ لإفادة تأكيد دَعَوَاهُمْ الْإِيمَانَ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِمْ بِأَبْلَغِ رَدٍّ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾؛ حيث أتى بالجملة اسميةً وزاد الجارَّ في الخبر.
قوله: (لأنه آخر الأيام) عِلَّةٌ لِتَسْمِيَةِ الْيَوْمِ الْآخِرِ، والمراد بالأيام: الأوقات، وهل المراد الأوقات المحدودة وهو بناءً على أن أَوَّلَهُ النَّفْخَةُ وَآخِرُهُ الْإِسْتِقْرَارُ فِي الدَّارَيْنِ، أو الأوقات الغير المحدودة بناءً على أنه لا نهايةَ له^(١)؟

قوله: ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ جملة اسمية تُفيد الدوامَ والاستمرار؛ أي: لم يَتَصَفَّوْا بِالْإِيمَانِ فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ، لا في الماضي ولا في الحال ولا في المستقبل.
قوله: ﴿يُخَدِّعُونَ اللَّهَ﴾ هذا جوابٌ عن سؤالٍ مقدَّرٍ، تقديره: ما الحاملُ لهم على إظهار الإيمان وإخفاء الكفر؟

وحقيقةُ المخادعة: أن يظهرَ لصاحبه أنه موافق ومساعدٌ له على مُرادِهِ، والواقعُ أنه ساعٍ في إبطال مراده، فإظهارُ خلافٍ ما يُبْطِنُ إن كان في الدين سُمِّيَ نفاقاً وخديعةً ومكرًا، وإن كان في الدنيا - بأن يصانع أهلَ الدنيا لأجل حماية الدين ووقايته - سُمِّيَ مُدَارَاةً، وهي ممدوحة.
قوله: (من الكفر) بيانٌ لما أَبْطَنُوهُ، وقوله: (ليدفعوا) عِلَّةٌ لِلإِظْهَارِ.

قوله: (أحكامه) أي: الكفر، وقوله: (الدنيوية) أي: الكائنة في الدنيا، وذلك كالقتل والسَّبي والجزية والذُّل، ولو قصدوا دَفْعَ أَحْكَامِهِ الْآخِرِيَّةِ مِنَ الْخُلُودِ فِي النَّارِ وَغَضَبِ الْجَبَّارِ لِأَخْلَصُوا فِي إِيْمَانِهِمْ.

قوله: (لأن وبال خداعهم) أي: عذابه وعاقبة أمره.

(١) قولان، والمشهور الثاني، وهو اختيار النسفي في تفسير الآية، وإليه يميل ظاهر كلام البيضاوي، وعلى الأول تكون دعوى الإيمان باليوم الآخر وبما بعده كما أفاده أبو السعود في «تفسيره» (٤٠/١).

وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ

راجع إليهم، فيفتضحون في الدنيا بإطلاع الله نبيه على ما أبطنوه، ويعاقبون في الآخرة، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾: يعلمون أن خداعهم لأنفسهم. والمُخَادَعَةُ هنا من واحد، كـ«عاقبت اللص»، وذكر الله فيها تحسين. - وفي قراءة: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾..

﴿١٠﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ: شَكٌّ وَنِفَاقٌ،

حاشية الصاوي

قوله: (راجع إليهم) قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣].

قوله: (يفتضحون) تفرغ على قوله: (لأن وبال خداعهم... إلخ).

قوله: (بإطلاع الله نبيه) أي: وأمره بإخراجهم من المسجد، ونزل فيهم: ﴿وَلَا تَقْلَبْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ...﴾ [التوبة: ٨٤] الآيات.

قوله: (ويعاقبون في الآخرة) أي: بالعذاب الدائم المؤبد في الدرك الأسفل.

قوله: (يعلمون) سُمِّي العلم شعوراً؛ لأنه يكون بأحد المشاعر الخمس؛ وهي الشَّمُّ والذوق واللمس والسمع والبصر.

قوله: (والمخادعة هنا من واحد) أي: فليست على بابها، وهو جوابٌ عن سؤال تقديره: أن المفاعلة تكون من الجانبين، وفعل الله لا يُقال فيه: مُخَادَعَةٌ، فأجاب بما ذكر. وقد ورد سؤال آخر، حاصله: أن الخداع لا يكون إلا لِمَن تخفى عليه الأمور، فما معنى إسناد المخادعة إلى الله؟ أجيب: بأن في الكلام استعارة تمثيلية؛ حيث شبه حالهم مع ربهم في إيمانهم ظاهراً لا باطناً بحال رعية تخادع سلطانها، واستعير اسم المشبه به للمشبه، أو مجازٌ عقلي^(١)؛ أي: يُخدعون رسول الله، من إسناد الشيء إلى غير من هو له، أو مجازٌ بالحذف، أو في الكلام تورية؛ وهي أن يكون للكلام معنى قريبٌ وبعيدٌ، فيُطلق القريبُ ويُراد البعيد، وهو مُطلق الخروج عن الطاعة باطناً، وإن كان المقابل لا تخفى عليه خافية، وأشار المفسر لذلك كله بقوله: (وذكر الله فيها تحسين) أي: بذكر المجاز؛ لأنه أبلغ من الحقيقة.

قوله: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ يُطلق على الحسي وهي الحُرقة، وعلى المعنوي وهو الشكُّ والنفاق، ولا شك أن في قلوبهم المرضين، والمعنوي سببٌ في الحسي، فقوله: (شكٌّ ونفاق) إشارة

(١) كذا بالرفع في النسخ على القطع.

فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ

فهو يُمرض قلوبهم أي: يُضعفها، ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ بما أنزله من القرآن لِكُفْرِهِمْ بِهِ، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ - بِالتَّشْدِيدِ - أي: نَبِيِّ اللَّهِ، - وَبِالتَّخْفِيفِ - أي: فِي قَوْلِهِمْ: آمَنَّا.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أي: لَهُوَلَاءِ: ﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾

حاشية الصاوي

لِلْمَرَضِ الْمَعْنَوِيِّ، وَقَوْلُهُ: (فَهُوَ يُمَرِّضُ قُلُوبَهُمْ) بَيَانٌ لِمَا يَتَسَبَّبُ عَنْهُ، وَهُوَ إِشَارَةٌ لِلْحَسِيِّ، وَهِيَ فِي مَحَلِّ التَّعْلِيلِ لِمَا قَبْلَهَا.

قَوْلُهُ: (بِمَا أَنْزَلَهُ مِنَ الْقُرْآنِ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ نَزُولَ الْقُرْآنِ يَزِيدُ الْكَافِرَ وَالْمُنَافِقَ مَرَضًا بِمَعْنَى: كُفْرًا وَشُكًّا، فَيَنْشَأُ عَنْهُ الْمَرَضُ الْحَسِيُّ، كَمَا يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ إِيْمَانًا، فَيَنْشَأُ عَنْهُ الْبَهْجَةُ وَالسُّرُورُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْتُ سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَؤُلَاءِ إِيْمَانًا...﴾ [التوبة: ١٢٤] الْآيَاتِ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّ الْمُرَادَ بِمَا أَنْزَلَهُ أَي: فِي حَقِّهِمْ مِنْ فَضِيحَتِهِمْ، خُصُوصًا سُورَةَ (التوبة)؛ فَإِنَّهَا تُسَمَّى الْفَاضِحَةَ.

قَوْلُهُ: (مُؤْلَمٌ) يُقْرَأُ اسْمٌ مَفْعُولٌ؛ أَي: الْعَذَابُ يُتَأَلَّمُ مِنْ شِدَّتِهِ، فَكَأَنَّهُ لِيَشْدَتْهُ كَأَنَّ الْأَلَمَ قَامَ بِهِ، وَهُوَ أَبْلَغُ، وَيَصَحُّ قِرَاءَتُهُ اسْمٌ فَاعِلٌ، وَلَا بِلَاغَةَ فِيهِ^(١).

قَوْلُهُ: (أَي: نَبِيَّ اللَّهِ) إِشَارَةٌ إِلَى الْمَفْعُولِ، وَقَوْلُهُ: (أَي: فِي قَوْلِهِمْ) إِشَارَةٌ إِلَى الْمُتَعَلِّقِ عَلَى الْقِرَاءَةِ الثَّانِيَةِ.

قَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ شُرُوعٌ فِي ذِكْرِ قَبَائِحِهِمْ وَأَحْوَالِهِمُ الشَّنِيعَةِ، وَفِي الْحَقِيقَةِ هُوَ تَفْصِيلٌ لِلْمُخَادَعَةِ الْحَاصِلَةِ مِنْهُمْ، وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ يَحْتَمِلُ أَنَّهَا اسْتِثْنَائِيَّةٌ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّهَا مَعْطُوفَةٌ عَلَى ﴿يَكْذِبُونَ﴾، أَوْ عَلَى صِلَةِ (مَنْ) وَهِيَ ﴿يَقُولُ﴾، التَّقْدِيرُ: مِنْ صِفَاتِهِمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: آمَنَّا... إلخ، وَمِنْ صِفَاتِهِمْ أَنَّهُمْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ: لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ... إلخ. وَأَصْلُ (قِيلَ): قَوْلٌ، اسْتَثْقَلَتِ الْكُسْرَى عَلَى الْوَاوِ، فَثَقُلَتْ إِلَى مَا قَبْلَهَا بَعْدَ سَلْبِ حَرَكَتِهَا، ثُمَّ وَقَعَتِ الْوَاوُ سَاكِنَةً بَعْدَ كُسْرَى قُلْبَتِ

(١) لِأَنَّ الْإِسْنَادَ حِينَئِذٍ حَقِيقِي، وَالبلاغة في الإسناد المجازي، وهو حاصل بقراءته اسمٌ مفعول، كما أفاده في «الفتوحات» (١/١٧).

قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ

بِالْكُفْرِ وَالتَّعْوِيقِ عَنِ الْإِيمَانِ، ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ وليس ما نحن فيه بفسادٍ، قال الله تعالى ردًّا عليهم:

﴿١٢﴾ - أَلَا - لِلتَّنْبِيهِ - ﴿إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بِذَلِكَ.

﴿١٣﴾ - وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ ﴾: أصحابُ النَّبِيِّ ﷺ،

حاشية الصاوي

ياء، وفاعل القول قيل: الله سبحانه وتعالى، وقيل: النبي والصحابه، ومَقُولُ القول جملة ﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ في محل نصب، وهي نائبُ الفاعل باعتبار لفظها.

قوله: (بالكفر) الباء: سببية، بيانٌ لسبب الإفساد، وقوله: (والتعويق عن الإيمان) معطوف عليه، أي: تعويق الغير عن الإيمان وصدّهم عنه.

قوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ أي: ليس شأننا الإفساد أبداً، بل نحن محصورون في الإصلاح، ولا نخرج عنه إلى غيره، فهو من حَضَرِ المبتدأ في الخبر، وأكّدوا ذلك بـ(إنما) المفيدة الحصر، وبالجمله الاسمية المفيدة الدوام والاستمرار، فردّ عليهم سبحانه وتعالى بجمله مؤكّدة بأربع تأكيدات: (ألا) التي للتنبيه، و(إنّ)، وضمير الفصل، وتعريف الخبر.

قوله: (للتنبيه) وتأتي أيضاً للاستفتاح، وللعرض، والتّحضيض، وفي الحقيقة الاستفتاح والتنبيه شيء واحد، وتدخل إذا كانت لهما على الجمله الاسمية والفعلية، وأما إذا كانت للعرض أو التحضيض فإنها تختصّ بالأفعال؛ وهي بسيطة على التحقيق، لا مركبة من همزة الاستفهام و(لا) النافية.

قوله: ﴿وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك) أي: ليس عندهم شعور بالإفساد؛ لطمس بصيرتهم، وعبر بالشعور دون العلم؛ إشارة إلى أنهم لم يصلّوا إلى رتبة البهائم؛ فإن البهائم تمتنع من المضارّ فلا تقرّبها؛ لشعورها، بخلاف هؤلاء.

قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ مقولُ القول، قوله: ﴿ءَامِنُوا﴾ وهو نائب الفاعل، وفاعل القول قيل: الله، وقيل: النبي وأصحابه؛ كما تقدّم.

قوله: (أصحاب النبي) أشار بذلك إلى أنّ (أل) في ﴿النَّاسُ﴾ للعهد العلمي الخارجي، ويحتمل أن تكون (أل) للكمال؛ أي: الناسُ الكاملون.

قَالُوا أَنْتُمْ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ

﴿قَالُوا أَنْتُمْ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ﴾: الجُهَّالُ، أي: لا نفعلُ كفعليهم، قال تعالى ردًّا عليهم: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

﴿وَإِذَا لَقُوا﴾ - أصله: لَقِيتُ، حُذِفَتِ الضَّمَّةُ لِلِاسْتِثْقَالِ، ثُمَّ الْيَاءُ لِالِتِقَائِهَا سَاكِنَةً مع الواو - ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا﴾ مِنْهُمْ وَرَجَعُوا ﴿إِلَى شَيَاطِينِهِمْ﴾:
حاشية الصاوي

قوله: ﴿قَالُوا﴾ (أي: فيما بينهم، وإلا فلو قالوا ذلك جهاراً لظهر كفرهم وقتلوا).

قوله: (الجهال) أي: بناءً على أن السُّفَهَاءَ ما قابل العلم، ويصحُّ أن المراد به نقصُ العقل؛ بناءً على أنه ما قابل الحِلْمَ؛ فإن الصحابة أنفقوا أموالهم في سبيل الله حتى افتقروا وتحملوا المشاقَّ، فسمَّوهم سُفَهَاءَ لذلك.

قوله: (ردًّا عليهم) أي: بجملة مؤكدة بأربع تأكيدات كالأولى.

قوله: ﴿وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (ذلك) أي: السُّفَهَاءُ، أو عِلْمُ النبي يسفهمهم، وعبرَ هنا بالعلم إشارةً إلى أن السُّفَهَاءَ معقول، بخلاف الفساد، فإنه مشاهد؛ فلذلك عبرَ هنا بالعلم وهناك بالشعور.

قوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا﴾ (سببُ نزول هذه الآية: أن أبا بكر وعمرَ وعليًّا توجَّهوا لعبد الله ابن سَلُولٍ لعنه الله، فقال له أبو بكر: هلمَّ أنت وأصحابك وأخلصْ معنا، فقال له: مرحباً بالشيخ والصديق، ولعمر: مرحباً بالفاروق القوي في دينه، ولعلي: مرحباً بابن عمِّ النبي، فقال له عليٌّ: اتقِ الله ولا تنافق، فقال: ما قلتُ ذلك إلا ليكون إيماني كإيمانكم، فلما توجَّهوا قال لجماعته: إذا لقوكم فقولوا مثل ما قلتُ، فقالوا: لم نزل بخير ما عشتَ فينا^(١). و(إذا): ظرف منصوب بـ﴿قَالُوا﴾.

قوله: (وأصله: لَقِيتُ) أي: على وزن شَرَبُوا.

قوله: (حذفت الضمة) لم يُكْمَلِ التصريف، وتماثته: ثم ضُمَّتِ القافُ للمناسبة.

قوله: (منهم) أشار بذلك إلى أن متعلِّق (خلا) محذوف، وقوله: ﴿إِلَى شَيَاطِينِهِمْ﴾ متعلِّقٌ بمحذوف أيضاً، قدَّره المفسِّر بقوله: (ورجعوا)، ويحتمل - كما قال البيضاوي - أن (خلا) بمعنى:

(١) رواه بنحوه الواحد في «أسباب النزول» (٢٤)، ونعت السيوطي إسناده في «اللباب النقول» (ص ٨) بأنه وادَّجداً.

قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ ...

رُؤَسَائِهِمْ ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ في الدين، ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ بِهِمْ بإظهار الإيمان.
 ﴿١٥﴾ ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾: يُجَارِزُهُمْ بِاسْتِهْزَائِهِمْ، ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾: يُمِيلُهُمْ ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾
 بِتَجَاوُزِهِمُ الْحَدَّ فِي الْكُفْرِ، ﴿يَعْمَهُونَ﴾: يَتَرَدَّدُونَ تَحِيرًا، - حَالٌ -.

حاشية الصاوي

انفرد^(١)، و(إلى) بمعنى (مع) أي: انفردوا مع شياطينهم، ولا حذف فيه، وأصل (خلّوا): خلّوا
 بواوين، الأولى لام الكلمة، والثانية علامة الإعراب، قلبت لام الكلمة ألفاً؛ لتحركها وانفتاح
 ما قبلها، فبقيت ساكنة وبعدها واو الضمير ساكنة، فحذفت وبقيت الفتحة دالةً عليها.

قوله: (رؤسائهم) إنما سُمّوا شياطين؛ لأن كل رئيسٍ منهم معه شيطانٌ يُوسوس له ويعلمه
 المكر، وقيل: لأنهم كالشياطين في الإغواء، ورؤساؤهم في ذلك الوقت خمسة: كعب بن الأشرف
 في المدينة، وعبد الدار في جُهينة، وأبو بُردة في بني أسلم، وعوف بن عامر في بني أسد،
 وعبد الله بن الأسود في الشام^(٢).

قوله: (يجازيهم باستهزائهم) إنما سُمّي المجازاة استهزاءً من باب المشاكلة، والاستهزاء:
 الاستخفاف بالشيء.

قوله: (يمهلهم) أتى بذلك دفعاً لما يُتوهم من أن المجازاة واقعةٌ حالاً، وحكمة الإمهال مذكورةٌ
 في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُكَلِّهِمْ لِيُزِدَادُوا إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨]، إلى غير ذلك من الآيات.

قوله: (بالكفر) الباء: سببية؛ أي: تجاوزهم الغاية بسبب الكفر.

قوله: (حَالٌ) أي: جملة ﴿يَعْمَهُونَ﴾، وهي إما حال من الهاء في ﴿يَمُدُّهُمْ﴾، أو من الهاء
 في ﴿طُغْيَانِهِمْ﴾، والمراد بالعمه: عدمُ معرفة الحق من الباطل، فمنهم مَنْ يظهر له وجه الحق ويكفر
 عناداً، ومنهم من يشك في الحق، ويُقال له: عمى أيضاً، فبين العمه والعمى عموم وخصوصٌ
 مطلق؛ يجتمعان في طمس القلب، ويُنفرد العمى بفقد البصر، وقوله: (تحيراً) إما مفعول لأجله،
 أو تمييز.

(١) «تفسير البضاوي» (١/٤٧).

(٢) في «المحبر» (ص ٣٩٠): (ابن السوداء - لا الأسود - من بني الحارث بن سعد هذيم بالشام، وهو جد هذبة بن خشرم
 الشاعر).

أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ فَمَا رِجَحْتَ بِخَبَرُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ

﴿١٦﴾ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ﴾ أي: استبدلوا بها، ﴿فَمَا رِجَحْتَ بِخَبَرُهُمْ﴾ أي: ما ربحوا فيها بل خسرُوا لِمَصِيرِهِمْ إلى النَّارِ الْمُؤَبَّدَةِ عَلَيْهِمْ، ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ فيما فعلُوا.

﴿١٧﴾ ﴿مَثَلُهُمْ﴾: صِفَتُهُمْ فِي نِفَاقِهِمْ

حاشية الصاوي

قوله: (استبدلوا بها) أشار بذلك إلى أن المراد بالشراء: مُطلق الاستبدال، والباء داخلَةٌ على الثمن، والمراد بالضلالة: الكفر، وبالهدى: الإيمان، وكلامه يقتضي أن الهدى كان موجوداً عندهم، ثم دَفَعُوهُ وأخذوا الضلالة، وهو كذلك؛ لقوله ﷺ: «كُلُّ مولودٍ يُولَدُ على الفطرة حتى يُهودَ أو يُنصرَ أو يمجس». الحديث، ولأنهم في العهد يومَ ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] أجابوا بالإيمان جميعاً.

قوله: (أي: ما ربحوا فيها) أشار بذلك إلى أن إسنادَ الربح للتجارة مجازٌ عقلي، وحقه أن يُسند للتاجر.

قوله: (بل خسروا) أي: الربح ورأس المال جميعاً خُسِرَاناً دائماً، فقوله: (لمصيرهم) علةٌ له، فمثلهم كمثل من عنده كنزٌ عظيمٌ يَنفَعُ في الدنيا والآخرة استبدله بالنار؛ لأن الضلالة سبب للنار.

قوله: ﴿مَثَلُهُمْ﴾ لما بيَّن قبائحهم وعاقبة أمرهم، شرعَ يضرب أمثالهم، ويبيِّن فيه وصفهم وما هم عليه.

قوله: (صفتهم) أشار بذلك إلى أن المثل - بالتحريك - هنا معناه: الصفة، وليس المراد به المثل السائر؛ وهو كلامٌ شَبَّهَ مَضْرِبُهُ بمورده لِغرابته؛ كقولهم: الصيف ضيَّعت اللبن^(٢)، وقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا...﴾ [النحل: ٧٥] الآية، وإنما فسَّره بالصفة ولم يُفسَّره بالمثل بمعنى

(١) كذا في النسخ على لغة، وينحوه رواه البخاري (١٣٨٥)، ومسلم (٢٦٥٨)، والرواية هنا تشبه رواية ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٣١٣١) مرفوعاً: «إنه ليس مولودٌ يُولَدُ إلا على الفطرة، حتى يبلغ فيُعبر عن نفسه، أو يهوده أبواه أو يُنصرانه».

(٢) «مجمع الأمثال» (٦٨/٢)، والتاء فيه مكسورة على حكاية المثل وإن تنوع المخاطب، ونصب (الصيف) على حذف الجار سماعي، والمضرب في تعريف المثل السائر: الحالة التي تشبَّه، والمورد: الحالة المشبَّه بها، وهو من قبيل الاستعارة التمثيلية.

كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ

﴿كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ﴾: أَوْقَدَ ﴿نَارًا﴾ فِي ظُلْمَةٍ، ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ﴾: أَنْارَتْ ﴿مَا حَوْلَهُ﴾ فَأَبْصَرَ وَاسْتَدْفَأَ وَأَمِنَ مِمَّنْ يَخَافُهُ، ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾: أَطْفَأَهُ، - وَجُمِعَ الضَّمِيرُ مُرَاعَاةً حَاشِيَةُ الصَّاوِي

الشبه؛ لئلا يلزم عليه زيادة الكاف، والأصل عدم الزيادة. والجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر (مثل)، التقدير: صفتهم كائنة مثل صفة الذي استوقد ناراً، ويصح في هذه الكاف أن تكون اسماً وهي نفسها هي الخبر، وإنما جُرَّ بها لأنها على صورة الحرف، وأن تكون حرفاً متعلقة بمحذوف، وعلى كل معناها: مثل.

قوله: ﴿اسْتَوْقَدَ﴾ راعى في الإفراد لفظ ﴿الَّذِي﴾، وفي قوله: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ معناه. قوله: (أوقد) أشار بذلك إلى أن السين والتاء زائدتان، لا للطلب؛ لأنه لا يلزم من الطلب الإيقاد بالفعل.

قوله: (في ظلمة) أي: شديدة، وهي ظلمة الليل والسحاب والريح مع المطر. قوله: ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ﴾ الإضاءة: النور القوي، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: ٥]، فقوله: (أنارت) أي: نوراً قوياً، والفاء للترتيب والتعقيب؛ لأن الإضاءة تعقب الإيقاد.

قوله: ﴿مَا حَوْلَهُ﴾ يحتمل أن ﴿مَا﴾ نكرة موصوفة، و﴿حَوْلَهُ﴾ صفة، والضمير عائد على المؤقّد للنار، وفاعل ﴿أَضَاءَتْ﴾ ضمير يعود على النار، ويحتمل أن ﴿مَا﴾ اسم موصول، و﴿حَوْلَهُ﴾ صلته، وهو صفة لموصوف محذوف، تقديره: المكان الذي حوله. قوله: (واستدفاً) أي: امتنع عنه ألم البرد.

قوله: (وأمن ما يخافه) أي: من عدو وسباع وحيات وغير ذلك ممّا يضرُّ، وحينئذٍ فقد تمّ له النفع بالنار.

قوله: ﴿بِنُورِهِمْ﴾ الضمير عائد على متقدّم ضمناً في قوله: ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ﴾؛ إذ المعنى: أنارت؛ على حدّ: ﴿أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٨] (١)، ولم يقل: بضوئهم؛ إشارة إلى انعدام النور بالكلية، بخلاف ما لو عبّر بالضوء؛ لأنه لا يلزم من نفي الأخصّ نفي الأعمّ.

(١) فالضمير ﴿هُوَ﴾ عائد على المصدر المفهوم من الفعل ﴿أَعْدِلُوا﴾ أي: العدل أقرب للتقوى.

وَتَرَكَّهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ ضَمُّكُمْ عَنْكُمْ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾

لِمَعْنَى ﴿الَّذِي﴾ -، ﴿وَتَرَكَّهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ ما حَوْلَهُمْ مُتَحَيِّرِينَ عَنِ الطَّرِيقِ خَائِفِينَ، فَكَذَلِكَ هَؤُلَاءِ؛ أَمِنُوا بِإِظْهَارِ كَلِمَةِ الْإِيمَانِ، فَإِذَا مَاتُوا جَاءَهُمُ الْخَوْفُ وَالْعَذَابُ.

﴿١٨﴾ هُمْ ﴿ضَمُّكُمْ﴾ عَنِ الْحَقِّ فَلَا يَسْمَعُونَهُ سَمَاعَ قَبُولٍ، ﴿بُكُمْ﴾: خُرُسٌ عَنِ الْخَيْرِ فَلَا يَقُولُونَهُ، ﴿عَنْكُمْ﴾ عَنِ طَرِيقِ الْهُدَى فَلَا يَرَوْنَهُ، ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ عَنِ الضَّلَالَةِ.

حاشية الصاوي

والباء: للتعدي كالهزمة؛ فلذلك دخلت على المفعول، ولا تستلزم الباء المصاحبة كالهزمة^(١)، (ذهبُ يزيد) مثلُ: (أذهبُ زيداً)؛ خلافاً للمبرّد، حيث جعلها تُفيد المصاحبة، ورُدَّ عليه بهذه الآية؛ لاستِحالة المصاحبة فيها.

قوله: ﴿وَتَرَكَّهُمْ﴾ عطف على ﴿ذَهَبَ﴾.

قوله: ﴿فِي ظُلُمَاتٍ﴾ أي: ثلاث؛ ظُلُمَةُ اللَّيْلِ، والسحاب، والريح مع المطر^(٢).

قوله: (ما حولهم) هذا هو مفعول ﴿يُبْصِرُونَ﴾، وقوله: (متحيرين) حالٌ من الضمير في (تركهم).

قوله: (فكذلك) أشار بذلك إلى حال المشبّه وهم المنافقون، وقوله: (أمنوا) بالقصر ضد

الْخَوْفِ؛ أي: حيث أسلموا بِالْإِسْتِثْمِ ولم تؤمن قلوبهم فقد آمنوا من القتل والسبي، وانتفعوا بأخذِ الغنائم والزكاة، فإذا ماتوا فقد ذهب الله بنورهم فلم يَأْمَنُوا مِنَ النَّارِ، ولم يَنْتَفِعُوا بِالْجَنَّةِ، وتركهم في ظلمات ثلاث: ظلمة الكفر والنفاق والقبر، والجامع بينهما: أن الانتفاع ودفع المضار في كل شيء قليل، ثم يذهب.

قوله: ﴿ضَمُّكُمْ﴾ خبر لمحذوف، قَدَّرَهُ الْمُفَسِّرُ بقوله: (هم).

قوله: ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ أي: لِفَقْدِ هَذِهِ الْإِدْرَاكَاتِ الثَّلَاثَةِ مِنْ قُلُوبِهِمْ.

(١) أي: كما أن هزمة التعدي لا تُفيد المصاحبة فالباء هنا كذلك، وكونهما سواء أو التعدي بالباء أبلغ؟ خلاف، انظر

بحته عند الإمام السيوطي في «حاشيته على تفسير البيضاوي» (١/٤٢٤).

(٢) وعدَّ في «الفتوحات» (١/٢٢) الثالثة ظلمة انطفاء النار، والجمهور على عدم الجزم بالتعيين، وذكر تفصيلها

للتصوير.

أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْصِعَهُمْ

﴿١٩﴾ ﴿أَوْ﴾ مثْلُهُم ﴿كَصَيْبٍ﴾ أي: كأصحابِ مَطَرٍ، - وأصلُهُ: صَيُوبٌ، مِن (صَابَ يَصُوبُ) أي: يَنْزِلُ - ﴿مِّنَ السَّمَاءِ﴾: السَّحَابِ، ﴿فِيهِ﴾ أي: السَّحَابِ ﴿ظُلُمَاتٌ﴾ مُتَكَاثِفَةٌ، ﴿وَرَعْدٌ﴾ هو الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ، وَقِيلَ: صَوْتُهُ، ﴿وَبَرْقٌ﴾: لَمَعَانُ صَوْتِهِ الَّذِي يَزْجُرُهُ بِهِ، ﴿يَجْعَلُونَ﴾ أي: أصحابُ الصَّيْبِ ﴿أَصْصِعَهُمْ﴾ أي: أَنَامِلُهَا

حاشية الصاوي

قوله: (أو مثلهم) يصح أن تكون (أو) للتنويع، أو للإبهام، أو الشك، أو الإباحة، أو التخيير، أو الإضراب، أو بمعنى الواو، وأحسنها الأول.

قوله: (أي: كأصحاب مطر) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، والمثل هنا بمعنى الصفة كما تقدّم^(١).

قوله: (وأصله: صَيُوبٌ) أي: اجتمعت الواو والياء، وسبقت إحداهما بالسكون، قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء.

قوله: (السحاب) أشار بذلك إلى أن المراد بالسمااء: السماء اللغوية، وهي كل ما ارتفع، وأصل سمااء: سَمَاوٌ، وقعت الواو متطرفة قلبت همزة.

قوله: (أي: السحاب) المناسب عَوْدُ الضمير على الصيب.

قوله: ﴿ظُلُمَاتٌ﴾ أي: ظلمة الريح والسحاب والليل.

قوله: (هو الملك) أي: وعليه قوله تعالى: ﴿وَيَسِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾ [الرعد: ١٣].

قوله: (وقيل: صوته) أي: فقوله تعالى: (يُسِّحُ الرَّعْدُ) أي: ذو الرعد^(٢).

قوله: (لَمَعَانُ سَوْتُهُ) أي: الآلة التي يسوقه بها، وهي من نار.

قوله: (أي: أصحاب الصيب) أي: فهو بيان للواو في ﴿يَجْعَلُونَ﴾.

قوله: (أي: أناملها) أشار بذلك إلى أن في الأصابع مجازاً، من باب: تسمية الجزء باسم الكل، مبالغة في شدة الحرص في إدخال رأس الإصبع، فكأنه مُدْخِلٌ لَهَا كُلِّهَا.

(١) تقدم (١/٩٧).

(٢) ولا يعارض هذا ما هو معروف في علم الأرصاد الجوية من اصطدام الشحنات الكهربائية السالبة بالموجبة؛ لأن الملك هو الذي يُحرك هذه الشحنات بأمر الله تعالى. (ع).

فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَغِ حَدَرَ الْمَوْتُ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا.....

﴿فِي آذَانِهِمْ مِنْ﴾ أَجَلَ ﴿الصَّوَغِ﴾: شِدَّةُ صَوْتِ الرَّعْدِ؛ لِثَلَا يَسْمَعُوهَا؛ ﴿حَدَرَ﴾: خَوْفَ ﴿الْمَوْتِ﴾ مِنْ سَمَاعِهَا، كَذَلِكَ هَؤُلَاءِ؛ إِذَا نَزَلَ الْقُرْآنُ وَفِيهِ ذِكْرُ الْكُفْرِ الْمُشَبَّهِ بِالظُّلُمَاتِ، وَالْوَعِيدِ عَلَيْهِ الْمُسَبَّهِ بِالرَّعْدِ، وَالْحُجَجِ الْبَيِّنَةِ الْمُشَبَّهِةِ بِالْبَرْقِ، يَسُدُّونَ آذَانَهُمْ لِثَلَا يَسْمَعُوهُ فَيَمِيلُوا إِلَى الْإِيمَانِ وَتَرَكُوا دِينَهُمْ، وَهُوَ عِنْدَهُمْ مَوْتُ، ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ عِلْمًا وَقُدْرَةً، فَلَا يَقْوَتْونَهُ.

﴿٢٠﴾ ﴿يَكَادُ﴾: يَقْرُبُ ﴿الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَرَهُمْ﴾: يَأْخُذُهَا بِسُرْعَةٍ، ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا

حاشية الصاوي

قوله: (شدة صوت الرعد) الإضافة بيانية إن كان المراد بالرعد صوت الملك، وحقيقة إن كان المراد به ذاته.

قوله: (كذلك هؤلاء) أي: المنافقون.

قوله: (علمًا وقُدْرَةً) تمييزان محوّلان عن الفاعل، والإحاطة: الاحتواء على الشيء، كاحتواء الظرف على المظروف، وهي محالة في حقه تعالى، فأشار المفسر إلى دفع ذلك بقوله: (علمًا وقُدْرَةً) أي: فالمراد الإحاطة المعنوية، وهي كونهم مقهورين، فلا يتأتى منهم فوات ولا إفلات، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].

قوله: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ﴾ هذا من تمام المثل، أما قوله: ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ فجملة مُعْتَرِضة بين أجزاء المشبه به، جيء بها تسلية للنبي ﷺ.

وأصل (يكاد): يَكُودُ بفتح الواو، نُقِلَتْ فَتْحَةُ الْوَاوِ إِلَى السَّاكِنِ قَبْلَهَا، فَتَحَرَّكَ الْوَاوُ وَانْفَتَحَ مَا قَبْلَهَا قَلْبَتْ أَلِفًا، وَأَصْلُ مَا ضِيهَا: كَوَدَ بِكسر الواو، تَحَرَّكَ الْوَاوُ وَانْفَتَحَ مَا قَبْلَهَا قَلْبَتْ أَلِفًا، وَهَذَا التَّصْرِيفُ فِي النَّاقِصَةِ، وَأَمَّا التَّامَةُ ففِعْلُهَا يَائِي، وَهِيَ بِمَعْنَى الْمَكْرِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥]، وَأَصْلُ مُضَارِعِهَا: يَكِيدُ بِسكون الكاف وكسر الياء، نُقِلَتْ كَسْرَةُ الْيَاءِ إِلَى الْكَافِ فَصَحَّتِ الْيَاءُ.

قوله: ﴿يَخْطَفُ﴾ بفتح الطاء، مضارع (خَطَفَ) بفتح الطاء وكسرهما.

قوله: ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ﴾ (كل): بحسب ما تضاف إليه، و(ما): نكرة بمعنى وقت، ف(كل):

فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

فِيهِ: أي: في ضوئه، ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾: وقفوا، تمثيل لإزعاج ما في القرآن من الحُجَجِ قُلُوبَهُمْ، وتصديقهم لما سمعوا فيه مما يحبون، ووقوفهم عما يكرهون، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾ بمعنى أسماعهم، ﴿وَأَبْصَرَهُمْ﴾ الظاهرة كما ذهب بالباطنة، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾

حاشية الصاوي

ظرفية، والعامل فيها: ﴿مَشَوا﴾، وفاعل ﴿أَضَاءَ﴾ يعود على البرق، و﴿أَضَاءَ﴾: يحتمل أن يكون متعدياً والمفعول محذوف، التقدير: كل وقت أضاء لهم البرق طريقاً مشوا فيه، فالضمير في ﴿فِيهِ﴾ عائد على الطريق، ويحتمل أن يكون لازماً، والضمير عائد على الضوء.

قوله: (تمثيل) أي: من باب تمثيل الجزئيات بالجزئيات، فقوله: (من الحجج) أي: المشبهة بالرعد والبرق الخاطف، وقوله: (وتصديقهم بما سمعوا فيه مما يحبون) أي: من الآيات الموافقة لطبعهم؛ كالقسم لهم من الغنائم، وعدم التعرض لهم وأموالهم، وأشار لذلك بقوله: ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾ فكذلك هؤلاء، وقوله: (ووقوفهم عما يكرهون) أي: من التكاليف كالصلاة والصوم والحج والحكم عليهم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿١٨﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ [النور: ٤٨-٤٩]، وأشار إلى ذلك بقوله: ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾.

قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾ يحتمل أن هذا من تعلقات المشبه به الذي هو أصحاب الصيب، التقدير: لولا مشيئة الله سبقت لخطف البرق أبصارهم، ولأذهب الرعد أسماعهم، فإن ما ذكر سبب عادي لإذهاب السمع والبصر، ولكن قد يوجد السبب ولا يوجد المسبب؛ ليتخلف المشيئة، والمقصود من ذلك زيادة القوة في المشبه به، ويلزم منه القوة في المشبه، وهذا ما عليه أبو حيان والبيضاوي^(١)، ويحتمل أنه من تعلقات المشبه، وهم المنافقون، وعليه المفسر، حيث أشار لذلك بقوله: (كما ذهب بالباطنة).

قوله: (بمعنى أسماعهم) أشار بذلك إلى أن السمع بمعنى: الأسماع.

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ هذا دليل لما قبله^(٢).

(١) «البحر المحيط» (١/٢٣٠)، و«تفسير البيضاوي» (١/٥٣).

(٢) أي: لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ...﴾ الآية.

قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ

شَاءَهُ ﴿قَدِيرٌ﴾، وَمِنْهُ إِذْهَابُ مَا ذُكِرَ.

﴿٢١﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ

حاشية الصاوي

قوله: (شاءه) دفع بذلك ما يُقال: إن الشيء هو الموجود، ومن ذلك ذات الله وصفاته، (كل): للاستغراق، فيقتضي أن القدرة تتعلّق بالواجبات، فدفع ذلك بقوله: (شاءه) أي: أرادته، والإرادة لا تتعلّق إلا بالممكن، فكذا القدرة، فخرجت ذات الله وصفاته، فلا تتعلّق بهما القدرة، وإلا لزم إما تحصيل الحاصل، أو قلب الحقائق.

قوله: ﴿قَدِيرٌ﴾ من القدرة، وهي: صفة أزلية قائمة بذاته تعالى، تتعلّق بالممكنات إيجاباً وإعداماً على وفق الإرادة والعلم.

قوله: (ومنه: إذهاب ما ذكر) أي: من جملة الشيء الذي شاءه، وقوله: (ما ذكر) أي: السمع والبصر.

قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ لم يُنادَ في القرآن إلا بـ(يا)^(١)؛ سواء كان النداء من الله لعباده، أو منهم لله، وهي لنداء البعيد، ولما كان الله لا يشبه شيئاً من الحوادث - وهو منزّه عنهم ذاتاً وصفات وأفعالاً - نُودي بـ(يا) تنزيلاً للبُعْد المعنوي منزلة البُعْد الحسي، ولما كان البُعْد قائماً بالحوادث - للحُجُب الموجودة بينهم وبين الله سبحانه وتعالى - ناداهم بـ(يا) أيضاً.

و (يا): حرف نداء، و(أي): منادى مبني على الضم، و﴿النَّاسُ﴾: نعت لـ(أي) باعتبار اللفظ، وهو مرفوع بضمّة ظاهرة^(٢)، واستشكل ذلك بأن العامل إنما طلب النصب لا البناء على الضم، وإنما هو اصطلاح للنحاة، فما وجه رفع (الناس) مع أن القاعدة: أن النعت تابع للمنعوت في الإعراب؟ وهذا الإشكال قديم لا جواب له.

واعلم: أن النداء على سبعة أقسام: نداء تنبيه مع مدح كـ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ [الأنفال: ٦٤]، أو مع ذم كـ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ هَادُوا﴾ [الجمعة: ٦]، أو تنبيه محض كـ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ﴾ [الأنفطار: ٦]، أو إضافة

(١) الدر المصون (١/١٨٥).

(٢) فالضمّة فيه حركة إعراب لا بناء كما أفاده في «الفتوحات» (١/٢٥)، ولا يجوز النصب على المحل إلا عند المازني، وهو ضعيف، فهي صفة يلزم رفعها، وهذا هو سبب الإشكال الآتي.

اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾

أي: أهل مكة ﴿اعْبُدُوا﴾: وَحَدُّوا ﴿رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾: أنشأكم ولم تكونوا شيئاً، ﴿وَوَخَلَقَ﴾ ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ بِعِبَادَتِهِ عِقَابَهُ، - (وَلَعَلَّ) في الأصل لِلتَّرَجِّي،

حاشية الصاوي

كـ ﴿بِعِبَادَتِهِ﴾ [العنكبوت: ٥٦]، أو نسبة كـ ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٣٠]، أو تسمية كـ ﴿يَنْدَارُودُ﴾ [ص: ٢٦]، أو تخصيص كـ ﴿يَتَأَهَّلَ الْكَتَّابُ﴾ [آل عمران: ٦٤]^(١).

قوله: (أي: أهل مكة) يصحُّ رفع (أهل) نظراً للفظ ﴿النَّاسُ﴾، ونصبه نظراً لمحل (أي)؛ لأن لما بعد (أي) في الإعراب حُكْمٌ ما فسَّرته.

قوله: (وَحَدُّوا) هذا تفسير للعبادة، والمفسِّر قد تبع في تفسير (الناس) بأهل مكة والعبادة بالتوحيد ابن عباس^(٢)، وقال جمهور المفسِّرين: إن المراد بالناس: جميعُ المكلفين، وبالعبادة: جميعُ أنواعها أصولاً وفروعاً، وهو أشْمَلُ، واستدل المفسِّر بقاعدة: إن ما قيل في القرآن بـ ﴿يَتَأَهَّلُهَا النَّاسُ﴾ كان خطاباً لأهل مكة، و﴿يَتَأَهَّلُهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ كان خطاباً لأهل المدينة^(٣)، وهي قاعدة أغلبية؛ فإن السورة مدنية.

قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ (صفة لـ (رب))، وتعليقُ الحكم بمشتق يُؤذَن بالعلية؛ أي: اعبدوه لخلقِهِ إياكم؛ فإنه هو الذي يُعْبَد لا غيره.

قوله: (عقابه) إشارة إلى مفعول ﴿تَتَّقُونَ﴾.

قوله: (ولعل في الأصل للترجِّي) أي: أصل اللغة، والترجِّي هو: توقُّعُ الأمر المحبوب على سبيل الظَّن.

(١) «الفتوحات الإلهية» (٢٦/١) نقلاً عن «حاشية الكرخي على الجلالين».

(٢) أما تفسير العبادة بالتوحيد فقد رواه عنه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢١٦)، والطبري في «تفسيره» (٣٦٣/١)، وجاء تفسير الناس عنه بالفريقين من الكفار والمنافقين - لا جميع المكلفين - عند الطبري في الخبر نفسه، وعند ابن أبي حاتم (٢١٥).

(٣) كما روى الحاكم في «المستدرک» (١٨/٣) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (ما كان «يا أيها الذين آمنوا» أنزل بالمدينة، وما كان «يا أيها الناس» فيمكة)، وانظر: «الدر المنثور» (٨٤/١).

الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ

وفي كلامه تعالى لِلتَّحْقِيقِ ..

﴿٢٢﴾ الَّذِي جَعَلَ: خَلَقَ ﴿لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ - حالٌ -: بِسَاطًا يُفْتَرَشُ، لا غَايَةَ فِي الصَّلَابَةِ أَوِ اللَّيُونَةِ فلا يُمكنُ الإِسْتِقْرَارُ عَلَيْهَا، ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾: سَقْفًا، ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ أنواعٌ ﴿الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ تَأْكُلُونَهُ وَتَعْلِفُونَ بِهِ دَوَابَّكُمْ،

حاشية الصاوي

قوله: (وفي كلامه تعالى لِلتَّحْقِيقِ) أي: ومثلها (عسى) كما قال سيبويه^(١)، ودفع بذلك ما يُتَوَهَّمُ من معنى (لعل) كون المولى سبحانه وتعالى جاهلاً بالأمور المستقبلية، وأتى به على صورة الترجي بالنسبة لحال المخاطبين، لا لخبر الله؛ فإنه من قَبِيلِ الوعد، وهو لا يتخلف.

قوله: (خلق) أي: فتنصبُ مفعولاً واحداً وهو الأرض، وقوله: ﴿فِرَاشًا﴾ حال كما قال المفسر، ويحتمل أنها على بابها بمعنى: صَيَّرَ، فيكون ﴿فِرَاشًا﴾ مفعولاً ثانياً، والمراد على الثاني التصيير من عَدَم.

قوله: (فلا يمكن الاستقرار عليها) مُفْرَعٌ على المنفي بِشَقِيهِ.

قوله: (سقفًا) أي: وقد صرَّح به في آية: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾ [الأنبياء: ٣٢].

قوله: ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ أي: اللغوية، وهي ما علا وارتفع، والمراد: السحاب.

قوله: ﴿مَاءً﴾ هو من الجنة، فينزل بمقدار على السحاب، وهو كالغُرْبَالِ، ثم يُسَاقُ حيث شاء الله على مختار أهل السنة، وقالت المعتزلة: إن السحاب له خراطيم كالإبل، فينزل يشرب من البحر المِلْحَ بمقدار، ويرتفع في الجو، فتتسفه الرياح فيحلُّو، ثم يُسَاقُ حيث شاء الله^(٢).

قوله: ﴿الثَّمَرَاتِ﴾ أي: المأكولات لجميع الحيوانات؛ بدليل قول المفسر: (وتعلفون به دوابكم)، والمراد بها: ما دبَّ على وجه الأرض غيرَ الآدمي.

(١) كذا في «الفتوحات» (٢٦/١) نقلاً عن الكرخي، وكون (عسى) للتحقيق في كلامه سبحانه نقله أبو حيان في «البحر»

(٢/١٥٣)، والسمين في «الدر المصون» (٣٨٨/٢)، وسيأتي تمام الحديث عن ذلك (١/٥٤٦).

(٢) هذه التفسيرات بناء على النظريات الشائعة في أيامهم، وليس في القرآن أو السنة الصحيحة شيء من ذلك، والله

أعلم. (ع).

فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ

﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ : شركاء في العبادة ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ : أنه الخالق ولا يخلقون، ولا يكون إلهاً إلا من يخلق.

﴿٢٣﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ :

حاشية الصاوي

قوله : ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ (لا) : ناهية، والفعل مجزوم بحذف النون، والواو : فاعل، و﴿أَنْدَادًا﴾ : مفعول أول مؤخر، و﴿لِلَّهِ﴾ : جارٌّ ومجرور متعلق بمحذوف مفعول ثانٍ مُقَدَّم واجب التقديم؛ لأن المفعول الأول في الأصل نكرة، ولم يوجد له مُسَوِّغٌ إلا تقديم الجار والمجرور. ومعنى ﴿تَجْعَلُوا﴾ : تُصَيِّرُوا أو تُسَمُّوا، وعلى كلِّ فهي متعدية لمفعولين، والفاء : سببية. و(الأنداد) : جمع نِدٍّ، معناه : المقاوم المضاهي؛ سواء كان مثلاً أو ضدّاً أو خلافاً.

قوله : ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (جملة من مبتدأ وخبر في محل نصب على الحال، وقوله : (أنه الخالق) بفتح الهمزة في تأويل مصدر سدّت مسدّ مفعولي ﴿تَعْلَمُونَ﴾ أي : تعلمونه خالقاً. قوله : (ولا يكون إلهاً إلا من يخلق) هذا هو تمام الدليل، قال تعالى : ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل : ١٧].

قوله : ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ استشكلت هذه الآية بوجوه ثلاثة :

الأول : أن (إن) تقلبُ المضِيَّ إلى الاستقبال، ولو كان الفعل (كان)، خلافاً للمبرد القائل بأنها لا تقلبه إذا كان الفعل (كان)^(١)، واحتجَّ بهذه الآية، فيقتضي أن الريب مستقبلٌ وليس حاصلاً الآن مع أنه حاصل. أُجيب عنه : بأن الاستقبال بالنسبة للدوام، والمعنى : إن دُمْتُمْ على الريب. الوجه الثاني : أن (إن) للشكِّ، فيفيد أن ريبهم مشكوكٌ فيه مع أنه مُحَقَّقٌ. أُجيب : بأنه أتى بـ(إن) إشارةً للائق؛ أي : اللائق والمناسب ألا يكونَ عندكم ريب.

الوجه الثالث : أن قوله : ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ أي : شكٌّ في أنه من عند الله أو من عند محمد^(٢)، فليس عندهم جزمٌ بأنه من عند محمد، وقوله : ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ يفيد أن عندهم جزمًا

(١) الدر المصون (١/١٩٧).

(٢) وخبر (أن) عند العلامة الجمل في «فتوحاته» (١/٢٧) هو : (يقتضي أنهم شاكّون)، أو حذفه اعتماداً على اللحاق أو السياق.

مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ.....

شَكَّ ﴿مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ مُحَمَّدٌ مِّنَ الْقُرْآنِ أَنَّهُ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ، ﴿فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾. أي: المُنَزَّل، و﴿مِّن﴾ لِلْبَيَانِ أَي: هِيَ مِثْلُهُ.....

حاشية الصاوي

بأنه من عند محمد، فبين أول الآية وآخرها تنافٍ؟ أجيب: بأنه أشار في أول الآية إلى عقيدتهم الباطنيّة، وفي آخرها إلى عنادهم لإظهار الإغاطة له ﷺ، فلا يخلو حالهم الباطن إما أن يكون عندهم شك في أنه من عند الله، أو تحقيق بأنه من عند الله، وإنما إظهارهم الجزم بأنه ليس من عند الله عناداً.

قوله: (شك) جعل الشك ظرفاً لهم؛ إشارة إلى أنه تمكّن منهم تمكّن الظرف من المظروف.

قوله: ﴿مِمَّا نَزَّلْنَا﴾ (من): حرف جر، و(ما): اسم موصول أو نكرة موصوفة، والعائد محذوف، والجملة صلة أو صفة، والجار والمجرور صفة لـ ﴿رَبِّ﴾، التقدير: في رب كائن من الذي نزلناه، أو في رب كائن من كلام نزلناه.

قوله: ﴿عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ الإضافة للتشريف، وقُرئ: (على عبادنا)^(١)، فعلى هذه القراءة المراد بالجمع: محمد وأُمَّته؛ لأن المكذب لمحمد مكذب لأُمَّته.

قوله: (من القرآن) بيان لـ (ما).

قوله: (أنه من عند الله) الكلام على حذف الجار؛ أي: بأنه.

قوله: ﴿فَأَتُوا﴾ أصله: اتَّبِعُوا بهمزيّن، الأولى للوصل، والثانية فاء الكلمة، وقعت الثانية ساكنة بعد كسرة قلبت ياءً، استثقلت الضمة على الياء التي هي لام الكلمة، فحذفت الياء لالتقاء الساكنين، وضُمَّت التاء للتجانس، وفي الدَّرج تُحذف همزة الوصل، وتعود الهمزة التي قلبت ياءً كما هنا، ﴿فَأَتُوا﴾ على وزن (فأفَعُوا).

قوله: (أي: المنزّل) أي: وهو القرآن، ويشهد لهذا التفسير ما في سورة (يونس): ﴿قُلْ فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ [يونس: ٣٨]، ويحتمل أن الضمير عائذ على (عبدنا) الذي هو محمد؛ أي: فاتوا بسورة من رجل مثل محمد في كونه أمياً بشراً عربياً؛ فإنكم مثله، وحيث كان كذلك فلا بُعْد في مناظرته.

قوله: (و﴿مِّن﴾: للبيان) ويحتمل أن تكون للتبعيض، والأوّل أقرب.

وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا

في البلاغة وحسن النظم والإخبار عن الغيب، والسورة: قِطْعَةٌ لَهَا أَوَّلٌ وَآخِرٌ، أَقْلُهَا ثَلَاثُ آيَاتٍ، ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾: أَلْهَيْتُكُمْ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أَي: غَيْرِهِ لِتُعِينَكُمْ، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فِي أَنَّ مُحَمَّدًا قَالَهُ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ فافْعَلُوا ذَلِكَ؛ فَإِنَّكُمْ عَرَبِيُونَ فَصَحَاءُ مِثْلُهُ. وَلَمَّا عَجَزُوا عَنْ ذَلِكَ قَالَ تَعَالَى:

﴿٢٤﴾ ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ مَا ذَكَرَ لِعَجَزِكُمْ، ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ ذَلِكَ أَبَدًا لِظُهُورِ إِعْجَازِهِ،

حاشية الصاوي

قوله: (في البلاغة) هذا بيان لَوَجْهِ المماثلة.

قوله: (أقلها ثلاث آيات) ليس من تمام التعريف، بل هو بيان للواقع؛ فَإِنَّ أَقْصَرَ سُورَةٍ ثَلَاثُ آيَاتٍ، وَلَوْ فُرضَ أَنَّهَا آيَتَانِ لَعَجَزُوا أَيْضًا.

قوله: (أي: ألهيتكم) إِنَّمَا سُمُّوا شُهَدَاءَ؛ لِزَعْمِهِمْ أَنَّهُمْ يَشْهَدُونَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

قوله: (أي: غيره) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ (دُون) بِمَعْنَى: غَيْرٍ، وَالْمَعْنَى: ادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ الَّذِينَ اتَّخَذْتُمُوهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ أَوْ آلِهَةً، وَزَعَمْتُمْ أَنَّهَا تَشْهَدُ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقَوْلُهُ: ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ وَصِفْتُ لَشُهَدَاءٍ أَوْ حَالٍّ مِنْهُ، وَهُوَ عَلَى زِيَادَةِ (مِنْ) إِذْ تَقْدِيرُهُ: شُهَدَاءُكُمْ الَّتِي هِيَ غَيْرُ اللَّهِ، أَوْ حَالٌّ كَوْنُهَا مُغَايِرَةٌ لِلَّهِ، وَقَوْلُهُ: (لِتُعِينَكُمْ) عِلَّةٌ لِقَوْلِهِ: (ادْعُوا).

قوله: ﴿فَافْعَلُوا﴾ إِشَارَةٌ إِلَى جَوَابِ الشَّرْطِ الثَّانِي، وَأَمَّا جَوَابُ الْأَوَّلِ فَهُوَ مَذْكُورٌ بِقَوْلِهِ: ﴿فَاتَّوُوا﴾، هَكَذَا قَالَ الْمَفْسِّرُ، لَكِنْ سَيَأْتِي لَهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ أَلْدَارُ الْآخِرَةُ...﴾ [البقرة: ٩٤] آيَةً، وَلِلْمَحَلِّيِّ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَتَّخِذُ الَّذِينَ هَادُوا...﴾ [الجمعة: ٦] آيَةً: أَنَّهُ إِذَا اجْتَمَعَ شَرْطَانِ وَتَوَسَّطَ بَيْنَهُمَا جَوَابٌ كَانَ لِلْآخِرِ، وَالْأَوَّلُ قَيْدٌ فِيهِ، وَلَا يَحْتَاجُ لَجَوَابٍ ثَانٍ، وَالتَّقْدِيرُ فِي آيَةِ: إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي دَعْوَاكُمْ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ مُحَمَّدٍ وَدُثِّمَ عَلَى الرِّيبِ فَاتَّوُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ، وَهُوَ أَوْلَى؛ لِعَدَمِ التَّقْدِيرِ.

قوله: (فإنكم عربيون) عِلَّةٌ لِقَوْلِهِ: ﴿فَافْعَلُوا﴾.

قوله: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ (إِنْ): حَرْفُ شَرْطٍ، وَ﴿لَمْ﴾: حَرْفُ نَفْيٍ وَجَزْمٍ وَقَلْبٍ، وَ﴿تَفْعَلُوا﴾: مَجْزُومٌ بِ﴿لَمْ﴾، وَعَلَامَةُ جَزْمِهِ حَذْفُ النُّونِ، وَالْجُمْلَةُ مِنَ الْجَازِمِ وَالْمَجْزُومِ فِي مَحَلِّ جَزْمٍ فِعْلٌ الشَّرْطِ،

فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ

- اعتراضٌ -، ﴿فَاتَّقُوا﴾ بالإيمان بالله وأنه ليس من كلام البشر ﴿النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ﴾: الكُفَّارُ ﴿وَالْحِجَارَةُ﴾ كأصنامهم منها، يعني أنها مفرطة الحرارة تتقد بما ذُكر، لا كنار الدنيا حاشية الصاوي

وقوله: ﴿فَاتَّقُوا﴾ جواب الشرط، وقرن بالفاء لأنه فعلٌ طلبي.

قوله: (أبدأ) أخذ التأييد من قرينة خارجية، لا من (لن)، خلافاً للزمخشري^(١).

قوله: (اعتراض) أي: جملة مُعْتَرِضة بين فعل الشرط وجوابه، قصد بها تأكيد العجز، وليس معطوفاً على جملة ﴿لَنْ تَقْعَلُوا﴾.

قوله: (وأنه) بفتح الهمزة على حذف الجار؛ أي: وبأنه.

قوله: ﴿الَّتِي وَقُودُهَا﴾ بفتح الواو ما تُوقد به، وأما بالضم فهو الفعل، وقيل بالعكس، على حد ما قيل في الوضوء والظهور والسحور.

قوله: (كأصنامهم منها) إنما خصَّ الأصنام بكونها من الحجارة مُسَايِرَةً لِلآيَةِ، وإلا فالأصنام مطلقاً تدخل النار، قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، ويُستثنى من ذلك عيسى والعزير وكلُّ معبود من الصالحين، وإنما دخلت الأصنام النار وإن كانت غير مكلفة؛ إهانةً لِعِبَادِهَا وليَعَذِّبُوا بها، لا لِيُعَذِّبَهَا.

قوله: (بما ذكر) أي: بالناس الكفار والحجارة.

قوله: (لا كنار الدنيا) أي: كما ورد: «أن نار الدنيا قطعة من جهنم غُمست في البحر سبع مرَّات^(٢)»، ثم بعد أخذها أُوقد على جهنم ثلاثة آلاف سنة، ألفٌ حتى ابيضَّت، وألفٌ حتى احمرَّت، وألفٌ حتى اسودَّت، فهي الآن سوداء مظلمة^(٣).

(١) ونص الزمخشري في «كشافه» (١٠١/١): «(لا) و«لن» أختان في نفي المستقبل، إلا أن في «لن» تأكيداً وتشديداً، والعلامة ابن عاشور في كلامه ما يُشعر تفسيره التوكيد بالتأييد، ثم قال في «التحرير والتنوير» (٣٤٢/١): (من قال من النحاة: إنها لا تفيد تأكيداً ولا تأييداً فقد كابر) مُعْتَمِداً رحمه الله على الاستقراء.

(٢) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٧٤٦٣) من حديث أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: «ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، ضربت بماء البحر، ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعةً لأحد».

(٣) رواه الترمذي (٢٥٩١).

أَعَدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ

تَتَّقِدُ بِالْحَطَبِ وَنَحْوِهِ، ﴿أَعَدَّتْ﴾: هُيَّتْ ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ يُعَذَّبُونَ بِهَا، - جُمْلَةٌ مُسْتَأْنَفَةٌ أَوْ حَالٌ لَازِمَةٌ ..

﴿٢٥﴾ ﴿وَبَشِّرِ﴾: أَخْبِرِ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: صَدَّقُوا بِاللهِ ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ مِنْ الْفُرُوضِ وَالنَّوَافِلِ ﴿أَنَّ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (جملة مستأنفة... إلخ) أشار بذلك إلى أن هذه الجملة لا ارتباط لها بما قبلها، وقعت في جواب سؤال مقدر، تقديره: هذه النار التي وقودها الناس والحجارة لمن؟ قوله: (أو حال لازمة) أي: والتقدير: فاتَّقوا النار حال كونها مُعَدَّةٌ ومهيَّئةٌ للكافرين، ودفع بقوله: (لازمة) ما قيل: إنها مُعَدَّةٌ للكافرين اتَّقُوا أم لم يتقوا^(١).

قوله: ﴿وَبَشِّرِ﴾ جَرَتْ عادة الله في كتابه أنه إذا ذكر ما يتعلق بالكافرين وأحوالهم وعاقبة أمرهم يذكر بِلصقه ما يتعلق بالمؤمنين وأحوالهم وعاقبة أمرهم؛ فإن القرآن نُزِّلَ لهذين الفريقين، والبشارة: هي الخبر السارُّ، سُمِّيَ الخبر بذلك لِإِطْلَاقِ الْبَشْرَةِ والفرح والسرور عنده. والأمر لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وهو للوجوب؛ لأن البشارة من جملة ما أمر بِتَبْلِيغِهِ، ويحتمل أن الأمر عامٌّ له ولكلِّ مَنْ تَحَمَّلَ شَرْعَهُ كَالْعُلَمَاءِ.

قوله: (أخبر) مشى المفسر على أن معنى البشارة: الخبر مطلقاً، لكن غلبَ في الخير، وضده على النذارة، وأما قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ فمن باب التشبيه بجائع أن كلاً صادرٌ من المولى، وهو لا يتخلف.

قوله: (صدقوا بالله) إنما اقتصر على ذلك؛ لأنه يلزم من التصديق بالله التصديق بما أخبر به على لسان رُسله.

قوله: ﴿الصَّالِحَاتِ﴾ وصفٌ جرى مجرى الأسماء، فلذلك صحَّ إسنادُ العوامل له، فلا يُقال: إنه صفة لموصوف محذوف؛ أي: الأعمال الصالحات.

قوله: (من الفروض) أي: كالصَّلوات الخمس، وصيام رمضان، والحج في العمر مرةً، وزكاة الأموال، والجهاد إذا فجأ العدو، وقوله: (والنوافل) أي: كصلاة التطوع وصومه، ومواساة الفقراء،

لَمْ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

أي: بِأَنَّ ﴿لَمْ جَنَّتٍ﴾: حَدَائِقَ ذَاتَ شَجَرٍ وَمَسَاكِينَ، ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾ أي: مِنْ
تَحْتِ أَشْجَارِهَا وَقُصُورِهَا ﴿الْأَنْهَارُ﴾
حاشية الصاوي

وغير ذلك من أنواع البرِّ، والمراد: عملوا الصالحاتِ على حَسَبِ الطاقة، قال تعالى: ﴿فَأَنْفِقُوا اللَّهُ مَا
أَسْطَقْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

قوله: (أي: بأن) أشار بذلك إلى حذف الجار، وهو مَطْرُدٌ مع (أَنَّ)، قال ابن مالك: [الرجز]

وَحَذَفُوهُ مَعَ أَنَّ وَأَنَّ يَطْرُدُ مَعَ أَمِنْ لَبْسٍ كَعَجِبْتُ أَنْ يَدُوا^(١)

قوله: ﴿لَمْ جَنَّتٍ﴾ جمع جَنَّة، واختُلف في عَدَّها؛ فقليل: أربع، وهو ما يُؤْخَذُ من سورة
(الرحمن)^(٢)، وقيل: سبع، وعليه ابنُ عباس: جَنَّةٌ عَذْنٌ، وجنة المأوى، والفردوس، ودارُ السلام،
ودار الجلال، وجَنَّةُ النعيم، وجنة الخلد^(٣).

قوله: (حدائق) جمع حَديقَة، وهي: الرَّوْضَةُ الحسنة.

قوله: (ذات أشجار ومساكن) أي: موجودات فيها الآن، ومع ذلك تقبل الزيادة، فالجنة تامةٌ
فيها ما تَشْتَهِيهِ الأنفس وتلذُّ الأعين، ومع ذلك أرضُها واسعة طيبة تقبل الزيادة.
قوله: (أي: تحت أشجارها) أي: على وجه الأرض بِقُدْرَةِ الله، فلا تَبَلُّ فرشاً، ولا تهدمُ بناءً،
ولا تقطع شجراً.

قوله: ﴿الْأَنْهَارُ﴾ يحتمل أن تكون (أل) للعهد، والمراد بها ما ذكر في سورة (القتال) بقوله
تعالى: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَنْغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ
مُصَفًّى﴾ [محمد: ١٥].

(١) كذا في النسخ تصرَّفَ فيه المصنف رحمه الله تعالى، ونظَّم ابن مالك مع البيت قبله في «الخلاصة» (تعدي الفعل
ولزومه):

وعَدُّ لازمٍ بِحَرْفِ جَرٍّ وإن حذف فالنصبُ للمنجرُ
نَقلاً وفي أَنَّ وَأَنَّ يَطْرُدُ مَعَ أَمِنْ لَبْسٍ كَعَجِبْتُ أَنْ يَدُوا

(٢) لقوله تعالى فيها: ﴿وَلَمْ يَخَفْ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾، وقوله: ﴿وَمِنْ دُونِهَا جَنَّاتٍ﴾.

(٣) «تفسير القرطبي» (٣٢٩/٨).

كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِءَ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ

أي: المِياهُ فيها، والنَّهْرُ: المَوْضِع الذي يَجْرِي فِيهِ المَاءُ؛ لِأَنَّ المَاءَ يَنْهَرُهُ أَي: يَحْفِرُهُ. وإِسْنَادُ الْجَرْيِ إِلَيْهِ مَجَازٌ، ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا﴾: أَطْعَمُوا مِنْ تِلْكَ الْجَنَّاتِ ﴿مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي﴾ أَي: مِثْلُ مَا ﴿رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ أَي: قَبْلَهُ فِي الْجَنَّةِ؛ لِتَشَابُهِ ثِمَارِهَا بِقَرِينَةِ ﴿وَأَتُوا بِهِءَ﴾ أَي: جِئُوا بِالرِّزْقِ ﴿مُتَشَبِهًا﴾ يُشَبِّهُ بَعْضُهُ بَعْضًا لَوْنًا وَيَخْتَلِفُ طَعْمًا، ﴿وَلَهُمْ

حاشية الصاوي

قوله: (أي: المِياه فيها) أي: الأنهار، وأشار بذلك إلى أن في الجنة حفراً كأنهار الدنيا، وقيل: لم يوجد في الجنة حفراً تجري فيها المِياه، بل تجري على وجه الأرض.

قوله: (والنَّهْر الموضع) أي: بحسب الأصل اللغوي.

قوله: (وإِسْنَادُ الْجَرْيِ إِلَيْهِ مَجَاز) أي: عقلي؛ أو الإِسْنَادُ حَقِيقِي^(١)، وإنما التجوُّز في الكلمة من إطلاق المحل وإرادة الحال فيه^(٢).

قوله: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا﴾ ظرف لقوله: ﴿قَالُوا﴾.

قوله: ﴿مِنْ ثَمَرَةٍ﴾ أي: نوعها.

قوله: (أي: مثل ما) الأولى حذف (ما) وتقديم (مثل) على (الذي)، وأتى بمثل دفعاً لما يُتَوَهَّم من قولهم: ﴿هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ أنه عينه، وذلك مُسْتَحِيل؛ لأنه قد أكل، والمعنى: أن الله قادرٌ على صنع طعام مُتَّحِد اللون مختلف الطعم واللَّذَّة، فإذا رآوه قالوا: ﴿هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ بحسب ما رآوا من اتحاد اللون، فإذا أكلوه علموا عدم الاتحاد.

قوله: (أي: قبله في الجنة) أشار بذلك إلى ردِّ ما قيل: إن المراد بقوله: (من قبله) في الدنيا، وقوله: ﴿وَأَتُوا بِهِءَ مُتَشَبِهًا﴾ أي: يشبه ثمر الدنيا في الصورة^(٣).

قوله: (جِئُوا بِالرِّزْقِ) أي: يأتي به الولدانُ والملائكة، والمراد بِالرِّزْقِ المرزوق؛ أي: المأكول.

(١) في (أ): (فالإِسْنَادُ حَقِيقِي)، ولكن إِسْنَادُ المَجَازِ العقلي مجازي لا حَقِيقِي، ومن قال: النهر اسم للماء حقيقة.. فلا مجاز عنده.

(٢) على سبيل المَجَازِ المرسل المفرد.

(٣) وإنما وقع التشابه في المأتي به في الجَنَّةِ.

فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي ۚ

فِيهَا أَزْوَاجٌ ﴿٢٥﴾ مِنَ الْحُورِ وَغَيْرِهَا ﴿مُطَهَّرَةٌ﴾ مِنَ الْحَيْضِ وَكُلِّ قَذِرٍ، ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: مَا كَثُونا أَبَدًا لَا يَفْنُونَ وَلَا يَخْرُجُونَ.

﴿٢٦﴾ وَنَزَلَ رَدًّا لِقَوْلِ الْيَهُودِ لَمَّا ضَرَبَ اللَّهُ الْمَثَلَ بِالذُّبَابِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأِنْ يَسْتَلْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئًا﴾ [الحج: ٧٣] وَالْعَنْكَبُوتِ فِي قَوْلِهِ: ﴿كَمَثَلِ الْفَنَّانِينَ﴾ [المنكبات: ٤١]: مَا أَرَادَ اللَّهُ بِذِكْرِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الْخَسِيسَةِ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي ۚ

حاشية الصاوي

قوله: (وغيرها) أي: نساء الدنيا، فقد ورد: «أن نساء الدنيا يكنَّ أجملَ من الحور العين»^(١)، وقد ورد: «أن كلَّ رجلٍ يُزَوَّجُ بأربعة آلاف بكرٍ، وثمانية آلاف أيم، ومئة حوراء»^(٢).

قوله: (وكل قذر) أي: كالنفاس والبصاق والمخاط، وليس في الجنة إنزالٌ ولا حمل ولا ولادة، وليس الأكل والشرب عن جوع وظمأ.

قوله: (لا يفنون) أي: ولا يمرضون، ولا تبلى ثيابهم، ولا يفنى شبابهم.

قوله: (ولا يخرجون) أي: لقوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨].

قوله: (ونزل رداً) فاعلُ (نزل) جملةُ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي ۚ﴾، قُصِدَ لفظُها، و(رداً) بمعنى: جواباً مفعولٌ لأجله، أو حالٌ من فاعلِ (نزل)، وقوله: (لما ضرب الله المثل) ظرفٌ للقول، ومقولُ القول قوله: (ما أراد الله... إلخ)، وقوله: (بالذباب الباء: للتصوير، وهو متعلق بـ(ضرب)، وجواب استفهامهم قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾.

قوله: (في قوله) أي: تعالى، وحذفها للاختصار، وكذا بقية المثليين.

قوله: (بذكر هذه الأشياء الخسيسة) أي: مع أنه عظيم، وقالوا أيضاً: إن الواحد ممَّا يستحيي أن يضرب المثل بالشيء الخسيس، فالله أولى، وجعلوا ذلك ذريعةً لإنكار كونه من عند الله.

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي ۚ﴾ مضارعٌ استحياء، ومصدره استحياء، وقُرئَ بحذف إحدى

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣٦٧/٢٣) من حديث أم سلمة رضي الله عنها مرفوعاً، وروى ابن المبارك في «الزهد»

(٢٥٥) عن حيان بن أبي جبلة: (إن نساء أهل الدنيا من دخلت منهن الجنة فُضِّلن على الحور العين بما عملن في الدنيا).

(٢) رواه البيهقي في «البعث والنشور» (٣٧٢، ٣٧٣)، مقطوعاً ومرفوعاً، وفيه: «خمس مئة» بدل «مئة»، ولفظ المصنف

هنا أوردته السيوطي في «الدر المنثور» (٩٩/١) وعزاه للبيهقي في «البعث والنشور».

أَنْ يَضْرِبَ مِثْلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا

أَنْ يَضْرِبَ ﴿: يَجْعَلُ ﴿مِثْلًا﴾ - مَفْعُولٌ أَوَّلٌ - ﴿مَا﴾ - نَكْرَةً مَوْصُوفَةً بِمَا بَعْدَهَا مَفْعُولٌ ثَانٍ،
أَيُّ: أَيِّ مِثْلٍ كَانَ، أَوْ زَائِدَةٌ لِتَأْكِيدِ الْخِصَّةِ، فَمَا بَعْدَهَا الْمَفْعُولُ الثَّانِي - ﴿بَعُوضَةٌ﴾: مُفْرَدُ
الْبَعُوضِ وَهُوَ صِغَارُ الْبَقِّ ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ أَيُّ: أَكْبَرَ مِنْهَا،

حاشية الصاوي

الياءين، فاختلف هل المحذوف اللام أو العين؟ فعلى الأول: وزنه (يَسْتَفْعِلُ)، وعلى الثاني: وزنه (يَسْتَفْعِلُ)، وعلى كلٍّ نُقِلَتْ حَرَكَةُ مَا بَعْدَ السَّاكِنِ إِلَيْهِ، فَحُذِفَتْ إِمَّا اللَّامُ أَوِ الْعَيْنُ.

والحياء في حقِّ الحوادث: تَغْيِيرٌ وَانْكَسَارٌ يَعْتَرِي الْإِنْسَانَ مِنْ فَعَلٍ مَا يُعَابُ، وَلَا زُمْهُ التَّرْكُ،
فَأُطْلِقَ فِي حَقِّ اللَّهِ وَأُرِيدَ لَزْمُهُ وَهُوَ التَّرْكُ، وَإِنَّمَا أَتَى بِهِ مُشَاكَلَةً لِقَوْلِهِمْ: اللَّهُ عَظِيمٌ يَسْتَحْيِي أَنْ
يَضْرِبَ الْمِثْلَ بِالشَّيْءِ الْحَقِيرِ.

قوله: ﴿أَنْ يَضْرِبَ﴾ فيه حذف الجار؛ أَيُّ: مِنْ أَنْ يَضْرِبَ، وقوله: (يجعل) أَيُّ: فينصب
مفعولين.

قوله: (أو زائدة) أَيُّ: وهو الأقرب، والمعنى على الأول: إِنْ اللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَجْعَلَ مِثْلًا
شَيْئًا مَوْصُوفًا بِكَوْنِهِ بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا؛ وعلى الثاني: إِنْ اللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَجْعَلَ مِثْلًا بَعُوضَةً فَمَا
فَوْقَهَا.

قوله: (لتأكيد الخسة) أَيُّ: فليست زيادة محضة، وهكذا كلُّ زائدٍ في القرآن^(١).

قوله: (وهو صغار البق) يُطْلَقُ الْبَقُّ عَلَى النَّمُوسِ، وَعَلَى الْأَحْمَرِ الْمَنْتِنِ الرَّائِحَةِ، وَالْأَقْرَبُ
الْأَوَّلُ؛ لِأَنَّهُ عَجِيبٌ فِي الْخِلْقَةِ، فَلَهُ سِتَّةُ أَرْجُلٍ، وَأَرْبَعَةُ أَجْنَحَةٍ، وَخَرْطُومٌ طَوِيلٌ، وَذَنْبٌ، وَمَعَ ضَعْفِهِ
وَصِغَرِهِ يَقْتُلُ الْجَمَلَ الْعَظِيمَ بِمَنْقَارِهِ، وَهُوَ الْقَاتِلُ لِلنَّمْرُودِ.

قوله: (أَيُّ: أَكْبَرَ مِنْهَا) أَيُّ: فِي الْجِسْمِ كَالْجَمَلِ مِثْلًا، وَيَحْتَمِلُ أَنْ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾
أَيُّ: فِي الْخِصَّةِ كَالذَّرَّةِ^(٢).

(١) وَقَدْ قَالَ الْقَاضِي الْبِيضَاوِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٦٢/١): (وَلَا نَعْنِي بِالْمَزِيدِ اللَّغْوِ الضَّائِعِ؛ فَإِنَّ الْقُرْآنَ كُلَّهُ هَدًى وَبَيَانٌ، بَلْ
مَا لَمْ يَوْضَعْ لِمَعْنَى يَرَادُ مِنْهُ، وَإِنَّمَا وَضَعَتْ لِأَنْ تَذَكَّرَ مَعَ غَيْرِهَا فَتَفِيدَ لَهُ وَثَاقَةً وَقُوَّةً، وَهُوَ زِيَادَةٌ فِي الْهَدْيِ غَيْرُ قَادِحٍ
فِيهِ).

(٢) وَاحِدَةُ الذَّرَّةِ؛ صِغَارُ النَّمْلِ.

فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا

أي: لا يترك بيانَه لما فيه من الحكم؛ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ أي: المثل ﴿الْحَقُّ﴾: الثابت الواقع موقعه ﴿مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ - تمييز - أي: بهذا المثل. - و(ما) استفهام إنكار مُبتدأ، و(ذا) بمعنى الذي بِصَلْتِهِ خبره. - أي: أيُّ فائدة فيه؟ قال تعالى في جوابهم: ﴿يُضِلُّ بِهِ﴾ أي: بهذا المثل ﴿كَثِيرًا﴾ عن الحقِّ لِكُفْرِهِمْ بِهِ، ﴿وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِتَصْدِيقِهِمْ بِهِ،

حاشية الصاوي

قوله: (أي: لا يترك بيانَه) هذا هو معنى الاستحياء في حقِّ الله، وتقدّم أنه مجازٌ من إطلاق الملزوم وإرادة اللازم.

قوله: (لما فيه من الحكم) عِلَّةٌ لعدم الترك.

قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ شروعٌ في بيان الحكمة المترتبة على ضَرْبِ المثل.

قوله: (الواقع موقعه) صادقٌ بالأفعال الصائبة، والذاتِ الثابتة، والأقوال الصادقة^(١).

قوله: (تمييز) أي: محوّل عن المفعول، على حدّ: ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ [القمر: ١٢].

قوله: (استفهام إنكاري^(٢)) أي: بمعنى النفي.

قوله: (بمعنى الذي) أي: والعائد محذوف؛ أي: أرادَه.

قوله: (أي: أي فائدة) هذا زُبدة معنى التركيب، وقصدُهم بهذا الاستفهام نفْيُ الفائدة، فيتوصلون بذلك إلى إنكارِ كونه من عند الله.

قوله: (به) الباء سببية، وقوله: (لكفرهم به) عِلَّةٌ لإضلالهم.

قوله: (لتصديقهم به) عِلَّةٌ لهدايتهم.

(١) المعطوفات لبيان ما يصدق عليه الحق، وعبارة البيضاوي في «تفسيره»: (والحق الثابت الذي لا يسوغ إنكاره يعمُّ الأعيان الثابتة، والأفعال الصائبة، والأقوال الصادقة، من قولهم: حق الأمر؛ إذا ثبت، ومنه: ثوب مُحقق؛ أي: محكم النسيج).

(٢) في (ط): (استفهام إنكار).

وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا
أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ

﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾: الخارجين عن طاعته.

﴿٢٧﴾ ﴿الَّذِينَ﴾ - نعت - ﴿يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾: ما عهده إليهم في الكتب من الإيمان
بِمُحَمَّدٍ ﷺ ﴿مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾: توكيده عليهم، ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ من
الإيمان بالنبِيِّ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ (يطلق لفظ الفاسقين على مَنْ فعل الكبائر في بعض الأحيان، وعلى مَنْ
فعلها في كلِّ الأحيان غير مستحلٍّ لها، وعلى مَنْ استحَلَّها وهو المراد هنا، فقول المفسر:
(الخارجين عن طاعته) أي: بالكلية، وهم الكفار.

قوله: (نعت) أي: للفاسقين.

قوله: (ما عهده إليهم) إنما فسر المصدر باسم المفعول؛ لأن العهد الذي هو أمرُ الله بالإيمان
بالنبي قد حصل، فلا يُنقض، وإنما الذي يُنقضُ المأمور به، والمراد: العهد الواقع على ألسنة
أنبيائهم في كتبهم، فإن الله عاهد كلَّ نبي مع أمته من آدم إلى عيسى أنه إذا ظهر محمد ليؤمننَّ به
ولينصرنَّه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ
مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ...﴾ [آل عمران: ٨١] الآية، ومن جملة العهد: أوصافه المذكورة
في كتبهم، فنقضوا ذلك بتبديلهم إياها وإنكارها وعدم الإيمان بها، وفي قوله تعالى: ﴿يَنْقُضُونَ عَهْدَ
اللَّهِ﴾ استعارة بالكناية؛ حيث شُبِّهَ العهد بالحبل، وطوي ذكر المشبه به، ورُمِزَ له بشيء من لوازمه
وهو ﴿يَنْقُضُونَ﴾، فإثباته تخيلٌ، والنقض في الأصل: فكُّ طاقات الحبل، والمراد منه هنا الإبطال،
ففيه استعارة ترشيحية تبعية، حيث شُبِّهَ الإبطال بالنقض، واستُعير النقص للإبطال، واشتقَّ من النقص
﴿يَنْقُضُونَ﴾ بمعنى: يُبطلون.

والعهود للأمة: عهدٌ عام؛ وهو عهدُ الله في الأزل لجميع الخلق على التوحيد واتباع الرسل،
وعهدٌ خاصٌّ بالأنبياء؛ وهو تبليغُ الشرائع والأحكام، وعهدٌ خاصٌّ بالعلماء؛ وهو تبليغُ ما تلقوه عن
الأنبياء، والكفار قد نقضوها.

قوله: (من الإيمان) بيان لـ(ما)، وقوله: (بالنبي) أي: من توقيره ونصره والإيمان به ومتابعته،

وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ.....

وَالرَّحِمَ وَغَيْرِ ذَلِكَ، - و﴿أَنْ﴾ بَدَلٌ مِنْ ضَمِيرٍ ﴿بِهِ﴾ - ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بِالْمَعَاصِي وَالتَّعْوِيقِ عَنِ الْإِيمَانِ، ﴿أُولَئِكَ﴾ الْمَوْصُوفُونَ بِمَا ذُكِرَ ﴿هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾؛ لِمَصِيرِهِمْ إِلَى النَّارِ الْمُؤَبَّدَةِ عَلَيْهِمْ.

﴿٢٨﴾ ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ يَا أَهْلَ مَكَّةَ ﴿بِاللَّهِ وَ﴾ قَدْ ﴿كُنْتُمْ أَمْوَاتًا﴾: نَظْفًا فِي الْأَصْلَابِ، ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ فِي الْأَرْحَامِ وَالْدُّنْيَا.....
حاشية الصاوي

وقوله: (والرحم) أي: ومن وُضِلَ ذِي الرَّحِمِ؛ أي: القرابة؛ من الإحسان إليهم ومواساتهم والبرّ بهم.
قوله: (و﴿أَنْ﴾ بَدَلٌ مِنْ ضَمِيرٍ ﴿بِهِ﴾) أي: ف(أَنْ) والفعلُ بعدها في تأويل مصدر في محلٍّ جَرٍّ على البدلية للضمير في (به)، التقدير: ما أمر الله بوصله، ويصحُّ أن يكون ﴿أَنْ يُوَصَّلَ﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿مَا﴾، فهو في محل نصب، والأوَّلُ أَقْرَبُ.

قوله: (والتعويق عن الإيمان) عطفٌ خاصٌّ على عامٍّ؛ فإن التعويق من أكبر المعاصي.
قوله: (﴿أُولَئِكَ﴾) مبتدأ أوَّل، و﴿هُمُ﴾: مبتدأ ثانٍ، و﴿الْخَاسِرُونَ﴾: خبرُ الثاني، والثاني وخبرُهُ: خبرُ الأوَّل، ويحتمل أن ﴿هُمُ﴾ ضمير فصل لا محل له من الإعراب، و﴿الْخَاسِرُونَ﴾: خبر ﴿أُولَئِكَ﴾.
قوله: (لِمَصِيرِهِمْ) عِلَّةٌ لكونهم خاسرين.

قوله: (يا أهل مكة) الأحسنُ العموم؛ سواءً كان المخاطب جنًّا أو إنسًا، من أهل مكة أو غيرها.

قوله: (﴿و﴾ قَدْ ﴿كُنْتُمْ﴾) قَدَّرَ المفسِّر لفظ (قد) إشارةً إلى أن الجملة حالية مع كونها ماضوية، والجملة الماضوية إذا وَقَعَتْ حالاً وجب اقترانها بـ(قد) إمَّا لفظاً أو تقديرًا.

قوله: (في الأصلاب) إنما قَدَّرَهُ لأجل اقتضائه على النُّظْفِ، وإلاَّ ففي حالة كونهم في الرحم عِلَّةٌ ومضغةٌ أمواتٌ أيضاً.

قوله: (﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾) مرَّتَّبٌ على محذوف تقديره: وكنتم عِلَّةٌ فمُضْغَةٌ فأحياكم، وإنما قلنا ذلك؛ لأن الإحياء لا يكون عقبَ كونهم نظفًا بسرعة، بل بعد مضيِّ زمن كونهم عِلَّةً وكونهم مضغةً، ولو قال المفسِّر: وقد كنتم أمواتًا نظفًا أو علقًا أو مضغًا فأحياكم لحسُنَ الترتيب.

ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَى

يَنْفَخُ الرُّوحَ فِيكُمْ؟ - والاستفهامُ لِلتَّعْجِيبِ مِنْ كُفْرِهِمْ مَعَ قِيَامِ الْبُرْهَانِ، أَوْ لِلتَّوْبِيخِ - ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عِنْدَ انْتِهَاءِ أَجَالِكُمْ، ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ بِالْبَعْثِ، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: تُرَدُّونَ بَعْدَ الْبَعْثِ فَيُجَازِيكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ. وَقَالَ دَلِيلًا عَلَى الْبَعْثِ لَمَّا أَنْكَرُوهُ:

﴿٢٩﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ ﴿أَي: الْأَرْضَ وَمَا فِيهَا﴾ ﴿جَمِيعًا﴾ لِيَتَنَفَّعُوا بِهِ وَتَعْتَبِرُوا، ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى﴾ بَعْدَ خَلْقِ الْأَرْضِ

حاشية الصاوي

قوله: (ينفخ الروح) الباء: سببية.

قوله: (والاستفهام للتعجب) التعجب: استعظام أمر خفي سببه، وهو بالنسبة للخلق لا للخالق، فهو مُستحيل، والأحسن أن يكون الاستفهام للتعجب والتوبيخ معاً، وهو الردع والزجر.

قوله: ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ الترتيب في هذا وما بعده ظاهر؛ فإن بين نفخ الروح والموت زمناً طويلاً، وبين الموت والإحياء بالبعث زمنٌ طويل^(١)، وبين الإحياء والمجازاة على الأعمال كذلك.

قوله: (لما أنكروه) أي: استغراباً واستبعاداً، قال تعالى: ﴿إِذْ أَمَرْنَا مُتَنَا وَكُنَّا نُرَآئُكَ ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ [ق: ٣].

قوله: (أي: الأرض وما فيها) أي: فمراده العالم السفلي بجميع أجزائه، و(أل) في الأرض للجنس، فيشمل الأرضين السبع.

قوله: (وتعتبروا) أي: إذا تأملتم الأرض وتغير الأحوال فيها وما حوته، علمتم أن ذلك صنْعُ حكيم قادر، فينشأ عن ذلك الاعتبار كمال التوحيد، وقوله: (لتنفعوا به) أي: ظاهراً وباطناً، وهو جميع المخلوقات ما عدا المؤذيات، وأما المؤذيات كالحيات والعقارب والسباع وغير ذلك فنفعها من حيث العبرة بها، فما من شيء مخلوق إلا وفي خلقه حكمة تبهر العقول، سبحانه ما خلقت هذا عبثاً، ولما سُئل الإمام الشافعي رحمته الله عن حكمة خلق الذباب أجاب بقوله: (مذلة للملوك)^(٢).

قوله: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى﴾ الاستواء في الأصل: الاعتدال والاستقامة، وهذا المعنى مُستحيل

(١) سقطت هذه الجملة من (أ).

(٢) رواه البيهقي في «مناقب الشافعي» (١/١٥٦).

إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

أي: قَصَدَ ﴿إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّيْنَهُنَّ﴾ الضَّمِيرُ يَرْجِعُ إِلَى السَّمَاءِ لِأَنَّهَا فِي مَعْنَى الْجَمْعِ الْآيِلَةُ إِلَيْهِ، أَي: صَيَّرَهَا كَمَا فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿فَقَضَّيْنَهُنَّ﴾ [فصلت: ١٢]، ﴿سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

حاشية الصاوي

على الله تعالى، فالمراد منه هنا في حق الله: القصد والإرادة، فقوله: (قصد)؛ أي: تعلقت إرادته بالتعلق التنجيزي الحادث بخلق السماوات، و(ثم): للترتيب مع الانفصال؛ لأنه خلق الأرض في يومين^(١)، وخلق الجبال والأقوات وما في الأرض في يومين، فتكون الجملة أربعة أيام، فالترتيب الرتبي ظاهر^(٢)، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ...﴾ [فصلت: ٩] الآيات، وعلى ذلك درج المفسر حيث قال: (أي: الأرض وما فيها)، ويحتمل أن (ثم) للترتيب الذكري^(٣)؛ بناءً على أن الأرض خلقت مكورة، فبعد ذلك خلقت السماء، ثم بعد خلق السماء دحا الأرض وخلق جميع ما فيها، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءِ بَنَاهَا﴾ [النازعات: ٢٧]، ثم قال: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٣٠]، وعلى ذلك درج القرطبي وغيره، وهو الحق^(٤).

قوله: ﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾ (أي: جهة العلو، و(أل) للجنس).

قوله: ﴿فَقَضَّيْنَهُنَّ﴾ (بدل من (آية)، ف(سوى) و(صير) و(قضى) بمعنى واحد، وكل واحد ينصب مفعولين).

قوله: ﴿سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ (أي: طباقاً بالإجماع للآية، وبين كل سماء خمس مئة عام، وسَمَكُهَا

(١) في (أ): (لأن خلق الأرض...).

(٢) الترتيب الرتبي لا زمن فيه، بل المهلة متوهمه، والترتيب الذكري يُراعى فيه الزمن كما سيبين.

(٣) وهو كما أفاده نجم الأئمة الرضي: أن يحسن ذكر هذا بعد هذا، ومثّل له بالفاء في قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرَبٍ أَلْفَكُنْهَا فَجَاءَهَا بِأَسْأَ بَيْتًا﴾، قال: مجيء البأس سبب الإهلاك، وذكر السبب يحسن بعد ذكر المسبب. انظر «حاشية الأمير على شرح الجوهرة» (ص ٧٨).

(٤) «تفسير القرطبي» (١/٢٥٦)، والذي اختاره العلامة الصاوي هنا من تقدّم خلق الأرض على السماء، ثم خلق السماء، ثم دحا الأرض... هو قول جمهور المفسرين، وعليه قد يكون الترتيب رتبيّاً وذكرياً معاً، وانظر «التحرير والتنوير» (١/٣٨٤).

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ

مُجْمَلًا وَمُفَصَّلًا، أَفَلَا تَعْتَبِرُونَ أَنَّ الْقَادِرَ عَلَى خَلْقِ ذَلِكَ ابْتِدَاءً - وَهُوَ أَعْظَمُ مِنْكُمْ - قَادِرٌ عَلَى إِعَادَتِكُمْ؟

﴿٣٠﴾ ﴿و﴾ اذْكُرْ يَا مُحَمَّدٌ ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ

حاشية الصاوي

كذلك، والأولى من مَوْجٍ مكفوف، والثانية من مَرْمَرَةٍ بيضاء، والثالثة من حديد، والرابعة من نحاس، والخامسة من فضة، والسادسة من ذهب، والسابعة من زُرْمُودَةٍ خضراء^(١).

قوله: (مُجْمَلًا وَمُفَصَّلًا) هذا هو مذهب أهل السنة، خلافاً لمن يُنكر عِلْمَ الله بالأشياء تفصيلاً؛ فإنه كافر.

قوله: (على خلق ذلك) أي: الأرض وما فيها والسموات وما فيها، وقوله: (وهو) الضمير عائدٌ على اسم الإشارة.

قوله: (وهو أعظم منكم) أي: لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَخَلْقُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧].

قوله: (قادر على إعادتكم) هذا هو رُوح الدليل.

قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ (إِذْ): ظرفٌ في محل نصب معمولٌ لمحذوف، قَدَرَهُ المفسِّر بقوله: (اذكر) أي: اذكر يا محمدُ قصةَ قولِ ربك... إلخ، والأحسنُ أنه معمولٌ لقوله بعدُ: ﴿قَالُوا﴾، التقدير: قالوا: أتجعلُ فيها مَنْ يفسدُ فيها وقتَ قولِ ربك للملائكة... إلخ؛ لأن (إِذْ) إذا وقعتْ ظرفاً لا تكون إلا للزمان.

قوله: ﴿لِلْمَلٰٓئِكَةِ﴾ جمعُ مَلَكٍ مخفَّفٌ مَلَأَك، وأصلُهُ: مَأَلَكْتُ على وزن (مَفْعَل)، مشتقٌّ من الأَلُوكة، وهي الإرسال، دَخَلَ القَلْبُ المكاني، فَأُخِّرَتِ الهمزة عن اللام، فنقلت حركة الهمزة للساكن قبلها وهو اللام، فسقطت الهمزة.

قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ﴾ يصحُّ أن يكون بمعنى مُصَيِّرٍ، فـ﴿حَلِيفَةٌ﴾ مفعولٌ أول، و﴿فِي الْأَرْضِ﴾:

(١) روي هذا أثراً عن الربيع بن أنس وغيره، رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/٤٧٠)، وخلقها من المذكورات لا يقتضي بقاءها على أصلها؛ كَخَلَقِ الإنسان من طين، والسَّمَكُ بفتح السين وسكون الميم، والزمرذة بضمّ وتشديد الراء وفتح الذال المعجمة، وبالمهملة تصحيف.

خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ
 خَلِيفَةً ﴿يَخْلَفُنِي فِي تَنْفِيزِ أَحْكَامِي فِيهَا وَهُوَ آدَمُ، ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾
 بِالْمَعَاصِي ﴿وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾: يُرِيقُهَا بِالْقَتْلِ،
 حاشية الصاوي

مفعول ثانٍ، قُدِّمَ لأنه المسوَّغ للابتداء بالنكرة في الأصل، ويصحُّ أن يكون بمعنى خالق،
 ﴿خَلِيفَةً﴾ مفعول، و﴿فِي الْأَرْضِ﴾: متعلِّق به.

قوله: ﴿خَلِيفَةً﴾ (فَعِيلَةٌ بمعنى مفعول؛ أي: مُخَلَّفٌ، أو بمعنى فاعِلٍ؛ أي: خَالِفٌ، بمعنى أنه
 قائمٌ بالخلافة، وحِكْمَةٌ جعله خليفةً الرحمةً بالعباد، لا لافتقار الله له، وذلك لأن العباد لا طاقة لهم
 على تلقى الأوامر والنواهي من الله بلا واسطة، بل ولا بواسطة مَلَكٍ، فَمِنْ رَحْمَتِهِ وَلُطْفِهِ وإحسانه
 إرسالُ الرسل إلى البشر.

قوله: (وهو آدم) أي: فهو أبو البشر، والخليفة الأول باعتبار عالم الأجساد، وأما باعتبار عالم
 الأرواح فهو سيدنا محمد ﷺ، قال العارف^(١): [الطويل]

فَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ ابْنُ آدَمَ صُورَةً فَلِي فِيهِ مَعْنَى شَاهِدٌ بِأُبُوتِي

وهو مأخوذٌ من أديم الأرض؛ لخلقهِ من جميع أجزائها، وكانت ستين جزءاً، ولذلك كانت
 طباع بنيه ستين طبعاً، وكفَّارةُ الظهار والصوم ستين، وعاش من العمر تسع مئة وستين، وما مات
 حتى رأى من أولاده مئة ألفٍ، عَمَرُوا الْأَرْضَ بأنواع الصنائع.

والملائكة المخاطبون يحتمل أنهم النوع المسمَّى بالجان ورئسهم إبليس؛ فإن الله خلق خلقاً
 وأسكنهم الأرض يُسَمَّون بني الجان، فأفسدوا في الأرض، فسَلَطَ اللهُ عليهم هؤلاء الملائكة،
 فطرَدوهم وسكنوا موضعهم^(٢)، ويحتمل أن الخطابَ لعموم الملائكة.

قوله: ﴿مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ أي: بمقتضى القوَّة الشَّهْوِيَّة، وقوله: ﴿وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾
 أي: بمقتضى القوَّة الغَضَبِيَّة، فإنَّ في الإنسان ثلاثة أشياء: قُوَّة شهوية، وقوة غضبية، وقوة عقلية،
 فبالأوليين يحصل النقص، وبالأخيرة يحصل الكمال والفضل، وقد نظر الملائكة للأولين،
 ولم ينظروا للثالثة.

(١) لعمر بن الفارض رحمه الله تعالى في تائيته المشهورة، انظر «ديوانه» (ص ١٠٥).

(٢) روى ذلك الحاكم في «المستدرک» (٢/ ٢٦٢) موقوفاً على ابن عباس رضيهما.

وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾

كما فعلَ بنو الجنِّ وكانوا فيها، فلَمَّا أفسدوا أرسَلَ اللهُ عليهم الملائكةَ، فطرَدُوهم إلى الجزائر والجبال، ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ﴾ مُتَلَبِّسِينَ ﴿بِحَمْدِكَ﴾ أي: نقولُ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾: ننزِّهك عَمَّا لَا يَلِيقُ بِكَ؟ - فاللَّامُ زائدةٌ والجُمْلَةُ حالٌ - أي: فنحنُ أَحَقُّ بِالاستِخلافِ، ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ مِنَ المَصْلَحَةِ فِي استِخلافِ آدَمَ، وَأَنَّ ذُرِّيَّتَهُ فِيهِمُ الْمُطِيعُ وَالْعَاصِي

حاشية الصاوي

قوله: (كما فعل بنو الجن) قيل: الجنُّ إبليسُ، وقيل: مخلوقٌ آخرُ، وإبليسُ أبو الشياطين.
قوله: (أرسل إليهم الملائكة) أي: المسمَّون بالجنِّ ورئِيسُهم إبليسُ، وفي هذه الآية أمور:
منها: مشاورةُ العظيم للحقير، ولا بأس بها لتأليفِ الحقير، قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ومنها: إظهارُ عَجْزِ الملائكة عن عِلْمِ الغيب.

ومنها: إظهارُ فضلِ آدَمَ للملائكة.

ومنها: أنه لا ينبغي تركَ الخير الكثير من أجلِ شرٍّ قليلٍ؛ فإن بني آدَمَ خيرُهم غالبٌ على شرِّهم، فإن منهم الأنبياءَ والرسلَ والأولياءَ، وإن لم يكن منهم إلا سيِّدُنا محمدٌ لكفى.

قوله: (متلبسين^(١)) أشار بذلك إلى أن الباءَ للملابسة، والجُمْلَةُ من قبيل الحال المتداخلة.

قوله: ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ التقديسُ في اللغة يرجعُ لمعنى التسبيح، وهو التنزيهُ عَمَّا لَا يَلِيقُ، وأما هنا فالتسبيحُ يرجع للعبادة الظاهرية، والتقديسُ يرجع للاعتقادات الباطنية.

قوله: (واللام زائدة) أي: لتأكيد التخصيص، ويحتمل أنها للتعدية والتعليل؛ أي: ننزِّهك لك، لا طمعاً في عاجِل ولا آجل، ولا خوفاً من عاجِل ولا آجل، فتزئُّبُنا لِذاتِكَ فقط^(٢).

قوله: (أي: فنحنُ أَحَقُّ بالاستِخلاف) ليس المقصودُ من ذلك الاعتراضُ على الله، ولا احتقارُ آدَمَ، وإنما ذلك لطلب جوابٍ يريحُهم من العناء؛ حيث وَقَعَت المشورةُ من الله لهم.

(١) كذا في النسخ، وفي «الفتوحات» (٣٨/١) حاشية ومُتَنَّا و«الكوكبين النيرين»: (متلبسين)، وهو أوضح.

(٢) في (أ): (لذلك) بدل (لذاتك).

وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا

فَيُظْهِرُ الْعَدْلَ بَيْنَهُمْ، فَقَالُوا: لَنْ يَخْلُقَ رَبُّنَا خَلْقًا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنَّا وَلَا أَعْلَمَ لِسَبْقِنَا لَهُ وَرُؤْيَيْنَا مَا لَمْ يَرَهُ، فَخَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى آدَمَ مِنْ أَدِيمِ الْأَرْضِ أَي: وَجْهِهَا، بِأَنْ قَبَضَ مِنْهَا قَبْضَةً مِنْ جَمِيعِ أَلْوَانِهَا، وَغُجِنَتْ بِالْمِيَاهِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَسَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ، فَصَارَ حَيَوَانًا حَسَّاسًا بَعْدَ أَنْ كَانَ جَمَادًا.

﴿٣١﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ ﴿٣١﴾ أَي: أَسْمَاءَ الْمُسَمَّيَاتِ ﴿كُلَّهَا﴾

حاشية الصاوي

قوله: (فيظهر العدل^(١) بينهم) أي: فالطائع المؤمن له الجنة، والعاصي الكافر له النار.

قوله: (فقالوا) أي: سرًا في أنفسهم.

قوله: (لسبقنا له) أي: للخلق، وهو راجع لقوله: (أكرم)، وقوله: (ورؤيتنا^(٢)) راجع لقوله: (ولا أعلم)، فهو لفٌّ ونشْرٌ مرتَّب.

قوله: (جميع ألوانها) تقدّم أنها ستون، ووُرد: «أن الله لما أراد خلق آدم أوحى إلى الأرض أني خالق منك خلقًا، من أطاعني أدخلته الجنة، ومن عصاني أدخلته النار، فقالت: يا ربنا؛ أخلق مني خلقًا يدخل النار؟! فقال: نعم، فبكت، فنبعت العيون من بكائها، فهي تجري إلى يوم القيامة»^(٣).

قوله: (بالمياه المختلفة) أي: على حسب الألوان.

قوله: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ﴾ الحق: أن آدم ممنوعٌ من الصرف؛ لِلْعِلْمِيَةِ والعجمة، فليس منصرفاً ولا مشتقاً على التحقيق.

قوله: (أسماء المسّميات) أشار بذلك إلى أن (أل) عِوَضٌ عن المضاف إليه، والمراد بالمسميات: مدلولات الأسماء؛ سواءً كانت جواهر أو أعراضاً، أو معاني أو معنوية، فالحاصل: أن الله أطلع آدم على المسّميات جميعها، وعَلَّمَهُ أَسْمَاءَهَا، وأطلع الملائكة على المسّميات ولم يُعَلِّمَهُمْ أَسْمَاءَهَا، فاشترك آدم مع الملائكة في معرفة المسّميات، واختصَّ آدم بمعرفة الأسماء بجميع اللغات، وتلك اللغات تفرقت في أولاده.

(١) بالبناء للفاعل كما قيده الشيخ عطية الأجهوري في «الكوكبين النيرين» مخطوط.

(٢) أي: رؤيتهم ما لم يره آدم؛ كاللوح المحفوظ الذي هو سبب العلم، أفاده في «الكوكبين النيرين» و«الفتوحات» (٣٨/١).

(٣) أوردته الخازن في «تفسيره» (٣٥/١) عن وهب بن مُنبه، وهو من الروايات الإسرائيلية.

ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾

حَتَّى الْقَصْعَةُ وَالْقُصَيْعَةُ وَالْفُسُوءُ وَالْفُسَيَّةُ، بِأَنْ أَلْقَى فِي قَلْبِهِ عِلْمَهَا، ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾
 أَي: الْمُسَمَّيَاتِ، - وَفِيهِ تَغْلِيْبُ الْعُقَلَاءِ - ﴿عَلَى الْمَلَكَةِ فَقَالَ﴾ لَهُمْ تَبَكُّيتًا: ﴿أَنْبِئُونِي﴾:
 أَخْبِرُونِي ﴿بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾ الْمُسَمَّيَاتِ ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فِي أَنِّي لَا أَخْلُقُ أَعْلَمَ مِنْكُمْ
 أَوْ أَنَّكُمْ أَحَقُّ بِالْخِلَافَةِ.

حاشية الصاوي

قوله: (حتى القصعة) غاية في الخسة، إشارة إلى كونه تعلم جميع الأسماء، شريفة أو خسيصة،
 وحكمتها أيضاً كما يأتي، والقصعة هي: الإناء الكبير من الخشب، والقصيعة: الإناء الصغير منه
 المسمى بالزويلي.

قوله: (والفسوة) من باب: عتأ، والمصدر: فسوأ، والاسم: الفساء بالمد واوي، هو الريح
 الخارج من الدبر بلا صوت، فإن كان شديداً سُمِّيَ فسوة، وإن كان خفيفاً سُمِّيَ فُسيَّةً، وإن كان
 بصوت سُمِّيَ ضُراطاً، وهو من باب: تعب وضرب، والمصدر: ضُراطاً بفتح الراء وسكونها، فالمكبر
 للشديد، والمصغر للخفيف.

قوله: (بأن ألقى في قلبه علمها) أي: الأسماء وحكمتها حين صور الله المسميات؛ كالذر،
 وذلك قبل دخول الجنة، وهو ظاهر في الأشياء المحسوسة، وأما المعقولة كالحياة والقدرة والفرح
 وغير ذلك فبالقاء الله الدال والمدلول في قلبه.

قوله: (وفيه تغليب العقلاء) أي: في الإتيان بميم الجمع التي للعُقلاء الذكور، وإلا فلو لم
 يُغلب لقال: عرضها أو عرضهن، وبهما قرئ شاذاً.

قوله: ﴿عَلَى الْمَلَكَةِ﴾ (يحتمل عموم الملائكة، ويحتمل خصوص الملائكة المسمون بالجان
 الذين كانوا في الأرض).

قوله: ﴿أَنْبِئُونِي﴾ (الإنباء هو: الإخبار بالشيء العظيم، فهو أخص من الخبر).

قوله: (أخبروني) أي: أجيبي ليظهر علمكم، وذلك تعجيز لهم؛ لأنهم ليسوا بعالمين ذلك،
 لا لاستفادته العلم منهم.

قوله: (في أنني لا أخلق أعلم منكم) متعلق بـ ﴿صَادِقِينَ﴾.

قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾

- وجواب الشرط دلّ عليه ما قبله -.

﴿٣٢﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ ﴿تَنْزِيهَا لَكَ عَنِ الِاعْتِرَاضِ عَلَيْكَ﴾ ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ ﴿إِيَّاهُ﴾ ﴿إِنَّكَ أَنْتَ﴾ - تأكيد للكاف - ﴿الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ الذي لا يخرج شيء عن علمه وحكمته.

حاشية الصاوي

قوله: (دلّ عليه ما قبله) أي: قوله: ﴿أَنْبِئُونِي﴾، فهو دليل الجواب، والجواب محذوف تقديره: إن كنتم صادقين فأنبئوني.

قوله: ﴿سُبْحَنَكَ﴾ (مصدر، وقيل: اسم مصدر منصوب بعامل محذوف وجوباً؛ أي: أسبح، وهي كلمة تُقال مقدمة للأمر العظيم، كان توبةً واستغفاراً أم لا، والمقصود منها: توبتهم واستغفارهم؛ كقول موسى عليه السلام: ﴿سُبْحَنَكَ بُنْتُ إِلَٰهِكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وقول يونس: ﴿سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، والغالب عليه الإضافة، وأما:

سُبْحَانَ مَنْ عَلَّمَ الْفَاخِرَ^(١)

فمؤوّل، أو شاذّ، أو من غير الغالب.

قوله: (إياه) أشار بذلك إلى أن المفعول الثاني محذوف.

قوله: ﴿إِنَّكَ﴾ كاللّيل لما قبله.

قوله: (تأكيد للكاف) أي: فهو ضمير فصل لا محلّ له من الإعراب، أو في محل نصب كالمؤكّد، و﴿الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ خبران لـ(إِنَّ)، أو ﴿الْحَكِيمُ﴾ صفة للعليم، ويحتمل أن ﴿أَنْتَ﴾ مبتدأ، و﴿الْعَلِيمُ﴾ خبره، والجملة خبر (إِنَّ).

قوله: ﴿الْعَلِيمُ﴾ قدّم العلم على الحكمة؛ لمُناسبة علم آدم و﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾، ولأن الحكمة تنشأ عن العلم. والعلم في حقّ الله: صفة أزلية تتعلّق بجميع أقسام الحكم العقلي؛ الواجب والمستحيل والجائر، تعلّق إحاطة وانكشاف.

قوله: ﴿الْحَكِيمُ﴾ أي: ذو الحكمة؛ أي: الإتيان، فهو صفة فعل، أو العلم، فيكون صفة ذات^(٢).

(١) عجز بيت من قصيدة للأعشى الكبير هجا بها علقة بن علاثة الصحابي رضي الله عنه، صدره: (أقول لما جاءني فخره)، انظر خبرها في «خزانة الأدب» (٣/٣٩٨).

(٢) وعبرة العلامة السمين في «الدر المصون» (١/٢٦٧): (والحكيم صفة ذات إن فُسّر بذي الحكمة، وصفة فعل إن فسر بأنه المحكم لصنعه).

قَالَ يَتَّادُمُ اثْنَيْنِهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾

﴿٣٣﴾ قَالَ ﴿تَعَالَى﴾: ﴿يَتَّادُمُ اثْنَيْنِهِمْ﴾ أي: الملائكة ﴿بِأَسْمَائِهِمْ﴾: المُسَمَّيَاتِ، فَسَمَّى كُلَّ شَيْءٍ بِاسْمِهِ وَذَكَرَ حِكْمَتَهُ الَّتِي خَلَقَ لَهَا، ﴿فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ﴾ تَعَالَى لَهُمْ مُوبِّخًا: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مَا غَابَ فِيهِمَا، ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾: تُظْهِرُونَ مِنْ قَوْلِكُمْ: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا... إلخ﴾، ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾: تُسِرُّونَ مِنْ قَوْلِكُمْ: لَنْ يَخْلُقَ أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنَّا وَلَا أَعْلَمَ.

حاشية الصاوي

قوله: (فسمى) أي: آدم.

قوله: (توبيخاً) أي: تقرّيعاً ولوّماً لهم على ما مضى منهم، فالهمزة في ﴿أَلَمْ أَقُلْ﴾ للاستفهام التوبيخي، فالقصد منه توبيخهم على ما مضى منهم، وليست للإنكار ولا للتقرير.
قوله: (ما غاب فيهما) أي: عنّا.

قوله: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا... إلخ﴾ أي: ﴿مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾. بقي شيء آخر، وهو أن مقتضى الآية أن آدم علم الأسماء والمسميات، ومقتضى قول البوصيري في «الهمزية»^(١):

لَكَ ذَاتُ الْعُلُومِ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ بِ وَمِنْهَا لِآدَمَ الْأَسْمَاءُ

أن آدم علم الأسماء دون المسميات، فيكون بينه وبين الآية مخالفة، والحق: أنه لا مخالفة؛ لأنه يلزم من علم الأسماء علم المسميات؛ لعرض المسميات عليه أولاً، فمعنى قول البوصيري: (لك ذات العلوم) أي: أصلها، فعلم آدم مأخوذاً من نبينا؛ لأن رسول الله أعطي أصل العلوم، بل وأصل كل كمال، ويشهد لذلك قول ابن مشيش: (وتنزلت علوم آدم)^(٢)؛ أي: صل على من منه تنزلت علوم آدم، فعلم آدم كائنه منه، فأعجز بها الملائكة خاصة، وأما علوم رسول الله فأعجز بها الخلائق جميعاً، هذا هو الحق، ولا تغتر بما قيل: إن آدم علم الأسماء فقط، ومحمد علم الأسماء والمسميات.

(١) المسماة «أم القرى»، انظر شرح البيت في «المنح المكية» (ص ٩٥).

(٢) في صلاته الذائعة الصيت والمعروفة بالصلاة المشيشية، اعتنى العلماء بشرحها، ومنهم المصنف رحمه الله تعالى، توفي العارف عبد السلام بن مشيش سنة (٦٢٢هـ)، وقوله الآتي: (فأعجز بها الخلائق) مفاد من هذه الصلاة.

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ

﴿٣٤﴾ ﴿و﴾ اذْكُرْ ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ سُجُودَ تَحِيَّةٍ بِالْإِنْجِنَاءِ، ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿و﴾ اذْكُرْ ﴿إِذْ قُلْنَا﴾ أشار المفسر بذلك إلى أن (إِذْ) ظرفٌ عاملٌ لها محذوف، والتقدير: واذكر وقت قولنا... إلخ.

إن قلت: إن المقصود ذكرُ القصة لا ذكرُ الوقت.

أجيب: بأن التقدير: اذكر القصة الواقعة في ذلك الوقت، ومُحْصَل ذلك: أنه بعد خَلْقِ آدَمَ ونفخ الروح فيه، وعرض المسميات على الملائكة وإنباء آدم لهم بالأسماء، أمرهم الله بالسجود له؛ لأنه صار شيخهم، ومن حق الشيخ التعظيم والتوقير، وكان ذلك كله خارج الجنة.

قوله: (بالإنحناء) أشار بذلك إلى أن المراد: السجود اللغوي، وهو الانحناء، كسجود إخوة يوسف وأبويه له، وهو تحية الأمم الماضية، وأما تحيُّنا فهي السلام، وعليه: فلا إشكال.

وقال بعض المفسرين: إن السجود شرعي بوضع الجبهة على الأرض، وآدم قبلته كالكعبة، فالسجود لله، وإنما آدم قبلته^(١)، والآية محتملة للمعنيين، ولا نصَّ يعيِّن أحدهما، وعلى الثاني: فاللام بمعنى إلى؛ أي: اسجدوا إلى جهة آدم فاجعلوه قبلتكم.

قوله: ﴿فَسَجَدُوا﴾ أي: الملائكة كلُّهم أجمعون؛ بدليل الآية الأخرى، فالخطاب بالسجود لجميع الملائكة على التحقيق، لا للملائكة الذي طردوا بني الجان.

قوله: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ قيل: مشتق من أبلس إبلاسا بمعنى: يئس^(٢)، وهذا هو اسمه في اللوح المحفوظ.

فائدة: قال كعب الأحبار: (إن إبليس اللعين كان خازن الجنة أربعين ألف سنة، ومع الملائكة ثمانين ألف سنة، ووعظ الملائكة عشرين ألف سنة، وسيد الكروبيين ثلاثين ألف سنة، وسيد الروحانيين ألف سنة، وطاف حول العرش أربعة عشر ألف سنة، وكان اسمه في سماء الدنيا العابد،

(١) وهو قول الشعبي كما نسب له أبو حيان في «البحر المحيط» (٢٤٧/١)، ومنهم من قال: اللام بمعنى (مع)، أي: اسجدوا لي مع آدم مؤتمين به، وكون صورة السجود لآدم على صورة السجود الشرعي هو قول الجمهور.

(٢) ذكره السمين في «الدر المصون» (٢٧٥/١)، ولكنه صحَّح أنه اسم أعجمي منع من الصرف للعلمية والعجمة.

أَبَى وَأَسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾

هو أَبُو الْجِنِّ كَانَ بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ ﴿أَبَى﴾: امْتَنَعَ مِنَ السُّجُودِ، ﴿وَأَسْتَكْبَرَ﴾: تَكَبَّرَ عَنْهُ وَقَالَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ، ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾

حاشية الصاوي

وفي الثانية الزاهد، وفي الثالثة العارف، وفي الرابعة الولي، وفي الخامسة التقى، وفي السادسة الخازن، وفي السابعة عزازيل، وفي اللوح المحفوظ إبليس، وهو غافل عن عاقبة أمره^(١).

قوله: (هو أبو الجن) هذا أحد قولين، والثاني: هو أبو الشياطين، فرقة من الجن لم يؤمن منهم أحد.

قوله: (كان بين الملائكة) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع، وأنه ليس من الملائكة، قال في «الكشاف»: (لما اتصف بصفات الملائكة جُمع معهم في الآية واحتيج إلى استثنائه)^(٢)، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ [الكهف: ٥٠]. وَكُرِّرَتْ قِصَّةُ إِبْلِيسَ فِي سَبْعَةِ مَوَاضِعَ: فِي الْبَقَرَةِ، وَالْأَعْرَافِ، وَالْحَجَرِ، وَالْإِسْرَاءِ، وَالْكَهْفِ، وَطِهَ، وَصَ، تَسْلِيَةً لَهُ ﷺ، وَعِبْرَةً لِبَنِي آدَمَ، فَلَا يَغْتَرُّ الْعَابِدُ وَلَا يَقْنَطُ الْعَاصِي، وَيَحْتَمِلُ أَنْ الْإِسْتِثْنَاءَ مُتَّصِلٌ^(٣)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ أَي: فِي الْفِعْلِ، وَالْأَقْرَبُ الْأَوَّلُ.

قوله: ﴿وَأَسْتَكْبَرَ﴾ من عطف العلة على المعلول؛ أي: أبى وامتنع لكبره، والسين للتأكيد.

قوله: (وقال: أنا خير منه) هذا وجه تكبره، وبيّن وجه الخيرية في الآية الأخرى، قال تعالى: ﴿خَلَقْنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

(١) كذا نقله العلامة الجمل في «الفتوحات» (٤١/١) عن السمرقندي في «كشف البيان»، والكروبيون - بتخفيف الراء - وبتشديد هاء - المقربون من الملائكة؛ كإسرافيل وجبريل وميكائيل عليهم السلام، ورد ذكرهم في خبر رواه الحاكم في «المستدرک» (٥٦٨/٤) عن ابن عباس ؓ.

(٢) بمعناه، وعبارة الزمخشري في «كشافه» (١٥٦/١): (استثناء متصل؛ لأنه كان جنياً واحداً بين أظهر الألوفاً من الملائكة مغموراً بهم، فغلبوا عليه في قوله: ﴿فَسَجَدُوا﴾، ثم استثنى منهم استثناء واحد منهم، ويجوز أن يجعل منقطعاً، فتبين أن الاستثناء عند الزمخشري سواء كان منقطعاً أو متصلاً على القول بالغلبة. لا يجعل إبليس من الملائكة، وهو اختيار الجلالين والعلامة الصاوي.

(٣) عند من يقول بأنه من الملائكة لا من الجن؛ كالغوي والواحي والبيضاوي، كذا نقله العلامة الجمل في «فتوحاته» (٤١/١) عن الكرخي في «حاشيته على الجلالين».

وَقُلْنَا يَتَّادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا

في علم الله .

﴿٣٥﴾ وَقُلْنَا يَتَّادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ ﴿تَأْكِيدُ لِلضَّمِيرِ الْمُسْتَتِرِ لِيُعْطَفَ عَلَيْهِ﴾ ﴿وَزَوْجُكَ﴾ حَوَاءُ بِالْمَدِّ، وَكَانَ خَلَقَهَا مِنْ ضِلْعِهِ الْأَيْسَرِ ﴿الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا﴾ أَكْلًا

حاشية الصاوي

قال بعض المفسرين: وذلك مردود بأمور: منها: أن آدم مركب من العناصر الأربع، بخلاف إبليس، فلا وجه للخيرية.

ومنها: أن الله هو الخالق لكل، ولا يعلم الفضل إلا هو، فله أن يفضل مَنْ شاء على مَنْ شاء، ومنها غير ذلك^(١).

قوله: (في علم الله) دفع بذلك ما قيل: إنه لم يكن كافراً بل كان عابداً، وإنما كفر الآن، ويجاب أيضاً: بأن (كان) بمعنى: صار^(٢).

قوله: ﴿وَقُلْنَا يَتَّادُمُ﴾ هذه الجملة معطوفة على جملة ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ﴾ من عطف قصّة على قصّة، وإنما عطفت عليها لوقوعها بعدها، فإنه بعد أمر الملائكة بالسجود لآدم وامتناع إبليس منه أمر آدم بسكنى الجنة.

قوله: (ليعطف عليه ﴿وَزَوْجُكَ﴾) إن قلت: إن فعل الأمر لا يعمل في الظاهر، والمعطوف على الفاعل فاعل، فيقتضي عمله في الظاهر.

أجيب: بأنه يُغْتَفَرُ في التابع ما لا يغتفر في المتبوع، وفصل بالضمير المنفصل لقول ابن مالك:

[الرجز]

وإن عَلَى ضَوْيَرٍ رَفَعٍ مُتَّصِلٍ عَطَفْتَ فافْصِلْ بِالضَّمِيرِ الْمُنفَصِلِ^(٣)

قوله: (وكان خلقها) أي: الله، وقوله: (من ضلعه) أي: آدم، فلذلك كان كل ذكر ناقصاً ضلعاً من الجانب الأيسر، فجهة اليمين ثمانية عشر، واليسار سبعة عشر، وقد خلقت بعد دخوله الجنة، نام فلما استيقظ وجدها، فأراد أن يمدّ يده إليها، فقالت له الملائكة: مه يا آدم حتى تؤدّي مهرها،

(١) انظر «السراج المنير» للخطيب (١/٤٦٤) وما بعدها.

(٢) كقوله تعالى: ﴿وَبُنِيَ الْجِبَالُ بَنَاءً﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا.

(٣) في «الخلاصة» (باب عطف النسق).

رَعْدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا نَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ

﴿رَعْدًا﴾: واسِعاً لا حَجَرَ فِيهِ ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا نَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ بِالْأَكْلِ مِنْهَا، وَهِيَ الْحِنْطَةُ أَوْ الْكَرْمُ أَوْ غَيْرُهُمَا،

حاشية الصاوي

فقال: وما مهرها؟ فقالوا: ثلاث صَلَوَاتٍ أو عشرون صلاةً على سيدنا محمد ﷺ^(١)، ولا يُقال: إن شرط الصداق عَوْدُ مَنَفَعَتِهِ لِلزَّوْجَةِ؛ لأننا نقول: ليس المقصودُ منه حقيقة المهر، وإنما هو ليظهر قَدْرُ محمد لآدم من أوَّل قدم؛ إذ لولاه ما تَمَتَّعَ بزوجه، فهو الواسطة لكلِّ واسطة حتى آدم.

وقوله: (من ضلَّعه الأيسر) أي: وهو القصير، ووضع الله مكانه لحماً من غير أن يحسَّ آدم بذلك، ولم يَجِدْ له ألماً، ولو وجدَ لما عطف رجلٌ على امرأة، والنون في ﴿قُلْنَا﴾: للعظمة.

وقوله: ﴿أَسْكَنْ﴾ أي: دُم على السكنى؛ فإنه كان ساكناً فيها قبل خَلْقِ حواء.

واستشكل شيخ الإسلام^(٢) هذه الآية بأنه أتى في هذه الآية بالواو في قوله: ﴿وَكُلَا﴾، وفي آية (الأعراف) بالفاء، هل لذلك من حكمة؟ أجاب: بأن الأمر هنا في هذه كان داخل الجنة، فلا ترتيب بين السكنى والأكل، وفي آية (الأعراف) كان خارجها، فَحَسُنَ الترتيب بين السكنى والأكل.

والحقُّ أن يُقال: إن ذلك ظاهر إن دَلَّ دليل على اختلاف القصة، ولم يوجَدْ، فالقصة واحدة، والأمر في الموضعين يحتمل أن يكون داخل الجنة أو خارجها، فعلى الأوَّل: معنى ﴿أَسْكَنْ﴾: دُم على السكنى، والفاء في آية (الأعراف) بمعنى الواو، وعلى الثاني: معناه: ادْخُلْ على سَبِيلِ السكنى، فتكون الواو بمعنى الفاء.

قوله: ﴿رَعْدًا﴾ يُقال: رَعْدٌ بِالضَّمِّ رَغَادَةٌ مِنْ بَابٍ: ظَرْفٌ، وَرَعْدٌ رَعْدًا مِنْ بَابٍ: تَعَبٌ: اتَّسَعَ عَيْشُهُ.

قوله: ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ أي: في أيِّ مكان أردتماه.

قوله: (أو غيرُهما) قيل: شجر التين أو البلح أو الأترج^(٣)، والأقرب: أنها الحِنْطَةُ، وفي الحقيقة: لا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ.

(١) أورده الحافظ القسطلاني في «المواهب اللدنية» (١/٥٠)، ونحوه ابن الجوزي في «بستان الواعظين» (ص ٣٠٧).

(٢) ذكرها الأنصاري (ت ٩٢٦هـ) في «متشابهات القرآن» كما في «الفتوحات الإلهية» (١/٤١)، واستشكله أيضاً وأجاب عنه الإمام الرازي في «مفاتيح الغيب» (٣/٤٥٣).

(٣) وقد وَرَدَتْ آثار بذلك، انظر «تفسير الطبري» (١/٥١٦).

فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا

﴿فَتَكُونَا﴾ : فتصيرا ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ : العاصين .

﴿٣٦﴾ ﴿فَأَزَلَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ : إبليس : أذهبهما ، - وفي قراءة : (فَأَزَلَهُمَا) : نَحَاهُمَا - ﴿عَنْهَا﴾ : أي : الجنة ، بَأَن قَالَ لَهُمَا : هَلْ أَذْلَكُكُمْ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ؟ وَقَاسَمَهُمَا بِاللَّهِ إِنَّهُ لَهُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ، فَأَكَلَا مِنْهَا

حاشية الصاوي

قوله : ﴿فَتَكُونَا﴾ (مُسَبَّبٌ عَنْ قَوْلِهِ : ﴿وَلَا تَقْرَبَا﴾ ، وتعبيره بعدم القرب منها كناية عن عدم الأكل ؛ كقوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ﴾ ، فالنهي عن القُرْبِ يستلزم النهي عن الفعل بالأولى .
قوله : (العاصين) أي : الذين تعدَّوا حدودَ الله .

قوله : ﴿فَأَزَلَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ (أتى بالفاء إشارة إلى أن ذلك عقب السكني . والشيطان مأخوذٌ من : شَاطَ بمعنى : احترق ؛ لأنه محروق بالنار ، أو من : شَطَنَ بمعنى بَعُدَ ؛ لأنه بعيدٌ عن رحمة الله ، والزَّلَلُ : الزَّلَقُ ، وهو العَثْرَةُ في الطين مثلاً ، فأُطْلِقَ وأريد لازمه ، وهو الإذهاب .
قوله : (وفي قراءة) أي : سَبْعِيَّةٌ لحمزة .

قوله : (أي : الجنة) ويحتمل أن الضمير عائِدٌ على الشجرة ، و(عن) بمعنى الباء ؛ أي : أوقعها في الزَّلَّةِ بسبب أكلِ الشجرة .

قوله : (بأن قال لهما) أي : وهو خارج الجنة وهما داخلها ، لكن أتوا على بابها فقال لهما ذلك ، ويحتمل أنه دَخَلَ الجنة على صورة دَابَّةٍ من دوابِّها وخزنتُها غفلوا عنه ، ويحتمل أنه دَخَلَهَا في فَمِ الْحَيَّةِ^(١) ، ويحتمل أنه وَسَّوسَ في الأرض فوصلت وسوسته لهما .
إِن قُلْتَ : إن ذلك ظاهر في حواء لعدم عَصَمَتِهَا ، وما الحكمُ في آدم ؟

أجيب : بأنه اجتهد فأخطأ ، فسَمَّى الله خطأه معصيةً ، فَلَمْ يَقَعْ منه صغيرةٌ ولا كبيرةٌ ، وإنما هو من بابِ : (حَسَنَاتُ الْأَبْرَارِ سَيِّئَاتُ الْمُقْرِيبِينَ) ، فلم يَتَعَمَّدَ المخالفةَ ، ومن نسب التعمُّدَ والعصيانَ له بمعنى فعل الكبيرة أو الصغيرة فقد كفر^(٢) ، كما أن مَنْ نفى اسمَ العصيان عنه فقد كفر أيضاً ؛ لِنَصِّ الْآيَةِ .

(١) «تفسير الطبري» (١/٥٢٥) .

(٢) أي : مع اعتقاد بُتُوته المستلزمة للعصمة ساعة أكل ، وهو القول الراجح ، وعِلَّةُ الكفر جحد قوله سبحانه : ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ ؛ إذ فيه نصٌّ أنه لم يتعمد العصيان .

فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْنَعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ

﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ مِنَ النَّعِيمِ، ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا﴾ إِلَى الْأَرْضِ أَي: أَنْتُمَا بِمَا اشْتَمَلْتُمَا عَلَيْهِ مِنْ ذُرِّيَّتِكُمَا، ﴿بَعْضُكُمْ﴾: بَعْضُ الذُّرِّيَّةِ ﴿لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ مِنْ ظُلْمِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا، ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾: مَوْضِعُ قَرَارٍ، ﴿وَمَتْنَعٌ﴾: مَا تَمَتَّعُونَ بِهِ مِنْ نَبَاتِهَا، ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾: وَقْتُ انْقِضَاءِ أَجَالِكُمْ.

﴿٣٧﴾ ﴿فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ﴾ أَلْهَمَهُ إِيَّاهَا، - وَفِي قِرَاءَةِ بِنَصْبِ (آدَمَ) وَرَفَعَ (كَلِمَاتٍ) - أَي: جَاءَهُ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ (يَحْتَمِلُ أَنْ (مَا) اسْمٌ مُوصُولٌ وَمَا بَعْدَهُ صَلْتُهُ، أَوْ نَكْرَةٌ مُوصُوفَةٌ وَمَا بَعْدَهَا صِفَةٌ، وَقوله: (مِنْ النَّعِيمِ) بَيَانٌ لـ(مَا).

قوله: (أَي: أَنْتُمَا... إلخ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى حِكْمَةِ الْإِتْيَانِ بِالْوَاوِ فِي ﴿اهْبِطُوا﴾ أَي: الْجَمْعُ بِاعْتِبَارِ مَا اشْتَمَلَا عَلَيْهِ مِنَ الذُّرِّيَّةِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ الْأَمْرَ لَأَدَمَ وَحَوَاءَ وَإِبْلِيسَ وَالْحَيَّةِ؛ فَهَبِطَ آدَمُ بِالْهَنْدِ بِمَكَانٍ يُقَالُ لَهُ: سِرْنَدِيبَ، وَحَوَاءٌ بِجُدَّةَ، وَإِبْلِيسُ بِالْأُبُلَّةِ، وَالْحَيَّةُ بِأَصْبَهَانَ.

قوله: (بَعْضُ الذُّرِّيَّةِ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْعِدَاوَةَ فِي الذُّرِّيَّةِ لَا فِي الْأَصُولِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِي بَعْضِ الْأَصُولِ؛ كَالْحَيَّةِ وَإِبْلِيسَ، وَأَفْرَدَ (عَدُوٌّ) إِمَّا مِرَاعَاةً لِلْفِظِ (بَعْضٍ)، أَوْ لِأَنَّهُ يَسْتَعْمَلُ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ لِلْمَثْنَى وَالْجَمْعِ.

بَقِيَ شَيْءٌ آخَرُ: وَهُوَ أَنَّهُ تَقَدَّمَ لَنَا أَنَّ حَوَاءَ خُلِقَتْ دَاخِلَ الْجَنَّةِ، حِينَ أُلْقِيَ عَلَى آدَمَ النُّومَ، كَيْفَ ذَلِكَ مَعَ أَنَّ الْجَنَّةَ لَا نَوْمَ فِيهَا، وَلَا يَخْرُجُ أَهْلُهَا مِنْهَا، وَلَا تَكْلِيفَ فِيهَا، وَالثَّلَاثَةُ قَدْ حَصَلَتْ؟ أُجِيبَ: بِأَنَّ ذَلِكَ فِي الدُّخُولِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَمَّا الدُّخُولُ الْأَوَّلِيُّ فَلَا يَمْتَنِعُ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ.

قوله: (أَلْهَمَهُ إِيَّاهَا) أَي: فَهَمَّ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ.

قوله: (وَفِي قِرَاءَةِ) أَي: سَبْعِيَّةٍ لِابْنِ كَثِيرٍ.

قوله: (بِنَصْبِ «آدَمَ») أَي: عَلَى الْمَفْعُولِيَّةِ، وَقوله: (وَرَفَعَ «كَلِمَاتٍ») أَي: عَلَى الْفَاعِلِيَّةِ، فَتَحْصُلُ أَنَّ التَّلْقِيَّ نَسْبَةً تَصْلَحُ لِلْجَانِبَيْنِ، يُقَالُ: تَلَقَّيْتُ زَيْدًا، وَتَلَقَّانِي زَيْدٌ، فَالْمَعْنَى عَلَى الْقِرَاءَةِ الْأُولَى: تَعَلَّمَ آدَمُ الْكَلِمَاتِ فَحَفِظَ بِسَبَبِهَا مِنَ الْمَهَالِكِ، وَعَلَى الثَّانِيَةِ: الْكَلِمَاتُ تَلَقَّتْ آدَمَ مِنَ السَّقُوطِ

فَنَابَ عَلَيْهِ

وهي: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا...﴾ [الأعراف: ٢٣] الآية، فدعا بها ﴿فَنَابَ عَلَيْهِ﴾: قَبْلَ تَوْبَتِهِ، حاشية الصاوي

في المهاوي؛ إذ لولاها لَسَقَطَ، فهي الدواء له، وأما إبليس فلم يجعل الله له دواءً، فالكلمات جاءت به بالإسعاف، وهو جاءها بالقبول والتسليم، ومن هنا أن الذاكر لا ينتفع بالذكر ولا يُنَوِّرُ باطنه إلا إذا كان الشيخ عارفاً وأذنه في ذلك، والذاكر مُشْتَقاً؛ كتَلَفِي آدم الكلمات.

قوله: (وهي ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا...﴾ إلخ) مشى المفسر على أن المراد بالكلمات: المذكورة في سورة (الأعراف)، وهو أحد أقوال، ولا يُقال: إن التلقي كان لآدم فقط، والدعاء بها صدرَ منهما؛ لأنه يُقال: إن الخطاب لآدم والمراد هو معها^(١)، وكَم من خطابٍ في القرآن يُقصدُ به الرجال والمراد ما يشمل الرجال والنساء، وقيل: إن المراد بالكلمات: سبحانه اللهم وبحمديك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، لا إله إلا أنت، ظلمت نفسي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

وتقدّم: أن معصية آدم ليست كالمعاصي، بل من باب: (حسنات الأبرار سيئات المقربين)، والحق أن يُقال: إن ذلك من سرّ القدر، فهي منهية عنه ظاهراً لا باطناً، فإنه في الباطن مأمورٌ بالأولى من قصّة الخضر مع موسى، وإخوة يوسف معه على أنهم أنبياء؛ فإن الله حين قال للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ كان قبل خَلْقِهِ، وهذا الأمر مبرمٌ يستحيلُ تخلفه، فلما خَلَقَهُ وأَسْكَنَهُ الجنة أعلمه بالنهي عن الشجرة صورةً، فهذا النهي صوريٌّ، وأكله من الشجرة جبريٌّ؛ لِعَلِمِهِ أن المصلحةَ مترتبةٌ على أكله، وإنما سُمِّيَ معصيةً نظراً للنهي الظاهري، فمن حيث الحقيقة لم يَقَعْ منه عصيان، ومن حيث الشريعة وقعت منه المخالفة، ومن ذلك: قول ابن العربي: (لو كنتُ مكانَ آدمَ لأكلتُ الشجرةَ بتمامها)؛ لما ترتبَ على أكله من الخير العظيم، وإن لم يكن من ذلك إلا وجودُ سيّدنا محمد ﷺ لكفى، ومن هذا المقام قولُ الجيلي: [الطويل]

وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَرَعَوِيهَا الْمَسَامِعُ	وَلِي نُكْتَةٌ غَرًّا هُنَا سَأَقُولُهَا
تَنْبَهُ لَهَا فَالْأَمْرُ فِيهِ بَدَائِعُ	هِيَ الْفَرْقُ مَا بَيْنَ الْوَلِيِّ وَفَاسِقِ
يُخَبِّرُ قَلْبِي بِالَّذِي هُوَ وَاقِعُ	وَمَا هُوَ إِلَّا أَنَّهُ قَبْلَ وَقْعِهِ

(١) أي: مع السيدة حواء، اكتفى المصنف بالسياق عن ذكرها.

إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا

﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ﴾ على عبادِهِ ﴿الرَّحِيمُ﴾ بِهِمْ.

﴿٣٨﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا: مِنَ الْجَنَّةِ ﴿جَمِيعًا﴾

حاشية الصاوي

فَأَجْنِي الَّذِي يَقْضِيهِ فِي مُرَادِهِ
فَكُنْتُ أَرَى مِنْهَا الْإِرَادَةَ قَبْلَ مَا
إِذَا كُنْتُ فِي أَمْرِ الشَّرِيعَةِ عَاصِيًا
وَعَيْنِي لَهَا قَبْلَ الْفِعَالِ تُطَالِعُ
أَرَى الْفِعْلَ مِنِّي وَالْأَسِيرُ مُطَاوِعُ
فَإِنِّي فِي حُكْمِ الْحَقِيقَةِ طَائِعٌ^(١)
انتهى

قوله: ﴿التَّوَّابُ﴾ أي: كثير التوبة، بمعنى أن العبد كلما أذنب وتاب قبله، فهو كثير القبول لتوبة من تاب، ويسمى العبد تواباً بمعنى أنه كلما أذنب ندم واستغفر، ولا يُصرُّ.

وشرط توبة العبد: الندم، والإقلاع، والعزم على ألا يعود، فإن كانت المعصية متعلقةً بمخلوق اشترط إما ردُّ المظالم لأهلها أو مسامحتهم له، فكلُّ من العبد والرب يسمى تواباً بالوجه المتقدم، لكن لا يُقال في الرب: تائب؛ لأن أسماءه توقيفية، وقد قيل: إن آدم لما نزل الأرض مكث ثلاث مئة سنة لا يرفع رأسه إلى السماء حياءً من الله تعالى^(٢)، وقد قيل: لو أن دُموعَ أهل الأرض جُمعت كانت دُموعُ داوود أكثر، ولو أن دُموعَ داوود مع أهل الأرض جُمعت لكانت دُموعُ آدم أكثر^(٣).

قوله: ﴿قُلْنَا﴾ أتى بنون العظمة؛ لأنها له حقيقة، ومن ادعاها غير مولانا قُصِمَ.

قوله: ﴿اهْبِطُوا﴾ جمع باعتبار الذرية التي في صُلب آدم.

قوله: ﴿جَمِيعًا﴾ حال من فاعل ﴿اهْبِطُوا﴾ أي: مجتمعين، إمَّا في زمان واحد، أو في أزمنة متفرقة؛ لأن المراد الاشتراك في أصل الفعل، فإنَّ (جاؤوا جميعاً) لا تستلزم الصحبة، بخلاف (جاؤوا معاً).

(١) الأبيات من قصيدته المنعوتة بـ«النادرَات العينية» (ص ١٣٩)، توفي العارف عبد الكريم الجيلي سنة (٨٣٢هـ)، والأبيات هنا عن التفريق بين الأمر التكويني والتكليفي، وقد أوردها العلامة ابن عجيبة في «إيقاظ الهمم» وقال بعدها: (أشار إلى الفرق بين معصية الولي ومعصية الفاسق، وذلك من ثلاثة أوجه: الولي لا يقصدها، ولا يفرح بها، ولا يُصرُّ عليها، والفاسق بالعكس في الجميع).

(٢) رُوي عن شهر بن حوشب بلاغاً، انظر «تفسير البغوي» (١/ ٨٥).

(٣) انظر روايات الخبر في «الدر المنثور» (١/ ١٤٢).

فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ

- كَرَّرَهُ لِيَعْطِفَ عَلَيْهِ: - ﴿فَإِمَّا﴾ - فِيهِ إِدْغَامُ نُونٍ (إِنْ) الشَّرْطِيَّةِ فِي (مَا) الزَّائِدَةِ - ﴿يَأْتِيَنَّكُمْ
مِنِّي هُدًى﴾: كِتَابٌ وَرَسُولٌ، ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾ فَمَنْ بِي وَعَمِلَ بِطَاعَتِي، ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ فِي الْآخِرَةِ، بِأَنْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ.

﴿٣٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا: كُتِبْنَا، ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾:
مَا كُنُون أَبَدًا، لَا يَقْنُونَ وَلَا يَخْرُجُونَ.

﴿٤٠﴾ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ:

حاشية الصاوي

قوله: (ليعطف عليه) أي: فهذا حكمه التكرار، فالأول أفاد الأمر بالهبوط مع ثبوت العداوة،
والثاني أفاد الأمر بالهبوط والتكاليف، وترتّب السعادة والشقاوة على الامتثال وعدمه، فالشيء مع
غيره غيره في نفسه^(١).

قوله: (كتاب ورسول) أي: أو رسول فقط، فالمراد بالهدى مطلقاً دالاً على الله، والمراد:
أي رسول وأيّ كتاب من آدم إلى محمد، والرسول صادق يكونه من الملك أو البشر^(٢)، فيشمل
الأمم والأنبياء، فتأمل.

قوله: (إن الشرطية) أي: وفعلها ﴿يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة،
وجوابه جملة ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾، وجملة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ الآية؛ إذ التقدير: ومن لم يتبع هداي
فأولئك أصحاب النار.

قوله: ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ﴾ ذكر سبحانه وتعالى خطاب المكلفين عموماً في أول السورة، ثم ثنى
بمبدأ خلق آدم وقصته مع إبليس، وثلث بذكر بني إسرائيل سواء كانوا في زمنه ﷺ أو قبله، وما يتعلق
بهم من هنا إلى ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ﴾، فعُدّ عليهم نعماً عشرة، وقبائح عشرة، وانتقامات عشرة،
والحكمة في ذكر بني إسرائيل الذين تقدّموا قبل رسول الله مع أنهم لم يُخاطبوا بالإيمان برسول الله:
أَنَّ مَنْ كَانَ فِي زَمَنِهِ ﷺ يَدَّعِي أَنَّهُ عَلَى قَدَمِهِمْ، وَأَنَّهُ مُتَّبِعٌ لَهُمْ، وَأَنَّ أَصُولَهُمْ كَانُوا عَلَى شَيْءٍ،

(١) فالشيء المكرر هو الهبوط، ولكنه اختلف لاختلاف المعنيين؛ من العداوة والتكليف.

(٢) الجملة بيان لقوله: (أي رسول).

أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ

أَوْلَادَ يَعْقُوبَ ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ أَي: عَلَى آبَائِكُمْ مِنَ الْإِنْجَاءِ مِنْ فِرْعَوْنَ وَفَلَقِ
الْبَحْرِ وَتَظْلِيلِ الْغَمَامِ

حاشية الصاوي

فَلِذَلِكَ تَبِعُوهُمْ، فَبَيَّنَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى النِّعَمَ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَى أَصُولِهِمْ، وَبَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ قَابِلُوا تِلْكَ
النِّعَمَ بِالْقَبَائِحِ، وَبَيَّنَّ أَنَّهُ أَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابَ لِيُعْتَبَرَ مَنْ يَأْتِي بَعْدَهُمْ.

وَحِكْمَةُ تَخْصِيصِهِمُ بِالْخُطَابِ: أَنَّ السُّورَةَ أَوَّلُ مَا نَزَلَ بِالْمَدِينَةِ، وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ كَانَ غَالِبُهُمْ
يَهُودًا، وَهُمْ أَصْحَابُ كِتَابٍ وَشَوْكَةٍ، فَإِذَا أَسْلَمُوا وَانْقَادُوا انْقَادَ جَمِيعِ أَتْبَاعِهِمْ، فَلِذَلِكَ تَوَجَّهَ
الْخُطَابُ لَهُمْ.

و﴿بَنِي﴾ مَنَادَى مُضَافٌ مَنْصُوبٌ بِالْيَاءِ لِأَنَّهُ مُلْحَقٌ بِجَمْعِ الْمَذْكَرِ السَّالِمِ؛ لِكَوْنِهِ لَيْسَ عِلْمًا
وَلَا صِفَةً لِمَذْكَرٍ عَاقِلٍ، وَ﴿بَنِي﴾: مُضَافٌ، وَ﴿إِسْرَءِيلَ﴾: مُضَافٌ إِلَيْهِ مَجْرُورٌ بِالْفَتْحَةِ لِأَنَّهُ اسْمٌ
لَا يَنْصَرِفُ، وَالْمَانِعُ لَهُ مِنَ الصَّرْفِ الْعِلْمِيَّةُ وَالْعَجْمَةُ، وَبَنِي: جَمْعُ ابْنٍ، وَأَصْلُهُ قِيلَ: بَنُو^(١)،
فَهُوَ وَآوِيٌّ، وَقِيلَ: بَنِيٌّ، فَهُوَ يَائِيٌّ، فَعَلَى الْأَوَّلِ هُوَ مِنَ الْبُنُوَّةِ كَالْأَبُوَّةِ، وَعَلَى الثَّانِي هُوَ مِنَ الْبِنَاءِ.

وَإِسْرَائِيلَ قِيلَ: مَعْنَاهُ عَبْدُ اللَّهِ، وَقِيلَ: الْقَوِيُّ بِاللَّهِ؛ لِأَنَّ (إِسْرَأ) قِيلَ: مَعْنَاهُ عَبْدٌ أَوْ الْقَوِيُّ،
(وَإِيل) مَعْنَاهُ اللَّهُ، وَقِيلَ: مَاخُودٌ مِنَ الْإِسْرَاءِ؛ لِأَنَّهُ أُسْرِيَ بِاللَّيْلِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى. وَإِسْرَائِيلُ فِيهِ
لُغَاتٌ سَبْعٌ: الْأُولَى: بِالْأَلْفِ ثُمَّ هَمْزَةٌ ثُمَّ يَاءٌ ثُمَّ لَامٌ، وَبِهَا جَاءَتْ الْقُرْءَانُ السَّبْعُ، الثَّانِيَّةُ: بِقَلْبِ
الْهَمْزَةِ يَاءٌ بَعْدَ الْأَلْفِ، الثَّالِثَةُ: بِإِسْقَاطِ الْيَاءِ مَعَ بَقَاءِ الْهَمْزَةِ وَالْأَلْفِ، الرَّابِعَةُ وَالْخَامِسَةُ: بِإِسْقَاطِ
الْأَلْفِ وَالْيَاءِ مَعَ بَقَاءِ الْهَمْزَةِ مَفْتُوحَةً أَوْ مَكْسُورَةً، السَّادِسَةُ: بِإِسْقَاطِ الْهَمْزَةِ وَالْيَاءِ مَعَ بَقَاءِ الْأَلْفِ،
السَّابِعَةُ: إِبْدَالُ اللَّامِ الْأَخِيرَةِ بِالنُّونِ مَعَ بَقَاءِ الْأَلْفِ وَالْهَمْزَةِ وَالْيَاءِ^(٢)، وَجَمَعَهُ: أُسَارِيلُ، وَأُسَارِلَةٌ،
وَأُسَارِلٌ.

قوله: (أَوْلَادَ يَعْقُوبَ) أَي: ابْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ.

قوله: (﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾) الذِّكْرُ بِكَسْرِ الذَّالِ وَضَمِّهَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ، وَهُوَ: مَا كَانَ بِاللِّسَانِ

(١) بفتحيتين، أو بِنُو بكسر الباء وسكون النون وزان جمل، بدليل قولهم: بِنْتُ. انظر «المصباح المنير» (ب ن و).

(٢) فتحصل: إسرائيل، وإسراييل، وإسرائيل، وإسرأل، وإسرئل، وإسرال، وإسرائين، ولكن الثانية عند السمين في «الدر
المصون» (١/ ٣١٠) بياء بعد الألف من غير همزة؛ إسرائيل، وعزا كلَّ قراءة لمن قرأ بها.

وغير ذلك،

حاشية الصاوي

أو بالجنان، وقال الكسائي: (ما كان باللسان فهو بالكسر، وما كان بالقلب فهو بالضم، وضد الأول صَمْتُ، والثاني نسيانٌ)^(١)، والنعمة: اسم لما يُنعم به، وهي شبيهة بفعل بمعنى مفعول^(٢)، والمراد بها الجمع؛ لأنها اسم جنس، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَقْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤]، وقوله: ﴿الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ جملة الصلة والموصول صفة للنعمة، والعائد محذوف تقديره: أنعمتها؛ بالنصب على نزع الخافض، ولا يقدر: أنعمت بها؛ لئلا يلزم حذف العائد من غير وجود شرطه؛ لقول ابن مالك: [الرجز]

كَذَا الَّذِي جُرِّمَ بِمَا الْمَوْصُولُ جَرٌّ^(٣)

وليس الموصول مجروراً، فتأمل.

قوله: (وغير ذلك) أي: من بقية العشرة، وهي العفو عنهم، وغفران خطاياهم، وإتيان موسى الكتاب، والحجر الذي تفجرت منه اثنتي عشرة عيناً، والبعث بعد الموت، وإنزال المن والسلوى عليهم^(٤).

تنبيه: بقي ذكر قبائحهم العشرة، وهي: قولهم: سمعنا وعصينا، واتخاذهم العجل، وقولهم: أرنا الله جهرة، وتبديل القول الذي أمروا به، وقولهم: لن نصبر على طعام واحد، وتحريف الكلم، وتوليهم عن الحق بعد ظهوره، وقسوة قلوبهم، وكفرهم بآيات الله، وقتلهم الأنبياء بغير حق.

وأما عقوباتهم العشرة فهي: ضرب الذلة والمسكنة عليهم، والغضب من الله، وإعطاء الجزية، وأمرهم بقتل أنفسهم، ومسحهم قرده وخنازير، وإنزال الرجز عليهم من السماء، وأخذ الصاعقة لهم، وتحريم طيبات أحلت لهم^(٥).

(١) «البحر المحيط» (٣٢٦/١).

(٢) مثل ذبح بمعنى مذبح، انظر «الفتوحات» (٤٥/١).

(٣) في «الخلاصة» (باب الموصول)، وتامه: (كمر بالذي مرتت فهو بر).

(٤) ذكر السيوطي ثلاثاً، والمصنف ستاً، وبقي قوله سبحانه: ﴿فَنَابَّ عَلَيْهِمْ﴾، والنقل عن ابن جزي في «التسهيل لعلوم

التنزيل» (٨١/١)، وفيه ذكر العشرات الآتي إيرادها.

(٥) أيضاً قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾، كما في المصدر السابق، وتام العشرة بعد ضرب الذلة والمسكنة اثنتين.

وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْحَبُكُمْ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ

بأن تشكروها بطاعتي، ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ الذي عهده إليكم من الإيمان بمحمد، ﴿أوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ الذي عهده إليكم من الثواب عليه بدخول الجنة، ﴿وَإِنِّي فَأَرْحَبُكُمْ﴾: خافون في ترك الوفاء به دون غيري.

﴿٤١﴾ ﴿وَأَمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ﴾ من القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ من التوراة،

حاشية الصاوي

وهذه العشرات في أصولهم، وقد وبَّخ الله المعاصرين لمحمد ﷺ بعشرة أخرى: كتمانهم أمر محمد، وتحريف الكلم، وقولهم: هذا من عند الله، وقتلهم أنفسهم، وإخراجهم فريقاً من ديارهم، وحرصهم على الحياة، وعداوتهم لجبريل، واتباعهم السحر، وقولهم: نحن أبناء الله، وقولهم: يد الله مغلولة، قال تعالى: ﴿عُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ [المائدة: ٦٤].

قوله: (بأن تشكروها) أي: تصرفوها فيما يرضي ربكم.

قوله: ﴿وَأَوْفُوا﴾ يقال: أوفى ووفى مشدداً ومخففاً.

قوله: (من الإيمان بمحمد) أي: في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا...﴾ [المائدة: ١٢] الآيات.

قوله: (بدخول الجنة) أي: في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ...﴾ [الأعراف: ١٥٧] الآيات، وقوله تعالى: ﴿لَا كُفْرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ...﴾ [آل عمران: ١٩٥] الآيات.

قوله: (دون غيري) أخذ الحصر من تقديم المفعول، و(إياي): مفعولٌ لمحذوف يفسره قوله: ﴿فَأَرْحَبُكُمْ﴾، وهذا في الحصر أبلغ من ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾^(١)؛ لأن ﴿إِيَّاكَ﴾ معمولٌ لـ ﴿نَعْبُدُ﴾، وأما هنا فهو معمولٌ لمحذوف؛ لاستيفاء الفعل المذكور معموله، وهو الياء المذكورة أو المحذوفة تخفيفاً^(٢)، فهو في قوة تكرار الفعل مرتين.

قوله: ﴿وَأَمِنُوا﴾ من عطف المسبب على السبب.

قوله: (من القرآن) بيانٌ لـ (ما).

قوله: ﴿مُصَدِّقًا﴾ حال من الضمير المحذوف في ﴿أَنزَلْتُ﴾ أو من (ما).

(١) كما قال الزمخشري في «الكشاف» (١/١٣١).

(٢) حذفها قراءة الجمهور، وقرأ ابن أبي إسحاق بإثباتها، انظر «البحر المحيط» (١/٣٣١).

وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا بِإِثْمِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتَّقُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْسُوا الْحَقَّ

بِمُوافَقَتِهِ لَهُ فِي التَّوْحِيدِ وَالنُّبُوَّةِ، ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ؛ لِأَنَّ خَلْفَكُمْ تَبَعَ لَكُمْ فَإِثْمُهُمْ عَلَيْكُمْ، ﴿وَلَا تَشْتَرُوا﴾: تَسْتَبْدِلُوا ﴿بِإِثْمِي﴾ الَّتِي فِي كِتَابِكُمْ مِنْ نَعْتِ مُحَمَّدٍ ﷺ ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: عَوَضًا يَسِيرًا مِنَ الدُّنْيَا، أَيْ: لَا تَكْتُمُوهَا خَوْفَ فَوَاتٍ مَا تَأْخُذُونَهُ مِنْ سَفَلَتِكُمْ، ﴿وَإِنِّي فَاتَّقُونَ﴾: خَافُونَ فِي ذَلِكَ دُونَ غَيْرِي.

﴿٤٢﴾ ﴿وَلَا تَلْسُوا﴾: تَخْلِطُوا ﴿الْحَقَّ﴾ الَّذِي أَنْزَلْتُ عَلَيْكُمْ

حاشية الصاوي

قوله: (بموافقته) الباء: سببية، ولا يلزم من موافقته للتوراة أنه لم يزد عليها، بل القرآن جمع الكتب السماوية وزاد عليها.

قوله: (من أهل الكتاب) هذا جوابٌ عن سؤالٍ مقدّر، تقديره: إن أوّل بعثة النبي في مكة، وأوّل كافر أهلها، ولم يأت للمدينة إلا بعد ثلاث عشرة سنة، فليس كفار أهل الكتاب أوّل كافر. أجاب المفسّر: بأن المراد الذي في أيديهم الكتب بالنسبة لمن يأتي بعدهم إلى يوم القيامة، فليس المراد الأوليّة الحقيقية، بل النسبيّة^(١).

قوله: (فإثمهم عليكم) أي: لأنّ مَنْ سَنَّ سُنَّةً سيئة فعلية وزرّها ووزر مَنْ عملها إلى يوم القيامة^(٢). قوله: (تستبدلوا) حوّل المفسّر العبارة؛ لأن الشراء ليس حقيقياً، بل هو مُطلق استبدالٍ ومعاوضة.

قوله: (من نعت محمد) أي: أوصافه وأخلاقه التي ذكرت في التوراة والإنجيل.

قوله: (من سفلتكم) أي: عامتكم.

قوله: ﴿وَإِنِّي فَاتَّقُونَ﴾ يُقال فيه ما قيل في ﴿وَإِنِّي فَارْهَبُونَ﴾.

قوله: ﴿وَلَا تَلْسُوا﴾ (من: لبس بالفتح من باب: ضرب، وأما اللبس وهو سلك الثوب في العنق فمن باب: تعب.

(١) وعبارة العلامة الأجهوري في «الكوكبين النيرين» مخطوط، والعلامة الجمل في «فتوحاته» (٤٦/١): (لا تكفروا به فتكونوا أولاً بالنسبة لمن بعدكم من ذريعتكم، فتبوءوا بإثمكم وإثمهم، فهذا أبلغ من قوله: لا تكفروا به؛ لأن فيه إثماً واحداً).

(٢) كما روي مرفوعاً عند مسلم (١٠١٧).

يَلْبِطِلْ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾
أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ

﴿يَلْبِطِلْ﴾ الذي تفترونه، ﴿و﴾ لا ﴿تَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾: نعت محمد ﷺ ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه الحق.
﴿٤٣﴾ ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾: صلوا مع المصلين محمد وأصحابه.

﴿٤٤﴾ ونزل في علمائهم - وكانوا يقولون لأقربائهم المسلمين: اثبتوا على دين محمد فإنه حق -: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾:
حاشية الصاوي

قوله: (الذي تفترونه) أي: من تغيير صفات محمد.

قوله: (صلوا مع المصلين) أشار بذلك إلى أنه من باب: تسمية الكل باسم جزئه، وأثر الركوع على غيره؛ لأنه لم يكن في شريعتهم، فكأنه قال: صلوا الصلاة ذات الركوع في جماعة.
قوله: (ونزل في علمائهم) فاعل نزل جملة ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ﴾، والضمير في (علمائهم) عائذ على اليهود، ومثل ذلك يقال في علماء المسلمين؛ لأن كل آية وردت في الكفار تجر ذيلها على عصاة المؤمنين، فالحاصل: أن العالم إن كان كافراً فهو معذب من قبل عبادة الوثن؛ لأن وزر من كفر في عنقه، وأما إن كان مسلماً ولكنه فرط في العمل بالعلم فهو أقبح العصاة عذاباً، هذا هو الحق، فقولهم: [الرجز]

وَعَالِمٌ يَعْلَمُ لَمْ يَعْمَلْ مُعَذَّبٌ مِنْ قَبْلِ عِبَادِ الْوَثْنِ^(١)

محمولاً على العالم الكافر؛ كعلماء اليهود والنصارى.

قوله: (لأقربائهم المسلمين) إنما نصحوا معهم ليأسهم من دنياهم^(٢).

قوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ﴾ سيأتي للمفسر أن الهمزة للاستفهام الإنكاري، ومحط الاستفهام قوله:

(١) من «زيد ابن رسلان» أرجوزة في الفقه الشافعي، ووقع في النسخ: (لن) بدل (لم)، والتصحيح من «غاية البيان» (ص ٤).

(٢) في (ط): (فضحوا) بدل (نصحوا).

وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَذَكَّرُونَ.....

بِالْإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ ﴿وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾: تَتْرَكُونَهَا فَلَا تَأْمُرُونَهَا بِهِ، ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَذَكَّرُونَ﴾: تَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ.

حاشية الصاوي

﴿وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: لا يليقُ منكم الأمرُ بالمعروفِ والبرِّ لِغَيْرِكُمْ مع كونكم ناسِينَ أنفسكم، قال الشاعر^(١): [الكامل]

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُعَلَّمُ غَيْرُهُ هَلَّا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمِ
إِلَى أَنْ قَالَ:

لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلُهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ
وَقَالَ الشَّاعِرُ أَيْضاً^(٢): [المقارب]

أَتَنْهَى النَّاسَ وَلَا تَنْتَهِي مَتَى تَلْحَقُ الْقَوْمَ يَا لَكْعُ؟
وَيَا حَجَرَ السِّنِّ أَمَا تَسْتَحْيِي تَسُنُّ الْحَدِيدَ وَلَا تَقْطَعُ

قوله: (بالإيمان بمحمد) الْأَخْضَرُ حَذَفُ (بالإيمان)؛ فالبرُّ اسمٌ جامعٌ لكلِّ خيرٍ، كما أن الإثمَّ اسمٌ جامعٌ لكلِّ شرٍّ، ولما كان الإيمانُ بمحمدٍ يستلزمُ كلَّ خيرٍ فَسَّرَهُ بِهِ، وسيأتي تفسيره في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْإِلَهَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ...﴾ [البقرة: ١٧٧] الآية.

قوله: (تتركونها) أشار بذلك إلى أنه من باب: استعمالِ اللازمِ في الملزومِ، أو السببِ في المسبَّبِ؛ لأنه يلزم من نسيان الشيء تركه، وسبب الترك النسيانُ، والحكمةُ في ارتكاب المجاز: الإشارةُ إلى أن الشأنَ أنَّ العالمَ لا يقعُ منه ذلك إلا نسياناً^(٣).

(١) هو أبو الأسود الدؤلي على الذي رجَّحه البغدادي في «خزانة الأدب» (٥٦٧/٨) نقلاً عن اللخمي في «شرح أبيات الجمل».

(٢) حكاهاما الذهبي في «تاريخ الإسلام» (١٢١/٣٦) من شعر ابن تومرت، وحكاهاما بنحوهما أيضاً الحافظ الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين» (٨/١) لأحمد الغزالي في عِظَةِ لأخيه حجة الإسلام صاحب «الإحياء»، واللک: اللئيم ذليل النفس.

(٣) وعبارة العلامة الأجهوري في «الكوكبين النيرين» مخطوط وعنه العلامة الجمل في «الفتوحات» (٤٧/١): (وسر هذا التجوُّز الإشارةُ أن ترك ما ذكر لا ينبغي أن يصدر عن العاقل إلا نسياناً).

أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ

التَّوْرَةَ وَفِيهَا الْوَعِيدُ عَلَى مُخَالَفَةِ الْقَوْلِ الْعَمَلِ، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ سُوءٌ فَعَلَيْكُمْ فَتَرْجِعُونَ؟ - فَجُمْلَةُ النَّسِيَانِ مَحَلُّ الِاسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِيِّ -.

﴿٤٥﴾ وَاسْتَعِينُوا: اطْلُبُوا الْمَعُونَةَ عَلَى أُمُورِكُمْ ﴿بِالصَّبْرِ﴾: الْحَبْسِ لِلنَّفْسِ عَلَى مَا تَكَرَّرَهُ، ﴿وَالصَّلَاةِ﴾ أَفْرَدَهَا بِالذِّكْرِ تَعْظِيماً لِّشَأْنِهَا، وَفِي الْحَدِيثِ: كَانَ ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ بَادَرَ إِلَى الصَّلَاةِ، وَقِيلَ: الْخِطَابُ لِلْيَهُودِ لَمَّا عَاقَهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ قال بعض المفسرين: (إن الفاء في مثل هذا الموضع مؤخّرة من تقديم، وجُمْلَةُ «تَعْقِلُونَ» معطوفة على جُمْلَةِ «تَتْلُونَ»، والمستفهم عنه ما بعد الفاء، التقدير: فأَيُّ شَيْءٍ لَا تَعْقِلُونَهُ؟، وقال الزمخشري: إن الهمزة داخلَةٌ على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، التقدير: أَتَفْعَلُونَ ذَلِكَ فَلَا تَعْقِلُونَ^(١)).

قوله: ﴿وَاسْتَعِينُوا﴾ قيل: إن هذا الخطابُ لِلْمُسْلِمِينَ، وقيل: لِلْيَهُودِ، فعلى الأوَّلِ تكون الجُمْلَةُ معترضةً بين أجزاء القِصَّةِ، وعلى الثاني: لا اعتراض.

قوله: (الحبس للنفس على ما تكره) أي: من المصائب والطاعات وترك المعاصي، فأقسام الصبر ثلاثة: صبرٌ على المُصِيبَةِ، وصبرٌ على دوام الطاعة، وصبرٌ عن المعاصي فلا يَفْعَلُهَا، والكامِلُ من تحقّقَ بِجَمِيعِهَا.

قوله: (أفردتها بالذكر) أي: مع أنها داخلَةٌ في الصبر، فذكرُ الخاصِّ بعد العامِّ لا بدُّ له من نكتة، أجب عن ذلك بقوله: (تعظيماً لشأنها).

قوله: (تعظيماً لشأنها) أي: من حيث إن الصلاةَ جامعَةٌ لأنواع العبادَةِ؛ من تسبيحٍ وتهليلٍ وتكبيرٍ وذكرٍ وصلاةٍ على النبي ﷺ ورُكُوعٍ وسجودٍ، وفي الحديث: «لَمَّا أُسْرِيَ بِهِ وَرَأَى الْمَلَائِكَةَ مِنْهُمْ الْقَائِمُ لَا غَيْرُ، وَالرَّاكِعُ لَا غَيْرُ، وَهَكَذَا، تَمَنَّى عِبَادَةً تَجْمَعُ عِبَادَاتِ الْمَلَائِكَةِ، فَأُعْطِيَ الصَّلَاةَ». قوله: (إذا حزبه) بالباء والنون، ومعناها: هَمُّهُ وَشَقُّ عَلَيْهِ، وهذا يؤيِّدُ أَنَّ الْخِطَابَ لِمُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ.

(١) النص للعلامة السمين الحلبي في «الدر المصون» (٣٢٨/١) بتصرف، وقوله: (مؤخرة من تقديم) أي: الأصل: فلا تعقلون، وعبارة السمين: (وهي - همزة الاستفهام الإنكاري - في نية التأخير عن الفاء؛ لأنها حرف عطف)، والذي في مطبوعة «الدر المصون» و«الفتوحات الإلهية» وغيرهما في تقدير الزمخشري للاستفهام: (أتغفلون فلا تعقلون).

وَإِنَّمَا لِكَبِيرَةٍ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ

الشَّرُّ وَحُبُّ الرِّيَاسَةِ، فَأَمِرُوا بِالصَّبْرِ - وَهُوَ الصَّوْمُ - لِأَنَّهُ يَكْسِرُ الشَّهْوَةَ، وَالصَّلَاةُ لِأَنَّهَا تُورِثُ الْخُشُوعَ وَتَنْفِي الْكِبَرَ، ﴿وَإِنَّمَا﴾ أَي: الصَّلَاةُ ﴿لِكَبِيرَةٍ﴾: ثَقِيلَةٌ ﴿إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾: السَّاكِنِينَ إِلَى الطَّاعَةِ.

﴿٤٦﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾: يُوقِنُونَ ﴿أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾ بِالْبَعْثِ،

حاشية الصاوي

قوله: (الشَّرُّ^(١)) أي: الشهوة، فالمانعُ لهم من الإيمان بمحمد الشهوات والكِبَرُ، ولكن قد يُقال: إن الكافر لا يصحُّ منه صومٌ ولا صلاة حتى يدخل في الإسلام، فما معنى أمرهم بذلك؟
أجيب: بأن المراد: أمرهم بعد الإسلام.

قوله: (لأنه يكسر الشهوة) أي: يُضعفها.

قوله: (تورث الخشوع) هو خضوعُ النفس وسكونها تحت المقادير.

قوله: (ثَقِيلَةٌ) قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى...﴾ [النساء: ١٤٢] الآية.

قوله: ﴿إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ استثناء مفرغٌ مضمَّنٌ معنى النفي؛ أي: لا تسهلُ إلا على الخاشعين.

قوله: (السَّاكِنِينَ) أي: المائلين المحبِّين للطاعة، الذين اطمأنَّت قلوبهم بها، وفي الحديث: «أقربُ ما يكونُ العبدُ منُ ربِّه وهو ساجدٌ»^(٢)، وفي الحديث: «وَجُعِلَتْ قَرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»^(٣)، هكذا مشى المفسِّر على أن الضميرَ عائِدٌ على الصلاة، ويَحْتَمِلُ عَوْدُهُ على الاستعانة بالصبر والصلاة، ويَحْتَمِلُ عَوْدَهُ على ما تقدَّم من قوله: ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: وإنَّ ما أَمَرَ به بنو إسرائيلَ لكَبِيرَةٍ.

قوله: (يُوقِنُونَ) أشار بذلك إلى أن الظنَّ يُستعملُ بمعنى اليقين، وقد يُستعملُ اليقينُ بمعنى الظنِّ، قال تعالى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾ [المتحنة: ١٠] أي: ظنَّتموهنَّ.

قوله: ﴿أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾ أي: يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ يُبْعَثُونَ وَيَرَوْنَ رَبَّهُمْ، فقوله: (بالبعث) الباءُ

سَبِيَّةٌ.

(١) في نسخة أشار إليها صاحب «الفتوحات» (٤٨/١): (الشهوة) بدل (الشَّرُّ)، وفَسَّرَ الشره بالحرص.

(٢) رواه مسلم (٤٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٣) رواه النسائي (٣٩٤٠) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً.

وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾

﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ في الآخرة فيجازيهم.

﴿٤٧﴾ ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ بِالشُّكْرِ عَلَيْهَا بِطَاعَتِي، ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ﴾ أَي: آبَاءَكُمْ ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾: عَالَمِي زَمَانِهِمْ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ أي: صائرون، فيحاسبهم على أعمالهم، فيدخلهم إما الجنة أو النار، وبهذا التفسير فلا تكرار بين قوله: ﴿أَنَّهُمْ مُّلتَقُوا رَبَّهُمْ﴾ وبين قوله: ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

قوله: ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ﴾ كرّر هذا النداء لطول الفصل؛ بناءً على أن الخطاب في ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ لغير بني إسرائيل، ولتعداد النعم عليهم، وللتأكيد لبلاذيتهم؛ فإن الذكي يفهم بالمثال الواحد ما لا يفهمه الغبيّ بألف شاهد.

قوله: (بالشكر عليها) أي: باتباع محمد والدخول في دينه، ولا ينفعهم الانتساب لغيره مع وجوده.

قوله: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ﴾ في تأويل مصدرٍ معطوف على ﴿نِعْمَتِي﴾ أي: اذكروا نعمتي وتفضيلي إياكم.

قوله: (أي: آباءكم) إشارة إلى أنه على حذف مضاف، فالفضل ثابتٌ لآبائهم المتقدمين، لا لمن وُجد في زمنه ﷺ؛ فإن المُصِرَّ منهم على الكفر همجُ الهمج^(١).

قوله: (عالمي زمانهم) دفع بذلك ما يُقال: إن المراد بالعالمين ما سوى الله، فيقتضي أن بني إسرائيل أفضلٌ ممّا سواهم من الأولين والآخرين، فأجاب: بأن المراد بالعالمين عالمو زمانهم^(٢)، وهذا هو المرتضى، وهناك أجوبة أخرى؛ منها: أن المراد بآبائهم الأنبياء، وهو مخدوشٌ بأن إبراهيم أفضلٌ من أنبياء بني إسرائيل، ومحمدٌ أفضلُ الخلق جميعاً، ومنها: أن المراد تفضيلُ أمم بني إسرائيل على جميع الأمم، وهو مخدوشٌ أيضاً بأن أمّة محمد أفضلُ الأمم جميعاً باتِّفاق؛ لقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ولذلك طلب موسى أن يكونَ منهم، فلم يتمّ إلا الأوّل.

(١) الهمج: ذباب صغير يقع على وجوه الدواب، وعلى التشبيه به يقال للرعاع من الناس وللحمقى منهم.

(٢) في النسخ: (عالمي زمانهم).

وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ

﴿٤٨﴾ ﴿وَاتَّقُوا﴾: خافوا ﴿يَوْمًا لَا تَجْزِي﴾ فيه ﴿نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ هو يَوْمُ الْقِيَامَةِ، ﴿وَلَا يُقْبَلُ﴾ - بِالتَّاءِ وَالْيَاءِ - ﴿مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾ أي: ليس لها شفاعَةٌ فتُقبَلُ، ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَفِيعِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٠]،

حاشية الصاوي

قوله ﴿وَاتَّقُوا﴾ أصله: أوْتَقُوا، قلبت الواو تاءً وأدغمت في التاء، وقوله: ﴿يَوْمًا﴾ مفعولٌ به وليس ظرفاً^(١)؛ لأنَّ الخوفَ واقعٌ على اليوم، لا في اليوم.

قوله: ﴿لَا تَجْزِي﴾ فيه صفةٌ لـ ﴿يَوْمًا﴾، وقدَّرَ المفسِّرُ قوله: (فيه) إشارةً للرباط، وحُذِفَ لأنه يُتوسَّعُ في الظروف ما لا يُتوسَّعُ في غيرها.

قوله: ﴿عَنْ نَفْسٍ﴾ متعلقٌ بـ ﴿تَجْزِي﴾، و﴿نَفْسٌ﴾: فاعلٌ ﴿تَجْزِي﴾، وهو بمعنى: تُغني؛ أي: لا تغني نفسٌ مؤمنةٌ عن نفسٍ كافرةٍ شيئاً من عذابِ الله، وأما قولهم: (يُحْشَرُ المرءُ مع من أحبَّ)^(٢) أي: إذا كان المُحِبُّ مؤمناً، والأصولُ لا تنفعُ الفروعَ إلا إذا كان مع الفروع إيماناً، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا فِرْقَانًا يَمُسَّرَانِ﴾ [الطور: ٢١]^(٣).

قوله: (بالتاء والياء) قراءتانِ سبْعِيَّتانِ^(٤)، فعلى التاء الأمرُ ظاهرٌ، وعلى الياء لأنه مجازيُّ التأنِيثِ، فيصحُّ تذكيرُ الفعل وتأنِيثُهُ.

قوله: ﴿مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾ أي: النفسُ المؤمنة لا تُقبَلُ شفاعتُها في النفسِ الكافرة.

قوله: (وليس لها شفاعَةٌ فتُقبَلُ) أي: لم يُؤدَّنْ لها في أصل الشفاعَةِ حتى يتسبَّبَ عنها القبول، وليس المرادُ: أنها تشفع ولكن لا يُقبَلُ منها تلك الشفاعَةُ؛ لقوله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَفِيعِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٠]، وخيرٌ ما فسَّرتَه بالوارد؛ كما أشار لذلك المفسِّر.

(١) وجوزَ السمين في «الدر المصون» (١/ ٣٣٥) كونه ظرفاً والمفعول محذوف، والمعنى عليه: واتقوا العذابَ في يومٍ صفتهُ كَيْتٌ وكَيْتٌ.

(٢) وأصله ما رواه البخاري (٦١٦٨)، ومسلم (٢٦٤١) عنه ﷺ أنه قال: «المرءُ مع من أحبَّ»، وما رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨١/ ٢٠) مرفوعاً: «من أحبَّ قومًا حُشِرَ في زميرهم».

(٣) والآية بتمامها: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ أَلْفَنَّا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ».

(٤) ابن كثير وأبو عمرو قرأوا بالتاء، انظر «البحر المحيط» (١/ ٣٤٨).

وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ

﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ : فِدَاءٌ، ﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ : يُمْنَعُونَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ.

﴿٤٩﴾ ﴿وَاذْكُرُوا﴾ ﴿إِذْ نَجَّيْنَاكُمْ﴾ أي : آبَاءَكُمْ، وَالْخِطَابُ بِهِ وَبِمَا بَعَدَهُ لِلْمَوْجُودِينَ فِي زَمَنِ نَبِيِّنَا بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى آبَائِهِمْ؛ تَذَكُّيراً لَهُمْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى لِيُؤْمِنُوا، ﴿مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾ :

حاشية الصاوي

قوله : ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ الضمير عائدٌ على النفس الكافرة، والعَدْلُ بالفتح : الفداء، ويطلق على المماثل في القدر لا في الجنس، وأما المماثل في الجنس فبالكسر.

قوله : ﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ جمع باعتبار أفراد النفس ؛ لأن (أل) فيها جنسية^(١)، وأتى بالجملة اسميةً للتأكيد، والمعنى : ليس لهم مانعٌ يمنعهم من عذاب الله.

قوله : ﴿إِذْ نَجَّيْنَاكُمْ﴾ معطوفٌ على ﴿نَعَمْتِي﴾، مسلَّطٌ عليه (اذكروا) الأوَّلُ ؛ أي : اذكروا نعمتي وتفضيلي إياكم ووقت إنجائي لكم، والمقصودُ ذكرُ الإنجاء^(٢)، أو معطوفٌ على جملة (اذكروا)، فقولُ المفسر : (اذكروا) ليس تقديرًا للعامل الأوَّل، بل هو عاملٌ مماثلُهُ، وهكذا يُقال فيما يأتي ممَّا فيه (إِذ) من جميع ما يتعلَّقُ بيني إسرائيل.

قوله : (أي : آبَاءكم) ويصحُّ أن النجاة لهم ؛ إذ لو غرقت أصولهم ما وُجدوا، والنجاة : مأخوذةٌ من النَّجْوَة، وهي الأرضُ المرتفعة، والوَضْعُ عليها ليسلمَ من الآفات يُسمَّى إنجاءً، ثم أُطلقَ على كلِّ خُلُوصٍ من ضيقٍ إلى سَعَةٍ، فالمعنى : خلَّصناهم من المهلكات.

قوله : (بما أنعم على آبائهم) أي : وعدَّ عليهم نعمًا عشرةً نهايتها : ﴿وَإِذْ أَسْتَسْقَى﴾^(٣).

قوله : ﴿مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ لا يردُّ أن (الآل) لا يضافُ إلا لِذِي شرف^(٤) ؛ لأن فرعونَ ذو شرفٍ دُنيوي، والمرادُ أعوانه، وكانوا يومَ الغرقِ ألفَ ألفٍ وسبعَ مئةِ ألفٍ غيرَ المتخلفين بمصر، وكانت

(١) في (ط) : (لأن المراد بها جنس الأنفس) بدل (لأن «أل» فيها جنسية)، والمؤدَّى واحد.

(٢) لا ذكر وقته كما تُفيده (إِذ).

(٣) كما سبق ذكره (١/١٣٥)، وقوله : (نهايتها ﴿وَإِذْ أَسْتَسْقَى﴾) تنبيه لمخالفة المصنف للعلامة السيوطي في تركه دَرْجَهَا في النعم، والمصنف تبع شيخه العلامة الجمل كما في «الفتوحات الإلهية» (١/٥٠)، وسيأتي الحديث عنها عند تفسير الآية.

(٤) كون الآل لا يُضاف إلا لِذِي شرف قاعدة أغلبية كما يفهم من كلام العلامة الزبيدي في «تاج العروس» (أ و ل).

سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ

يُذَبِّحُونَكُمْ ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾: أشدّه، - والجُمْلَةُ حال من ضَمِير ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ - ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ - بيان لما قبله - ﴿أَبْنَاءَكُمْ﴾ المولودين، ﴿وَيَسْتَحْيُونَ﴾: يَسْتَبْقُونَ ﴿نِسَاءَكُمْ﴾

حاشية الصاوي

الخيْلُ الدَّهْمُ سبعين ألفاً، وبَنُو إِسْرَائِيلَ كانوا سِتِّ مِئَةِ أَلْفٍ وَعَشْرِينَ أَلْفاً، وعند دخول يعقوب مصر كانوا سبعين نفساً ذكوراً وإناثاً، وبين موسى ويعقوب أربع مئة سنة، فكمل فيها ذلك العدد مع كثرة قتل الأطفال وموت الشيوخ^(١)، فُسُبِحَانَ الْخَلْقِ الْعَظِيمِ!

وفرعون: اسمه الوليد بن مُصْعَب بن الريان^(٢)، وفرعون لقب له؛ من الفرعنة، وهي العتو والتمرد، ومدّة ادعائه الألوهية أربع مئة سنة، وكان يأكل كل يوم فصيلاً، وكان لا يتغوّط إلا كلّ أربعين يوماً مرّة، وفرعون اسم لكلّ من مَلَكِ الْعَمَالِقَةِ، كما أن قيصر اسم لمن مَلَكِ الرُّومَ، وكسرى لمن مَلَكِ الْفَرَسَ، والنجاشي لمن مَلَكِ الْحَبَشَةِ، وتبع لمن مَلَكِ الْيَمَنَ^(٣)، وخاقان لمن مَلَكِ التُّرْكِ.

قوله: (يذيقونكم) أي: على سبيل الدوام.

قوله: ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ اسم جامع لكلّ ما يغمّ النفس؛ كالشر وهو ضد الخير.

إن قلت: إن العذاب سيئ. أجاب المفسّر: بأن المراد أشدّه.

قوله: (بيان لما قبله) أي: لبعض ما قبله، فإنهم كانوا يُعَذَّبُونَ بأنواع العذاب، فكانوا يُخْدَمُونَ أقوياء بني إسرائيل في قَطْعِ الْحَجَرِ وَالْحَدِيدِ، والبناء وضرب الطُّوبِ والنجارة وغير ذلك، وكان نساؤهم يَغْزِلْنَ الْكَتَّانَ لَهُمْ وَيَنْسُجْنَهُ، وضعفاؤهم يَضْرِبُونَ عَلَيْهِمُ الْجَزِيَّةَ.

وإنما قلنا: (لبعض ما قبله)؛ لأن ذَبَحَ الأولاد وما ذَكَرَ معه ليس هو عينَ أَشَدِّ الْعَذَابِ، بل بعضه؛ بدليل سورة (إبراهيم) فإنها بالعطف^(٤)، وهو يقتضي المغايرة.

قوله: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ﴾ أصله: يَسْتَحْيِيُونَ بياءين، الأولى عينُ الْكَلِمَةِ، والثانية لامُهَا، استثقلت

(١) «الفتوحات الإلهية» (٥٢/١)، وانظر «الدر المنثور» (٢٩٥/٦) عند تفسير قوله سبحانه: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءَ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾.

(٢) كما روى الطبري في «تفسيره» (٣٨/٢) عن ابن إسحاق بلاغاً، وهو ما عليه أكثر المفسرين كما ذكر في «الفتوحات» (٥٠/١).

(٣) كذا وقع (تبع) في النسخ على قطع العطف، بل وشكله بالضم في (أ)، وهو اسم عربي مصروف.

(٤) أي: بعطف (يذبحون) و(يستحيون) على (يسومونكم)، قال سبحانه: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾.

وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ

لِقَوْلِ بَعْضِ الْكَهَنَةِ لَهُ: إِنَّ مَوْلُوداً يُوَلَّدُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ يَكُونُ سَبَباً لِّذَهَابِ مُلْكِكَ، ﴿وَفِي ذَٰلِكُمْ﴾ الْعَذَابِ أَوْ الْإِنْجَاءِ ﴿بَلَاءٌ﴾: ابْتِلَاءٌ أَوْ إِنْعَامٌ ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

﴿٥٠﴾ ﴿وَذَكِّرُوا﴾ إِذْ فَرَقْنَا: فَلَقْنَا ﴿بِكُمْ﴾: بِسَبَبِكُمْ ﴿الْبَحْرَ﴾ حَتَّى دَخَلْتُمُوهُ هَارِبِينَ مِّنْ عَدُوِّكُمْ، ﴿فَأَنْجَيْنَاكُمْ﴾ مِّنَ الْغَرَقِ ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾: قَوْمَهُ مَعَهُ،

حاشية الصاوي

الكسرة على الياء الأولى، فحذفت، فالتقى ساكنان، حذفت الياء لالتقاء الساكنين، وقيل: حذفت الياء الثانية تخفيفاً، وضُمَّتْ الأولى لِمُنَاسَبَةِ الْوَاوِ، فعلى الأول: وَزْنُهُ (يَسْتَفْعُلُونَ)، وعلى الثاني: وَزْنُهُ (يَسْتَفْعُونَ).

قوله: (لقول بعض الكهنة) أي: حين دعاهم لِيَقْصَّ عَلَيْهِمْ مَا رَأَاهُ فِي النَّوْمِ، وهو أن ناراً أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بُيُوتِ مِصْرَ، فأحرقت القِبْطَ وتركت بني إسرائيل، فشقَّ عليه ذلك، ودعا الكهنة وسألهم عن ذلك، فقالوا له ما ذكر^(١).

قوله: (والإنجاء) أي: من حيث عدم الشكر عليه، فصار الإنجاء بلاءً، فالبلاء يُطلق على الخير والشرِّ، قال تعالى: ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥].

قوله: (ابتلاء) راجع للعذاب. وقوله: (أو إنعام) راجع للإنجاء، فهو لفٌّ ونشْرٌ مرتَّبٌ.

قوله: ﴿وَذَكِّرُوا﴾ إِذْ فَرَقْنَا ﴿هَذَا مِنْ جُمْلَةِ الْمَعْطُوفِ عَلَى﴾ ﴿نِعْمَتِي﴾ أَوْ عَلَى (اذكروا)، فالمقصودُ تعدادُ النعم عليهم، وفَرَّقَ مِنْ بَابٍ: قَتَلَ: مَيَّزَ الشَّيْءَ مِنَ الشَّيْءِ، قال تعالى: ﴿وَفَرَّقْنَا فَرْقَتَهُ﴾ [الإسراء: ١٠٦] أي: مَيَّزْنَا بِهِ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ.

قوله: (فلقنا) الْفَلَقُ وَالْفَرَقُ بمعنى واحد، قال تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣].

قوله: ﴿الْبَحْرَ﴾ هو الماء الكثير عَذْباً أَوْ مِلْحاً، لكن المراد هنا الْمِلْحُ، والمرادُ به: بحر القلزم^(٢).

قوله: ﴿آلَ فِرْعَوْنَ﴾ يُطلقُ آلُ الرَّجُلِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٤٣/٢) عن السُّدِّيِّ.

(٢) وهو البحر الأحمر، مشتق من الْقَلْزَمَةِ، وهي الابتلاع.

وَأَنْتُمْ نَظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً

﴿وَأَنْتُمْ نَظُرُونَ﴾ إلى انطباق البحرِ عليهم.

﴿٥١﴾ ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا﴾ - بِأَلْفٍ وَدُونِهَا - ﴿مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ نُعْطِيهِ عِنْدَ انْقِضَائِهَا التَّوْرَةَ؛

حاشية الصاوي

عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴿[الأحزاب: ٣٣] المراد: محمدٌ وآله، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠] المراد: آدمٌ وبنوه.

قوله: (إلى انطباق البحر) إشارة إلى أن المتعلق محذوف.

قوله: (بألف ودونها) أي: فهما قراءتان سبعتان^(١)، فعلى الألف المواعدة من الله بإعطاء التوراة، ومن موسى برياضته الأربعين يوماً وإتيانه جبل الطور لأخذ التوراة، وعلى عدمها فالأمر ظاهر.

قوله: ﴿مُوسَى﴾ هو اسمٌ أعجمي غيرٌ مُنْصَرَفٌ، وهو في الأصل مرْكَبٌ، والأصل: مُوسَى بالشين؛ لأن الماء بالعبرانية يُقال له: مو، والشجر يُقال له: شى، فغيّره العربُ، وقالوه بالسین، سُمِّيَ بذلك لأن فرعونَ أخذه من بين الماء والشجر حين وضّعه أمُّهُ في الصندوق وألقته في اليم كما سيأتي في سورة (القصص)، وهذا بخلاف موسى الحديد، فإنه عربي مشتقٌ من: أَوْسَيْتُ رأسَه: إذا حلقتُهُ، وعاشَ موسى مئةً وعشرين سنةً.

قوله: ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ إشارة إلى غاية المدّة، وأمّا في سورة (الأعراف) فبيّن المبدأ والمنتهى، قال تعالى: ﴿وَوَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ قَتَمٍ مِّمَّاتٍ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: ١٤٢]، وهي ذو القعدة وعشر ذي الحجة، واقتصر على ذكر الليالي مع أن النهار تبع لها؛ لأن الليل محلُّ الصفاء والأنس والعطايا الربّانية.

قوله: (عند انقضائها) أي: فراغها، فبعدَ تمامِ الخدمة من العبد العطايا من الرب، قال عليه الصلاة والسلام: «تمامُ الرِّبَاطِ أَرْبَعُونَ يَوْمًا»^(٢).

قوله: (التوراة) أي: في ألواحٍ من زَبْرَجَدٍ فيها الأحكامُ التكليفية، مَنْ خَرَجَ عَنْهَا فَهُوَ ضَالٌّ

(١) (واعدنا) هي قراءة الجمهور، و(واعدنا) قرأ بها أبو عمرو، والمواعدة من سيدنا موسى بمعنى المعاهدة، انظر «البحر المحيط» (٣٥٦/١).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٣٣/٨) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعاً.

ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَتَقَوَّمُ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ

لِتَعْمَلُوا بِهَا، ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ الَّذِي صَاغَهُ لَكُمْ السَّامِرِيُّ إِلَهًا ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: بعد ذهابه إلى ميعادنا، ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ بِاتِّخَاذِهِ؛ لِوَضْعِكُمُ الْعِبَادَةَ فِي غَيْرِ مَحَلِّهَا.
﴿٥٢﴾ ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ﴾: مَحَوْنَا ذُنُوبَكُمْ ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ الْإِتِّخَاذِ، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نِعْمَتَنَا عَلَيْكُمْ.

﴿٥٣﴾ ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾: التَّوْرَةَ ﴿وَالْفُرْقَانَ﴾ - عَطْفُ تَفْسِيرٍ - أي: الفارق بين الحقِّ والباطل والحلال والحرام، ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ بِهِ مِنَ الضَّلَالِ.

﴿٥٤﴾ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ الَّذِينَ عَبَدُوا الْعِجْلَ: ﴿يَتَقَوَّمُ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾

حاشية الصاوي

مضل؛ لقوله تعالى: ﴿أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ...﴾ [المائدة: ٤٤] الآية، وأعطاه أيضاً ألواحاً أخر فيها مواعظ وأسرار ومعارف، قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٤٥] يخصُّ بها مَنْ شاء، فلمَّا رجع بها ووجدهم قد عبدوا العجل ألقي الألواح، فتكسَّر ما عدا التوراة، كذا قالوا هنا، وسيأتي تحقيق ذلك في (الأعراف).

قوله: (السامري) واسمه موسى، وكان ابن زناً، ولدته أمُّه في الجبل، وتركته لخوفها من قومها، فربَّاه جبريل، وكان يسقيه من إصبه لبناً، فصار يعرف جبريل ويعرف أن أثر حافر فرس جبريل إذا وُضِعَ على مِيتٍ يحيا، فاستعار حلياً منهم وصاغه عجلاً، ووضَعَ التراب في أنفه وفيه فصار له خوار، وكان السامري منافقاً في بني إسرائيل، فعكفوا على عبادته جميعاً إلا اثني عشر ألفاً، قال بعضهم: [الطويل]

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يُخْلَقْ سَعِيداً مِنَ الْأَزَلِّ فَقَدْ خَابَ مَنْ رَبَّى وَخَابَ الْمُؤَمِّلُ
فَمُوسَى الَّذِي رَبَّاهُ جِبْرِيلُ كَافِرٌ وَمُوسَى الَّذِي رَبَّاهُ فِرْعَوْنُ مُرْسَلٌ

قوله: (إلهاً) قَدَّرَهُ إشارةً للمفعول الثاني ل(اتَّخذ)، هذا إذا كانت بمعنى جعل، وأما إن كانت بمعنى عمل نصبت مفعولاً واحداً.

قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ أي: تتدبرون في معانيه، فتعلموا الحق من الباطل.

يَأْتِخَاذِكُمْ الْعَجَل فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَثَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ

يَأْتِخَاذِكُمْ الْعَجَل ﴿٥٤﴾ إِلَهًا، ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ﴾: خَالِقُكُمْ مِنْ عِبَادَتِهِ، ﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾: أَي: لِيَقْتُلِ الْبَرِيءُ مِنْكُمْ الْمُجْرِمَ، ﴿ذَلِكَ﴾ الْقَتْلُ ﴿خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ﴾، فَوْقَكُمْ لِفِعْلِ ذَلِكَ، وَأَرْسَلَ عَلَيْكُمْ سَحَابَةً سَوْدَاءَ لئَلَّا يُبْصِرَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَيَرْحَمَهُ، حَتَّى قُتِلَ مِنْكُمْ نَحْوُ سَبْعِينَ أَلْفًا، ﴿فَثَابَ عَلَيْكُمْ﴾: قَبِلَ تَوْبَتَكُمْ؛ ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿٥٥﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ ﴿٥٥﴾ وَقَدْ خَرَجْتُمْ مَعَ مُوسَى لِيَتَعَذَّرُوا إِلَى اللَّهِ مِنْ عِبَادَةِ الْعَجَلِ وَسَمِعْتُمْ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿يَأْتِخَاذِكُمْ﴾ من إضافة المصدر لفاعله، و﴿الْعَجَل﴾ مفعولٌ أوَّل، و﴿إِلَهًا﴾ مفعولٌ ثانٍ.

قوله: ﴿إِلَى بَارِيكُمْ﴾ الباريُّ هو: الخالقُ للشيءِ على غيرِ مثالِ سابق.

قوله: ﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ هذا بيانٌ لتوبتهم.

قوله: (أَي: لِيَقْتُلِ الْبَرِيءُ... إلخ) ورد: أنهم أمروا جميعاً بالاحتباء، فصار الواحد منهم يقتل أخاه أو ابنه، فشَقَّ عليهم ذلك، فشكوا لموسى ذلك، فتضرَّع موسى لربه، فأرسل عليهم سحابةً سوداءً مظلمةً كما قال المفسر^(١).

قوله: ﴿فَثَابَ عَلَيْكُمْ﴾ أَي: لَمَّا تضرَّع موسى وهارون وبكيا، فأرسل الله جبريل يأمرهم بالكفِّ عن الباقي، وأخبرهم أن الله قَبِلَ توبةَ مَنْ قُتِلَ وَمَنْ لَمْ يُقْتَلْ، وقوله: ﴿فَثَابَ عَلَيْكُمْ﴾ الفاء: سببيةٌ، مرتَّبٌ على محذوفٍ قدره المفسر بقوله: (فَوْقَكُمْ لِفِعْلِ ذَلِكَ... إلخ).

وقوله: (حتى قتل منكم نحو سبعين ألفاً) أَي: في يوم واحد.

قوله: ﴿التَّوَابُ﴾ أَي: الذي يَقْبَلُ التوبةَ كثيراً.

قوله: ﴿الرَّحِيمُ﴾ أَي: المنعمُ المحسن.

قوله: (وقد خرجتم... إلخ) بيانٌ للسبب، وحاصلُ ذلك: أنه بعد قبولِ توبتهم أوحى الله إلى موسى أن خُذْ مِنْ قَوْمِكَ سَبْعِينَ رَجُلًا مِمَّنْ لَمْ يَعْبُدُوا الْعَجَلَ، وَمُرَّهُمْ بِطَهَارَةِ الثِّيَابِ وَالْأَبْدَانِ، وَالذَّهَابِ مَعَكَ إِلَى جَبَلِ الطُّورِ؛ لِيَتَعَذَّرُوا عَمَّنْ عَبَدُوا الْعَجَلَ وَيَسْتَغْفِرُوا وَيَتُوبُوا، فَاخْتَارَهُمْ، وَذَهَبُوا

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٧٤/٢) عن ابن عباس ؓ.

يَمُوسَى لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمْ الصَّعِيقَةُ وَأَنْتُمْ نَظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ
مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾

كَلَامُهُ: ﴿يَمُوسَى لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾: عَيْنَانَا، ﴿فَأَخَذَتْكُمْ الصَّعِيقَةُ﴾: الصَّيْحَةُ،
فُتُّمُ، ﴿وَأَنْتُمْ نَظُرُونَ﴾: مَا حَلَّ بِكُمْ.

﴿٥٦﴾: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ﴾: أَحْيَيْنَاكُمْ ﴿مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نِعْمَتُنَا بِذَلِكَ.

حاشية الصاوي

معه إلى جبل الطور، فسمعوا كلام الله، ورد: «أَنَّ اللَّهَ قَالَ لَهُمْ: إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، أَخْرَجْتُكُمْ
مِنْ أَرْضِ مِصْرَ بِيَدٍ شَدِيدَةٍ، فَاعْبُدُونِ وَلَا تَعْبُدُوا غَيْرِي، فَقَالُوا: ﴿يَمُوسَى لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ...﴾
الآية»^(١).

قوله: ﴿لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ﴾ أي: لَنْ نُصَدِّقَكَ فِي أَنْ الْمَخَاطِبَ لَنَا رَبُّنَا.

قوله: (الصَّيْحَةُ) قيل: صَاحَ عَلَيْهِمْ مَلَكٌ، وَقِيلَ: نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ نَارٌ فَأَحْرَقَتْهُمْ، وَجُمِعَ بِأَنَّهُ
أَصَابَهُمْ كُلُّ مِنْهَا.

قوله: ﴿وَأَنْتُمْ نَظُرُونَ﴾ أي: فَمَاتُوا مَتْرَبِينَ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ، وَمَكثُوا مِثْنَيْنِ يَوْمًا وَلَيْلَةً وَالْحَيُّ
يَنْظُرُ لِلْمَيِّتِ.

قوله: (مَا حَلَّ بِكُمْ) إشارة إلى مفعول ﴿نَظُرُونَ﴾.

قوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ﴾ أي: وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ لِنَعْتَبِرُوا، وَهَذَا الْمَوْتُ حَقِيقِيٌّ، وَإِنَّمَا أُحْيُوا

(١) قَالَ الْعَلَامَةُ الْقُرْطُبِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٢/٢): (فَإِنْ قِيلَ: فَقَدْ رَوَى الْكَلْبِيُّ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ قَوْمَ مُوسَى
سَأَلُوا مُوسَى أَنْ يَسْأَلَ رَبَّهُ أَنْ يُسْمِعَهُمْ كَلَامَهُ، فَسَمِعُوا صَوْتًا كَصَوْتِ الشُّبُورِ: إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا الْحَيُّ الْقَيُّومُ،
أَخْرَجْتُكُمْ مِنْ مِصْرَ بِيَدٍ رَفِيعَةٍ وَذِرَاعٍ شَدِيدَةٍ، قُلْتُ: هَذَا حَدِيثٌ بَاطِلٌ لَا يَصِحُّ، رَوَاهُ ابْنُ مَرْوَانَ عَنِ الْكَلْبِيِّ، وَكِلَاهُمَا
ضَعِيفٌ لَا يَحْتَجُّ بِهِ).

وَقَالَ الْحَكِيمُ التِّرْمِذِيُّ فِي «نَوَادِرِ الْأَصُولِ» (١/٢٤٤): (وَمِنْ الْحَدِيثِ الَّذِي يَنْكَرُهُ قُلُوبُ الْمُحَقِّقِينَ: مَا رَوَى أَنَّ قَوْمَ
مُوسَى...، فَهَذَا حَدِيثٌ مِنْ غَرَبِ فَهْمِهِ، وَإِنَّمَا الْكَلَامُ شَيْءٌ خُصَّ بِهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ وَلَدِ آدَمَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ، فَإِنْ كَانَ كَلَّمَ قَوْمَهُ أَيْضًا حَتَّى أَسْمِعَهُمْ كَلَامَهُ فَمَا فَضَّلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حَيْثُ سُمِّيَ كَلِيمَ اللَّهِ مِنْ بَيْنِ رُسُلِهِ
عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؟).

وَيُمْكِنُ حَمْلُ سَمَاعِهِمْ لِكَلَامِهِ تَعَالَى عَلَى الْوَاسِطَةِ؛ أَيِ: سَمِعُوهُ مِنْ سَيِّدِنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ
أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ اتَّبِعْهُ مَأْمَنَةً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾، أَفَادَهُ الْقُرْطُبِيُّ.

وَوَهَبْنَا لَكُمْ الْغَنَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلَوىَ

﴿٥٧﴾ ﴿وَوَهَبْنَا لَكُمْ الْغَنَمَ﴾: سَتَرْنَاكُمْ بِالسَّحَابِ الرَّقِيقِ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ فِي النَّيِّهِ،
﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ﴾ فِيهِ ﴿الْمَنَّاءَ وَالسَّلَوىَ﴾

حاشية الصاوي

بشفاعة موسى ليستوفوا آجالهم المقدرة لهم، وما ذكره المفسر من أن السائل لرؤية الله جهره هم السبعون المختارون للمناجاة أحد طريقتين، والثانية: أن السائل غيرهم، وأما المختارون صُعقوا من هيبه الله ولم يسألوا رؤية ولم يكن منهم إنكار، فتضرع موسى لربه وقال: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَائْتَى أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ [الأعراف: ١٥٥]، فأحياهم الله بعد ذلك، ويشهد لذلك ما في آية (النساء) فإن ما فيها يدل على أن طلب الرؤية كان قبل عبادة العجل^(١)، وأما السبعون المختارون للمناجاة فكانوا بعد عبادة العجل، قال تعالى في سورة (النساء): ﴿فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهُ جَهْرَةً...﴾ [النساء: ١٥٣] الآية، وأما ما هنا فالواو لا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً؛ فإن ما هنا بصدد تعداد ما قالوا، ويشهد لذلك أيضاً أنه عبر في جانب من طلب الرؤية بالصعقة، وهي أخذة غضب، وفي جانب من يسمع الكلام بالرجفة، وهي أخذة هيبه ولا تقتضي الغضب، إذا علمت ذلك فما مشى عليه المفسر مُشكل من وجوه، والأقرب الطريقة الثانية.

قوله: (ستركم بالسحاب) حاصله: أن الله أوحى إلى موسى أن في أريحا قوماً جبّارين، فتجهز لقتالهم، فخرج في ستّ مئة ألف، فلما وصل الثّية - واد بين الشام ومصر - وقدره تسعة فراسخ - مكثوا فيه أربعين سنة متحيرين، وكانوا يبتدون السير من أول النهار فإذا جاء الليل وجدوا أنفسهم في المبدأ وهكذا، وسيأتي بسطه في (المائدة).

ومات هارون قبل موسى بسنة وكان بالثّيه، ولما توفي هارون وذهب موسى لدفنه أشاعوا أنه قتل أخاه، فذهب إلى قبره ودعاهم، وسأله عن سبب موته، فبرأه، ولما حضرت موسى الوفاة تمنى أن يُدفن بمحل قريب من الأرض المقدسة قَدَر رمية الحجر، فأجابه الله، ثم لما ماتا ومات كبارهم نبي يوشع بن نون عليهم، فوفقوا بعد تمام الأربعين سنة لقتال الجبارين، فتوجه مع من بقي من بني إسرائيل، فكان النصر على يديه.

(١) وذلك لمعنى الترتيب في (ثم)، قال تعالى: ﴿فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهُ جَهْرَةً فَأَخَذَهُمُ الصَّيْغَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ أَخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْيَقِينُ﴾.

كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا

هُمَا التَّرَنْجِبَيْنِ وَالطَّيْرِ السَّمَانَى - بِتَخْفِيفِ الْمِيمِ وَالْقَصْرِ -، وَقُلْنَا: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ وَلَا تَذْخِرُوا، فَكَفَرُوا النِّعْمَةَ وَادَّخَرُوا فَقُطِعَ عَنْهُمْ، ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ بِذَلِكَ، ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ لِأَنَّ وَبَالَهُ عَلَيْهِمْ.

﴿٥٨﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَهُمْ بَعْدَ خُرُوجِهِمْ مِنَ التِّيهِ:

حاشية الصاوي

قوله: (التَّرَنْجِبَيْنِ) شيء يشبه العسل الأبيض، وقيل: هو هو^(١).

قوله: (والطير السَّمَانَى)^(٢) أي: بإرسال رِيح الجنوب به، قيل: كان يأتيهم مطبوخاً، وقيل: كانوا يطبخونه بأيديهم، قيل: هو الطير المعروف، وقيل: طير يُشْبِهُهُ.

قوله: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ أي: مُسْتَلْذَاتِ الذي رَزَقْنَاكموه، ف(ما) اسمٌ موصول، وما بعدها صلة، والعائد محذوف، ويصح أن تكون نكرة، والجملة بعدها صفة، وأن تكون مصدرية، والجملة صلتها ولم تحتج إلى عائد، ويكون المصدر واقعاً موقع المفعول؛ أي: من طيبات مرزوقنا.

قوله: (فقطعت عنهم) هذا أحدُ تفسيريْن أن القطع بسبب الادخار، وقيل: إن القطع بسبب تمني غيره كما يأتي في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِمُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ [البقرة: ٦١].

قوله: ﴿وَلَكِنْ كَانُوا﴾ جمعٌ في هذه الآية وآية (الأعراف) بين (لكن) و(كانوا)، واقتصر على (لكن) ولم يذكر (كانوا) في (آل عمران)؛ لأن ما هنا و(الأعراف) حكاية عن بني إسرائيل، وأما (آل عمران) فمثل ضربته الله، فهو مُسْتَمِرٌّ إلى الآن، فناسب عدم التعبير ب(كان).

قوله: ﴿قُلْنَا﴾ لهم) القائل: الله سبحانه وتعالى على لسان موسى وهم في التيه بطريق الكشف، والمعنى: إذا خرجتم من التيه بعد مضي الأربعين سنة فادخلوا... إلخ، وأما إن كان بعد الخروج من التيه يكون ذلك على لسان يوشع، وهو المعتمد^(٣).

(١) الترنجبين: بتشديد الراء وسكون النون كما ذكر القرطبي في «تفسيره» (٤٠٦/١)، ويقال: الطرنجبين أيضاً، وتفسيره بعسل الندى أو الأبيض هو قول عامة المفسرين، ومنهم من قال: المن: مصدر يعم جميع ما منَّ الله به على عباده من غير تعب ولا زرع.

(٢) بوزان حُبَارَى، الواحدة منه سُماناة. انظر «تاج العروس» (س م ن).

(٣) «تفسير القرطبي» (١٣٠/٦).

أَدْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا

﴿أَدْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾: بَيْتَ الْمَقْدِسِ أَوْ أَرِيحَا، ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾: وَاسِعًا لَا حَجَرَ فِيهِ، ﴿وَأَدْخُلُوا الْبَابَ﴾: أَي: بِأَبْوَابِهَا ﴿سُجَّدًا﴾: مُنْحَنِينَ، ﴿وَقُولُوا﴾:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ هذه منصوبة عند سيبويه على الظرف، وعند الأخفش على المفعولية، و﴿الْقَرْيَةَ﴾: نعتٌ لـ ﴿هَذِهِ﴾ أو عطفُ بيان، وهي مُشْتَقَّةٌ من: قَرَيْتُ؛ أَي: جَمَعْتُ؛ لَجَمْعِهَا لِأَهْلِهَا، وهي في الأصل: اسمٌ للمكان الذي يَجْتَمِعُ فِيهِ الْقَوْمُ، وقد تطلق عليهم مجازاً، وقوله تعالى: ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] يحتمل الوجهين.

قوله: (بيت المقدس) هو قولٌ مجاهد، وقوله: (أو أريحا) هو قول ابن عباس^(١)، وهي بفتح الهمزة وكسر الراء وبالحاء المهملة: قريةٌ بالغورِ بغين معجمة، مكانٌ منخفضٌ بين بيت المقدس وحوارن، وعبارَةُ الخازن: (قال ابن عباس: القرية هي أريحا، قرية الجبارين، قيل: كان فيها قومٌ من بَقِيَّةِ عاد يُقال لهم: الْعَمَالِقَةُ، ورأسُهُمْ عُجُجُ بْنُ عُنُقٍ)^(٢).

قوله: ﴿فَكُلُوا﴾: أتى بالفاء لأن الأكلَ منها إنما يكون بعد الدخول، فحُسِّنَ الترتيبُ، ولم يأت بالفاء في (الأعراف) بل أتى بالواو؛ لِتَعْبِيرِهِ هُنَاكَ بِ﴿أَسْكُنُوا﴾، وهو يُجَامِعُ الأكلَ، فلم يحصل بينهما ترتيبٌ، فلذا أتى بالواو، بخلاف الدخول، فَيَعْقِبُهُ الأكلُ عادةً، فلذلك أتى بالفاء^(٣).

قوله: (أي: بابها) أي: أريحا، وهو المعتمد^(٤)، والمرادُ: أيُّ بابٍ من أبوابها، وكان لها سبعةُ أبوابٍ، أو بيت المقدس، ومن قال بذلك فالمراد بابٌ من أبواب المسجد، يسمى الآن ببابِ حِطَّةٍ.

قوله: (منحنيين) أي: على صورة الرাকع، وقيل: إن السجودَ حقيقة، وهو وضع الجبهة على الأرض، وقيل: المرادُ بالسجود التواضعُ والذلُّ لله، والأمرُ بالسجود قيل: لِصِغَرِ البابِ، وقيل: تعبدِيٌّ.

(١) «السراج المنير» (١/٦٢)، وانظر «تفسير الطبري» (٢/١٠٣).

(٢) «تفسير الخازن» (١/٤٨)، وعُنُقُ أُمِّ عُوْجٍ، وأبوه عُوْجٌ كما نقل الزبيدي عن ابن الطيب في «التاج» (ع و ق).

(٣) «البحر المحيط» (٤/٤٠٦).

(٤) وعامة المفسرين على التشكيك بين أريحا وبيت المقدس.

حِطَّةٌ نَغْفِرَ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ

مَسَّأَلْتُنَا ﴿حِطَّةٌ﴾ أَي: أَنْ تَحُطَّ عَنَّا خَطَايَانَا، ﴿نَغْفِرَ﴾ - وفي قِرَاءَةِ بِلْيَاءٍ، وَالتَّاءِ، مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ فِيهِمَا - ﴿لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (مَسَّأَلْتُنَا) إشارة إلى أَنْ ﴿حِطَّةٌ﴾ خبرٌ لمَحذوفٍ قَدَرَهُ المفسِّر، والجُمْلَةُ في محلِّ نصبٍ مقول القول، وَحِطَّةٌ بوزن قِعْدَةٍ أو جِلْسَةٍ مَعْنَاهَا حَطِيظَةُ الذُّنُوبِ عَنَّا^(١).

قوله: (خَطَايَانَا) جمع خطيئة، وهي الذُّنُوبُ التي ارتكبوها من عبادة العجل، وقولهم: ﴿أَرْنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ إلى غير ذلك، وفي قِرَاءَةِ شاذَّةٍ: بنصب (حِطَّةٍ)؛ إما مفعولٌ مطلق؛ أَي: حُطَّ عَنَّا الذُّنُوبُ حِطَّةً، أو مفعولٌ لمَحذوفٍ؛ أَي: نَسَأُكَ حِطَّةً، ومعنى حِطَّتِهَا: إِزَالَتُهَا وَمَحْوُهَا.

قوله: ﴿نَغْفِرَ﴾ القِرَاءَةُ تناسبُ ما قبلها وما بعدها؛ لِأَنَّهُ تَكَلَّمَ.

قوله: (وفي قِرَاءَةِ بِلْيَاءٍ وَالتَّاءِ)^(٢) أَي: وهما مناسبتان لمعنى الخطايا، والخطايا مجازيُّ التَّأْنِيثِ، فَلِذَلِكَ جَازَ تذكيرُ الفعل وتأنيثُهُ.

قوله: ﴿خَطِيئَتَكُمْ﴾ جمع خطيئة، وأصلُهُ: خَطَائِي بِيَاءٍ قبل الهمزة، فَقُلِبَتْ تلك الياءُ همزةً مكسورة، فَاجْتَمَعَ همزتان، فَقُلِبَتِ الثانيةُ ياءً، وَقُلِبَتْ كسرةُ الهمزة الأولى فتحةً، ثم يُقَالُ: تحرَّكَتِ الياءُ التي بعد الهمزة وانفتحَ ما قبلها فَقُلِبَتْ ألفاً، فَصَارَ خطاءً بِالْفَيْنِ بينهما همزةٌ، فَاسْتَثْقَلَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الهمزة تُشَبِّهُ الألفَ، فَكَانَ اجْتِمَاعُ ثَلَاثِ أَلِفَاتٍ مُتَوَالِيَاتٍ، فَقُلِبَتِ الهمزةُ ياءً لِلخَفَةِ هُنَا، ففِيهِ خَمْسُ إِعْمَالَاتٍ: قَلْبُ الياءِ التي قبل الهمزة همزةً، ثم قَلْبُ الهمزة الثانية ياءً، ثم قَلْبُ كسرةِ الأولى فتحةً، ثم قَلْبُ الثانية ألفاً، ثم قَلْبُ الأولى ياءً، تَأْمَلُ^(٣).

و(خطايا) هنا باتفاق القراء، وأما في (الأعراف) فيُقرأ (خطيئات)^(٤)، وَحِكْمَةُ ذَلِكَ: أَنَّهُ هُنَا

(١) والحطيطة: اسم لما يحطُّ وينقص من الثمن، وهُنَا على المجاز، وَحِطَّةٌ اسمٌ للهيئة، وقيل: لفظَةٌ أَمَرُوا بِهَا وَلَا يُدْرَى مَعْنَاهَا، وقيل: هي التوبة. انظر «الفتوحات» (٥٦/١).

(٢) قِرَاءَةُ نافع وابن عامر، وَقُرِئَ بالبناء للفاعل وبالبناء للمفعول. انظر «البحر المحيط» (٣٨٥/١).

(٣) وهذه الإِعْمَالَاتُ الصَّرْفِيَّةُ عَلَى قول سيبويه، ووزنها عنده فعائل، وهُنَا أَقْوَالٌ أُخْرَى. انظر «الدر المصون» (٣٧٨/١).

(٤) في قوله سبحانه: ﴿وَادْخُلُوا أَلْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرَ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَتَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾.

وَسَزَيِدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ

وَسَزَيِدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بِالطَّاعَةِ ثَوَابًا.

﴿٥٩﴾ ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ فَقَالُوا: حَبَّةٌ فِي شَعْرَةٍ،

حاشية الصاوي

أَسَدَ الْقَوْلِ لِنَفْسِهِ، فَهُوَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ وَإِنْ عَظُمَتْ، فَنَاسِبَ التَّعْبِيرِ بِخَطَايَا الَّذِي هُوَ جَمْعُ كَثْرَةٍ، وَفِي (الْأَعْرَافِ) بُنِيَ الْفِعْلُ لِلْمَجْهُولِ، فَعَبَّرَ بِجَمْعِ الْقَلَّةِ^(١).

وقوله: ﴿تَنَفَّرَ﴾ مجزومٌ في جواب قوله: (ادخلوا) المقيّد بالسجود وبالقول.

قوله: ﴿وَسَزَيِدُ﴾ عَبَّرَ بِالسَّيْنِ وَالْمُضَارَعِ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ الْمُحْسِنَ لَا يَنْقَطِعُ ثَوَابُهُ، بَلْ دَائِمًا يَتَجَدَّدُ شَيْئًا فَشَيْئًا.

قوله: ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ حِكْمَةُ الْإِتْيَانِ بِذَلِكَ: الزِّيَادَةُ فِي التَّقْبِيحِ عَلَيْهِمْ.

قوله: ﴿مِنْهُمْ﴾ قَدَّرَهَا هُنَا؛ لِأَنَّهُ ذَكَرَهَا فِي (الْأَعْرَافِ)^(٢)، وَالْقِصَّةُ وَاحِدَةٌ، فَمَا تَرَكَّهُ هُنَا قَدَّرَهُ هُنَاكَ، وَبِالْعَكْسِ.

قوله: ﴿قَوْلًا﴾ أَي: وَفِعْلًا، فَفِيهِ اكْتِفَاءٌ؛ عَلَى حَدِّ: ﴿سَرَّيْلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] أَي: وَالْبَرْدَ، أَوِ الْمُرَادُ بِالْقَوْلِ الْأَمْرُ الْإِلَهِيُّ، وَهُوَ يَشْمَلُ الْقَوْلَ وَالْفِعْلَ، كَأَنَّهُ قَالَ: فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَمْرًا غَيْرَ الَّذِي أَمَرُوا بِهِ.

قوله: (فَقَالُوا حَبَّةٌ فِي شَعْرَةٍ... إلخ) لَفٌّ وَنَشْرٌ مُشَوِّشٌ؛ لِأَنَّ هَذَا رَاجِعٌ إِلَى ﴿حَبَّةٌ﴾، وَقَوْلُهُ: (وَدَخَلُوا... إلخ) رَاجِعٌ لِقَوْلِهِ: ﴿سُجَّدًا﴾، وَمَا فَسَّرَ بِهِ الْمَفْسِّرُ هُوَ الصَّحِيحُ؛ لِأَنَّهُ حَدِيثُ الْبُخَارِيِّ^(٣)،

(١) فجمع الألف والتاء من جموع القلة، ولكن هذا على قراءة نافع ومحبوب عن أبي عمرو بالتاء: تُغْفَرُ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ، بينما قرأ الكوفيون وابن كثير والحسن والأعشى: نغفر - بالنون - لكم خطيئاتكم، كما في «البحر المحيط» (٤/٤٠٧)، وقرأ هنا أيضا بالبناء للمفعول كما سبق قبيلاً، وقد استظهر العلامة الرازي حكماً للفروق بين سياق القصة في البقرة والأعراف سيقلها المصنف، وقد قال في اختلاف الجمعيين كثرة وقلة: (إشارة إلى أن هذه الذنوب سواء كانت قليلة أم كثيرة فهي مغفورة عند الإتيان بهذا الدعاء والتضرع). انظر «تفسير الرازي» (١٥/٣٨٩).

(٢) في قوله سبحانه: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾.

(٣) رواه البخاري (٣٤٠٣)، ومسلم (٣٠١٥).

فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾

وَدَخَلُوا يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ، ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ - فِيهِ وَضْعُ الظَّاهِرِ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ مُبَالَغَةً فِي تَقْيِيحِ شَأْنِهِمْ - ﴿رِجْزًا﴾: عَذَابًا طَاعُونًا ﴿مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ بِسَبَبِ فِسْقِهِمْ، أَي: خُرُوجِهِمْ عَنِ الطَّاعَةِ، فَهَلَكَ مِنْهُمْ فِي سَاعَةٍ سَبْعُونَ أَلْفًا أَوْ أَقَلُّ.

حاشية الصاوي

وقيل: قالوا: حنطة في شَعْرَةٍ أو شُعَيْرَةٍ، أو حنطة حمراء في شَعْرَةٍ سوداء، أو حنطة بيضاء في شَعْرَةٍ سوداء، ومعنى (حبة في شَعْرَةٍ) جنس الحبّ وجنس الشعر؛ أي: نسألك حبًّا في زكائب من شَعْرٍ^(١).

قوله: (ودخلوا يزحفون) وقيل: إنهم دخلوا مستلقين على ظهورهم.

قوله: (على أَسْتَاهِهِمْ) جمع سَتَه^(٢)، وهو الدُّبُر؛ أي: على أدبارهم.

قوله: ﴿رِجْزًا﴾ هو في الأصل: فناء ينزل بالإبل، أُطلق وأريد منه مطلق الفناء.

قوله: (بسبب فسقهم) أشار بذلك إلى أن الباء سببية، و(ما): مصدرية تُسَبِّكُ مع ما بعدها بمصدر، ومشى المفسر على أن (كان) لا تتصرف، فسبكه من الخبر، وقيل: إن (كان) مُتَصَرِّفَةٌ يَأْتِي مِنْهَا الْمَصْدَرُ؛ لقول الشاعر: [الطويل]

بَبَذِلٍ وَجِلْمٍ سَادَ فِي قَوْمِهِ الْفَتَى وَكَوْنُكَ إِيَّاهُ عَلَيْكَ يَسِيرُ

فعليه: أن ما تسبك بها بمصدر؛ أي: بكونهم فاسقين، وهو المعتمد^(٣).

قوله: (فهلك منهم... إلخ) أي: فالطاعون عذاب لهم بخلاف الأمة المحمّدية، فإنه رحمة لهم، من مات به أو في زمنه كان شهيداً^(٤).

وقد ذكروا أن في الآية سُؤالات:

الأول: قوله هنا: ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ وفي (الأعراف): ﴿وَإِذْ قِيلَ﴾، وأجيب بأنه صرّح هنا بالفاعل لإزالة الإبهام، وحذفه في (الأعراف) للعلم به ممّا هنا.

(١) الزكائب: جمع زكبية، وعاء كبير كالجوالق. انظر «تاج العروس» (ز ك ب).

(٢) بفتح السين والتاء؛ مثل سَبَبٍ وأسباب.

(٣) كما صححه العلامة ابن عقيل في «شرح الخلاصة» (١/ ٢٧٠)، ولم ينسب البيت لقائل معين كما قال العيني.

(٤) روى البخاري (٢٨٣٠)، ومسلم (١٩١٦) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «الطاعون شهادة لكل مسلم».

حاشية الصاوي

الثاني: قال هنا: ﴿أَدْخُلُوا﴾ وهناك: ﴿أَسْكُنُوا﴾، وأجيب بأن الدخول مقدّم على السكنى، فذكر الدخول في السورة المتقدمة والسكنى في المتأخرة على حسب الترتيب الطبيعي.

الثالث: قال هنا: ﴿خَطَيْنَكُمْ﴾ باتفاق السبعة^(١)، وهناك: ﴿خَطَيْنَكُمْ﴾ في بعضها، وتقدم جوابه^(٢).

الرابع: ذكر هنا ﴿رَعْدًا﴾ وحذفه من هناك، والجواب: أن القصة ذكرت هنا مبسوطاً وهناك مختصرة.

الخامس: قدّم هنا دخول الباب على ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ وعكس هناك، وأجيب: بأن ما هنا هو الأصل في الترتيب، وعكس فيما يأتي اعتناءً بحط الذنوب.

السادس: إثبات الواو في ﴿وَسَزَيْدٌ﴾ هنا وحذفها هناك، وأجيب: بأنه لما تقدّم أمران كان المجيء بالواو مؤذناً بأن مجموع الغفران والزيادة جزء واحد بمجموع الأمرين، وحيث تركت الواو أفاد توزيع كل واحد على كل واحد من الأمرين، فالغفران في مقابلة القول، والزيادة في مقابلة ﴿أَدْخُلُوا﴾.

السابع: لم يذكر هنا ﴿مِنْهُمْ﴾ وذكرها هناك، وأجيب: بأن أول القصة في (الأعراف) مبني على التخصيص بلفظ (من)، حيث قال: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ﴾، فذكر لفظ (منهم) آخرًا ليُطابق الآخر الأول.

الثامن: ذكر هنا ﴿أَنْزَلْنَا﴾ وهناك: ﴿أَرْسَلْنَا﴾، وأجيب: بأن الإنزال يفيد حدوثه في أول الأمر، والإرسال يفيد تسلطه عليهم واستئصالهم بالكلية، وهذا إنما يحدث في آخر الأمر.

التاسع: هنا ﴿يَنْفُسُونَ﴾ وهناك: ﴿يَظْلِمُونَ﴾، وأجيب: بأنه لما بين هنا كون ذلك الظلم فسقاً، اكتفى بذكر الظلم هناك لأجل ما تقدّم من البيان هنا.

العاشر: قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِي ظَلَمُوا قَوْلًا﴾ فيه إخبار بالمجازاة عن المخالفة في القول دون الفعل، وجوابه ما تقدّم، فلتُحفظ^(٣).

(١) فيه إشارة لقراءات غير ﴿خَطَيْنَكُمْ﴾، منها ما وافق ما في (الأعراف). انظر «تفسير الرازي» (٣/٥٢٤).

(٢) تقدم (١/١٥٦).

(٣) تقدم (١/١٥٧)، والأسئلة وأجوبتها أورد غالبها الإمام الرازي في «تفسيره» (١٥/٣٨٩).

وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ.....

﴿٦٠﴾ ﴿و﴾ اذْكُر ﴿إِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ﴾ أي: طَلَبَ السَّقْيَا ﴿لِقَوْمِهِ﴾ وقد عطشوا في التَّيِّه، ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ وهو الذي فرَّ بثوبه، خَفِيفٌ مُرَبَّعٌ كَرَأْسِ الرَّجُل حاشية الصاوي

قوله: (واذكر) أي: يا محمد، والمناسب لما تقدم وما يأتي أن يقدَّر (اذكروا) ويكون خطاباً لبني إسرائيل بتعداد النعم عليهم، والأوَّل وإن كان صحيحاً إلا أنه خلافُ النَّسْقِ.

قوله: (أي: طلب السقيا) أشار بذلك إلى أن السينَ والتاءَ للطلب، والفعلُ إمَّا رباعيٌّ أو ثلاثيٌّ، يُقال: سقى وأسقى، قال تعالى: ﴿وَسَقْنَهُمْ رَبِّهِمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١]، ﴿وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾ [المرسلات: ٢٧]، والمصدر: سَقِيًّا، والاسمُ: السَّقْيَا.

قوله: (وقد عطشوا في التَّيِّه) أشار بذلك إلى أن المراد بقومه: مَنْ كان معه في التَّيِّه لا جميعهم، وتقدَّم أنهم ستُّ مئة ألف غير دوابِّهم، وقدَّر مسافة الأرض التي تكفيهم اثنا عشر ميلاً، وعطش من باب: ضربَ وعَلِمَ.

قوله: ﴿فَقُلْنَا﴾ (القائلُ اللهُ على لسان جبريل أو غيره).

قوله: ﴿بِعَصَاكَ﴾ كانت من آسِ الجنة، طولُها عشرة أذرع، وطولُ موسى كذلك، وكان لها شعبتان تضيئان له في الظلام، وتُظِلَّانِه في الحرِّ، وكانت تسوقُ له الغنمَ وتطرُدُ عنها الذناب.

قوله: (وهو الذي فرَّ بثوبه) أي: حينَ رموه بالأذرة، وهي: انتفاخُ الخِصْيَةِ، وكان بنو إسرائيل لا يُبالون بكشف العورة، فأراد موسى الغسلَ، فوضع ثوبه على ذلك الحجر، ففرَّ بذلك الثوب، فخرج موسى من الماء وقال: ثوبي حجرٌ، فنظرَ بنو إسرائيل لِعورته، فلم يروهُ كما ظنُّوا، قال تعالى: ﴿فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾ [الأحزاب: ٦٩]، وهذا الحجر قيل: أخذه هو والعصا من شُعيب، وقيل: إن الحجر أخذه من وقت فراره بثوبه^(١)، وكان طوله ذراعاً، وعرضه كذلك، وله جهات أربع، في كلِّ جهة ثلاثة أعين، فكان يضربه بالعصا عند طلب السَّقْيَا، فتخرج منه اثنتا عشرة عيناً بعدد فِرْقِ بني إسرائيل، وتلك العصا كانت من الجنة، خرَّجت مع آدم مع عدة أشياء، نظَّمها سيدي عليُّ الأجهوريُّ بقوله: [الطويل]

وَأَدَمُ مَعَهُ أَنْزَلَ الْعُودُ وَالْعَصَا
لِمُوسَى مِنَ الْآسِ النَّبَاتِ الْمُكْرَمِ

(١) روى الخبر البخاري (٢٧٨)، ومسلم (٣٣٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

فَأَنْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثُّوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾

رُخَامٌ أَوْ كَذَّانٌ، فَضْرَبَهُ ﴿فَأَنْفَجَرَتْ﴾: انشَقَّتْ وَسَلَتْ ﴿مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ بِعَدَدِ الْأَسْبَاطِ، ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾: سَبَّطُ مِنْهُمْ ﴿مَشْرِبَهُمْ﴾: مَوْضِعُ شُرْبِهِمْ، فَلَا يَشْرِكُهُمْ فِيهِ غَيْرُهُمْ، وَقُلْنَا لَهُمْ: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثُّوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ - حَالٌ مُؤَكِّدَةٌ لِعَامِلِهَا

حاشية الصاوي

وَأُورَاقٌ تَيْنٍ وَالْيَمِينُ بِمَكَّةٍ وَخُتْمُ سُلَيْمَانَ النَّبِيِّ الْمُعْظَمِ^(١)

قوله: (أَوْ كَذَّانٌ) بفتح الكاف وتشديد الذال المعجمة: الحجر اللين^(٢).

قوله: (فضربه) أشار بذلك إلى أن الفاء في قوله: ﴿فَأَنْفَجَرَتْ﴾ عاطفة على محذوف.

قوله: ﴿فَأَنْفَجَرَتْ﴾ عبّر هنا بالانفجار، وفي (الأعراف) بالانجاس؛ إشارة إلى أن ما هنا بيان للغاية، وما في (الأعراف) بيان للمبدأ؛ فإن مبدأ خروج الماء الرشح الذي هو الانجاس، ثم إذا قوي سُمِّيَ انفجاراً، وقيل: معناهما واحد.

قوله: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ أي: فكانت كل عين تأتي لقبيلة، وأعظم من هذه المعجزة نبغ الماء من أصابع رسول الله ﷺ^(٣).

قوله: (من رزق الله) تنازعه كل من (كلوا) و(اشربوا)، فأعمل الأخير، وأضمر في الأول وخُذِفَ، والمراد بالرزق: المرزوق، وهو بالنسبة للأكل المن والسلوى.

قوله: (مؤكددة لعاملها) وحكمة ذلك: عظم بلادتهم، فنزلوا منزلة الساهي والغافل.

(١) حكاها الشيخ عطية الأجهوري في «الكوكبين النيرين» مخطوط، وفيه: (إنزال) بدل (أنزل)، والعود هو عود البخور، واليمين هو الحجر الأسود، وأوراق التين هي التي استتر بها سيدنا آدم وزوجه لما بدت لهما سواتهما، وانظر «حاشية البجيرمي على الخطيب» (٢/٤٣٨).

(٢) كأنه المدر، وانظر «المصباح المنير» (ك ذ ذ).

(٣) كما روى ذلك البخاري (١٦٩)، ومسلم (٢٢٧٩) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً.

وَإِذْ قُلْتُمْ يٰمُوسَىٰ لَنْ نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا قَالَ أَسْتَبْدِلُوكَ الَّذِي هُوَ أَدْفَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ

مِنْ (عُثْيٍ) بِكسرِ الْمُثَلَّثَةِ: أَفْسَدَ ..

﴿٦١﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يٰمُوسَىٰ لَنْ نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ ﴿١﴾ أَي: نَوْعٍ مِنْهُ ﴿وَاحِدٍ﴾ وَهُوَ الْمَنْ وَالسَّلَوَى، ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا﴾ شَيْئاً ﴿مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ﴾ - لِلْبَيَانِ - ﴿بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا﴾: حِنْطَتِهَا ﴿وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا﴾ قَالَ ﴿لَهُمْ مُوسَى﴾: ﴿أَسْتَبْدِلُوكَ الَّذِي هُوَ أَدْفَى﴾: أَحْسَنُ ﴿بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾: أَشْرَفُ، أَي: أَتَأْخُذُونَهُ بِدَلْهِ؟ - وَالْهَمْزَةُ

حاشية الصاوي

قوله: (من: عثي^(١)) أي: والمصدر (عُثْيًا) بضم العين وكسرها.

قوله: (﴿وَإِذْ قُلْتُمْ﴾) أي: واذكروا إذ قالت أصولكم.

قوله: (أي: نوع منه) جواب عن سؤال: كيف يقولون: واحد مع أنهما اثنان؟ فأجاب: بأن المراد: وحدة النوع الذي هو الطعام المستلذ.

قوله: (شيئاً) قدره؛ إشارة إلى أن مفعول ﴿يُخْرِجُ﴾ محذوف.

قوله: (﴿مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ﴾) بيان لذلك الشيء.

قوله: (للبيان) أي: بيان ما تُنبِتُهُ الأرض.

قوله: (﴿بَقْلِهَا﴾) هو ما لا ساق له؛ كالكراث والفجل والمُلُوخِيَّة وشبهها.

قوله: (﴿وَقِثَّائِهَا﴾) هي الخضراوات؛ كالبطيخ والخيار وغير ذلك.

قوله: (حنطتها) وقيل: هو الثوم؛ لأن الثاء تُقْلَبُ فاءً في اللغة^(٢)، والأقرب: ما قاله المفسر.

قوله: (﴿قَالَ﴾ لهم موسى) وقيل: القائل الله على لسان موسى.

قوله: (﴿بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾) الباء داخلَةٌ على المتروك.

(١) ك: رمى وسعى ورضي، عُثْيًا ك: عُثْيًا وبالتشديد: أشد الفساد، قيل: مقلوب من: عاث يعبث. انظر «تاج العروس» (ع ث و).

(٢) والقلب سماعي؛ ومثله قولهم: جَدَثَ وجَدَفَ.

أَهْطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ

لِلْإِنْكَارِ -، فَأَبَوْا أَنْ يَرْجِعُوا، فَدَعَا اللَّهُ تَعَالَى فَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَهْطُوا﴾: انزِلُوا ﴿مِصْرًا﴾ مِنْ
الْأَمْصَارِ؛ ﴿فَإِنَّ لَكُمْ﴾ فِيهِ ﴿مَّا سَأَلْتُمْ﴾ مِنَ النَّبَاتِ، ﴿وَضُرِبَتْ﴾: جُعِلَتْ ﴿عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾:
الذُّلُّ وَالْهَوَانُ ﴿وَالْمَسْكَنَةُ﴾ أَي: أَثَرُ الْفَقْرِ مِنَ السُّكُونِ وَالْخِزْيِ، فَهِيَ لَزِيمَةٌ لَهُمْ وَإِنْ كَانُوا
أَغْنِيَاءَ لَزُومَ الدَّرْهَمِ الْمَضْرُوبِ لِسَكَّتِهِ، ﴿وَبَاءُوا﴾: رَجَعُوا ﴿بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ﴾ أَي: الضَّرْبُ
وَالْغَضَبُ ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أَي: بِسَبَبِ أَنَّهُمْ ﴿كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (لِلْإِنْكَارِ) أَي: التوبيخي.

قوله: (فَدَعَا اللَّهُ) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿أَهْطُوا﴾ مرتَّبٌ على محذوف.

قوله: ﴿أَهْطُوا﴾ يُطْلَقُ الْهَبُوطُ عَلَى النُّزُولِ مِنْ أَعْلَى لِأَسْفَلَ، وَعَلَى الْإِنْتِقَالِ مِنْ مَكَانٍ
لِمَكَانٍ، وَهُوَ الْمَرَادُ.

إِنْ قُلْتَ: ظَاهِرُ الْآيَةِ أَنَّهُمْ مُتِمِّكُونَ مِنَ الْإِنْتِقَالِ مَعَ أَنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ كَذَلِكَ.

أُجِيبُ: بِأَنَّ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ التَّوْبِيخِ وَاللُّومِ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ، تَقْدِيرُ الْكَلَامِ: إِنْ مَطْلُوبُكُمْ يَكُونُ
فِي الْأَمْصَارِ، فَإِنْ كُنْتُمْ مُتِمِّكِينَ مِنْهَا فَلَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ، وَإِلَّا فَاصْبِرُوا عَلَى حُكْمِ اللَّهِ.

قوله: ﴿مِصْرًا﴾ بِالتَّنْوِينِ لَجُمْهُورِ الْقُرَّاءِ، وَلَمْ يَقْرَأْ بَعْدَهُ إِلَّا الْحَسَنُ وَأَبِي^(١)؛ لِلْعَلَمِيَّةِ
وَالثَّانِيثِ، وَنَظِيرُهَا يَجُوزُ فِيهِ الصَّرْفُ وَعَدَمُهُ؛ لِأَنَّهُ اسْمُ ثَلَاثِيٍّ سَاكِنٍ الْوَسْطِ.

قوله: (عليهم) أَي: عَلَى ذُرِّيَّاتِهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَكُلٌّ مَنْ نَحَا نَحْوَهُمْ.

قوله: (أَي: أَثَرُ الْفَقْرِ) أَي: الْقَلْبِيُّ وَلَوْ كَثُرَتْ أَمْوَالُهُ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «الْفَقْرُ سَوَادُ
الْوَجْهِ فِي الدَّارَيْنِ»^(٢).

قوله: (لَزُومَ الدَّرْهَمِ... إلخ) الْكَلَامُ عَلَى الْقَلْبِ؛ أَي: لَزُومُ السَّكَّةِ لِلدَّرْهَمِ، وَالْمَرَادُ بِالسَّكَّةِ

(١) انظر «تفسير القرطبي» (٤٢٩/١).

(٢) نقل في «كشف الخفاء» (١٨٣٧) عن الصاغاني أنه موضوع، وهذا مصطلحٌ يُطْلَقُ عَلَى الْفَقْرِ عَمَّا سِوَى اللَّهِ وَالْغَنَى
بِاللَّهِ، لَذَا أَلَّفَ الْعَلَمَةُ الْحَنْفِيُّ ابْنَ كَمَالٍ بِأَشَا رِسَالَةً بِعَنْوَانِ: «الْفَقْرُ سَوَادُ الْوَجْهِ فِي الدَّارَيْنِ»، مَدْلَأً عَلَى هَذَا
الْمَعْنَى، فَهُوَ قَوْلٌ مَشْهُورٌ لَا حَدِيثَ.

بَيَّانَتِ اللَّهُ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

بَيَّانَتِ اللَّهُ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ أي: ظُلماً، ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾: يَتَجَاوَزُونَ الْحَدَّ فِي الْمَعَاصِي. - وَكَرَّرَهُ لِلتَّأْكِيدِ ..

حاشية الصاوي

أثرها؛ لأن السَّكَّةَ اسمٌ للحديدة المنقوشة يُضْرَبُ عليها الدرهمُ، فكَذَلِكَ لَا يَخْلُو يَهُودِيٌّ مِنْ آثَارِ الْفَقْرِ، قَالَ الْمَفْسَّرُونَ: مَبْدَأُ زِيَادَةِ الذَّلَّةِ وَالْغَضَبِ مِنْ وَقْتِ إِشَاعَتِهِمْ قَتْلَ عِيسَى. قوله: ﴿بَيَّانَتِ اللَّهُ﴾ أي: المعجزات التي أتى بها موسى وعيسى ومُحَمَّدٌ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ.

قوله: (كزكريا) أي: بالنَّشْرِ حين أوى إلى شجرة الأثل، فافتَحَتْ له، فدخلها، فنشروها معه. قوله: (ويحيى) أي: قتلوه على كلمة الحق، ورد: «أنهم قتلوا في يوم واحد سبعين نبياً، وأقاموا سوقهم»^(١).

قوله: ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ من المعلوم أنَّ قتل الأنبياء لَا يَكُونُ إِلَّا بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَإِنَّمَا ذَكَرَهُ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ اعْتِقَادَهُمْ مُوَافِقٌ لِلْوَاقِعِ، فَهَمَّ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ بِغَيْرِ الْحَقِّ كَمَا هُوَ الْوَاقِعُ. قوله: ﴿بِمَا عَصَوْا﴾ أصله: عَصِيُوا، تَحَرَّكَتِ الْيَاءُ وَانْفَتَحَ مَا قَبْلَهَا قُلِبَتْ أَلِفًا، ثُمَّ حُذِفَتْ لِالْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ، وَبَقِيَ الْفَتْحُ لَتَدَلُّ عَلَيْهَا.

قوله: (وكرره) أي: اسم الإشارة وهو لفظ (ذلك)، قال بعضهم: وفي تكرير الإشارة قولان: أحدهما: أنه مشارٌّ به إلى ما أُشير إليه بالأول على سبيل التأكيد، والثاني: أنه مشارٌّ به إلى الكفر وقتل الأنبياء، على معنى: أن ذلك سَبَبُ عصيانهم واعتدائهم؛ لأنهم انهمكوا فيها، و(ما): مصدرية، والباء: للسببية، وأصل ﴿يَعْتَدُونَ﴾: يَعْتَدِيُونَ، اسْتَثْقَلَتِ الضَّمَّةُ عَلَى الْيَاءِ فَحُذِفَتْ، فَالْتَقَى سَاكِنَانِ حُذِفَ الْيَاءُ لِالْتِقَائِهِمَا، وَضُمَّتِ الدَّالُّ لِمُنَاسَبَةِ الْوَاوِ.

(١) كذا أورد الخطيب في «السراج المنير» (٦٥/١)، وروى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦٣٢)، وانظر «الدر المنثور» (١٧٨/١).

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

﴿٦٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلُ، ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ هُمُ الْيَهُودُ ﴿وَالصَّابِرِينَ﴾: طَائِفَةٌ مِنَ الْيَهُودِ أَوْ النَّصَارَى، ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ مِنْهُمْ ﴿بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ فِي زَمَنٍ حَاشِيَةِ الصَّاوِي

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ هذه الآية مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ قِصَصِ بَنِي إِسْرَائِيلَ^(١).

قوله: (من قبل) أي: قبل بعثة محمد ﷺ؛ كَبْخِيرا الرَّاهِب، وأبي ذر الغفاري، وورقة بن نوفل، وسلمان الفارسي، وقُتَيْبُ بْنُ سَاعِدَةَ وغيرهم مِمَّنْ آمَنَ بِعِيسَى وَلَمْ يُغَيَّرْ وَلَمْ يَبْدُلْ حَتَّى أَدْرَكَ مُحَمَّدًا وَآمَنَ بِهِ، وَأَمَّا مَنْ آمَنَ بِعِيسَى وَأَدْرَكَ مُحَمَّدًا وَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ، فَذَلِكَ مَخْلَدٌ فِي النَّارِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]. و﴿الَّذِينَ﴾: اسْمُ ﴿إِنَّا﴾، و﴿ءَامَنُوا﴾: صَلَاتُهُ، و﴿الَّذِينَ﴾: مَعْطُوفٌ عَلَيْهِ^(٢)، و﴿هَادُوا﴾: صَلَاتُهُ.

قوله: (هم اليهود) من: هاد: إذا رجع، سُمُّوا بِذَلِكَ لِرَجوعِهِمْ مِنْ عِبَادَةِ الْعَجَلِ عَلَى أَنَّهُ عَرَبِيٌّ، وَأَمَّا عَلَى أَنَّهُ عِبْرَانِيٌّ فَعُرِّبَ فَاصِلُهُ: يَهُودًا، اسْمُ أَكْبَرِ أَوْلَادِ يَعْقُوبَ، فَأَبْدَلَتْ الْمَعْجَمَةُ مَهْمَلَةً.

قوله: ﴿وَالصَّابِرِينَ﴾ (جمع نصران، والياء للمبالغة كأحمري^(٣))، سُمُّوا بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُمْ نَصَرُوا عِيسَى عَلَى كَلِمَةِ الْحَقِّ؛ كَمَا سُمِّيَ الْأَنْصَارُ أَنْصَارًا؛ لِنَصْرَتِهِ ﷺ، وَقِيلَ: نِسْبَةً لِنَاصِرَةٍ، قَرْيَةٍ بِالشَّامِ. قوله: ﴿وَالصَّابِرِينَ﴾ أي: المائلين عن دينهم.

قوله: (أو النصاري) إشارة إلى تنويع الخلاف، أي: صَبَّوْا عَنْ دِينِهِمْ وَعَبَدُوا النُّجُومَ أَوْ الْمَلَائِكَةَ، وَقِيلَ: فِرْقَةٌ ادَّعَوْا أَنَّهُمْ عَلَى دِينِ صَابِيٍّ بْنِ شِيثَ بْنِ آدَمَ، وَالْأَرْجَحُ: مَا قَالَهُ الْمَفْسِّرُ.

قوله: ﴿مَنْ﴾ اسْمُ مَوْصُولٍ مُبْتَدَأً، و﴿ءَامَنَ﴾: صَلَاتُهُ، وَالْعَائِدُ مَحْذُوفٌ قَدَرَهُ الْمَفْسِّرُ بِقَوْلِهِ:

(١) وَمَنْ جِئَ مِمَّا اعْتَرَضَهَا مَا ذَكَرَهُ الْعَلَامَةُ ابْنُ عَاشُورَ فِي «التَّحْرِيرِ وَالتَّنْوِيرِ» (١/٥٣١) إِذْ قَالَ: (وَهِيَ أَنَّ مَا تَقَدَّمَ مِنْ حِكَايَةِ سُوءِ مَقَابِلَتِهِمْ لِنِعْمِ اللَّهِ تَعَالَى قَدْ جَرَّتْ عَلَيْهِمْ ضَرْبُ الذَّلَّةِ وَالْمَسْكِنَةِ وَرَجُوعُهُمْ بِغَضَبِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ، وَلَمَّا كَانَ الْإِنْجَاءُ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَفْزَعَهُمْ إِلَى طَلَبِ الْخَلَاصِ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ تَعَالَى. . لَمْ يَتْرِكِ اللَّهُ تَعَالَى عَادَتَهُ مَعَ خَلْقِهِ مِنَ الرَّحْمَةِ بِهِمْ وَإِرَادَتِهِ صَلَاحَ حَالِهِمْ، فَبَيَّنَ لَهُمْ فِي هَاتِهِ الْآيَةِ أَنَّ بَابَ اللَّهِ مَفْتُوحٌ لَهُمْ، وَأَنَّ اللَّجَأَ إِلَيْهِ أَمْرٌ هَيِّنٌ عَلَيْهِمْ، وَذَلِكَ بِأَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ وَيَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ).

(٢) أي: و(الذين) الثاني معطوف على (الذين) الأول.

(٣) أي: الباء في نصراني - وهو المستعمل في الأفراد - للمبالغة، وقيل: للنسب، وهو كَنُذْمَانٌ وَنَدَامَى، وَفِي «الصَّحَاحِ» (ن ص ر) أَنَّ نَصْرَانَ لَمْ يَسْتَعْمَلْ إِلَّا بَيَاءَ النَّسَبِ.

وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ

نَبِينَا، ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ بِشَرِيْعَتِهِ، ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ أَي: ثَوَابُ أَعْمَالِهِمْ ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، - رُوِيَ فِي ضَمِيرِ ﴿ءَامَنَ وَعَمِلَ﴾ لَفْظُ ﴿مَنْ﴾، وَفِي مَا بَعْدَهُ مَعْنَاهَا..

﴿٦٣﴾ ﴿وَاذْكُرُوا﴾ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ: عَهْدَكُمْ بِالْعَمَلِ بِمَا فِي التَّوْرَةِ، ﴿وَقَدْ رَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾: الْجَبَلَ، اقْتَلَعْنَاهُ مِنْ أَصْلِهِ عَلَيْكُمْ لَمَّا أُبَيِّتُمْ قَبُولَهَا، وَقُلْنَا: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾: بِجِدِّ وَاجْتِهَادٍ، ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ بِالْعَمَلِ بِهِ،

حاشية الصاوي

(مِنْهُمْ)، وَ﴿بِاللَّهِ﴾: مُتَعَلِّقٌ بِ﴿ءَامَنَ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ خَبَرُ الْمَبْتَدَأِ، وَقُرْنٌ بِالْفَاءِ لَمَّا فِي الْمَبْتَدَأِ مِنَ الْعُمُومِ، وَيَصِحُّ أَنْ يَكُونَ ﴿مَنْ﴾ اسْمَ شَرْطٍ مُبْتَدَأً، وَ﴿ءَامَنَ﴾: فَعْلُ الشَّرْطِ، وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ جَوَابُ الشَّرْطِ، وَخَبَرُ الْمَبْتَدَأِ فِيهِ خِلَافٌ؛ قِيلَ: فَعْلُ الشَّرْطِ، وَقِيلَ: جَوَابُهُ، وَقِيلَ: هُمَا، وَالْجُمْلَةُ خَبَرُ ﴿إِنَّ﴾، وَيَصِحُّ أَنْ يَكُونَ ﴿مَنْ﴾ بَدَلًا مِنْ اسْمِ ﴿إِنَّ﴾، وَجُمْلَةُ ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ خَبَرُ ﴿إِنَّ﴾.

قَوْلُهُ: ﴿(أَجْرُهُمْ)﴾ فِي الْأَصْلِ مُصَدَّرٌ بِمَعْنَى: الْإِيجَارُ^(١)، وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا: الثَّوَابُ، وَهُوَ مُقَدَّرٌ مِنَ الْجَزَاءِ أَعَدَّهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ فِي نَظِيرِ أَعْمَالِهِمُ الْحَسَنَةِ لِمَحْضِ الْفَضْلِ.

قَوْلُهُ: ﴿(وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ)﴾ أَي: فِي الْآخِرَةِ.

قَوْلُهُ: ﴿(مِيثَاقَكُمْ)﴾ الْخِطَابُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ.

قَوْلُهُ: ﴿(وَقَدْ رَفَعْنَا)﴾ قَدَّرَ الْمَفْسَّرُ لَفْظَ (قَدْ)؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ الْجُمْلَةَ حَالِيَّةٌ.

قَوْلُهُ: ﴿(الطُّورَ)﴾ فِي الْأَصْلِ: اسْمٌ لِكُلِّ جَبَلٍ، لَكِنِ الْمُرَادُ بِهِ هُنَا جَبَلٌ مَعْرُوفٌ بِفِلَسْطِينَ.

قَوْلُهُ: ﴿(وَقُلْنَا)﴾ قَدَّرَهُ الْمَفْسَّرُ؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ ﴿خُذُوا﴾ مَقُولٌ لِقَوْلٍ مَحْذُوفٍ، وَحَاصِلُ ذَلِكَ: أَنَّ اللَّهَ لَمَّا آتَى مُوسَى التَّوْرَةَ وَأَمَرَهُمْ بِالسُّجُودِ شُكْرًا لِلَّهِ، أَبَوْا مِنْ قَبُولِ التَّوْرَةِ وَمِنْ السُّجُودِ، فَرَفَعَ اللَّهُ الْجَبَلَ الطُّورَ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ كَأَنَّهُ سَحَابَةٌ قَدَّرَ قَامَتِهِمْ، وَكَانَ عَلَى قَدْرِهِمْ، فَسَجَدُوا عَلَى نِصْفِ الْجَبْهَةِ الْأَيْسَرِ، فَصَارَ ذَلِكَ فِيهِمْ إِلَى الْآنَ، ثُمَّ لَمَّا رُفِعَ عَنْهُمْ أَبَوْا.

(١) «المصباح المنير» (أ ج ر).

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ.....

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ النَّارَ أَوِ الْمَعَاصِي.

﴿٦٤﴾ ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾: أَعْرَضْتُمْ ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ الْمِيثَاقَ عَنِ الطَّاعَةِ، ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ لَكُمْ بِالتَّوْبَةِ أَوْ تَأْخِيرِ الْعَذَابِ، ﴿لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾: الْهَالِكِينَ.

﴿٦٥﴾ ﴿وَلَقَدْ﴾ - لَأَمْ قَسَمَ - ﴿عَلِمْتُمْ﴾: عَرَفْتُمْ.....

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الترجي بالنسبة للمخاطبين) ^(١).

قوله: (الميثاق) أشار بذلك إلى مرجع اسم الإشارة، وقال البيضاوي: (إنه راجع لرفع الجبل وإيتاء التوراة) ^(٢).

قوله: ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ﴾ (لولا): حرف امتناع لوجود؛ أي: امتنع خُسْرَانُكُمْ لوجود فضل الله ورحمته، وجوابها يقترب باللام غالباً إن كان مثبتاً، فإن كان منفيّاً بـ(ما) فالغالب الحذف، أو بغيرها فالواجب الحذف، وتختص بالجمال الاسمية، ومدخولها المبتدأ يجب حذف خبره؛ لإغناء جوابها عنه، قال ابن مالك: [الرجز]

وَبَعْدَ لَوْلَا غَالِباً حَذْفُ الْخَبَرِ حَتَّى..... ^(٣)

قوله: (بالتوبة) هذا في حق المؤمنين، وقوله: (أو تأخير العذاب) في حق الكافرين.

قوله: (الهالكين) أي: في الدنيا والآخرة.

قوله: (عرفتم) أي: فتنصب مفعولاً واحداً، والعلم والمعرفة قيل: مترادفان، ولكن يُقال في الله: عالم لا عارف؛ لأن أسماءه توقيفية، وقيل: العلم أوسع دائرة من المعرفة؛ ليتعلقه

(١) فلا ينسب الله عز وجل كما قد يُتوهم، وكذا كلُّ (لعل) في الكلام المسند لله تعالى، وقيل: الكلام فيه استعارة تمثيلية.

(٢) عبارة القاضي في «تفسيره» (١/ ٨٥): (ثم توليتم من بعد ذلك: أعرضتم عن الوفاء بالميثاق بعد أخذه)، ونقل صاحب «الفتوحات» (١/ ٦١) هذا القول من غير نسبة، وحكاها القرطبي في «تفسيره» (١/ ٤٣٨)، ونقله الرازي في «تفسيره» (٣/ ٥٣٩) عن القفال.

(٣) «الخلاصة» (باب الابتداء).

الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾

﴿الَّذِينَ اعْتَدَوْا﴾: تَجَاوَزُوا الْحَدَّ ﴿مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ بِصَيْدِ السَّمَكِ وَقَدْ نَهَيْنَاهُمْ عَنْهُ، وَهُمْ أَهْلُ أَيْلَةٍ، ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾: مُبْعِدِينَ، فَكَانُواهَا، وَهَلَكُوا بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ.

حاشية الصاوي

بالجزئيات والكليّات، والبسائط والمركبات، بخلاف المعرفة، فلذلك يُقال في الله: عالمٌ؛ لِعُموم ما تعلّق به علمه، لا عارفٌ؛ لأنه يُوهَم القصور، والمعتَمَدُ الأول، وقوله: (لام قسم)؛ أي: محذوف، تقديره: والله لقد عرّفتهم.

قوله: ﴿الَّذِينَ﴾ (مفعولٌ ﴿عَلِمْتُمْ﴾)، و﴿اعْتَدَوْا﴾: صَلَّتهُ، وَأَصْلُهُ: اعْتَدَيْتُ، تَحَرَّكَتِ الْيَأْيُ وَانْفَتَحَ مَا قَبْلَهَا قُلْتُ أَلْفًا، ثُمَّ حُذِفَتْ لِالْتِقَاءِ السَّاكِنِينَ.

قوله: ﴿مِنْكُمْ﴾ (جار ومجرور متعلّقٌ بمحذوف حال من فاعل ﴿اعْتَدَوْا﴾).

قوله: ﴿فِي السَّبْتِ﴾ (هو لغة: القطع، وهو أصل وَضَعَهُ؛ لأنه ورد: أَنَّ الدُّنْيَا ابْتَدِئَتْ بِالْأَحَدِ وَخُتِمَتْ بِالْجُمُعَةِ، فَكَانَ يَوْمُ السَّبْتِ يَوْمَ انْقِطَاعِ عَمَلٍ، خُصَّتِ الْيَهُودُ بِهِ؛ لِقَطْعِهِمْ عَنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، أَوْ مَأْخُودٌ مِنْ: السُّبُوتِ وَهُوَ السَّكُونُ؛ لِأَنَّهُ يَنْقُطَعُ الْعَمَلُ السَّكُونُ).

قوله: (وهم أهل أيلة) حاصِلُهُ: أَنَّ سَبْعِينَ أَلْفًا مِنْ قَوْمِ دَاوُدَ كَانُوا بِقَرْيَةٍ تُسَمَّى أَيْلَةَ عِنْدَ الْعَقْبَةِ فِي أَرْغَدِ عِيشٍ، فَامْتَحَنَهُمُ اللَّهُ بِأَنْ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ اصْطِيَادَ السَّمَكِ يَوْمَ السَّبْتِ، وَأَحْلَلَ لَهُمْ بَاقِيَ الْجُمُعَةِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ السَّبْتِ وَجَدُوا السَّمَكَ بِكَثْرَةٍ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ، وَفِي بَاقِيهَا لَمْ يَجِدُوا شَيْئًا، ثُمَّ إِنَّ إِبْلِيسَ عَلَّمَهُمْ حِيلَةَ يَصْطَادُونَ بِهَا، فَقَالَ لَهُمْ: اصْنَعُوا جِدَاوِلَ حَوْلَ الْبَحْرِ، فَإِذَا جَاءَ السَّمَكُ وَنَزَلَ فِي الْجِدَاوِلِ فَسَدُّوا عَلَيْهِ وَخُذُوهُ فِي غَيْرِ يَوْمِ السَّبْتِ، فَافْتَرَقُوا ثَلَاثَ فُرُقٍ؛ فَاثْنَا عَشَرَ أَلْفًا فَعَلُوا ذَلِكَ وَاصْطَادُوا وَأَكَلُوا، فَمُسَخَوْا قِرَدَةً، وَمَكثُوا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَمْ يَأْكُلُوا وَلَمْ يَشْرَبُوا ثُمَّ مَاتُوا، وَأَمَّا مَا وَجَدَ مِنَ الْقِرَدَةِ الْآنَ فَلَمْ يَكُونُوا مِنْ ذُرِّيَّتِهِمْ، بَلْ خُلِقَ آخَرٌ، وَقِيلَ: مُسَخَتْ شَبَابُهُمْ قِرَدَةً، وَشُيُوخُهُمْ خَنَازِيرَ، وَقِيلَ: الَّذِينَ مَسَخُوا خَنَازِيرَ أَهْلِ الْمَائِدَةِ، وَفِرْقَةٌ نَهَوْهُمْ وَجَعَلُوا بَيْنَهُمْ سَدًّا، وَفِرْقَةٌ أَنْكَرُوا بِقُلُوبِهِمْ وَلَمْ يَتَعَرَّضُوا لَهُمْ، فَمَنْ نَهَى نَجَا، وَكَذَا مَنْ لَمْ يَنْهَ عَلَى الْمَعْتَمَدِ^(١).

قوله: ﴿فَقُلْنَا﴾ (المرادُ بالقول: تَعَلُّقُ الْإِرَادَةِ^(٢)).

قوله: (مُبْعِدِينَ) أي: عَنْ رَحْمَةِ اللَّهِ.

(١) سَيَأْتِي الْحَدِيثُ عَنْ هَذَا الْخَبَرِ فِي سُورَةِ (الْأَعْرَافِ).

(٢) فَهُوَ أَمْرٌ تَسْخِيرٌ وَتَكْوِينٌ كَمَا عَبَّرَ الْعَلَامَةُ الْجَمَلُ فِي «الْفَتْوحَاتِ» (٦٢/١).

فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَلْخُذْنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾

﴿٦٦﴾ ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ أي: تلك العقوبة ﴿نَكَالًا﴾: عبرة مانعة من ارتكاب مثل ما عملوا ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ أي: لِلْأَمَمِ التي في زَمَانِهَا وبعدها، ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ الله، وخصُّوا بالذكر لِأَنَّهُم الْمُتَنَفِّعُونَ بِهَا بِخِلَافِ غَيْرِهِمْ.

﴿٦٧﴾ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ وقد قُتِلَ لَهُمْ قَتِيلٌ لَا يُدْرَى قَاتِلُهُ، وسألوهُ أَنْ يَدْعُوَ اللَّهَ أَنْ يُبَيِّنَهُ لَهُمْ فدعاه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَلْخُذْنَا هُزُؤًا﴾: مهزوءاً بنا حيثُ تُجِيبُنَا بِمِثْلِ ذَلِكَ، ﴿قَالَ أَعُوذُ﴾: أمتنع ﴿بِاللَّهِ﴾ من ﴿أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ المستهزئين.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿نَكَالًا﴾ هو في الأصل: القيْدُ الحديْدُ، أُطلق وأريد لازمه، وهو المنع؛ لأن المقيد ممنوع، فكذا تلك العقوبة مانعة.

قوله: (مثل ما عملوا) المماثلة في مطلق المخالفة.

قوله: (واذكروا) أي: يا بني إسرائيل^(١).

قوله: (قتيل) اسمه عاميل.

قوله: ﴿بَقَرَةً﴾ واحدة البقر، يفرق بين مذكَّره ومؤنثه بالوصف، تقول: بقرة أنثى وبقرة ذكر، فالتاء للوحدة، وقيل: للتأنيث، فالأنثى بقرة، والذكر ثور، وسُمِّيَ البقر بقرًا؛ لأنه يَبْقِرُ الأرض بحافره؛ أي: يشقُّها، وأوَّلُ القصة قوله فيما يأتي: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ نَفْسًا...﴾ الآية.

قوله: (مهزوءاً بنا) أشار بذلك إلى أنه مصدرٌ بمعنى اسم المفعول، ويصحُّ أن يبقى على مصدريته مبالغةً، أو على حذف مضاف؛ أي: ذوي هُزءٍ، على حدِّ ما قبله في: زيد عدلٌ، والهُزؤُ: هو الكلامُ الساقط الذي لا معنى له^(٢).

قوله: ﴿مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ أي: المبلَّغين عن الله الكذب.

(١) في نسخة «الجلالين»: (واذكر) بالافراد.

(٢) الهزء والهزؤ بسكون الزاي وضمها قرأ بهما السبعة، ورسمت بالمخطوط (أ) بهما كما أثبت.

قَالُوا آذَعْ لَنَا رَبِّكَ يَبْنَ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا آذَعْ لَنَا رَبِّكَ يَبْنَ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ

﴿٦٨﴾ فَلَمَّا عَلِمُوا أَنَّهُ عَزَمَ ﴿قَالُوا آذَعْ لَنَا رَبِّكَ يَبْنَ لَنَا مَا هِيَ﴾ أي: ما سِنَّهَا؟ ﴿قَالَ﴾ مُوسَى: ﴿إِنَّهُ﴾ أي: الله ﴿يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ﴾: مُسِنَّةٌ ﴿وَلَا بِكْرٌ﴾: صَغِيرَةٌ، ﴿عَوَانٌ﴾: نَصَفٌ ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ المَذْكُورِ مِنَ السِّنِينَ، ﴿فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ بِهِ مِنْ ذَبْحِهَا.

﴿٦٩﴾ قَالُوا آذَعْ لَنَا رَبِّكَ يَبْنَ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ

حاشية الصاوي

قوله: (أنه عزم) أي: مفروضٌ وحقٌّ لا هزلٌ فيه.

قوله: (أي: ما سِنَّها) أي: ف(ما) واقعةٌ على الأوصاف، وقولهم: إن (ما) يُسأل بها عن الماهية والحقيقة أغلبي^(١).

قوله: ﴿لَا فَارِضٌ﴾ من الفرض، وهو القطع، سُميت بذلك لِقَطْعِهَا عَمَرَهَا^(٢).

قوله: (نَصَف) بالتحريك، يُقال للمرأة والبقرة، قال الشاعر: [البيط]

وإنْ أَتَوَكَ وَقَالُوا: إِنَّهَا نَصَفٌ قُلْ: إِنَّ أَحْسَنَ نِصْفَيْهَا الَّذِي ذَهَبَا^(٣)

وكررَ (لا) لوقوع النعت بعدها، وكذا إذا وقع بعدها الحال والخبر.

قوله: (به) هو عائدُ الموصول، وقوله: (من ذبحها) بيانٌ ل(ما).

قوله: ﴿قَالَ﴾ أي: موسى، وقوله: ﴿إِنَّهُ﴾ أي: الله.

قوله: ﴿فَاقِعٌ﴾ صفةٌ لـ ﴿صَفْرَاءُ﴾، وهو مبالغةٌ في الصُّفْرَةِ، يُقال: أحمرُّ قاني^(٤)، وأسودُّ حالِكٌ، وأبيضُّ ناصعٌ، وأصفرُّ فاقعٌ.

(١) ويتعين معناها من السياق أو الحال، واستعمالها للسؤال عن الوصف حكاه السكاكي، وانظر «الدر المصون» (١/٤١٩).

(٢) يقال: فَرَضْتُ - بفتح العين وضمها -: طَعَنْتُ فِي السِّنِّ، فهي هرمة، والبكر شابة.

(٣) للحرمازي كما نسبهُ أبو هلال العسكري في «ديوان المعاني» (٢/٢٤٠) وقبله:

لا تَنكِحَنَّ عَجُوزاً إِنْ دُعِيَتْ لَهَا وَاخْلَعْ ثِيَابَكَ عَنْهَا مَمْعِناً هَرَبَا

(٤) كذا في النسخ، والأرجح حذف الياء وإبدالها بتنين العوض (قاني)، وعلى المثبت قرأ ابن كثير: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادِي﴾.

لَوْنَهَا تَسْرُ النَّظِيرِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ

لَوْنَهَا: شَدِيدُ الصُّفْرَةِ، ﴿تَسْرُ النَّظِيرِ﴾ إِلَيْهَا بِحُسْنِهَا، أَي: تُعْجِبُهُمْ.

﴿٧٠﴾ قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ ﴿إِنَّ الْبَقَرَ﴾ أَي: جِنْسَهُ الْمَنْعُوتِ بِمَا ذَكَرَ ﴿تَشَبَهَ عَلَيْنَا﴾ لِكَثْرَتِهِ، فَلَمْ نَهْتَدِ إِلَى الْمَقْصُودَةِ، ﴿وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ إِلَيْهَا، وَفِي الْحَدِيثِ: «لَوْ لَمْ يَسْتَنْوُوا لَمَا بَيَّنَّتْ لَهُمْ آخِرَ الْأَبَدِ».

﴿٧١﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ: غَيْرُ مُذَلَّلَةٍ بِالْعَمَلِ ﴿تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾: تُقَلِّبُهَا لِلزَّرَاعَةِ، - وَالْجُمْلَةُ صِفَةُ ﴿ذَلُولٌ﴾ دَاخِلَةٌ فِي النَّفْيِ - ﴿وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾: الْأَرْضَ الْمُهَيَّأَةَ لِلزَّرَاعَةِ، ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ مِنَ الْعُيُوبِ وَأَثَارِ الْعَمَلِ،

حاشية الصاوي

قوله: (بحسنها) أي: لجمال خلقتها، وحيث شددوا شدد عليهم؛ إذ لو أتوا أولاً بأي بقرة لكفت، ثم لو أتوا بما في السؤال الثاني لكفت، ثم بما في الثالث لكفت، ولكن شددوا فشدد عليهم^(١).

قوله: (أسائمة) أي: متروكة في الجبال ترعى من كلئها.

قوله: (أم عاملة) أي: يعلفها ربها ويشغلها.

قوله: ﴿إِنَّ الْبَقَرَ﴾ تعليل للأسئلة الثلاثة.

قوله: (لو لم يستنوا) أي: بالمشيئة.

قوله: (آخر الأبد) أي: إلى انقضاء الدنيا.

قوله: ﴿لَا ذَلُولٌ﴾ من الذلة، وهي السهولة، بل فيها الصعوبة.

قوله: (داخلة في النفي) أي: فالمعنى: ليست مُذَلَّلَةٌ بِالْعَمَلِ ولا مثيرة للأرض.

قوله: (الأرض المهياة... إلخ) المناسب أن يقول: الحرث؛ أي: الزرع؛ لأن الحرث يطلق

على الزرع.

(١) روى البزار في «مسنده» (٩٥٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «إن بني إسرائيل لو أخذوا أدنى بقرة

لأجزأتهم، أو لأجزأت عنهم»، كما سيورده السيوطي بعد يسير، وانظر «الدر المنثور» (١/١٨٦).

لَا شَيْءَ فِيهَا قَالُوا أَتَنَزَّلُ جِئْتَ بِالْحَقِّ

﴿لَا شَيْءَ﴾ : لَوْنٌ ﴿فِيهَا﴾ غَيْرُ لَوْنِهَا، ﴿قَالُوا أَتَنَزَّلُ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ : نَطَقْتَ بِالْبَيَانِ التَّامِّ، فَطَلَبُوهَا فَوَجَدُوهَا عِنْدَ الْفَتَى الْبَارِّ بِأُمِّهِ، فَاشْتَرَوْهَا بِمِلَّةٍ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَتَنَزَّلُ﴾ ظرفُ زمانٍ للوقت الحاضر.

قوله: ﴿جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ أي: بصفات البقرة التي لا تخفى ولا تلتبس، فلا تنافي بين الآية وقول المفسر: (فطلبوها).

قوله: (نطقت بالبيان التام) جوابٌ عن سؤالٍ وردَّ على الآية، وهو أن ظاهرَ مفهوم الآية يقتضي أنهم كُفَّار! ^(١) فأجاب المفسر: بأن فيه حذفَ النعت مع بقاء المنعوت، وهو جائز؛ لقول ابن مالك: [الرجز]

وَمَا مِنَ الْمَنْعُوتِ وَالنَّعْتِ عُقْلٌ يَجُوزُ حَذْفُهُ، وَفِي النَّعْتِ يَقِلُّ ^(٢)

قوله: (فطلبوها) أي: بحثوا عنها.

قوله: (عند الفتى البارِّ بأُمِّهِ) وحاصل ذلك: أن أبا الفتى المذكور كان رجلاً صالحاً من بني إسرائيل قد حضرته الوفاة، وكانت عنده بقرة قد ولدت أنثى، فأخذ تلك الأنثى ووضعها في غيضة، وأوصى أمَّ الغلام أن تُعطيَهُ تلك البقرة حين يكبر، ومات، ثم إن الولد صار يحتطب ويبيع الحطب ويقسم ثمنه أثلاثاً؛ يصرفُ ثلثه على نفسه، والثلث الآخر على أمه، والثلث الآخر يتصدق به، ويقسم ليله أثلاثاً؛ ينامُ ثلثه، ويخدمُ أمه ثلثه، ويقومُ لطاعة الله ثلثه، فلما كَبُرَ الغلامُ قالت له أمُّه: اذهب إلى الغيضة الفُلَانِيَّة؛ فإن فيها بقرة تركها لك أبوك، وأوصاني إذا كَبُرْتَ أن أعطيها لك، وأقسِمُ عليها بإبراهيم الخليل وإسحاق ويعقوب فإنها تأتي لك طائعة، ففعل كما أمرته، فجاءت له طائعة، وقالت له: اركب على ظهري، فقال لها: إن أُمِّي لم تأمرني بالركوب، فقالت له: لو ركبْتَ على ظهري ما قَدَرْتَنِي إِلَى الْأَبَدِ، فأخذها وذهب إلى أمِّهِ، فقالت له: اذهب إلى السوق فبيعها بثلاثة دنانير على مشورتي، فذهب فأتاه مَلِكٌ على صورة رجل وقال له: بكم تبيعها؟ فقال: بثلاثة دنانير على مشورة أُمِّي، فقال له: بيعها لي بستة دنانير من غير مشورة، فقال: لا، ثم ذهب إلى أمِّهِ

(١) فكأنه كان يأتي بالباطل والآن جاء بالحق، وهم لم يكذبوا نبيهم، فيحمل الحق على التمام في تصوير المطلوب.

(٢) «الخلاصة» (باب النعت).

فَذَبِّجُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ نَفْسًا فَاذْرَءْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾

مَسْكِيهَا ذَهَبًا، ﴿فَذَبِّجُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ لِغَلَاءِ ثَمْنِهَا، وفي الحديث: «لَوْ ذَبَّحُوا أَيَّ بَقَرَةٍ كَانَتْ لِأَجْرَاتِهِمْ، وَلَكِنْ شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ».

﴿٧٢﴾ ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ نَفْسًا فَاذْرَءْتُمْ﴾ - فِيهِ إِدْغَامُ التَّاءِ فِي الْأَصْلِ فِي الدَّالِ، أَي: تَخَاصُمْتُمْ وَتَدَافَعْتُمْ - ﴿فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجُ﴾: مُظْهِرٌ ﴿مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ مِنْ أَمْرِهَا، وَهَذَا اعْتِرَاضٌ،
حاشية الصاوي

وَأَخْبَرَهَا بِذَلِكَ، فَقَالَتْ لَهُ: بِعَهَا بَسْتَةً عَلَى مَشُورَتِي، فَذَهَبَ فَأَتَاهُ ثَانِيًا وَأَعْطَاهُ اثْنَا عَشَرَ عَلَى غَيْرِ مَشُورَةٍ، فَأَبَى، فَذَهَبَ إِلَى أُمِّهِ وَأَخْبَرَهَا، فَقَالَتْ لَهُ: إِنْ هَذَا مَلَكٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَادْهَبْ إِلَيْهِ وَأَقْرِئْهُ السَّلَامَ وَقُلْ لَهُ: أَنْبِيعِ الْبَقَرَةَ أَمْ لَا؟ فَذَهَبَ إِلَيْهِ وَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ: إِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ يُقْتَلُ لَهُمْ قَتِيلٌ، وَيَتَوَقَّفُ بَيَانُ قَاتِلِهِ عَلَى تِلْكَ الْبَقَرَةِ، فَلَا تَبِيعْهَا إِلَّا بِمَلَأْ مَسْكِيهَا ذَهَبًا، فَفَعَلَ مَا أَمَرَ بِهِ. وَالْفَتَى: هُوَ الشَّابُّ السَّخِيُّ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ كَانَ كَذَلِكَ^(١).

قوله: (مَسْكِيهَا) بفتح الميم: الجِلْد.

قوله: ﴿فَذَبِّجُوهَا﴾ (مرَّتْ عَلَى مَحْذُوفٍ، قَدَّرَهُ الْمُفَسِّرُ بِقَوْلِهِ: (فَطَلَبُوهَا... إلخ)).

قوله: ﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ (أَي: مَا قَارَبُوا الْفِعْلَ).

قوله: (لِغَلَاءِ ثَمْنِهَا) أَي: أَوِّ لِّلْتَعَنَّتِ فِي أَوْصَافِهَا.

قوله: (فِيهِ إِدْغَامُ التَّاءِ فِي الْأَصْلِ... إلخ) أَي: أَصْلُهُ: تَدَارَأُ، ثُمَّ قُلِبَتِ التَّاءُ دَالًا وَأُدْغِمَتْ فِيهَا، وَأُتِيَ بِهَمْزَةِ الْوَصْلِ تَوْضُلًا لِلنُّطْقِ بِالسَّاكِنِ^(٢).

قوله: (أَي: تَخَاصُمْتُمْ) أَي: اتَّهَمَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا.

قوله: (وَهَذَا اعْتِرَاضٌ) أَي: جُمْلَةٌ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ الْمَعْطُوفِ وَهُوَ ﴿فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ... إلخ﴾ وَالْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ وَهُوَ ﴿فَذَبِّجُوهَا﴾.

(١) الخبر بطوله في «تفسير الخازن» (٥٢/١)، وروي أنه كان بارًا بأبيه عند ابن أبي الدنيا في «مَنْ عَاشَ بَعْدَ الْمَوْتِ» (٥٥).

(٢) ويكون وزن (اِذَّارَأْتُمْ) الصرفي هو تَفَاعَلْتُمْ؛ اِعْتَبَارًا بِالْأَصْلِ.

فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾

وهو أَوَّلُ الْقِصَّةِ .

﴿٧٣﴾ ﴿فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ﴾ أي: القَتِيلَ ﴿بِبَعْضِهَا﴾، فَضْرِبَ بِلِسَانِهَا أَوْ عَجَبِ ذَنْبِهَا فَحَيَّيْ، وَقَالَ: (قَتَلَنِي فُلَانٌ وَفُلَانٌ) لِابْنِي عَمِّهِ، وَمَاتَ، فَحُرِّمًا الْمِيرَاثَ وَقَتْلًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ﴾ الْإِحْيَاءِ ﴿يُخَيِّ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ﴾: دَلَائِلَ قُدْرَتِهِ ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: تَتَدَبَّرُونَ، فَتَعْلَمُونَ أَنَّ الْقَادِرَ عَلَى إِحْيَاءِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ قَادِرٌ عَلَى إِحْيَاءِ نَفُوسٍ كَثِيرَةٍ، فَتُؤْمِنُونَ.

حاشية الصاوي

قوله: (وهو أول القصة^(١)) وإنما أخره ليوصل قبائح بني إسرائيل بعضها ببعض.

قوله: ﴿فَقُلْنَا﴾ معطوف على ﴿فَذَبِّحُوهَا﴾، والقائلُ اللهُ على لسان موسى.

قوله: (بلسانها) أي: لأنه محلُّ الكلام.

قوله: (أو عَجَبِ ذَنْبِهَا) إشارةٌ لِتَنْوِيعِ الْخِلَافِ، وَالْحِكْمَةُ فِي ذَلِكَ: لَأَنَّهُ مَحَلُّ حَيَاةِ ابْنِ آدَمَ، وَقِيلَ: ضَرْبُوهُ بِفَخْذِهَا الْيَمْنَى، وَقِيلَ: بِقِطْعَةٍ لَحْمٍ مِنْهَا.

قوله: (فحیی) وَرَدَ: «أَنَّهُ قَامَ وَأَوْدَاجُهُ تَشَخَّبُ دَمًا»^(٢).

قوله: (ومات) أي: سريعاً بلا مُهْلَةٍ.

قوله: (فحُرِّمًا الْمِيرَاثَ) أي: لِأَنَّ الْقَاتِلَ لَا يَرِثُ مِنْ تَرَكَةِ الْمَقْتُولِ شَيْئاً حَتَّى فِي شَرْعِ مُوسَى، وَسَبَبُ قَتْلِهِ إِيَّاهُ: أَنَّ الْمَقْتُولَ كَانَ غَنِيًّا وَالْقَاتِلَ كَانَ فَقِيرًا، فَلَمَّا طَالَ عَمْرُ الْمَقْتُولِ قَتَلَهُ لِإِرْثِهِ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ.

قوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ هذه الجملة مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ قِصَصِ بَنِي إِسْرَائِيلَ رَدًّا عَلَى مُنْكَرِي الْبَعْثِ؛ فَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَكُونُوا مُنْكَرِينَ لَهُ، فَالْخَطَابُ لِمُشْرِكِي الْعَرَبِ الْمُنْكَرِينَ لِلْبَعْثِ.

(١) فِي «الْفَتْوحَاتِ» (٦٦/١): (لَكِنْ فِي صَنِيعِهِ تَسَاهُلٌ؛ لِأَنَّ هَذَا الضَّمِيرُ أَيْ: قَوْلُهُ: «وَهُوَ أَوَّلُ الْقِصَّةِ» لَمْ يَتَقَدَّمَ لَهُ مَرْجِعٌ فِي كَلَامِهِ)، وَالْحَاصِلُ: أَنَّ أَوَّلَ الْقِصَّةِ هُوَ قَتْلُ بَعْضِهِمْ لَابْنِ عَمٍّ رَجَاءَ إِرْثِهِ، وَقِصَّةُ ذَبْحِ الْبَقَرَةِ وَقَعَتْ بَعْدَ ذَلِكَ، وَهُوَ مَا مَشَى عَلَيْهِ صَاحِبُ «الْكَشَافِ» وَمَدْرَسَتُهُ، وَيُرَى الْعَلَامَةُ ابْنَ عَاشُورَ تَرْتِيبَ الْأَخْبَارِ كَمَا وَرَدَتْ، إِذْ ظَهَرَتْ حِكْمَةُ ذَبْحِ الْبَقَرَةِ - بَعْدَ ادْعَائِهِمُ الْهَزْءَ - بِوُقُوعِ قَتْلِ فِيهِمْ بَعْدَ ذَبْحِهَا بِإِحْيَاءِ الْمَقْتُولِ بِبَعْضِهَا. انْظُرْ «التَّحْرِيرَ وَالتَّنْوِيرَ» (٥٤٦/١).

(٢) رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٧٥٠).

ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ
الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ

﴿٧٤﴾ ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أَيُّهَا الْيَهُودُ: صَلَبْتُ عَنْ قَبُولِ الْحَقِّ ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ الْمَذْكُورِ
مِنْ إحياءِ القَتِيلِ وما قَبْلَهُ مِنَ الْآيَاتِ، ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾ فِي الْقَسْوَةِ، ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾
مِنْهَا، ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقُّ﴾ - فِيهِ إدْغَامُ التَّاءِ
فِي الْأَصْلِ فِي الشَّيْنِ - ﴿فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ﴾: يَنْزِلُ مِنْ عُلوٍّ إِلَى أَسْفَلٍ ﴿مِنْ
خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ وَقُلُوبُكُمْ لَا تَتَأَثَّرُ وَلَا تَلِينُ وَلَا تَخْشَعُ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ نَزَلَ استبعاداً قسوة قلوبهم لظهور الخوارق للعادات العظيمة منزلة
التراخي، فأتى بـ(ثم) وأكَّده بالظرف بعده^(١).

قوله: (أيها اليهود) دَفَعَ بِذَلِكَ مَا يُقَالُ: إِنَّهُ خِطَابٌ لغير بني إسرائيل كالذي قَبْلَهُ.

قوله: (صَلَبْتُ عَنْ قَبُولِ الْحَقِّ) أشار بذلك إلى أن في ﴿قَسَتْ﴾ استعارةً تصريحيةً تَبَعِيَّةً؛ حيث
شَبَّهَ عَدَمَ الإِدْعَانِ بِالْقَسْوَةِ بِجَامِعِ عَدَمِ قَبُولِ التَّأَثُّرِ فِي كُلِّ، وَاسْتَعِيرَ اسْمُ الْمَشْبُوهِ بِهِ لِلْمَشَبِّهِ، وَاشْتَقَّ
مِنَ الْقَسَاوَةِ (قَسَتْ) بِمَعْنَى: لَمْ تُدْعَنْ فَلَمْ تَقْبَلِ الْمَوَاعِظَ وَلَمْ تُؤَثِّرْ فِيهَا.

قوله: ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾ لَمْ يُشَبِّهْهُمْ بِالْحَدِيدِ لَوْجُودِ اللَّيْنِ فِيهِ فِي الْجُمْلَةِ.

قوله: ﴿أَوْ أَشَدُّ﴾ هَذَا تَرَقٌُّّ فِي ذِكْرِ قَسَوَتِهِمْ، فَ(أَوْ) بِمَعْنَى: بَلْ.

قوله: (فيه إدغام التاء... إلخ) أَي: فَأَصْلُهُ: يَتَشَقَّقُ، أُبْدِلَتِ التَّاءُ شَيْنًا، ثُمَّ أُدْغِمَتْ فِيهَا.

قوله: ﴿فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾ أَي: أَنْهَارًا^(٢) أَوْ غَيْرَهَا كَالْعَيُونِ، فَهُوَ مِنْ عَطْفِ الْعَامِّ
عَلَى الْخَاصِّ.

قوله: (يَنْزِلُ مِنْ عُلوٍّ إِلَى سُفْلٍ) أَي: كَجَبَلِ الطُّورِ، وَوَرَدَ: «مَا مِنْ حَجَرٍ يَسْقُطُ مِنْ عُلوٍّ إِلَى سُفْلٍ
إِلَّا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ»^(٣).

قوله: ﴿مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ أَخَذَ أَهْلُ السَّنَةِ مِنْ ذَلِكَ وَمِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسِجُّ بِحُجْرِهِ﴾

(١) كما قال العلامة الشهاب في «حاشيته على البيضاوي» (١٨٥/٢): (قوله: «من بعد ذلك» مؤكد للاستبعاد أشد تأكيداً).

(٢) كذا في النسخ: (أنهاراً) بالنصب، وقوله قبل يسير: (ترقُّ) وقع في (أ): (ترقي) على لغةٍ سبقت الإشارة إليها.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤١/٢) عن مجاهد وابن جريج بنحوه.

وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ أَفَنَظْمُعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ

﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، وإنما يُؤَخِّرُكُمْ لِيُوقِتْكُمْ . - وفي قراءة بِالتَّحْتَانِيَّةِ، وفيه التيفات عن الخطاب .-

﴿٧٥﴾ ﴿أَفَنَظْمُعُونَ﴾ أيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا﴾ أي: الْيَهُودُ ﴿لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ﴾: طَائِفَةٌ

حاشية الصاوي

[الإسراء: ٤٤]، ومن قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ [النور: ٤١] الآية: أن كلَّ شيء يعرف الله ويسبِّحُه ويخشاه إلا الكافر من الإنس والجن.

قوله: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ﴾ (ما): نافية، ولفظ الجلالة: اسمُها، و﴿بِغَفِيلٍ﴾: خبرُها، وقوله: ﴿عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (يَحْتَمِلُ أَنْ) (ما) اسمٌ موصول، و﴿تَعْمَلُونَ﴾: صِلَتُهُ، والعائدُ محذوف؛ أي: عن الذي تعملونه، ويحتملُ أنها مصدرية تسبُّك مع ما بعدها بمصدر؛ أي: عن عملِكُم.

قوله: ﴿أَفَنَظْمُعُونَ﴾ سيأتي للمفسِّر أن الهمزة للإنكار، فيحتملُ أنها مقدَّمة من تأخير، والأصل: فأتطمعون، قُدِّمَتْ لأن لها الصِّدَارَةَ، وهو مذهبُ الجمهور، وقال الرمخشري: إن الهمزة داخلَةٌ على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، التقدير: أسمعون كلامهم وتعرفون أحوالهم فتطمعون... إلخ؛ أي: لا يكون منكم ذلك^(١).

واعلم: أن الهمزة لا تدخلُ إلا على ثلاثة من حروف العطف: الواو، والفاء، وثم.

قوله: ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا﴾ (أي: يُستبعدُ ذلك منهم؛ لافتراقهم أربع فرق، في كلِّ فرقة صفة مانعة له من الإيمان: الأول: كونهم يحرفون كلامَ الله، الثاني: النفاق، الثالث: التوبيخ من غير المنافق للمنافق على ملاطفة المسلمين، الرابع: كونهم أميين لا يعلمون الكتاب إلا أمانياً، فهذه يُستبعدُ معها الإيمان؛ لرسوخ الكفر في قلوبهم^(٢)).

قوله: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ﴾ الجملةُ حالية، و(قد) قرَّبت الماضي من الحال، والمرادُ مِنْ (كان) النسبة؛ لأن هذا الكلامَ فيمن كان موجوداً زمنَ النبي، لا فيمن كان قبلهم.

(١) تقدَّم مثله عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (١/١٤٢).

(٢) «الفتوحات» (١/٦٧)، وعبارة المصنف رحمه الله هنا بيان لما عنده، والآية هنا بيان للفرقة الأولى، وسيأتي الحديث عن كلِّ فرقة.

مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَّمَ اللَّهُ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾

﴿مِنْهُمْ﴾: أحبارهم ﴿يَسْمَعُونَ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ في التَّورَةِ ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾: يُعَيِّرُونَهُ ﴿مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾: فَهَمُّوهُ، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أَنَّهُمْ مُفْتَرُونَ؟ وَالْهَمْزَةُ لِلإِنْكَارِ، أَي: لَا تَطْمَعُوا فَلَهُمْ سَابِقَةٌ فِي الْكُفْرِ.

حاشية الصاوي

قوله: (أحبارهم) علماؤهم، جمعُ جَبَرٍ بالكسر، ويُقال بالفتح، وجمعه حُبُور؛ كَفُلَسَ وفُلُوس^(١).

قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ أي: من بعد نقلهم إِيَّاهُ وتحريفهم في الكلام؛ كأوصاف النبيِّ من كونه أكحلَّ العينين جَعَدَ الشَّعْرَ، فغَيَّرُوهُ إِلَى أَزْرَقِ الْعَيْنَيْنِ سَبَطَ الشَّعْرَ، وَآيَةُ الرِّجْمِ غَيَّرُوها إِلَى الْجُلْدِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ^(٢).

قوله: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ الجملةُ حاليةٌ من فاعلٍ ﴿يُحَرِّفُونَ﴾.

قوله: (أَنَّهُمْ مُفْتَرُونَ) أشار بذلك إلى أن مفعولَ ﴿يَعْلَمُونَ﴾ محذوفٌ، والافتراءُ هو: الكذبُ الذي لا شك فيه.

قوله: (لِلإِنْكَارِ) أي: الاستيعادي.

قوله: (أَي: لَا تَطْمَعُوا) عبَّرَ بالطمع دون الرجاء؛ إشارةً إِلَى فَقْدِ أسباب الإيمان منهم وعدمِ قابليَّتِهِمْ لَهُ.

قوله: (فَلَهُمْ سَابِقَةٌ فِي الْكُفْرِ) أي: كُفْرٌ سَابِقٌ قَبْلَ دَعْوَةِ النَّبِيِّ ﷺ إِيَّاهُمْ لِلإِيمَانِ^(٣)، وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ عَلَّةٌ لِقَوْلِهِ: (لَا تَطْمَعُوا).

(١) لَأَن وَزْنَ فَعْلٍ بَفَتْحٍ فَسَكُونُ وَالْعَيْنُ صَحِيحَةٌ يَجْمَعُ عَلَى فُعُولٍ، وَشَدَّ حَمْلَ أَحْمَالٍ وَفَرَّخَ أَفْرَاحٍ، وَحُبُورٌ جَمْعٌ لِحَبْرٍ بَفَتْحِ الْعَيْنِ وَكسرها.

(٢) «السراج المنير» (١/٧٣).

(٣) وَهُوَ كُفْرُهُمْ بِتَحْرِيفِ التَّوْرَةِ فِي وَصْفِهِ الشَّرِيفِ وَغَيْرِهِ، وَقَوْلُهُ: (الاستيعادي) أَي: عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ: ﴿أَنَّ لَهُمُ الذِّكْرَى﴾؛ فَاسْتَبَعَدَ إِيْمَانَهُمْ لِفَقْدِ أَسْبَابِهِ كَمَا ذَكَرَ، وَلِلإِتْيَانِ بِمَعَارِضِهِ مِنْ كُفْرٍ سَابِقٍ، كَذَا فِي «الكوكبين النيرين» مخطوط، وَعَنْهُ فِي «الفتوحات» (١/٦٧).

وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِغَضُوبِهِمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ

﴿٧٦﴾ ﴿وَإِذَا لَقُوا﴾ أي: مُنَافِقُو الْيَهُودِ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا﴾ بَأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ نَبِيٌّ، وهو الْمُبَشِّرُ بِهِ فِي كِتَابِنَا، ﴿وَإِذَا خَلَا﴾: رَجَعَ ﴿بِغَضُوبِهِمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا﴾ أي: رُؤَسَاؤُهُم الَّذِينَ لَمْ يُنَافِقُوا لِمَنْ نَافَقَ: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُمْ﴾ أي: الْمُؤْمِنِينَ ﴿بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: عَرَّفَكُمْ فِي التَّوْرَةِ مِنْ نَعْتِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ ﴿لِيُحَاجُّوكُمْ﴾: لِيُخَاصِمُوكُمْ - وَاللَّامُ لِلصَّيْرُورَةِ - ﴿بِهِ﴾ عِنْدَ رَبِّكُمْ ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾، وَيُقِيمُوا عَلَيْكُمْ الْحُجَّةَ فِي تَرْكِ اتِّبَاعِهِ مَعَ عِلْمِكُمْ بِصِدْقِهِ؟ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أَنَّهُمْ يُحَاجُّونَكُمْ إِذَا حَدَّثْتُمُوهُمْ فَتَنَّتْهُمَا؟

﴿٧٧﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ﴾ - الْاسْتِفْهَامُ لِلتَّقْرِيرِ، وَالْوَاوُ الدَّاخِلُ عَلَيْهَا

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا﴾ شروع في ذكر الفرقة الثانية، وهم المنافقون، ورؤسائهم عبد الله ابن سلول.

قوله: ﴿وَإِذَا خَلَا﴾ شروع في الفرقة الثالثة، وهم المويخون للمنافقين.

قوله: ﴿بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ (ما): اسمٌ موصول، وجملة ﴿فَتَحَ﴾ صلته، والعائدُ محذوفٌ، التقدير: بالذي فَتَحَ اللهُ عليكم به، و(ما): واقعةٌ على أوصاف محمد ﷺ.

قوله: (من نعت محمد) بيانٌ لـ(ما).

قوله: (واللام للصيرورة) أي: عاقبة أمرهم أنهم يحاجونكم عند ربكم، والفعلُ منصوبٌ بـ(أن) مضمرٌ بعدها.

قوله: (في الآخرة) إشارة إلى معنى العندية، وهو متعلقٌ بـ(يحاجونكم).

قوله: (أنهم يحاجونكم) أشارَ بذلك إلى مفعولٍ ﴿تَعْقِلُونَ﴾، وأنه من كلام الرؤساء الذين لم ينافقوا.

قوله: (الاستفهام للتقرير) أي: على سبيل التوبيخ؛ حيث اعتقدوا أن المنافق يُؤاخذ، والكافر الأصلي لا حجة عليه وله عذرٌ قائم عند ربه، وهذه الجملةٌ حاليةٌ.

قوله: (الداخل) نعتٌ سببيٌ للواو، فكان عليه أن يظهرَ فاعله ويقول: والواو الداخلُ الاستفهامُ عليها للعطف؛ لوجود اللبس.

أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُوكَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانٍ
وَأِنْ هُمْ

لِلْعَظْفِ - ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُوكَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: مَا يُخْفُونَ وَمَا يُظْهِرُونَ مِنْ ذَلِكَ وَغَيْرِهِ،
فِيرَعَوْا عَنْ ذَلِكَ؟

﴿٧٨﴾ وَمِنْهُمْ ﴿أَي: الْيَهُودِ﴾ ﴿أُمِّيُونَ﴾: عَوَامٌّ ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾: التَّوْرَةَ
﴿إِلَّا﴾: لَكِنْ ﴿أَمَانٍ﴾: أَكَاذِيبَ تَلَقَّوْهَا مِنْ رُؤَسَائِهِمْ فاعْتَمَدُوهَا، ﴿وَأِنْ﴾: مَا ﴿هُمْ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (للعطف) أي: على محذوف، تقديره: أيلومونهم ولا يعلمون؟! وتقدم أن هذا مذهب
الزمخشري^(١).

قوله: ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ هذه الجملة سدّت مسدّ مفعولي ﴿يَعْلَمُونَ﴾ إن كانت على بابها،
أو مفعولها إن كانت بمعنى (يعرفون).

قوله: (فيرعوا) أي: فينكفوا وينزجروا، وهو مرتّب على قوله: ﴿أَوَّلًا يَعْلَمُونَ﴾، كما أن قوله:
(فتنتها) مرتّب على قوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

قوله: ﴿وَمِنْهُمْ﴾ شروع في ذكر الفرقة الرابعة.

قوله: ﴿أُمِّيُونَ﴾ أي: منسوبون للأُم؛ لعدم انتقالهم عن حقيقتهم الأصلية التي ولدتهم عليها.
قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [النحل: ٧٨]، والأمّي هو: مَنْ لَا يَقْرَأُ
وَلَا يَكْتُبُ.

قوله: ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَمَانٍ﴾ أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع، والأمانى: جمع أُمْنِيَّة^(٢)،
وهو ما يتمناه الشخص، ويُطلق على القراءة، وعلى الأكاذيب، وهو المراد هنا.

قوله: (فاعتمدوها) أي: ثبتوا عليها ورسخت في قلوبهم.

قوله: (ما) ﴿هُمْ﴾ أشار بذلك إلى أن (إن) نافية بمعنى (ما)، والغالب وقوعها بعد (إلا)

(١) قبل يسير .

(٢) بتشديد الياء في المفرد والجمع، وبتخفيفها في الجمع وبه قرئ، ونقل في «الفتوحات» (٦٩/١) التخفيف في المفرد
أيضاً.

إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا

في جحد نبوة النبي وغيره مما يختلقونه ﴿إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ ظَنًّا ولا عِلْمَ لَهُمْ.

﴿٧٩﴾ ﴿فَوَيْلٌ﴾: شِدَّةُ عَذَابٍ ﴿لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ أي: مُخْتَلَقًا مِنْ عِنْدِهِمْ، ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ مِنَ الدُّنْيَا وَهُمْ الْيَهُودُ، غَيَّرُوا صِفَةَ النَّبِيِّ ﷺ فِي التَّوْرَةِ وَآيَةَ الرَّجْمِ

حاشية الصاوي

التي بمعنى (لكن)، وهل تعمل عمل الحجازية فت نصب الاسم وترفع الخبر، أو لا عمل لها فما بعدها مبتدأ وخبر؟ خلاف بين الجمهور وسيبويه، فاختر سيبويه الأول مستدلاً بقول الشاعر:
[المنسرح]

إِنْ هُوَ مُسْتَوْلِيًّا عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَى أضعفِ المجانين^(١)
واختار الجمهور الثاني.

قوله: (ولا علم لهم) أي: ليس عندهم جزمٌ مطابقٌ للواقع، وإنما أخر الأميئون لأنهم أقرب للإيمان، بخلاف من قبلهم؛ فإنهم ضلُّوا وأضلُّوا، ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ [الجاثية: ٢٣].

قوله: ﴿فَوَيْلٌ﴾ شروع في ذكر ما يستحقونه.

قوله: (شدة عذاب) وقيل: وادٍ في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لانماعت من حره.

قوله: ﴿الْكِتَابَ﴾ أي: المكتوب.

قوله: ﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾ دفع بذلك ما يتوهم أن المراد أملوه لغيرهم.

قوله: ﴿لِيَشْتَرُوا﴾ علة لقوله: ﴿يَكْتُوبُونَ﴾.

قوله: (غَيَّرُوا صِفَةَ النَّبِيِّ) أي: من كونه رَبَّعَةً، جَعَدَ الشَّعْرَ، أَكْحَلَ الْعَيْنَيْنِ، فغَيَّرُوهَا وَقَالُوا: طَوِيلٌ، سَبَطَ الشَّعْرَ، أَزْرَقُ الْعَيْنَيْنِ.

قوله: (وَآيَةَ الرَّجْمِ) أي: فغَيَّرُوهَا إِلَى الْجَلْدِ.

(١) لا يُعلم قائله على كثرة دَوْرانه في كتب النحو، انظر «خزانة الأدب» (٤/١٦٦)، و«شرح ابن عقيل» (الشاهد ٨١).

فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا
أَنبَاءًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا

وغيرهما، وكتبوها على خلاف ما أنزل، ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من المخلوق،
﴿وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ من الرشا.

﴿٨٠﴾ ﴿وَقَالُوا﴾ لَمَّا وَعَدَهُم النَّبِيُّ النَّارَ: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا﴾: تُصِيبَنَا ﴿النَّارُ إِلَّا أَنبَاءًا
مَّعْدُودَةً﴾: قليلة، أربعين مدة عبادة آبائهم العجل، ثُمَّ تَزُولُ، ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ:
﴿أَتَّخَذْتُمْ﴾ - حُذِفَتْ مِنْهُ هَمْزَةُ الْوَصْلِ اسْتِغْنَاءً بِهَمْزَةِ الاسْتِفْهَامِ - ﴿عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا﴾: ميثاقاً
مِنْهُ بِذَلِكَ،

حاشية الصاوي

قوله: (وغيرهما) أي: كقولهم: لَنْ تَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّاماً معدوداتٍ، وكدعواهم أنهم من أهل
الجنة.

قوله: (من الرشا) بكسر الراء وضمة هاء، جمع رشوة بتثنية الراء، وهو من باب: تقديم السبب
على المسبب^(١)؛ لأن أخذ الرشوة سببٌ للتبديل.

وقوله: ﴿مِمَّا كَتَبَتْ﴾ (ما) يحتمل أن (ما) اسمٌ موصول، و﴿كَتَبَتْ﴾: صلتها، والعائد محذوف.
أي: كَتَبَتْهُ، ويحتمل أن (ما) مصدرية، التقدير: من كَتَبَهُمْ، وكذا قوله: ﴿مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾^(٢).

قوله: (أربعين يوماً) وقيل: سبعة أيام، وقوله: (قليلة) تفسير باللازم لـ (معدودة)؛ لأن معنى
المعدودة التي يسهل عدّها، وشأن القليلة سهولة عدّها.

قوله: (استغناءً بهمزة الاستفهام) أي: لأنه يحصل بها التوصل للنطق بالساكن مع إفادة المراد
من الاستفهام، وفي ﴿أَتَّخَذْتُمْ﴾ قراءتان سبعيتان؛ الأولى بالفتح، والثانية بالإدغام، وطريقته: أن تقلب
الذال دالاً ثم تاءً وتدغمها في التاء، وهذا الاستفهام يحتمل أن يكون تقريرياً، فتكون الجملة
إنشائية، و(أم) متصلةً مُعَادِلَةٌ للهمزة التي لطلب التعيين، التقدير: أتخذتم عند الله عهداً أم لم
تتخذوا، ويحتمل أن يكون إنكارياً بمعنى النفي، فتكون الجملة خبريةً و(أم) مُنْقَطِعَةٌ بمعنى (بل)،

(١) فالكتب سبب، والكسب مسبب، فجاء النظم على هذا الترتيب. «الفتوحات» (١/ ٧٠).

(٢) لكن المصدرية أرجح لفظاً ومعنى كما لا يخفى، قاله الشيخ سعد الدين التفتازاني. «الفتوحات» (١/ ٧٠).

فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدُهُ أَمْ نَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ.....

﴿فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدُهُ﴾ به؟ لا ﴿أَمْ﴾: بَلِ ﴿نَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. ﴿بَلَى﴾ ﴿تَمْسُكُكُمْ وَتَخْلُدُونَ فِيهَا﴾، ﴿مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾: شِرْكَاءُ ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾.....

حاشية الصاوي

التقدير: لم تتخذوا عند الله عهداً بل تقولون على الله ما لا تعلمون، وهذا هو الأقرب، ولذا اختاره المفسر.

قوله: ﴿فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدُهُ﴾ هذه الجملة في محلّ جزم جواب الاستفهام، وقيل: إنها جواب شرط مقدّر، تقديره: إن اتخذتم فلن يخلف الله عهده، وقرن بالفاء لوجود (لن) في حيّزه.

قوله: ﴿بَلِ﴾ ﴿نَقُولُونَ﴾ أشار بذلك إلى أنها منقطعة، والإضراب انتقالي^(١).

قوله: ﴿بَلَى﴾ هو حرف جواب للنفي، لكنّه يصير إثباتاً، وأما نعم وجير وأجل وإي^(٢) فلتقرير ما قبلها إثباتاً أو نفيّاً.

قوله: ﴿تَمْسُكُكُمْ﴾ ردّ لقولهم: ﴿لَنْ تَمْسَنَا﴾، وقوله: ﴿وَتَخْلُدُونَ فِيهَا﴾ ردّ لقولهم: ﴿إِلَّا أَنْتَ أَمَّا مَعْدُودَةٌ﴾.

قوله: ﴿مَنْ كَسَبَ﴾ يحتمل أن تكون ﴿مَنْ﴾ شرطية، وكَسَبَ: فعل الشرط، وجوابه: ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾، وأن تكون موصولة، و﴿كَسَبَ﴾: صلتها، وقرن خبرها بالفاء لما في الموصول من معنى العموم، ولم يقرن خبر التي بعدها بالفاء؛ إشارة إلى أن خلود النار مسبّب عن الكفر، بخلاف خلود الجنة، فلا يتسبّب عن الإيمان، بل بمحض فضل الله، كذا قاله بعض الأسيّاح^(٣).

قوله: ﴿سَيِّئَةً﴾ أصلها: سيّئة، اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون، قلبت الواو ياءً وأدغمت في الياء، على حدّ ما قيل في: سيّد وميّت.

(١) أي: من غرض إلى آخر دون إبطال ما قبل (بل)، وقسيمه الإضراب الإبطالي الذي يُبطل فيه (بل) حكم ما قبلها.

(٢) جير بالبناء على الكسر كأمس، وعلى الفتح كأيّن للتخفيف، ومثل هذه الحروف في الجواب جَلَلٌ وَجَلَلٌ وَإِنَّ، ويقع بعد إي قسم.

(٣) هو الشيخ عطية الأجهوري شيخ العلامة الجمل كما نقل عنه في «فتوحاته» (١/ ٧٠).

فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ

- بالإفراد والجمع - أي: استولت عليه وأحدقت به من كل جانب بأن مات مشركاً، ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ - رُوِيَ فِيهِ مَعْنَى ﴿مَنْ﴾ - .

﴿٨٢﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ .

﴿٨٣﴾ ﴿و﴾ اذْكُرْ ﴿إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ فِي التَّوْرَةِ وَقُلْنَا: ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ - بِالتَّاءِ والياء - ﴿إِلَّا اللَّهَ﴾
حاشية الصاوي

قوله: (بالإفراد) أي: باعتبار ذات الشرك، وقوله: (والجمع) أي: باعتبار أنواعه.

قوله: (وأحدقت به من كل جانب) أي: فلم يجد ملجأ للجنة لكفره.

قوله: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي: وأما من آمن ولم يعمل صالحاً غير الإيمان فمخلد في الجنة أيضاً، وتحت المشيئة في الابتداء، وقد جرت عادة الله في كتابه أنه إذا ذكر آية الكفار وعاقبة أمرهم يتبعها بذكر آية المؤمنين وعاقبة أمرهم.

قوله: ﴿و﴾ اذكر (أي: يا محمد، والمناسب للسياق: اذكروا، ويكون خطاباً لبني إسرائيل الفروع تذكيراً لهم بقبائح أصولهم).

قوله: (وقلنا ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾) قدّر ذلك إشارة إلى أن جملة ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ في محل نصب مقولٍ لقولٍ محذوف، وذلك القول في محل نصب على الحال من فاعل ﴿أَخَذْنَا﴾، التقدير: وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل حال كوننا قائلين: لا تعبدون... إلخ، ويحتمل أن جملة ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ مفسرة للميثاق لا محل لها من الإعراب، ولا حذف، وهو الأقرب.

قوله: (بالياء والتاء) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١)، ولا التفات في ذلك على ما قرّره المفسر من تقدير القول، وعلى الاحتمال الثاني^(٢) ففيه التفات على قراءة التاء من الغيبة إلى الخطاب؛ فإن الاسم الظاهر من قبيل الغيبة.

(١) قرأ بالمشاة التحتية (يعبدون) ابن كثير وحزمة والكسائي، وباقي السبعة بالتاء. انظر «البحر المحيط» (١/٤٥٠).

(٢) وهو تقدير القول الذي صاغه المفسر بـ(وقلنا)، وهو قول أبي البقاء كما أشار لذلك العلامة السمين في «الدر

وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا

- خَبْرٌ بِمَعْنَى النَّهْيِ، وَقُرِئَ: (لَا تَعْبُدُوا) - ﴿وَأَحْسِنُوا﴾ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا: بِرًّا، ﴿وَذِي الْقُرْبَىٰ﴾: الْقَرَابَةِ، - عَطَفٌ عَلَى (الْوَالِدَيْنِ) - ﴿وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ﴾ قَوْلًا ﴿حَسَنًا﴾ مِنَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ

حاشية الصاوي

قوله: (خبر بمعنى النهي) أي: فهي جملة خبرية لفظاً لعدم جزم الفعل، إنشائية معنًى لأن المقصد النهي عن عبادة غير الله، لا الإخبار عنهم بأنهم لا يعبدون غير الله، والحكمة في التعبير عن الإنشاء بالخبر: استبعاد ذلك منهم وتقوية للإنشاء؛ كأنه قيل: لا ينبغي أن تعبدوا غير الله حتى تنهاكم عنه، بل أخبر عنهم بأنهم لا يعبدون إلا الله، كأنه لم يقع منهم عبادة لغيره أبداً.

قوله: (وقُرِئَ) أي: قراءة شاذة^(١)؛ لأن قاعدة المفسر يُشير للشاذة بـ(قُرِئَ)، وللسبعية بـ(في قراءة) غالباً.

قوله: (وأحسنوا) قَدَّرَ ذلك؛ إشارةً إلى أنه من عَطَفَ الجمل على جملة ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾، وأتى بحق الوالدين عقب حق الله؛ إشارةً إلى أنه أكَّدَ الحقوق بعد عبادة الله، قال تعالى: ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَايَكَ﴾ [لقمان: ١٤]؛ فإنهما السبب في وجود الشخص، ويجب برُّهما ولو كافرين، وبالجمله: فلم يُشدد الله على أمر كتشديده على برِّهما.

قوله: (عطف على «الوالدين») أي: من عطف المفردات، و(أحسنوا): مسلَّطٌ عليه، التقدير: وأحسنوا بذِي القربى؛ لأن حقَّ القرابة تابعٌ لحقَّ الوالدين، والإحسان إليهم إنما هو بواسطة لهما. قوله: ﴿وَالْيَتَامَىٰ﴾ جمع يَتِيم، وهو من الادميين: مَنْ فَقَدَ أَبَاهُ، وَمِنْ غَيْرِهِمْ: مَنْ فَقَدَ أُمَّهُ^(٢). قوله: ﴿وَالْمَسْكِينِ﴾ المراد: ما يَشْمَلُ الْفُقَرَاءُ؛ فَإِنَّ الْفَقِيرَ وَالْمَسْكِينَ مَتَى اجْتَمَعَا افترقا، ومتى افترقا اجتمعا.

قوله: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ﴾ أي: عموماً، ومنه الحديث: «وخالق الناس بِخُلُقٍ حَسَنٍ»^(٣).

قوله: (قولاً ﴿حَسَنًا﴾) أشار بذلك إلى أن (حَسَنًا) بفتحين صفةٌ مشبهةٌ لموصوفٍ محذوف.

(١) وهي قراءة أبي وعبد الله ﷺ. انظر «الدر المصون» (١/٤٦١).

(٢) ومن فقد أمه من الادميين فهو الْعَجِي، ومن فقدهما معاً فهو اللَّطِيم، وهذا في العرف اللغوي.

(٣) رواه الترمذي (١٩٨٧) من حديث أبي ذر ﷺ مرفوعاً.

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

والنهي عن المنكر والصدق في شأن محمد والرفق بهم، - وفي قراءة بضم الحاء وسكون السين مصدر وُصِفَ بِهِ مُبَالِغَةً -، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ﴾ فَقَبِلْتُمْ ذَلِكَ، ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾: أَعْرَضْتُمْ عَنِ الْوَفَاءِ بِهِ - فِيهِ التَّفَاتُ عَنِ الْغَيْبَةِ وَالْمُرَادُ آبَاؤُهُمْ - ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ عَنْهُ كَأَبَائِكُمْ.

حاشية الصاوي

قوله: (والنهي عن المنكر) أي: على حسب مراتبه؛ من النهي باليد، ثم اللسان، ثم القلب.

قوله: (والرفق بهم) أي: بالناس؛ بأن يوقر كبيرهم ويرحم صغيرهم.

قوله: (وفي قراءة) أي: سبعة^(١).

قوله: (مصدر) أي: على غير قياس إن كان فعله أَحْسَنَ، وهو المتبادر، وقياسي إن كان فعله حَسُنَ كظُرْفَ وَكُرْمَ.

قوله: (وُصِفَ بِهِ مَبَالِغَةً) أي: أو على حذف مضاف، على حد ما قيل في: (زَيْدٌ عَدْلٌ).

قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ﴾ أي: المفروضات^(٢) عليهم في ملتتهم، وما نزل بقارون من الخسف به وبداره سيئه منَعَ الزكاة.

قوله: (فقبلتم ذلك) قَدَّرَ ذَلِكَ لِأَجْلِ الْعُطْفِ بِهِ (ثم) عليه.

قوله: (فيه التفات) وحكمته: الاستلذاذ للسامع وعدم الملل منه؛ فَإِنَّ الِاتِّفَاتَ مِنَ الْمَحْسَنَاتِ لِلْكَلامِ.

قوله: ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ﴾ أي: من أجدادكم، وهو من أقام اليهودية على وجهها قبل النسخ؛ أي: ومنكم أيضاً، وهو مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَأَصْرَابِهِ.

قوله: ﴿وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ خطابٌ لِلْفُرُوعِ، ويلاحظُ قوله: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ هنا كما عَلِمْتَ، فتغاير معنى الجملتين، فلا تكرار.

(١) وهي قراءة الجمهور، وبفتحتين (حَسَنًا) قراءة حمزة والكسائي ويعقوب. انظر «البحر المحيط» (١/٤٥٣).

(٢) في (أ): (المفروضان) بالثنية والتذكير.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ.....

﴿٨٤﴾ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ وقلنا: ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾: تُرِيقُونَهَا بِقَتْلِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا، ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾: لَا يُخْرِجُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا مِنْ دَارِهِ،.....

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ المقدّر: اذكروا، فهو خطابٌ لبني إسرائيل، وهو معطوف على الجملة الأولى المتعلقة بحقوق الله، وهذه الجملة متعلّقة بحقوق العباد، فخانوا كلّاً من العهدين، وهي متضمّنة لأربعة عُهود:

الأول: لا يسفك بعضهم دماء بعض.

الثاني: لا يُخرج بعضهم بعضاً من ديارهم.

الثالث: لا يتظاهروا بعضهم على بعض بالإثم والعدوان.

الرابع: إن وجد بعضهم بعضاً أسيراً فداؤه ولو بجميع ما يملك.

قوله: ﴿مِيثَاقَكُمْ﴾ أي: ميثاق آبائكم في التوراة؛ فإن هذا خطابٌ لقريظة وبني النضير الكائنين في زمن رسول الله ﷺ.

قوله: (وقلنا: ﴿لَا تَسْفِكُونَ﴾) قدّر القول؛ إشارةً إلى أن الجملة في محلّ نصب مقولٍ لقولٍ محذوف، والجملة حاليةٌ من فاعل ﴿أَخَذْنَا﴾، التقدير: أخذنا ميثاقكم حال كوننا قائلين، ويحتمل أن الجملة لا محلّ لها من الإعراب تفسيراً للميثاق، وتقدّم ذلك في نظيره^(١).

قوله: ﴿لَا تَسْفِكُونَ﴾ مضارعٌ سفك من باب: ضربَ وقتلَ؛ أراقَ الدمَ والدمع.

قوله: (يقتل بعضهم بعضاً) أشار بذلك إلى أنه من إطلاق الملزوم وإرادة اللازم^(٢)؛ لأنه يلزم من القتل إراقة الدم غالباً، والإضافة في ﴿دِمَاءَكُمْ﴾ لأدنى مُلابسة؛ فإن دم الأخ كدم النفس، أو باعتبار أن من قتل يُقتل؛ أي: فلا تسبّبوا في قتل أنفسكم بقتلكم غيركم، وهنا حذفٌ يُعلم ممّا يأتي؛ أي: ظلماً عدواناً.

قوله: ﴿مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ أصله: ديار، وقعت الواو إثر كسرة قلبت ياءً، وأسند الإخراج لأنفسهم مع أنهم يُخرجون غيرهم؛ لأن المكر السيئ لا يحيق إلا بأهله.

(١) تقدم نحوه (١/١٨٣).

(٢) ويقال: من إطلاق السبب على المسبب، فالسبب ملزوم والمسبب لازم.

ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَسْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَى تَقْتُلُوهُمْ.....

﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾: قَبْلْتُمْ ذَلِكَ الْمِيثَاقَ ﴿وَأَنْتُمْ تَسْهَدُونَ﴾ عَلَى أَنْفُسِكُمْ.

﴿٨٥﴾ ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ﴾ يَا ﴿هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ بِقَتْلِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا، ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ﴾ - فِيهِ إِدْغَامُ التَّاءِ فِي الْأَصْلِ فِي الظَّاءِ، وَفِي قِرَاءَةِ بِالتَّخْفِيفِ عَلَى حَذْفِهَا -: تَتَعَاوَنُونَ ﴿عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ﴾: بِالْمَعْصِيَةِ ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾: الظُّلْمِ، ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَى﴾ - وَفِي قِرَاءَةٍ: ﴿أُسْرَى﴾ - ﴿تَقْتُلُوهُمْ﴾.....

حاشية الصاوي

قوله: ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ لم يذكر هنا بقية العهود؛ لأنَّ عَهْدَ عدم التظاهر بالإثم والعدوان ملاحظ في العهدين الأولين، وأما الرابع فقد وقَّوا به، فلم يُعَاتِبْهُمْ الرَّبُّ عَلَيْهِ.

قوله: (على أنفسكم) أشار بذلك إلى أن الجملة مؤكدةً لجملة ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾؛ لأنَّ الشهادة على النفس هي الإقرار بعينه، ويحتملُ أن قوله: ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ خطابٌ لبني إسرائيل الأصول، وقوله: ﴿وَأَنْتُمْ تَسْهَدُونَ﴾ خطابٌ للفروع، فتغاير معنى الجملتين ولا تأكيد.

قوله: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾ ﴿أَنْتُمْ﴾: مبتدأ، وجملة ﴿تَقْتُلُونَ﴾ خبره، و﴿هَؤُلَاءِ﴾: منادى، وحرف النداء محذوف، والجملة مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ الْمَبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ.

قوله: ﴿تَظَاهَرُونَ﴾ في محلِّ نصب على الحال من فاعل ﴿تُخْرِجُونَ﴾، وهو من باب: الحذف من الأوائل لدلالة الأواخر، التقدير: تقتلون أنفسكم متظاهرين وتُخرجون فريقاً كذلك.

قوله: (في الأصل) أي: بعد قلبها ظاء.

قوله: (بالتخفيف^(١)) أي: بحذفِ التاءِ الثانية التي ليست للمضارعة، ولم تحذف التي للمضارعة لأنه أتى بها لمعنى.

قوله: ﴿بِالْإِثْمِ﴾ يجمع على آثام.

قوله: (وفي قراءة: ﴿أُسْرَى﴾) أي: بالإمالة، وهي لحمزة^(٢)، وكلُّ منهما جمعٌ لأسير.

(١) وهي قراءة عاصم وحزمة والكسائي، وقرأ باقي السبعة بتشديد الظاء (تُظَاهَرُونَ) كما سبق. انظر «البحر المحيط» (٤٥٩/١).

(٢) على وزن (فَعْلَى)، وباقي السبعة قرؤوها على وزن (فُعَالَى). المصدر نفسه.

وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ

- وفي قراءة: ﴿تُقَدُّوهُمْ﴾ - تُنْقِذُوهُمْ مِنَ الْأَسْرِ بِالْمَالِ أَوْ غَيْرِهِ، وهو مِمَّا عَاهَدَ إِلَيْهِمْ، ﴿وَهُوَ﴾ أي: الشَّانُ ﴿مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ - مُتَّصِلٌ بِقَوْلِهِ: ﴿وَتُخْرِجُونَ﴾، والجُمْلَةُ بَيْنَهُمَا اعْتِرَاضٌ - أي: كما حُرِّمَ تَرْكُ الْفِدَاءِ. وَكَانَتْ قُرَيْظَةُ حَالِفُوا الْأَوْسَ وَالنَّضِيرُ الْخَزَرَجَ، فَكَانَ كُلُّ فَرِيقٍ يُقَاتِلُ مَعَ حُلَفَائِهِ وَيُخَرِّبُ دِيَارَهُمْ وَيُخْرِجُهُمْ، فَإِذَا أُسِرُوا فَدَوْهُمْ، وَكَانُوا إِذَا سُئِلُوا: لِمَ تُقَاتِلُونَهُمْ وَتَفْدُونَهُمْ؟ قَالُوا: أُمِرْنَا بِالْفِدَاءِ، فَيُقَالُ: فَلِمَ تُقَاتِلُونَهُمْ؟ فَيَقُولُونَ: حَيَاءٌ أَنْ تُسْتَدَلَ حُلَفَاؤُنَا،

حاشية الصاوي

قوله: (وفي قراءة ﴿تُقَدُّوهُمْ﴾^(١)) الحاصل: أن القراءاتِ خمسٌ: (أسرى) بالإمالة مع (تفدوهم) فقط، (أسارى) بالإمالة وعدمها مع (تفدوهم) و(تفادوهم).

قوله: (أي: الشَّانُ) ويُقال: ضميرُ القصة، يُفسَّرُ ما بعده، قال ابن هشام: (ويختص بخمسة أشياء: كونه مفرداً ولو كان مرجعه مثنى أو مجموعاً، وتأخيرُ مرجعه، وكونه جملةً، ولا يعملُ فيه إلا المبتدأ أو الناسخ، ولا يُتَّبَعُ)^(٢).

قوله: ﴿مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾) مبتدأ وخبرٌ، والجُمْلَةُ خبرُ ضميرِ الشَّانِ، ولم تحتجْ لرباط؛ لأنها عينُ المبتدأ في المعنى.

قوله: (والنضير) معطوف على (قُرَيْظَةُ)، والعاملُ فيه (كانت)، وقوله: (الخزرج) معطوفٌ على (الأوس)، والعاملُ فيه (حالفوا)، ففيه العطف على معمولي عاملين مختلفين قصداً للاختصار، ويحتمل أن الخزرج معمولٌ لمحذوف، التقدير: حالفوا.

والحاصل: أن الأوس والخزرج فرقتان في المدينة، وهم الأنصار، وكان بينهما عداوةٌ، ولم يرسلْ لهم نبيٌّ غيرُ رسولِ الله، وأما قُرَيْظَةُ وبنو النضير فكانوا مكلفين بشريعة موسى، وكانوا أذلاءً، فاستعزَّ قُرَيْظَةُ بِالْأَوْسِ، وبنو النضير بالخزرج، فكان إذا اقْتَتَلَ الْأَوْسُ مَعَ الْخَزْرَجِ قَاتِلٌ مَعَ كُلِّ حُلَفَاؤِهِ، فَإِذَا أُسِرَ حُلَفَاءُ قُرَيْظَةَ أُسِيراً مِنْ بَنِي النَّضِيرِ افْتَدَوْهُ قُرَيْظَةُ وَبِالْعَكْسِ، فَإِذَا سُئِلُوا عَنِ الْقِتَالِ أَجَابُوا بِأَنَّهُمْ قَاتِلُوا خَشْيَةً أَنْ يَسْتَدَلَ مِنْ اسْتَعَزَّوْا بِهِ، وَعَنِ الْفِدَاءِ أَجَابُوا بِأَنَّا أُمِرْنَا بِهِ.

(١) وهي قراءة نافع وعاصم والكسائي، من الفعل (فادى)، والباقون من الفعل (فدى). المصدر نفسه.

(٢) «مغني اللبيب» (ص ٦٣٦) بتصرف، وقوله: (لا يتبع) أي: بتابع، فلا يؤكد ولا يُعطف عليه ولا يبدل منه.

أَفْتَوْمُنُونَ بَعْضُ الْكَتِّبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ

قال تعالى: ﴿أَفْتَوْمُنُونَ بَعْضُ الْكَتِّبِ﴾ وهو الفداء ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ وهو ترك القتل والإخراج والمُظَاهَرَة؟ ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ﴾: هَوَانٌ وَذُلٌّ ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، وقد خَزُوا بِقَتْلِ قَرِيطَةَ وَنَفَى النَّضِيرِ إِلَى الشَّامِ وَضَرْبِ الْجَزِيَةِ، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ - بالياء والتاء -.

﴿٨٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَفْتَوْمُنُونَ﴾ أي: تصدقون بالعمل به.

قوله: (وقد خَزُوا) أصله: خَزِيُوا، استثقلت الضمة على الياء فحذفت، فالتقى ساكنان الياء والواو، حذفت الياء لالتقاء الساكنين، وقُلبت كسرة الزاي ضمة لمناسبة الواو.

قوله: (بقتل قريظة) أي: حين دخل النبي المدينة وأسلم الأوس والخزرج، وغزاهم النبي وأصحابه، إلى أن نزلوا على حكم سعد بن معاذ، فحكمَ فيهم بقتل شُجعانهم وسبي ذراريهم ونسائهم، فقتل منهم سبع مئة، وكان ذلك في السنة الرابعة من الهجرة^(١).

قوله: (ونفى النضير إلى الشام) أي: مع كل واحد حِمْلٌ بغير من طعام لا غير^(٢).

قوله: (وضرب الجزية) أي: على مَنْ بَقِيَ من قريظة وسكنَ في خيبر، وعلى بني النضير بعد ذهابهم إلى الشام.

قوله: ﴿يُرَدُّونَ﴾ وقُرئ شاذًا بالتاء^(٣).

قوله: (بالياء والتاء) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(٤).

(١) رواه البخاري (٣٠٤٣)، ومسلم (١٧٦٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) وسيأتي خبرهم في صدر سورة الحشر (٧/٧-٩).

(٣) وهي قراءة الحسن وابن هرمز. انظر «البحر المحيط» (١/٤٦٢).

(٤) قرأ نافع وابن كثير وأبو بكر بالياء، والباقون بالتاء. المصدر نفسه.

فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى

بأن آثروها عليها، ﴿فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾: يُمنعون منه.
 ﴿٨٧﴾ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾: التَّوْرَةَ ﴿وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾ أي: أتبعناهم رُسولاً في إثر رَسول، ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى

حاشية الصاوي

قوله: (بأن آثروها) بالمد، بمعنى قدّموها.

قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ شروع في ذكر نعم آخر لبني إسرائيل قابلوها بقبائح عظيمة، وصدرَ الجملة بالقسم زيادة في الرد عليهم.

قوله: ﴿وَقَفَّيْنَا﴾ من التَّفْقِيَةِ، وهي المشي خلف القفا^(١)، أطلق وأريد مطلق الإتيان.

قوله: ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ يحتمل أن الضمير عائذ على موسى أو الكتاب.

قوله: (أي: أتبعناهم رسولاً في إثر رسول) ظاهرة: أنه لا يُجمع بين رسولين في زمن واحد، وليس كذلك؛ فإن زكريا ويحيى كانا في زمن واحد، وكذا داوود وسليمان، وورد: «أنهم قتلوا سبعين نبياً في يوم واحد وأقاموا سوقهم»^(٢).

وأجيب: بأن المراد: التَّبَع في العمل بالتوراة، فكل الأنبياء الذين بين موسى وعيسى يعملون بالتوراة بوحى من الله لا تقليداً لموسى، إذا علمت ذلك فالمناسب للمفسر أن يقول: أي: أتبعنا بعضهم بعضاً في العمل بالتوراة، كانوا في زمن واحد أو لا.

وقوله: ﴿بِالرُّسُلِ﴾ مراده: ما يشمل الأنبياء، وعدة الأنبياء والرسل الذين بين موسى وعيسى سبعون ألفاً، وقيل: أربعة آلاف^(٣).

قوله: ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى﴾ معطوف على ﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى﴾، وخَصَّه بالذكر وإن كان داخلاً في قوله:

(١) تقول: قفوت فلاناً، إذا جئت في إثره؛ كأنك تقصد جهة قفاه، وقَفَّيْتَهُ بفلان، المفعول الثاني معدى بالباء لتمييزه عن الأول.

(٢) كذا أورد الخطيب في «السراج المنير» (١/٦٥)، وروى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦٣٢)، وانظر «الدر المشور» (١/١٧٨).

(٣) «الفتوحات الإلهية» (١/٧٥).

أَبْنُ مَرْيَمَ الْبَنَاتِ وَأَيَّدَنَّهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ

أَبْنُ مَرْيَمَ الْبَنَاتِ: الْمُعْجَزَاتِ، كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، ﴿وَأَيَّدَنَّهُ﴾: قَوِّينَاهُ ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ - مِنْ إِضَافَةِ الْمَوْصُوفِ إِلَى الصِّفَةِ - أَي: الرُّوحِ الْمُقَدَّسَةِ جِبْرِيلَ لِطَهَارَتِهِ، يَسِيرُ مَعَهُ حَيْثُ سَارَ، فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا، ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى﴾: تُحِبُّ ﴿أَنْفُسُكُمْ﴾ مِنَ الْحَقِّ ﴿اسْتَكْبَرْتُمْ﴾: تَكَبَّرْتُمْ عَنْ اتِّبَاعِهِ؟ - جَوَابُ (كُلَّمَا)، وَهُوَ مَحَلُّ الِاسْتِفْهَامِ

حاشية الصاوي

﴿وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾ لعظم شرفه ومزيته، ولكونه رسولا مستقلا بشرع يخصه؛ لأنه نسخ بعض ما في التوراة، وللدُّ على اليهود حيث ادَّعوا أنَّهم قتلوه. وعيسى: لغة عبرانية معناها: السبوح^(١).

قوله: ﴿أَبْنُ مَرْيَمَ﴾ معنى مريم: خادمة الله، وفي اصطلاح العرب: المرأة التي تكره مخالطة الرجال.

قوله: ﴿الْبَنَاتِ﴾ (أَل): للعهد؛ أي: المعجزات المعهودة له.

قوله: (وإبراء الأكمه) هو مَنْ وُلِدَ أَعْمَى.

قوله: (أي: الروح المقدسة) أي: المطهرة.

قوله: (جبريل) وجه تسميته روحاً: أن الروح جسم نوراني به حياة الأبدان، وجبريل جسم نوراني به حياة القلوب.

قوله: (لطهارته) أي: من المعاصي والمخالفات والأقذار، وقد مدحه الله بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ...﴾ [الحاقة: ٤٠] الآية.

قوله: (يسير معه حيث سار) أي: ولم يزل معه حتى رفعه إلى السماء.

قوله: (فلم تستقيموا) قدره المفسر لعطف قوله: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ عليه.

قوله: (بما لا تهوى) ماضيه هَوِيَ مِنْ بَاب: تَعِبَ وَضَرَبَ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يَهْوِي بِصَاحِبِهِ إِلَى النَّارِ، وَهُوَ تَذَكِيرٌ لِلْفُرُوعِ بِقَبَائِحِ أَصُولِهِمْ.

قوله: ﴿اسْتَكْبَرْتُمْ﴾ (السين زائدة، والتقدير: تكبرتم كلما جاءكم رسول بالذي لا تحبه أنفسكم).

(١) كذا في النسخ، ولعلها (الممسوح) فهو لقب له لأنه مُطَهَّر من الذنب والدنس، وقيل غير ذلك. انظر «تاج العروس»

فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْنَلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

والمُرَادُ بِهِ التَّوْبِيخُ - ﴿فَفَرِيقًا﴾ مِنْهُمْ ﴿كَذَّبْتُمْ﴾ كَعِيسَى، ﴿وَفَرِيقًا تَقْنَلُونَ﴾ - الْمُضَارَعُ لِحِكَايَةِ الْحَالِ الْمَاضِيَةِ - أَي: قَتَلْتُمْ، كَزَكْرِيَّا وَيَحْيَى.

﴿٨٨﴾ ﴿وَقَالُوا﴾ لِلنَّبِيِّ اسْتَهْزَاءً: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ جَمْعُ (أَغْلَفَ)، أَي: مُغَشَّاةٌ بِأَغْطِيَةٍ فَلَا تَعْيِي مَا تَقُولُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ﴾ - لِلْإِضْرَابِ - ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾: أَبْعَدَهُمْ عَنْ رَحْمَتِهِ وَخَذَلَهُمْ عَنِ الْقَبُولِ ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾، وَلَيْسَ عَدَمُ قَبُولِهِمْ لِخَلَلٍ فِي قُلُوبِهِمْ، ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ - ﴿مَّا﴾ زَائِدَةٌ لِتَأْكِيدِ الْقَلَّةِ - أَي: إِيْمَانُهُمْ قَلِيلٌ جِدًّا.

حاشية الصاوي

قوله: (والمُرَادُ بِهِ التَّوْبِيخُ) أَي: اللومُ والتفريعُ عليهم.

قوله: (﴿فَفَرِيقًا﴾) معمولٌ لـ ﴿كَذَّبْتُمْ﴾، وقُدِّمَ مراعاةً للفواصل، وقُدِّمَ التَّكْذِيبُ عَلَى الْقَتْلِ مَعَ أَنَّ الْقَتْلَ أَشْنَعُ؛ لِأَنَّ التَّكْذِيبَ مَبْدَأُ الْقَتْلِ.

قوله: (كَعِيسَى) أَي: كَذَبُوهُ وَلَمْ يَتِمَكَّنُوا مِنْ قَتْلِهِ، بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ.

قوله: (المُضَارَعُ لِحِكَايَةِ الْحَالِ الْمَاضِيَةِ) أَي: فَنَزَلَ وَقَوَعُهُ مِنْهُمْ فِيمَا مَضَى مَنْزِلَةَ وَقَوَعِهِ الْآنَ اسْتِعْظَامًا لَهُ.

قوله: (كَزَكْرِيَّا) أَي: حَيْثُ نَشَرُوهُ حِينَ هَرَبَ مِنْهُمْ وَأَوَى إِلَى شَجَرَةٍ أَثْلٍ، فَانْفَتَحَتْ لَهُ وَدَخَلَهَا.

قوله: (وَيَحْيَى) أَي: قَتَلُوهُ مِنْ أَجْلِ امْرَأَةٍ فَاجِرَةٍ أَرَادَ مُحَرَّمُهَا التَّزَوُّجَ بِهَا، فَمَنْعَهُ مِنْ ذَلِكَ^(١).

قوله: (﴿وَقَالُوا﴾) أَي: الْمَوْجُودُونَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

قوله: (أَي: مَغْشَاةٌ بِأَغْطِيَةٍ) أَي: حِصْيَةٍ.

قوله: (﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾) الْمُرَادُ بِالْقَلَّةِ الْإِسْتِبْعَادُ؛ أَي: فَاِئِمَانُهُمْ مُسْتَبْعَدٌ؛ لَطَرْدِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ عَنْ رَحْمَتِهِ وَسَبْقِ شِقَاوَتِهِمْ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَبْقَى الْقَلَّةُ عَلَى بَابِهَا؛ أَي: فَمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ قَلِيلٌ؛ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَأَضْرَابِهِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ الْقَلَّةُ بِاعْتِبَارِ الزَّمَنِ؛ أَي: إِنْ الزَّمَنَ الَّذِي يُؤْمِنُونَ فِيهِ قَلِيلٌ جِدًّا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهَ الظَّهَارِ ءَاخِرُهُ﴾ [آل عمران: ٧٢].

(١) وَمُحَرَّمُهَا هُوَ عَمُّهَا وَهِيَ ابْنَةُ أَخِيهِ، وَالْخَبَرُ رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٣٨٧/١٧) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا أَشْرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا

﴿٨٩﴾ ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ مِنَ التَّوْرَةِ، هُوَ الْقُرْآنُ، ﴿وَكَانُوا مِن قَبْلُ﴾: قَبْلَ مَجِيئِهِ ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾: يَسْتَنْصِرُونَ ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ انصُرْنَا عَلَيْهِم بِالنَّبِيِّ الْمَبْعُوثِ آخِرَ الزَّمَانِ، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا﴾ مِنَ الْحَقِّ - وَهُوَ بَعَثَةُ النَّبِيِّ - ﴿كَفَرُوا بِهِ﴾ حَسَدًا وَخَوْفًا عَلَى الرِّيَاسَةِ، - وَجَوَابُ (لَمَّا) الْأُولَى دَلَّ عَلَيْهِ جَوَابُ الثَّانِيَةِ - ﴿فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

﴿٩٠﴾ ﴿بِئْسَمَا أَشْرَوْا﴾: بَاعُوا ﴿بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ أَي: حَظَّهَا مِنَ الثَّوَابِ، وَ(مَا): نَكْرَةً بِمَعْنَى (شَيْئًا) تَمِيزُ لِفَاعِلِ (بِئْسَ)، وَالْمَخْصُوصُ بِالذَّمِّ: ﴿أَن يَكْفُرُوا﴾ أَي: كُفْرُهُمْ ...

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ﴾ هذه الجملة من تعلقات الجملة التي قبلها، وكلُّ منهما حكاية عن اليهود الذين كانوا في زمنه ﷺ.

وقوله: ﴿مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ صفة أولى لـ ﴿كِتَابٌ﴾، وقوله: ﴿مُصَدِّقٌ﴾ صفة ثانية له، وجملة ﴿وَكَانُوا مِن قَبْلُ﴾ حال من الضمير في ﴿جَاءَهُمْ﴾.

قوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾ مبني على الضم لحذف المضاف إليه ونية معناه.

قوله: (يَسْتَنْصِرُونَ) السُّنُّ والتَّاءُ: لِلطَّلَبِ.

قوله: (وهو بعثه النبي) في الحقيقة بعثه النبي والكتاب.

قوله: (دَلَّ عَلَيْهِ جَوَابُ الثَّانِيَةِ) أَي: وَالْأَصْلُ: وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ كَفَرُوا بِذَلِكَ الْكِتَابِ، وَكَانُوا يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا، فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا وَهُوَ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ كَفَرُوا بِهِ، فَبَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ تَغَايُرٌ لَفْظًا وَإِنْ كَانَ بَيْنَهُمَا تَلَازُمٌ مَعْنَى.

قوله: ﴿بِئْسَمَا أَشْرَوْا﴾ ... إلخ ﴿بِئْسَ﴾: فَعْلٌ مَّاضٍ لِإِنْشَاءِ الذَّمِّ، وَفَاعِلُهَا: مُسْتَتَرٌ فِيهِ وَجُوبًا تَقْدِيرُهُ: هُوَ، يَعُودُ عَلَى الشَّيْءِ، يَفْسِّرُهُ قَوْلُهُ: ﴿مَا أَشْرَوْا﴾، فَ(مَا) تَمِيزُ لَذَلِكَ الْفَاعِلِ، وَمَا بَعْدَهَا صِفَةٌ لَهَا، وَ﴿أَن يَكْفُرُوا﴾ فِي تَأْوِيلِ مَصْدَرِ الْمَخْصُوصِ بِالذَّمِّ، وَهُوَ: يَعْرُبُ مُبْتَدَأً، وَالْجُمْلَةُ الَّتِي قَبْلَهُ خَبَرٌ عَنْهُ، أَوْ خَبَرٌ لِمُبْتَدَأٍ مَحذُوفٍ، قَالَ ابْنُ مَالِكٍ: [الرجز]

بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنْزَلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِيتٌ ﴿٩٠﴾

﴿بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ مِنَ الْقُرْآنِ؛ ﴿بَغْيًا﴾ - مَفْعُولٌ لَهُ لـ ﴿يَكْفُرُوا﴾ - أَي: حَسَدًا عَلَى ﴿أَنْ يُنْزَلَ اللَّهُ﴾ - بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ - ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ الْوَحْيِ ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ لِلرَّسَالَةِ ﴿مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا﴾: رَجَعُوا ﴿بِغَضَبٍ﴾ مِنْ اللَّهِ بِكُفْرِهِمْ بِمَا أَنْزَلَ - وَالتَّنْكِيرُ لِلتَّعْظِيمِ - ﴿عَلَى غَضَبٍ﴾ اسْتَحْقُّوهُ مِنْ قَبْلِ بِتَضْيِيعِ التَّوْرَةِ وَالْكَفْرِ بِعِيسَى، ﴿وَالْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِيتٌ﴾:

حاشية الصاوي

وَيُعْرَبُ الْمَخْصُوصُ بَعْدَ مُبْتَدَأٍ أَوْ خَبَرٍ اسْمٍ لَيْسَ يَبْدُو أَبَدًا^(١)
قوله: (من القرآن) بيان لـ (ما).

قوله: (مفعول له لـ ﴿يَكْفُرُوا﴾) أي: مفعول لأجله، والعامل فيه ﴿يَكْفُرُوا﴾.

قوله: (على ﴿أَنْ يُنْزَلَ﴾^(٢) الله) المعنى: كفرهم بما أنزل الله حسداً على إنزال الله من فضله، وذلك بمعنى قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٥٤].

قوله: (الوحي) قدره؛ إشارة إلى أن مفعول (ينزل) محذوف.

قوله: ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ مفعول ﴿يَشَاءُ﴾ محذوف، التقدير: يشاؤه.

قوله: ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ الباء: يصح أن تكون للتعديّة والسببية.

قوله: (والتنكير للتعظيم) أي: في قوله: (غضب) على حدّ: شرٌّ أهرّ ذا نابٍ^(٣).

قوله: (والكفر بعيسى) أي: ثم الكفر بمحمد وما جاء به؛ فقد آمنوا بموسى ثم كفروا به وضيّعوا التوراة، فلمّا جاءهم عيسى آمنوا به ثم كفروا به، فلمّا جاءهم محمدٌ كفروا به وازدادوا كفراً.

قوله: ﴿عَذَابٌ مُهِيتٌ﴾ أصله: مُهُونٌ، نُقِلَتْ كسرة الواو إلى الهاء، فوَقَعَت الواوُ ساكنةً بعد كسرة، فُلبِتْ ياءً.

(١) «الخلاصة» (باب نعم وبس)، والرواية: (ويذكر) بدل (ويعرب)، وعليه (مبتدا) منصوب على الحالية.

(٢) أبو عمرو وابن كثير بالتخفيف، والباقون بالتشديد. انظر «البحر المحيط» (١/٤٧٤).

(٣) أي: شرٌّ عظيم، وأهرّ: حملة على الهرير، مثل يضرب في ظهور أمارات الشر ومخايله. انظر «مجمع الأمثال» (١/٣٧٠).

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَبِكُفْرُوا بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾

ذُو إِهَانَةٍ.

﴿٩١﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ: القرآن وغيره، ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ أي: التَّوراة، قال تعالى: ﴿وَبِكُفْرُوا﴾ - الواوُ لِلْحَالِ - ﴿بِمَا وَرَاءَهُ﴾: سِوَاهُ أو بَعْدَهُ مِنَ الْقُرْآنِ، ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ - حَالٌ - ﴿مُصَدِّقًا﴾ - حَالٌ ثَانِيَةٌ مُؤَكَّدَةٌ - ﴿لِمَا مَعَهُمْ قُلْ﴾ لَهُمْ: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ﴾ أي: قَتَلْتُمْ ﴿أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بِالتَّوراة وقد نُهَيْتُمْ فِيهَا

حاشية الصاوي

قوله: (ذو إهانة) أي: هوان وذُلٌّ، ولا يوصف بذلك إلا عذاب الكافرين، وأما ما يقع للعصاة في الدنيا من المصائب وفي الآخرة من دُخُولِ النار فهو تطهيرٌ لهم.

قوله: ﴿بِمَا وَرَاءَهُ﴾ يُطْلَقُ بِمَعْنَى: سِوَى، وَبِمَعْنَى: بَعْدَ، وَبِمَعْنَى: أَمَامَ، اقْتَصَرَ الْمَفْسَّرُ عَلَى الْأَوَّلِينَ.

قوله: (من القرآن) أي: والإنجيل.

قوله: ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ (حَالٌ مِنْ مَا).

قوله: (مؤكد) أي: لمضمون الجملة قبلها، على حدِّ: (زيدُ أبوك عَطُوفًا)، وقوله: (ثانية) أي: في التأكيد، وإلا فهي ثالثة.

قوله: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ﴾ (مَا): اسْمُ اسْتِفْهَامٍ حُذِفَتْ أَلْفُهَا لَجَرِّهَا بِاللَّامِ، وَالْفَاءُ وَاقِعَةٌ فِي جَوَابِ شَرْطٍ مُقَدَّرٍ، تَقْدِيرُهُ: إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي دَعْوَاكُمْ الْإِيمَانَ بِالتَّوراة فَلَأَيِّ شَيْءٍ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ؟!

قوله: (أي: قتلتم) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْمَضَارِعَ بِمَعْنَى الْمَاضِي، وَإِنَّمَا عَبَّرَ بِالْمَضَارِعِ لِحِكَايَةِ الْحَالِ الْمَاضِيَةِ.

قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (جَوَابُ (إِنْ) مُحذُوفٌ دَلَّ عَلَيْهِ الْمَذْكُورُ، فَقَدْ حُذِفَ مِنَ الْجُمْلَةِ الْأُولَى أَدَاةُ الشَّرْطِ وَفَعْلُهَا، وَمِنَ الثَّانِيَةِ الْجَوَابُ، فَهُوَ احْتِبَاكٌ، وَقِيلَ: إِنْ (إِنْ) نَافِيَةٌ بِمَعْنَى (مَا) نَتِجَةُ الشَّرْطِ الْمُقَدَّرِ^(١).

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا

عَنْ قَتْلِهِمْ؟ وَالخِطَابُ لِلْمَوْجُودِينَ فِي زَمَنٍ نَبَيْنَا بِمَا فَعَلَ آبَاؤُهُمْ؛ لِرِضَاهُمْ بِهِ.

﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ: بِالْمُعْجَزَاتِ، كَالْعَصَا وَالْيَدِ وَفُلْقِ الْبَحْرِ، ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ إِلَهًا مِنْ بَعْدِهِ. مِنْ بَعْدِ ذَهَابِهِ إِلَى الْمِيقَاتِ، وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ بِاتِّخَاذِهِ.

﴿٩٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ عَلَى الْعَمَلِ بِمَا فِي التَّوْرَةِ، ﴿وَوَقَدْ رَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ﴾: الْجَبَلَ، حِينَ امْتَنَعْتُمْ مِنْ قَبُولِهَا؛ لِيَسْقُطَ عَلَيْكُمْ، وَقُلْنَا: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾: بِجِدِّ وَاجْتِهَادٍ، ﴿وَأَسْمِعُوا﴾ مَا تُؤْمَرُونَ بِهِ سَمَاعَ قَبُولٍ، ﴿قَالُوا سَمِعْنَا﴾ قَوْلَكَ ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أَمْرَكَ،

حاشية الصاوي

قوله: (بما فعل آبائهم) الحاصل: أنه أُقيمت الحجة عليهم مرتين: الأولى دعواكم الإيمان بالتوراة كذب؛ لِكُفْرِكُمْ بالقرآن؛ فَإِنَّ الْكَافِرَ بِأَيِّ كِتَابٍ كَافِرٌ بِالْجَمِيعِ، وَعَلَى تَسْلِيمِ هَذِهِ الدَّعْوَى؛ فَهِيَ كَذِبٌ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، وَهِيَ قَتْلُ الْأَنْبِيَاءِ، فَلَوْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ بِالتَّوْرَةِ لَانْتَهَيْتُمْ عَنْ مَا نَهَاكُمْ اللَّهُ عَنْهُ، فَإِنَّهُ نَهَاكُمْ فِيهَا عَنْ قَتْلِ الْأَنْبِيَاءِ.

قوله: (لرِضَاهُمْ بِهِ) جوابٌ عما يُقَالُ: إِنْ ذَلِكَ فَيَمَنْ قَتَلَ الْأَنْبِيَاءَ، وَأَمَّا هَؤُلَاءِ فَلَمْ يَقَعْ مِنْهُمْ ذَلِكَ! فَأَجَابَ بِأَنَّ الرِّضَا بِالْكَفْرِ كَفْرٌ، وَقَدْ يُقَالُ: إِنَّهُمْ مُصْرُّونَ عَلَى قَتْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ تَسَبَّبُوا فِي ذَلِكَ مَرَارًا.

قوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى﴾ هذا أيضاً من جملة قبائح بني إسرائيل.

قوله: (كالعصا) دخل تحت الكاف باقي التسع؛ وهي الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والسنين، والطمس.

قوله: (إلهاً) قَدَرَهُ إِشَارَةً إِلَى مَفْعُولِ ﴿أَخَذْتُمْ﴾.

قوله: ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ أي: كافرون.

قوله: (ليسقط عليكم) علة لقوله: (رفعنا) أي: رفعناه لأجل السقوط عليكم إن لم تمتثلوا.

وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ يَنْسَا يَا مُرْكُم بِهِ إِيمَنُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾

﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ أي: خَالَطَ حُبُّهُ قُلُوبَهُمْ كَمَا يُخَالِطُ الشَّرَابُ ﴿بِكُفْرِهِمْ قُلْ﴾ لَهُمْ: ﴿يَنْسَا﴾ شَيْئاً ﴿يَا مُرْكُم بِهِ إِيمَنُكُمْ﴾ بِالتَّوْرَةِ عِبَادَةُ الْعِجْلِ، ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بِهَا كَمَا زَعَمْتُمْ، الْمَعْنَى: لَسْتُمْ بِمُؤْمِنِينَ لِأَنَّ الْإِيمَانَ لَمْ يَأْمُرْ بِعِبَادَةِ الْعِجْلِ، وَالْمُرَادُ آبَاؤُهُمْ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ الجملةُ حاليةٌ على حذف مضافين؛ أي: حُبَّ عِبَادَةِ الْعِجْلِ، وفي الكلام استعارةٌ بالكناية، وتقريرُها أن تقولَ: شُبَّةَ حُبِّ عِبَادَةِ الْعِجْلِ بِمَشْرُوبٍ لَذِيذٍ سَائِعٍ بِجَامِعِ الْإِمْتِزَاجِ فِي كُلِّ، وَطَوِي ذِكْرُ الْمَشَبَّهِ بِهِ، وَرُمِزَ لَهُ بِشَيْءٍ مِنْ لَوَازِمِهِ وَهُوَ الْإِشْرَابُ، فَإِثْبَاتُهُ تَخْيِيلٌ، وَلَمْ يُعَبَّرْ بِالْأَكْلِ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ شِدَّةُ مَخَالَطَةٍ.

قوله: (كما يخالط الشراب) أي: خلال القلوب والأبدان، فمفعول (يخالط) محذوف.

قوله: (مشياً) أشار بذلك إلى أن (ما) نكرة بمعنى شيء مفسرة لفاعل (بئس).

وقوله: ﴿يَا مُرْكُم﴾ صفة لـ(ما)، و﴿إِيمَنُكُمْ﴾ فاعل (يأمر).

وقوله: (عبادة العجل) هو المخصوص بالذم، قدره المفسر، وهذا من جملة التشنيع عليهم؛ أي: أنتم ادّعيتُم الإيمانَ بالتَّوْرَةِ، ثم رأيناكم قد عبدتم العجلَ، فإن كان إيمانكم بها أمركم وحملكم على عبادته فبئس إيمانكم وما يأمركم به؛ فإنه كفرٌ لا إيمانٌ.

وقوله: (بالتَّوْرَةِ) إن قلت: إن عبادة العجل متقدمة على التَّوْرَةِ.

أجيب: بأن موسى كان يأمرهم بالتوحيد، وهو موافق لما في التَّوْرَةِ.

قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ يحتمل أن ﴿إِنْ﴾ شرطية، و﴿كُنْتُمْ﴾: فعل الشرط، وجوابه محذوف دلَّ عليه قوله: ﴿يَنْسَا يَا مُرْكُم بِهِ إِيمَنُكُمْ﴾، ويحتمل أنها نافية نتيجة قوله: ﴿يَنْسَا يَا مُرْكُم بِهِ إِيمَنُكُمْ﴾، وكلامُ المفسر يحتملُهما.

قوله: (المعنى... إلخ) إشارة إلى قياسِ حَمَلِيٍّ مِنَ الشَّكْلِ الْأَوَّلِ، وتقريرُهُ أن تقولَ: اعتقادكم يأمركم بعبادة العجل، وكلُّ اعتقادٍ يأمر بعبادة العجل فهو كفرٌ؛ يَنْتُجُ: اعتقادكم كفرٌ.

قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾

أي: فكَذَلِكَ أَنْتُمْ لَسْتُمْ بِمُؤْمِنِينَ بِالتَّوْرَةِ وَقَدْ كَذَّبْتُمْ مُحَمَّدًا، وَالْإِيمَانُ بِهَا لَا يَأْمُرُ بِتَكْذِيبِهِ. ﴿٩٤﴾ ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ: ﴿إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ أي: الْجَنَّةُ ﴿عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً﴾: خَاصَّةً ﴿مِّنْ دُونِ النَّاسِ﴾ كَمَا زَعَمْتُمْ، ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، - تَعَلَّقَ بِتَمَنِّيهِ الشَّرْطَانِ عَلَى أَنَّ الْأَوَّلَ قَيْدٌ فِي الثَّانِي - أي: إِنْ صَدَقْتُمْ فِي زَعْمِكُمْ أَنَّهَا لَكُمْ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ يُؤْثِرُهَا وَالْمَوْصِلُ إِلَيْهَا الْمَوْتُ، فَتَمَنَّوَهُ.

﴿٩٥﴾ ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ مِنْ كُفْرِهِمْ بِالنَّبِيِّ الْمُسْتَلْزِمِ لِكُذِّبِهِمْ، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾: الْكَافِرِينَ فَيُجَازِيهِمْ.

حاشية الصاوي

قوله: (أي: فكَذَلِكَ أَنْتُمْ... إلخ) أشار بذلك إلى قياس آخر، تقريره أن تقول: اعتقادكم يأمركم بتكذيب محمد، وكلُّ اعتقاد يأمرُ بذلك فهو كفرٌ؛ ينتج: اعتقادكم كفرٌ.

قوله: ﴿إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾... إلخ) في هذه الآية أَعَارِيْبٌ: مِنْهَا: أَنَّ ﴿الدَّارَ﴾: اسْمٌ ﴿كَانَتْ﴾، و﴿لَكُمْ﴾: جَارٌ وَمَجْرُورٌ خَبَرُهَا، و﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾: ظَرْفٌ، و﴿خَالِصَةً﴾: حَالٌ، وَمِنْهَا: أَنَّ الْخَبَرَ قَوْلُهُ: ﴿خَالِصَةً﴾، و﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾: ظَرْفٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَمِنْهَا: أَنَّ الْخَبَرَ هُوَ الظَرْفُ، و﴿خَالِصَةً﴾: حَالٌ.

قوله: (تَعَلَّقَ بِتَمَنِّيهِ الشَّرْطَانِ) فِي الْعِبَارَةِ قَلْبٌ، وَالْأَصْلُ: تَعَلَّقَ تَمَنِّيهِ بِالشَّرْطَيْنِ؛ لِأَنَّ ﴿تَمَنَّوْا﴾ هُوَ الْجَوَابُ، وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِالشَّرْطَيْنِ.

قوله: (قَيْدٌ فِي الثَّانِي) حَاصِلُهُ: أَنَّهُ إِذَا اجْتَمَعَ شَرْطَانِ وَتَوَسَّطَ بَيْنَهُمَا جَوَابٌ، كَانَ الْأَوَّلُ قَيْدًا فِي الثَّانِي، بِمَعْنَى أَنَّهُ مِنْ تَمَامِ مَعْنَاهُ، وَيَكُونُ الْجَوَابُ لِذَلِكَ الثَّانِي، فَتَقْدِيرُ الْآيَةِ: إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي زَعْمِكُمْ أَنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَكُمْ خَاصَّةً فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ، وَقِيلَ: إِنْ الْجَوَابُ لِلأَوَّلِ، وَجَوَابُ الثَّانِي مَحْذُوفٌ دَلٌّ عَلَيْهِ جَوَابُ الْأَوَّلِ.

قوله: (أي: إِنْ صَدَقْتُمْ) إِشَارَةٌ إِلَى الشَّرْطِ الثَّانِي، وَقَوْلُهُ: (أَنَّهَا لَكُمْ) إِشَارَةٌ لِلأَوَّلِ.

قوله: (يُؤْثِرُهَا) أَي: يَقْدِمُهَا وَيَخْتَارُهَا.

قوله: ﴿بِمَا قَدَّمْتُمْ﴾ الْبَاءُ: سَبَبِيَّةٌ، وَ(مَا) يَحْتَمِلُ أَنَّهَا اسْمُ مَوْصُولٍ، و﴿قَدَّمْتُمْ﴾ صَلْتُهُ،

وَلَجِدْنَهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوٰةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ
وَمَا هُوَ بِمُزَحِّزِهِ، مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾

﴿٩٦﴾ وَلَجِدْنَهُمْ - لَمْ قَسَمَ - ﴿أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوٰةٍ وَ﴾ أَحْرَصَ ﴿مِنَ الَّذِينَ
أَشْرَكُوا﴾ الْمُنْكَرِينَ لِلْبَعْثِ عَلَيْهَا؛ لِعِلْمِهِمْ بِأَنَّ مَصِيرَهُمُ النَّارُ دُونَ الْمُشْرِكِينَ؛ لِإِنْكَارِهِمْ لَهُ،
﴿يَوَدُّ﴾: يَتَمَنَّى ﴿أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ - ﴿لَوْ﴾ مَصْدَرِيَّةٌ بِمَعْنَى (أَنْ)، وَهِيَ بِصِلَتِهَا
فِي تَأْوِيلٍ مَّصْدَرٍ مَّفْعُولٍ ﴿يَوَدُّ﴾ - ﴿وَمَا هُوَ﴾ أَي: أَحَدُهُمْ ﴿بِمُزَحِّزِهِ﴾: مُبْعِدُهُ ﴿مِنَ
الْعَذَابِ﴾: النَّارِ ﴿أَن يُعَمَّرَ﴾ - فَاعِلُ (مُزَحِّزِهِ) - أَي: تَعْمِيرُهُ، ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾

حاشية الصاوي

والعائدُ محذوف؛ أي: قَدَّمْتَهُ، ويحتمل أنها نكرةٌ موصوفة، والعائدُ محذوفٌ على كلِّ حال،
والحكمةُ في الإتيانِ هنا بـ(لن) وفي (الجمعة) بـ(لا): أن ادعاءهم هنا أعظم من ادعائهم هناك؛ فإنهم
ادعوا هنا اختصاصهم بالجنة، وهناك كونهم أولياء الله من دون الناس، فلا تفيّد اختصاصهم بالجنة،
فناسب هنا التأكيد بـ(لن)، وهناك بـ(لا).

قوله: ﴿وَلَجِدْنَهُمْ﴾ عطف على قوله: ﴿وَلَنْ يَتَمَوَّهَ﴾، من عطف اللازم على الملزوم.

قوله: ﴿أَحْرَصَ﴾ مفعولٌ ثانٍ لـ(تجدنَّهُم) حيث كانت بمعنى (علم)، وأما إن كانت بمعنى
أصاب أو صادف نصبت مفعولاً واحداً، فيكون ﴿أَحْرَصَ﴾ حالاً.

قوله: ﴿و﴾ أَحْرَصَ ﴿مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ من عطف الخاصِّ على العامِّ، زيادةٌ في التقييح
عليهم، ودفعاً لتوهم أن المشركين أحْرَصُ منهم.

قوله: ﴿لَوْ﴾ مَصْدَرِيَّةٌ أي: ولا تنصبُ الفعل، فهي سابقةٌ فقط.

قوله: ﴿وَمَا هُوَ﴾ يحتملُ أن (ما) حجازيةٌ، وهو: اسمُها، و﴿بِمُزَحِّزِهِ﴾: خبرها، و﴿أَن
يُعَمَّرَ﴾: فاعِلُ (مُزَحِّزِهِ)، وأنها تميميةٌ، و﴿هُوَ﴾: مبتدأ، و﴿بِمُزَحِّزِهِ﴾: خبرُهُ، و﴿أَن يُعَمَّرَ﴾:
فاعِلُهُ على كلِّ حال.

قوله: (أي: أحدهم... إلخ) وقيل: إن ﴿هُوَ﴾ ضميرُ شأنٍ، ورُدَّ بأن ضميرَ الشأن يُفسَّرُ
بجملة، وهنا ليس كذلك.

قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ

- بالياء والتاء - فيجازيهم .

﴿٩٧﴾ وسأل ابنُ صُورِيَّا النَّبِيَّ أوْ عُمَرَ عَمَّنْ يَأْتِي بِالْوَحْيِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فقال: جِبْرِيلُ، فقال: هو عَدُوُّنَا يَأْتِي بِالْعَذَابِ، ولو كان مِيكَائِيلَ لَأَمَنَّا؛ لِأَنَّهُ يَأْتِي بِالْخَصْبِ وَالسَّلَامِ، فنَزَلَ: ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ فليمت غِيظاً؛

حاشية الصاوي

قوله: (بالياء والتاء) ظاهره أنهما سبعيتان، وليس كذلك، بل التاء عَشْرِيَّة^(١)، واختلف فيما زاد على السبعة، هل يُلْحَقُ بها فتجوز القراءة والصلاة بها، أم بالشواذ فيمتنعان؟ والمعتمد: الأول.

قوله: (وسأل ابنُ صوريا ... إلخ) أشار بذلك إلى سبب نزول الآية^(٢)، وابن صوريا: اسمه عبد الله، وكان من أحبار اليهود.

قوله: (أو عمر) أشار بذلك إلى تنويع الخلاف؛ فإن عمر كان له أرض بالعوالي، وكان يمرُّ على مدارسهم ليختبر صفات محمد من كتبهم، فقالوا: يا عمر؛ لقد أحبيناك، فقال: والله ما أحبكم، وإنما أدخل عليكم لأزداد بصيرةً في أمر محمد، فسأله ابنُ صوريا عَمَّنْ يَأْتِي بِالْوَحْيِ لمحمد؟ فقال: جبريل، فقال: هو عدونا ... إلخ، فأخبر النبي بذلك، فنزلت الآية^(٣).

قوله: (فقال) أي: المسؤول، وهو النبي أو عمر.

قوله: (يأتي بالعذاب) أي: كالصواعق والخسوف والمسح.

قوله: (بالخصب) بكسر الخاء؛ أي: الرخاء.

قوله: (والسلم) أي: الصلح.

قوله: (فليمت غيظاً) جوابٌ لاسم الشرط الذي هو ﴿مَنْ﴾، وهو مبتدأ، خبره قيل: فعل الشرط، وقيل: جوابه، وقيل: هما، وأما قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ﴾ فلا يصح أن يكون جواباً للشرط لمانعتين: الأول: عدم الرابط، والثاني: عدم تسبب الجواب عن الشرط.

وقوله: ﴿لِجِبْرِيلَ﴾ الصحيح أنه اسم أعجمي، علم على رئيس الملائكة، فلا اشتقاق فيه،

(١) قرأ الجمهور بالياء، وقرأ الحسن وقتادة والأعرج ويعقوب بالتاء. انظر «البحر المحيط» (١٤٨٣).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٧٧/٢) بنحوه.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٨١/٢).

فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾
مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ

﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ﴾ أي: القرآن ﴿عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ﴾: بأمر ﴿اللَّهُ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: قبله من الكتب، ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة، ﴿وَبُشْرَى﴾ بِالْجَنَّةِ ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿٩٨﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ - بِكسر الجيم

حاشية الصاوي

ولا تصرف، وقيل: مشتق من الجبروت، وهو عالم الأسرار، وقيل: مركب إضافي، وقيل: مزجي، والصحيح: الأول، وورد عن ابن عباس: أن (جبر) معناه: عبد، و(إيل) معناه: الله، و(ميكائيل) معناه: عبّيد، و(إيل) معناه: الله^(١).

قوله: ﴿فَإِنَّهُ﴾ أي: جبريل.

قوله: (أي: القرآن) وقيل: الوحي أعم من أن يكون قرآناً أو غيره.

قوله: ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ عبّر به (على) إشارة لتمكّنه وانصبابه ورُسوخه؛ فإن الشيء إذا صُبَّ من أعلى لأسفل رَسَخَ وثَبَّت.

قوله: (بأمر ﴿اللَّهُ﴾) أشار بذلك إلى أن المراد بالإذن: الأمر لا العلم.

قوله: ﴿مُصَدِّقًا﴾ حال من الضمير في ﴿نَزَّلَهُ﴾، وكذلك قوله: ﴿هُدًى وَبُشْرَى﴾.

قوله: (بالجنة) أي: وما فيها من النعيم، ورؤية وجه الله الكريم.

قوله: ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: ونذيراً للكافرين بالنار، وهذا ردُّ أوّل كلام ابن سوريا، حاصله: أن جبريل لا اختيار له في إنزال العذاب، ولا في إنزال القرآن.

قوله: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ﴾ قُدِّمَ لأنه المنشئ للأشياء جميعها، وثني بالملائكة لأنهم المرسلون من حضرته، وثُلث بالرسول لنزول الملائكة عليهم.

قوله: ﴿وَجِبْرِيلَ﴾ خَصَّ هو وميكائيل زيادة في التشنيع عليهم، ولأن حياة الأرواح والأشباح بواسطة، وتنبهاً على أن عداوتهما خسرانٌ وضلال.

قوله: (بكسر الجيم) أي: على وزن: قَنَدِيل.

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩٦٣)، والطبري في «تفسيره» (٣٩٠/٢).

وَمِيكَئِلَ

وَفَتَحَهَا بِلا هَمْزٍ، وَبِهِ بِيَاءٌ وَدُونَهَا - ﴿وَمِيكَئِلَ﴾ - عَطَفْتُ عَلَى (الْمَلَائِكَةِ) مِنْ عَطْفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ، وَفِي قِرَاءَةٍ: (مِيكَائِيلَ) بِهَمْزَةٍ وَيَاءٍ، وَفِي أُخْرَى بِلا ياء -
حاشية الصاوي

قوله: (وفتحها) أي: على وزن: شَمُوِيلَ.

قوله: (وبه^(١) بياء وبدونها) هذا في المفتوح، وهو على وزن: سَلْسَبِيلَ وَجَحْمَرِشَ، فجملةُ القراءاتِ السبعيةَ أربعة^(٢)، وهي من جملة لغاتِ أنهاها بعضهم لثلاثة عشر، خامسها: فتح الجيم مع الهمزة واللام مُشددة على أنها اسمٌ من أسماء الله، وفي بعض التفاسير: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا﴾ [التوبة: ١٠] أي: الله، سادسها: فتح الجيم وألف بعد الراء وهمزة مكسورة بعدها، سابعها: مثلها إلا أنها بياء بعد الهمزة، ثامنها: فتح الجيم وياءٍ بعد الألف من غير همز، تاسعها: فتح الجيم وألف بعد الراء ولام، عاشرها: فتح الجيم وياء بعد الراء مكسورة ولام^(٣)، حادي عشرها: فتح الجيم وياء بعد الراء ونون، ثاني عشرها: كذلك إلا أنها بكسر الجيم، ثالث عشرها: فتح الجيم وألف بعد الراء وهمزة وياء ونون، وأكثرها قُرئَ به شاذًا.

قوله: (من عطف الخاص على العام) والنكتة شرفهما وعظمهما، وكون النزاع فيهما.

قوله: (وفي الأخرى) بلا ياء، فتكون القراءاتُ السبعيةَ ثلاثة؛ بالهمزة والياء معاً، وبإسقاط الياء فقط، وبإسقاطهما^(٤)، وهي من جملة لغاتِ السبع، رابعها: مثل مِيكَعِيلَ، خامسها: كذلك إلا أنه

(١) أي: بالهمز، وقول المصنف الآتي: (في المفتوح) أي: مفتوح الجيم.

(٢) جَبْرِيلُ بكسر الجيم قرأ بها ابن عامر وأبو عمرو ونافع وحفص، وبكسر الجيم الحسن وابن كثير وابن محيصن، وجَبْرِئِيلُ قرأ بها الأعمش وحزمة والكسائي وحماة بن أبي زياد عن أبي بكر عن عاصم، ورواها الكسائي عن عاصم، وجَبْرِئِيلُ هي رواية يحيى بن آدم عن أبي بكر عن عاصم، وتروى عن يحيى بن يعمر. انظر «البحر المحيط» (٤٨٥/١).

(٣) أي: بعد الراء والألف ياء مكسورة، وحاصل القراءات مع ما سيأتي: جَبْرِيلَ، وجَبْرِيلَ، وجَبْرِئِيلَ، وجَبْرِئِيلَ، وجَبْرِئِلُ، وجَبْرَائِيلَ، وجَبْرَائِيلَ، وجَبْرَائِلَ، وجَبْرَيْنَ، وجَبْرَيْنَ، وجَبْرَائِينَ. انظر «الدر المصون» (١٨/٢).

(٤) ميكال قرأ بها أبو عمرو وحفص عن عاصم، وميكايل قرأ بها نافع، وميكايل قرأ بها الباقون. انظر «البحر المحيط» (٤٩٠/١).

فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا
الْفَاسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوْكُلَمَا عَاهَدُوا عَهْدًا

﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ أَوْقَعَهُ مَوْقِعَ (لَهُمْ) بَيَانًا لِحَالِهِمْ.

﴿٩٩﴾ ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ أَي: وَاضِحَاتٍ، - حَالٌ - رَدًّا
لِقَوْلِ ابْنِ صُورِيَّا لِلنَّبِيِّ: مَا جِئْنَا بِشَيْءٍ، ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾.

﴿١٠٠﴾ ﴿أُ﴾ كَفَرُوا بِهَا ﴿وَكُلَّمَا عَاهَدُوا﴾ اللَّهُ ﴿عَهْدًا﴾ عَلَى الْإِيمَانِ بِالنَّبِيِّ إِنْ خَرَجَ

حاشية الصاوي

لا ياء بعد الهمزة؛ مثل ميكَعِل، سادسُها: بِيَاءَيْنِ بَعْدَ الْأَلْفِ، سَابِعُهَا: بِهَمْزَةٍ مَفْتُوحَةٍ بَعْدَ الْأَلْفِ،
وَقُرِئَ بِالْجَمْعِ شَاذًا^(١).

قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ هذا هو جوابُ الشرط، والرباطُ موجودٌ، وهو الاسمُ
الظاهر؛ لِقِيَامِهِ مَقَامَ الضَّمِيرِ، وقيل: الرباطُ العمومُ.

قوله: (بَيَانًا لِحَالِهِمْ) أَي: وَلِزِيَادَةِ التَّقْبِيحِ عَلَيْهِمْ، وَالْمُرَادُ بَعْدَاوَتَهُمْ لِلَّهِ: خُرُوجُهُمْ عَنْ طَاعَتِهِ،
وَعَدَمُ امْتِثَالِهِمْ أَمْرَهُ.

قوله: (حَال) الْمُنَاسِبُ أَنْ يَقُولَ: صِفَةٌ؛ لِأَنَّ الْحَالَ لَا يَكُونُ مِنَ النِّكَرَةِ إِلَّا إِذَا وُجِدَ لَهَا مُسَوِّغٌ.

قوله: ﴿إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ أَي: الْكَافِرُونَ.

قوله: ﴿أُ﴾ كَفَرُوا بِهَا) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْهَمْزَةَ دَاخِلَةً عَلَى مَحْذُوفٍ، وَالْوَاوُ عَاطِفَةٌ عَلَى ذَلِكَ
الْمَحْذُوفِ، وَهُوَ أَحَدُ احْتِمَالَيْنِ تَقَدَّمَا^(٢).

قوله: ﴿عَاهَدُوا﴾ (اللَّهُ) قَدَّرَ الْمَفْسَّرُ لَفْظَ الْجَلَالَةِ؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ ﴿عَاهَدُوا﴾ بِمَعْنَى أَعْطَوْا، فَاللَّهُ:
مَفْعُولٌ أَوَّلٌ، وَ﴿عَهْدًا﴾: مَفْعُولٌ ثَانٍ.

قوله: (عَلَى الْإِيمَانِ بِالنَّبِيِّ) أَي: فَالْعَهْدُ مَا خُوِّذَ عَلَيْهِمْ قَدِيمًا فِي كُتُبِهِمْ وَعَلَى أَنْبِيَائِهِمْ.

(١) وَقَعَ فِي النِّسْخِ: (بِيَكْعِل، بِيَكْعِل) بَدَلَ (مِيَكْعِل، مِيَكْعِل)، وَالْمَثْبُوتُ مِنَ «الْبَحْرِ» وَ«الدَّر» وَ«الْكَشَاف» وَ«الْفَتْوحَات»
وغيرها، وَالْعَرَبُ إِذَا نَطَقَتْ بِالْأَعْجَمِيِّ خَلَطَتْ فِيهِ كَمَا قَالَ ابْنُ جَنِي، وَأُورِدَ الْقِرَاءَاتُ الشَّاذَّةُ أَبُو حَيَّانَ فِي «الْبَحْرِ
الْمَحِيط» (٤٨٦/١).

(٢) تَقَدَّمَ (١٤٢/١).

نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ

أو النَّبِيِّ أَنْ لَا يُعَاوِنُوا عَلَيْهِ الْمُشْرِكِينَ، ﴿نَبَذَهُ﴾: طَرَحَهُ ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾: بِنَقْضِهِ؟ - جَوَابٌ (كُلَّمَا)، وهو مَحَلُّ الاستِفْهَامِ الْإِنْكَارِيِّ - ﴿بَلْ﴾ - لِلانْتِقَالِ - ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿١٠١﴾ ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾: مُحَمَّدٌ ﷺ ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ أَي: التَّوْرَةَ ﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ أَي: لَمْ يَعْمَلُوا بِمَا فِيهَا

حاشية الصاوي

قوله: (أو النبي) إشارة إلى تفسير ثانٍ، فقد كانوا يأتون النبي ويقولون له: إن كنت نبياً فأتنا بكذا، فيقيم عليهم الحجّة، فيعاهدونه ألا يعاونوا عليه المشركين، ثم ينقضونه.
قوله: (بنقضه) الباء: سببية.

قوله: ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ دفع بذلك ما يُتَوَهَّم من قوله: ﴿فَرِيقٌ﴾ أن الفريق يصدق بالقليل والكثير، فيُتَوَهَّم أن المراد القليل، فدفع ذلك بقوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ... إلخ﴾، وهو إما من عطف الجملة أو المفردات، فعلى الأول جملة ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ معطوفة على جملة ﴿نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾، وعلى الثاني ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾ معطوف على ﴿فَرِيقٌ﴾؛ إشارة إلى أن النابذ للعهد أكثرهم، وقوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ إخبارٌ عنهم بعدم الإيمان؛ لرسوخ الشرك في قلوبهم.

قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ﴾ هذا من جملة التشنيع على بني إسرائيل.

قوله: ﴿لَمَّا مَعَهُمْ﴾ أي: التوراة، والمعنى: أن رسول الله ﷺ جاء بإثبات التوراة، وأنها من عند الله، فكان مقتضى ذلك اتّباعه والعمل بشريعته، ولكن الله طمس على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم.

قوله: ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ صفة لـ ﴿فَرِيقٌ﴾، و﴿أُوتُوا﴾: ينصب مفعولين؛ نائب الفاعل الذي هو الواو مفعول أول، و﴿الْكِتَابَ﴾: مفعول ثانٍ، وقوله: ﴿كِتَابَ اللَّهِ﴾ مفعول لـ ﴿نَبَذَ﴾، وهو بمعنى: طَرَحَ.

قوله: (أي: لم يعملوا بما فيها) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ ليس على حقيقته، بل هو كناية عن عدم العمل بما في التوراة، وإلا فهم يُعْظَمُونَهَا إِلَى الْآنَ.

كَانَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلَّوْا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنٌ

من الإيمان بالرسول وغيره، ﴿كَانَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما فيها من أنه نبي حق، أو أنها كتاب الله.

﴿١٠٢﴾ ﴿وَاتَّبِعُوا﴾ - عطف على ﴿بَدَّ﴾ - ﴿مَا تَنَلَّوْا﴾ أي: تَلَّتْ ﴿الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ﴾ عهد ملك سليمان من السحر، وكانت دفنته تحت كرسيه لما نزع ملكه، أو كانت تسترق السمع وتضم إليه أكاذيب وتلقيه إلى الكهنة فيدوّنونه، وفشا ذلك وشاع أن الجن تعلم الغيب، فجمع سليمان الكتب ودفنها،

حاشية الصاوي

قوله: (من أنه نبي حقاً) إشارة إلى مفعول ﴿يَعْلَمُونَ﴾، والمعنى: أنهم أنكروا صفة رسول الله وبدّلوها، ولم يذعنوا للأحكام التي في التوراة، كأنهم جاهلون بها مع أنهم عالمون بها.

قوله: (عطف على ﴿بَدَّ﴾) استشكل بأن المعطوف على الجواب جواب، وقوله: (اتبعوا) لا يصلح أن يكون جواباً؛ لعدم ترتبه على الشرط؛ لأنه سابق على بعثة رسول الله، فالأحسن: عطفه على جملة ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ﴾، بيان لسوء حالهم.

قوله: (أي: تلت) أشار بذلك إلى أن المضارع بمعنى الماضي؛ لأن السماء محفوظة من استراقهم السمع من بعثة رسول الله، و(تلت) بمعنى: قرأت أو كذبت.

قوله: (على عهد) (على بمعنى في)، وعهد بمعنى: زمن، التقدير: واتبعوا ما تلت الشياطين في زمن ملك سليمان، ويحتمل أن ﴿تَنَلَّوْا﴾ بمعنى: تتقوّل، و(على) على بابها، ومتعلقها محذوف تقديره: على الله، فيصير المعنى: واتبعوا ما تتقوله الشياطين على الله زمن ملك سليمان. وقوله: (من السحر) بيان لـ ﴿مَا﴾، وعائد الموصول محذوف، تقديره: تلوّه.

قوله: (أو كانت تسترق السمع) (أو): لتنويع الخلاف؛ لأنه اختلف في الذي اتبعته اليهود؛ فقيل: هو السحر الذي وضعته الشياطين تحت كرسيه لما نزع ملكه، وسبب ذلك: أن امرأة من نساء سليمان سجدت لصنم أربعين يوماً، فعاتبه الله بنزع ملكه تلك المدة، وسبب عزله: أنه كان خاتمه الذي نزل به آدم من الجنة يضعه إذا دخل الخلاء عند امرأة من نسائه تسمى الأمانة، وكان كل من لبسه يملك الدنيا بما فيها، فوضعه عندها مرة، فجاءها شيطان يسمى صخر المارد، وتشكل بشكل سليمان، وطلب الخاتم، فأعطته له، ثم أتى الكرسي وجلس عليه أربعين يوماً، فجمعت الشياطين

وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ

فَلَمَّا مَاتَ ذَلَّتِ الشَّيَاطِينُ عَلَيْهَا النَّاسَ فَاسْتَخَرُجُوهَا، فَوَجَدُوا فِيهَا السَّحَرَ، فَقَالُوا: إِنَّمَا مَلَكَكُمْ بِهَذَا فَعَلَّمُوهُ، وَرَفَضُوا كُتُبَ أَنْبِيَائِهِمْ، قَالَ تَعَالَى تَبَرُّةً لِسُلَيْمَانَ وَرَدًّا عَلَى الْيَهُودِ فِي قَوْلِهِمْ: (انظُرُوا إِلَى مُحَمَّدٍ! يَذْكُرُ سُلَيْمَانَ فِي الْأَنْبِيَاءِ وَمَا كَانَ إِلَّا سَاحِرًا): ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ﴾ أَي: لَمْ يَعْمَلِ السَّحَرَ لِأَنَّهُ كَفَرُ، ﴿وَلَكِنَّ﴾ - بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ -

حاشية الصاوي

كُتِبَ السَّحَرُ وَدَفِنَتْهَا تَحْتَ كُرْسِيِّهِ، ثُمَّ لَمَّا انْقَضَتِ الْمُدَّةُ وَجَاءَ الْأَمْرُ بِتَوَلِيَةِ سُلَيْمَانَ ثَانِيًا طَارَ الشَّيْطَانُ، فَوَقَعَ الْخَاتَمُ فِي الْبَحْرِ، فَحَمَلَتْهُ دَابَّةٌ مِنْ دَوَابِّ الْمَاءِ وَأَتَتْهُ بِهِ، فَأَمَرَ سُلَيْمَانَ الشَّيَاطِينُ أَنْ يَأْتُوا بِصَخْرٍ الْمَارِدِ، فَأَتَوْهُ بِهِ، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَفْتَحُوا صَخْرَةً، ففعلوا، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَضَعُوهُ فِيهَا وَيَسُدُّوا عَلَيْهِ بِالرِّصَاصِ وَالنَّحَاسِ وَيُرْمُوهُ فِي قَعْرِ الْبَحْرِ الْمِلْحِ، ففعلوا، فَلَمَّا مَاتَ سُلَيْمَانَ ذَلَّتِ الشَّيَاطِينُ عَلَى تِلْكَ الْكُتُبِ الْمَدْفُونَةِ النَّاسِ^(١).

وقيل: إنها استرقته الشَّيَاطِينُ مِنَ السَّمَاءِ، فَكَانَ الشَّيْطَانُ يَسْمَعُ الْكَلِمَةَ الصَّدَقَ وَيَضَعُ عَلَيْهَا تِسْعَةً وَتِسْعِينَ كَذِبَةً وَيُلْقِيهَا إِلَى الْكَهْنَةِ، إِلَى آخِرِ مَا قَالَ الْمَفْسِّرُ^(٢).

قوله: (دلت الشَّيَاطِينُ) المراد الجنس؛ لأن الذي دلَّ شيطانٌ منهم.

قوله: (لأنه كفر) أي: فِي شَرِّهِ، وَأَمَّا فِي شَرِّهِ تَفْصِيلٌ؛ فَإِنْ اعْتَقَدَ صِحَّتَهُ وَأَنَّهُ يُوَثِّرُ بِنَفْسِهِ فَهُوَ كَفَرٌ، وَأَمَّا إِنْ تَعَلَّمَ لِيَسْحَرَ بِهِ النَّاسَ فَهُوَ حَرَامٌ، وَإِنْ كَانَ لَا شَيْءَ فَهُوَ مَكْرُوهٌ، وَإِنْ كَانَ لِيَبْطِلَ بِهِ السَّحَرُ فَجَائِزٌ^(٣).

وعرّفه ابنُ العربي: بِأَنَّهُ كَلَامٌ مُؤَلَّفٌ يُعْظَمُ بِهِ غَيْرُ اللَّهِ، وَتُنَسَّبُ لَهُ الْمَقَادِيرُ^(٤)، فَعَلِيهِ هُوَ كَفَرٌ حَتَّى فِي شَرِّهِ، وَعِبَارَةُ الْغَزَالِيِّ تَفِيدُ مَا قَالَهُ ابْنُ الْعَرَبِيِّ^(٥).

(١) الخبر بطوله عند الثعلبي في «تفسيره» (٢٠١/٨)، والبغوي في «تفسيره» (٦٨/٤) عن وهب بن منبه، وهي قصة باطلة موضوعة، لا تناسب قدر الأنبياء وعظمتهم. فتنبه.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩٨٧)، والطبري في «تفسيره» (٤٠٥/٢) بنحوه.

(٣) وزاد العلامة الرازي الوجوب إن توقّف على تعلمه بيان الفرق بينه وبين المعجزة. انظر «تفسيره» (٦٢٦/٣).

(٤) «أحكام القرآن» (٤٨/١).

(٥) قال إمامنا الغزالي في «الإحياء» (١٦/١): (وتقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر والفحش المخالف للشرع، ويتوصّل بسببها إلى الاستعانة بالشَّيَاطِينِ، ويحصل من مجموع ذلك بحكم إجراء الله تعالى العادة أحوال غريبة =

الشَّيَاطِينُ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ

﴿الشَّيَاطِينُ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ - الْجُمْلَةُ حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ ﴿كَفَرُوا﴾ - ﴿و﴾
يُعَلِّمُونَهُمْ ﴿مَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ أي: أَلْهِمَاهُ مِنَ السِّحْرِ، - وَقُرِئَ بِكَسْرِ اللَّامِ - الْكَائِنَيْنِ
﴿بِبَابِلَ﴾: بَلَدٌ فِي سَوَادِ الْعِرَاقِ
حاشية الصاوي

قوله: ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ﴾ إما بدلٌ من ﴿كَفَرُوا﴾ بدلَ فعلٍ من فعلٍ، على حدٍّ: (إِنْ تُصَلِّ تَسْجُدُ
لِإِيرْحَمَكَ)، أو خبرٌ بعد خبرٍ، أو جملةٌ مستأنفة، أو حالٌ من ﴿الشَّيَاطِينِ﴾، أو حالٌ من الواو
في ﴿كَفَرُوا﴾، فهذه خمسُ احتمالاتٍ^(١)، اختار المفسر آخرها.

قوله: ﴿و﴾ يعلمونهم ﴿مَا أُنْزِلَ﴾ أشار بذلك إلى أن (ما) اسمٌ موصولٌ معطوفٌ على ﴿السِّحْرِ﴾
من عطف الخاصِّ على العامِّ، والنكتة: قوةُ ما أُنْزِلَ على الملكين وضُعوبته، ويحتملُ أنه مغايرٌ،
وأن ما أُنْزِلَ على الملكين وإن كان سحراً إلا أنه نوعٌ آخرٌ منه غيرٌ متعارفٍ بين الناس.

قوله: (وَقُرِئَ) أي: قراءةٌ شاذةٌ^(٢)، وفيها دليلٌ لمن يقول: إنهما ليسا ملكين حقيقيَّين، وإنما
هما رجلان صالحان، وسُمِّيَا بذلك لِحَسَنِهِمَا وَصِلَاحِهِمَا، على حدٍّ ما قيل في يوسف: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا
إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١].

قوله: (الكَائِنَيْنِ) قَدَّرَهُ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ ﴿بِبَابِلَ﴾ جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقٌ بِمَحذُوفٍ صِفَةً
لِـ ﴿الْمَلَكَيْنِ﴾.

قوله: ﴿بِبَابِلَ﴾ ممنوعٌ من الصرفِ لِلْعِلْمِيَّةِ وَالتَّأْنِيثِ أَوْ الْعُجْمَةِ، مأخوذةٌ مِنَ الْبَلْبَلَةِ^(٣)؛ لِأَنَّ
أَهْلَهَا كَانُوا يَتَكَلَّمُونَ بِثَمَانِينَ لُغَةً، وَأَوَّلُ مَنْ اخْتَطَّهَا نُوحٌ، وَسَمَّاها ثَمَانِينَ.

= في الشخص المسحور)، وقال في «الوسيط» (٤٠٨/٦) عن تعلم السحر: (إِنْ كَانَ فِيهِ مَبَاشَرَةٌ مُحْظُورٌ مِنْ ذِكْرِ سُخْفٍ
أَوْ تَرْكِ صَلَاةٍ فَذَلِكَ هُوَ الْحَرَامُ، فَأَمَّا تَعَرُّفُ حَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهَا فَلَيْسَ بِحَرَامٍ، وَإِنَّمَا الْحَرَامُ الْإِضْرَارُ
بِفَعْلِ السِّحْرِ، لَا بِتَعْلَمِهِ).

(١) «الدر المصون» (٣٠/٢)، وقوله: (تَسْجُدُ) بدلُ بعضٍ من كلٍّ في الأفعال، وانظر «حاشية الصبان على الأشموني»
(١٩٤/٣).

(٢) قرأ بها ابن عباس والحسن وأبو الأسود الدؤلي والضحاك وابن أبيزى. انظر «البحر المحيط» (٤٩٧/١)،
و«المحتسب» (١٠٠/١).

(٣) البلبلة: اختلاط الألسنة، والتفرقة، واختلاف الآراء.

هَرُوتَ وَمَرْوُتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ

﴿هَرُوتَ وَمَرْوُتَ﴾ - بدلٌ أو عطفٌ بَيَانٍ لِلْمَلَكَيْنِ - قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُمَا سَاحِرَانِ كَانَا يُعَلِّمَانِ السَّحَرَ، وَقِيلَ: مَلَكَانِ أَنْزِلَا لِتَعْلِيمِهِ ابْتِلَاءً مِنَ اللَّهِ لِلنَّاسِ، ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ﴾ - زائدةٌ - ﴿أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا﴾ لَهُ نُصْحًا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾: بَلِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ لِيَمْتَحِنَهُمْ بِتَعْلِيمِهِ؛

حاشية الصاوي

قوله: ﴿هَرُوتَ وَمَرْوُتَ﴾ هما ممنوعان من الصرف للعلمية والعجمة، ويُجمعان على: هواريت ومواريت، أو على: هوارية وموارية، مأخوذان من: الهَرْتُ والمَرْتُ، وهو الكسر، ولكن حيث قلنا: إنهما أعجميان، فلا يُتصَرَّفُ فيهما، ولا يُعَلَّمُ لهما اشتقاق.

قوله: (هما ساحران) قدّم هذا القول إشارةً لِقَوَّته، وأنهما رجلا ن ساحران وليسا ملكين^(١).

قوله: (ابتلاء من الله) أي: اختباراً وامتحاناً، وقصة هاروت وماروت على القول بشبوتها: أن الملائكة لما رأوا أعمال بني آدم الخبيثة في زمن إدريس تصعدُ إلى السماء قائلوا: سبحانك يا ربنا! خلقت خلقاً وأكرمهم وهم يعصونك؟! فقال الله تعالى لهم: لو ركبْتُ فيكم ما ركبْتُ فيهم لفعلتم فعلهم، فقالوا: سبحانك! لا نعصيك أبداً، فقال: اختاروا لكم ملكين، فاختاروا هاروت وماروت، وكانا من أصلحهم، فرغب الله فيهما الشهوة، وأمرهما بالهبوط إلى الأرض والحكم بين الناس بالحق، ونهاهما عن الشرك والقتل والزنا وشرب الخمر، وعلمهما الله الاسم الأعظم، فكان إذا أمسى الوقتُ صعدا به إلى السماء، ثم إنه جاءت إليهما امرأة تُسمَّى الزُّهْرَةُ^(٢)، وكانت جميلةً جداً، فلما وقعَ نظرُهما عليها أخذت بقلوبهما، فراوداها عن نفسها، فأبَتْ إلا أن يحكما لها على زوجها، ففَعَلَا، فراوداها، فأبَتْ إلا أن يقتلاه، ففَعَلَا، ثم راوداها، فأبَتْ إلا أن يشربا الخمر، ففَعَلَا، ثم راوداها، فأبَتْ إلا أن يسجدا للصنم، ففَعَلَا، ثم راوداها، فأبَتْ إلا أن يُعلِّماها الاسم الذي يصعدان به إلى السماء، ففَعَلَا، فتَلَّتُهُ، فصعدت به إلى السماء، فمسخها الله كوكباً، فهي الزُّهْرَةُ

(١) يرى العلامة الرازي رحمه الله تعالى أن هاروت وماروت مَلَكَانِ نَزَلَا إِلَى الْأَرْضِ فِي أَيَّامِ فُشَا فِيهَا السَّحَرُ وَالشَّعْبَةُ وادعاء النبوة، فالتبس على الناس أمر السحر وظنوه معجزة صاحبها نبي، فأرسل الله تعالى هذين الملكين ليُعَلِّمَا الناس السحر وليبينَا أن أمره لا يصلُ إلى رتبة المعجزة على الإطلاق، فإذا عُرف السحر عُرفت المعجزة، وبطلت دعوى الأفاكين والكذبة للنبوة، وقولهما: لا تكفر؛ أي: عرفت أن ذا ليس بمعجزة، بل هو سحر، فلا تكفر باتِّباع السحرة. انظر «الأربعين في أصول الدين» له (ص ١٢٧).

(٢) بوزان تُوْدَة، وتسكين الهاء إما لحن أو ضرورة. انظر «حاشية الشهاب على البيضاوي» (٢/ ٢١٤).

فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ.....

فَمَنْ تَعَلَّمَهُ كَفَرَ، وَمَنْ تَرَكَهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ بِتَعَلُّمِهِ، فَإِنْ أَبَى إِلَّا التَّعْلِيمَ عِلْمَاهُ، ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ بِأَنْ يُبْغِضَ كُلًّا إِلَى الْآخَرِ،

حاشية الصاوي

المعروفة، فلمَّا عَلِمَا ذَلِكَ أَرَادَا تِلَاوَةَ الْاسْمِ الْأَعْظَمِ، فَلَمْ تُطَاوِعْهُمَا أَجْنَحْتُهُمَا، فَذَهَبَا إِلَى إِدْرِيسَ وَسَلَّاهُ أَنْ يَشْفَعَ لَهُمَا عِنْدَ اللَّهِ، فَفَعَلَ ذَلِكَ، فَخَيَّرَهُمَا اللَّهُ بَيْنَ عَذَابِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَاخْتَارَا عَذَابَ الدُّنْيَا؛ لِعَمَلِهِمَا بَانْقِطَاعِهِ، فَهَمَا بِبَابِلَ مَعْلَقَانِ بِشَعُورِهِمَا يُضْرَبَانِ بِسِيَاطٍ مِنْ حَدِيدٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، مُزْرَقَةً أَعْيُنُهُمَا، مُسَوِّدَةً جُلُودَهُمَا، وَمَا زَالَا يَعْلَمَانِ النَّاسَ السَّحَرِ.

وقد اختلف في صحة هذه القصة وعدمها؛ فاختر الحافظ ابن حجر الأول؛ لورودها من عدة طرق عن الإمام أحمد بن حنبل^(١)، واختار البيضاوي^(٢) ومَنْ تبعه الثاني؛ لأنه لم يثبت روايتها إلا عن اليهود^(٣).

قوله: (فَمَنْ تَعَلَّمَهُ كَفَرَ) أي: إن اعتقد صحته وتأثيره.

قوله: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا﴾ معطوف على ﴿وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾.

إن قلت: إن الأول منفي، والثاني مثبت، وكيف يصح عطف مثبت على المنفي؟

أجيب: بأنه في المعنى مثبت، التقدير: ويعلمون الناس السحر قائلين لهم: إنما نحن فتنه فلا تكفروا.

(١) وعبارته في «فتح الباري» (٢٢٥/١٠): (وقصة هاروت وماروت جاءت بسند حسن من حديث ابن عمر في «مسند أحمد»، وأطنب الطبري في إيراد طرقها بحيث يُقضى بمجموعها على أن للقصة أصلاً، خلافاً لمن زعم بطلانها كعياض ومَنْ تبعه)، وقال في «القول المسدد» (ص ٣٩): (وله طرق كثيرة جمعتها في جزء مفرد يكاد الواقف عليه أن يقطع بوقوع هذه القصة؛ لكثرة الطرق الواردة فيها وقوة مخارج أكثرها، والله أعلم)، والإمام السيوطي ممن انتصر لهذا الخبر في «الدر المنثور»، قال في «حاشيته على البيضاوي» (٢/٢٩٠): (ما ذكره من إنكار ذلك سبقه إليه جماعة: منهم: القاضي عياض في «الشفاء»، وليس كذلك، بل القصة ثابتة، وقد استوعبت طرقها في التفسير المسند، والحاصل أنها وردت مرفوعة من حديث ابن عمر رضي الله عنهما).

(٢) وعبارة القاضي البيضاوي في «تفسيره» (٩٨/١) بعد سوق الخبر: (محكي عن اليهود، ولعله من رموز الأوائل، وحله لا يخفى على ذوي البصائر)، فجعل الخبر من الإشارات، وأورد حله الخطيب في «تفسيره» (٨٢/١) عن الشيخ زكريا الأنصاري، قال الخازن في «تفسيره» (٦٦/١) بعد إيراد القصة: (والأولى تنزيه الملائكة عن كل ما لا يليق بمنصبهم)، والآحاد المحتملة لا تُعارض المتواترات القطعية.

وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلِيَسَّ مَا شَكَّرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ.....

﴿وَمَا هُمْ﴾ أي: السَّحَرَةُ ﴿بِضَارِّينَ بِهِ﴾: بِالسُّحْرِ ﴿مِنْ﴾ - زائدة - ﴿أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: بِإِزَارَتِهِ، ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ﴾ فِي الْآخِرَةِ ﴿وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ وَهُوَ السُّحْرُ، ﴿وَلَقَدْ﴾ - لَمْ قَسَمَ - ﴿عَلِمُوا﴾ أي: الْيَهُودُ ﴿لَمَنِ﴾ - لَمْ ابْتِدَاءَ مُعَلِّقَةٍ لِمَا قَبْلَهَا، وَ(مَنْ) مَوْصُولَةٌ - ﴿اشْتَرَاهُ﴾: اخْتَارَهُ أَوْ اسْتَبَدَّلَهُ بِكِتَابِ اللَّهِ، ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾: نَصِيبٍ فِي الْجَنَّةِ، ﴿وَلِيَسَّ مَا﴾ شَيْئاً ﴿شَكَّرُوا﴾: بَاعُوا ﴿بِهِ﴾ أَنْفُسَهُمْ ﴿أَي: الشَّارِبِينَ﴾: حَظُّهَا مِنَ الْآخِرَةِ أَنْ تَعْلَمُوهُ، حَيْثُ أَوْجَبَ لَهُمُ النَّارَ، ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ حَقِيقَةُ مَا يَصِيرُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْعَذَابِ مَا تَعْلَمُوهُ.

﴿١٠٣﴾ ﴿لَوْ أَنَّهُمْ﴾ أي: الْيَهُودُ ﴿ءَامَنُوا﴾ بِالنَّبِيِّ وَالْقُرْآنِ ﴿وَاتَّقَوْا﴾ عِقَابَ اللَّهِ بِتَرْكِ مَعَاصِيهِ كَالسُّحْرِ، وَجَوَابُ (لَوْ) مَحذُوفٌ، أَي: لَا تُثِيبُوا، دَلَّ عَلَيْهِ: ﴿لَمَثُوبَةٌ﴾: ثَوَابٌ - وَهُوَ مُبْتَدَأٌ وَاللَّامُ فِيهِ لِلْقَسَمِ -

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَمَا هُمْ﴾... إلخ) يحتمل أن (ما) حجازية، و﴿هُمْ﴾: اسْمُهَا، و﴿بِضَارِّينَ﴾: خَيْرُهَا، والباء زائدة في خبرها، ويحتمل أنها تَمِيمِيَّةٌ، وما بعدها مبتدأ وخبرٌ، والباء زائدة في خبر المبتدأ.

قوله: (أَي: اليهود) أي: جميعهم؛ لأنهم عَلِمُوا ذَلِكَ فِي التَّوْرَةِ.

قوله: (وَمَنْ) مَوْصُولَةٌ أَي: وَهِيَ مُبْتَدَأٌ، و﴿اشْتَرَاهُ﴾ صَلَّتْهَا، وَجَمَلَةٌ ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ﴾... إلخ) خبرها، والجملَةُ منها وَمِنْ خبرها سَادَّةٌ مَسَدٌّ مَفْعُولِي (عَلِمَ).

قوله: (باعوا) أشار بذلك إلى أَنَّهُ يُطْلَقُ الشَّرَاءُ عَلَى الْبَيْعِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَشَرَوْهُ بِشَرْبِ بَخْسٍ﴾

[يوسف: ٢٠].

قوله: (أَن تَعْلَمُوهُ) (أَنْ) وَمَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ: فِي تَأْوِيلِ مَصْدَرٍ هُوَ الْمَخْصُوصُ بِالذَّمِّ، وَقَوْلُهُ: (حَيْثُ أَوْجَبَ لَهُمُ النَّارَ) (حَيْثُ): تَعْلِيلِيَّةٌ.

قوله: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ لا مُنَافَاةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾... إلخ؛ لِأَنَّهُمْ عَلِمُوا أَنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ نَصِيبٌ فِي الْآخِرَةِ، وَلَكِنْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُمْ لَا يُقْلَتُونَ مِنَ الْعَذَابِ الدَّائِمِ.

مَنْ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا
 أَنْظَرْنَا وَأَسْمِعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾

﴿مَنْ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ - خَبَرُهُ - مِمَّا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ، ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أَنَّهُ خَيْرٌ لَمَا
 أَثَرُوهُ عَلَيْهِ.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا﴾ لِلنَّبِيِّ: ﴿رَاعِنَا﴾ - أَمْرٌ مِنَ الْمُرَاعَاةِ -، وَكَانُوا
 يَقُولُونَ لَهُ ذَلِكَ، وَهِيَ بِلُغَةِ الْيَهُودِ سَبٌّ مِنَ الرَّعُونَةِ، فَسُرُّوا بِذَلِكَ وَخَاطَبُوا بِهَا النَّبِيَّ،
 فَنَهَى الْمُؤْمِنُونَ عَنْهَا، ﴿وَقُولُوا﴾ بِذَلِكَ: ﴿أَنْظَرْنَا﴾ أَي: انْظُرْ إِلَيْنَا، ﴿وَأَسْمِعُوا﴾ مَا تُؤْمَرُونَ
 بِهِ سَمَاعَ قَبُولٍ، ﴿وَاللْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤْلِمٌ هُوَ النَّارُ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ صفة لـ (مَثُوبَةٍ)، وأصلها: مَثُوبَةٌ بوزن مَفْعَلَةٍ، نُقِلَتْ ضَمَّةُ الْوَاوِ إِلَى الثَّاءِ.

قوله: (لَمَا أَثَرُوهُ عَلَيْهِ) أَي: لَمَا قَدَّمُوا السَّحَرَ عَلَى مَا عِنْدَ اللَّهِ، وَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى جَوَابِ (لَوْ).

قوله: ﴿رَاعِنَا﴾ أَي: اشمَلْنَا بِنَظَرِكَ لِيَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْنَا؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَهَا عِنْدَ سَمَاعِهِمْ

الوَحْيِ مِنْهُ.

قوله: (أَمْرٌ مِنَ الْمُرَاعَاةِ) أَي: وَهِيَ الْمَبَالِغَةُ فِي الرَّعْيِ وَحِفْظِ الْغَيْرِ.

قوله: (سَبٌّ مِنَ الرَّعُونَةِ) أَي: الْحَمَقُ وَالْجَهْلُ وَقَلَّةُ الْعَقْلِ، أَوْ مَعْنَاهَا: اسْمَعْ لَا سَمِعْتَ، وَعَلَيْهِ

فَهِيَ عِبْرَانِيَّةٌ أَوْ سُرْيَانِيَّةٌ، وَعَلَى مَا قَالَهُ الْمَفْسِّرُ فَهِيَ عَرَبِيَّةٌ.

رُوي: أَنَّ سَعْدَ بْنَ مَعَاذٍ رضي الله عنه سَمِعَ الْيَهُودَ يَقُولُونَهَا لِرَسُولِ اللَّهِ، فَقَالَ: يَا أَعْدَاءَ اللَّهِ؛ عَلَيْكُمْ
 لَعْنَةُ اللَّهِ، لَئِنْ سَمِعْتُهَا مِنْ رَجُلٍ مِنْكُمْ يَقُولُهَا لِرَسُولِ اللَّهِ لِأَضْرِبَنَّ عُنُقَهُ، قَالُوا: أَوَلَسْتُمْ تَقُولُونَهَا؟
 فَنَزَلَتِ الْآيَةُ^(١)، وَنُهِِيَ فِيهَا الْمُؤْمِنُونَ عَنْ ذَلِكَ؛ قَطْعاً لِأَلْسِنَةِ الْيَهُودِ عَنِ التَّدْلِيسِ، وَأَمَرُوا بِمَا
 فِي مَعْنَاهَا، وَلَا يَقْبَلُ التَّدْلِيسَ الَّذِي هُوَ أَنْظَرْنَا.

قوله: (أَي: انْظُرْ إِلَيْنَا) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّهُ مِنْ بَابِ الْحَذْفِ وَالْإِصْصَالِ، حَذَفَ الْجَارَ فَاتَّصَلَ الضَّمِيرُ.

قوله: (سَمَاعَ قَبُولٍ) أَي: بِحَضُورِ قَلْبٍ عِنْدَ تَلْقَى الْأَحْكَامِ، فَإِنَّهُ إِذَا وُجِدَتِ الْقَابِلِيَّةُ مِنَ الطَّالِبِ

مَعَ نَظَرِ الْمَعْلَمِ حَصَلَ الْفَتْحُ الْعَظِيمُ.

(١) الْخَبَرُ رَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «الدَّلَائِلِ» بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ جَدًّا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه. انْظُرْ «فَتْحُ الْبَارِي» (١/١٦٣).

مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾

﴿١٠٥﴾ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ مِنَ الْعَرَبِ - عَطَفَ عَلَى ﴿أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، و﴿مِنْ﴾ لِلْبَيَانِ - ﴿أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ﴾ - زائدة - ﴿خَيْرٍ﴾: وَحْيٍ ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ حَسْداً لَكُمْ، ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ﴾: نُبُوَّتِهِ ﴿مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

﴿١٠٦﴾ وَلَمَّا طَعَنَ الْكُفَّارُ فِي النَّسْخِ وَقَالُوا: (إِنَّ مُحَمَّدًا يَأْمُرُ أَصْحَابَهُ الْيَوْمَ بِأَمْرٍ، وَيَنْهَى

حاشية الصاوي

قوله: ﴿مَا يَوَدُّ﴾ من المودَّة، وهي المحبة؛ أي: ما يحبُّ، وقوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فاعلُ ﴿يَوَدُّ﴾، و﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾... إلخ بيان لـ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

قوله: ﴿وَلَا الْمُشْرِكِينَ﴾ معطوفٌ على ﴿أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، و(لا) زائدة لتوكيد النفي.

قوله: ﴿أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ في تأويل مصدر مفعول ﴿يَوَدُّ﴾، و﴿مِنْ﴾ زائدة، و﴿خَيْرٍ﴾: نائبُ فاعلٍ ﴿يُنَزَّلُ﴾، والتقدير: ما يحبُّ الذين كفروا وهم أهلُ الكتاب والمشركون إنزالَ خيرٍ من ربكم عليكم.

قوله: (حسداً لكم) تعليلٌ للنفي، وحسدُ اليهود بسبب زعيمهم أن النبوة لا تليقُ إلا بهم؛ لكونهم أبناء الأنبياء، وحسدُ مشركي العرب بسبب ما عندهم من الرئاسة والفخر، فقالوا: لا تليقُ النبوةُ إلا بنا.

قوله: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ﴾ يُسْتَعْمَلُ متعدياً ولازماً، فعلى الأول: فاعله ضمير مستتر فيه، والموصولُ بصلته في محلِّ نصبٍ على المفعولية، والمعنى: واللَّهُ يَخْصُ... إلخ، وعلى الثاني: الفاعلُ هو الموصول بصلته، والمعنى: واللَّهُ يَتَمَيَّزُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاؤُهُ^(١).

قوله: ﴿الْعَظِيمِ﴾ أي: الواسع.

قوله: (ولما طعن الكفار... إلخ) أشار بذلك إلى سبب نزول الآية، والمقصودُ من ذلك بيانُ

(١) في (ط): (يميز) بدل (يتميز)، ولعل الصواب ما أثبت، وهو موافق لما في «الفتوحات» (٩١/١)، ومعنى يتميز: يتفرد، ففاعل (يتميز) هو الاسم الموصول مع صِلته (من يشاؤه)، وانظر «البحر المحيط» (٥١٠/١).

مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ

عنه غداً)، نزل: ﴿مَا﴾ - شَرْطِيَّةٌ - ﴿نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ﴾ أي: نُزِلَ حُكْمُهَا
حاشية الصاوي

حكمة النسخ، والردُّ على الكفار حيث قالوا: إن القرآن افتراءٌ من محمد، فلو كان من عند الله لما بُدِّل فيه وغير^(١)، وردَّ عليهم أيضاً بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُرْفَعُ...﴾ [النحل: ١٠١] الآية، وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي﴾ [يونس: ١٥].

قوله: (شرطية) أي: وهي نكرةٌ بمعنى شيء معمولٌ له ﴿نَنْسَخُ﴾^(٢)، وقوله: ﴿مِنْ آيَةٍ﴾: بيان لـ(ما).

قوله: ﴿نَنْسَخُ﴾ من النسخ، وهو لغةٌ: الإزالة والنقل، يُقال: نَسَخَتِ الشَّمْسُ الظِّلَّ، أزالته، ونَسَخْتُ الْكِتَابَ: نقلتُ ما فيه، واصطلاحاً: بيانُ انتهاء حكم التعبد إما باللفظ أو بالحكم أو بهما، فنسخُ اللفظ والحكم: كـ«عشر رَضَعَاتٍ مَعْلُومَاتٍ يُحَرِّمْنَ»^(٣)، ونسخُ اللفظ دون الحكم: «الشيخُ والشيخةُ إذا زَنِيَا فارجمواهما البتة»^(٤)، ونسخُ الحكم دون اللفظ: كقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ...﴾ [البقرة: ١٨٠] الآية، نُسخَتِ بآية الموارِيث، وبقوله ﷺ: «لا وصية لوارث»^(٥)، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَعًا إِلَى الْحَوْلِ...﴾ [البقرة: ٢٤٠] الآية، فنُسخَتِ بقوله تعالى: ﴿يَرِثْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [٢٣٤] إلى غير ذلك.

(١) «أسباب النزول» للواحدي (ص ٣٧).

(٢) في محل نصب مفعول مُقدم لـ(نسخ) على الراجح، والتقدير: أي شيء ننسخ. انظر «الدر المصون» (٢/٥٥)، وقال العلامة ابن عاشور في «تفسيره» (١/٦٥٥): (ما: شرطية، وأصلها الموصولة أُشربت معنى الشرط، فلذلك كانت اسماً للشرط يستحق إعراب المفاعيل).

(٣) روى مسلم (١٤٥٢) عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (كان فيما أنزل من القرآن: عشر رَضَعَاتٍ مَعْلُومَاتٍ يحرمْنَ، ثم نُسخن بخمس معلومات، فتوفي رسول الله ﷺ، وهُنَّ فيما يقرأ من القرآن) أي: لِقُرْبِ النسخ من وفاته ﷺ.

(٤) كما روى مالك في «الموطأ» (٢/٨٢٤)، ورواه النسائي في «السنن الكبرى» (٧١٠٧)، وابن ماجه (٢٥٥٣)، وأصله في «الصحيحين» دُون التصريح بالمنسوخ لفظاً.

(٥) رواه أبو داود (٢٨٧٠)، والترمذي (٢١٢٠)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٦٤٣٥)، وابن ماجه (٢٧١٣)، وأصله في «الصحيحين».

أَوْ تُنْسِهَا نَأَتْ بِخَيْرٍ مِنْهَا

إِمَّا مع لَفْظِهَا أو لا ، - وفي قِرَاءَةِ بَضْمِ النُّونِ مِنْ (أَنْسَخَ) - أي: نَأْمُرُكَ أو جِبْرِيلَ بِنَسْخِهَا، ﴿أَوْ نَنْسِهَا﴾: نُؤَخِّرُهَا فَلَا نُزِلَ حُكْمُهَا وَنَرْفَعُ تِلَاوَتَهَا، أو نُؤَخِّرُهَا فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، - وفي قِرَاءَةِ بِلَا هَمْزٍ مِنَ النِّسْيَانِ - أي: تُنْسِيْكَهَا، أي: نَمَحُّهَا مِنْ قَلْبِكَ، - وَجَوَابُ الشَّرْطِ -: ﴿نَأَتْ بِخَيْرٍ مِنْهَا﴾: أَنْفَعَ لِلْعِبَادِ فِي السُّهُولَةِ

حاشية الصاوي

قوله: (إما مع لفظها) أي: كـ«عشرُ رضعاتٍ... إلخ».

قوله: (أو لا) أي: بأن نزيلَ حكمها فقط.

قوله: (أو جبريل) في الحقيقة بينهما تلازم^(١).

قوله: (فلا نزل^(٢) حكمها) أي: لا ننسخه بل نُبْقِيهِ، وقوله: (ونرفعُ تلاوتها)^(٣) أي: ننسخُه، فعلى هذا التفسير دخلَ تحت قوله: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾ حكمان من أحكام النسخ، وهما نسخُ الحكم واللفظ، أو الحكم فقط، وتحت قوله: ﴿أَوْ نَنْسَاهَا﴾^(٤) الحكمُ الثالث، وهو نسخُ اللفظ دون الحكم.

قوله: (أو تؤخرها في اللوح المحفوظ) أي: لا نطلعكم عليها ولا نعلمكم بها، وعلى هذا التفسير فقد دخلَ تحت قوله: ﴿مَا نَنْسَخْ﴾ الأحكامُ الثلاثة.

قوله: (وفي قراءة بلا همز) المناسب أن يقول: وفي قراءة بضم النون من غير همز.

قوله: (من النسيان) الأولى أن يقول: من الإنساء؛ لأنه مصدر الرباعي.

قوله: (أي: نمحها من قلبك) أي: وقلبِ أمتك؛ بأن يبقى الحكمُ دون اللفظ، أو يُمحى.

قوله: (في السهولة) أي: كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَخَفْ اللَّهَ عَنْكُمْ...﴾ [الأنفال: ٦٦] الآية.

(١) والخلاف في التقدير بين ابن عطية والزمخشري، وهو راجع لقول المصنف هنا رحمه الله تعالى، وهذا على قراءة ابن عامر: (ما ننسخ... من أنسخ الرباعي. انظر «البحر المحيط» (١/٥١٢)).

(٢) كذا في النسخ و«الفتوحات الإلهية» و«الكوكبين النيرين» مخطوطاً، على تقرير السياق.

(٣) في «الكوكبين النيرين» و«الفتوحات» (١/٩٢) نقلاً عنه: (ونرفعُ تلاوتها) مرفوع عطفاً على النفي لا المنفي، فهذا إشارة إلى ثالث أقسام النسخ، وهو نسخُ التلاوة دون الحكم.

(٤) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ باقي السبعة: (نُسيها) كما سيأتي. انظر «البحر المحيط» (١/٥١٣).

أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾

أو كثرة الأجر، ﴿أَوْ مِثْلَهَا﴾ في التكليف والثواب، ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
ومنه النسخ والتبديل؟ - والاستفهام للتقرير -.

﴿١٠٧﴾ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يفعل فيها ما يشاء، ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ
دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مِنْ﴾ - زائدة - ﴿وَلِيٍّ﴾ يحفظكم، ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يمنع عنكم عذابه
إن أتاكم.

حاشية الصاوي

قوله: (أو كثرة الأجر) أي: كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ بعد قوله تعالى: ﴿وَعَلَى
الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ﴾ [البقرة: ١٨٤]، فليس ثواب من خير بين الأمرين كثواب من تحتم عليه الصوم^(١).

قوله: ﴿أَوْ مِثْلَهَا﴾ أي: كنسخ استقبال بيت المقدس باستقبال الكعبة؛ فإنه لا مشقة في كل،
وليس أحدهما أكثر ثواباً من الآخر.

قوله: (والاستفهام للتقرير) أي: أقر واعترف بكون الله قديراً على كل شيء^(٢).

قوله: ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (ما): حجازية، ﴿لَكُمْ﴾: خبرها مقدم، ﴿مِنْ دُونِ
اللَّهِ﴾: حال من ﴿وَلِيٍّ﴾، و﴿مِنْ﴾: زائدة، و﴿وَلِيٍّ﴾: اسمها مؤخر، ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾: معطوف
على ﴿وَلِيٍّ﴾، و(لا) زائدة لتأكيد النفي، ويحتمل أنها تميمية، وما بعد مبتدأ وخبر، ويحتمل أن (من)
في قوله: ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ زائدة، أو أصلية متعلقة بما تعلق به الخبر.

قوله: ﴿مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ الفرق بين الولي والنصير: أن الولي قد يضعف عن النصرة،
والنصير قد يكون أجنبيّاً من المنصور، فبينهما عموم وخصوص من وجه.

(١) وعبرة العلامة الجمل في «الفتوحات» (١/ ٩٢): «في السهولة» كنسخ وجوب مصابرة الواحد لعشرة بوجوب
مصابرته لاثنين، وقوله: «أو كثرة الأجر» كنسخ التخيير بين الصوم والفدية بتعيين الصوم، فالأول في النسخ بالبدل
الأخف، والثاني في النسخ بالبدل الأثقل، «أو مثلها» كنسخ وجوب استقبال بيت المقدس بوجوب استقبال الكعبة،
فهما متساويان في الأجر.

(٢) في (أ): (قر) بدل (أقر)، والمثبت من (ط)، قال العلامة ابن عاشور في «التحرير والتنوير» (١/ ٦٦٥): (ولم يسمع
في كلام العرب استفهام دخل على النفي إلا وهو مراد به التقرير).

أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِدِلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾

﴿١٠٨﴾ وَنَزَلَ لَمَّا سَأَلَهُ أَهْلُ مَكَّةَ أَنْ يُوسِعَهَا وَيَجْعَلَ الصِّفَا ذَهَبًا: ﴿أَمْ﴾ بَلْ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى ﴿أَي﴾: سَأَلَهُ قَوْمُهُ ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ مِنْ قَوْلِهِمْ: ﴿أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ وَغَيْرِ ذَلِكَ، ﴿وَمَنْ يَتَّبِدِلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾ أَي: يَأْخُذُهُ بَدَلَهُ، بِتَرْكِ النَّظَرِ فِي الْآيَاتِ وَاقْتِرَاحِ غَيْرِهَا، ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾: أَخْطَأَ الطَّرِيقَ الْحَقَّ. وَالسَّوَاءُ فِي الْأَصْلِ: الْوَسْطُ.

حاشية الصاوي

قوله: (أَنْ يُوسِعَهَا) أَي: بِإِزَالَةِ الْجَبَلَيْنِ الْمُحِيطَيْنِ بِهَا.

قوله: (وَيَجْعَلَ الصِّفَا ذَهَبًا) أَي: وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي سُورَةِ (الْإِسْرَاءِ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّى تَنْفَجِرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا...﴾ [الْإِسْرَاءِ: ٩٠] الْآيَةَ، هَكَذَا ذَكَرَ الْمَفْسِّرُ^(١)، وَاسْتَشْكَلَ ذَلِكَ: بِأَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ مَدَنِيَّةٌ، وَالسُّؤَالُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ كَانَ قَبْلَ الْمَهَاجَرَةِ. فَالْحَقُّ أَنْ يُقَالَ: إِنْ سَبَبَ نَزُولَهَا سُؤَالُ يَهُودِ الْمَدِينَةِ إِنْزَالَ كِتَابٍ مِنَ السَّمَاءِ؛ بِدَلِيلِ أَنَّ السُّورَةَ مَدَنِيَّةٌ، وَأَنَّ السِّيَاقَ فِي خُطَابِ الْيَهُودِ، وَوُجُودِ (أَمْ) الَّتِي بِمَعْنَى (بَل) الَّتِي لِلْإِضْرَابِ الْإِنْتِقَالِي الْمَفِيدِ أَنَّ لَهُ تَعَلُّقًا بِمَا قَبْلَهُ.

قوله: ﴿رَسُولَكُمْ﴾ (أَي: مُحَمَّدًا ﷺ)؛ لِأَنَّهُ رَسُولُ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ.

قوله: ﴿كَمَا سُئِلَ مُوسَى﴾ بُنِيَ الْفِعْلُ لِلْمَجْهُولِ لِلْعِلْمِ بِالْفَاعِلِ.

قوله: (وَغَيْرَ ذَلِكَ) أَي: مِنْ قَوْلِهِمْ: ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثَبِّتُ الْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٦١]، وَمِنْ قَوْلِهِمْ: ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، وَنَحْوَ ذَلِكَ.

قوله: ﴿وَمَنْ يَتَّبِدِلِ الْكُفْرَ﴾ اسْتِثْنَاءٌ لِبَيَانِ حَالِ مَنْ تَعَنَّتْ عَلَى نَبِيِّهِ.

قوله: ﴿سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ مِنْ إِضَافَةِ الصِّفَةِ لِلْمَوْصُوفِ؛ أَي: السَّبِيلِ السَّوَاءِ، بِمَعْنَى الْمُسْتَوِيِّ.

قوله: (أَخْطَأَ طَرِيقَ الْحَقِّ) أَي: فَقَدْ شَبَّهَ الدِّينَ الْحَقَّ بِالطَّرِيقِ الْمُسْتَوِيِّ؛ بِجَامِعِ أَنَّ كُلًّا يُوصَلُّ

لِلْمَقْصُودِ.

(١) وَأَيْدِ ذَلِكَ بِرَوَايَاتِهِ فِي «الدَّرِ الْمَنْثُورِ» (٢٦١/١) حَيْثُ قَالَ: (أَخْرَجَ عَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ وَابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ الْمُنْذَرِ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: سَأَلَتْ قَرِيشُ مُحَمَّدًا ﷺ أَنْ يَجْعَلَ لَهُمُ الصِّفَا ذَهَبًا، فَقَالَ: نَعَمْ، وَهُوَ كَالْمَائِدَةِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِنْ كَفَرْتُمْ، فَأَبَوْا وَرَجَعُوا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾).

وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ
أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ

﴿١٠٩﴾ ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ﴾ - مَصْدَرِيَّةٌ - ﴿يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ
كَفَّارًا حَسَدًا﴾ - مَفْعُولٌ لَهُ - كَائِنًا ﴿مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: حَمَلَتْهُمْ عَلَيْهِ أَنفُسُهُمُ الْخِيَّةُ،
﴿مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ﴾ فِي التَّوْرَةِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ﴾ سببُ نزولها: أن عمارَ بنَ ياسر وحذيفةَ بنَ اليمان لما رجعا مع
رسول الله ﷺ من غزوة أحد، اجتمعا برهط من اليهود، فقالوا لهما: ألم نقلُ لكما: إن دين اليهودية
هو الحقُّ وغيره باطل؟ فلو كان ما عليه محمدٌ حقًا ما قُتلت أصحابُه مع دَعَوَاهُ أَنَّهُ يَقَاتِلُ وَاللهُ مَعَهُ!
فقال عمار بن ياسر: ما حكمُ نقضِ العهدِ عندكم؟ فقالوا: فطِيعٌ جدًّا، فقال: إني عاهدتُ محمدًا
على اتباعه إلى أن أموتَ، فلا أنقضه أبدًا، فقالوا: قد صَبَأَ، فقال حذيفة: رَضِيتُ بالله ربًّا،
وبالإسلام دينًا، والكعبة قبلَةً، والقرآن إمامًا، والمؤمنين إخوانًا، فلمَّا رجعا أخبرا رسولَ الله بذلك،
فقال: «أصَبْتُمَا الْخَيْرَ وَأَفْلَحْتُمَا»، فنزلت^(١).

قوله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ﴾ من المودَّة، وهي المحبَّة.

قوله: ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أي: وهم اليهود.

قوله: ﴿لَوْ﴾ مصدرية) أي: فتنسبُكُ مع ما بعدها بمصدر مفعول ﴿وَدَّ﴾، التقدير: ودَّ كثيرٌ
ردَّكم... إلخ، و(ردَّ): تنصبُ مفعولين؛ لأنها بمعنى صَيَّرَ، مفعولُها الأولُ الكافُ، والثاني
﴿كَفَّارًا﴾، ويصحُّ أن تكونَ ﴿لَوْ﴾ شرطيةً، وجوابُها محذوفٌ تقديره: فيُسْرُون ويفرحون بذلك.
قوله: (كائناً) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ﴾ متعلِّقٌ بمحذوفٍ صفةٌ لـ ﴿حَسَدًا﴾،
و﴿مِّنْ﴾ ابتدائية^(٢).

قوله: ﴿مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ﴾ متعلِّقٌ بـ ﴿وَدَّ﴾، و﴿مَا﴾: مصدرية؛ أي: من بعد تبَيَّنِ الحقُّ
لهم، وهذا أبلغُ قبْحٍ منهم؛ لأنهم عرَفُوا الحقَّ فلم يهتدوا، ومع ذلك وقعت المراودةُ لغيرهم
على الضلال، فقد ضلُّوا وأضلُّوا.

(١) كذا في «تفسير الثعلبي» (٢٥٧/١)، و«تفسير البغوي» (١٣٥/١) من غير إسناد.

(٢) لا ابتداء الغاية؛ أي: إن ودادتهم ذلك ابتدئت من حين وضوح الحقِّ وتبينه لهم، فكفرهم عناد. «الفتوحات» (٩٤/١).

الْحَقُّ فَأَعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا

﴿الْحَقُّ﴾ في شأنِ النَّبِيِّ، ﴿فَأَعْفُوا﴾ عَنْهُمْ أَي: اتْرُكُوهُمْ، ﴿وَاصْفَحُوا﴾: أَعْرِضُوا فَلَا تُجَارِوهُمْ، ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرِهِ﴾ فِيهِمْ مِنَ الْقِتَالِ، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿١١٠﴾ ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾: طَاعَةُ كَصِلَةٍ وَصَدَقَةٍ، ﴿يَجِدُوهُ﴾ أَي: ثَوَابَهُ ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿فِيُجَارِيكُمْ بِهِ﴾.

﴿١١١﴾ ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا﴾: جَمْعُ هَائِدٍ، ﴿أَوْ نَصْرِيًّا﴾، قَالَ ذَلِكَ يَهُودُ الْمَدِينَةِ وَنَصَارَى نَجْرَانَ لَمَّا تَنَازَرُوا بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ، أَي: قَالَ الْيَهُودُ: لَنْ يَدْخُلَهَا إِلَّا الْيَهُودُ، وَقَالَ النَّصَارَى: لَنْ يَدْخُلَهَا إِلَّا النَّصَارَى،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَأَعْفُوا﴾ أَي: لَا تُؤَاخِذُوهُمْ بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ، وَقوله: ﴿وَاصْفَحُوا﴾ أَي: لَا تُلُومُوهُمْ، فَبَيْنَهُمَا مَغَايِرَةٌ، وَقيل: مَتَّحِدَانِ، وَعَلَيْهِ مَشَى الْمَفْسِّرُ، وَمَعْنَاهُمَا: عَدَمُ الْمُؤَاخَذَةِ^(١).

وَلَمْ يُؤْمَرْ النَّبِيُّ وَأَصْحَابُهُ بِقِتَالِهِمْ مَعَ أَنَّهُمْ نَاقِضُونَ لِلْعَهْدِ بِتِلْكَ الْمَقَالَةِ؛ لِأَنَّ الْوَاقِعَةَ كَانَتْ بَعْدَ غَزْوَةِ أُحُدٍ، فَكَانَ الْإِذْنُ فِي الْقِتَالِ حَاصِلًا!

فَالْجَوَابُ: أَنَّ الْقِتَالَ الْمَأْذُونُ فِيهِ كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ، وَأَمَّا أَهْلُ الْكِتَابِ فَلَمْ يُؤْمَرُوا بِقِتَالِهِمْ إِلَّا فِي غَزْوَةِ الْأَحْزَابِ، قِيلَ: قَبْلَهَا، وَقِيلَ: بَعْدَهَا، فَقَتَلَ قَرِيطَةَ، وَأَجْلَى بَنِي النَّضِيرِ، وَغَزَا خَيْبَرَ.

قوله: (من القتال) أَي: الْخَاصُّ بِهِمْ.

قوله: ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ الْعِنْدِيَّةُ مَعْنَوِيَّةٌ، عَلَى حَدِّ: لِي عِنْدَ زَيْدٍ يَدٌ؛ أَي: مَصُونٌ وَمَحْفُوظٌ مَذْخَرٌ.

قوله: (قال ذلك يهود المدينة...) إلخ) لَفٌّ وَنَشْرٌ مَرْتَّبٌ.

قوله: (لَمَّا تَنَازَرُوا) (لَمَّا): حِينِيَّةٌ، ظَرْفٌ لَ(قَالُوا).

قوله: (لَنْ يَدْخُلَهَا إِلَّا الْيَهُودُ) سُمِّيَتْ الْيَهُودُ بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ هَادُوا - بِمَعْنَى رَجَعُوا - مِنْ عِبَادَةِ الْعَجَلِ، وَسُمِّيَتْ النَّصَارَى بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ نَصَرُوا عِيسَى، وَهُوَ جَمْعُ نَصْرَانَ أَوْ نَصْرِيٍّ^(٢).

(١) فعلى هذا يكون العطف في الآية للتأكيد، وحسنة تغاير اللفظين. «الفتوحات» (١/ ٩٤).

(٢) تقدم كلام فيه، وذكر المفسر أن هوداً جمع هائد؛ وهو كعوذ وعائد وبور وبائر، ومؤنثه هائدة.

تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ
وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ
النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ.....

﴿تِلْكَ﴾ القولُ ﴿أَمَانِيُّهُمْ﴾: شَهَوَاتُهُمُ الْبَاطِلَةُ، ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ: ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾: حُجَّتْكُمْ
على ذلك ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه.

﴿بَلَى﴾ ﴿يَدْخُلُ الْجَنَّةَ غَيْرُهُمْ﴾: ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ أي: انْقَادَ لِأَمْرِهِ، وَخَصَّ
الْوَجْهَ لِأَنَّهُ أَشْرَفُ الْأَعْضَاءِ فَغَيْرُهُ أَوْلَى، ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: مُوَحِّدٌ، ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾
أي: ثَوَابُ عَمَلِهِ الْجَنَّةَ، ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ فِي الْآخِرَةِ.

﴿١١٢﴾ ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ﴾ مُعْتَدِّ بِهِ، وَكَفَرَتْ بِعَيْسَى،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ مبتدأ وخبر، وجمع الخبر مع كون المبتدأ مفرداً؛ لأنه جمع
في المعنى؛ لأنه عائد على القول، وهي بمعنى المقالات.

قوله: ﴿هَاتُوا﴾ قيل: اسمُ فعلٍ أمر، وقيل: فعلٌ أمر، وقيل: اسمُ صوت، والحقُّ الوسط؛
لِلْحَقِّ الْعَلَامَةِ لَهَا، وَالْمَعْنَى: أَحْضَرُوا.

قوله: ﴿بُرْهَانَكُمْ﴾ قيل: مأخوذ من البرهنة؛ أي: القطعة؛ لأن به قطع حجة الخصم، وقيل:
من البرهن؛ أي: البيان، فعلى الأول ممنوع من الصرف، وعلى الثاني مصروف^(١).

قوله: ﴿بَلَى﴾ أي: لا يدخلها أحدٌ منكم.

قوله: ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾ أي: دخل الإسلام بوجهه؛ أي: بذاته، ومعناه: انقاد بظاهره،
وقوله: (موحد) أي: بباطنه، لا منافق، بل مُنْقَادٌ بظاهره، مؤمنٌ مُوَحِّدٌ بباطنه.

(١) ونص العلامة السمين في «الدر المصون» (٧٢/٢) وفيه مزيد إيضاح: (واختلف فيه على قولين؛ أحدهما: أنه مُشتَق من البره، وهو القطع، وذلك أنه دليلٌ يفيد العلم القطعي، ومنه: برهنة الزمان؛ أي: القطعة منه، فوزنه فُعْلَان. والثاني: أن نونه أصلية؛ لثبوتها في برهن يُبرهن برهنة، والبرهنة البيان، فبرهن فعلٌ لا فُعْلَن، لأن فعلن غير موجود في أبنيتهم، فوزنه فُعْلَال، وعلى هذين القولين يترتب الخلاف في صرف برهان وعدمه مسمى به)، وادعى الأزهرى والزمخشري أن برهن مولد، وأن الصحيح: أبره الرجل إن جاء بالبرهان، ولهما مُخَالَف.

وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ

﴿وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ مُعْتَدِّ بِهِ، وَكَفَرَتْ بِمُوسَى، ﴿وَهُمْ﴾ أَي: الْفَرِيقَانِ ﴿يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ الْمُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ، وَفِي كِتَابِ الْيَهُودِ تَصَدِيقُ عِيسَى، وَفِي كِتَابِ النَّصَارَى تَصَدِيقُ مُوسَى، - وَالْجُمْلَةُ حَالٌ - ﴿كَذَلِكَ﴾ كَمَا قَالَ هَؤُلَاءِ ﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أَي: الْمُشْرِكُونَ مِنَ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ بَيَانٌ لِمَعْنَى ذَلِكَ، أَي: قَالُوا لِكُلِّ ذِي دِينٍ: (لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ)، ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ، فَيُدْخِلُ الْمُحَقِّقُ الْجَنَّةَ وَالْمُبْطِلَ النَّارَ.

﴿١١٤﴾ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أَي: لَا أَحَدَ أَظْلَمُ

حاشية الصاوي

قوله: (مُعْتَدِّ بِهِ) أَي: بَلْ هُمْ عَلَى بَاطِلٍ، وَقَدَّرَهُ الْمَفْسِّرُ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ صِفَةَ (شَيْءٍ) مَحذُوفَةٌ، وَهَذِهِ أَصْدَقُ مَقَالَةٍ قَالَتْهَا الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى.

قوله: (وَكَفَرَتْ بِعِيسَى) أَي: وَزَعَمَتْ أَنَّهَا قَتَلَتْهُ.

قوله: ﴿يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ الْمُرَادُ بِهِ بِالنِّسْبَةِ لِلْيَهُودِ التَّوْرَةُ، وَبِالنِّسْبَةِ لِلنَّصَارَى الْإِنْجِيلُ.

قوله: (الْمُشْرِكُونَ مِنَ الْعَرَبِ... إلخ) أَي: فَالْمُرَادُ مِنْ ذَلِكَ تَسْلِيَةُ رَسُولِ اللَّهِ عَلَى مَا وَقَعَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ؛ فَإِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى كَفَرُوا وَضَلُّوا مَعَ عِلْمِهِمْ بِالْحَقِّ، فَكَيْفَ بِمَنْ لَا عِلْمَ عَنْده؟ فَلَا يُسْتَعْرَبُ ذَلِكَ مِنْهُمْ.

قوله: ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ أَي: الْفَرِيقَ الْمَذْكُورَةَ؛ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى وَمُشْرِكِي الْعَرَبِ وَمَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ.

قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ (مَنْ): اسْمُ اسْتِفْهَامٍ مُبْتَدَأٌ، وَ﴿أَظْلَمُ﴾: خَبَرُهُ.

قوله: (أَي: لَا أَحَدَ أَظْلَمَ) اسْتَشْكَلَ بِأَنَّهُ يَقْتَضِي أَنَّ مَنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اسْمِهِ فِيهَا لَمْ يُسَاوِهِ أَحَدٌ فِي الظُّلْمِ، فَكَيْفَ ذَلِكَ مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأنعام: ٢١]، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٧]، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ...﴾ [الزمر: ٣٢] الْآيَةُ، الْمَقْتَضِي كُلَّ آيَةٍ مِنْهَا أَنَّهُ لَا أَحَدَ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِرَ فِيهَا؟!

مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ، وَسَعَى فِي خَرَابِهَا.....

﴿مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ بِالصَّلَاةِ وَالتَّسْبِيحِ، ﴿وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ بِالْهَدْمِ أَوْ التَّعْطِيلِ، نَزَلَتْ إِخْبَاراً عَنِ الرُّومِ الَّذِينَ خَرَّبُوا بَيْتَ الْمَقْدِسِ، أَوْ فِي الْمُشْرِكِينَ لَمَّا حَاشِيَةُ الصَّائِلِ

وأُجِيب: أن هؤلاء الموجودين في الآيات ظلمهم زائد عن غيرهم، وكون الظلم الواقع من بعضهم مساوياً للبعض الآخر أم لا شيء آخر، تأمل^(١).

وأشار المفسر بقوله: (أي: لا أحد أظلم) إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي.

قوله: ﴿مِمَّنْ مَنَعَ﴾ يتعدى لمفعولين، الأول بنفسه وهو ﴿مَسْجِدٌ﴾، والثاني قوله: ﴿أَنْ يُذَكَّرَ﴾، فهو في تأويل مصدر مجرور بـ(من)، التقدير: لا أحد أظلم ممن منع مساجد الله من ذكر اسمه فيها، والمنع إما يغلقتها، أو تعطيل الناس عنها، أو تخريبها، أو أكل ريعها، أو التفريط في حقوقها، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

قوله: ﴿مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ جمع مسجد، سُمِّيَ باسم السجود؛ لأنه أشرف أركان الصلاة؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «أقرب ما يكون العبدُ من ربه وهو ساجد»^(٢)، ولأنه محل غاية الذل والخضوع لله عز وجل، وإن كان القياسُ فتح عينه في المفرد، لكنه لم يُسمَعْ إلا الكسر، فالقراءة سُنَّةٌ مَتَّبَعَةٌ.

قوله: (بالصلاة والتسبيح) أشار بذلك إلى أن المراد بذكر اسم الله فيها ما يعظم الصلاة وغيرها.

قوله: (نزلت... إلخ) هذا إشارة إلى بيان سبب نزولها.

قوله: (إخباراً عن الروم... إلخ) قبل بعثة الرسول، حين توجهت جيوش بُخْتِ نَصْرَ مع

(١) وأجيب بغير ذلك، وغالبها خارج عن قانون اللغة كما ذكر أبو حيان في «البحر المحيط» (١/٥٢٧)، وأجاب عن هذا بقوله: (إنما هذا نفي للأظلمية، ونفي الأظلمية لا يستدعي نفي الظالمية، لأن نفي المقيّد لا يدل على نفي المطلق؛ لو قلت: ما في الدار رجل ظريف، لم يدل ذلك على نفي مطلق رجل، وإذا لم يدل على نفي الظالمية لم يكن تناقضاً، لأن فيها إثبات التسوية في الأظلمية، وإذا ثبتت التسوية في الأظلمية لم يكن أحد ممن وصف بذلك يزيد على الآخر، لأنهم يتساوون في الأظلمية، وصار المعنى: لا أحد أظلم ممن منع، وممن افترى، وممن ذكر، ولا إشكال في تساوي هؤلاء في الأظلمية، ولا يدل على أن أحد هؤلاء أظلم من الآخر، كما أنك إذا قلت: لا أحد أفقه من زيد وعمرو وخالد، لا يدل على أن أحدهم أفقه من الآخر، بل نفي أن يكون أحد أفقه منهم).

(٢) رواه مسلم (٤٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً.

أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ

صَدُّوا النَّبِيُّ ﷺ عَامَ الْحُدَيْبِيَّةِ عَنِ الْبَيْتِ، ﴿أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾
خَبَرٌ بِمَعْنَى الْأَمْرِ، أَي: أَخِيفُوهُمْ بِالْجِهَادِ
حاشية الصاوي

نصارى الروم لِتَخْرِيبِ بَيْتِ الْمَقْدَسِ^(١)، وَكَانَ بُخْتَ نَصْرُ مَجُوسِيًّا مِنْ أَهْلِ بَابِلَ، وَذَلِكَ حِينَ قَتَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا، وَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى بَنَاهُ الْمُسْلِمُونَ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ.

قوله: (عام الحديبية) أي: عام ست من الهجرة، حين خرج رسول الله ﷺ في ألف وأربع مئة من أصحابه بقصد العمرة، قصده المشركون وهو بالحديبية، فتحلل ورجع^(٢).

قوله: ﴿أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ المعنى: ليس لهم دخولها - يعني: البيت أو بيت المقدس - في حال من الأحوال إلا في حال كونهم خائفين.

قوله: (خبر بمعنى الأمر) أي: فالجملة خبرية لفظاً، إنشائية معنى^(٣).

وقوله: (أي: أخيفوهم بالجهاد) أي: فالمراد من الآية: أَنْ اللَّهُ كَلَّفَنَا بَقَاتِلَهُمْ وَمَنْعَهُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَبَيْتِ الْمَقْدَسِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ [التوبة: ٢٨]، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيًّا بَعْدَ الْفَتْحِ يُنَادِي فِي النَّاسِ: «أَلَّا يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ»، وَأَلَّا يَحُجَّ بَعْدَ هَذَا الْعَامِ مُشْرِكٌ^(٤)، وَفِي خِلَافَةِ عُمَرَ فَتَحَ الشَّامَ وَمَدِينَةَ بَيْتِ الْمَقْدَسِ، وَمَنْعَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ دُخُولِ بَيْتِ الْمَقْدَسِ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ خَبَرٌ لَفْظاً وَمَعْنَى،

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥٢٠/٢) عن قتادة قال: (أولئك أعداء الله النصارى، حملهم بغض اليهود على أن أعانوا بخت نصر البابلي المجوسي على تخريب بيت المقدس)، والمعروف في كتب التاريخ أن الغزو البابلي كان قبل ميلاد المسيح عليه السلام بأكثر من خمس مئة عام؛ فكيف يعين النصارى المجوس على اليهود؟! وبخت نصر البابلي: يجوز كتابة اسمه موصولاً ومفصلاً كما جرى عليه المخطوط، قيل: بخت بمعنى: ابن، ونصر: اسم صنم وجد مطروحاً عنده، فنُسب إليه.

(٢) كما في «الصحيحين»، وسيأتي في سورة الفتح (٣٢٩/٦).

(٣) فيه بعد جدّاً، خصوصاً مع التعبير بـ(كان)، وقد رأيتُ استبعاده منقولاً عن العصام. «الفتوحات» (٩٧/١) نقلًا عن «الكوكبين».

(٤) رواه البخاري (٣٦٩)، ومسلم (١٣٤٧).

لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾

فلا يَدْخُلُهَا أَحَدٌ آمِنًا، ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾: هَوَانٌ بِالْقَتْلِ وَالسَّبْيِ وَالْجِزْيَةِ، ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: هُوَ النَّارُ.

﴿١١٥﴾ وَنَزَلَ لَمَّا طَعَنَ الْيَهُودُ فِي نَسْخِ الْقِبْلَةِ،

حاشية الصاوي

فهو إخبارٌ من الله بما وقع للنبي ﷺ ومن عمر، وهو الأقربُ كما قال المفسرون^(١)، وَيَصَحُّ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: مَا كَانَ يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا بِخَشْيَةٍ وَخُضُوعٍ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَجْتَرِئُوا عَلَى تَخْرِيبِهَا، وَقِيلَ: غَيْرَ ذَلِكَ.

قوله: (فلا يَدْخُلُهَا أَحَدٌ آمِنًا مِنْ ذَلِكَ) اختلفت المذاهبُ في دخول الكافر المسجد؛ فَمَنَعَهُ الْمَالِكِيَّةُ إِلَّا لِحَاجَةٍ، وَفَضَّلَ الشَّافِعِيَّةُ فَقَالُوا: إِنْ أُذِنَ لَهُ مُسْلِمٌ فِي غَيْرِ الْمَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ جَازٌ^(٢)، وَإِلَّا فَلَا، وَجَوَّزَهُ الْحَنَفِيَّةُ مُطْلَقًا^(٣).

قوله: ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾: هَذَا عَامٌّ لِكُلِّ مَنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اسْمِ اللَّهِ فِيهَا، كَانَ مُسْلِمًا أَوْ كَافِرًا، فَخِزْيُ الْمُسْلِمِ فِي الدُّنْيَا بِالمَصَائِبِ وَالْفَقْرِ وَالْعَمَى وَالْمَوْتَ عَلَى غَيْرِ حَالَةٍ مُرَضِيَّةٍ، وَذِكْرُ الْمَفْسُرِ خِزْيَ الْكَافِرِ.

قوله: (هو النار) أي: عَلَى سَبِيلِ الْخُلُودِ إِنْ مَاتَ كَافِرًا، وَعَلَى سَبِيلِ التَّطَهِيرِ إِنْ مَاتَ مُسْلِمًا؛ فَإِنَّ الْعِبْرَةَ بِعُمُومِ اللَّفْظِ لَا بِخُصُوصِ السَّبَبِ، وَكُلُّ آيَةٍ وَرَدَتْ فِي الْكُفَّارِ فَإِنَّهَا تَجَرُّ ذَيْلَهَا عَلَى عُصَاةِ الْمُؤْمِنِينَ.

قوله: (لما طعن اليهود في نسخ القبلة) أي: الَّتِي هِيَ بَيْتُ الْمَقْدَسِ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ أَمَرَ بِالصَّلَاةِ لِحِجَّةِ بَيْتِ الْمَقْدَسِ؛ تَأْلِيْفًا لِلْيَهُودِ، فَأَشَاعُوا أَنَّ مُحَمَّدًا تَابَعَ لَهُمْ فِي دِينِهِمْ وَشَرِيعَتِهِمْ، ثُمَّ بَعْدَ مُدَّةٍ أَمَرَ اللَّهُ بِالانتِقَالِ إِلَى الْكَعْبَةِ، فَقَالُوا: إِنْ مُحَمَّدًا يَفْعَلُ عَلَى مُقْتَضَى هَوَاهُ، وَلَيْسَ بِأَمُورًا بِشَرِّعٍ، فَتَزَلَّتِ الْآيَةُ^(٤).

(١) عامة المفسرين على الإخبار، وحمل المساجد على العموم، والخوف على الخضوع والخشوع.

(٢) «تحفة المحتاج» (١٦٨/٢) على تفصيل ينظر.

(٣) «حاشية ابن عابدين» (٣٧٨/٤)، (٣٨٧/٦) على تفصيل أيضاً.

(٤) روايات الخبر عند الطبري في «تفسيره» (١٣٨/٣).

وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَشَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾

أو في صلاة النافلة على الرّاحلة في السّفر حيثما توجّهت: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ أي: الأرض كلّها لأنّهما ناحيتاها، ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا﴾ وجوهكم في الصّلاة بأمّره ﴿فَتَمَّ﴾: هناك ﴿وَجْهُ اللَّهِ﴾: قبلته التي رضىها، ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ﴾ يسع فضله كلّ شيء، ﴿عَلِيمٌ﴾ بتدبير خلقه.

حاشية الصاوي

قوله: (أو في الصلاة النافلة) أي: نزلت في شأن اعتراض اليهود على النبي حين شرعت صلاة النافلة على الدابة في السفر حيثما توجّهت^(١).

قوله: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ أي: مكان الشروق والغروب، وهذا ظاهر، وأما آية ﴿رَبِّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبِّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٧] فباعتبار مشرقى الصيف والشتاء ومغربيهما، وأما آية ﴿فَلَا أُقِيمُ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [المعارج: ٤٠] فباعتبار مشرق كل يوم ومغربه؛ لأن للشمس طرقات في الشروق والغروب على قدر أيام السنة.

قوله: (أي: الأرض كلّها) جواب عن سؤال مقدّر، كأنه قيل: ما وجهه الاقتصار على المشرق والمغرب؟ ويحتمل أن فيه حذف الواو مع ما عطفّت؛ أي: وما بينهما.

قوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا﴾ (أينما): اسم شرط جازم ظرف مكان، و﴿تُولُوا﴾: فعل الشرط، وقوله: ﴿فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ جواب الشرط، و﴿تَمَّ﴾: إشارة للمكان خبر مقدّم، و﴿وَجْهُ اللَّهِ﴾: مبتدأ مؤخر.

قوله: ﴿فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ أي: جهته، يعني جهة رضائه، وليس المراد بوجهه ذاته، بل المراد: أينما تولّوا وجوهكم في جهة أمركم الله بها تجدون جهة رضائه.

والصوفية يريدون بالوجه الذات، وهو دليل على تنزّه الله عن التّخصيص بالجهة، ومن هنا قال ابن العربي: (مقتضى التوحيد أن الصلاة لأيّ جهة تصحّ، وإنما أمرنا بجهة مخصوصة تعبدًا، ولم نعقل له معنى)^(٢).

قوله: (يسع فضله كلّ شيء) أي: فصحة الصلاة ليست متوقّفة على جهة بيت المقدس فقط كما

(١) شروع صلاة النافلة على الدابة حيثما اتجهت رواه البخاري (١٠٩٨)، ومسلم (٧٠١)، ولم يذكر العلامة الجمل في «الفتوحات» (٩٨/١) اعتراض اليهود على ذلك، بل جعل نزول الآية لبيان تشريع ذلك فقط، وهو ما يذكره عامة المفسرين.

(٢) بنحوه في «الفتوحات المكية».

وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَلْبُونَ ﴿١١٦﴾

﴿وَقَالُوا﴾ - بواو ودونها - أي: اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله: ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ قال تعالى: ﴿سُبْحَنَهُ﴾: تنزيهاً له عنه، ﴿بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً، والملكية تُنافي الولادة، وعبرَ بـ(ما) تغليباً لما لا يعقل، ﴿كُلٌّ لَّهُ قَلْبُونَ﴾: مطيعون، كُلٌّ بما يُراد منه. - وفيه تغليبُ العاقلِ -.

حاشية الصاوي

زعمت اليهود، بل خصنا الله بمزايا على حسب مزيد فضله لم تكن فيهم، فمنها أمرُ القبلة، ومنها جعلُ الأرض كلها مسجداً وتربيتها طهوراً، وغير ذلك.

قوله: ﴿وَقَالُوا﴾ هذا من جملة قبائح اليهود والنصارى ومُشركي العرب، حيث قالت اليهود: عزيزُ ابنُ الله، وقالت النصارى: المسيحُ ابنُ الله، وقال مشركو العرب: الملائكةُ بناتُ الله.

قوله: (بواو ودونها) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١)، فعلى الواو هو معطوف على ﴿مَنْعَ مَسْجِدَ اللَّهِ﴾، التقدير: ومن أظلم ممن قال: اتخذ الله ولداً، وعلى عدمها هو مستأنفٌ لبيان حال الكفرة، وأما آية (يونس) فترك الواو لا غير^(٢)؛ لعدم ما يُناسبُ العطف.

قوله: ﴿سُبْحَنَهُ﴾ أي: تنزّه عنه؛ لأن الولدية تقتضي النوعية والجنسية، والافتقار والتشبيه والحدوث، وهو سبحانه منزّه عن ذلك كله.

قوله: (لما لا يعقل) أي: غير العاقل لكثرتِه، وإنما غلبه لأنه في سياق القهر، وهو مناسب لغير العاقل، بخلاف (قانتون)، فإنه في سياق الطاعة.

قوله: (مطيعون) أي: نافذٌ فيهم مرادُه، فالمرادُ بالطاعة هنا: الانقيادُ ونُفوذُ المراد.

قوله: (وفيه تغليبُ العاقل) أي: حيث جمعه بالواو والنون، وإنما غلبَ العاقلُ هنا لِشرفه، ولأن شأنَ الطاعة أن تكون للعاقل، وفيه مُراعاةٌ معنى (كلٌّ)، ولو راعى لفظها لأفرد.

(١) قرأ ابن عباس وابن عامر بغير واو، والجمهور على إثباتها. انظر «البحر المحيط» (١/٥٣٢).

(٢) وهي قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾، وهو ابتداء كلام خُرج مخرج التعجب. «الفتوحات»

بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

﴿١١٧﴾ ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: مُوجِدُهُمَا لَا عَلَى مِثَالِ سَبَقٍ، ﴿وَإِذَا قَضَىٰ﴾: أَرَادَ ﴿أَمْرًا﴾ أَي: إِيجَادَهُ ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾ أَي: فَهُوَ يَكُونُ، - وَفِي قِرَاءَةِ بِالنَّصْبِ جَوَابًا لِلْأَمْرِ -.

﴿١١٨﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أَي: كُفَّارُ مَكَّةَ لِلنَّبِيِّ:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿بَدِيعُ﴾﴾ خبرٌ لمبتدأٍ محذوف؛ أي: هو، وقُرِئَ بِالْجَرِّ بَدَلًا مِنَ الضَّمِيرِ فِي ﴿لَهُ﴾، وبالنصب على المدح؛ أي: أَمْدَحُ بَدِيعٌ^(١).

قوله: (لا على مثال سبق) أي: فهما في غاية الإتيان، قال تعالى: ﴿وَأَنفَلَكُم يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا...﴾ [ق: ٦] الآيات.

قوله: ﴿﴿وَإِذَا قَضَىٰ﴾﴾ يُطْلَقُ الْقَضَاءُ عَلَى الْوَفَاءِ، يُقَالُ: قَضَىٰ دَيْنَهُ؛ بِمَعْنَى وَفَّاهُ، وَيُطْلَقُ عَلَى الْإِرَادَةِ، وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا.

قوله: (أَرَادَ) أي: تَعَلَّقَتْ إِرَادَتُهُ بِهِ، وَفَسَّرَ الْقَضَاءُ بِالْإِرَادَةِ لِلآيَةِ الْأُخْرَى، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] وَخَيْرٌ مَا فَسَّرْتَهُ بِالْوَارِدِ.

قوله: ﴿﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾﴾ لَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُ إِذَا تَعَلَّقَتْ إِرَادَتُهُ بِإِيجَادِ أَمْرٍ أَتَى بِالْكَافِ وَالنُّونِ، بَلْ ذَلِكَ كِنَايَةٌ عَنْ سُرْعَةِ الْإِيجَادِ، فَمَرَادُهُ نَافِذٌ وَلَا يَتَخَلَّفُ، بَلْ مَا عَلَّمَهُ أَزَلًا تَعَلَّقَتْ بِهِ الْإِرَادَةُ تَعَلُّقًا تَنْجِيزِيًّا حَادِثًا، وَأَبْرَزُهُ بِالْقُدْرَةِ سَرِيعًا.

قوله: (أي: فهو يكون) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّهُ مُسْتَأْنَفٌ مَرْفُوعٌ، خَبَرٌ لِمَبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ.

قوله: (بالنصب) أي: بِ(أَنْ) مُضْمَرَةٌ بَعْدَ فَاءِ السَّبَبِيَّةِ؛ أَي: يَحْصُلُ وَيُوجَدُ فِي الْخَارِجِ^(٢).

قوله: ﴿﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾﴾ أَي: الْجَاهِلُونَ الَّذِينَ هُمْ كَالْبَهَائِمِ أَوْ أَضَلُّ.

قوله: (أي: كفار مكة) تَقْدِمُ الْإِشْكَالُ بِأَنَّ السُّورَةَ مَدَنِيَّةٌ، وَأَنَّ السَّائِلَ لَهُ يَهُودُ الْمَدِينَةِ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَجَابَ هُنَا: بِأَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ بِخُصُوصِهَا مَكِّيَّةٌ، وَهُوَ بَعِيدٌ، وَأَجَابَ أَسْتَاذُنَا الشَّيْخُ الدَّرْدِيرُ: بِأَنَّهُ لَا مَانِعَ أَنْ كُفَّارَ مَكَّةَ أَرْسَلُوا ذَلِكَ السُّؤَالَ لَهُ وَهُوَ بِالْمَدِينَةِ.

(١) والقراءتان شاذتان أوردهما أبو حيان في «البحر المحيط» (١/٥٣٤).

(٢) قراءة النصيب لابن عامر، وباقي السبعة بالرفع؛ لانتهاء الكلام عند (كن)، أو عطفاً على (يقول). انظر «البحر المحيط» (١/٥٣٦).

لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَّهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا

﴿لَوْلَا﴾: هَلَا ﴿يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾: أَنَّكَ رَسُولُهُ، ﴿أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾: مِمَّا اقترحناه على صديقك، ﴿كَذَلِكَ﴾: كما قال هؤلاء ﴿قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: مِنْ كُفَّارِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ لِأَنْبِيَائِهِمْ ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾: مِنَ التَّعَنُّتِ وَطَلَبِ الْآيَاتِ، ﴿تَشَبَّهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: فِي الْكُفْرِ وَالْعِنَادِ، فِيهِ تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ، ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾: يَعْلَمُونَ أَنَّهَا آيَاتٌ فَيُؤْمِنُونَ، فَاقْتِرَاحُ آيَةٍ مَعَهَا تَعَنُّتٌ.

﴿١١٩﴾ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾: يَا مُحَمَّدٌ ﴿بِالْحَقِّ﴾: بِالْهُدَى، ﴿بَشِيرًا﴾: مَنْ أَجَابَ إِلَيْهِ بِالْجَنَّةِ، ﴿وَنَذِيرًا﴾: مَنْ لَمْ يُجِبْ إِلَيْهِ بِالنَّارِ،

حاشية الصاوي

قوله: (هلا) أشار بذلك إلى أنها تحضيضية، وهي بذلك المعنى في غالب القرآن.
قوله: ﴿يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ أي: مُشَافَهَةٌ، أو على لسان جبريل فينزل علينا كما ينزل عليك.
قوله: (مِمَّا اقترحناه) أي: طلبناه، والمقترح: هو الشيء الذي لم يُسَبِّقْ إليه.
قوله: (من التعنت... إلخ) هذا هو وجه المماثلة؛ لأن ما وقع من الأمم الماضية ليس عين ما وقع من كفار مكة.
قوله: (فيه تسلية) أي: فلا تحزن على مَنْ كفر، فإننا قد وَصَّحْنَا آيَاتِنَا لقوم يوقنون بك ولا يتعنتون عليك، قال تعالى تسلياً له: ﴿يَتَأْتِيَ آلَ النَّبِيِّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤].
قوله: (تعنت) أي: مَمَّنْ كفر وعاند، فلا تحزن عليه، ويكفيك مَنْ آمَن.
قوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾ الخطابُ له ﷺ؛ أي: أَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ كَافَّةً.
قوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾ الباءُ لِلْمَلَابَسَةِ، أو المصاحبة، أو السببية، والأقربُ الْأَوَّلَانِ.
قوله: (بالهدى) أي: دين الإسلام، أو القرآن.
قوله: ﴿بَشِيرًا﴾ هو و(نذيراً) حالان، إما من الكاف في ﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾، أو من (الحق).
قوله: (من) اسمٌ موصولٌ معمولٌ لـ ﴿بَشِيرًا﴾، وقوله: (أجاب إليه) صلُّتها، والمعنى: انقاد له، وقوله: (من لم يجب إليه) أي: مَنْ لَمْ يَنْقُدْ إِلَيْهِ وَلَمْ يَخْتَرْه دِينًا.

وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ آتِبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ

﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾: النَّارُ أَي: الْكُفَّارُ: مَا لَهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا؟ إِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ. - وفي قراءةٍ بِجَزْمٍ (تَسْأَلُ) نَهْيًا..

﴿١٢٠﴾ ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾: دِينَهُمْ، ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ﴾ أَي: الْإِسْلَامَ ﴿هُوَ الْهُدَى﴾ وَمَا عَدَاهُ ضَلَالٌ، ﴿وَلَئِنَّ﴾ - لَمْ قَسَمَ - ﴿آتِبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ التي يَدْعُونَكَ إِلَيْهَا

حاشية الصاوي

قوله: (النار) سُمِّيت النَّارُ جَحِيمًا لِجَحِيمِهَا؛ أَي: اضْطَرَّابُهَا بِأَهْلِهَا مِنْ شِدَّةِ لَهْيِهَا كاضْطَرَابِ مَوْجِ الْبَحْرِ.

قوله: (ما لهم لم يؤمنوا؟) هذا هو صورةُ السؤال؛ أَي: حَيْثُ بَلَغَتْ الرِّسَالَةُ، وَنَصَحَتْ الْأُمَّةَ، وَكشفت الغمَّةَ، وَجَلَّيْتُ الظُّلْمَةَ فَلَا تَخَفُ مِنْ كُفْرِهِمْ، وَلَا يَسْأَلُكَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله: (إنما عليك البلاغ) عِلَّةٌ لِلنَّفْيِ.

قوله: (بِجَزْمٍ تَسْأَلُ) أَي: مَعَ فَتْحِ التَّاءِ مَبْنِيًّا لِلْفَاعِلِ، وَهُمَا قِرَاءَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ^(١)، وَالْمَعْنَى عَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ: لَا تَسْأَلُنَا يَا مُحَمَّدُ عَنْ صِفَاتِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ؛ فَإِنَّهَا شَنِيعَةٌ فُظِيْعَةٌ لَا يَسْعُكَ السُّؤَالُ عَنْهَا لَهَوْلِهَا، أَوِ الْمَعْنَى: لَا تَسْأَلُنَا الشَّفَاعَةَ فِيهِمْ؛ لِأَنَّ كَلِمَةَ الْعَذَابِ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ.

قوله: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى﴾ هذه مقالةٌ قالها اللهُ لَهُ حِينَ قَالَتِ الْيَهُودُ: لَا نَرْضَى عَنْكَ حَتَّى تَتَّبِعَ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ، وَكَذَلِكَ قَالَتِ النَّصَارَى.

قوله: (وما عداه ضلال) أَخَذَ ذَلِكَ مِنَ الْجُمْلَةِ الْمَعْرِفَةِ الطَّرْفَيْنِ؛ فَإِنَّهَا تَفِيدُ الْحَصْرَ.

قوله: (لام قسم) أَي: مَحْذُوفٌ، تَقْدِيرُهُ: وَعِزَّتِي أَوْ وَاللَّهِ، وَعَلَامَةٌ كَوْنِهَا لَامٌ قَسَمٍ وَقَوْعُهَا قَبْلَ (إِنْ) الشَّرْطِيَّةِ^(٢).

(١) قرأ الجمهور بالرفع، وقرأ نافع ويعقوب بالجزم مبنياً للمعلوم. انظر «البحر المحيط» (١/٥٣٨).

(٢) وهذه اللام هي المسماء باللام الموطئة أو المؤذنة بالقسم، وهي الداخلة على أداة شرط، وأكثر ما تدخل كما قال المصنف على (إِنْ) الشرطية. انظر «مغني اللبيب» (ص ٣١٠).

بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ

فَرَضًا ﴿بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾: الْوَحْيِ مِنَ اللَّهِ، ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يَحْفَظُكَ، ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يَمْنَعُكَ مِنْهُ.

﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾ - مُبْتَدَأٌ - ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ أي: يَقْرَأُونَهُ كَمَا أُنْزِلَ، - وَالْجُمْلَةُ حَالٌ، وَ﴿حَقَّ﴾ نَصَبٌ عَلَى الْمَصْدَرِ، وَالْخَبَرُ: ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾. نَزَلَتْ

حاشية الصاوي

قوله: (فَرَضًا) أي: على فرض وقوعه، أو ذلك تخويف لأمته، على حد ما قيل في: ﴿لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥].

قوله: ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ هذا جواب القسم، وجواب الشرط محذوف دل عليه المذكور؛ لتأخر الشرط عن القسم، لقول ابن مالك: [الرجز]

وَاحْذِفْ لَدَى اجْتِمَاعِ شَرْطٍ وَقَسَمٍ جَوَابَ مَا أَخَّرْتَ فَهُوَ مُلْتَزِمٌ^(١)
ولو كان جواباً للشرط لا قترن بالفاء؛ لكونه منفياً بـ(ما).

قوله: ﴿مِنْ وَلِيٍّ﴾ (مِنْ): زائدة لتأكيد النفي.

قوله: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾ أي: القرآن، و(آتينا): صلة ﴿الَّذِينَ﴾، والهاء: مفعول أول، و﴿الْكِتَابَ﴾: مفعول ثانٍ.

قوله: (وَالْجُمْلَةُ حَالٌ) أي: إما مؤولة باسم الفاعل أو المفعول، فعلى الأول: هي حال من مفعول (آتينا) الأول الذي هو الضمير، وعلى الثاني هي حال من ﴿الْكِتَابَ﴾.

قوله: (نصب على المصدر) في الحقيقة صفة لمصدر محذوف، تقديره: تلاوة حق التلاوة، والمعنى: يَقْرَأُونَهُ مجوداً مرتلاً بخشوع وخضوع كما نزل من جبريل، لا ينقصون عما ورد ولا يزيدون عليه، يأترون بأمره وينتهون بنهي، ويصدقون وعده ووعيد، ويتدبرون معانيه، يعملون بمحكمه، ويفوضون علم متشابهه إلى الله.

قوله: ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ﴾ مبتدأ وخبر، والجملة خبر للمبتدأ.

وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يٰبَنِي إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي

في جماعة قَدِمُوا مِنَ الْحَبَشَةِ وَأَسْلَمُوا، ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِ﴾ أي: بِالْكِتَابِ الْمُؤْتَى بِأَن يُحَرِّفَهُ، ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ﴾؛ لِمَصِيرِهِمْ إِلَى النَّارِ الْمُؤَبَّدَةِ عَلَيْهِمْ.

﴿يٰبَنِي إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ تَقَدَّمَ مِثْلُهُ.

﴿١٢٣﴾ وَاتَّقُوا: خَافُوا ﴿يَوْمًا لَا تَجْزِي﴾:

حاشية الصاوي

قوله: (نزلت في جماعة) أي: أربعين؛ اثنان وثلاثون من الحبشة، وثمانية من رُهبان الشام، منهم بحيرا الراهب، مقدّمهم جعفر بن أبي طالب ابن عمّ رسول الله ﷺ^(١).

قوله: (وأسلموا) أي: وصاروا يتلون القرآن حقّ التلاوة، هكذا ذكر المفسّر سبب نزولها، وقيل: نزلت في كلّ مَنْ اتصف بهذا الوصف، وقيل: في عبد الله بن سلام وأضرابه.

قوله: (بأن يحرفه) أي: متعمداً، بأن يتلاعب بمعانيه وألفاظه ويأخذ بظاهره، والضمير عائذ على القرآن، وذلك كالخوارج الذين يأخذون بظاهره ولا يعرفون معانيه، فضلّوا وأضلّوا، فإنّ من جملة أبواب الكفر الأخذ بظواهر الكتاب والسنة.

قوله: ﴿يٰبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ تقدّمت هذه الآية، وكرّرها لمزيد التقييح عليهم.

قوله: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾ أي: بالشكر عليها، والمراد بها الجنس.

قوله: (تقدّم مثله) أي: من أن المراد عالمو زمانهم^(٢)، أو أن المراد آبائهم الأنبياء، أو المراد بالفضل المزايا، ففيهم مزايا لم توجد في غيرهم؛ كفلق البحر، وتفجير الماء من الحجر، والمنّ والسلوى.

قوله: ﴿يَوْمًا﴾ أي: عذاب يوم.

(١) كذا عند البغوي في «تفسيره» (١/١٦١) بروايته المثبتة أوله عن ابن عباس، وعن الضحاك أنها في مَنْ آمَن مِنَ الْيَهُودِ، وعن قتادة وعكرمة أنها في أصحاب النبي ﷺ، وقيل: في المؤمنين عامّة، كما سيذكر المصنف.

(٢) في النسخ: (عالمي زمانهم) بدل (عالمو زمانهم).

نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفْعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذْ أُنْتَلَىٰ
إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ

تُغْنِي ﴿نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ﴾ فِيهِ ﴿شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾: فِدَاءٌ، ﴿وَلَا تَنفَعُهَا شَفْعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: يُمْنَعُونَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ.

﴿١٢٤﴾ ﴿و﴾ اذْكُر ﴿إِذْ أُنْتَلَى﴾: اخْتَبَرَ ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ - وفي قراءة: (إبراهيم) - ﴿رَبُّهُ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (تغني ﴿نَفْسٌ﴾ أي: مؤمنة، وقوله: (﴿عَنْ نَفْسٍ﴾) أي: كافرة، وهذه الجملة صفة لـ ﴿يَوْمًا﴾ وهو نكرة، والجملة إذا وقعت صفة لنكرة فلا بد لها من رابط، وقد قدره المفسر بقوله: (فيه).

قوله: (﴿وَلَا تَنفَعُهَا شَفْعَةٌ﴾) أي: لا شفاعَةٌ لها حتى يترتب عليها النفع، قال تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٠-١٠١]، واتفقت القراءات السبع على الياء في ﴿يُقْبَلُ﴾، ولم يقرأ أحدٌ بالتاء^(١)، والقراءة سنة متبعة.

قوله: (﴿و﴾ اذْكُر ﴿إِذْ أُنْتَلَى﴾) أشار بذلك إلى أن (إِذْ) ظرفٌ لمحذوف، قدره بقوله: (اذْكُر)، والخطابٌ لمحمد؛ أي: اذكر يا محمد لِقومك وقت ابتلاء إبراهيم، ويصحُّ تقدير (اذكروا)، ويكون خطاباً لبني إسرائيل، والمقصود من ذكر قصة إبراهيم إقامة الحجّة على المخالف من اليهود والنصارى ومُشركي العرب؛ لأنَّ الفِرْقَ جميعها يعترفون بفضل إبراهيم، كان النبي ﷺ يقول: «انظروا التكاليف التي كُلفَ بها إبراهيم، هل هي موافقة لما جئتُ به أو مخالفة؟».

قوله: (وفي قراءة: إبراهيم) هما قراءتان سبعيتان^(٢)، وهذان لغتان من سبع، والثالثة والرابعة والخامسة بغير ياء والهاء مُثلثة، والسادسة بغير ياء وألف مع فتح الهاء، والسابعة إبراهيم^(٣)، وهو اسمٌ أعجمي، وتعريبه: أبٌ رحيم، وهو ابن تارخ بن آزر بن ناخور بن شاروخ بن أرغوى بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح^(٤).

(١) نَبّه عليه الخطيب في تفسيره «السراج المنير» (٩٠/١).

(٢) قرأ الجمهور: إبراهيم، وقرأ ابن عامر: إبراهيم. انظر «البحر المحيط» (٥٤٥/١).

(٣) والسبعة على ترتيب المصنف: إبراهيم، وإبراهيم، وإبراهيم، وإبراهيم، وإبراهيم، وإبراهيم. انظر «الدر المصون» (٩٨/٢).

(٤) خلاف عريض في ضبط أسماء أجداده على نبينا وعليه الصلاة والسلام، وأثبت ما في المخطوط، وأرغوى كتب =

يَكَلِّمَتِ

يَكَلِّمَتِ ﴿١﴾ : بِأوامر ونواي كَلَّفَهُ بِهَا ؛ قِيلَ : هِيَ مَنَاسِكَ الْحَجِّ ،

حاشية الصاوي

و﴿إِذْ هَمَزَ﴾ : مَفْعُولٌ مَقْدَمٌ ، و﴿رَبُّهُ﴾ : فَاعِلٌ مُؤَخَّرٌ ، وَتَقْدِيمُ الْمَفْعُولِ هُنَا وَاجِبٌ ؛ لِاتِّصَالِ الْفَاعِلِ بِضَمِيرٍ يَعُودُ عَلَى الْمَفْعُولِ ، فَلَوْ قُدِّمَ الْفَاعِلُ لَزِمَ عَوْدُ الضَّمِيرِ عَلَى مُتَأَخَّرٍ لَفْظًا وَرَتَبَةً ، قَالَ ابْنُ مَالِكٍ : [الرجز]

وَشَاعَ نَحْوُ : خَافَ رَبُّهُ عُمَرُ وَشَذَّ نَحْوُ : زَانَ نَوْرُهُ الشَّجَرُ^(١)

وَالِاخْتِبَارُ فِي الْأَصْلِ : الْامْتِحَانُ بِالشَّيْءِ لِيُعْلَمَ صِدْقُ ذَلِكَ الشَّخْصِ أَوْ كَذِبُهُ ، وَهُوَ مُسْتَحِيلٌ عَلَى اللَّهِ ؛ لِأَنَّهُ عَالِمٌ بِذَلِكَ قَبْلَ الْاِخْتِبَارِ ، وَإِنَّمَا الْمَرَادُ : عَامِلُهُ مُعَامِلَةُ الْمُخْتَبَرِ ؛ لِيُظْهَرَ ذَلِكَ لِلْخَلْقِ ، فَاخْتَبَرَ إِبْرَاهِيمَ فَظَهَرَ صِدْقُهُ ، وَإِبْلِيسَ فَظَهَرَ كَذِبُهُ .

قَوْلُهُ : ﴿يَكَلِّمَتِ﴾ قِيلَ : ثَلَاثُونَ مِنْ شَرِيعَتِنَا^(٢) ؛ عَشْرَةٌ فِي (بِرَاءةٍ) ، وَهِيَ ﴿التَّائِبُونَ الْعَبَدُونَ﴾ إِلَى ﴿وَيُخَوِّفُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة : ١١٢] ، وَعَشْرَةٌ فِي (الْأَحْزَابِ) ، وَهِيَ ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً . . .﴾ [الاحزاب : ٣٥] الْآيَةِ ، وَتِسْعَةٌ فِي (الْمُؤْمِنُونَ) ، مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ [المؤمنون : ١٠] ، وَوَاحِدَةٌ فِي (سَأَلَ) ، وَهِيَ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ [المعارج : ٣٣] ، وَقِيلَ : هِيَ التَّكَالِيفُ بِخِدْمَةِ الْبَيْتِ ، وَقِيلَ : ذَبْحُ وَلَدِهِ ، وَالرَّمْيُ فِي النَّارِ ، وَهَجْرَتُهُ مِنَ الشَّامِ إِلَى مَكَّةَ ، وَالنَّظَرُ فِي الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالْكَوَاكِبِ لِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَى قَوْمِهِ^(٣) ، وَبِضْمِيمَةٍ مَا ذَكَرَهُ الْمَفْسِّرُ تَكُونُ أَقْوَالًا خَمْسَةً ، وَلَا مَانَعَ مِنْ إِرَادَةِ جَمِيعِهَا^(٤) .

قَوْلُهُ : (مَنَاسِكَ الْحَجِّ) أَيِ : وَاجِبَاتُهُ وَسُنَنُهُ .

= بِالْمَدْمُودَةِ ، وَالْقَاعِدَةُ كِتَابَةُ الْأَلْفِ فِي الْأَعْجَمِيِّ مُتَطَرَفَةٌ بِالْمَقْصُورَةِ ، وَعَامَّةُ الْمَفْسِّرِينَ أَنَّ تَارِخَ أَوْ تَارِحَ هُوَ آزَرُ ، وَسَيَاتِي (٢/٣٩٤) .

(١) «الخلاصة» (باب الفاعل) وجعله من الشاذ، وجمهور النحاة على ما قاله المصنف من المنع . انظر «شرح ابن عقيل» (١٠٥/٢) .

(٢) وهي المسمّاة بسهام الإسلام، وهذا القول رواه ابن أبي شيبة وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وابن مردويه وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنه . انظر «الدر المنثور» (١/٢٧٤) .

(٣) روى ذلك ابن إسحاق وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنه . انظر «الدر المنثور» (١/٢٧٣) .

(٤) قول من قال : إنها مناسك الحج ، رواه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والحاكم عن ابن عباس ، والأقوال الخمسة رويت عن ابن عباس رضي الله عنه ، وهذا يؤيد احتمال إرادة الجميع . انظر «الدر المنثور» (١/٢٧٤) .

فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾

وقيل: المَضمضة والاستنشاق والسُّواك وقصُّ الشَّارب وقرقُ الشعر وقلمُ الأظفار وتنفُّ الإبط وحلقُ العانة والختان والاستنجاء، ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾: أَذَاهُنَّ تَامَاتِ، ﴿قَالَ﴾ تعالى له: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾: قُدْوَةٌ فِي الدِّينِ، ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾: أَوْلَادِي أَجْعَلُ أئِمَّةً، ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي﴾ بِالْإِمَامَةِ ﴿الظَّالِمِينَ﴾: الْكَافِرِينَ مِنْهُمْ، دَلَّ عَلَى أَنَّهُ يَنَالُ غَيْرَ الظَّالِمِ.

حاشية الصاوي

قوله: (وقيل: المضمضة... إلخ) هذه عشرة أشياء، الخمسة الأول في الوجه والرأس، وما عداها في باقي الجسد^(١).

قوله: (والختان) ورد: «أنه أوَّل مَنْ اخْتَنَ، وأوَّلُ مَنْ قَصَّ الشَّارِبَ، وأوَّلُ مَنْ قَلَّمَ الْأَظْفَارَ، وأوَّلُ مَنْ رَأَى الشَّيْبَ، فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ: يَا رَبُّ؛ مَا هَذَا؟ قَالَ: الْوَقَارُ، قَالَ: يَا رَبُّ؛ زِدْنِي وَقَارًا»^(٢).

وقوله: (والاستنجاء) أي: بالماء، وأما بالحجر فهو من خصائص هذه الأمة.

قوله: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ أي: لم يُقِرِّطْ في شيء منها.

قوله: ﴿قَالَ﴾ تعالى له) هذا كلامٌ مستأنف واقعٌ في جواب سؤال، كأنه قيل: ما فعل الله به بعد ذلك؟ أجاب بقوله: قال له: إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا، ومن ذلك: أن العطايا الربانية تكون بعد التخلي عن الأغيار بالاختيار.

قوله: ﴿لِلنَّاسِ﴾ يحتمل أن يكون ظرفاً لغواً متعلقاً بـ﴿جَاعِلُكَ﴾، ويحتمل أنه حالٌ من ﴿إِمَامًا﴾؛ لأنه نعتٌ نكرة تقدَّم عليها، و﴿جَاعِلٌ﴾ بمعنى: مَصِيرٌ، فتَنَصَّبُ مفعولين؛ الكاف: مفعولٌ أولٌ، و﴿إِمَامًا﴾: مفعولٌ ثانٍ.

قوله: ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ هذا كعطفِ التلقين؛ كما يُقال لك: سَأْمُرُكَ، فتقول: وزيداً، و﴿مِنْ﴾: للتبويض، وتخصيصُ البعض بذلك ليداهة استحالة إمامة الكل وإن كانوا على الحق.

قوله: (اجعل أئمة) أي: أنبياء أو ملوكاً عدولاً أو علماء، وقد اجتمع ذلك في ذرئته.

قوله: ﴿عَهْدِي﴾ فاعل ﴿يَنَالُ﴾، فهو مرفوعٌ بضمّة مقدّرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة

(١) كون الكلمات خصال الفطرة العشرة رواه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في «سننه» عن ابن عباس أيضاً. انظر «الدر المنثور» (١/٢٧٣).

(٢) انظر «الدر المنثور» (١/٢٨١).

وَإِذْ جَعَلْنَا آلِيبَتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَنَّا

﴿١٢٥﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا آلِيبَتَ : الْكَعْبَةَ ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ : مَرَجِعاً يَثُوبُونَ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، ﴿وَأَنَّا﴾ : مَأْمَنًا لَهُمْ مِنَ الظُّلْمِ وَالْإِغَارَاتِ الْوَاقِعَةِ فِي غَيْرِهِ، كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى قَاتِلَ أَبِيهِ فِيهِ حَاشِيَةُ الصَّوْءِ

لالتقاء الساكنين، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، و﴿الظَّالِمِينَ﴾ : مفعولُهُ، والمعنى : إن عهدي لا يدرك الظالمين، وقُرئ بالعكس شذوذاً^(١) ؛ لأنه إذا دار الأمر بين الإسناد للمعنى والذات فالإسناد للمعنى أولى.

قوله : ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا﴾ معطوف على ﴿وَإِذْ أَبْتَلَى﴾، وما قُدِّرَ هناك يَقْدَرُ هنا، و﴿جعل﴾ إن كانت بمعنى (خلق) نصبت مفعولاً واحداً وهو ﴿آلِيبَتَ﴾، و﴿مَثَابَةً﴾ : حال منه، وإن كانت بمعنى (صير) نصبت مفعولين ؛ ﴿آلِيبَتَ﴾ : مفعولٌ أوَّل، و﴿مَثَابَةً﴾ : مفعولٌ ثانٍ، و﴿لِّلنَّاسِ﴾ جار ومجرور متعلق ب﴿جَعَلْنَا﴾، أو بمحذوف صفة لـ ﴿مَثَابَةً﴾.

قوله : (الكعبة) أشار بذلك إلى أن (أل) في ﴿آلِيبَتَ﴾ للعهد.

قوله : ﴿مَثَابَةً﴾ (يحتمل أن يكون مصدراً ميميّاً، وهو الذي درج عليه المفسر بقوله : (مرجعاً)، ويحتمل أن يكون ظرف مكان ؛ أي : محل رجوع يرجع إليه المرة بعد المرة، أو المراد : محل ثواب ؛ أي : إن من لاذَّ به حصل له من الثواب ما لا يحصل له في غيره ؛ لما ورد : «يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِثَّةٌ وَعِشْرُونَ رَحْمَةً عَلَى الْبَيْتِ، سِتُونَ لِلطَّائِفِينَ، وَأَرْبَعُونَ لِلْمُصَلِّينَ، وَعِشْرُونَ لِلنَّاطِرِينَ»^(٢)، وأصلُ مَثَابَةٍ : مَثُوبَةٌ، تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً^(٣).

قوله : ﴿وَأَنَّا﴾ إما مصدرٌ باقٍ على مصدريته، أو بمعنى اسم الفاعل، أو ظرفٌ مكان ؛ أي : محل آمن، وعليه درج المفسر، وعلى كونه اسم فاعل فالإسناد مجاز ؛ أي : آمنٌ مَنْ دخله، وخيرٌ ما فسّرت بالوارد، قال تعالى : ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران : ٩٧].

(١) قرأ أبو رجاء وقتادة والأعمش شذوذاً : (الظالمون) بالرفع على الفاعلية لـ (ينال). انظر «البحر المحيط» (١/٥٤٨).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١/١٩٥)، قال الحافظ العجلوني في «كشف الخفاء» (٣٢٣٥) : (وحسنه المنذري والعراقي).

(٣) قوله : (تحركت الواو...) هو في فعلها ثاب وأصله ثوب، وأما مَثُوبَةٌ كمَكْتَبَةٍ فنقلت حركة الواو لما قبلها، وتبعث الواو الحركة فقلب ألفاً، وهو إعلال بإتباع باب فعلها. انظر «تاج العروس» (ث و ب).

وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى

فلا يهيجُه، ﴿وَاتَّخِذُوا﴾ أيها الناس ﴿مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾ هو الْحَجَرُ الَّذِي قَامَ عَلَيْهِ عِنْدَ بِنَاءِ الْبَيْتِ ﴿مُصَلًّى﴾: مَكَانَ صَلَاةٍ،

حاشية الصاوي

قوله: (فلا يهيجُه) أي: لا يزعجه ولا يؤاخذه بما فعل، وكان البيتُ معظماً في الجاهلية، ففي الإسلام أولى، وكذا قال ابن عباس: إن معصيته تضاعف^(١)؛ لأنه يُشَدَّدُ عَلَى مَنْ فِي الْحَضْرَةِ مَا لَا يُشَدَّدُ عَلَى غَيْرِهِ، قال بعضهم: [البسيط]

لَقَدْ أَسْرَكَ مَنْ يُرْضِيكَ ظَاهِرُهُ وَقَدْ أَبْرَكَ مَنْ يَعْصِيكَ مُسْتَتِرًا^(٢)

قوله: ﴿وَاتَّخِذُوا﴾ أمرٌ، إما معطوف على ما تضمنه قوله: ﴿مَثَابَةً﴾، تقديرُهُ: فُتُوبُوا واتخذوا، أو مستأنفٌ مقولٌ لقول محذوف، تقديرُهُ: وقال الله لهم: اتخذوا.

قوله: (أيها الناس) فيه حذفُ حرفِ النداء، وهذا على قراءة الأمر^(٣).

قوله: ﴿مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾ يحتمل أن (مِنْ) تبعيةٌ، أو زائدة في الإثبات على مذهب الأخفش، أو بمعنى (في)، وكلُّ بعيدٍ، والأقربُ: أنها بمعنى (عند)، والسنةُ يَنْتُ أن الصلاةَ خلفه؛ بأن يكون الحجرُ بين المصلي والكعبة.

قوله: (هو الْحَجَرُ) وردَ: «أن طولُه ذراعٌ، وعرضُه كذلك، وقد نزل هو والحجرُ الأسود مع آدم من الجنة، وهما ياقوتتان من يواقيتها، ولولا مسُّ الكفارِ لهما لأضاء ما بين المشرق والمغرب»^(٤).

قوله: (عند بناء البيت) أي: وبنائه كان متأخراً عن بناء مكة، فجرُّهُم بنوا مكةَ أولاً، وإبراهيم بنى البيتَ ثانياً، وذلك أن إبراهيمَ لمَّا جاء بأُمِّ إسماعيلَ وابنيها وهي ترضعه وضعهما عند

(١) كذا نسبه لابن عباس في «الفتوحات» (١/١٠٥)، وكان يخشى السكنى فيه تعظيماً لذلك كما أورده الحافظ ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (٢/٣١٨)، وروى الفاكهي في «أخبار مكة» (١٤٩٠) عن ابن عمر رضي الله عنهما: (اتقوا الذنوبَ في الحرم؛ فإنها تُضاعفُ تضعيفَ الحسنات)، وفيه (١٤٩٧) عن مجاهد قال: (زلزلت مكة، فقال عمر رضي الله عنه: انظروا ماذا تعملون فإنها مكة، لأنَّ أعملَ عشرَ خطايا بركةَ أحبَّ إليَّ من أن أعملَ بمكةَ خطيئةَ واحدة)، وركبة: وادٍ من أودية الطائف.

(٢) تنوزع في نسبة هذا البيت، وهو بنحوه من أبيات ثلاثة للبحري كما ذكر الأصفهاني في «الزهرة».

(٣) قرأ نافع وابن عامر: (اتخذوا) فعلاً ماضياً، والباقون على لفظ الأمر. انظر «البحر المحيط» (١/٥٥٢).

(٤) كما روى الترمذي (٨٧٨) من حديث ابن عمرو رضي الله عنهما.

وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهَرَا بَيْتِي

بأن تُصَلُّوا خلفه ركعتي الطَّواف، - وفي قراءة بفتح الخاء، خبرٌ - ﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ : أمرناهما ﴿أَنْ﴾ أي : بأن ﴿طَهَرَا بَيْتِي﴾

حاشية الصاوي

مكان البيت، وليس هناك يومئذ بناء ولا أحد، فعطشت واشتدَّ عليها الأمر، فجاءها جبريلُ، فبحث بعقبه أو بجناحه في موضع زمزم حتى ظهر الماء، فصارت تشربُ منه، فاستمرت كذلك هي وولدها حتى مرَّت بهم طائفةٌ من جُرَّهم، فقالوا لها : أأذنين أن ننزل عندك؟ قالت : نعم، ولكن لا حقَّ لكم في الماء، قالوا : نعم، فزَلُّوا عندها وبنوا مَكَّةَ، فلما شبَّ إسماعيلُ وأعجبهم زَوْجوه امرأةٌ منهم^(١).

قوله : (بأن تُصَلُّوا خلفه) هذا تخصيصٌ لكون الصلاة عنده، ومعنى كون الصلاة خلفه باعتبار مقصوريته، وإلا فهو مربِّع لا خلف له ولا أمام، وهذا بحسب ما سبق من الزمان، فإنه كان على الحجرِ مقصورةٌ بأبها لجهة البيت، وأما الآن فقد حوِّلَ البابُ، فالمصلِّي الآن يصلي لجهة الباب، فهو قبَّالته لا خلفه.

قوله : (وفي قراءة) هما سبعيتان^(٢).

قوله : (خبرٌ) أي : جملةٌ خبرية معطوفةٌ على ﴿جَعَلْنَا﴾ مسلَّطٌ عليها (إذ)، أي : اذكر إذ جعلنا واذكر إذ اتخذَ الناس من مقام إبراهيم مصلًى.

قوله : ﴿وَإِسْمَاعِيلَ﴾ فيه لُغتان؛ باللام والنون^(٣)، ويجمع على : سماعِلَ وسماعلة وأسامع، قيل : سُمِّيَ بذلك لأنَّ إبراهيم لما دعا الله أن يرزقه ولداً صارَ يقول : اسمعِ إيل ؛ أي : استجب يا الله.

قوله : ﴿أَنْ﴾ (يحتمل أنها تفسيرية، وهو الأقرب؛ لوجود ضابطها، وهو أن تتقدَّمها جملةٌ فيها معنى القول دون حروفه، وصحَّةُ حلول (أي) محلِّها، ويحتمل أنها مصدرية، وكلامُ المفسِّر يحتملها^(٤)).

(١) رواه البخاري (٢٣٦٤).

(٢) تقدَّم بيانها قبل قليل.

(٣) إسماعيل وإسماعين، وقلب اللام نوناً لغة بني أسد. انظر «البحر المحيط» (١/٥٤٣٩)، وفيه أيضاً تعليلُ التسمية الآتي.

(٤) وكونها مصدرية تكون قد خرجت عن نظائرها في جواز وصلها بالجملة الأمرية. «الفتوحات» (١/١٠٤).

لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا

من الأوثان ﴿لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ﴾: الْمُقِيمِينَ فِيهِ، ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾: جَمْعُ رَاكِعٍ وَسَاجِدٍ: الْمُصَلِّينَ.

﴿١٢٦﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْمَكَانَ ﴿بَلَدًا آمِنًا﴾: ذَا أَمْنٍ، وَقَدْ أَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَهُ فَجَعَلَهُ حَرَمًا لَا يُسْفَكَ فِيهِ دَمُ إِنْسَانٍ، وَلَا يُظْلَمُ فِيهِ أَحَدٌ، وَلَا يُصَادُ صَيْدُهُ وَلَا يُخْتَلَى خَلَاهُ،

حاشية الصاوي

قوله: (من الأوثان) إن قلت: إنه لم يكن حين بنى البيت أوثان قلت: أجيب: بأن المراد طهراً فيما يستقبل من الزمان؛ لعلم الله أن المشركين ستأخذ أوثاناً، وليس المراد أن الأوثان كانت موجودة حينئذ وأمرنا بطهارته منها.

قوله: ﴿لِلطَّائِفِينَ﴾ جمع طائف، وهو الذي يطوف حوله الأشواط.

قوله: ﴿وَالْعَاكِفِينَ﴾ جمع عاكف، وهو عُرْفًا: الملازم للمسجد للعبادة على وجه مخصوص، ولكن المراد به هنا المقيم فيه، يفسره قوله في الآية الأخرى: ﴿وَالْقَائِمِينَ﴾، فالعاكفون والقائمون والمقيمون بمعنى واحد.

قوله: (المصلين) أخذ ذلك من عدم عطف السجود على الركع، فالمراد جمعهما في عبادة، لا أن الركع قسم، والسجود قسم آخر.

قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ معطوف على ﴿وَإِذْ أَنْتَلَى﴾.

قوله: ﴿بَلَدًا﴾ نكره هنا وعرفه بـ(أل) في سورة (إبراهيم)^(١) لأنه قيل: إن ما هنا كان قبل بنائها، وما هناك بعده.

قوله: ﴿بَلَدًا آمِنًا﴾ إن قلت: إن الله قد امتن به من غير سؤال إبراهيم.

أجيب: بأن المراد بالذي امتن الله به الأمن من إغارات الأعداء، وبالذي طلبه إبراهيم الأمن من القحط والجوع.

قوله: (خلاه) بالقصر؛ أي: حشيشه^(٢).

(١) في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾.

(٢) وقوله: (لا يختلى) أي: لا يقطع ولا يؤخذ. «الفتوحات» (١/١٠٥).

وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ

﴿وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ وقد فعلَ بِنَقْلِ الطَّائِفِ مِنَ الشَّامِ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَقْفَرَ لَا زَرْعَ فِيهِ وَلَا مَاءَ، ﴿مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ - بَدَلٌ مِنْ ﴿أَهْلِهِ﴾ - وَخَصَّهُمُ بِالدُّعَاءِ لَهُمْ مُوَافَقَةً لِقَوْلِهِ: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾، ﴿قَالَ﴾ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْزُقُ﴾ مَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ﴾ - بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ - فِي الدُّنْيَا بِالرِّزْقِ ﴿قَلِيلًا﴾ مُدَّةَ حَيَاتِهِ، ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُ﴾: أُلْجِئُهُ فِي الْآخِرَةِ ﴿إِلَى عَذَابِ النَّارِ﴾ فَلَا يَجِدُ عَنْهَا مَحِيصًا، ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾: الْمَرْجِعُ هِيَ.

﴿١٢٧﴾ ﴿وَمَا أَذْكُرُ﴾ إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ﴾:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿مَنْ الثَّمَرَاتِ﴾ أي: بعضها.

قوله: (إليه) أي: إلى قربه بنحو مرحلتين، وقد نُقِلَ الموضعُ الذي كان بالحجاز موضعَ ما نُقِلَ من الشام بمكان يُسَمَّى الحرَّةَ، أقفر مشهورٌ بالشام، كذا قيل^(١).

قوله: ﴿وَمَا أَرْزُقُ﴾ مَنْ كَفَرَ﴾ هذا يُسَمَّى عطفًا تلقينيًا^(٢).

قوله: ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ جملةٌ استئنافية لإنشاء الذمِّ، وليست معطوفةً على ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُ﴾.

قوله: (هي) هذا هو المخصوصُ بالذمِّ، والحاصلُ: أن إبراهيمَ لما قال الله له: إني جاعلك للناس إمامًا، طلب أن يكون من ذريته مَنْ هو كذلك، فأجابه الله بأنه لا ينالُ عهده الظالمين، فلمَّا بنى البيت ودعا لأهله بالرزق من الثمرات خصَّ دعوته بالمؤمن منهم؛ قياساً منه الرزق على الإمامة، وخوفاً من ردِّ دعوته إذا عمم، فلَقَّنه الله قوله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ أي: فالمؤمن والكافر سواءٌ في الرزق الدُّنيوي، وأما في الإمامة فليسوا سواءً.

قوله: ﴿وَمَا أَذْكُرُ﴾ أي: يا محمدُ وقتَ رفعِ إبراهيمَ القواعدَ.

قوله: ﴿الْقَوَاعِدَ﴾ جمعُ قاعدة، وهي حجارةٌ كبار، كل حجرٍ قدر البعير، والمرادُ برفعِ القواعد: بناءُ البيت ورفعه عليها.

(١) «التفسير الوسيط» للواحدي (١/٢١٠)، وعبارته: (ذكر المفسرون: أن الله تعالى بعث جبريل إلى الشام حتى اقتلع الطائف من موضع الأردن، ثم طاف بها حول الكعبة، فسُمِّيت الطائف، ثم أنزلها تهامة، ومنها يُجَبى إلى مكة الثمرات).

(٢) تقدم مثاله قريباً (١/٢٣٣).

مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ

الْأُسُسَ أَوْ الْجُدُرَ ﴿مِنَ الْبَيْتِ﴾ : يَبْنِيهِ، - مُتَعَلِّقٌ بِ﴿يَرْفَعُ﴾ - ﴿وَإِسْمَاعِيلُ﴾ - عَطَفٌ عَلَى ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ -

حاشية الصاوي

قوله: (الأسُس) جمع أساس، وهي القواعدُ.

وقوله: (والجُدُر) جمع جدار، وهي الأسُس، فالعطفُ مرادف.

وقصة بناء البيت: أن الله لَمَّا خلقَ الماءَ قبلَ الأرضِ بألفي عام، كان ذلك البيتُ زَبْدَةً بيضاءَ على وجهِ الماءِ، فذُجِيتِ الأرضُ وبُسطتِ وامتدَّت من تلك الزَبْدَةِ، فلَمَّا أَهبطَ آدَمُ إلى الأرضِ استوحشَ إلى ذكرِ الله، فأنزَلَ اللهُ البيتَ المعمُورَ، وهو من ياقوتة حمراءَ له بابانِ من زُمُرُودَ خضراءَ، بابٌ بالشرقِ وبابٌ بالمغربِ، ووضع موضعَ الزَبْدَةِ، فكان يأتيه ماشياً من الهند، ورد: «أنه حجَّه ماشياً أربعين عاماً، فلَمَّا فرغَ قالتِ الملائكةُ: لقد برَّ حجُّك يا آدم»، فلَمَّا جاء الطوفانُ أمرَ اللهُ برفعه إلى السماءِ السابعة، فكان موضعُ البيتِ خالياً إلى زمنِ إبراهيمَ، وبعثَ اللهُ جبريلَ حينَ رفعه فخبأَ الحجرَ الأسودَ في جبلِ أبي قُبَيْسٍ صيانةً له من الغرقِ، هكذا قيل^(١).

والمشهورُ: أن أوَّلَ من بناه الملائكةُ، ثم آدَمُ، ثم شيثٌ، واستمرَّ حتى جاء طوفانُ نوحٍ، فأذهبَ رسومه الظاهرية لا قواعده؛ لأنها ثابتةٌ متصلةٌ بالأرضِ السابعة، ثم أتى جبريلُ بالحجرِ الأسودِ وألقاهُ لجبلِ أبي قُبَيْسٍ، فلَمَّا أتى إبراهيمُ وأراد بناءه جاءه جبريلُ وحدَّده له وأعلمه بالحجرِ الأسودِ، فبناه على طبقِ ما رأى من القواعد، ثم بناه بعده العمالقةُ، ثم جُرْهُمُ، ثم قصيٌّ، ثم قريشٌ وكان الواضعُ للحجرِ الأسودِ في محلِّه النبي ﷺ، وقَصَرَتْ بهم النفقةُ فلم يُتِمِّمُوا بناءه على قواعد إبراهيم، بل نقضوه وأخرجوا الحجرَ منه^(٢)، ثم ابنُ الزبيرِ وقد ردَّه لقواعد إبراهيم مستدلاً بحديثٍ عن عائشة: «لولا قومك حديثو عهدٍ بكفرٍ لَبْنَيْتُ الْبَيْتَ على قواعد إبراهيم»^(٣)، فلما تولَّى الحجاجُ - عامله اللهُ بعدله - حاربَ ابنَ الزبيرِ وقتله، وهدمَ البيتَ بالمنجنيقِ، وبناه كما بنته قريشٌ، وهو الآن على بنائه^(٤).

(١) كذا عند البغوي في «تفسيره» (١/١٦٦)، ورواه متفرقاً الطبري في «تفسيره» (٦/٢٠)، والزَّبْدَةُ: طائفة من زبد الماء.

(٢) لعل العبارة: (بل نقضوه) بالصاد المهملة، ونقص الثلاثي يتعدى بنفسه، قال تعالى: ﴿نَقَضْهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾.

(٣) رواه البخاري (١٢٦)، ومسلم (١٣٣٣) من حديثها بها بنحوه.

(٤) ذكر ذلك الحافظ القسطلاني في «إرشاد الساري» (٣/١٤٤)، قال في «الفتوحات» (١/١٠٧) بعد إيراده: (وهذا =

رَبَّنَا نَقْبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ
لَكَ وَآرِنَا مَنَاسِكَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ

يَقُولَانِ: ﴿رَبَّنَا نَقْبَلْ مِنَّا﴾ بِنَاءَنَا؛ ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾ لِلْقَوْلِ، ﴿الْعَلِيمُ﴾ بِالْفَعْلِ.

﴿١٢٨﴾ ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ﴾: مُنْقَادِينَ ﴿لَكَ وَ﴾ اجْعَلْ ﴿مِنْ ذُرِّيَّتِنَا﴾: أَوْلَادِنَا ﴿أُمَّةً﴾: جَمَاعَةً ﴿مُسْلِمَةً لَكَ﴾، - و﴿مِنْ﴾ لِلتَّبَعِيضِ، وَأَتَى بِهِ لِتَقْدُّمِ قَوْلِهِ: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ -
﴿وَأَرِنَا﴾: عَلَّمْنَا ﴿مَنَاسِكَا﴾: شَرَائِعَ عِبَادَتِنَا أَوْ حُجَّنَا، ﴿وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ

حاشية الصاوي

ونظمهم بعضهم فقال: [الطويل]

بَنَى بَيْتَ رَبِّ الْعَرْشِ عَشْرَ فُحُذُهُمْ مَلَائِكَةُ اللَّهِ الْكِرَامِ وَأَادُمُ
فَشِيْتُ فَاِبْرَاهِيمُ ثُمَّ عَمَالِقُ قُصِي قُرَيْشٌ قَبْلَ هَٰذَيْنِ جُرْهُمُ
وَعَبْدُ الْإِلَهِ بَنُ الزُّبَيْرِ بَنَى كَذَا بِنَاءً لِحَاجَّاجٍ وَهَذَا مُتَمَّمُ

قوله: (يقولان) قَدَّرَهُ الْمَفْسِّرُ لِيَصَحَّ جَعْلُ الْجُمْلَةِ حَالاً مِنْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ؛ لِأَنَّ الْجُمْلَةَ الْإِنشَائِيَّةَ لَا تَقَعُ حَالاً إِلَّا بِتَقْدِيرٍ، وَعَبَّرَ بِالْمُضَارِعِ فِي ﴿يَرْفَعُ﴾ اسْتِحْضَاراً لِلْحَالِ الْمَاضِيَةِ لِعَظَمِ شَأْنِهِ، كَأَنَّهُ حَاصِلُ الْآنَ وَهُوَ يَحْدُثُ عَنْهُ.

قوله: (للقول) أَي: دَعَائِنَا.

قوله: (بالفعل) أَي: بِنَائِنَا.

قوله: (منقادين) أَي: كَامِلِينَ فِي الْإِنْقِيَادِ؛ لِأَنَّ الْكَامِلَ يَقْبَلُ الْكَمَالَ، وَلَيْسَ الْمَرَادُ طَلَبُ أَصْلِ الْإِسْلَامِ؛ لِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ مَعْصُومُونَ مِنْ كُلِّ مَعْصِيَةٍ سِوَمَا الْكُفْرِ.

قوله: (جماعة) أَي: وَهُوَ الْأَصْلُ الْكَثِيرُ، وَتُطْلَقُ عَلَى الْمُقْتَدِي بِهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: ١٢٠]، وَتُطْلَقُ عَلَى الْمَلَّةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٢].
قوله: ﴿وَأَرِنَا﴾ (رَأَى عَرَفَانِيَّةً تَنْصِبُ مَفْعُولاً وَاحِداً، وَدَخَلَتْ عَلَيْهَا الْهَمْزَةُ فَتَعَدَّتْ لِاثْنَيْنِ، فَ(نَا) مَفْعُولٌ أَوَّلٌ، وَ﴿مَنَاسِكَا﴾ مَفْعُولٌ ثَانٍ.

= بحسب ما اطلع عليه، وإلا فقد بناه بعد ذلك بعض الملوك سنة ألف وتسع وثلاثين كما نقله بعض المؤرخين، ثم أورد الآيات الآتية.

التَّوَابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ.....

التَّوَابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ سَأَلَاهُ التَّوْبَةَ مَعَ عَصَمَتِهِمَا تَوَاضَعًا وَتَعْلِيمًا لِذُرِّيَّتِهِمَا.

﴿١٢٩﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ ﴿١٢٩﴾ أَي: أَهْلَ الْبَيْتِ ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَقَدْ أَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَهُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾: الْقُرْآنَ، ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾: الْقُرْآنَ ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ أَي: مَا فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ، ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾: يُطَهِّرُهُمْ مِنَ الشُّرْكِ؛ ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾: الْغَالِبُ، ﴿الْحَكِيمُ﴾ فِي صُنْعِهِ.

﴿١٣٠﴾ وَمَنْ ﴿١٣٠﴾ أَي: لَا ﴿يَرْغَبُ عَنْ مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ فَيَتْرُكُهَا.....

حاشية الصاوي

قوله: ﴿التَّوَابُ﴾ (أَي: كَثِيرُ الْقَبُولِ لِتَوْبَةِ مَنْ تَابَ، وَيُوصَفُ الْعَبْدُ بِذَلِكَ الْوَصْفِ بِمَعْنَى: كَثِيرُ التَّوْبَةِ وَالرُّجُوعِ عَنِ الْقَبَائِحِ وَالرَّذَائِلِ).

قوله: ﴿الرَّحِيمُ﴾ (أَي: عَظِيمُ الرَّحْمَةِ، وَهِيَ الْإِنْعَامُ أَوْ إِرَادَتُهُ).

قوله: (تَوَاضَعًا) أَي: أَوْ طَلَبًا لِلارْتِقَاءِ مِنْ مَقَامٍ أَعْلَى مِمَّا هُمَا فِيهِ.

قوله: (أَهْلُ الْبَيْتِ) أَي: بَيْتَ إِبْرَاهِيمَ، وَهُمْ ذُرِّيَّتُهُ، وَلَمْ يَأْتِ نَبِيٌّ مِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ إِلَّا نَبِيًّا ﷺ، وَأَمَّا غَالِبُ الْأَنْبِيَاءِ فَمِنْ ذُرِّيَةِ إِسْحَاقَ.

قوله: ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ (أَي: هِيَ الْعِلْمُ النَّافِعُ).

قوله: (الْغَالِبُ) أَي: الَّذِي أَمْرُهُ نَافِذٌ.

قوله: ﴿الْحَكِيمُ﴾ (أَي: الَّذِي يَضَعُ الشَّيْءَ فِي مَحَلِّهِ).

قوله: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ (سَبَبُ نَزُولِهَا: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ أُسْلِمَ وَكَانَ لَهُ ابْنَانِ أَخٌ، أَحَدُهُمَا اسْمُهُ مَهَاجِرٌ، وَالثَّانِي اسْمُهُ سَلَمَةُ، فَدَعَاهُمَا إِلَى الْإِسْلَامِ وَقَالَ لَهُمَا: قَدْ عَلِمْتُمَا أَنَّ اللَّهَ قَالَ فِي التَّوْرَةِ: إِنِّي بَاعْتُ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ نَبِيًّا اسْمُهُ أَحْمَدُ، مَنْ آمَنَ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَى، وَمَنْ لَمْ يُؤْمَرْ بِهِ فَهُوَ مَلْعُونٌ، فَاسْلَمْ سَلَمَةُ، وَأَبَى مَهَاجِرٌ، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ^(١)، وَالْعِبْرَةُ بِعُمُومِ اللَّفْظِ لَا بِخُصُوصِ السَّبَبِ).

قوله: (أَي: لَا ﴿يَرْغَبُ﴾) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْاسْتِفْهَامَ إِنكَارِيٌّ بِمَعْنَى النِّفْيِ، وَالِاسْتِثْنَاءُ الْمَفْرَغُ لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ النَّفْيِ وَمَا فِي مَعْنَاهُ، وَالرَّغْبَةُ عَنِ الشَّيْءِ: الزَّهْدُ فِيهِ.

(١) كَذَا فِي «تَفْسِيرِ الْبَغْوِيِّ» (١/١٦٩)، قَالَ الْإِمَامُ السِّيُوطِيُّ فِي «حَاشِيَتِهِ عَلَى الْبِيضَاوِيِّ» (٢/٣١٥): (لَمْ أَقِفْ عَلَيْهِ فِي شَيْءٍ مِنْ كِتَابِ الْحَدِيثِ وَلَا التَّفَاسِيرِ الْمُسْتَنَدَةِ).

إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ، وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾

﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾: جَهْلَ أَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ لِلَّهِ يَجِبُ عَلَيْهَا عِبَادَتُهُ، أَوْ اسْتَخَفَّ بِهَا وَامْتَهَنَهَا،
﴿وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ﴾: اخْتَرْنَاهُ ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ بِالرَّسَالَةِ وَالْخُلَّةِ، ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾
الَّذِينَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى.

﴿١٣١﴾ وَاذْكُرْ ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ﴾: انْقَذَ لِلَّهِ وَأَخْلَصَ لَهُ دِينَكَ، ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ
الْعَالَمِينَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿عَنْ مَلَّةٍ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: دِينَهُ وَشَرِيعَتَهُ، فَالْمَلَّةُ وَالِدِينَ وَالشَّرِيعَةُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ، وَهُوَ
الْأَحْكَامُ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ لِلتَّعَبُّدِ بِهَا، فَمِنْ حَيْثُ إِمْلَاؤُهَا يُقَالُ لَهَا: مَلَّةٌ، وَمِنْ حَيْثُ شَرْعُهَا يُقَالُ لَهَا:
شَرِيعَةٌ، وَمِنْ حَيْثُ التَّدْيِينُ بِهَا يُقَالُ لَهَا: دِينٌ.

قوله: ﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾: يَحْتَمِلُ أَنْ ﴿مَنْ﴾: اسْمٌ مُوصُولٌ، وَالْجُمْلَةُ بَعْدَهَا صِلَةٌ، أَوْ نَكْرَةٌ،
وَالْجُمْلَةُ بَعْدَهَا صِفَةٌ، وَعَلَى كُلٍّ: فَهُوَ بَدَلٌ مِنْ فَاعِلٍ ﴿يَرْغَبُ﴾، التَّقْدِيرُ: لَا يَرْغَبُ عَنْ مَلَّةٍ إِبْرَاهِيمَ
أَحَدٌ إِلَّا الَّذِي أَوْ شَخْصٌ سَفِهَ نَفْسَهُ.

قوله: ﴿جَهْلَ أَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ﴾ هَذَا بِنَاءٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ إِلَّا بِتَضْمِينِهِ مَعْنَى جَهْلٍ، وَمَعْنَى
جَهْلِهِ نَفْسَهُ: لَمْ يَتَأَمَّلْ وَلَمْ يَنْظُرْ فِيهَا فَيَسْتَدِلَّ عَلَى أَنَّ لَهَا صَانِعًا أَتَقَنَّ صَنْعَهَا فَيُؤْمِنَ بِهِ.
قوله: ﴿أَوْ اسْتَخَفَّ بِهَا﴾ هَذَا بِنَاءٌ عَلَى أَنَّهُ يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ كَالْمَشْدَدِ، وَمَعْنَى اسْتَخْفَافِهِ بِهَا: تَرْكُهُ
الْعِبَادَةَ لِلَّهِ الَّتِي بِهَا الْعَزُّ الْأَبَدِي.

قوله: ﴿وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ﴾ هَذَا حِجَّةٌ لِقَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ﴾، وَأُكِّدَتْ هَذِهِ الْجُمْلَةُ بِاللَّامِ فَقَطْ
وَمَا بَعْدَهَا بِ(إِنَّ) وَاللَّامِ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْجُمْلَةَ مُتَعَلِّقَةٌ بِأَمْرِ الدُّنْيَا، وَهُوَ فِيهَا ظَاهِرُ الْحَالِ، بِخِلَافِ الْجُمْلَةِ
الثَّانِيَةِ، فَإِنَّهَا مُتَعَلِّقَةٌ بِالْآخِرَةِ، وَهُوَ أَمْرٌ مَغِيبٌ لَا يُؤْمِنُ بِهِ إِلَّا مَنْ نَوَّرَ اللَّهُ بَصِيرَتَهُ، فَاحْتَاجَتْ لِزِيَادَةِ
التَّأَكِيدِ.

وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنَئِ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَى لَكُمْ الَّذِينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾

﴿١٣٢﴾ ﴿وَوَصَّى﴾ - وفي قراءة: ﴿أَوْصَى﴾ - ﴿بِهَا﴾: بِالْمِلَّةِ ﴿إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ بَنِيهِ، قَالَ: ﴿يَبْنَئِ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَى لَكُمْ الَّذِينَ﴾ دِينَ الْإِسْلَامِ، ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، نَهَى عَنْ تَرْكِ الْإِسْلَامِ، وَأَمَرَ بِالثَّبَاتِ عَلَيْهِ إِلَى مُصَادَفَةِ الْمَوْتِ.

حاشية الصاوي

قوله: (وفي قراءة: وأوصى) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١)، فالهمز والتضعيف أخوان.

قوله: ﴿إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ﴾ أي: وهم إسماعيل وهو من هاجر، وإسحاق وهو من سارة، وكان له ستة أولاد من امرأة تُسَمَّى قنطوراء الكنعانية، تزوجها بعد وفاة سارة، فجملة أولاده ثمانية، وقيل: أربعة عشر^(٢).

قوله: ﴿وَيَعْقُوبُ﴾ بنيه أشار بذلك إلى أن (يعقوب) بالرفع معطوف على ﴿إِبْرَاهِيمُ﴾، والمنعول محذوف قدره المفسر بقوله: (بنيه)، وهم اثنا عشر: روبيل بضم الراء، وشمعون، ولاوي، ويهوذا، ويشبوعون، وزبولون، ودون، وبقيون، وكودا، وأوشيز، وبنيامين، ويوسف، كذا في «البيضاوي»^(٣).

قوله: (قال: ﴿يَبْنَئِ﴾) هذا هو صورة الوصية.

قوله: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ﴾ أصله: تموتون، أَكْثَرُ بِالنُّونِ فَصَارَ تَمُوتُنَّ، حذفت نون الرفع لتوالي الأمثال فالتقا ساكنان الواو والنون، حُذِفَتِ الْوَائِلَتَانِ لِاتِّقَائِهِمَا.

قوله: (نهى عن ترك الإسلام... إلخ) دفع بذلك ما يُقال: إن الموت على الإسلام ليس في طاقة العبد، فما معنى التكليف به؟ فأجاب: بأن المراد التكليف بالإسلام والنهى عن تركه؛ كقوله لشخص: لا تصل إلا وأنت خاشع، فهو نهى عن ترك الخشوع فيها.

(١) قرأ نافع وابن عامر: (وأوصى)، وقرأ الباقون: (ووصى). انظر «البحر المحيط» (١/٥٧٠).

(٢) كذا في «تفسير البغوي» (١/١٧٠).

(٣) خلاف عريض في ضبط أسمائهم، وفي مطبوعة «البيضاوي» (١/١٠٧): (روبل، وشمعون، ولاوي، ويهوذا، ويشسوخور، وزبولون، ونفتوني، ودون، وكودا، وأوشير، وبنيامين، ويوسف)، وانظر «الفتوحات» (١/١٠٩).

أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾

﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا قَالَ الْيَهُودُ لِلنَّبِيِّ: أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ يَعْقُوبَ يَوْمَ مَاتَ أَوْصَى بَنِيهِ بِالْيَهُودِيَّةِ؟ نَزَلَ: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾: حُضُورًا ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ﴾ - بَدَلٌ مِنْ ﴿إِذْ﴾ قَبْلَهُ - ﴿قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾: بَعْدَ مَوْتِي؟ ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ عَدُّ إِسْمَاعِيلَ مِنَ الْآبَاءِ تَغْلِيْبٌ، وَلِأَنَّ الْعَمَّ بِمَنْزِلَةِ الْأَبِ، ﴿إِلَهًا وَاحِدًا﴾ - بَدَلٌ مِنْ ﴿إِلَهَكَ﴾ - ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾، - و﴿أَمْ﴾ بِمَعْنَى هَمْزَةِ الْإِنْكَارِ - أَي: لَمْ تَحْضُرُوهُ وَقَتَ مَوْتِهِ، فَكَيْفَ تَنْسُبُونَ إِلَيْهِ مَا لَا يَلِيقُ بِهِ؟!

حاشية الصاوي

قوله: (بدل من ﴿إِذْ﴾ قبله) أي: بدل اشتمال.

قوله: (﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾) أتى بـ(ما) دون (مَنْ) امتحاناً لهم؛ لأنه في زمنه كثرت عبادة غير الله، وإنما امتحنتهم لتظهر سرائرهم.

قوله: (﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ ... إلخ) بدل من ﴿إِلَهًا وَاحِدًا﴾، وكرّر (إله) لأنه الفصيح مطلقاً، اسماً كما هنا أو حرفاً، كـ(مررت بك وبزيد)، قال ابن مالك: [الرجز]

وَعَوْدُ خَافِضٍ لَدَى عَظْفٍ عَلَى ضَمِيرٍ خَفُضٍ لَازِمًا قَدْ جُعِلَ^(١)

قوله: (﴿وَإِسْمَاعِيلَ﴾) قدّمه على إسحاق وإن كان أباً يعقوب؛ لِمَزَيَّتَيْنِ: كونه أَسَنَ منه، وكونه أباً للنبي ﷺ.

قوله: (ولأن العم بمنزلة الأب) أي: لما في الحديث: «عَمُّكَ صِنُّ أَبِيكَ»^(٢).

قوله: (﴿إِلَهًا وَاحِدًا﴾) كرّره لدفع توهم التعدّد من تعدّد المضاف.

قوله: (بمعنى همزة الإنكار) أي: فتارة تفسّر بها وحدها كما هنا، وتارة تفسّر بها وبـ(بل)، وتارة تفسّر بـ(بل) وحدها.

(١) «الخلاصة» (باب حروف الجر).

(٢) رواه مسلم (٩٨٣) بلفظ: «عم الرجل صِنُّ أَبِيهِ» من حديث أبي هريرة ؓ؛ أي: أن أصله وأصل أبيه واحد، أو المراد بالصُّنو: المثل؛ أي: مثل أبيه.

تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَقَالُوا
كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا

﴿١٣٤﴾ تِلْكَ - مُبْتَدَأٌ، والإشارةُ إلى إبراهيمَ ويعقوبَ وبنيهما، وَأَنْتَ لِتَأْنِيثِ خَبَرِهِ -
﴿أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾: سَلَفَتْ، ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ مِنَ الْعَمَلِ أَي: جَزَاؤُهُ، - اسْتِثْنَاءٌ - ﴿وَلَكُمْ﴾
الْخِطَابُ لِلْيَهُودِ ﴿مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ كما لَا يُسْأَلُونَ عَنْ عَمَلِكُمْ.
والجُمْلَةُ تَأْكِيدٌ لِمَا قَبْلَهَا.

﴿١٣٥﴾ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا ﴿١﴾ - (أَوْ) لِلتَّفْصِيلِ - وَقَائِلُ الْأَوَّلِ يَهُودُ
الْمَدِينَةِ، وَالثَّانِي نَصَارَى نَجْرَانَ، ﴿قُلْ لَهُمْ﴾: ﴿بَلْ﴾ نَتَّبِعُ ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾
حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾﴾ هذا ردٌّ على اليهود من حيث افتخارهم بأبائهم.

قوله: (من العمل) أي: فلا ينفع أحداً كسبٌ غيره، بل كلُّ امرئٍ بما كسب رهينٌ، خيراً كان
أو شراً.

قوله: (استثناء) أي: ف﴿لَهَا﴾ خبرٌ مقدَّم، و﴿مَا﴾: مُبْتَدَأٌ مؤخَّر، و﴿كَسَبَتْ﴾: صَلَّتْهَا،
والعائدُ محذوفٌ؛ أي: كَسَبَتْه.

قوله: (والجملة تأكيد لما قبلها) أي: لأنه إذا كان لها ما كسبت فلا يُسألون عن عملكم، وإذا
كان لكم ما كسبتم فلا تُسألون عما كانوا يعملون، وقوله: (كما لا يسألون عن عملكم) إشارةٌ إلى
أن في الكلام اكتفاءً.

قوله: ﴿﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾﴾ هذا في المعنى معطوف على قوله في: ﴿﴿مَا نَسَخْ﴾﴾
﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾.

قوله: ﴿﴿تَهْتَدُوا﴾﴾ أي: تَصَلُّوا للخير وتبلغوا السعادة.

قوله: (أو للتفصيل) أي: لا للجمع؛ فإن مقالة يهود المدينة: كونوا هوداً تهتدوا؛ لأنه لا يدخلُ
الجنة إلا من كان هوداً، ومقالة نصارى نجران: كونوا نصارى تهتدوا؛ لأنه لا يدخلُ الجنة إلا من
كان نصارى.

قوله: (نتبع) قدره إشارةٌ إلى أن ﴿﴿مِلَّةَ﴾﴾ معمولٌ لمحذوف، والجملة مقولُ القول في محلِّ

نصب.

وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ إِبْرَاهِيمَ وَلَا إِسْمَاعِيلَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ

- حَالٌ مِنَ ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ -: مائلاً عَنِ الْأَدْيَانِ كُلِّهَا إِلَى الدِّينِ الْقَيِّمِ، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.
 ﴿١٣٦﴾ ﴿قُولُوا﴾ - خِطَابٌ لِلْمُؤْمِنِينَ -: ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ مِنَ الْقُرْآنِ، ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ إِبْرَاهِيمَ﴾ مِنَ الصُّحُفِ الْعَشْرِ، ﴿وَالْأَسْبَاطَ﴾: أَوْلَادِهِ،
 حاشية الصاوي

قوله: (حَالٌ مِنَ إِبْرَاهِيمَ) أي: والشرطُ موجود، وهو كونُ المضاف كالجزء من المضاف إليه.
 قوله: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ تعريضٌ لهم بأنهم هم المشركون.
 قوله: (خِطَابٌ لِلْمُؤْمِنِينَ) أي: ويصحُّ أن يكون خطاباً لليهود والنصارى؛ أي: إذا أردتم النجاة فلا تشركوا وقولوا: آمناً.

قوله: ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ معطوفٌ على لفظ الجلالة، وقوله: (من القرآن) بيانٌ لـ(ما).
 قوله: (من الصحف العشر) قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى [الأعلى: ١٨-١٩].

قوله: ﴿وَالْأَسْبَاطَ﴾... إلخ) إن قلت: إن إسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطَ لم ينزلْ عليهم كتابٌ.

أجيب: بأنه أُوحيَ إليهم بصفح إبراهيم، فلم يكن مغايراً لما أُنزلَ على إبراهيم^(١).
 قوله: (أولاده) أي: أولاد يعقوب، وهم أسباط بالنسبة لإسحاق وإبراهيم، وأولادهم أسباط للجميع، ويُؤخذ من الآية: أن الأسباط أنبياء، وهو المعتمدُ كما ذكره ابنُ حجر في «شرحه على الهمزية»^(٢).

إن قلت: حيث كانوا أنبياء فهم معصومون من الصغائر والكبائر قبل النبوة وبعدها، فكيف ذلك مع ما يأتي في سورة (يوسف) من رميه في الجبِّ، وإتيانهم على قميصه بدم كذب، وغير ذلك من الأمور المنافية للنبوة؟!

(١) وعبرة العلامة الجمل في «فتوحاته» (١/١١١): (وذكر إسماعيل وما بعده لكونهم مُرُوجِينَ ومقرَّرين لما أُنزل على إبراهيم، وإلا فليسوا منزَّلاً عليهم في الحقيقة).

(٢) «المنح المكية» (ص ٤١٢)، وللعلامة الصاوي شرح لها سمَّاه «الفرائد السنية».

وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ

﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَى﴾ مِنَ التَّوْرَةِ ﴿وَعِيسَى﴾ مِنَ الْإِنْجِيلِ، ﴿وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ مِنَ الْكُتُبِ وَالْآيَاتِ، ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ فَتُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَتُكْفِرُ بِبَعْضٍ، كَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.

﴿١٣٧﴾ ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا﴾ أَي: الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى ﴿بِمِثْلِ﴾ - (مِثْل) زَائِدٌ - ﴿مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عَنِ الْإِيمَانِ بِهِ، ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾:

حاشية الصاوي

أَجِيبَ: بَأَنَّهُمْ غَيْرُ مُشَرَّعِينَ، بَلْ هُمْ أَنْبِيَاءُ، فَالْمَدَارُ عَلَى خُلُوصِهِمْ فِي الْبَاطِنِ، عَلَى حَدِّ مَا قِيلَ فِي أَعْمَالِ الْخَضِرِ مَعَ مُوسَى، وَقَدْ شَهِدَ اللَّهُ لَهُ بِأَنَّهُ مَا فَعَلَهُ عَنْ أَمْرِهِ، فَيَكُونُ مَا جَرَى مِنَ الْأَسْبَابِ فِي حَقِّ يُوسُفَ كَمَا جَرَى مِنَ الْخَضِرِ أَوْ أَوْلَى، وَسَيَأْتِي بَسْطُ ذَلِكَ فِي سُورَةِ (يُوسُفَ) إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

قوله: ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَى﴾ عِبْرَ أَوَّلًا بِ﴿أُنْزِلَ﴾، وَثَانِيًا بِ﴿أُوتِيَ﴾ تَفْنُنًا وَدَفْعًا لِلثِقَلِ.

قوله: ﴿وَعِيسَى﴾ لَمْ يَكْرَرْ (مَا أُوتِيَ) لِأَنَّهُ مُؤَدَّى الْإِنْجِيلِ وَالتَّوْرَةِ وَاحِدٌ، وَإِنَّمَا التَّغَايُرُ فِي شَيْءٍ يَسِيرٍ، وَهُوَ تَحْلِيلُ بَعْضٍ مَا حُرِّمَ.

قوله: ﴿وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ﴾ هَذَا مِنْ عَطْفِ الْعَامِّ عَلَى الْخَاصِّ؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا الْإِيمَانَ بِجَمِيعِ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْهِمْ.

قوله: (كَالْيَهُودِ) أَي: فَإِنَّهُمْ آمَنُوا بِمُوسَى وَكَفَرُوا بِمَنْ عَدَاهُ، وَقَوْلُهُ: (وَالنَّصَارَى) أَي: فَإِنَّهُمْ آمَنُوا بِعِيسَى وَكَفَرُوا بِمَنْ عَدَاهُ.

قوله: (مِثْلُ زَائِدَةٍ) أَي: لِأَنَّ الْمَعْنَى عَلَى أَصَالَتِهَا فَاسِدٌ؛ لِأَنَّهُ يُوْهَمُ أَنَّهُمْ مَأْمُورُونَ بِالْإِيمَانِ بِمِثْلِ اللَّهِ، وَمِثْلُ مَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ... إلخ، وَهَذَا بَاطِلٌ^(١).

(١) وَزِيَادَةٌ (مِثْلُ) يَعْضِدُهَا كَمَا قَالَ أَبُو السَّعُودِ فِي «تَفْسِيرِهِ» (١/١٦٧) قِرَاءَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ: (بِمَا آمَنْتُمْ بِهِ)، وَقِرَاءَةُ أَبِي: (بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ)، أَوْ تَكُونُ الْبَاءُ زَائِدَةً، وَيَكُونُ التَّقْدِيرُ: فَإِنْ آمَنُوا مِثْلَ إِيْمَانِكُمْ، كَمَا قَالَ الْوَاحِدِيُّ فِي «الْوَسِيطِ» (١/٢٢١).

فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً وَتَحْنُ لَهُ عِبْدُونَ ﴿١٣٨﴾

خِلَافِ مَعَكُمْ، ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ يَا مُحَمَّدُ شِقَاقَهُمْ، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لِأَقْوَالِهِمْ، ﴿الْعَلِيمُ﴾ بِأَحْوَالِهِمْ. وَقَدْ كَفَاهُ إِيَّاهُمْ بِقَتْلِ قُرَيْظَةَ، وَنَفْيِ النَّصِيرِ وَضَرْبِ الْجِزْيَةِ عَلَيْهِمْ. ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ - مَصْدَرٌ مُؤَكَّدٌ لـ ﴿ءَامَنَّا﴾، وَنَصْبُهُ بِفِعْلِ مُقَدَّرٍ - أَي: صَبَغَنَا اللَّهُ، وَالْمُرَادُ بِهَا دِينُهُ الَّذِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهِ؛ لِظُهُورِ أَثَرِهِ عَلَى صَاحِبِهِ كَالصَّبْغِ فِي الثَّوبِ، ﴿وَمَنْ﴾ أَي: لَا أَحَدٌ ﴿أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ - تَمَيِّزٌ -، ﴿وَتَحْنُ لَهُ عِبْدُونَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (خِلَافِ) أي: مخالفةً للدين الحق، ويطلق على الضلال وعلى العداوة^(١)، وَيَصِحُّ إِرَادَةُ كُلِّ مِنْهُمَا؛ لِأَن مَن تَوَلَّى عَنِ الْإِيمَانِ فَهُوَ فِي ضَلَالٍ وَمَعَادَاةٍ لِلَّهِ. قوله: (شِقَاقَهُمْ) أي: ضَرَرَ ضَلَالِهِمْ وَمَخَالَفَتَهُمْ وَمَعَادَاتَهُمْ. قوله: (بِقَتْلِ قُرَيْظَةَ) أي: فَقَدْ قَتَلَ مِنْهُمْ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ سَبْعَ مِائَةٍ مِنْ صَنَادِيدِهِمْ، وَرُمُوا فِي الْخَنْدَقِ^(٢).

قوله: (وَضَرْبِ الْجِزْيَةِ عَلَيْهِمْ) أي: الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى. قوله: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ الصَّبْغُ بِالْكَسْرِ: أَثَرُ الصَّبْغِ بِالْفَتْحِ الَّذِي هُوَ الْمَصْدَرُ، وَسَبَبُ نَزُولِ الْآيَةِ: أَنَّ النَّصَارَى كَانُوا يَغْمِسُونَ أَوْلَادَهُمْ فِي مَاءٍ أَصْفَرَ يُسَمَّى مَاءَ الْمَعْمُودِيَّةِ، وَيَقُولُونَ حِينَئِذٍ: قَدْ صَارَ نَصْرَانِيًا حَقًّا، فَنَزَلَتْ رَدًّا عَلَيْهِمْ^(٣)، كَأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ لَهُمْ: صَبِغْتِي لِعَبِيدِي لَا أَحْسَنَ مِنْهَا صِبْغَةً. قوله: (أَي: صَبَغْنَا) مِنْ بَابِ: نَفَعَ وَضَرْبٍ وَنَصَرَ^(٤).

قوله: (كَالصَّبْغِ فِي الثَّوبِ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ فِي الْكَلَامِ اسْتِعَارَةً تَصْرِيحِيَّةً أَصْلِيَّةً؛ حَيْثُ شَبَّهَ أَثَارَ الْإِيمَانِ الْقَائِمَ بِالشَّخْصِ بِالصَّبْغِ الْقَائِمِ بِالثَّوبِ بِجَامِعِ الْمَكْثِ وَالظُّهُورِ فِي كُلِّ، وَاسْتَعْمَرَ اسْمُ

(١) فَحَاصِلُ مَعْنَى الشَّقَاقِ: الْمَخَالَفَةُ كَمَا هُنَا، وَالضَّلَالُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُ الْفَلَاحِيَيْنِ لَفِيَ شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾، وَالْعَدَاوَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي﴾، وَانْظُرِ «الْفَتْوحَاتُ» (١/١١١).

(٢) سَيَأْتِي الْحَدِيثُ عَنْ هَذَا فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ (٣١٨/٥).

(٣) «تَفْسِيرُ الْبَغْوِيِّ» (١/١٧٣) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٤) «الْمَصْبَاحُ الْمُنِيرُ» (ص ب غ).

قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَّا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ

﴿١٣٩﴾ قَالَ الْيَهُودُ لِلْمُسْلِمِينَ: نَحْنُ أَهْلُ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ وَقَبْلُنَا أَقْدَمُ، وَلَمْ تَكُنِ الْأَنْبِيَاءُ مِنَ الْعَرَبِ، وَلَوْ كَانَ مُحَمَّدٌ نَبِيًّا لَكَانَ مِنَّا، فَنَزَلَ: ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ: ﴿أَتَحَاجُّونَنَا﴾: تُخَاصِمُونَنَا ﴿فِي اللَّهِ﴾ أَنْ اصْطَفَى نَبِيًّا مِنَ الْعَرَبِ، ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾، فَلَهُ أَنْ يَصْطَفِيَ مَنْ يَشَاءُ، ﴿وَلَنَّا أَعْمَلْنَا﴾ نُجَازِي بِهَا، ﴿وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾ تُجَازُونَ بِهَا، فَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ فِي أَعْمَالِنَا حَاشِيَةُ الصَّاوِي

المشبه به للمشبه. وفي هذه الآية بُشِّرَ للمؤمنين عظمة، وهي أن الإيمان في القلب كالصبغ المتقن في الثوب، فكما لا يزول الصبغ من الثوب كذلك الإيمان لا يزول من القلب؛ لأن صبغة الله لا أحسن منها؛ ولذا قيل: إن موت المؤمن على غير الإيمان نادر كالكبريت الأحمر.

والمراد من الصبغة: الأنوار الكائنة في القلب والأعضاء؛ لأن الإيمان لا يكمل إلا إذا صبغ به كصبغة الثوب، قال تعالى: ﴿سَيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ [التحریم: ٨]، وفي الحديث: «لَوْ كُشِفَ عَنْ نَوْرِ الْمُؤْمِنِ الْعَاصِي لَأَضَاءَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»^(١)، وإنما انحجب عنه ليتم وعد الله ووعيده.

قوله: (قال اليهود) شروع في ذكر سبب نزول الآية.

قوله: (الأول) أي: السابق على الإنجيل والقرآن.

قوله: (من العرب) أي: بل كانت من بني إسرائيل.

قوله: ﴿قُلْ﴾ أي: يا محمد، والخطاب لكل عاقل يريد إقامة الحجّة عليهم.

قوله: (فله أن يصطفي من عباده من يشاء) أي: فلا حرج عليه في أفعاله.

قوله: ﴿وَلَنَّا أَعْمَلْنَا﴾ أي: فإن كانت النبوة من جهة اصطفاء الله واختياره فربكم هو ربنا،

يختص برحمته من يشاء، وإن كانت من جهة العمل فكما لكم أعمالاً تُجازون عليها لنا أعمالاً تُجازى عليها، فنحن مُشتركون معكم في العبودية والأعمال.

(١) قول مشهور للعارف بالله أبي الحسن الشاذلي رحمه الله، أوردته الثعالبي في «تفسيره» (٤/ ٣٩٠)، ولكن روى البيهقي في «الشعب» (٣٦٩) عن يعلى بن منه يرفعه: «إن النار تقول يوم القيامة: يا مؤمن؛ جُزْ فقد أطفأ نورك لهي»، وانظر «المقاصد الحسنة» (٣٤٤).

وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ

ما نَسْتَحِقُّ بِهِ الْإِكْرَامَ، ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ الَّذِينَ وَالْعَمَلُ دُونَكُمْ، فَنَحْنُ أَوْلَى بِالْإِصْطِفَاءِ.
- وَالْهَمْزَةُ لِلْإِنْكَارِ، وَالْجُمْلَةُ الثَّلَاثُ أَحْوَالٌ -.

﴿١٤٠﴾ ﴿أَمْ﴾ بَلْ أَمْ يَقُولُونَ - بِالْبَاءِ وَالنَّاءِ -: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ﴾ لَهُمْ: ﴿ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ أَي: اللَّهُ أَعْلَمُ؟ وَقَدْ بَرَّأ مِنْهُمَا إِبْرَاهِيمُ بِقَوْلِهِ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ [آل عمران: ٦٧]، وَالْمَذْكُورُونَ مَعَهُ تَبَعَ لَهُ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ أَي: لَمْ نَشْرِكْ بِهِ أَحَدًا بِخِلَافِكُمْ أَنْتُمْ، فَقَدْ زِدْنَا عَلَيْكُمْ وَصْفًا وَهُوَ الْإِخْلَاصُ، فَكَانَ الْأَوْلَى بِذَلِكَ نَحْنُ لَا أَنْتُمْ.

قوله: (أحوال) أَي: إِمَّا مِنَ الْوَاوِ أَوْ (نَا)، لَكِنِ الْأَظْهَرُ فِي الْأَخِيرَةِ أَنَّهَا حَالٌ مِنْ (نَا)، وَعَامِلُ الْحَالِ عَلَى كُلِّ هُوَ الْفِعْلُ الَّذِي هُوَ ﴿أَتَحَاجُّونَنَا﴾.

قوله: (بالياء والناء) أَي: فَهُمَا قِرَاءَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ^(١).

قوله: ﴿أَوْ نَصَارَى﴾ (أَوْ): لِلتَّقْسِيمِ وَالتَّوْزِيعِ، فَالْيَهُودُ نَسَبُوا لَهُمُ الْيَهُودِيَّةَ، وَالنَّصَارَى نَسَبُوا لَهُمُ النَّصْرَانِيَّةَ.

قوله: ﴿ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ﴾ الْهَمْزَةُ لِلْاسْتِفْهَامِ، وَمَا بَعْدَهَا مَبْتَدَأٌ وَخَبَرٌ، وَالْمُسْتَفْهَمُ عَنْهُ يَجُوزُ تَوْسُطُهُ بَيْنَ الْهَمْزَةِ وَ(أَمْ) كَمَا هُنَا، وَهُوَ الْأَحْسَنُ، وَيَجُوزُ فِي غَيْرِ الْقُرْآنِ أَنْ تَقُولَ: أَأَعْلَمُ أَنْتُمْ أَمْ اللَّهُ؟ أَوْ: أَنْتُمْ أَمْ اللَّهُ أَعْلَمُ؟

قوله: ﴿أَمِ اللَّهُ﴾ (أَمْ): مُعَادِلَةٌ لِلْهَمْزَةِ الَّتِي هِيَ لِطَلْبِ التَّعْيِينِ، وَاسْمُ التَّفْضِيلِ لَيْسَ عَلَى بَابِهِ، بَلْ لِلتَّهْكُمِ وَالِاسْتِهْزَاءِ.

قوله: (أَي: اللَّهُ أَعْلَمُ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّهُ جَوَابُ الْاسْتِفْهَامِ، وَأَنَّ خَبَرَ الْمَبْتَدَأِ مَحْذُوفٌ دَلٌّ عَلَيْهِ الْمَذْكُورُ.

قوله: (تَبَعَ لَهُ) جَوَابٌ عَنْ سُؤَالٍ مُقَدَّرٍ، تَقْدِيرُهُ: إِنْ اللَّهُ قَدْ بَرَّأَ إِبْرَاهِيمَ وَلَمْ يَذْكُرْ مَعَهُ أَوْلَادَهُ،

(١) قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَحَمْزَةُ وَالْكَسَائِيُّ وَخَفَصٌ بِالنَّاءِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالْيَاءِ. انْظُرْ «الْبَحْرُ الْمَحِيطُ» (١/٥٨٦).

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُنْشَئُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ﴾: أَخْفَى عَنِ النَّاسِ ﴿شَهَادَةً عِنْدَهُ﴾ كَائِنَةً ﴿مِنَ اللَّهِ﴾؟
 أي: لا أَحَدٌ أَظْلَمُ مِنْهُ، وَهُمْ الْيَهُودُ؛ كَتَمُوا شَهَادَةَ اللَّهِ فِي التَّوْرَةِ لِإِبْرَاهِيمَ بِالْحَنِيفِيَّةِ، ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ - تَهْدِيدٌ لَهُمْ -
 ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُنْشَئُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾
 تَقْدِمُ مِثْلُهُ.

حاشية الصاوي

ومن جملة ما رُدَّ عليهم به قوله تعالى: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكَتَبُ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ٦٥].

قوله: (كائنة ﴿مِنَ اللَّهِ﴾) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿عِنْدَهُ﴾ صفةٌ أولى لـ ﴿شَهَادَةً﴾، وقوله: ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ متعلقٌ بمحذوف صفة ثانية لها.

قوله: (لإبراهيم بالحنيفية) أي: ولمحمد بالرسالة، حيث ذكر الله أوصافه وأخلاقه في كتبهم، فغيروها وبدّلوها.

قوله: (﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾) الغفلة: هي تركُ الشيء مع التمكن من العلم به، وذلك مستحيلٌ على الله تعالى، فالمرادُ بها الإمهالُ ليوم القيامة، وممّا يُفسرُ تلك الآيةَ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، وقوله: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ أبلغ من التهديد من قوله: والله عليمٌ بما تعملون مثلاً؛ لأن عدم الغفلة يستلزم العلم، بخلاف العلم فلا يستلزم عدم الغفلة.

قوله: (﴿تِلْكَ أُمَّةٌ﴾) أي: أنبياء بني إسرائيل.

قوله: (﴿قَدْ خَلَتْ﴾) أي: سبقَتْ.

قوله: (﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾) أي: من خيرٍ أو شرٍّ.

قوله: (﴿وَلَا تُنْشَئُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾) أي: ولا يُسألون عن عملكم.

قوله: (تقديم مثله) أي: وإنما كرّره الله لمزيد بلادتهم؛ فإن السامع إذا كان بليداً فالأبلغ تكرار الكلام له؛ لإقامة الحجة عليه.

سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّهُمْ عَن قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِمْ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي
مَنْ يَشَاءُ

﴿١٤٢﴾ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ: الْجُهَّالُ ﴿مِنَ النَّاسِ﴾: الْيَهُودُ وَالْمُشْرِكِينَ: ﴿مَا وَلَّهُمْ﴾: أَيُّ شَيْءٍ صَرَفَ النَّبِيَّ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ ﴿عَن قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِمْ﴾: عَلَى اسْتِقْبَالِهَا فِي الصَّلَاةِ وَهِيَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ؟ - وَالْإِتْيَانُ بِالسَّيْنِ الدَّالَّةُ عَلَى الْإِسْتِقْبَالِ مِنَ الْإِخْبَارِ بِالْغَيْبِ - ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ أَيُّ: الْجِهَاتُ كُلُّهَا؛ فَيَأْمُرُ بِالتَّوَجُّهِ إِلَى أَيِّ جِهَةٍ شَاءَ لَا اعْتِرَاضَ عَلَيْهِ، ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ﴾ سيأتي للمفسر أن الآية من الإخبار بالغيب، وحاصل ذلك: أن النبي كان يستقبل الكعبة في صلاته وهو بمكة، فلما هاجر إلى المدينة أمر باستقبال بيت المقدس، فأنزل الله هذه الآية ليُعلمه بأنه سيحوّله للكعبة فيُعترض عليه، وليكون معجزة له من حيث إخباره بالمغيّبات، ثم نزلت آية تحويل القبلة، فمقتضاء: أن هذه الآية متقدمة في النزول والتلاوة، ودرج على ذلك جماعة من المفسرين، والذي ورد عن ابن عباس وغيره: أنها متقدمة في التلاوة، متأخرة في النزول عن آية التحويل^(١).

وحكمة الإتيان بالسَّيْنِ: إفادة الاستمرار على هذه المقالة منهم وممن يأتي بعدهم. والسفهاء: جمع سفيه، وهو من يتجنب المنافع، ويتعلق بالمضارّ دنيوية أو دينية، ولا شك أن الكافر تعلق بالمضارّ الدينية، فكل كافر سفيه.

قوله: ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ بيان للسفهاء، احترازاً عن البهائم؛ فإنها تُسمّى سفهاء أيضاً.

قوله: (اليهود) أي: فإنهم اعترضوا على النبي وأصحابه في تحوّلهم عن جهة بيت المقدس إلى جهة الكعبة، وقوله: (والمشركين) أي: فإنهم اعترضوا عليهم في تحوّلهم أولاً ورجوعهم ثانياً.

قوله: ﴿مَا وَلَّهُمْ﴾: استفهامية، والجملة بعدها خبر عنها.

قوله: (إلى أي جهة شاء) أي: فالأمر باستقبال جهة مخصوصة تعبدية لا نعقل له معنى.

(١) وهي قوله تعالى: ﴿قَدْ رَأَى ثَقَلُوبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاوَاتِ﴾، قال العلامة الجمل في «فتوحاته» (١/١١٤): (وقول الشيخ المصنف كالقاضي البضاوي تبعاً لما في «الكشاف»، والإتيان بالسَّيْنِ الدالة على الاستقبال من الإخبار بالغيب هو ما عليه أكثر المفسرين).

إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ

هُدَايَتَهُ ﴿إِلَى صِرَاطٍ﴾: طَرِيقٍ ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾: دِينِ الإسلام، أَي: وَمِنْهُمْ أَنْتُمْ، دَلَّ عَلَى هَذَا: ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما هَدَيْنَاكُمْ إِلَيْهِ ﴿جَعَلْنَاكُمْ﴾ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾: خِيَارًا عُدُولًا؛ ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّ رُسُلَهُمْ بَلَّغَتْهُمْ،

حاشية الصاوي

قوله: (هُدَايَتَهُ) مفعول ﴿يَشَاءُ﴾.

قوله: (ومنهم أنتم) أي: من المهتدين أمة محمد ﷺ.

قوله: ﴿وَكَذَلِكَ﴾ اسمُ الإشارة عائدٌ على الهداية.

قوله: (أَي: كما هَدَيْنَاكُمْ إِلَيْهِ ﴿جَعَلْنَاكُمْ﴾) أَي: فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِمَتْنَيْنِ: الأولى الهداية، الثانية جعلهم خياراً عدولاً، وجعلَ بمعنى صَيَّرَ، فالكافُ: مفعولٌ أوَّل، و﴿أُمَّةً﴾: مفعولٌ ثاني^(١).

قوله: ﴿وَسَطًا﴾ هو في الأصل: المكانُ الذي استَوَتْ إليه الجهاتُ، ثم أُطلقَ وأريدَ منه الخصالُ الحميدة، فالمعنى: أصحابُ خصالٍ حميدة، ولا شكَّ أن مَنْ كان كذلك فهمُ خيارٌ عُدُول.

قوله: (خياراً عدولاً) أَي: أصحابَ علمٍ وعملٍ، ولا يخلو زمانٌ منهم؛ لما في الحديث: «لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ»^(٢)، وما دامَ القرآنُ موجوداً فهمُ موجودون؛ لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ زَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [الزمر: ٢٣]، فلولا أن أناساً موجودون بهذه المثابة ما بقيَ القرآنُ، ونزولُ البلايا ليس دليلاً على عدم وجود الخيار؛ فإن الأنبياء كانوا موجودين مع حصول الخُسْفِ والمُسْخِ بِأَمَمِهِمْ، فليسوا أعظمَ من الأنبياء، ولما في الحديث: (أَنْهَلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟) قال: «نعم إذا كَثُرَ الْخَبْتُ»^(٣).

قوله: ﴿لِتَكُونُوا﴾ اللام: للتعليل، وقيل: للضرورة، وعلى كلِّ فالفعل منصوب بـ(أَنْ) مضمرة بعدها جوازاً، وعلامةُ نَصْبِهِ حذفُ النون، والواو: فاعل.

قوله: (أَنْ رُسُلَهُمْ بَلَّغَتْهُمْ) هذا بيانٌ للمشهود به.

(١) كذا في الأصل، وهو على حدِّ قراءة ابن كثير: (ولكل قوم هادي)، ومرت الإشارة إليها سابقاً.

(٢) رواه البخاري (٣٦٤٠، ٧٣١١)، ومسلم (١٥٦، ١٩٢٠).

(٣) رواه البخاري (٣٣٤٦)، ومسلم (٢٨٨٠) من حديث زينب بنت جحش ؓ.

وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا

﴿وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ أَنَّهُ بَلَّغَكُمْ . ﴿وَمَا جَعَلْنَا﴾ : صَيَّرْنَا ﴿الْقِبْلَةَ﴾ لَكَ الْآنَ الْجِهَةَ ﴿الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ أَوَّلًا وَهِيَ الْكَعْبَةُ، وَكَانَ ﷺ يُصَلِّي إِلَيْهَا، فَلَمَّا هَاجَرَ أَمَرَ بِاسْتِقْبَالِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ تَأْلِفًا لِلْيَهُودِ، فَصَلَّى إِلَيْهِ سِتَّةَ أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، ثُمَّ حَوَّلَ،

حاشية الصاوي

قوله: (أَنَّهُ بَلَّغَكُمْ) هذا بيانٌ لشهادة الرسول، وحاصل ذلك: أَنَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُوقَفُ كَفَّارُ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، ويقول الله لهم: لَمْ لَمْ تَوْمِنُوا بِي؟ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ؟ فيقولون: يَا رَبَّنَا؛ مَا جَاءَنَا نَذِيرٌ، فَيُؤْتَى بِأَنْبِيَائِهِمْ، فيقول الله لهم: أَلَمْ تَبْلُغُوا أُمَّمَكُمْ الرِّسَالَةَ؟ فيقولون: يَا رَبَّنَا؛ قَدْ بَلَّغْنَا مَا أَرْسَلْتَنَا بِهِ فَلَمْ يُؤْمِنُوا، فيقول الله لهم - وهو أعلمُ بهم لإقامة الحجة عليهم -: وَمَنْ يَشْهَدُ لَكُمْ؟ فيقولون: أُمَّةٌ مُحَمَّدٌ، فَيُؤْتَى بِهِمْ، فيقول الله لهم: أَتَشْهَدُونَ أَنَّ الرِّسْلَ بَلَّغْتَ الرِّسَالَةَ لِأُمَّمِهِمْ فَكَفَرُوا بِهِمْ؟ فيقولون: نَعَمْ نَشْهَدُ بِذَلِكَ، فتقول الأمم: كَيْفَ يَشْهَدُونَ عَلَيْنَا مَعَ كَوْنِهِمْ مُتَأَخِّرِينَ عَنَّا؟! فيقولون: يَا رَبَّنَا؛ أَخْبَرْنَا رَسُولُنَا بِذَلِكَ فِي كِتَابِنَا عَنْكَ وَهُوَ صَادِقٌ فِي خَبْرِهِ، فيقول الله لهم: وَمَنْ يَزَكِّيكُمْ؟ فيقولون: نَبِيِّنَا، فَيُؤْتَى بِهِ، فيقول: أَشْهَدُ أَنَّ أُمَّتِي عُذُولٌ^(١).

وقوله: (عَلَى النَّاسِ) إِنْ كَانَ الْمَرَادُ بِهِمْ أُمَّمَ الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقَةِ (عَلَى) عَلَى بَابِهَا، وَإِنْ كَانَ الْمَرَادُ بِهِمُ الْأَنْبِيَاءُ (عَلَى) بِمَعْنَى اللَّامِ، فَهِيَ مُسْتَعْمَلَةٌ فِي حَقِيقَتِهَا وَمَجَازِهَا.

وقوله: (عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) أَي: عَلَى كَفَّارِكُمْ، وَسُمِّيَتْ شَهَادَةً وَإِنْ كَانَتْ فِي الْوَاقِعِ دَعْوَى؛ لِعَدَمِ رَدِّهَا، وَيَحْتَمِلُ أَنَّ (عَلَى) بِمَعْنَى اللَّامِ، وَالضَّمِيرُ عَائِدٌ عَلَى الْعُذُولِ الشَّاهِدِينَ عَلَى الْأُمَمِ السَّابِقَةِ مِنْ حَيْثُ تَزَكِيَّتُهُ لَهُمْ.

قوله: (وَمَا جَعَلْنَا) اخْتُلِفَ فِي إِعْرَابِ هَذِهِ الْآيَةِ، فَدَرَجَ الْمُفَسِّرُ عَلَى أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿الْقِبْلَةَ﴾ مَفْعُولٌ ثَانٍ لـ ﴿جَعَلْنَا﴾ مُقَدَّمٌ، وَقَوْلَهُ: ﴿الَّتِي﴾: صِفَةٌ لِمَوْصُوفٍ مَحْذُوفٍ مَفْعُولٍ أَوَّلٍ، وَدَرَجَ غَيْرُهُ عَلَى الْعَكْسِ، وَهُوَ أَنَّ ﴿الْقِبْلَةَ﴾ مَفْعُولٌ أَوَّلٍ، وَ﴿الَّتِي﴾ صِفَةٌ لِمَوْصُوفٍ مَحْذُوفٍ مَفْعُولٍ ثَانٍ، وَالْأَقْرَبُ: الْأَوَّلُ.

وحاصل ذلك: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ وَهُوَ بِمَكَّةَ كَانَ يَصَلِّي لِلْكَعْبَةِ، فَلَمَّا هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ أَمَرَ بِاسْتِقْبَالِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ تَأْلِيفًا لِلْيَهُودِ، فَصَلَّى لَهَا سَبْعَةَ عَشَرَ أَوْ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَشُمُّ مِنْهُمْ

(١) انظر روايات الخبر عند الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٤٥) وما بعدها.

إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّعَ

﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ عِلْمَ ظُهُور ﴿مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ﴾ فَيُصَدِّقُهُ، ﴿مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ أي: يَرْجِعُ إلى الكُفْرِ شُكًّا في الدِّينِ وَظَنًّا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ في خَيْرَةٍ مِنْ أَمْرِهِ، وَقَدْ ارْتَدَّ لِذَلِكَ جَمَاعَةٌ، ﴿وَإِنْ﴾ - مُخَفِّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ، وَاسْمُهَا مَحذُوفٌ - أي: وَإِنَّهَا ﴿كَانَتْ﴾ أي: التَّوْلِيَةُ إِلَيْهَا ﴿لَكَبِيرَةً﴾: شَاقَّةٌ عَلَى النَّاسِ، ﴿إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ مِنْهُمْ، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّعَ

حاشية الصاوي

الكبر، فكانوا يقولون: إن محمداً يفارق ديننا ويصلي لقبلتنا! وكان رسول الله يحب أن يصلي للكعبة، حتى نزل عليه جبريل يوماً، فقال له: «يا جبريل؛ أود أن الله يحولني لقبله أبي إبراهيم، فسأل ربك ذلك»، فقال له: أنت أكرم عليه مني، ثم صعد إلى السماء، فصار رسول الله ينظر لجهتها مُنتظراً للإذن في ذلك، فنزل عليه جبريل بعد ركعتين من صلاة الظهر في رجب بالأمر بالتحويل للكعبة، فتحول وتحول الناس معه، وكان يوماً مشهوداً، فافتتن اليهود وأهل النفاق^(١).

قوله: (علم ظهور) جواب عما يُقال: إن علم الله قديم فلا يتجدد، والمعنى: ليظهر لكم متعلق علمنا بتمييز المؤمن من الكافر.

قوله: (فيصدقه) أي: يدوم على صدقه.

قوله: (أي: يرجع للكفر) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ ليس على حقيقته؛ لأن الانقلاب على العقب معناه: الرجوع لخلف، وليس مراداً، بل هو كناية عن الرجوع للكفر، نظير: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ﴾ [محمد: ٢٥].

قوله: (وقد ارتد لذلك) أي: التحويل، والمعنى: ظهر كفرهم، وإلا فمتى صُيغ القلب بالإيمان فلا يزول؛ لأن الكريم إذا مَنَّ تَمَّ^(٢).

قوله: ﴿إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ أي: فكان عيداً لهم، حتى صار فضل من صلى مع النبي للقبلتين أعظم ممن أتى بعد ذلك، قال صاحب «الجوهرة»: [الرجز]

(١) كذا عند البغوي في «تفسيره» (١٧٧/١) عن مجاهد، وأصله عند البخاري (٧٢٥٢)، ومسلم (٥٢٥).

(٢) فقال عز شأنه في سياق الآية: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّعَ إِيَّانَكُمْ﴾، وسواء فُسر الإيمان هنا بالصلاة أو بقي على حقيقته، فقبول الفرع مؤذن بقبول الأصل، ولكن لا يفتقر لسان المؤمن عن اللهج بقوله تعالى معلماً: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾.

إِمَّا يَنْتَكُمُ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرْءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ زَرَى تَقَلَّبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ

إِمَّا يَنْتَكُمُ ﴿١﴾ أي: صلاتكم إلى بيت المقدس، بل يُشْيِيكُم عليه؛ لِأَنَّ سَبَبَ نَزُولِهَا السُّؤَالُ عَمَّنْ مَاتَ قَبْلَ التَّحْوِيلِ، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ﴾ الْمُؤْمِنِينَ ﴿لَرْءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ فِي عَدَمِ إِضَاعَةِ أَعْمَالِهِمْ. وَالرَّأْفَةُ: شِدَّةُ الرَّحْمَةِ، وَقَدَّمَ الْأَبْلَغَ لِلْفَاصِلَةِ.

﴿١٤٤﴾ ﴿قَدْ﴾ - لِلتَّحْقِيقِ - ﴿زَرَى تَقَلَّبَ﴾: تَصَرَّفَ ﴿وَجْهَكَ فِي﴾ جِهَةِ ﴿السَّمَاءِ﴾ مُتَطَلِّعاً إِلَى الْوَحْيِ وَمُتَشَوِّفاً لِلْأَمْرِ بِاسْتِقْبَالِ الْكَعْبَةِ، وَكَانَ يَوَدُّ ذَلِكَ لِأَنَّهَا قِبْلَةُ إِبْرَاهِيمَ، وَلِأَنَّهُ أَدْعَى حَاشِيَةَ الصَّاوِي

وَالسَّابِقُونَ فَضَّلُهُمْ نَصًّا عُرِفَ^(١)

قوله: (أي: صلاتكم) عبّر بالإيمان عن الصلاة؛ لأنها أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين.

قوله: (لأن سبب نزولها... إلخ) وسبب ذلك شبهة ألقاها حَيُّ بْنُ أَخْطَبَ لِلْمُسْلِمِينَ، وَهِيَ أَنَّ اسْتِقْبَالَكُمْ لِبَيْتِ الْمَقْدِسِ لَا يَخْلُو إِذَا أَنْ يَكُونَ هَدًى فَقَدْ انْتَقَلْتُمْ الْآنَ إِلَى ضَلَالٍ، وَإِذَا أَنْ يَكُونَ ضَلَالاً فَلِمَ أَقَرَّكُمْ عَلَيْهِ؟ وَأَيْضاً: مَنْ مَاتَ قَبْلَ التَّحْوِيلِ مَاتَ عَلَى الضَّلَالِ وَضَاعَتْ أَعْمَالُهُ! فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَقَارِبٍ مِنْ مَاتَ قَبْلَ التَّحْوِيلِ، فَشَكُّوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ^(٢).

وتحويل القبلة أول نسخ ورد في الشرع^(٣).

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ﴾ هذا كالدليل لما قبله؛ أي: لَمْ يُضَيِّعْ صَلَاتَكُمْ؛ لِكَوْنِهِ رُءُوفاً رَحِيماً.

قوله: (للفاصلة) أي: التي هي قوله: ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، فَهِيَ عَلَى الْمِيمِ فِيهَا.

قوله: ﴿قَدْ زَرَى﴾ (تقدّم سبب نزول هذه الآية^(٤)).

قوله: (للتحقيق) وقيل: للتكثير، وهو بالنظر لفعل النبي لا لرؤية الله، وهو خطابٌ تَوَدُّدٌ.

قوله: (متطلّعاً) أي: متطلباً ومتشوقاً، وهو إشارةٌ لحال محذوفة.

قوله: (لأنها قبله إبراهيم) أي: وقبلته من قبل.

(١) هذا ما رجّحه المصنف في بيان معنى السابقين في «شرح للجوهرة» (ص ٣٢٩).

(٢) «تفسير البغوي» (١/١٧٦).

(٣) رواه الحاكم في «المستدرک» (٢/٢٦٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢/١٢).

(٤) تقدم (١/٢٥٤ - ٢٥٥).

فَلَنُؤَلِّسَنَّ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ
شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ

إلى إسلام العرب، ﴿فَلَنُؤَلِّسَنَّ﴾: نُحَوِّلَنَّ ﴿قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾: تُحِبُّهَا، ﴿فَوَلَّ وَجْهَكَ﴾: استقبل في الصلاة ﴿شَطْرَ﴾: نَحْوَ ﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: الكعبة، ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ﴾: خطابٌ لِلأُمَّةِ - ﴿فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ﴾ في الصلاة ﴿شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ حاشية الصاوي

قوله: (ولأنه أَدْعَى إلى إسلام العرب) أي: فإنهم قالوا حين استقبل بيت المقدس: حيث عدل عن قِبْلَةِ أبيه إبراهيم، لا نَتَّبِعُهُ أَبَدًا.

قوله: (نَحَوِّلَنَّ) مقتضى هذا التفسير أن ﴿قِبْلَةً﴾ منصوبٌ بنزع الخافض، ولو أبقى (نُؤَلِّي) على حالها لفسرها بـ(نعطي)؛ لأنها تنصب مفعولين، فالكاف: مفعولٌ أول، و﴿قِبْلَةً﴾: مفعولٌ ثانٍ.

قوله: (تُحِبُّهَا) أي: بحسب الطبع، وإلا فهو يحبُّ أوامر الله مطلقاً، لكن إذا كانت موافقة للطبع كانت أحب، وهذا وعدٌ من الله له بما يحبه، وفي قوله: ﴿فَوَلَّ﴾ إنجازٌ له.

قوله: ﴿شَطْرَ﴾ يطلق على الجهة، وهو المرادُ هنا، ويُطلق على النصف، ويُطلق على البعد، يُقال: شَطْرَ فلانٍ؛ بمعنى: بُعد.

قوله: (أي: الكعبة) أشارَ بذلك إلى أن المرادَ بالمسجد الحرام: خصوصُ الكعبة، ولَمَّا نزلت هذه الآية تحوَّلَ لجهة الميزاب^(١)، وهكذا قِيلَتَا بمصرَ، فإنها لجهته.

قوله: ﴿وَحَيْثُ مَا﴾ شرطية؛ لاقترانها بـ﴿مَا﴾، و﴿كُنْتُمْ﴾: فعل الشرط، وقوله: ﴿فَوَلُّوا... إلخ﴾: جوابه، وقرن بالفاء؛ لأنه فعلٌ طلبِي، وفي هذه الآية إشارةٌ أخرى لحكمة النسخ، وهي تطلُّعه لجهة السماء ومحَبَّته للكعبة، وتقدَّمت الحكمة الأولى كونها فتنةً للناس؛ لتمييز المؤمنين من غيره.

قوله: (خطابٌ لِلأُمَّةِ) ودفعَ بذلك ما يُتَوَهَّم: أنه من خصائصه عليه الصلاة والسلام.

قوله: ﴿فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ﴾ أي: في أيِّ مكانٍ، وفي أيِّ زمان.

قوله: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ قيل: المرادُ بهم اليهود؛ لأنهم هم المعارضون له في ذلك الوقت، والكتابُ هو التوراة، وقيل: اليهود والنصارى، والكتابُ هو التوراة والإنجيل.

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٣٥٧) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ

أي: التَّوَلَّى إِلَى الْكَعْبَةِ ﴿الْحَقُّ﴾: الثَّابِتُ ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾: لِمَا فِي كُتُبِهِمْ فِي نَعْتِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ أَنَّهُ يَتَحَوَّلُ إِلَيْهَا، ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾: بِالنَّاءِ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنْ امْتِثَالِ أَمْرِهِ، - وَبِالْيَاءِ - أَي: الْيَهُودُ مِنْ إنْكَارِ أَمْرِ الْقِبْلَةِ.

﴿وَلَئِنْ﴾ - لَمْ قَسَمَ - ﴿أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ﴾: عَلَى صِدْقِكَ فِي أَمْرِ الْقِبْلَةِ، ﴿مَا تَبِعُوا﴾ أَي: لَا يَتَّبِعُونَ ﴿قِبْلَتَكَ﴾ عِنَادًا، ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾: قَطْعُ لِطْمَعِهِ فِي إِسْلَامِهِمْ وَطَمَعِهِمْ فِي عَوْدِهِ إِلَيْهَا، ﴿وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾:
حاشية الصاوي

قوله: (أي: التولي إلى الكعبة) ويصح أنه عائدٌ على النبي أو النسخ؛ لأن كلاً مذكورٌ في الآية، والمآل واحد.

قوله: (أيها المؤمنون) أي: وفيه تسليّة للنبي عليه الصلاة والسلام، ووعدٌ حسنٌ وبُشْرَى.

قوله: (وبالْيَاءِ) أي: اليهود؛ أي: ففيه وعيدٌ وزجرٌ وتهديدٌ، وهما قراءتانٍ سبعيتان^(١).

قوله: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ﴾ هذا أيضاً تسليّة للنبي وتثبيتٌ من إيمانهم؛ لأنهم ضلُّوا على علم،

فلا تنفعُ فيهم موعظة. [الخفيف]

وَإِذَا ضَلَّتِ الْعُقُوفُ عَلَى عَلٍ فَمَاذَا تَقُولُ النُّصَحَاءُ؟^(٢)

قوله: (لام قَسَم) أي: وَإِنْ: حرفٌ شرط، وقوله: ﴿أَتَيْتَ﴾: فعلٌ شرط، وقوله: ﴿مَا تَبِعُوا﴾:

جواب القسم، وأما جوابُ الشرط فهو محذوفٌ؛ للقاعدة النحوية: أنه إذا اجتمعَ شرطٌ وقسمٌ فإنه يحذفُ جوابُ المتأخّر منهما، وأيضاً: قوله: ﴿مَا تَبِعُوا﴾ لا يصلحُ أن يكون جواباً للشرط؛ لأنه فعلٌ منفيٌ بـ(ما)، فحقُّه دخولُ الفاء فيه.

قوله: (قطع لطمعه في إسلامهم) راجعٌ لقوله: ﴿مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾، وقوله: (وطمعهم... إلخ)

راجعٌ لقوله: ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾، فهو لفٌّ ونشْرٌ مرتَّب.

(١) قراءة التاء لابن عامر وحمزة والكسائي. انظر «البحر المحيط» (١/٦٠٤).

(٢) للبوصيري في «همزيته»، و(على) في البيت بمعنى مع، وانظر «المنح المكية» (ص ٤٠٢).

وَلَمَّا أَتَيْنَهُمْ أَكْتَبَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾

أي: اليهود قبلة النصارى وبالعكس، ﴿وَلَمَّا أَتَيْنَهُمْ أَكْتَبَ يَعْرِفُونَهُ﴾ التي يدعونك إليها ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾: الوحي، ﴿إِنَّكَ إِذَا﴾ إن اتبعتهم فرضاً ﴿لَمَّا أَتَيْنَهُمْ﴾: ﴿الَّذِينَ أَتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ﴾ أي: مُحَمَّداً ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ بنعته في كتبهم، قال ابن سلام: (لقد عرفتُه حين رأيتُه كما أعرف ابني، ومعرفتي لمحمدٍ أشد)، ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾: نعتهم ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

حاشية الصاوي

إن قلت: كيف يطمعون في عوده لبيت المقدس مع أنه مذكور في كتبهم أنه لا يرجع عن الكعبة بعد أن تحوّل إليها؟

قلت: إن ذلك الطمع واقع من جهلتهم الذين لا يعرفون في التوراة شيئاً.

قوله: (أي: اليهود قبلة النصارى) هذا ممّا يؤيد أن المراد بـ ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ اليهود والنصارى، وقبله اليهود بيت المقدس، وقبله النصارى مَطْلِعُ الشمس، وكانت باختراع منهم؛ لزعم بولس القسيس أنه بعد رفع عيسى قال: لقيتُ عيسى عليه السلام فقال لي: إن الشمس كوكبٌ أحبه، يبلغُ سلامي في كلِّ يوم، فمُرْ قومي ليتوجَّهوا إليها في صلاتهم، ففعلوا ذلك^(١).

قوله: (إن اتبعتهم فرضاً) أي: على سبيل الفرض والتقدير، على حد: ﴿لَمَّا أَتَيْنَهُمْ﴾ [الزمر: ٦٥]، وقيل: الخطابُ له والمرادُ غيره؛ لمزيد الزجر.

قوله: ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ (ما): مصدرية، تسبُّكٌ مع ما بعدها بمصدر؛ أي: كمعرفتهم أبناءهم، والمشبه أقوى من المشبه به^(٢).

قوله: (ومعرفتي بمحمد أشد) سُئل عن ذلك فقال: لأن معرفتي بابني ظنيّة؛ لأنه يحتمل أن يكون من غيري، وأما معرفتي بمحمد فهي عن الله، وأيُّ خبرٍ أصدق من خبر الله؟!^(٣)

(١) كما ذكر ذلك العلامة الشهاب في «حاشيته على البضاوي» (٢/٢٥٣).

(٢) فيكون من التشبيه المقلوب؛ لتأكيد معرفتهم، وجمهور البلاغيين على عدم وقوعه في كتاب الله تعالى.

(٣) «الدر المنثور» (١/٣٥٧) برواية الثعلبي وروايات أخرى.

الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيًا

﴿١٤٧﴾ هَذَا الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ ﴿الْحَقُّ﴾ كَائِنًا ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿: الشَّاكِّينَ فِيهِ، أَيِ: مِنْ هَذَا النَّوْعِ، فَهُوَ أَبْلَغُ مِنْ (لَا تَمْتَرِ).﴾

﴿١٤٨﴾ ﴿وَلِكُلٍّ مِّنَ الْأُمَمِ﴾ ﴿وَجْهَةٌ﴾: قِبْلَةٌ ﴿هُوَ مُوَلِّيًا﴾ وَجْهَهُ فِي صَلَاتِهِ، - وَفِي قِرَاءَةٍ: (مُوَلِّيًاهَا) -

حاشية الصاوي

قوله: (كائناً) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ متعلق بمحذوف حال من ﴿الْحَقُّ﴾، وهو خبر لمبتدأ محذوف، والأظهر أنه مبتدأ خبره الجار والمجرور بعده، أو مبتدأ والخبر محذوف تقديره: يعرفونه، و(أل) يحتمل أنها للعهد الذكري، أو الجنس، أو الاستغراق.

قوله: (الشَّاكِّينَ فِيهِ) أي: في كونهم يعرفون نعتك، أو في الحق.

قوله: (فهو أبلغ من لا تمتري) أي: لكون النهي عامًا، فيفيد أن الشك يضر كل من قام به، ولكونه مؤكدًا بالنون، ولأن الكناية أبلغ من الحقيقة، بخلاف: لا تمتري، فربما يتوهم أن الشك لا يضر إلا هو فقط، ولم يكن مؤكدًا.

قوله: ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ﴾ هذا كالنتيجة لما قبله، كأنه قال: فلما تفرّقوا صار لكل وجه.

قوله: (قبلة) أشارَ بذلك إلى أن ﴿وَجْهَهُ﴾: اسمٌ للمكان، فثبوتُ الواو قياسي، وأما إن أُريدَ بها المعنى المصدري فثبوتُ الواو غيرُ قياسي؛ على حدِّ: عِدَّةٍ وَزَنَةٍ، وإنما ثبتت الواو تنبيهاً على الأصل.

قوله: ﴿هُوَ﴾ أي: الفريق المفهوم من الأُمَم؛ لأن المراد بهم الفرق، ولو عبَّرَ به لكان أوضح.

قوله: ﴿مَوْلَاهُ﴾ اسم فاعل، فاعله ضميرٌ يعود على الفريق، والهاءُ: مفعولٌ أول، وقول المفسّر: (وَجْهَهُ): مفعولٌ ثان.

قوله: (وفي قراءة: «مَوْلَاهَا») أي: بصيغة اسم المفعول، فثائب الفاعل مفعولٌ أول، والهاء: مفعول ثانٍ، والمعنى: موجَّهٌ إليها^(١).

(١) قراءة (مُؤَلَّاهَا) لابن عامر؛ أي: مَصْرُوف إليها، والجمهور (مُؤَلَّيْهَا). انظر «البحر المحيط» (١/٦١١).

فَاسْتَيْقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ

﴿فَاسْتَيْقُوا الْخَيْرَاتِ﴾: بادِرُوا إِلَى الطَّاعَاتِ وَقَبُولِهَا، ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً﴾: يَجْمَعُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُجَازِيكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ لِسَفَرٍ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿الْخَيْرَاتِ﴾ جمعٌ خَيْرٍ بالتخفيف والتشديد، أو جمع خَيْرَةٍ^(١)، معناه: الطاعة على كلِّ. قوله: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا﴾: اسمٌ شرط جازم يجزم فعلين، ﴿تَكُونُوا﴾: فعل الشرط مجزوم بحذف النون، والواو فاعل، و﴿يَأْتِ﴾: جوابُ الشرط مجزوم بحذف الياء والكسرة دليلٌ عليها، و﴿بِكُمُ﴾: متعلق ب﴿يَأْتِ﴾، و﴿اللَّهُ﴾: فاعلٌ ﴿يَأْتِ﴾، و﴿جَمِيعاً﴾: حالٌ من الكاف في ﴿بِكُمُ﴾. وقوله: (فيجازيكم) يصحُّ فيه الجزم والرفع والنصب، ولكن الرسم يأبى الأول، وإنما جازت الأوجه الثلاثة فيه؛ لقول ابن مالك: [الرجز]

وَالْفِعْلُ مِنْ بَعْدِ الْجَزَا إِنْ يَقْتَرِنُ بِالْفَا أَوْ الْوَائِ بِتَثْلِيثِ قَمِنْ^(٢)

والمعنى: في أيِّ مكان تكونون فيه يجمعكم الله للحساب، فيترتب عليه الجزاء.

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ هذا كالدليل لما قبله؛ أي: إنما كان ذلك؛ لأنه قديرٌ على كلِّ شيء، قال تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٩].

قوله: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ . . . إلخ ﴿حَيْثُ﴾ هنا: ظرفٌ مكان، و(من): للابتداء، وجملة ﴿خَرَجْتَ﴾: في محلٍّ جرٍّ بإضافة ﴿حَيْثُ﴾ إليها، وليست شرطية؛ لأنها لا تكون كذلك إلا إذا اقترنت ب(ما). (بما).

قوله: (لسفر) ظاهره فرضاً ونفلاً، ولكن السنة خصّصت ذلك بالفريضة، وأما النافلة فتجوز في السفر لغير القبلة بشروط مذكورة في الفقه.

(١) بالتخفيف كجفنة، والتشديد كسيئة، والتفضيل غير مُراد، و﴿الْخَيْرَاتِ﴾ منصوب بترغ الخافض. انظر «الدر المصون» (١٧٦/٢).

(٢) «الخلاصة» (باب عوامل الجزم)، و(قمن): حقيق.

قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ

﴿قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ - بِالتَّاءِ وَالْيَاءِ - تَقَدَّمَ مِثْلُهُ، وَكَرَّرَهُ لِبَيَانِ تَسَاوِي حُكْمِ السَّفَرِ وَغَيْرِهِ.

﴿١٥٠﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴿كَرَّرَهُ لِلتَّأْكِيدِ﴾ ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾: الْيَهُودُ أَوِ الْمُشْرِكِينَ ﴿عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ أَي: مُجَادَلَةٌ فِي التَّوَلَّى إِلَى غَيْرِهِ؛ لِتَنْتَفِي مُجَادَلَتُهُمْ لَكُمْ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: جهة الكعبة.

قوله: ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي: النسخ، أو التولي للكعبة، أو النبي.

قوله: ﴿لِلْحَقِّ﴾ أي: جنسه، أو المعهود وهو نعت النبي، أو كل فرد من أفرادِهِ.

قوله: (بالتاء والياء) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: (لبیان تساوي حكم السفر... إلخ) أشار بذلك لدفع ما يُتوهم أنه تكرارٌ محض.

قوله: (كرّره للتأكيد) أي: للتثبيت في عقولهم لغرابة الحكم حينئذٍ؛ لأنه أول ما ورد من النسخ^(٢).

قوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾ هذا هو حكمة التولية؛ أي: إنما أمرناكم بالتولية لأجل انتفاء حجة

الناس عليكم، واللام هذه لام (كي)، و(إن): مصدرية، و(لا): نافية، و﴿يَكُونَ﴾: منصوب بـ(أن)، و﴿لِلنَّاسِ﴾: خبرها مقدّم، و﴿حُجَّةٌ﴾: اسمها مؤخّر، و﴿عَلَيْكُمْ﴾: حالٌ من ﴿حُجَّةٌ﴾؛ لأنه نعتٌ نكرةٌ تقدّم عليها.

قوله: (أي: لتنتفي... إلخ) هذا حلٌ معنّى لا حلٌ إعراب، ولو حلّه حلٌ إعرابٍ لقال: لعدم كونه حجةً ثابتةً للناس عليكم.

قوله: (أي: مجادلة) أي: جدالٌ في الباطل واعتراض، وليس المرادُ بها المجادلةُ في الحقِّ وإظهارَ حجّته.

(١) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء، والباقي بالياء. انظر «البحر المحيط» (١/٦٠٤).

(٢) كما سبق بيانه (١/٢٥٦).

إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاحْشَوْنِي وَلَئِنَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ ...

مِنْ قَوْلِ الْيَهُودِ: يَجْحَدُ دِينَنَا وَيَتَّبِعْ قِبَلَتَنَا! وَقَوْلِ الْمُشْرِكِينَ: يَدَّعِي مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ وَيُخَالِفُ قِبَلَتَهُ! ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ بِالْعِنَادِ؛ فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ: (مَا تَحَوَّلَ إِلَيْهَا إِلَّا مَيْلًا إِلَى دِينِ آبَائِهِ)، - وَالْإِسْتِثْنَاءُ مُتَّصِلٌ - وَالْمَعْنَى: لَا يَكُونُ لِأَحَدٍ عَلَيْكُمْ كَلَامٌ إِلَّا كَلَامٌ هَؤُلَاءِ. ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾: تَخَافُوا جِدَالَهُمْ فِي التَّوَلَّى إِلَيْهَا، ﴿وَاحْشَوْنِي﴾ بِامْتِنَالِ أَمْرِي، ﴿وَلَئِنَّ نِعْمَتِي﴾ - عَطَفَ عَلَى ﴿لَئِنَّ يَكُونَ﴾ - ﴿نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ بِالْهِدَايَةِ إِلَى مَعَالِمِ دِينِكُمْ، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إِلَى الْحَقِّ.

حاشية الصاوي

قوله: (من قول اليهود) هذا بيانٌ للمجادلة.

قوله: (وقول المشركين) أي: فقد زال ذلك، وأما قولهم: ما زال محمدٌ في حيرة فباقيةٌ لم تنزل.

قوله: (فإنهم يقولون) أي: اليهود، والحاصل: أن الحُجَجَ أربَعٌ؛ لليهود حجتان، وللمشركين كذلك، أما حجة اليهود فهي: ما له يصلي لِقِبَلَتِنَا ولا يتبع ديننا؟! وأما حجة المشركين فهي: يدَّعي مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ وَيُخَالِفُ قِبَلَتَهُ؟! وهاتان الحجتان قد انقطعتا، وبقيت حجةٌ لكلٍّ، أما حجة اليهود فقولهم: ما تحوَّلَ إِلَيْهَا إِلَّا مَيْلًا لِدِينِ الْجَاهِلِيَّةِ، وأما حجة المشركين فقولهم: لم يزل محمدٌ في حيرة^(١).

قوله: (والاستثناء متصل) أي: لأن ما قبله ظالمون أيضاً.

قوله: (تخافوا جدالهم) أي: لأنهم لا يقدرُونَ عَلَى إِصْلَاحِ نَفْعٍ وَلَا دَفْعِ ضَرٍّ.

قوله: (عطف على ﴿لَئِنَّ يَكُونَ﴾) أي: فتحويل القبلة لحكم عظيمة: الأولى: تمييزُ المؤمن من غيره، الثانية: انقطاع الحُجَجِ، الثالثة: إتمامُ النعمة، الرابعة: الاهتداء.

إِنْ قُلْتَ: مقتضى هذه الآية أن النعمة تَمَّتْ الْآنَ، ومقتضى ما يأتي في سورة (المائدة) في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: ٣] أنها لم تَمَّ إِلَّا حِينَ نَزُولِهَا، وهو يومُ عَرَفَةَ فِي حُجَّةِ الْوَدَاعِ!

(١) فَإِنْ قِيلَ: كيف أطلق الحجة على قول المعاندين؟ أجيب: بأن المراد بالحجة ما يُتَمَسَّكُ بِهِ حَقًّا كَانَ أَوْ بَاطِلًا؛

كما قال تعالى: ﴿مُجْتَنِّهِمْ دَاحِضَةً﴾. «السراج المنير» (١/١٠٤).

كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾

﴿١٥١﴾ ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا﴾ مُتَعَلِّقٌ بِ(أَنْتُمْ)، أَي: إتماماً كإتماميها بإرسالنا ﴿فِيكُمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ﴾: مُحَمَّدًا ﷺ، ﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا﴾: الْقُرْآنَ، ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾: يُطَهِّرُكُمْ مِنَ الشُّرْكِ، ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ﴾: الْقُرْآنَ ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: مَا فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ، ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾.

حاشية الصاوي

أَجِيبَ: بِأَنَّ النِّعْمَةَ مَقُولَةٌ بِالتَّشْكِيكِ، فَالْمُرَادُ بِهَا هُنَا: اسْتِقْبَالُ الْأَشْرَفِ الَّذِي هُوَ الْكَعْبَةُ، وَالْمُرَادُ بِهَا هُنَاكَ الدِّينُ^(١).

قوله: ﴿مِّنْكُمْ﴾ (هذه نعمة أخرى فوق أصل الإرسال؛ لأنه لو كان مَلَكًا لما استطاعوه؛ لأنَّ عِلَّةَ الانضمام المجانسةُ.

قوله: (القرآن) خَصَّهُ مِنْ دُونِ الْمُعْجَزَاتِ؛ لِأَنَّهُ بَاقٍ إِلَى الْآنَ.

قوله: (يطهركم من الشرك) أَي: حَتَّى صِرْتُمْ عَدُولًا تَشْهَدُونَ عَلَى النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَصِحُّ أَنْ يُقَالَ: مَعْنَى يُزَكِّيكُمْ: يَشْهَدُ لَكُمْ بِالْعَدَالَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

قوله: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ﴾ أَي: حَتَّى حَفَظْتُمْ لَفْظَهُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ؛ لِقَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ: «وَجَعَلْتُ مِنْ أُمَّتِكَ أَقْوَامًا قُلُوبُهُمْ أَنَا جِيلُهُمْ»^(٢).

قوله: (ما فيه من الأحكام) أَي: الْمَعَانِي الَّتِي لَا تُحْصَى، قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: (لَوْ أَرَدْتُ أَنْ أُوقِرَ مِنَ «الْفَاتِحَةِ» حُمْلَ سَبْعِينَ بَعِيرًا لَفَعَلْتُ)^(٣)، وَمِنْ مَعْنَاهُ مَا قَالَ الْخَوَّاصُّ: (مِمَّا مَنَّ اللَّهُ بِهِ عَلَيَّ أَنْ أُعْطَانِي مِثْلَ أَلْفِ عِلْمٍ وَتِسْعَةَ وَتِسْعِينَ أَلْفًا مِنْ عُلُومِ «الْفَاتِحَةِ»).

قوله: ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ عَطَفَ عَامٌّ عَلَى خَاصٍّ.

(١) وَقَالَ الْعَلَامَةُ الْجَمَلُ فِي «الْفَتْوحَاتِ» (١/١٢٢) نَقْلًا عَنِ الْكَرْخِيِّ: (تَمَامُ النِّعْمَةِ فِي كُلِّ وَقْتٍ بِمَا يَلِيقُ بِهِ).

(٢) رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِهِ» (١٣١٨٤)، وَالطَّبْرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٣٣٦٩/١٧) ضَمَّنَ حَدِيثَ طَوِيلَ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْإِسْرَاءِ، وَوَرَدَ بِلَفْظٍ: «أَنَا جِيلُهُمْ فِي صُدُورِهِمْ».

(٣) «قُوَّةُ الْقُلُوبِ» (١/٦٧).

فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ

﴿١٥٢﴾ ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بِالصَّلَاةِ وَالتَّسْبِيحِ وَنَحْوِهِ، ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ قِيلَ: مَعْنَاهُ أَجَازِكُمْ، وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ اللَّهِ: «مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْ مَلَأِهِ»،

حاشية الصاوي

قوله: (ونحوه) أي: كالتهليل والتحميد، وإنما قال: (بالصلاة)؛ لأن الذكر إما باللسان، أو بالجوارح، أو بالجنان، ولا شك أن الصلاة جامعة لكل ذكر، فالقرآن والتكبير والتسبيح والدعاء ذكرٌ لِسَانِي، والركوع والسجود ذكرٌ بالجوارح، والخشوع والخضوع والمراقبة ذكرٌ قلبي.

قوله: (أجازكم عليه) أي: أُثَبِّتْكُمْ عَلَى ذِكْرِكُمْ إِنِّي.

قوله: (عن الله) أي: فهو حديثٌ قدسي^(١).

قوله: (في نفسه) أي: خالياً وبعيداً عن الخلق.

قوله: (ذكرته في نفسي) أي: أعطيه عطايا لا يعلمها غيري.

قوله: (ومن ذكرني في ملأ) أي: بين الناس.

قوله: (ذكرته في ملأ) أي: أعطيه عطايا ظاهرة لعبادي، وأظهر فضله لهم.

إن قلت: إن الإنسان قد يذكر الله بحضرة النبي ﷺ كالصحابه، فأَيُّ مَلَأٍ خَيْرٌ مِنَ النَّبِيِّ؟

قلت: أجيب بأن الشيء يَشْرَفُ بِمَا نُسَبُّ إِلَيْهِ؛ فَإِنَّ الْمَجْلِسَ يُنْسَبُ لِكَبِيرِهِ، وَفَرَقَ بَيْنَ حَضْرَةِ اللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَبَيْنَ حَضْرَةِ النَّبِيِّ وَأَصْحَابِهِ، وَأَيْضاً: كَوْنُ النَّبِيِّ فِي حَضْرَةِ اللَّهِ أَشْرَفُ مِنْ نَفْسِهِ فِي حَضْرَةِ أَصْحَابِهِ، فَمَعْنَى قَوْلِهِ: «خَيْرٌ مِنْ مَلَأِهِ»: ذَكَرْتُهُ فِي حَضْرَةِ النَّبِيِّ وَالْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى، وَلَا شَكَّ أَنَّ تِلْكَ الْحَضْرَةَ لَا يَعْدِلُهَا شَيْءٌ أَبَداً. وَالْمَلَأُ بِالْقَصْرِ: الْجَمَاعَةُ الْأَشْرَافُ.

قوله: (خير) بالجرّ صفةٌ لـ(ملأ)، وقيل: معنى «اذكروني»: تَذَلَّلُوا لَجَلَالِي، «أَذْكُرْكُمْ»: أَكْشِفِ الْحُجُبَ عَنْكُمْ، وَأَفِضْ عَلَيْكُمْ رَحْمَتِي وَإِحْسَانِي، وَأَحْبَبْكُمْ، وَأَرْفَعْ ذِكْرَكُمْ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى؛ لَمَا فِي الْحَدِيثِ: «وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شَبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا»^(٢)، وَفِي الْحَدِيثِ أَيْضاً: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ فَقَالَ لَهُ: يَا جِبْرِيلُ؛ إِنِّي أَحَبُّ فُلَانًا فَأَحْبُّهُ، فَيَحْبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ:

(١) رواه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) هو قطعة من الحديث نفسه «من ذكرني...» السابق تخريجه.

حاشية الصاوي

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبُوهُ، فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوَضَّعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ^(١)، وهذا من جُملة الثمراتِ المعجَّلة، وأما المؤجَّلة: فَرُؤْيَةُ اللَّهِ الْكَرِيمِ، وَرَفْعُ الدَّرَجَاتِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ.

وَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَذْكُرَ اللَّهَ كَثِيرًا؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِكْرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذِّكْرُ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وَلَا يَلْتَفِتْ لَوَاشٍ وَلَا رَقِيبٍ؛ لِقَوْلِ السَّيِّدِ الْحَفْنِيِّ خَطَابًا لِلْعَارِفِ بِاللَّهِ تَعَالَى أَسْتَاذِنَا الشَّيْخِ الدَّرْدِيرِ:

يَا مُبْتَغِي طُرُقِ أَهْلِ اللَّهِ وَالتَّسْلِيكِ دُعُ عَنْكَ أَهْلَ الْهَوَى تَسْلَمُ مِنَ التَّشْكِيكِ
إِنْ «اذْكُرْنِي» لَرَدِّ الْمَعْتَرِضِ يَكْفِيكَ فَاجْعَلْ سُلَافَ الْجَلَالَةِ دَائِمًا فِي فَيْكِ

وَلَا تَتْرِكِ الذِّكْرَ لِعَدَمِ حُضُورِكَ مَعَ اللَّهِ فِيهِ، فَرُبَّمَا ذَكَرْتُ مَعَ غَفْلَةٍ يَجْرُ لَذِكْرٍ مَعَ حُضُورٍ؛ لِأَنَّهُمْ سَبَّهُوا الذِّكْرَ بِقُدْحِ الرِّنَادِ، فَلَا يَتْرِكُ الْإِنْسَانُ الْقُدْحَ؛ لِعَدَمِ إِيقَادِهِ مِنْ أَوَّلِ مَرَّةٍ مِثْلًا، بَلْ يَكْرُرُ حَتَّى يُوقِدَ، فَإِذَا وَلَعَ الْقَلْبُ نَارَ الْأَعْضَاءِ، فَلَا يَقْدِرُ الشَّيْطَانُ عَلَى وَسْوَستِهِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾ [الأعراف: ٢٠١]، وَخَفَّتِ الْعِبَادَةُ عَلَى الْأَعْضَاءِ، فَلَا يَكُونُ عَلَى الشَّخْصِ كَلْفَةٌ فِيهَا، قَالَ الْعَارِفُ: [الوافر]

إِذَا رُفِعَ الْحِجَابُ فَلَا مَلَالَةَ لِتَكْلِيفِ الْإِلَهِ وَلَا مَشَقَّةَ

وَيَكْفِي الذَّاكِرَ مِنَ الشَّرَفِ قَوْلُ اللَّهِ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي»^(٢)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

وَهَلِ الْأَفْضَلُ الذِّكْرُ مَعَ النَّاسِ أَوِ الذِّكْرُ فِي خُلُوةٍ؟ وَالْحَقُّ: التَّفْصِيلُ: وَهُوَ إِنْ كَانَ الْإِنْسَانُ يَنْشِطُ وَحْدَهُ وَلَمْ يَكُنْ مَدْعُوًّا مِنَ اللَّهِ لِهَدَايَةِ النَّاسِ فَالْخُلُوةُ فِي حَقِّهِ أَفْضَلُ، وَإِلَّا فَذِكْرُهُ مَعَ النَّاسِ أَفْضَلُ، إِمَّا لِيَنْشِطَ، أَوْ لِيَتَّقِدِيَ النَّاسُ بِهِ، نَسَأُلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ أَهْلِ ذِكْرِهِ.

(١) رواه البخاري (٣٢٠٩)، ومسلم (٢٦٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البيهقي في «الشعب» (٦٧٠)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢٢٤) عن كعب الأحمري من أخبار سيدنا موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، وانظر رواياته عند السخاوي في «المقاصد الحسنة» (١٨٦) عن كعب الأحمري ومحمد بن النضر، وللبخاري في الحديث المتقدم (٧٤٠٥): «وأنا معه إذا ذكرني».

وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُوا ﴿١٥٢﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾

﴿وَأَشْكُرُوا لِي﴾ نِعْمَتِي بِالطَّاعَةِ، ﴿وَلَا تَكْفُرُوا﴾ بِالْمَعْصِيَةِ.

﴿١٥٢﴾ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا﴾ عَلَى الْآخِرَةِ ﴿بِالصَّبْرِ﴾ عَلَى الطَّاعَةِ وَالْبَلَاءِ، ﴿وَالصَّلَاةِ﴾، خَصَّهَا بِالدُّكْرِ لِتَكَرُّرِهَا وَعِظْمِهَا، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بِالْعَوْنِ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَأَشْكُرُوا لِي﴾ (الحق): أنه يتعدى بنفسه وباللام، والمعنى واحد، وهو من عطف الخاص على العام، والنكتة في ذلك: بيان أعلى المقاصد في الذكر؛ فإن المقاصد في الذكر مختلفة، فمن قصد بذكره الدنيا فقط فهو دنيء، ومن قصد بذكره دخول الجنة والنجاة من النار فهو أعلى من الأول، ومن قصد بذكره شكر الله على خلقه إياه وإنعامه عليه ولم يقصد غيره فهو من المقرِّين؛ لما في الحديث: «أفلا أكون عبداً شكوراً»^(١).

قوله: ﴿وَلَا تَكْفُرُوا﴾ (أي: إن حقيقة الشكر أن يُطَاعَ فلا يُعصى، وأن يذكر فلا يُنسى، وأن يُشكر فلا يُكفر، فمعنى (لا تكفرون): لا تصرفوا نعمي في غير ما خلقتها له.

قوله: (على الطاعة) أي: على دوامها؛ سواء كانت الطاعة فعلاً أو تركاً، وقوله: (والبلاء) أي: المصائب، فأقسام الصبر ثلاثة: صبر على الطاعة بدوام فعلها، وصبر عن المعصية بدوام تركها، وصبر على البلاء بحمد الله وشكره عليها، فيكون شاكراً على السراء والضراء، وأعظمها الصبر عن المعاصي، وأقل منه الصبر على الطاعة، وأقل منهما الصبر على البلاء؛ لأنه ورد: «أن الصابر على البلاء يرفعه الله ثلاث مئة درجة، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، والصابر على دوام الطاعة يرفعه الله ست مئة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والأرض مرتين، والصابر عن المعصية يرفعه الله تسع مئة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ثلاث مرات»^(٢).

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (خَصَّهم وإن كان الله مع كل أحد؛ لأن المراد معية مخصوصة، وهي العون والإغاثة، وأما المعية مع كل أحد فمعية علم وقُدرة يتصرف فيهم كيف يشاء، وأما

(١) رواه البخاري (١١٣٠)، ومسلم (٢٨١٩) من حديث المغيرة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الصبر والثواب» (٢٤) من حديث علي رضي الله عنه مرفوعاً.

وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ.....

﴿١٥٤﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ: هُمْ أَمُوتَ بَلْ هُمْ أَحْيَاءٌ،

حاشية الصاوي

الصابرون فهم المحبسون لله؛ لقوله في الحديث: «ولا يزال عبيدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه...» الحديث^(١).

قوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هذه الآية نزلت في قتلى بدر، وكان المقتول من المسلمين أربعة عشر؛ ستة من المهاجرين، وثمانية من الأنصار، كما قال المشركون والمنافقون: هؤلاء ماتوا وقد ضيعوا على أنفسهم الحياة الدنيا ولذاتها، وقد ادَّعوا أنهم ماتوا في مرضاة محمد، فنزلت هذه الآية^(٢).

قوله: ﴿هَمْ أَمُوتَ﴾ أشار بذلك إلى أن ﴿أَمُوتَ﴾ خبرٌ لمبتدأٍ محذوف، والجملة في محل نصب مقول القول، والمعنى: يحرم قول ذلك للشهيد؛ لأنه ليس بموت حقيقة، وإنما هو انتقال من دار الكدر إلى دار الصفاء، ومن دار الحزن إلى دار السرور.

قوله: ﴿وَلِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: وهم الشهداء، وسُموا بذلك لأن أرواحهم شهدت دار السلام عند خروجها عن البدن، أو لأن الملائكة تشهد له بنصره لدين الإسلام.

قوله: ﴿بَلْ هُمْ أَحْيَاءٌ﴾ أي: حياةٌ أُخرويةٌ بالجسم والروح ليست كحياة أهل الدنيا، لا يشاهدونها إلا أهل الآخرة ومن خصَّه الله بالاطلاع عليها، وهذا هو التحقيق، خلافاً لمن قال: إنهم أحياء بالروح فقط؛ لأنه يرد بأن كل إنسان حيُّ الروح مسلماً كان أو كافراً؛ لعدم فناء الروح، ولا مزية للشهيد على غيره! وهذه الحياة حقيقية، وإنما خروج روحه انتقالاً من دار إلى أخرى، وهي مزية من مزايا الأنبياء، فلا يقال: إنهم ساوؤهم.

وحكمة عدم تغسيل الشهداء: بقاء دمهم يشهد لهم يوم القيامة؛ لما في الحديث: «زملوهم بشبابهم، اللون لونُ الدم، والريحُ ريحُ المسك»^(٣)، وأما تغسيل الأنبياء فتعبدية، أو للتشريع، ولا تأكل الأرض أجساد الشهداء.

(١) رواه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) كذا ذكر الواحدي سبب نزولها في «الوسيط» (٢٣٦/١).

(٣) رواه النسائي (٢٠٠٢) من حديث عبد الله بن ثعلبة رضي الله عنه مرفوعاً، وفيه: (بدمائهم) بدل (بشبابهم).

وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ
وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِيرِ الْصَّدِيرِ ﴿١٥٥﴾

أرواحهم في حواصل طيور خضر تَسْرَحُ في الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ؛ لِحَدِيثِ بِذَلِكَ، ﴿وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾: تَعْلَمُونَ مَا هُمْ فِيهِ.

﴿١٥٥﴾ ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ﴾ لِلْعَدُوِّ ﴿وَالْجُوعِ﴾: الْقَحْطُ، ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ﴾ بِالْهَلَاكِ ﴿وَالْأَنْفُسِ﴾ بِالْقَتْلِ وَالْمَوْتِ وَالْأَمْرَاضِ، ﴿وَالثَّمَرَاتِ﴾ بِالْجَوَائِحِ، أَي: لَنَخْتَبِرَنَّكُمْ فَنَنْظُرَ أَتَصْبِرُونَ أَمْ لَا؟ ﴿وَبَشِيرِ الْصَّدِيرِ﴾ عَلَى الْبَلَاءِ

حاشية الصاوي

قوله: (أرواحهم في حواصل طيور^(١)... إلخ) أي: فهي كالهواذج لها، وأما أرواح المؤمنين المطيعين الغير الشهداء فتنعم خارج الجنة بريحها ومأواها البرزخ، وأما أرواح العصاة والكفار فهي مسجونة لا تصرف لها^(٢)، وأما أرواح الأنبياء فورد: «أنها تأوي إلى قناديل معلقة بالعرش بالجنة، وأما أرواح صغار المؤمنين ففي الجنة في كفالة إبراهيم وسارة^(٣)».

قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ اللام: موطئة لقسم محذوف^(٤)؛ أي: والله لنبلوَنَّكم، و(نبلوَنَّ): جوابه، واقترن باللام والنون لكونه مضارعاً مثبتاً مستقبلاً، والمعنى: لنختبرَنَّكم أيها المؤمنون؛ لما في الحديث: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»^(٥)؛ أي: ولو كان المؤمن في غاية نعيمها، والكافر في أشد ضيقها.

قوله: (القحط) هو في الأصل: تخلف المطر، وهو سبب في الجوع، فقد فسّر الشيء بسببه.

قوله: (بالجوائح) أي: الآفات المتلفة للزرع ونحوه.

قوله: (أي: لنختبرنكم) أي: لنظهر ذلك للملائكة ولبعضكم بعضاً، فمن صبر فله الرضا، ومن جزع فله السخط.

(١) كما روى مسلم (١٨٨٧).

(٢) تسجن أرواح الكفار في بئر برّهوت كما روى عبد الرزاق في «مصنفه» (١١٥/٥).

(٣) كما روى أحمد في «المسند» (٣٢٦/٢).

(٤) اللام واقعة في جواب قسم محذوف، وانظر ما تقدم عن اللام الموطئة (٢٢٨/١).

(٥) رواه مسلم (٢٩٥٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾

بِالْجَنَّةِ.

﴿١٥٦﴾ هُمْ ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ﴾: بَلَاءٌ ﴿قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ﴾ مُلْكاً وَعَبِيداً يَفْعَلُ بِنَا مَا يَشَاءُ، ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ فِي الْآخِرَةِ فَيُجَازِينَا، وَفِي الْحَدِيثِ: «مَنْ اسْتَرْجَعَ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ أَجْرَهُ اللَّهُ فِيهَا وَأَخْلَفَ عَلَيْهِ خَيْرًا»، وَفِيهِ أَنَّ مِصْبَاحَ النَّبِيِّ ﷺ طَفِئَ فَاسْتَرْجَعَ، حَاشِيَةُ الصَّادِقِ

قوله: (بالجنة) متعلقٌ بـ(بشّر)، والمعنى: بشّرهم بالجنة من غير سابقة عذاب.

قوله: (هم ﴿الَّذِينَ﴾) أشار بذلك إلى أن ﴿الَّذِينَ﴾ خبرٌ لمبتدأٍ محذوف، واقع في جواب سؤال مقدر^(١)، قيل: نعتٌ مقطوع، وقيل: إن ﴿الَّذِينَ﴾ نعتٌ لـ﴿الضَّالِّينَ﴾، وهو أحسنها، وقيل: منصوبٌ على المدح بفعل محذوف تقديره: أمدح، وقيل: مبتدأٌ خبره قوله: ﴿أُولَئِكَ﴾.

قوله: ﴿مُصِيبَةٌ﴾ أي: أي مصيبة كانت؛ سواء كانت فقد مال أو نفس، أو جوعاً أو خوفاً أو غير ذلك.

قوله: ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ أي: مملوكون ومخلوقون له، يتصرف فينا على ما أراد، وهذه المقالة من خصائص هذه الأمة، ولو كانت لغيرهم لكانت ليعقوب حين فقد يوسف فقال: ﴿يَتَأَسَّفُ﴾ [يوسف: ٨٤].

قوله: ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ أي: صائرون.

قوله: (من استرجع) أي: قال: إنا لله وإنا إليه راجعون.

قوله: (أجره الله فيها^(٢)) أي: بسببها، وفي «المصباح»: (أجره الله أجراً من بابي: ضربَ وقتل، وأجره بالمدّ لغةً ثالثة؛ إذا أثابه).

قوله: (وأخلف عليه خيراً) أي: منها، إما في الآخرة فقط، أو فيها وفي الدنيا، فمن رضي بأحكام الله وصبر على ما أصابه فله الرضا من الله، ولكل مصيبة دواءٌ إلا الموت على الكفر والعياد بالله تعالى، قال بعضهم: [البسيط]

(١) تقديره: من هم الصابرون؟ والجواب: هم الذين...

(٢) بنحوه رواه مسلم (٩١٨) من حديث أم سلمة رضى الله عنها، وروى أبو داود في «مراسيله» (٤١٢) عن عمران القصير

قال: طفي مصباح النبي ﷺ، فاسترجع، قالت عائشة: إن هذا مصباح! قال: «كل ما ساء المؤمن فهو مصيبة».

أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ إِنَّ الصَّافَا

فَقَالَتْ عَائِشَةُ: إِنَّمَا هَذَا مُصْبَاحٌ؟ فَقَالَ: «كُلُّ مَا سَاءَ الْمُؤْمِنَ فَهُوَ مُصِيبَةٌ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «مَرَايِيلِهِ».

﴿١٥٧﴾ ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ﴾: مَغْفِرَةٌ ﴿مِن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾: نِعْمَةٌ، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ إِلَى الصَّوَابِ.

﴿١٥٨﴾ ﴿إِنَّ الصَّافَا

حاشية الصاوي

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا فَارَقْتَهُ عِوَضٌ وَلَيْسَ لِلَّهِ إِنْ فَارَقْتَ مِنْ عِوَضٍ^(١)

قوله: (إنما هذا مصباح) أي: شيء قليل!

قوله: ﴿صَلَوَاتٌ﴾ جمع صلاة، وهي المغفرة كما فسرها بذلك المفسر، وجمعها بذلك إشارة إلى أنه لا يبقى عليهم ذنوب أبداً، بل عليهم مغفرة متكررة.

قوله: (نعمة) دفع بذلك ما يُقال: إن الصلاة هي الرحمة، فعطف الرحمة عليها مرادف، فما حكمة التكرار؟ فأجاب المفسر بمنع ذلك، وأن العطف مُغَايِر، فالصلاة محوُ الذنوب، والرحمة العطايا، فهو من باب: التَّحْلِيَة بعد التَّخْلِيَة، وقد ورد إطلاق الصلاة على المغفرة، ففي الحديث: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى»^(٢)؛ أي: اغْفِرْ لَهُمْ، وفي الحديث أيضاً: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مَصَلَّاهُ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ»^(٣)، وقيل: إن الصلاة بمعنى: الرحمة والعطف مرادف، وحكمة التكرار: إشارة لتوالي الرحمات والنعم، والرضا عليه حيث رضي بأحكام سيده، وحسن نفسه على ما تكره.

قوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ أي: الكاملون في الهدى؛ فإن الرضا عن الله في كل حال من علامات الهدى الكامل.

قوله: ﴿إِنَّ الصَّافَا﴾ جمع صفاة، اسمٌ للحجر الأملس، والمراد هنا: الجبل المعروف الذي يُبتدأ السعي منه.

(١) للشيخ الأكبر ابن عربي رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي «وصاياه» (ص ٣١).

(٢) رواه البخاري (١٤٩٧)، ومسلم (١٠٧٨) من حديث عبد الله بن أبي أوفى رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٣) رواه البخاري (٤٤٥)، ومسلم (٦٤٩) في كتاب المساجد من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وفيه زيادة: «اللهم ارحمه».

وَالْمَرَّةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا

وَالْمَرَّةَ: جَبَلَانِ بِمَكَّةَ ﴿مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾: أعلام دينه، جمعُ شَعِيرَةٍ، ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ﴾ أي: تَلَبَّسَ بِالْحَجِّ أَوْ الْعُمْرَةِ - وَأَصْلُهُمَا الْقَصْدُ وَالزِّيَارَةُ - ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾: إِثْمٌ ﴿عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ﴾ - فِيهِ إِدْغَامُ التَّاءِ فِي الْأَصْلِ فِي الطَّاءِ - ﴿بِهِمَا﴾ بِأَنْ يَسْعَى بَيْنَهُمَا سَبْعًا، نَزَلَتْ لَمَّا كَرِهَ الْمُسْلِمُونَ ذَلِكَ لِأَنَّ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ كَانُوا يَطُوفُونَ بِهِمَا وَعَلَيْهِمَا

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَالْمَرَّةَ﴾ في الأصل: اسم للمكان الرَّخْو، والمراد هنا: الجبل الذي ينتهي السعي إليه.

قوله: (جَبَلَانِ بِمَكَّةَ) أي: بجوار المسجد الحرام.

قوله: ﴿مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ أي: من أمور دين الله التي تعبَّدنا بها، فمن أنكر كونَ السعي من أمور الدين فقد كفر.

قوله: ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ﴾ الحجُّ في اللغة: القصدُ، واصطلاحاً: عبادةٌ يلزمُها طوافُ بالبيت سَبْعًا، وسعيٌّ بين الصفا والمروة كذلك، ووقوفٌ بعرفة ليلةَ عاشِرِ ذي الحجة، على وجهٍ مخصوص. قوله: ﴿أَوْ اعْتَمَرَ﴾ العمرَةُ في اللغة: الزيارة، واصطلاحاً: عبادةٌ يلزمُها طوافٌ وسعيٌّ على وجهٍ مخصوص.

قوله: (وَأَصْلُهُمَا الْقَصْدُ . . . إلخ) لفٌّ ونشْرٌ مرْتَب.

قوله: (فيه إدغامُ التاء في الأصل) أي: فأصله: يَطَّوَّفُ، قُلِبَتِ التَّاءُ طَاءً، ثم أدغمت في الطاء. قوله: (لما كره المسلمون) أي: حين كرهوا ذلك^(١).

قوله: (وعليهما صنمان) أحدهما: يُسَمَّى إِسَافًا، والثاني: يُسَمَّى نَائِلَةً، قيل: كانا على صورة رجل وامرأة، وذلك: أن رجلاً اسمه إِسَافٌ وامرأة اسمُها نَائِلَةُ زَنِيَا فِي الْكَعْبَةِ، فمسخَهما الله حجَرَيْنِ على صورتَهما الأصلية، فلمَّا تقادم الزمان عبَدتهما الجاهلية^(٢)، فلمَّا جاء الإسلامُ أبطل ذلك ونسخه.

(١) قال العلامة ابن عاشور: (الجُنَاحُ المنفي في الآية جُنَاحٌ عَرَضَ للسَّعْيِ بَيْنَ الصَّفا وَالْمَرْوَةِ فِي وَقْتِ نَصَبِ إِسَافٍ وَنَائِلَةٍ عَلَيْهِمَا، وَلَيْسَ لِذَاتِ السَّعْيِ، فَلَمَّا زَالَ سَبِيهُ زَالَ الْجُنَاحُ). انظر «التحرير والتنوير» (٦٣/٢).

(٢) روى ذلك الأزرق في «أخبار مكة» (٢٣/٢)، وورد ذكرهما عند مسلم (١٢٧٧)، وانظر «إكمال المعلم» (٤/١٨٤).

وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾

صَنَمَانِ يَمَسْحُونَهُمَا، وعن ابن عباس أَنَّ السَّعْيَ غَيْرُ فَرَضٍ؛ لِمَا أَفَادَهُ رَفْعُ الْإِثْمِ مِنَ التَّخْيِيرِ، وَقَالَ الشَّافِعِيُّ وَغَيْرُهُ: رُكْنٌ، وَبَيَّنَ ﷺ فَرَضِيَّتَهُ بِقَوْلِهِ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْكُمُ السَّعْيَ»، رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ، وَقَالَ: «ابْدُؤُوا بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ» يَعْنِي الصَّفَا، رَوَاهُ مُسْلِمٌ. ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ﴾ - وفي قراءة بِالتَّحْتِيَّةِ وَتَشْدِيدِ الطَّاءِ مَجْزُومًا، وَفِيهِ إِدْغَامُ النَّاءِ فِيهَا - ﴿خَيْرًا﴾ أَي: بِخَيْرٍ أَيْ: عَمِلَ مَا لَمْ يَجِبْ عَلَيْهِ مِنْ طَوَافٍ وَغَيْرِهِ، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ﴾ لِعَمَلِهِ بِالْإِثَابَةِ عَلَيْهِ، ﴿عَلِيمٌ﴾ بِهِ.

حاشية الصاوي

قوله: (غير فرض) أي: ووافقه على ذلك ابن حنبل^(١).

قوله: (من التخيير) ليس المراد أنه مباح، بل هو مطلوب؛ بدليل ضم أول الآية لآخرها.

قوله: (وغيره) أي: وهو مالك.

قوله: (إن الله كتب عليكم السعي) تمامه: «فاسعوا»، وأصل الحديث: «اسعوا؛ فَإِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْكُمُ السَّعْيَ»^(٢)، فَتَحْصَلَ أَنَّ الْآيَةَ لَيْسَتْ صَرِيحَةً فِي الْفَرْضِيَّةِ وَلَا فِي الْوُجُوبِ، وَإِنَّمَا أَخَذَ ذَلِكَ مِنَ السَّعْيِ.

قوله: (وفيه إدغام الناء) أي: بعد قلبها طاء^(٣).

قوله: (أي: بخير) أشار بذلك إلى أن ﴿خَيْرًا﴾ منصوبٌ بنزع الخافض.

قوله: (من طواف وغيره) أي: كسعي في حجٍّ أو عُمرة، أو طوافٍ مطلقاً؛ لأنَّ عِبَادَةَ الطَّوَافِ لَا تَقْيِدُ بِالنُّسْكِ، بخلاف السَّعْيِ.

قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ﴾ هذا دليلُ الجواب وليس هو الجواب، بل هو محذوفٌ تقديره: شكره الله لأنَّ الله شاكرٌ عليمٌ، والشكرُ في الأصل: مجازاةُ أصحابِ الحقوقِ عليها، وليس ذلك مراداً في حقِّ مولانا، وإنما المراد: عاملنا معاملةَ الشاكر؛ بأن ألزَمَ نفسه الجزاءَ من فضله؛ لأنه كريمٌ واسعُ العطاء.

(١) في رواية عنه، وفي أخرى أنه ركن، واختار ابن قدامة الحنبلي وجوبه دون الركنية والسنية، انظر «المغني» (٣/٣٥١).

(٢) رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (٦/٤٢٢)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ» (٢٤/٢٢٦).

(٣) أَي: وَمَنْ يَطَوَّعُ، وَهِيَ قِرَاءَةُ حَمْزَةِ الْكَسَانِيِّ. انظر «البحر المحيط» (١/٦٣٢).

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ﴿١٥٩﴾

﴿١٥٩﴾ ونَزَلَ فِي الْيَهُودِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ النَّاسَ ﴿مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ﴾ كَايَةِ الرَّجْمِ وَنَعَتِ مُحَمَّدٌ ﷺ، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾: التَّوْرَةَ ﴿أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾: يُبْعِدُهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ، ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾ الْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ، أَوْ كُلُّ شَيْءٍ بِالْدُّعَاءِ عَلَيْهِمُ بِاللَّعْنَةِ.

حاشية الصاوي

قوله: (ونزل في اليهود) أي: في أحبارهم؛ ككعب بن الأشرف ومالك بن الصَّيْف وعبد الله بن صُورياً^(١).

قوله: (الناس) قدَّره المفسر؛ إشارة إلى أنه مفعول ﴿يَكْتُمُونَ﴾ الثاني، والمعنى: يكتُمون الحق عن الناس؛ بحيث يظهرون الباطل، ويخفون الحق من نعت محمد وغيره.

قوله: ﴿مَا أَنزَلْنَا﴾ أي: الشيء، أو الذي أنزلناه، وقوله: ﴿مِنْ الْبَيِّنَاتِ﴾ بيانٌ لـ ﴿مَا﴾، والمراد بالبينات: الآيات الواضحات التي مَنْ أذعن لها فقد اهتدى، وعطف (الهدى) عليها للتفسير.

قوله: (كآية الرجم) أي: الكائنة في التوراة، وهي أن مَنْ زنى يَرجم، فمحوها وقالوا: لم يكن ذلك عندنا، فحصل منهم التكذيب لنيهم.

قوله: (ونعت محمد) أي: صفاته وأخلاقه مِنْ مَوْلده إلى انتهاء أجله، وهذان مثالان للبينات والهدى معاً؛ لأن بالآيات يحصل الهدى.

قوله: ﴿لِلنَّاسِ﴾ أي: عموماً.

قوله: ﴿أُولَٰئِكَ﴾ مبتدأ، وجملة ﴿يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾ خبره، وأتى بإشارة البعيد إشارةً لبعدهم عن رحمة الله.

قوله: (والمؤمنون) أي: من غيرهم؛ كالإنس والجن.

قوله: (أو كل شيء) حتى الجمادات والحيتان في البحر، ويشهد له الحديث: «العاصي يلعنه كل شيء حتى الحيتان في البحر»، و(أو) لتنوع الخلاف، ثم إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص

(١) كما روى الطبري في «تفسيره» (٢٤٩/٣).

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾

﴿١٦٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا: رَجَعُوا عَنْ ذَلِكَ، ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ عَمَلَهُمْ، ﴿وَبَيَّنُّوا﴾ مَا كَتَمُوا، ﴿فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾: أَقْبَلُ تَوْبَتَهُمْ، ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ بِالْمُؤْمِنِينَ.

﴿١٦١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ - حَالٌ - ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ أَي: هُمْ مُسْتَحِقُّونَ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَ(النَّاسُ)

حاشية الصاوي

السبب، فهذا الوعيد وإن كان وارداً في شيء خاص إلا أنه لكل من كتم علماً، ومنه شاهد الزور والمفتي بغير الحق.

قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ﴾ استثناء متصل أفاد به أن اللعنة معلقة.

قوله: (رجعوا عن ذلك) أي: الكتمان؛ بأن أنصفوا من أنفسهم وأسلموا، فهذا الوعيد خاص بمن مات كافراً، وأما من مات مؤمناً ولو عاصياً فليس له هذا الوعيد، ولا يجوز الدعاء باللعنة على المعين ولو كافراً، إلا أن يثبت موته على الكفر، وأما غير المعين فيجوز على الكافر والعاصي.

قوله: ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ عملهم أي: في المستقبل؛ كعبد الله بن سلام وأضرابه.

قوله: (ما كتموا) أي: من البينات والهدى، ويحتمل أن قوله تعالى: ﴿وَبَيَّنُّوا﴾ أي: التوبة.

قوله: ﴿فَأُولَٰئِكَ﴾ أتى بإشارة البعيد إشارة لرفعة رتبته عن رتبة غيرهم؛ على حد: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾.

قوله: ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ﴾ أي: الكثير القبول لتوبة من تاب، والجملة حالية من فاعل ﴿أَتُوبُ﴾.

قوله: (بالمؤمنين) أي: ولو عصاة، وأراد من مات مسلماً.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: أحباراً أو غيرهم.

وقوله: ﴿وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ أي: استمروا على الكفر حتى ماتوا عليه.

قوله: (أي: هم مستحقون ذلك) أشار بذلك لدفع التكرار، كأنه قال: المراد باللعنة الأولى حصولها بالفعل، وبالثانية استحقاقها، وفي الحقيقة لا تكرار؛ لأن ما تقدّم في الكفار من أحبار اليهود، وهذا في الكفار عموماً.

خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ

قِيلَ: عامٌّ، وقِيلَ: المؤمنونَ.

﴿١٦٢﴾ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي: اللعنة أو النار المدلول بها عليها، ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ﴾ طرفة عين، ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾: يُمهَلُونَ لِتُوبَةٍ أَوْ مَعْدِرَةٍ.

﴿١٦٣﴾ وَنَزَلَ لِمَا قَالُوا: (صِفْ لَنَا رَبَّكَ): ﴿وَإِلَهُكُمْ﴾ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ مِنْكُمْ ﴿إِلَهُ﴾ وَاحِدٌ ﴿لَا نَظِيرَ لَهُ فِي ذَاتِهِ وَلَا فِي صِفَاتِهِ﴾،

حاشية الصاوي

قوله: (قيل: عام) أي: حتى الكفار؛ لأنه يلعن بعضهم بعضاً.

قوله: (وقيل: المؤمنون) أي: من الإنس والجن والملائكة.

قوله: (أي: اللعنة) أي: ويلزم من خلوده في اللعنة خلوده في النار.

قوله: (المدلول بها) أي: باللعنة، وقوله: (عليها) أي: النار.

قوله: (طرفة) أي: مقدار تغميض العين وفتحها العادي.

قوله: (يمهلون) أشار به إلى أنه من الإنظار، بمعنى: الإمهال والتأخير، قال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦] أجازنا الله والمسلمين من النار.

قوله: (ونزل) أي: بمكة؛ لأن هذه الآية وما بعدها مكية وإن كانت السورة مدنية.

قوله: (لما قالوا) أي: مشركو العرب، وكانوا إذ ذاك يعبدون ثلاث مئة وستين صنماً حول الكعبة، ونزلت سورة (الإخلاص) أي: ردّاً عليهم.

قوله: ﴿وَإِلَهُكُمْ﴾ مبتدأ، ﴿وَإِلَهُ﴾: خبرٌ، و﴿وَاحِدٌ﴾: صفته، وهو محط الفائدة؛ على حدٍّ: مرّرت بزيد رجلاً صالحاً، فهي كالحال الموطئة^(١)، وقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ خبرٌ ثانٍ مؤكّد لما قبله لقصد الإيضاح.

قوله: (لا نظير له) فيه نفي الكموم الخمسة، وتوضيحه: أن قوله: (لا نظير له في ذاته) أي: أن ذاته ليست مركبة من أجزاء، وليس لأحد ذات كذاته، (ولا في صفاته) أي: ليست صفاته متعددة من جنس واحد؛ بمعنى أنه ليس له علمان ولا سمعان إلى آخرها، وليس لأحد صفة كصفات مولانا،

(١) فالفائدة في صفة الحال وهي صالحاً في المثال، وكذا الفائدة في صفة إله، وهي الخبر على الحقيقة.

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، هو ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، وطلبوا آيةً على ذلك فنزل:

﴿١٦٤﴾ ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

حاشية الصاوي

فهذه أربعة كموم؛ متصلان في الذات والصفات، ومنفصلان فيهما، والخامس: المنفصل في الأفعال؛ بمعنى: أنه ليس لأحد فعل مع الله، وأما المتصل فهو ثابت لا ينفي؛ لأن أفعاله على حسب شؤونه في خلقه^(١).

قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا معبود بحق موجود إلا هو؛ أي: إلهكم، وفي الكلام تغليظ لهم.

وإعرابه: ﴿لَا﴾: نافية للجنس تعمل عمل (إن)، ﴿إِلَهَ﴾: اسمها مبني على الفتح في محل نصب، والخبر محذوف تقديره: موجود، و﴿إِلَّا﴾: أداة حصر، و﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل بدل من الضمير المستتر في الخبر، والتقدير: لا إله موجود هو إلا هو، وقوله: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ خبر ثالث، والمقصود من تعدد الأخبار: إيضاح أمر الإله لهم، وتبكيث لهم لإلزامهم الحجة، وهذه طريقة، ومشى المفسر على أن ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ خبر لمبتدأ محذوف^(٢)، وكل صحيح.

قوله: (وطلبوا آية) أي: دليلاً على ما تقدم من الدعاوى، فإن قوله: ﴿وَاللَّهُ كَرِهُهُ﴾ دعوى أولى، وقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ دعوى ثانية، وقوله: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ دعوى ثالثة.

قوله: (فنزل): ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ﴾ أي: إلى قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، وهي ثمانية أشياء، في كل شيء منها آيات، فهو إجابة بالمطلوب وزيادة. [المقارب]

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَّهُ آيَةٌ تَسُدُّ عَلَى أَنَّهُ الْوَاحِدُ^(٣)

و﴿إِنَّ﴾: حرف توكيد ونصب، و﴿فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ﴾: جار ومجرور خبر مقدم، و﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: اسمها مؤخر، وحذفه من الأول لدلالة الأخير عليه، كأنه قال: واختلاف الليل والنهار لآيات، والفلك التي تجري في البحر لآيات، وهكذا.

(١) انظر «حاشية المصنف على جوهرة التوحيد» (ص ١٥٧).

(٢) قدره المفسر بقوله: (هو).

(٣) البيت لأبي العتاهية. انظر «ديوانه» (ص ٤٥).

وَاخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالْفُلُكُ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ

وما فيهما من العجائب، ﴿وَاخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ﴾ بِالذَّهَابِ وَالْمَجِيءِ وَالزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ، ﴿وَالْفُلُكُ﴾: السُّفُنُ ﴿الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾

حاشية الصاوي

وقوله: ﴿فِي خَلْقٍ﴾ أطلق المصدر وأراد اسم المفعول؛ أي: مخلوق هو السماوات والأرض، وقد جعل الخازن السماء مع الأرض شيئاً واحداً من ثمانية أشياء^(١)، وقوله: ﴿بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ شيءٌ مستقل.

قوله: (وما فيهما من العجائب) أي: فعجائب السماوات: رفعها بلا عمد، وكون الشمس في السماء الرابعة مع إضاءتها لأهل الأرض ونفعها لهم النفع التام، وإضاءة النجوم لأهل الأرض واهتدائهم بها مع كونها ثوابت في العرش، وهكذا، وعجائب الأرض: مدّها وبسطها وتثبيتها بالجبال الرؤاسي وهكذا، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [٦-٧]، وأفرد الأرض ولم يجمعها كالسماوات؛ لاتحاد جنسها وهو الماء والتراب، واختلاف جنس السماوات.

قوله: (بالذهاب والمجيء) أشار بذلك إلى وجه اختلافهما، ومن جملة عجائب الليل: كونه مغمراً أو مظلماً، وكونه طويلاً على أناس دون غيرهم، ومن جملة عجائب النهار: طوله على أناس دون غيرهم، فقد يكون الفجر عند قوم هو العصر عند آخرين، وغير ذلك، وقدّم الليل على النهار؛ لأنه سابقه على الأصح؛ لأن الظلمة سابقة على النور، وقيل: يسبق النهار، وينبني على هذا الخلاف فائدة؛ وهي أن الليلة تابعة لليوم قبلها أو اليوم بعدها، وعلى الصحيح: تكون الليلة لليوم بعدها، وعلى مقابله تكون تابعة لليوم قبلها، فيوم عرفة يستثنى على القول الأول؛ لأنه تابع لليلة بعده، ولا يردّ قوله تعالى: ﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ [يس: ٤٠]؛ لأن المعنى ليس الليل يسبق النهار؛ بحيث يأتي قبل انقضاء النهار، بل كل يلزم الحد الذي حدّه الله له.

قوله: ﴿وَالْفُلُكُ﴾ يستعمل مفرداً وجمعاً بوزن واحد، والتغاير بالوصف، يقال: فلك مشحونة وفلك مشحونات.

قوله: ﴿الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾ أي: يُسِيرُهَا اللهُ بالريح مُقْبِلَةً وَمُدْبِرَةً، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَانِ﴾ [الشورى: ٣٢].

(١) الخازن في تفسيره «لباب التأويل في معاني التنزيل» (١/٩٩).

بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ

ولا تَرْسُبُ مُوقَرَةً ﴿بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ مِنَ التَّجَارَاتِ وَالْحَمَلِ، ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ﴾: مَطَرٍ ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ بِالنَّبَاتِ ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: يُبْسِهَا، ﴿وَبَثَّ﴾: فَرَّقَ وَنَشَرَ بِهِ ﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ لِأَنَّهُمْ يَنْمُونُ بِالْخِصْبِ الْكَائِنِ عَنْهُ، ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ﴾: تَقْلِيْبِهَا جَنُوبًا وَشَمَالًا حَارَّةً وَبَارِدَةً،

حاشية الصاوي

قوله: (ولا تَرْسُبُ) أي: لا تَسْقُطُ لأسفل.

قوله: (مُوقَرَةً) أي: حَامِلَةً لِلْأَثْقَالِ، وَأَشَارَ بِهِ إِلَى أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ هُوَ الشَّيْءُ الرَّابِعُ.

قوله: ﴿بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ أي: وَمِنْ جُمْلَةِ مَنَافِعِهِمْ: اتِّصَالُ الْأَقْطَارِ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ مِنْ حَيْثُ انْتِفَاعُهُمْ بِمَا فِي الْقَطْرِ الْآخَرِ مِنَ الزُّرُوعِ وَغَيْرِهَا، فَلَوْلَا تَسْخِيرُ السُّفُنِ لِاسْتَقْلَالِ كُلِّ قُطْرٍ بِمَا فِيهِ، وَضَاقَ عَلَى النَّاسِ مَعَاشُهُمْ.

قوله: ﴿مِنْ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ﴾ ﴿مِنْ﴾ الْأُولَى: ابْتِدَائِيَّةٌ، وَالثَّانِيَّةُ: يَصَحُّ أَنْ تَكُونَ بَيَانِيَّةً أَوْ لِلتَّبْعِيضِ.

قوله: ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ أي: أَظْهَرَ مَا فِيهَا مِنَ النُّصَارَةِ وَالبَهْجَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُجِي الْمَوْقِفِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩].

قوله: (لأنهم ينمون بالخصب) أي: فَإِذَا كَثُرَتِ الْمَرْعَى شَبِعَتِ الْبَهَائِمُ، فَيَأْتِي مِنْهَا النَّسْلُ، وَإِذَا كَثُرَتِ الْأَقْوَاتُ شَبِعَتِ النَّاسُ، فَتَأْتِي مِنْهُمْ الذَّرِيَّةُ.

قوله: (شمالاً) هي ما جَاءَتْ مِنْ جِهَةِ الْقُطْبِ، وَالْجَنُوبُ: مَا قَابَلَتْهَا، وَالصَّبَا: مَا جَاءَتْ مِنْ مَطْلَعِ الشَّمْسِ، وَالدُّبُورُ: مَا قَابَلَتْهَا.

قوله: (وحارة وباردة) أي: وَتَأْتِي بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ، فِي الْحَدِيثِ: «نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكْتُ عَادٌ بِالدُّبُورِ»^(١).

(١) رواه البخاري (١٠٣٥)، ومسلم (٩٠٠) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾

﴿وَالسَّحَابِ﴾: الغيم ﴿الْمُسَخَّرِ﴾: المُذَلَّل بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى يَسِيرُ إِلَى حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ، ﴿بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ بِلا عِلَاقَةٍ، ﴿لَآيَتٍ﴾ دَالَّةٌ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ تَعَالَى ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: يَتَدَبَّرُونَ.

حاشية الصاوي

والحاصل: أن الريح تنقسم إلى قسمين: رحمة وعذاب، ثم إن كلَّ قسم ينقسم إلى أربعة أقسام، ولكلِّ قسم اسم؛ فأسماء أقسام الرحمة: المُبَشِّرَات، والنُّشْر، والمُرْسَلَات، والرُّخَاء، وأسماء أقسام العذاب: العاصِف والقاصِف وهما في البحر، والعَقِيم والصَّرْصَر وهما في البر، وقد جاء في القرآن بكلِّ هذه الأسماء، وقد نَزَّلَ الْأَطْبَاءُ كلَّ رِيحٍ عَلَى طَبِيعَةٍ مِنَ الطَّبَائِعِ الْأَرْبَع؛ فَطَبْعُ الصَّبَا الْحَرَارَةُ وَالْيَبَسُ، وَتُسَمِّيْهَا أَهْلُ مِصْرَ الشَّرْقِيَّةَ؛ لِأَنَّ مَهَبَّهَا مِنَ الْمَشْرِقِ، وَتُسَمَّى قَبُولًا لِاسْتِقْبَالِهَا وَجْهَ الْكَعْبَةِ، وَطَبْعُ الدَّبُورِ الْبَرْدُ وَالرُّطُوبَةُ، وَتُسَمِّيْهَا أَهْلُ مِصْرَ الْغَرْبِيَّةَ؛ لِأَنَّ مَهَبَّهَا مِنَ الْمَغْرِبِ، وَهِيَ تَأْتِي مِنْ دُبُرِ الْكَعْبَةِ، وَطَبْعُ الشَّمَالِ الْبَرْدُ وَالْيَبَسُ، وَتُسَمَّى الْبَحْرِيَّةَ؛ لِأَنَّهُ يُسَارُّ بِهَا فِي الْبَحْرِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَقِيلَ: مَا تَهَبُّ لَيْلًا، وَطَبْعُ الْجَنُوبِ الْحَرَارَةُ، وَتُسَمَّى الْقَبْلِيَّةَ؛ لِأَنَّ مَهَبَّهَا مِنْ مَقَابِلَةِ الْقُطْبِ، وَهِيَ عَنْ يَمِينِ مُسْتَقْبَلِ الْمَشْرِقِ، وَتُسَمِّيْهَا أَهْلُ مِصْرَ الْمَرْيَسِيَّةَ، وَهِيَ مِنْ عُيُوبِ مِصْرَ الْمَعْدُودَةِ؛ فَإِنَّهَا إِذَا هَبَّتْ عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ اسْتَعْدُّوا لِلْأُكْفَانِ^(١).

قوله: ﴿وَالسَّحَابِ﴾ أصله: طَرَحُ شَجَرَةٍ فِي الْجَنَّةِ^(٢)، جَعَلَهُ اللَّهُ مَحْمُولًا لِلرِّيحِ يَسِيرُ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ، فَسِيرُهُ أَعْجَبُ مِنْ سِيرِ الْمَرْكَبِ عَلَى ظَهْرِ الْبَحْرِ.

قوله: (بلا عِلَاقَةٍ^(٣)) أي: بلا شيءٍ يَتَعَلَّقُ بِهِ وَيَحْفَظُهُ مِنَ السَّقُوطِ.

قوله: (يتدبرون) أي: يتفكرون ويتأملون في عجائب قُدْرَتِهِ، فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَهَذَا الدَّلِيلُ مَنْ تَمَسَّكَ بِهِ وَاتَّقَنَهُ كَفَاهُ فِي عَقَائِدِ إِيْمَانِهِ، وَأَمَّا الْمُقْلَدُ فَهُوَ مَنْ لَمْ يَحْضُرِ الْعُلَمَاءُ وَلَمْ يَجْلِسْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، وَلَا يَعْرِفُ الْأَرْضَ مِنَ السَّمَاءِ كَالْبَهَائِمِ.

(١) المريسية نسبة إلى بلدة مريسة بالنوبة، وسياق المصنف بطوله عند القسطلاني في «إرشاد الساري» (٥/٢٦١).

(٢) أي: ثمرها، قال العلامة الأمير في «حاشيته على شرح الجوهرة» (ص ٧٨): (وفي بعض الآثار ما يدلُّ على أنه من الجنة)، وقد روى ذلك ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٤٧٠٨) عن خالد بن معدان، والسحاب مشتق من السَّحْب؛ لَجَرِّ بَعْضِهِ بَعْضًا.

(٣) بكسر العين في المحسوسات كما هنا، ويفتحها في المعنويات كعِلَاقَةِ الْحُبِّ وَالْخُصُومَةِ. انظر «الفتوحات» (١/١٣٢).

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ

﴿١٦٥﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَي: غَيْرِهِ ﴿أَنْدَادًا﴾: أَصْنَامًا، ﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾ بِالتَّعْظِيمِ وَالْخُضُوعِ، ﴿كَحُبِّ اللَّهِ﴾ أَي: كَحُبِّهِمْ لَهُ، ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ مِنْ حُبِّهِمْ لِلْأَنْدَادِ؛

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ هذه الآية وردت لاستعظام ما وقع من بعض بني آدم من الكفر بعد ثبوت البراهين القطعية، كأن الله يقول: اعجبوا لكفر بعض العبيد مع ثبوت الأدلة على وحدانيته تعالى، والجار والمجرور خبرٌ مقدّم، و﴿مَن يَتَّخِذُ﴾: مبتدأ مؤخر، وهو اسمٌ موصول، وما بعده صِلته، أو نكرةٌ موصوفةٌ وما بعده صفة^(١).

قوله: ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ هي في الأصل: ظرفٌ مكانٌ للمكان الأدنى، يُقال: جلس فلانٌ في مكانٍ دون مكانٍ زيد؛ يعني: أدنى منه، ثم أُطلق الدون وأريد الغيرية، من إطلاقِ الملزوم وإرادةِ اللّازم، لكن صار حقيقةً عرفيةً في الغير.

قوله: ﴿أَنْدَادًا﴾ مفعولٌ ﴿يَتَّخِذُ﴾، وقوله: ﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾ صفةٌ لـ ﴿أَنْدَادًا﴾، وفاعلٌ ﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾ عائدٌ على ﴿مَن﴾ باعتبار المعنى، وأفرد في ﴿يَتَّخِذُ﴾ مراعاةً للفظ.

قوله: ﴿أَي: كَحُبِّهِمْ لَهُ﴾ أي: كحبّ المشركين لله، فقد سَوّوا في المحبة بين الله والأنداد، ويحتملُ أن المعنى كحبّ المؤمنين لله، فحبّ المشركين للأصنام كحبّ المؤمنين لله، وهو الأقرب، واستشكل الأول: بأنه لا يأتي من عاقل التّسوية في المحبة بين مَنْ يَخْلُقُ وبين مَنْ لا يَخْلُقُ! أجاب المفسّر: بأن المراد بالحبّ التعظيم والخضوع، وليس المراد الحبّ الحقيقي؛ فإن كلّ إنسان جُبِل على محبة خالقه.

قوله: ﴿أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ أي: فقد انفرد المؤمنون بمحبة الله، وأما محبة مثل الأنبياء والأولياء فمن المحبة لله.

إن قلت: إن الكفار كذلك يُحبُّون الأندادَ ليقربوهم إلى الله زلفى، فيقتضي أنها أيضاً من المحبة لله!

أجيب: بأنهم كفروا بعبادتهم لهم، لا بمجرد المحبة، ففرق بين المحبة والعبادة، فلا يُعبدُ

(١) أي: في محل رفع صفة، والتقدير: فريقٌ أو شخصٌ يتخذ. انظر «الفتوحات» (١/١٣٢).

وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا

لَأَنَّهُمْ لَا يَعْدِلُونَ عَنْهُ بِحَالٍ مَا، وَالْكَفَّارُ يَعْدِلُونَ فِي الشَّدَّةِ إِلَى اللَّهِ، ﴿وَلَوْ تَكَرَّى﴾: تُبْصِرُ
يَا مُحَمَّدُ ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾

حاشية الصاوي

إلا الله لا غيره، بخلاف المحبة من أجل كون ذلك المحبوب مقرباً مثلاً من الله؛ كالأنبياء
والأولياء، ولذلك مَنْ عبدَهم فقد كفر^(١).

قوله: (لأنهم لا يعدلون عنه بحال) أي: فهذا وجهُ الأشدِّية، وحاصلُ ما قدَّره المفسِّر:
أن المشركين سَوَّوا الأندادَ في المحبة بالله، والمؤمنين انفردوا بمحبة الله، ومع ذلك فهي أشدُّ من
محبة المشركين للأنداد، وقرَّرَ غيره أن قوله تعالى: ﴿أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ أي: من جهة أن المحبة من
الطرفين، فالمؤمنون يحبُّون الله ويحبُّهم الله، وأما المشركون فلا يخلو: إما أن يكون مَعْبُودُهُمْ عَاقِلًا
أم لا، فالأوَّلُ يَلْعَنُهُمْ ولا يحبُّهم، والثاني لا يُوصَفُ بِحَبٍّ ولا بغَضٍ، على أنه يصيرُ حصباً لهم
في نار جهنم يُعَذَّبُونَ به، فمحبةُ الله للعبدِ سابقةٌ على محبة العبدِ لله؛ لأن الله هو الخالقُ للخير
والهدى في القلوب، فحيث خلق الله في قلب الشخص النورَ والهدى والمحبة، وَفَّقَ العبدَ للرضا عنه
ومحبته له وامتناله أمره ونهيه؛ ولذا قال بعضُ العارفين: [مجزوء الرمل]

أَيُّهَا الْمُغْرَضُ عَنَّا إِنَّ إِعْرَاضَكَ مِنَّنَا
لَوْ أَرَدْنَاكَ جَعَلْنَا كُلَّ مَا فِيكَ يُرَدُّنَا^(٢)

وإنما قال: ﴿أَشَدُّ حُبًّا﴾ ولم يقل: أحبُّ؛ لأن اسمَ التفضيل لا يُصاغ من الفعل المبني
للمجهول، وحيث اختلَّ منه شرطُ تَوْصُلٍ له بد (أشدُّ أو أشدِّدُ)^(٣).

قوله: ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أظهرَ في محلِّ الإضمار زيادةً في التَّشْنِيعِ عليهم، والمرادُ بالظلم:
الكفر.

(١) حاصل الجواب: إنما كفر المشركون بسبب عبادتهم للأصنام، لا بسبب حبِّهم لها لكونها مقرَّبةً منه تعالى، فقد اتَّفَقَ
أهل السنة على محبة غير الله تعالى لكونها مقرَّبةً منه سبحانه؛ كمحبة الأعمال الصالحات ومحبة الأنبياء والأولياء
الموصلة لمرضاة المولى، وما عبدوا هذه المحبوبات، فوقع الفرق بين العبادة وبين التعظيم والمحبة.

(٢) أوردهما ابن الجزري في «الزهر الفائح» (ص ٦٣) دون نسبة.

(٣) أما قولهم: (ما أحبه إليّ) فشاؤ على خلاف في ذلك بين النحويين. «الدر المصون» (٢/٢١٢).

إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾

بِاتِّخَاذِ الْأَنْدَادِ ﴿إِذْ يَرَوْنَ﴾ - بِالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ -: يُبْصِرُونَ ﴿الْعَذَابَ﴾ لَرَأَيْتَ أَمْرًا عَظِيمًا، وَ﴿إِذْ﴾ بِمَعْنَى (إِذَا)، ﴿أَنَّ﴾ أَي: لِأَنَّ ﴿الْقُوَّةَ﴾: الْقُدْرَةُ وَالْعَلَبَةُ ﴿لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ - حَالٌ - ﴿وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ - وَفِي قِرَاءَةٍ: ﴿يَرَى﴾؛ وَالْفَاعِلُ قِيلَ: ضَمِيرُ السَّامِعِ، وَقِيلَ: الَّذِينَ ظَلَمُوا، فَهِيَ بِمَعْنَى يَعْلَمُ، وَ﴿أَنَّ﴾ وَمَا بَعْدَهَا سَدَّتْ مَسَدَ الْمَفْعُولَيْنِ، وَجَوَابُ (لَوْ) حَاشِيَةُ الصَّاوِي

قوله: (باتخاذ الأنداد) الباء: للسببية، ومفعول ﴿ظَلَمُوا﴾ محذوف، تقديره: أنفسهم.

قوله: (يبصرون) على القراءة الأولى هو بضم الياء مع سكون الباء وكسر الصاد، وعلى الثانية بضم الياء وفتح الباء مع تشديد الصاد^(١).

قوله: (العذاب) مفعول لقوله: ﴿يَرَوْنَ﴾.

قوله: (لرأيت أمراً عظيماً) هذا هو جواب (لو) الشرطية.

قوله: (وَ﴿إِذْ﴾ بِمَعْنَى «إِذَا») جوابٌ عن سؤال، وهو أن (إِذْ) ظرفٌ للماضي، ورؤية العذاب مُسْتَقْبَلَةٌ، فالمحلُّ لـ(إِذَا)! فأجاب بذلك، أو أنه أنزل المستقبل منزلة الماضي؛ لِتَحَقُّقِ الْحَصُولِ.

قوله: (أي: لأن) أشار بذلك إلى أنه علة لجواب (لو) أي: رأيت أمراً عظيماً لكون القوة جميعها لله، فلا تخش من إمهالهم القوات والهروب.

قوله: (﴿وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾) هذا لدفع توهم الكافر أنه وإن كانت له القوة جميعها يمكن أن يسامح في ذلك، فقال: إن الله شديد العذاب.

قوله: (قيل: ضمير السامع) أي: والذين ظلموا مفعولٌ له، والجواب محذوف تقديره: لرأى أمراً فظيماً^(٢).

قوله: (فهى بمعنى يعلم) أي: فتنصب مفعولين.

قوله: (وَ﴿أَنَّ﴾) أي: الأولى.

قوله: (سدت مسد المفعولين) أي: فهذا موجب فتحها، ويوجب فتحها أيضاً تأويلها بمصدر.

(١) قرأ الجمهور: (يرون) بفتح الياء مبنياً للفاعل، وقرأ ابن عامر: (يرون) مبنياً للمفعول، انظر «البحر المحيط» (١/٦٤٥).

(٢) قرأ الحسن وقتادة وشيبة وأبو جعفر ويعقوب: (ولو ترى)، وقرأ الكوفيون وأبو عمرو وابن كثير: (ولو يرى).

إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَتَيْنَا لَوْ أَتَيْنَا لَوْ أَتَيْنَا كَرَّةً فَتَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ

مَحذُوفٌ -، وَالْمَعْنَى: لَوْ عَلِمُوا فِي الدُّنْيَا شِدَّةَ عَذَابِ اللَّهِ وَأَنَّ الْقُدْرَةَ لِلَّهِ وَحْدَهُ وَقَدْ مُعَايَنَتُهُمْ لَهُ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، لَمَّا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أُنْدَادًا.

﴿١٦٦﴾ - إِذْ - بَدَلٌ مِنْ - إِذْ - قَبْلَهُ - ﴿تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ أَي: الرُّؤَسَاءُ ﴿مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ أَي: أَنْكَرُوا إِضْلَالَهُمْ، ﴿وَقَدْ رَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ﴾ - عَطْفٌ عَلَى ﴿تَبَرَّأَ﴾ - ﴿بِهِمْ﴾: عَنْهُمْ ﴿الْأَسْبَابُ﴾: الْوَصْلُ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْأَرْحَامِ وَالْمَوَدَّةِ.

﴿١٦٧﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَتَيْنَا لَوْ أَتَيْنَا كَرَّةً﴾: رَجْعَةً إِلَى الدُّنْيَا، ﴿فَتَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾ أَي: الْمَتَّبِعُونَ ﴿كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا﴾ الْيَوْمَ، - (وَلَوْ) لِلتَّمْنِي (وَتَبَرَّأَ) جَوَابُهُ - ﴿كَذَلِكَ﴾ أَي: كَمَا أَرَاهُمْ شِدَّةَ عَذَابِهِ وَتَبَرَّأَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ،

حاشية الصاوي

قوله: (والمعنى) أي: على هذا الوجه الأخير.

قوله: (وقت معايتتهم) هذا تفسير لـ(إذ).

قوله: (لما اتخذوا) هذا جواب الشرط.

قوله: (أي: الرؤساء) أي: كفرعون والنمرود وعبد الله ابن سلول وحبي بن أخطب وغيرهم.

قوله: (أي: أنكروا إضلالهم) أي: قالوا: يا ربنا؛ لم نضل هؤلاء، بل ضلوا في أنفسهم وكفروا بإرادتهم.

قوله: (عنهم) أشار بذلك إلى أن الباء بمعنى (عن) على حدّ: ﴿فَشَتَّلَ بِهِ خَيْرًا﴾ [الفرقان: ٥٩].

قوله: (من الأرحام) قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٦﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَنْحِيهِ وَيَبْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٦].

قوله: (و(تبرأ) جوابه) أي: فهو منصوب بـ(أن) مضمرة بعد فاء السببية.

قوله: (كذلك) أي: يتحاجون ولا تنفعهم المحاجة.

يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا . . .

﴿يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ﴾ السَّيِّئَةُ ﴿حَسَرَتٍ﴾ - حالٌ - : نَدَامَاتٍ ﴿عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ بعد دُخُولِهَا .

﴿١٦٨﴾ وَنَزَلَ فِيْمَنْ حَرَّمَ السَّوَابَّ وَنَحَوَهَا : ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا

حاشية الصاوي

قوله : (ونبراً بعضهم) معطوف على (أراهم) أي : مثل ما أراهم شدة العذاب ومثل ما تبرأ بعضهم يُريهم .

قوله : ﴿أَعْمَلَهُمْ﴾ أي : جزاءها .

قوله : (حال) أي : من ﴿أَعْمَلَهُمْ﴾^(١) .

قوله : (ندامات) جمع ندامة .

قوله : (ونزل فيمن حرم السوائب) أي : وهم قبائل من العرب حرّموا أموراً لم يردّ تحریمها من الشرع^(٢) ، والسوائب : جمع سائبة ، والمرادُ بها في عُرف الجاهلية : الناقةُ - أو البعيرُ - المنذورة للصنم ؛ كأن يقول الواحد منهم : إن قَدِمْتُ من سفري فناقتي أو بعيري سائبةً للأصنام ، فتصيرُ لا مِلْكَ لأحدٍ عليها ولا تؤكلُ وإن دُكِّيتُ .

قوله : (ونحوها) أي : كالبحيرة والوصيلة والحام^(٣) ، فالبحيرة : هي المنذورة اللبن للأصنام^(٤) ، والوصيلة : هي التي تبكرُ بالأنثى ثم تُتبعها بأنثى ، فإن الأمَّ صارت عتيقةً الأصنام ، لا يحملُ عليها ولا يؤكلُ لبنها ولا لحمها ، والحام : فحلُّ الإبل يضربُ مدةً في الإبل معلومة ، فإذا استوفاهَا صارَ عتيقاً للأصنام ، وسيأتي إيضاح ذلك .

قوله : ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ هذا خطابٌ لأهل مكة ، ولا يُنافيه كونُ السورة مدنيّةً ؛ فإن ذلك من حيث النزول .

(١) على أن (رأى) بصرية ، فإن قدرت قلبية (فحسرات) مفعولها الثالث . انظر «الدر المصون» (٢/٢٢١) .

(٢) هذا هو المشهور ، بخلاف ما جرى عليه القاضي من أنها نزلت في قوم حرّموا على أنفسهم رفيعَ الأطعمة والملابس ؛ فإنه مرجوح . «الفتوحات» (٢/١٣٤) .

(٣) كذا في النسخ ، والأصل : الحامي ، اسم فاعل من : حمى يحمي ؛ لأنه حمى ظهره ، وحذف ياء المتقوص مع (أل) لغة مشهورة فاشية .

(٤) روى تفسيرها بهذا البخاري (٣٥٢١) عن سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى .

مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ

مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا ﴿١٦٨﴾ - حَالٌ - ﴿طَيِّبًا﴾ - صِفَةٌ مُؤَكَّدَةٌ -، أي: مُسْتَلَذًا، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ﴾: طُرُقَ ﴿الشَّيْطَانِ﴾ أي: تَزْيِينِهِ، ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾: بَيْنُ الْعَدَاوَةِ.

﴿١٦٩﴾ ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ﴾: الْإِثْمِ ﴿وَالْفَحْشَاءِ﴾: الْقَبِيحِ شَرْعًا،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿مِمَّا فِي الْأَرْضِ﴾ (من): للتبعيض؛ لأن بعض ما في الأرض لا يجوز أكله؛ كالحجارة والخنزير وما ورد تحريمه.

قوله: (صفة مؤكدة) أي: فمعنى الطيب: الحلال، وقوله: (أي: مستلذ) أي: لنفس المؤمن، وهو ما عدا الحرام، هكذا في نسخة، وفي نسخة أخرى: (أو مستلذ) وهي أولى، فعليها هو صفة مخصصة؛ فإن الحلال بعضه غير مستلذ؛ كالصبر والمر، وبعضه مستلذ؛ كالسمن والعسل، والحاصل: أنه إن أريد بالمستلذ الشرعي وهو ما عدا الحرام.. فالصفة مؤكدة، ويناسبها نسخة: (أي: مستلذ)، وإن أريد به المستلذ الطبيعي؛ أي: الذي لا يمجه الطبع.. فالصفة مخصصة، ويناسبها نسخة: (أو مستلذ).

قوله: ﴿خُطَوَاتِ﴾ (بسكون الطاء وضمها قراءتان سبعيتان، وقرأ أبو السَّمَالِ بفتح الخاء والطاء^(١)).

قوله: (أي: تزيينه) أي: فأطلق الخطوات التي هي ما بين القدمين وأراد التزيين، والجامع بينهما الاتباع في كل.

قوله: ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ هذا علة للنهي عن اتباع تزيينه.

قوله: (بين العداوة) أي: للصالحين، وأما غيرهم فلا تظهر عداوته لمصاحبتهم له، ويقرب ذلك البيت الذي فيه النور؛ فإنه يبين فيه كل مؤذ بخلاف غيره.

قوله: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ﴾ هذا كالعلة لقوله: ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾، والسوء: اسم جامع

(١) قرأ ابن عامر والكسائي وقنبل وحفص وعباس عن أبي عمرو والبرجمي عن أبي بكر: بضم الخاء والطاء، وقرأ باقي السبعة: بضم الخاء وإسكان الطاء، وأبو السَّمَال: هو قَعْنَبُ العدوي البصري، تُروى عنه كثير من القراءات الشاذة.

وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَفِينَا

﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ مِنْ تَحْرِيمِ مَا لَمْ يُحَرِّمْ وَغَيْرِهِ .
﴿١٧٠﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أَي: الْكُفَّارِ: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ مِنَ التَّوْحِيدِ وَتَحْلِيلِ
الطَّيِّبَاتِ، ﴿قَالُوا﴾: لَا ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَفِينَا﴾: وَجَدْنَا

حاشية الصاوي

لما يغضبُ الله، كان فيه حدُّ أو لا، يُسمَّى بذلك لأنه يسوءُ صاحبه، فعطفُ (الفحشاء) عليه من عطفِ الخاصِّ على العامِّ؛ لأن المرادَ بها الكبائرُ، وكلامُ المفسِّر يفيدُ أن السوءَ والفحشاء مترادفان، وكلُّ صحيح^(١).

قوله: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا﴾ (معطوف على (السوء) أي: وقولكم على الله.

قوله: (من تحريم ما لم يحرم) أي: كالبهيرة والسائبة والوصيلة والحام.

وقوله: (وغيره) كاتخاذ أنداد غير الله.

قوله: (من التوحيد) أي: فلا تعبدوا إلا الله ولا تشركوا به شيئاً.

قوله: (وتحليل الطيبات) أي: كالبحائر والسوائب والوصيلة والحام، وهو لفٌّ ونشْرُ مرتَّب، فإن قوله: (من التوحيد) راجعٌ لقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا﴾، وقوله: (وتحليل الطيبات) راجعٌ لقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾.

قوله: ﴿قَالُوا﴾ (لا) أي: لا نَتَّبِعُ ما أنزلَ الله، وقوله: ﴿بَلْ نَتَّبِعُ﴾: للإضراب الإبطالي، وهو معطوفٌ على جملة محذوفة أشارَ لها المفسِّر بتقدير: (لا). قيل: كلُّ إضراب في القرآن انتقالي؛ أي: يفيدُ الانتقال من قصة إلى قصة إلا هذه، وإلا (بل) في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَّغْنَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ فمحتملٌ للأمرين؛ فإن اعتبرت قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَّغْنَاهُ﴾ كان انتقالياً، وإن اعتبرت ﴿أَفَرَّغْنَاهُ﴾ وحده كان إبطالياً^(٢).

قوله: (وجدنا) إن كانت (وجد) بمعنى: أصاب.. نصبت مفعولاً واحداً وهو ﴿ءَابَاءَنَا﴾،

(١) وقال القاضي البيضاوي في «تفسيره» (١/١١٨): (السوء والفحشاء: ما أنكره العقل واستقبحه الشرع، والعطف باختلاف الوصفين؛ فإنه سوءٌ لا غتمام العاقل به، وفحشاءٌ باستقبحه إياه، وقيل: السوء يعمُّ القبائح، والفحشاء ما يتجاوزُ الحدَّ في القبح من الكبائر، وقيل: الأول ما لا حدَّ فيه، والثاني ما شرَّع فيه الحدُّ).

(٢) ذكر القاعدة باستثناءها العلامة السمين الحلبي في «الدر المصون» (٢/٢٢٦).

عَلَيْهِ ءَابَاءُ نَأْ أَوْلَوْ كَاتْ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ

﴿عَلَيْهِ ءَابَاءُ نَأْ﴾ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَتَحْرِيمِ السَّوَائِبِ وَالْبَحَائِرِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أ﴾ يَتَّبِعُونَهُمْ ﴿وَلَوْ كَاتْ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا﴾ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ إِلَى الْحَقِّ؟ - وَالْهَمْزَةُ لِلْإِنْكَارِ ..

﴿١٧١﴾ ﴿وَمَثَلُ﴾: صِفَةُ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وَمَنْ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى ﴿كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ﴾:

حاشية الصاوي

وقوله: ﴿عَلَيْهِ﴾ ظرف لغو متعلق بـ ﴿الْفَيْنَا﴾، وإن كانت بمعنى: علم .. نصبت مفعولين: ﴿عَلَيْهِ﴾ و﴿ءَابَاءُ نَأْ﴾.

قوله: (من عبادة الأصنام) راجعٌ لِلْفَرِيقِ الْأَوَّلِ، وقوله: (وتحريم السوائب... إلخ) راجعٌ لِلْفَرِيقِ الثَّانِي^(١)، فهو لفٌّ ونشْرٌ مرْتَبٌ.

قوله: ﴿أ﴾ يتبعونهم) أشار بذلك إلى أن الهمزة للإِنْكَارِ دَاخِلَةٌ عَلَى مَحْذُوفٍ، وَالْوَاوُ عَاطِفَةٌ عَلَى ذَلِكَ الْمَحْذُوفِ، وَالْجُمْلَةُ حَالِيَّةٌ، فَالْوَاوُ لِلْحَالِ أَيْضًا^(٢).

قوله: ﴿وَلَوْ كَاتْ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا﴾ أي: فهم تابعون لهم؛ سواء ظهر لهم عقل آبائهم وهداهم أو شكوا في ذلك، بل ولو ظهر لهم عدم عقلهم وعدم هداهم! قوله: (والهمزة للإِنْكَارِ) أي: والتوبيخ والتعجب، والمعنى: لا يليقُ منكم ذلك.

قوله: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: المدعوين، وقوله: (ومن يدعوهم) أي: كالأنبياء، فقد حذف الداعي من هنا وذكر ما يدلُّ عليه بقوله: ﴿كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ﴾، والمعنى: إن مثلَ الْكُفَّارِ فِي عَدَمِ سَمَاعِ الْمَوَاعِظِ وَالْآيَاتِ وَالْبَرَاهِينِ الْقَطْعِيَّةِ وَمِثْلَ دَاعِيهِمْ وَهُوَ النَّبِيُّ فِي تَكَرُّارِ الْمَوَاعِظِ وَالْآيَاتِ.. كَمَثَلِ رَاعٍ يُرْشِدُ الْبَهَائِمَ الْوَحْشِيَّةَ بِصَوْتِهِ إِلَى مَصَالِحِهَا، فَكَمَا أَنَّ الْبَهَائِمَ الْوَحْشِيَّةَ لَا يَنْفَعُ فِيهَا الصَّوْتُ وَلَا تَفْهَمُهُ وَلَا تَعْقِلُ مَعْنَاهُ، بَلْ لَا يُرْشِدُهَا إِلَّا الضَّرْبُ مِثْلًا.. كَذَلِكَ الْكُفَّارُ لَا تَنْفَعُ فِيهِمُ الْمَوَاعِظُ وَالْآيَاتُ، بَلْ جَزَاؤُهُمْ فِي الدُّنْيَا السِّيفُ، وَفِي الْآخِرَةِ النَّارُ وَعَذَابُهَا.

(١) الْفَرِيقَانِ اللَّذَانِ ذَكَرَهُمَا الْمُصَنِّفُ الْمُحْشِي فِي تَفْسِيرِ (وتحليل الطيبات) قبل يسير.

(٢) وَكَوْنُهَا لِلْحَالِ هُوَ اخْتِيَارُ الزَّمْخَشَرِيِّ، وَاخْتَارَ أَبُو الْبَقَاءِ وَابْنُ عَطِيَّةٍ أَنَّهَا لِلْعُطْفِ، وَجُمِعَ بَيْنَهُمَا مِنْ حَيْثُ عَطَفَهَا جُمْلَةً حَالِيَّةً عَلَى حَالٍ مُقَدَّرَةٍ. انظر «الدر المصون» (٢/٢٢٧).

يَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءَ صُمُّ بَيْنَكُمْ عَنْكُمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٧١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا
مِنْ طَيِّبَاتِ

يُصَوِّتُ ﴿يَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءَ﴾ أَي: صَوْتًا وَلَا يَفْهَمُ مَعْنَاهُ، أَي: هُمْ فِي سَمَاعِ
الْمَوْعِظَةِ وَعَدَمِ تَدَبُّرِهَا كَالْبَهَائِمِ تَسْمَعُ صَوْتَ رَاعِيهَا وَلَا تَفْهَمُهُ، هُمْ ﴿صُمُّ بَيْنَكُمْ عَنْكُمْ فَهُمْ لَا
يَفْقَهُونَ﴾ الْمَوْعِظَةَ.

﴿١٧٢﴾ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ﴾: حَلَالَاتِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿يَا لَا يَسْمَعُ﴾ الباء بمعنى (على).

قوله: ﴿وَنِدَاءَ﴾ عطفٌ مرادف.

قوله: (كالبهائم) أي: الوحشية، وإلا... فالإنسية ربما تسمع صوت راعيها وتنزجر به.

قوله: (هم ﴿صُمُّ﴾) أشار بذلك إلى أن ﴿صُمُّ﴾ وما عطف عليه خبرٌ لمبتدأٍ محذوف، وقوله:

﴿صُمُّ﴾ أي: لا يسمعون المواعظ ولا ينزجرون بها، وقوله: ﴿بَيْنَكُمْ﴾ أي: لا ينطقون بالحق،

وقوله: ﴿عَنْكُمْ﴾ أي: لا ينظرون الهدى ولا يتبعونه وإن كانت صورة الحواس موجودة.

قوله: ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ نتيجة ما قبله.

تنبيه: ما حلَّ به المفسر هذه الآية هو أظهرُ التفاسير؛ لأنهم اختلفوا في ذلك؛ فمنهم من قال

مثل ما قال المفسر، ومنهم من قال: إن المثلَ مضروبٌ لتشبيه الكافر في دعائه للأصنام بالناعق
على البهائم، ومنهم من قال غير ذلك^(١).

قوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ جرت عادة الله في كتابه غالباً مناداة أهل مكة بـ(يا أيها الناس)،

ومنادة أهل المدينة بـ(يا أيها الذين آمنوا).

قوله: (حلالات) أي: مُستلذذة كانت أو لا، أو المراد: المستلذات، وتقدم ذلك، ويطلق

الطيب في غير المأكولات على الطاهر، قال تعالى: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء: ٤٣]، وقوله:

﴿مِنْ طَيِّبَاتِ﴾: (من): تبعيضية في موضع المفعول، والأمر للوجوب بالنسبة لإقامة البينة، وللندب
بالنسبة للاستعانة على أمور مندوبة، وللإباحة إن كان تفكُّهاً أو تبسُّطاً.

(١) ذكر هذه التفسيرات الزمخشري في «تفسيره» (١/ ٢١٤)، ويرى العلامة ابن عاشور إمكان الجمع بينها؛ لأن

الاستعارة التمثيلية لا ينظر في أجزائها، وقد يكون هذا من مراد الله تعالى، حيث أراد بيان إعراضهم عن دعوة

الحق، وإقبالهم على عبادة أصنام آبائهم.

مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ.....

﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ على ما أحلَّ لكم، ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

﴿١٧٢﴾ ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ أي: أكلها؛ إذ الكلام فيه، وكذا ما بعدها، وهي ما لم يُذَكَّ شرعاً، وألحق به بالسنة.....

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾﴾ يصح أن تكون (ما) مصدرية؛ أي: من طيبات رزقنا إياكم، أو اسم موصول والجملة صلة، أو نكرة موصوفة والجملة صفة؛ أي: من طيبات الشيء الذي رزقناكموه، أو شيء رزقناكموه، ويؤخذ من ذلك: أن الرزق بعضه حلال وبعضه غير حلال، وهو مذهب أهل السنة، قال في «الجمهرة»: [الرجز]

وَيَرْزُقُ اللَّهُ الْحَلَالَ فَأَعْلَمَ وَيَرْزُقُ الْمَكْرُوهَ وَالْمُحَرَّمَ^(١)

قوله: ﴿﴿وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾﴾ أي: اعتقدوا أن النعم صادرة لكم من الله، وهو بذلك المعنى واجب وإنكاره كفر، أو المعنى: راقبوا في كل لحظة أن كل نعمة من الله، وهو بهذا المعنى مندوب؛ لأن هذا مقام الخواص.

قوله: ﴿﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾﴾ ﴿﴿إِنْ﴾﴾: شرطية، و﴿﴿كُنْتُمْ﴾﴾: فعل الشرط، والتاء: اسمها، وجملة ﴿﴿تَعْبُدُونَ﴾﴾: خبرها، و﴿﴿إِيَّاهُ﴾﴾ مفعول ﴿﴿تَعْبُدُونَ﴾﴾ قُدِّمَ رعاية للفواصل وللحصر، وجواب الشرط محذوف دلَّ عليه الأمر؛ أي: فكلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله.

قوله: ﴿﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾﴾ المقصود من هذا الحصر: الردُّ على مَنْ حَرَّمَ الْبَحِيرَةَ والسائبة والوصيلة والحام، وعلى مَنْ أَحَلَّ بَعْضَ الْمَحَرَّمَاتِ، فالحصرُ إضافي^(٢).

قوله: (وهو ما لم يُذَكَّ شرعاً) أي: إما لكونها لا تعملُ فيها أصلاً كالْبَغَالِ وَالْحَمِيرِ، أو تعملُ فيه ولكن لم يُذَكَّ كالْأَنْعَامِ إجماعاً، والخيلُ على مذهب الشافعي^(٣).

(١) انظر «شرح المصنف على الجمهرة» (ص ٤١٠).

(٢) لا حقيقي، إذ حُصِّرَ المقصور بالمقصور عليه بالنسبة لما ادَّعَوْهُ هُم، فهو حصر قَلْبٍ إضافي.

(٣) حيث قال في «الأم»: (كل ما لزمه اسم الخيل من العراب والمقارييف والبراذين فأكلها حلال) وكذا الحنابلة، والحنفية ذهبوا للكرهية التحريمية، وسكوت المصنف تمسك بالتحريم، وهو أحد القولين عند المالكية، حيث جزم به العلامة خليل في «مختصره».

وَالَّذِمَّ وَلَحَمَ الْخِزِيرِ وَمَا أَهْلَ بِهِ، لِيُغَيِّرَ اللَّهُ.....

ما أُبَيِّنَ مِنْ حَيٍّ، وَخُصَّ مِنْهَا السَّمَكُ وَالْجَرَادُ، ﴿وَالَّذِمَّ﴾ أي: الْمَسْفُوحَ كما في (الأنعام)، ﴿وَلَحَمَ الْخِزِيرِ﴾ خَصَّ اللَّحْمَ لِأَنَّهُ مُعْظَمُ الْمَقْصُودِ وَغَيْرُهُ تَبَعٌ لَهُ، ﴿وَمَا أَهْلَ بِهِ، لِيُغَيِّرَ اللَّهُ﴾ أي: ذُبِحَ عَلَى اسْمِ غَيْرِهِ، وَالْإِهْلَالُ: رَفَعَ الصَّوْتِ، وَكَانُوا يَرْفَعُونَهُ حَاشِيَةُ الصَّاوِي

قوله: (ما أُبَيِّنَ مِنْ حَيٍّ) أي: فهو ميتة.

قوله: (وخص منها السمك والجراد) أي: لما في الحديث: «أُحِلَّتْ لَنَا مَيْتَانِ وَدِمَانِ: السمك والجراد، والكبد والطحال»^(١)، وإنما أُحِلَّ الْكَبِدُ وَالطَّحَالُ الْمُنْفَصِلَانِ مِنَ الْحَيَوَانِ بَعْدَ ذِكَاثِهِ شَرْعاً؛ لِكُونِهِمَا لَيْسَا مِنَ الدَّمِ الْمَسْفُوحِ.

قوله: (أي: المسفوح) أي: ولو من سمكٍ خلافاً لأبي حنيفة، ومن هنا اختلف في الفسيخ؛ فقال الأئمة الثلاثة بحُرْمَةِ أَكْلِهِ وَبَيْعِهِ؛ لِشَرْبِ بَعْضِهِ مِنْ دَمٍ بَعْضٌ حِينَ تَكْدِيسِهِ، وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ بِطَهَارَتِهِ؛ لِأَنَّهُ لَا دَمَ لَهُ أَصلاً^(٢)، وإِنَّمَا الَّذِي يَنْزِلُ مِنْهُ دَهْنٌ لَا دَمٌ؛ بِدَلِيلِ أَنَّهُ لَوْ نَشِفَ لَصَارَ أَبْيَضَ لَا أَحْمَرَ، وَقَالَ أَسَاتُذُنَا الْعَارِفُ بِاللَّهِ تَعَالَى شَيْخُنَا الشَّيْخُ الدَّرْدِيرُ: (الَّذِي أَدِينُ اللَّهَ بِهِ أَنَّ الْفَسِيخَ بِجَمِيعِ أَجْزَائِهِ طَاهِرٌ يَجُوزُ أَكْلُهُ)^(٣)، وَأَمَّا لَوْ نَشِفَ بِحَيْثُ لَمْ يَسِلْ مِنْهُ دَمٌ كَالسَّمَكِ الْمَالِحِ.. فَهُوَ طَاهِرٌ حَلَالٌ بِإِجْمَاعٍ.

قوله: (كما في «الأنعام») أي: في سورة (الأنعام) في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا...﴾ [الأنعام: ١٤٥] الآية، فما هنا يَقِيدُ بِمَا هُنَاكَ.

قوله: ﴿وَلَحَمَ الْخِزِيرِ﴾ أي: البري إنسياً أو وحشياً، وأما البحريُّ فهو حلالٌ وكلُّهُ كذلك.

قوله: (وغيره تبع له) ظاهره حتى الشَّعْرَ، وَلَكِنْ مَذْهَبُ مَالِكٍ حِلُّ لَبْسِهِ وَالِانْتِفَاعِ بِهِ.

قوله: (والإهلال رفع الصوت) أي: فقد سُمِّيَ الشَّيْءُ بِاسْمِ مَا صَاحَبَهُ، وَلِذَلِكَ يُقَالُ: اسْتَهْلَ الْمَوْلُودُ بِمَعْنَى: صَاحَ عِنْدَ الْوِلَادَةِ، وَسُمِّيَ الْهَلَالُ بِذَلِكَ لِرَفْعِ الصَّوْتِ عِنْدَ رُؤْيَيْهِ^(٤).

(١) كذا موقوفاً على ابن عمر رضي الله عنهما رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٢٥٤/١) ونعت إسناده بالصحة، وعنه مرفوعاً ابن ماجه (٣٣١٤).

(٢) فلا نجاسة، ومن قال من الحنفية بحُرْمَةِ أَكْلِهِ فَلَا عِتَابَ التَّنِ. انظر «حاشية الطحطاوي على المراقي» (ص ٣٩).

(٣) نقله عنه أيضاً المصنف في حاشيته «بلغة السالك» (٥٣/١).

(٤) كذا نُقِلَ عَنِ الْمُبَرِّدِ. انظر «تاج العروس» (هـ ل).

فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٣﴾

عِنْدَ الذَّبْحِ لِأَلِيتِهِمْ، ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ﴾ أَي: أَلْجَأَتْهُ الضَّرُورَةُ إِلَى أَكْلِ شَيْءٍ مِمَّا ذُكِرَ فَأَكَلَهُ ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾: خَارِجٍ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، ﴿وَلَا عَادٍ﴾: مُتَعَدٍّ عَلَيْهِمْ بِقَطْعِ الطَّرِيقِ، ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ فِي أَكْلِهِ؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لِأَوْلِيَائِهِ، ﴿رَحِيمٌ﴾ بِأَهْلِ طَاعَتِهِ، حَيْثُ وَسَّعَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ، وَخَرَجَ الْبَاغِي وَالْعَادِي - وَيَلْحَقُ بِهِمَا كُلُّ عَاصٍ بِسَفَرِهِ كَالْأَبْقِ وَالْمَكَّاسِ - فَلَا يَحِلُّ لَهُمْ أَكْلُ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ مَا لَمْ يَتُوبُوا، وَعَلَيْهِ الشَّافِعِيُّ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ﴾ هذا كالأستدراك على عموم قوله: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾.

قوله: ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ حال من الضمير في ﴿اضْطُرَّ﴾.

قوله: (لأوليائه) أي: الذين أكلوا عن اضطرار.

قوله: (حيث وسع لهم في ذلك) أي: فأباح لهم أكلها والشبع منها حيث كانت المخصصة دائمة، واجتمعت الأئمة على ذلك، واختلفوا إذا لم تدم المخصصة؛ فرجح مالك الشبع والتزود، وذكر غيره قولين، وعلى كلٍّ فإذا استغنى عنها طرحها^(١)، ويقدم الميته وما أهل به لغير الله في الأكل على لحم الخنزير.

قوله: (وعليه الشافعي) أي: فذهب الشافعي أن العاصي بسفره لا يأكل من الميته إلا إن تاب^(٢)، وأما مذهب مالك وأبي حنيفة: أن العاصي بسفره له الأكل من الميته وإن لم يتب، وفسر قوله تعالى: ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ أي: غير طالب الميته وما معها وهو يجد غيرها، و﴿غَيْرَ عَادٍ﴾ أي: مُتَعَدٍّ ما أحلَّ الله، وقيل: غير مستحلٍّ لها.

(١) وعبارة الخازن في «تفسيره» (١/١٠٤): (أما المخصصة فلا يخلو: إن كانت دائمة فلا خلاف في جواز الشبع منها، وإن كانت نادرة فاختلف العلماء فيه، وللشافعي قولان: أحدهما: أنه يأكل ما يسدُّ به الرمق، وبه قال أبو حنيفة. والثاني: يأكل قدر الشبع، وبه قال مالك).

(٢) وعبارته في «الأم»: (ومن خرج عاصياً لم يحلَّ له شيء مما حرم الله عز وجل عليه بحال؛ لأن الله تبارك وتعالى إنما أحلَّ ما حرم بالضرورة على شرط أن يكون المضطر غير باغٍ ولا عادٍ ولا مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ، والحكم في كتب المذهب على وجهين، قال العلامة الجمل في «فتوحاته» (١/١٣): (فقوله: «وعليه الشافعي» لعله في مذهبه القديم).

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ

﴿١٧٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ الْمُشْتَمِلِ عَلَى نَعْتِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَهُمْ الْيَهُودُ، ﴿وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ مِنَ الدُّنْيَا يَأْخُذُونَهُ بِدَلِّهِ مِنْ سَفَلَتِهِمْ، فَلَا يُظْهِرُونَهُ خَوْفَ قُوَّتِهِ عَلَيْهِمْ، ﴿أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ لِأَنَّهَا مَالُهُ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ نزلت هذه الآية في حق علماء اليهود، وقد كانوا يأخذون من سَفَلَتِهِمْ مالاً، وكانوا يودُّون أن نبيَّ آخر الزمان يكون منهم، فلما بُعث رسولُ الله من غيرهم... خافوا أن رئاستهم تذهب بسبب ظهوره واتباع سَفَلَتِهِمْ له، فينقطع ما كان يصلُّهم من سَفَلَتِهِمْ، فغيَّروا صفته وصفة أصحابه وبلده حرصاً على الرئاسة وعلى ما كانوا يأخذونه من سَفَلَتِهِمْ، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

قوله: (المشتمل على نعت محمد) أي: فالكتابُ مشتملٌ على أمور كثيرة منها: نعتُ محمد، ومنها غيره، فالمغيَّرُ إنما هو المشتملُ على نعت محمد، لا جميعُ ما في الكتاب.

قوله: (يأخذونه بدله) أي: يأخذون الثمنَ بدلَ الكتمان؛ بمعنى أن الحاملَ لهم على الكتمان إنما هو العوضُ الفاني الذي يأخذونه من سَفَلَتِهِمْ، وليس المراد أنهم قالوا لهم: خذوا هذا المالَ واكتموا وصفَ محمد^(١).

قوله: (خوف فوته) أي: الأمرُ الدنيوي عليهم.

قوله: ﴿إِلَّا النَّارَ﴾ أي: سببها كما يشيرُ له قولُ المفسِّر: (لأنها ماله) أي: مأواه وعاقبةُ أمره، ففيه مجازُ الأول^(٢).

(١) أي: كتموا وصفه عليه الصلاة والسلام لكيلا تنقطع عطايا سَفَلَتِهِمْ لهم، لأنهم لو أظهروا وصفه لاتبعوه، فالشمن مقابلُ بالكتمان.

(٢) أي: الصيرورة، وانظر (١/٨٤).

وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابِ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾

﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ غَضَباً عَلَيْهِمْ، ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾: يُطَهِّرُهُمْ مِنْ دَنَسِ الذُّنُوبِ، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤْلِمٌ هُوَ النَّارُ.

﴿١٧٥﴾ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾: أَخَذُوا بِدَلَّهِ فِي الدُّنْيَا، ﴿وَالْعَذَابِ بِالْمَغْفِرَةِ﴾ الْمُعَدَّةَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ لَوْ لَمْ يَكْتُمُوا، ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ أي: كلامَ رضا، بل يكَلِّمُهُمُ كلامَ غضب^(١).

قوله: (غضباً عليهم) أي: من أجل غضبه عليهم؛ أي: طرده لهم وإبعادهم عن رضاه.

قوله: (يطهرهم من دنس الذنوب) أو المعنى: لا يشهد لهم بالطهارة يوم القيامة.

قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ هذا بيان حالهم في الآخرة، وهو عدمُ كلامِ الله لهم المترتبُ على كتمانهم، وعدمُ طهارة الله لهم المترتبُ على اشترائهم ثمناً قليلاً، والعذابُ الأليم المترتبُ على أكلهم سببِ النار.

قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا﴾ هذا بيان لحالهم في الدنيا.

قوله: ﴿بِالْهُدَى﴾ الباء داخله على المتروك؛ أي: فقد تركوا الهدى وأخذوا الضلالة بدله.

قوله: (لو لم يكتموا) (لو): شرطية، وجوابها محذوف تقديره: ما اشتروا العذاب بالمغفرة.

قوله: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ الأحسن أن (ما) نكرة تامة مبتدأ، والجملة بعدها في محل رفع خبر، والمعنى: شيءٌ صَبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ، ف(أصبر): فعلٌ تعجب، والفاعل: مستترٌ وجوباً، والهاء: مفعول، وقيل: استفهامية فيها معنى التعجب، والإعرابُ واحدٌ، وقيل: اسم موصول، وما بعدها صلتها، والخبرُ محذوف، وقيل: نكرة موصوفة، وما بعدها صفتها، والخبرُ محذوف^(٢).

(١) لما ثبت بالنصوص أنه تعالى يسألهم والسؤالُ كلام، فُحْمِلَ نَفْيُ الكلام على الغضب، فهو كناية، ويجوز بقاء الكلام على ظاهره وتحمل نصوص السؤال على أنه يقع بالسنة الملائكة. «السراج المنير» (١/١١٤).

(٢) الأول هو قول سيوبه والجمهور، وخامس الأقوال أنها نافية، قال العلامة السمين في «الدر المصون» (٢/٢٤٣): (وليس بشيء).

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ

أي: ما أشدَّ صبرَهُم، وهو تعجيبٌ للمؤمنين من ارتكابهم موجباتها من غير مُبالاة، وإلا فأيُّ صبرٍ لَهُم؟

﴿١٧٦﴾ ذَلِكَ الذي ذَكَرَ مِنْ أَكْلِهِمُ النَّارَ وما بَعْدَهُ ﴿بِأَنَّ﴾: بِسَبَبِ أَنْ ﴿اللَّهُ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ - مُتَعَلِّقٌ بِ﴿نَزَّلَ﴾ - فَاخْتَلَفُوا فِيهِ، حَيْثُ آمَنُوا بِبَعْضِهِ وَكَفَرُوا بِبَعْضِهِ بِكُتْمِهِ، ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ﴾ بِذَلِكَ وَهُمْ الْيَهُودُ، وَقِيلَ: الْمَشْرِكُونَ فِي الْقُرْآنِ؛ حَيْثُ قَالَ بَعْضُهُمْ: شِعْرٌ، وَبَعْضُهُمْ: سِحْرٌ، وَبَعْضُهُمْ: كَهَانَةٌ، ﴿لَفِي شِقَاقٍ﴾: خِلَافٍ

حاشية الصاوي

قوله: (أي: ما أشد صبرهم) هذا حلٌ معنًى لا إعراب.

قوله: (وهو تعجب للمؤمنين) جوابٌ عن سؤالٍ مقدَّرٍ حاصله: أن التعجب هو استعظام شيء خفيٍّ سببه، وذلك مُستحيلٌ على الله تعالى؛ لأنه لا يخفى عليه خافية!

فأجاب: بأن التعجب واقعٌ من المؤمنين، فالمعنى: تعجبوا أيُّها المؤمنون من صبرِ هؤلاء على موجبات النار التي من جملتها الكتمانُ وأخذهم الثمن القليل وغير ذلك من غير مُبالاة.

قوله: (وإلا.. فأيُّ صبرٍ لهم) أي: وإلا نقدَّر (موجبات) بل أبقينا الكلامَ على ظاهره... فلا يصحُّ ذلك؛ لأنه ليس لأحد صبرٌ على ذات النار.

قوله: (الذي ذكر) أي: وهو أمور ستة: أكلهم سبب النار، وعدمُ كلام الله لهم، وعدمُ تركيته لهم، والعذابُ الأليم، واشتراؤهم الضلالةَ بالهدى، والعذابُ بالمغفرة.

قوله: (﴿نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾) المرادُ به التوراةُ باتفاق المفسِّرين، وإنما الخلافُ في الكتاب الثاني.

قوله: (واختلفوا فيه) قدَّره المفسِّرُ لتمام الفائدة، وإلا.. فالسببُ ليس نزول الكتاب بالحقِّ فقط.

قوله: (وكفروا ببعضه) أي: فما وافق هواهم آمنوا به، وما خالفه كتموه وقالوا: لم يُنزلْ ربُّنا.

قوله: (وهم اليهود) أي: فالمرادُ بالكتاب التوراةُ، والآيةُ من تمام ما قبلها.

قوله: (وقيل: المشركون) أي: فهو كلامٌ مستأنفٌ، والكتابُ هو القرآن.

قوله: (حيث قال بعضهم: شعر) هذا وجهُ الاختلاف.

بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ

﴿بَعِيدٍ﴾ عن الحق.

﴿١٧٧﴾ ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ﴾ فِي الصَّلَاةِ ﴿قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾، نَزَلَ رَدًّا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى حِينَ زَعَمُوا ذَلِكَ، ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾ أَي: ذَا الْبِرِّ - وَقُرِئَ: (الْبَارِّ) - ...
حاشية الصاوي

قوله: ﴿بَعِيدٍ﴾ عن الحق (أي: فمن آمن ببعض وكفر ببعض.. لم يُصادف الحق، بل هو بعيد عنه، ومن قال من المشركين: إنه شعر أو سحر أو كهانة أو غير ذلك.. لم يصادف الحق، بل هو في بعد عنه، وبهذه الآية تم الرد على جميع من كفر، كان من اليهود أو المشركين.

قوله: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ﴾ هذا ابتداء نصف السورة الثاني، وهو متعلق بتعيين غالب أحكام الدين، وأما النصف الأول فهو متعلق بأصول الدين وقبائح اليهود^(١).

و﴿الْبِرَّ﴾: بالنصب والرفع، قراءتان سبعيتان^(٢)، فمن نصب جعله خبراً لـ ﴿لَيْسَ﴾ مقدماً، و﴿أَنْ تُولُوا﴾: في تأويل مصدر، اسمها مؤخر، ومن رفع جعله اسمها، و﴿أَنْ تُولُوا﴾: خبرها. والبر: اسم جامع لكل خير؛ كما أن الإثم اسم جامع لكل شر.

قوله: (نزل رداً على اليهود والنصارى) أي: فقد زعم النصارى أن البر في استقبال جهة طلوع الشمس، وزعم اليهود أن البر في استقبال بيت المقدس، فالمراد بالمغرب ما عدا المشرق، فيشمل جهة الشمال^(٣)، وقيل بكسر القاف وفتح الباء: ظرف مكان معناه: جهة، وقيل: نزلت رداً على المسلمين، وكانوا في صدر الإسلام أمروا بالإيمان بالله والصلاة فقط لأي جهة كانت، فالمعنى: ليس البر كما تعتقدون أنه مقصور على الإيمان والصلاة فقط، بل هو من جمع هذه الخصال، والأظهر: الأول.

قوله: (أي: ذا البر) قدّر (ذا) إشارة إلى أن من اتصف بهذه الخصال يُسمى باراً لا براً،

(١) كذا ذكر العلامة الأجهوري في «الكوكبين النيرين» مخطوط، ونقله صاحب «الفتوحات» (١/١٤٠).

(٢) قرأ حمزة وحفص: بالنصب، وقرأ باقي السبعة بالرفع. انظر «البحر المحيط» (٤/٢).

(٣) احتراز عن ما قيل: بيت المقدس في جهة الشمال لا المغرب! وعامة المفسرين أن المشرق والمغرب بالنسبة لبيت المقدس.

مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ

﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ﴾ أي: الكُتُبِ، ﴿وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى﴾ مع ﴿حُبِّهِ﴾ له ﴿ذَوِي الْقُرْبَىٰ﴾: القرابة، ﴿وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾: المُسَافِرَ، ﴿وَالسَّائِلِينَ﴾:

حاشية الصاوي

وبالجملة: يُقال فيه كما قيل في: زيدٌ عدلٌ، وقيل: إن بَرًّا اسمُ فاعل أصله: بَرِرَ، نُقلت كسرةُ الراء إلى الباء ثم أَدغمت إحدى الرأَيْنِ في الأخرى^(١).

قوله: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾ أي: صدَّق بقلبه ونطق بلسانه أن الله يجبُ له كلُّ كمال، ويستحيلُ عليه كلُّ نقص.

قوله: ﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أي: مع ما يتعلَّقُ به من الحشر والنشر، والصراط والميزان، والجنة والنار وما فيهما من الثواب والعقاب.

قوله: ﴿وَالْمَلَائِكَةِ﴾ أي: بأنهم عبادٌ مُكْرَمُونَ، أجسامٌ نورانيةٌ، لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يُؤْمرون.

قوله: (أي: الكتب) المنزلة من عند الله على أنبيائه.

قوله: ﴿وَالنَّبِيِّينَ﴾ أي: إجمالاً في الإجمالي، وتفصيلاً في التفصيلي، فيجبُ الإيمانُ بخمسة وعشرين منهم، وهم المذكورون في القرآن.

قوله: (مع ﴿حُبِّهِ﴾ له) أي: للمال؛ بأن يعطيَهُ مع كونه يحبُّه لنفسه، ويحتمل أن المعنى: مع حبِّه لله؛ أي: يعطي المالَ مع كونه يحبُّ الله، وكلُّ صحيح.

قوله: (القرابة) أي: إعطاء الأقارب مقدِّمٌ؛ لأن فيه قُربتين: الصدقة، وصلة الرحم.

قوله: ﴿وَالْيَتَامَىٰ﴾ أي: الفقراء منهم، وهم: مَنْ مات أبوه قبل بلوغهم.

قوله: ﴿وَالْمَسْكِينِ﴾ المراد: ما يشملُ الفقراء، وهم المحتاجون.

قوله: (المسافر) أي: الغريب ولو مليئاً ببلده.

وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا.....

الطَّالِبِينَ، ﴿وَفِي﴾ فَكَّ ﴿الرِّقَابِ﴾: الْمُكَاتِبِينَ وَالْأَسْرَى، ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾ الْمَفْرُوضَةَ وَمَا قَبْلَهُ فِي التَّطَوُّعِ، ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾: اللَّهُ أَوْ النَّاسَ، ﴿وَالصَّابِرِينَ﴾ - نُصِبَ عَلَى الْمَدْحِ - ﴿فِي الْبَأْسَاءِ﴾: شِدَّةُ الْفَقْرِ ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾: الْمَرَضِ، ﴿وَحِينَ الْبَأْسِ﴾: وَقْتُ شِدَّةِ الْقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ﴿أُولَئِكَ﴾ الْمَوْصُوفُونَ بِمَا ذُكِرَ ﴿الَّذِينَ صَدَقُوا﴾

حاشية الصاوي

قوله: (الطالبين) أي: مطلقاً؛ لما في الحديث: «أعطوا السائل ولو جاء على فرس»^(١).

قوله: (المكاتيبين) أي: ليستعينوا على فكِّ رقابهم من الرقِّ.

قوله: (والأسرى) أي: ليستعينوا على خلاص أنفسهم من الكفرة.

قوله: (المفروضة) أي: ومن المعلوم أن لها أصنافاً مذكورة في الفقه تُصرف لها.

قوله: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ﴾ أي: وهم إذا وعدوا أنجزوا، وإذا نذروا أوفوا، وإذا حلفوا لم يحنثوا في أيمانهم، وإذا قالوا صدقوا في أقوالهم، وإذا ائتمنوا لم يخونوا. و(الموفون) معطوف على ﴿مَنْ آمَنَ﴾، التقدير: ولكن البرَّ المؤمنون والموفون.

قوله: (نصب على المدح) أي: بفعل محذوف تقديره: وأمدح الصابرين، وخصَّهم بالذكر؛ لأن الصبر يزِينُ العبادة، وتركه يشينها.

قوله: (شدة الفقر) أي: فلا يشكون لأحدٍ غيرِ الله؛ لأنه يحبُّ الملحِّين في الدعاء^(٢).

قوله: (وقت شدة القتال) أي: فلا يفرُّ من الأعداء.

قوله: (الموصوفون بما ذكر) أي: بجميع هذه الخصال، قال بعضهم: لا تكونُ هذه الخصالُ جميعها إلا في الأنبياء، وقال بعضهم: لا مانع أن تكون في غيرهم^(٣).

(١) رواه مالك في «الموطأ» (٩٩٦/٢) مرسلًا، وأبو داود (١٦٦٥) مرفوعاً بنحوه.

(٢) كما روى الطبراني في «الدعاء» (٢٠)، والبيهقي في «الشعب» (١٠٧٣)، وعند البخاري (٢٩١٥) قول الصديق: (حسبك يا رسول الله، فقد ألححت على ربك).

(٣) أورد القولين الرازي في «تفسيره» (٢٢٠/٥).

وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ

في إيمانهم أو ادعاء البر، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ الله.

﴿١٧٨﴾ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ﴾: فُرِضَ ﴿عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾: المُمَاثِلَةُ ﴿فِي الْقَتْلِ﴾ وصفاً ..

حاشية الصاوي

قوله: (أو ادعاء البر) أي: فمعنى الصدق هنا: الصدق في الأقوال، فإذا أخبروا بشيء فهم صادقون فيه.

قوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ أي: الكاملون في التقوى.

قوله: (فرض ﴿عَلَيْكُمُ﴾) إن قلت: مقتضى الفرض أنه محتم لا يجوز العدول عنه، وهو مخالف لما يأتي!

أجيب: بأن الفرض بالنسبة لولاية الأمور إذا شح الولي وأبى إلا القتل، فالمعنى: يجب عليهم فعل القتل إن شح الواي ولم يعف، وسبب نزول الآية: أن رسول الله لما دخل المدينة وجد الأوس والخزرج يتفاخرون على بعضهم، فصاروا يقتلون الاثنين بالواحد، والحر بالعبد منهم، فنزلت هذه الآية^(١)، فأمنوا وأسلموا^(٢).

قوله: ﴿الْقِصَاصُ﴾ نائب فاعل ﴿كُتِبَ﴾، وقوله: ﴿فِي الْقَتْلِ﴾ أي: بسببها، ف(في) للسببية؛ على حد: «دخلت امرأة النار في هرة حبستها»^(٣)، والقتلى: جمع قتيل.

قوله: (المماثلة) أي: التماثل في الوصف والفعل، هذا هو المراد به هنا، وإلا.. فالقصاص في الأصل: القود، وهو قتل القاتل.

قوله: (وصفاً) أي: يشترط التماثل في الوصف؛ بأن يكون مماثلاً له في وصفه من حرية وإسلام، وبالجمله: فالمدار في القصاص على كون القاتل مثل المقتول أو أدنى، فإن كان أعلى منه إما بالدين أو الحرية.. فلا قود^(٤).

(١) «تفسير البغوي» (٢٠٧/١)، وروى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٥٧٦)، كلاهما عن سعيد بن جبير رحمه الله تعالى.

(٢) في (أ): (فأمنوا وسلموا).

(٣) رواه البخاري (٢٣٦٥)، ومسلم (٢٢٤٢).

(٤) على خلاف بين الفقهاء، وكذا الخلاف فيما سيأتي من قتل الحر بالعبد والمسلم بالكافر غير الحربي.

الْحَرْ بِالْحَرْ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عَفَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ

وفِعلاً؛ ﴿الْحَرْ﴾ يُقْتَلُ ﴿بِالْحَرْ﴾ ولا يُقْتَلُ بِالْعَبْدِ، ﴿وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى﴾، وَبَيَّنَّتِ السُّنَّةُ أَنَّ الذَّكَرَ يُقْتَلُ بِهَا، وَأَنَّهُ تُعْتَبَرُ الْمُمَاطِلَةُ فِي الدِّينِ، فَلَا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ وَلَوْ عَبْدًا بِكَافِرٍ وَلَوْ حُرًّا، ﴿فَمَنْ عَفَى لَهُ﴾ مِنَ الْقَاتِلِينَ ﴿مِنْ﴾ دَمِ ﴿أَخِيهِ﴾ الْمَقْتُولِ ﴿شَيْءٌ﴾، بِأَنْ تَرَكَ الْقِصَاصَ مِنْهُ، وَتَنْكِيرُ ﴿شَيْءٌ﴾ يُفِيدُ سُقُوطَ الْقِصَاصِ بِالْعَفْوِ عَنْ بَعْضِهِ وَمِنْ بَعْضِ الْوَرَثَةِ، وَفِي ذِكْرِ أَخِيهِ

حاشية الصاوي

قوله: (وفِعلاً) أي: فلو قتل بسيف فإنه يقتل به، وبغيره فبغيره.

قوله: (ولا يقتل بالعبد) أي: يلزمه قيمته، ويضرب مئة، ويحبس سنة كما بيّنته السنة.

قوله: ﴿وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ﴾ أي: إن طلب سيّد المقتول القصاص، وإلا... فله إما قيمة القاتل، أو المقتول، أو ذات القاتل، والخيار في ذلك لسيّد القاتل.

قوله: (أن الذكر يقتل بالأنثى) أي: وبالعكس.

قوله: (وأنه تعتبر المماثلة) معطوف على (أن الذكر)، مسلّط عليه قوله: (وبيّنت السنة).

قوله: (فلا يقتل مسلم... إلخ) أي: فالإسلام أعلى من الحرية، وعكسه يقتل به.

قوله: ﴿فَمَنْ عَفَى لَهُ﴾ هذا تقييد لما قبله، وسيأتي للمفسّر أن (من) يصحّ أن تكون شرطية، أو موصولة، فالمعنى على الثاني: فالشخص الذي ترك له شيء من دم أخيه فاتباع بالدية بالمعروف، وقرن بالفاء لما في المبتدأ من معنى الشرط، وعلى الأول: فأَيُّ شخص ترك له... إلخ، وقد بطل القتل، فلا مطالبة به.

قوله: (من القاتلين) بيانٌ لـ(من).

قوله: ﴿مِنْ﴾ دَمِ ﴿أَخِيهِ﴾ أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف.

قوله: (المقتول) وصفٌ للأخ.

قوله: (عن بعضه) أي: القصاص ولو شيئاً يسيراً كعشرة، وذلك كما إذا كان الولي واحداً وعفا عن بعض القصاص.

قوله: (ومن بعض الورثة) أي: ولو كان العافي واحداً من ألف مثلاً، ولمن بقي نصيبه من

الدية.

فَاتَّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ

تَعَطَّفَ دَاعٍ إِلَى الْعَفْوِ، وَإِذَا نَ بَانَ الْقَتْلَ لَا يَقْطَعُ أُخُوَّةَ الْإِيمَانِ، - (مَنْ) مُبْتَدَأُ شَرْطِيَّةٍ أَوْ مَوْصُولَةٍ، وَالْخَبَرُ -: ﴿فَاتَّبَاعٌ﴾ أَي: فَعَلَى الْعَافِي اتِّبَاعٌ لِلْقَاتِلِ ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بِأَنْ يُطَالِبَهُ بِالدِّيَّةِ بِلا عُنْفٍ، وَتَرْتِيبُ الْإِتِّبَاعِ عَلَى الْعَفْوِ يُفِيدُ أَنَّ الْوَاجِبَ أَحَدُهُمَا، وَهُوَ أَحَدُ قَوْلِي الشَّافِعِيِّ، وَالثَّانِي: الْوَاجِبُ الْقِصَاصُ وَالدِّيَّةُ بَدَلٌ عَنْهُ، فَلَوْ عَفَا وَلَمْ يُسَمِّهَا فَلَا شَيْءَ وَرُجِّحَ، ﴿وَ﴾ عَلَى الْقَاتِلِ ﴿أَدَاءٌ﴾ لِلدِّيَّةِ ﴿إِلَيْهِ﴾ أَي: الْعَافِي وَهُوَ الْوَارِثُ ﴿بِإِحْسَنٍ﴾: بِلا مَطْلٍ وَلَا بَخْسٍ، ﴿ذَلِكَ﴾ الْحُكْمُ الْمَذْكُورُ مِنْ جَوَازِ الْقِصَاصِ وَالْعَفْوِ عَنْهُ عَلَى الدِّيَّةِ حَاشِيَةُ الصَّائِي

قوله: (تعطف) أي: من الله.

قوله: (لا يقطع أخوة الإيمان) أي: خلافاً للخوارج القائلين بقطع الإيمان بالمعاصي.

قوله: (والخبر ﴿فَاتَّبَاعٌ﴾) أي: جملة من المبتدأ والخبر الذي قدره المفسر بقوله: (فعلى العافي اتباع).

قوله: ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ الجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لـ (اتباع) أي: اتباع ملتبس بالمعروف.

قوله: (وترتيب الاتباع على العفو) أي: بعد ذكر وجوب القصاص.

قوله: (أن الواجب أحدهما) أي: القصاص أو الدية، فالدية واجب مستقل مقابل القصاص.

قوله: (وهو أحد قولي الشافعي) أي: ومالك، فأخذ قوليهما: إن الواجب أحدهما، فإذا كان عفاً على الدية^(١)، وامتنع من إعطائها.. فله جبره على الدية ولا يقتل.

قوله: (والثاني: الواجب القصاص... إلخ) أي: فالخيار للأولياء في ثلاثة: إما القصاص، أو العفو على الدية، أو مجاناً، فلو عفا على الدية وامتنع القاتل عن دفعها.. فللأولياء إما قتله، أو العفو مجاناً، وهذا هو المرتضى في المذهبين.

قوله: (فلا شيء) أي: على هذا القول، وأما على الأول فيلزمه الدية.

قوله: (والعفو عنه على الدية) أو مجاناً كما بينته السنة.

(١) أي: عفا على أن يأخذ الدية.

تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ.....

﴿تَخْفِيفٌ﴾: تَسْهِيلٌ ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ عَلَيْكُمْ، ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ بِكُمْ، حَيْثُ وَسَّعَ فِي ذَلِكَ وَلَمْ يُحَثِّمْ وَاحِدًا مِنْهُمَا كَمَا حَتَّمَ عَلَى الْيَهُودِ الْقِصَاصَ وَعَلَى النَّصَارَى الدِّيَّةَ، ﴿فَمَنِ اعْتَدَى﴾: ظَلَمَ الْقَاتِلَ بِأَن قَتَلَهُ ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أَي: الْعَفْوِ، ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤْلِمٌ فِي الْآخِرَةِ بِالنَّارِ، أَوْ فِي الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ.

﴿١٧٩﴾ ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ أَي: بَقَاءٌ عَظِيمٌ ﴿يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾: ذَوِي الْعُقُولِ؛ لِأَنَّ الْقَاتِلَ إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ يُقْتَلُ ارْتَدَّعَ فَأَحْيَا نَفْسَهُ وَمَنْ أَرَادَ قَتْلَهُ، فَشُرِعَ، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الْقَتْلَ مَخَافَةَ الْقَوْدِ.

﴿١٨٠﴾ ﴿كُتِبَ﴾: فُرِضَ ﴿عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ أَي: أَسْبَابُهُ ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾: مَالًا، ﴿الْوَصِيَّةُ﴾ - مَرْفُوعٌ بِ﴿كُتِبَ﴾،

حاشية الصاوي

قوله: (بأن قتله ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾) أي: فحيث ترك حقه لا حق له.

قوله: (﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ﴾) هذا هو حكمة القصاص.

قوله: (بقاء عظيم) أي: للقاتل والمقتول.

قوله: (﴿يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾) جمع لب، وهو العقل الكامل.

قوله: (فشرع) تفريع على بيان الحكمة، وآخره لتعلق ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ به.

قوله: (مخافة القود) أي: مخافة أن يقتصر منكم.

قوله: (أي: أسبابه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، والمراد بأسبابه علاماته؛

كالأمراض الشديدة والجراحات التي يُظنُّ منها الموت عادةً.

قوله: (﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾) شرط في الشرط الذي هو (إذا).

قوله: (مالاً) سَمَّاهُ خَيْرًا؛ إشارةً إلى أنه ينبغي أن يكون حلالاً طيباً.

قوله: (مرفوعٌ بـ﴿كُتِبَ﴾) أي: على أنه نائب الفاعل، ولم توجد في الفعل علامة التانيث

لوجود الفاصل سيما مع كونه مجازي التانيث؛ كقولهم: طلع في النهار الشمس.

لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُنْقِينَ ﴿١٨﴾

وَمُتَعَلِّقُ ﴿إِذَا﴾ إِنْ كَانَتْ ظَرْفِيَّةٌ، ودَالٌّ عَلَى جَوَابِهَا إِنْ كَانَتْ شَرْطِيَّةً، وَجَوَابُ ﴿إِنْ﴾ محذوفٌ أي: فليُوصَ -، ﴿لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ بِالْعَدْلِ، بِأَنْ لَا يَزِيدَ عَلَى الثَّلَاثِ وَلَا يُفْضَلَ الْغَنِيِّ، ﴿حَقًّا﴾ - مَصْدَرٌ مُؤَكَّدٌ لِمَضْمُونِ الْجُمْلَةِ قَبْلَهُ - ﴿عَلَى الْمُنْقِينَ﴾ اللَّهُ، وَهَذَا مَنْسُوخٌ بِآيَةِ الْمِيرَاثِ وَبِحَدِيثِ «لَا وَصِيَّةَ لَوَارِثٍ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.
حاشية الصاوي.

قوله: (إِنْ كَانَتْ ظَرْفِيَّةٌ) أي: محضة لم يكن فيها معنى الشرط، بل المراد منها: الوقت والزمن^(١)، إِنْ قُلْتَ: الوصية إما مصدرٌ أو اسمٌ مصدر، والمصدرُ أو اسمه لَا يَتَقَدَّمُ مَعْمُولُهُ عَلَيْهِ! أجب: بأنه يُتَوَسَّعُ فِي الظُّرُوفِ مَا لَا يُتَوَسَّعُ فِي غَيْرِهَا.
قوله: (وَجَوَابُ ﴿إِنْ﴾) بِالْجَرِّ مَعْطُوفٌ عَلَى (جَوَابِهَا) أي: ودَالَّةٌ عَلَى جَوَابِ (إِنْ)، وقوله: (أي: فليُوصَ) هَذَا هُوَ جَوَابُ (إِذَا) وَ(إِنْ).

قوله: (﴿لِلْوَالِدَيْنِ﴾) مُتَعَلِّقٌ بِالْوَصِيَّةِ، وقوله: (﴿وَالْأَقْرَبِينَ﴾) عَطْفٌ عَامٌّ عَلَى خَاصٍّ.
قوله: (مصدرٌ مؤكَّدٌ لمضمون الجملة قبله) أي: حَيْثُ صُدِّرَ بِقَوْلِهِ: ﴿كُتِبَ﴾ عَلَى حَدِّ: زَيْدٌ أَبُوكَ عَطُوفًا، وَاسْتَشْكَلَ: بِأَنَّ الْمَصْدَرَ الْمُؤَوَّلَ لَا يَعْمَلُ مَعَ أَنَّهُ عَامِلٌ فِي قَوْلِهِ: ﴿عَلَى الْمُنْقِينَ﴾، فَالْأَحْسَنُ أَنْ يُجْعَلَ مَصْدَرًا مَبْنِيًّا لِلنَّوْعِ، إِلَّا أَنْ يُقَالَ: يُتَوَسَّعُ فِي الظُّرُوفِ وَالْمَجْرُورَاتِ مَا لَا يُتَوَسَّعُ فِي غَيْرِهَا؛ لِأَنَّهُ يَكْتَفِي فِيهَا بِأَيِّ عَامِلٍ وَلَوْ ضَعِيفًا.

قوله: (وهذا منسوخ) أي: الحكم لَا التلاوة، فَحُكْمُهَا حُكْمُ الْقُرْآنِ.
قوله: (بِآيَةِ الْمِيرَاثِ) أي: قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ [النساء: ١١] الآيات.

قوله: (لَا وَصِيَّةَ لَوَارِثٍ) صدره: «إِنَّ اللَّهَ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَلَا وَصِيَّةَ... إلخ»^(٢).

(١) أي: كتب عليكم أن يوصي أحدكم وقتَ حضور الموت له، وقوله: (إِنْ كَانَتْ شَرْطِيَّةٌ) أي: ظرفية مضمنة معنى الشرط، فيكون قد اجتمع شرطان، وجواب كلٍّ محذوفٌ دلٌّ عليه لفظ الوصية، وتقدير المحذوف فيهما مضارع مقرون بلام الأمر. «الفتوحات» (١/١٤٤).

(٢) رواه أبو داود (٢٨٧٠)، والترمذي (٢١٢٠)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٦٤٣٥)، وابن ماجه (٢٧١٣).

فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨٢﴾

﴿١٨١﴾ ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ﴾ أي: الإيضاء من شاهد ووصي ﴿بَعْدَمَا سَمِعَهُ﴾: عِلْمُهُ، ﴿فَإِنَّمَا إِثْمُهُ﴾ أي: الإيضاء المُبَدَّل ﴿عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾ - فِيهِ إِقَامَةُ الظَّاهِرِ مُقَامَ الْمُضْمَرِ -، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لِقَوْلِ الْمُوصِي، ﴿عَلِيمٌ﴾ بِفِعْلِ الْوَصِيِّ فَمُجَازٍ عَلَيْهِ.

﴿١٨٢﴾ ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ﴾ - مُخَفَّفًا وَمُثْقَلًا - ﴿جَنَفًا﴾: مَيْلًا عَنِ الْحَقِّ خَطَأً، ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ بِأَنْ تَعَمَّدَ ذَلِكَ بِالزِّيَادَةِ عَلَى الثُّلُثِ أَوْ تَخْصِصٍ غَنِيٍّ مِثْلًا، ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ بَيْنَ الْمُوصِي وَالْمُوصَى لَهُ بِالْأَمْرِ بِالْعَدْلِ، ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ فِي ذَلِكَ، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (أي: الإيضاء) أي: أو المعروف، أو الوصية.

قوله: (من شاهد ووصي) بيان لـ(من).

قوله: (علمه) أي: ولو لم يسمعه من الموصي.

قوله: (أي: الإيضاء المبدل) أو المعروف.

قوله: (فيه إقامة الظاهر... إلخ) أي: مع مراعاة معنى (من)، ولو راعى لفظها لقال: على الذي بدّله، ولو أضمر لقال: عليه.

قوله: ﴿فَمَنْ خَافَ﴾ الأحسن أن هذا الحكم عامٌّ، فهو غير منسوخ، ويؤخذ هذا من تقديم المفسر قوله: (وهذا منسوخ) عليه.

قوله: (مخففًا ومثقلًا) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١)، والمعنى واحدٌ.

قوله: (خطأ) حملة على ذلك عطف قوله: ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ عليه، وإلا... فالجنف في الأصل: الميل عن الحق مطلقاً.

قوله: (بين الموصي والموصى له) أي: إن أدرك وهو حيٌ وحصل إصلاحٌ فالإثم مرتفعٌ، وإلا... فعليه الإثم ويبطل ما زاد على الثلث.

(١) قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر: (مُوصٍ) من وصى، وقرأ الباقون: (مُوصٍ) من أوصى. انظر «البحر المحيط» (٢/٢٨).

يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا

﴿١٨٣﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ: ﴿فُرِضَ﴾ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴿مِنَ الْأُمَمِ﴾، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الْمَعَاصِي؛ فَإِنَّهُ يَكْسِرُ الشَّهْوَةَ الَّتِي هِيَ مَبْدُؤُهَا.

﴿١٨٤﴾ - نَصَبَ بِـ ﴿الصِّيَامِ﴾ أَوْ بِـ ﴿يُصُومُوا﴾ مُقَدَّرًا -

حاشية الصاوي

قوله: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ خطابٌ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، لَكِنِ الْمُرَادُ الْعُمُومُ.

قوله: ﴿الصِّيَامِ﴾ هُوَ لُغَةً: الْإِمْسَاكُ، وَمِنْهُ: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ [مريم: ٢٦] أَي: إِمْسَاكًا عَنِ الْكَلَامِ، وَمِنْهُ أَيْضًا: [البسيط]

خَيْلٌ صِيَامٌ وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ^(١)

أَي: مُمْسِكَةٌ عَنِ الْجَرِيِّ، وَغَيْرُ مُمْسِكَةٍ عَنْهُ، وَاصْطِلَاحًا: الْإِمْسَاكُ عَنْ شَهَوَاتِي الْبَطْنِ وَالْفَرْجِ يَوْمًا كَامِلًا مِنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، بِنِيَّةِ التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

قوله: ﴿مِنَ الْأُمَمِ﴾ أَي: وَأَنْبِيَائِهِمْ مِنْ آدَمَ إِلَى نَبِيِّنَا، لَكِنِ لَا كَصَوْمِنَا مِنْ كُلِّ وَجْهِ، فَالتَّشْبِيهُ فِي الْفَرِيضَةِ، لَا الْكَيْفِيَّةَ وَالثَّوَابَ، وَحِكْمَةُ ذِكْرِ التَّشْبِيهِ: التَّأَكِيدُ فِي الْأَمْرِ، وَالتَّسْلِي بِمَنْ قَبْلَنَا؛ لِأَنَّ فِي الصَّوْمِ نَوْعَ صَعُوبَةٍ.

قوله: ﴿فَإِنَّهُ يَكْسِرُ الشَّهْوَةَ﴾ أَي: لَمَّا فِي الْحَدِيثِ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ؛ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ وَأَحْفَظُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ»^(٢) أَي: قَاطِعٌ لِشَهْوَتِهِ كَمَا تَنْقَطِعُ بِالْخِصَاءِ.

قوله: ﴿نَصَبَ بِـ ﴿الصِّيَامِ﴾﴾ أَي: عَلَى أَنَّهُ ظَرَفٌ لَهُ؛ أَي: الصِّيَامُ فِي أَيَّامٍ، وَقَوْلُهُ: ﴿أَوْ يَصُومُوا﴾ مُقَدَّرًا أَي: دَلٌّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿الصِّيَامُ﴾، وَهُوَ الْأَحْسَنُ.

(١) هُوَ لِلنَّابِغَةِ الذِّيَانِي، وَتَمَامُهُ؛ كَمَا فِي «دِيَوَانِهِ» (ص ٢٤٠):

نَحَتَ الْعَجَاجَ وَخَيْلٌ تَعْلُكُ اللَّجْمَا

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٩٠٥)، وَمُسْلِمٌ (١٤٠٠) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَتْ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ

﴿مَعْدُودَاتٍ﴾ أي: قلائل أو مؤقتات بعدد معلوم، وهي رَمَضَانُ كما سيأتي، وَقَلَّلهُ تَسْهِيلاً على الْمُكَلَّفِينَ، ﴿فَمَنْ كَانَتْ مِنْكُمْ﴾ حينَ شُهُودِهِ ﴿مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ أي: مُسَافِرًا سَفَرَ الْقَصْرَ وَأَجْهَدَهُ الصَّوْمَ فِي الْحَالِينَ، فَأَفْطَرَ، ﴿فَعِدَّةٌ﴾: فعليه عَدَدُ مَا أَفْطَرَ ﴿مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ يَصُومُهَا بَدَلَهُ، ﴿وَعَلَى الَّذِينَ﴾ لا ﴿يُطِيقُونَهُ﴾ لِكِبَرٍ أَوْ مَرَضٍ لا يُرْجَى بُرْؤُهُ، ﴿فِدْيَةٌ﴾ حَاشِيَةُ الصَّائِلِ

قوله: ﴿مَعْدُودَاتٍ﴾ أي: أقل من أربعين؛ إذ العادة في لغة العرب متى ذُكِرَ لفظ العدد يكون المراد به ذلك^(١).

قوله: (أو مؤقتات) هذا هو الأولى؛ لِيُعْلَمَ مِنْهُ تَعَيُّنُهَا، وقيل: معنى معدودات: معدّاتٍ للعطايا الربانية، فالصالحون يَتَهَيَّؤُونَ لها؛ لما في الحديث: «إِنَّ اللَّهَ فِي أَيَّامٍ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ فَتَعَرَّضُوا لَهَا»^(٢)، وأيضاً: فيه ليلةٌ خيرٌ من ألفِ شهر، وغير ذلك من فضائله المشهورة.

قوله: (تسهيلاً على المكلفين) أي: لِيُقَدِّمُوا عَلَيْهَا، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ...﴾ [البقرة: ١٨٥] الآية.

قوله: ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ أي: مُلْتَبِسًا بِهِ.

قوله: (في الحالين) أي: المرض والسفر، وهذا ظاهرٌ بالنسبة للمرض لا للسفر؛ فإن المسافر يباح له الفعل وإن لم يجهد الصوم، لكن الصوم أفضل له في هذه الحالة، ولا فرق في السفر بين كونه برًا أو بحرًا.

قوله: ﴿أُخَرَ﴾ بالجمع صفة لـ ﴿أَيَّامٍ﴾ ممنوعٌ من الصرف للوصفية والعدل، ولم يُقْل: (أخرى) مع صحته؛ لتوهم كونه صفة لـ ﴿عِدَّةٍ﴾ مع أنه ليس مراداً.

قوله: (لا يُرْجَى بُرْؤُهُ) أي: كَمَرَضِ الْقَصْبَةِ وَالْجَذَامِ.

(١) «الفتوحات الإلهية» (١/١٤٥).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/٢٣٣).

طَعَامٌ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾

هِيَ ﴿طَعَامٌ مِسْكِينٍ﴾ أَي: قَدَرُ مَا يَأْكُلُهُ فِي يَوْمِهِ، وَهُوَ مُدٌّ مِنْ غَالِبِ قُوَّةِ الْبَلَدِ لِكُلِّ يَوْمٍ، - وَفِي قِرَاءَةِ بِإِضَافَةِ (فِدْيَةٍ) وَهِيَ لِلْبَيَانِ - وَقِيلَ: (لَا) غَيْرُ مُقَدَّرَةٍ، وَكَانُوا مُخَيَّرِينَ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ بَيْنَ الصَّوْمِ وَالْفِدْيَةِ، ثُمَّ نُسِخَ بِتَعْيِينِ الصَّوْمِ بِقَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِلَّا الْحَامِلَ وَالْمُرْضِعَ إِذَا أَفْطَرْتَا خَوْفًا عَلَى الْوَلَدِ؛ فَإِنَّهَا بَاقِيَةٌ بِلا نَسْخٍ فِي حَقِّهِمَا. ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ بِالزِّيَادَةِ عَلَى الْقَدْرِ الْمَذْكُورِ فِي الْفِدْيَةِ ﴿فَهُوَ﴾ أَي: التَّطَوُّعُ ﴿خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا﴾ - مُبْتَدَأُ خَبَرِهِ -: ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ مِنَ الْإِفْطَارِ وَالْفِدْيَةِ، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أَنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ فَافْعَلُوهُ.

حاشية الصاوي

قوله: (هي ﴿طَعَامٌ﴾) أشار بذلك إلى أن ﴿فِدْيَةً﴾ بالتثنية، و﴿طَعَامٌ﴾: خبرٌ لمبتدأٍ محذوف بيانٌ لفدية. قوله: (وفي قراءة بإضافة «فدية») أي: مع جمع (مسكين)، وأما الأولى ففيها وجهان: الإفراد والجمع^(١).

قوله: (وقيل: «لا» غيرُ مقدرة) هذا مقابل ما حلَّ به المفسرُ، فعلى الأول: الآية محكمة، وعلى الثاني: منسوخة.

قوله: (بتعيين الصوم) أي: ولا يقبلُ منه فديةٌ بعد ذلك، والتاركُ له جحدًا كافرًا، أو كسلًا يؤخِّرُ لمقدار النية قبلَ الفجر، فإن لم ينوِ قَتَلَ حَدًّا.

قوله: (خوفًا على الولد) أي: فإنهما يقضيان ويفتديان، وأما على أنفسهما فقط أو والولد فإن عليهما القضاء لا غير^(٢).

قوله: (بالزيادة على القدر المذكور) أي: بأن زاد على المُدِّ أو في عدد المساكين.

قوله: (مبتدأ) أي: مؤوَّلٌ بمصدرٍ تقديره: صيامُكم.

قوله: (فافعلوه) قَدَرَهُ؛ إشارةً إلى أن جوابَ الشرط محذوفٌ.

(١) قرأ الجمهور: ﴿فِدْيَةً طَعَامٌ مِسْكِينٍ﴾ بتثنية الفدية ورفع طعام وإفراد مسكين، وهشام كذلك إلا أنه قرأ: مساكين بالجمع، وقرأ نافع وابن ذكوان بإضافة الفدية والجمع، ويجوز في (طعام) الإبدال من (فدية) للبيان. انظر «البحر المحيط» (٤٤/٢).

(٢) قوله: (أو والولد) أي: خافتا على أنفسهما والولد.

شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ

﴿١٨٥﴾ تِلْكَ الْأَيَّامُ ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ مِنَ اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ مِنْهُ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ خبرٌ لمبتدأٍ محذوفٍ قدره المفسرُ بقوله: (تلك الأيام). واعلم أن أسماء الشهور أعلامٌ أجناسٍ، ورمضانٌ ممنوعٌ من الصرف للعلمية وزيادة الألف والنون؛ لأنه من الرمض وهو الإحراق؛ لأنه يرمضُ الذنوب؛ أي: يحرقها، وسمي الشهرُ شهراً لاشتهاره لمنافع الناس في دينهم ودنياهم، وسيأتي إيضاحه في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ﴾ [البقرة: ١٨٩].

قوله: ﴿الْقُرْآنُ﴾ هو لغةٌ: من القرء، وهو الجمع، واصطلاحاً: اللفظ المنزَّل على النبي ﷺ المتعبدٌ بتلاوته للإعجازِ بأقصرِ سورة منه^(١).

قوله: (في ليلة القدرِ منه) أي: فقد حوى رمضانُ مزيّتين: نزول القرآن فيه، ووجود ليلة القدر به، وليلةُ القدرِ هي المعنيّة بقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣]، والحاصل: أن جبريلَ تلقاهُ من اللوح المحفوظ ونزلَ به إلى سماء الدنيا فأملأه للسفرة، فكتبته في الصحف على هذا الترتيب، ومقرّها بيتُ العزة في سماء الدنيا، ثم نزلَ به على النبي في ثلاث وعشرين سنةً مفرّقاً على حسبِ الوقائع، فجبريلُ أَملى السفرة ابتداءً وتلقّى عنها انتهاءً، والحكمةُ في نزوله مفرّقاً: تثبيتُهُ في قلبه، وتجديدُ الحُجَجِ على المعاندين، وزيادةُ إيمانٍ للمؤمنين، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ [٣٣ - ٣٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيتَ عَلَيْهِمْ ءَايَتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢]، وقال تعالى: ﴿وَقَرَأْنَا لَهُ فُتُوحَهُ لِئَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْرٍ وَنُزِّلْنَاهُ نَزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]، وتلك الليلة التي نزلَ فيها القرآن ليلة أربع وعشرين^(٢).

واعلم: أن ليلة القدر تكون في رمضان، وقد تنتقل عنه لغيره، لكن الغالبُ كونها في رمضان، والغالبُ كونها في العشر الأواخر منه، والغالبُ كونها في الأوتار، وهذا مذهبُ مالك، وذهب

(١) قوله: (للإعجاز) متعلق بقوله: (المنزَّل) أي: المنزَّل للإعجاز، وليس تعليلاً للتعبد بتلاوته. انظر «مناهل العرفان» (٤٢٩/١).

(٢) لما رواه أحمد في «المسند» (١٢/٦) من حديث بلال رضي الله عنه مرفوعاً: «ليلة القدر ليلة أربع وعشرين».

هُدًى لِلنَّكَاسِ وَبَيَّنَّتْ مَنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ

﴿هُدًى﴾ - حالٌ -: هادياً من الضلالة، ﴿لِلنَّكَاسِ وَبَيَّنَّتْ﴾: آياتٍ واضحاتٍ ﴿مَنَ الْهُدَى﴾: مِمَّا يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ مِنَ الْأَحْكَامِ، ﴿وَمِنَ الْفُرْقَانِ﴾: مِمَّا يُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ؛ ﴿فَمَنْ شَهِدَ﴾: حَضَرَ ﴿مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾

حاشية الصاوي

الشافعي إلى أنها لا تنتقل عن رمضان، بل هي ملازمة له، والغالب كونها في العشر الأواخر منه، والغالب كونها في الأوتار خصوصاً إذا صادف الوتر ليلة الجمعة.

قوله: (هادياً) ويصح أن يبقى على مصدريته والوصف به مبالغة، ويصح أن يكون على حذف مضاف؛ أي: ذو هدى؛ على حذف: زيدٌ عدلٌ.

قوله: (من الضلالة) أي: الكفر.

قوله: ﴿وَبَيَّنَّتْ﴾ معطوفٌ على ﴿هُدًى﴾ من عطف الخاص على العام؛ لأن الهدى بعضه ظاهرٌ واضح كآية الكرسي والإخلاص وغير ذلك، وبعضه غير واضح، قال تعالى: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ تُحْكِمُكُمُ هُنَّ أَمْ أَلْكَتِبِ وَأُخْرُ مُتَشَبِهَاتٌ﴾ إلى أن قال: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]، فالإيمان بكل آية هدى واضحة أو لا.

قوله: (مِمَّا يفرق بين الحق والباطل) أي: فيه آياتٌ بيناتٌ مصحوبة بالأدلة القطعية التي تقمُّ الخصم؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، وقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ...﴾ [النمل: ٦٢] الآيات، وعطف (الفرقان) على (الهدى) من عطف الخاص على العام، فكلُّ أخصٍّ ممَّا قبله؛ فالهدى صادقٌ بالواضح وغيره، كان معه دليلٌ أم لا، والبيئات من الهدى صادقةٌ بوجود الحجج معها أو لا، والفرقان هو الآياتُ البينات التي معها حُجج.

قوله: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ﴾ إن كان المراد به الأيام.. فالمعنى: شهد بعضه، وإن كان المراد به الهلال.. فالمعنى: علمه؛ إما بأن يكون رآه أو ثبتَّ عنده، وقوله: ﴿فَلْيَصُمْهُ﴾ أي: الشهرَ بمعنى: الأيام، وعلى كلِّ فيه استخدام على كلِّ حال؛ لأنه ذكر الاسم الظاهر بمعنى وأعادَ عليه الضميرَ بمعنى آخر^(١)، والخطابُ للمكلف القادر الغير المعذور.

(١) والاستخدام: ذكر لفظ له معنيان، فيراد به أحدهما، ثم يرد بالضمير الراجع عليه معناه الآخر. «التعريفات»

وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ

وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ تَقَدَّمَ مِثْلُهُ، وَكُرِّرَ لِثَلَا يَتَوَهَّم نَسْخَهُ بِتَعْمِيمٍ مِّنْ شَهْدٍ، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ وَلِذَا أَبَاحَ لَكُمْ الْفِطْرَ فِي الْمَرَضِ وَالسَّفَرِ؛ - وَلِكُونَ ذَلِكَ فِي مَعْنَى الْعِلَّةِ أَيْضًا لِلْأَمْرِ بِالصَّوْمِ عُطِفَ عَلَيْهِ: - ﴿وَلِتُكْمِلُوا﴾ - بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ - ﴿الْعِدَّةَ﴾ أَي: عِدَّةُ صَوْمِ رَمَضَانَ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿مَرِيضًا﴾ (أي: مرضاً شديداً شقَّ معه الصوم).

قوله: ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ (أي: سفرٍ قصيرٍ وتلبَّسَ به قبل الفجر، والمعنى: فأفطروا فعليهم عِدَّةٌ).

قوله: (بتعميم من شهد) أي: فإن لفظَ (مَنْ) يعمُّ المسافرين وغيره والمريض وغيره.

قوله: ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ عطفٌ لازمٌ على ملزوم.

قوله: (في المرض والسفر) أي: وما والاها من الأعذار المبيحة للفطر التي نصَّ عليها

الفقهاء.

قوله: (في معنى العلة أيضاً للأمر بالصوم) أي: فهو ^(١) عِلَّةٌ لأمرين: الأول: جواز الفطر

للمريض والمسافر، الثاني: التوسعة في القضاء، فلم يَجِبْ زَمَنٌ مَّعِيْنٌ وَلَا تَتَابَعٌ وَلَا مُبَادَرَةٌ.

قوله: (بالتخفيف والتشديد) أي: فهما قراءتان سبعيتان ^(٢).

قوله: (أي: عدة صوم رمضان) يحتمل أن المعنى من جهة قضائه؛ أي: أردتُ بكم اليسرَ

لتكملوا قضاءه إذا فاتكم لعذر، فإذا فاتكم شهرُ رمضانَ مثلاً فاقضوا شهراً، إن كاملاً فكاملاً، وإن

ناقصاً فناقصاً، ويحتمل أن المعنى من جهة صوم رمضان الحاضر؛ أي: أردتُ بكم اليسرَ لتكملوا

عِدَّةَ رمضانَ ولا تنقصوها إلا لعذر كمرض وسفر فلا بأس بالفطر لذلك، وهذا مرتَّبٌ أيضاً

على قوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾، فالمعنى أبحثُ لكم الفطرَ في السفر والمرض لإرادة اليسرِ

بكم، وكلفتُكم بالصوم مع اليسر، وأبحثُ لكم الفطرَ في المرض والسفر لتكملَ منكم العِدَّةَ، إما

في رمضان أو في أيامٍ أُخَرَ.

(١) أي: قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾.

(٢) قرأ الجمهور بالتخفيف، وأبو بكر وأبو عمرو بالتشديد. انظر «البحر المحيط» (٤٩/٢).

وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ

﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ﴾ عند إكمالها ﴿عَلَى مَا هَدَيْتُكُمْ﴾ : أرشدكم لمعالم دينه، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله على ذلك.

﴿١٨٦﴾ وَسَأَلَ جَمَاعَةُ النَّبِيِّ ﷺ : (أَقْرَبُ رَبُّنَا فُتْنًا جِيه، أَمْ بَعِيدُ فُتْنَادِيهِ؟) فَنَزَلَ : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ مِنْهُمْ بِعِلْمِي فَأَخْبِرْهُمْ بِذَلِكَ،

حاشية الصاوي

قوله : ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ﴾ أي : يوم العيد، وهو يومُ إكمالِ العِدَّةِ، وبيّنت السنة كيفية التكبير.

قوله : (على ذلك) أي : على التكليف مع اليسر.

قوله : (وسأل جماعة) هذا إشارة من المفسر لسبب نزول الآية^(١).

قوله : (فتناجيه) أي : نساوؤه؛ أي : ندعوه سرّاً ولا نجهر بالدعاء.

قوله : (فتناديه) أي : ندعوه جهراً، والفعْلان يصحّ فيهما النصبُ بـ(أن) مضمرة بعد فاء السببية؛ لوقوعهما في جواب الاستفهام، والرفعُ على الاستئناف؛ أي : فنحن تُناجيه ونحن نناديه، والأظهرُ : الثاني؛ لقول بعض شراح الحديث : إنه الرواية^(٢).

واعلم : أنَّ هذا السؤالَ الواقع عن الصحابة لا يقتضي جهلهم بالتوحيد^(٣) ؛ لأنَّ الله منزَّهٌ عن القربِ والبعدِ الحسِّيَّين ؛ لأنهما من صفات الحوادث والله منزَّهٌ عنها، فمن ذلك حارثَ عقولُهم في ذلك، فمقتضى إحاطته بجميع خلقه وتصرفه فيهم كيف يشاء يوصفُ بالقرب، ومقتضى تنزُّهه عن صفات الحوادث جميعها يوصفُ بالبعد؛ لأنَّ صفاته توقيفية، فالمسؤولُ عنه القربُ أو البعدُ المعنويَّان لا الحسِّيَّان، وإلا . . . لَدَمَّهم الله على ذلك ولم يُضَفِّهم له.

قوله : (فأخبرهم بذلك) أي : بأني قريبٌ، وقَدَّرَ ذلك المفسر لعدم صحّة ترتبِ قوله : ﴿فَأِنِّي قَرِيبٌ﴾ على الشرط الذي هو (إذا)، فإن جوابها لا بدَّ وأن يكون مستقبلاً، وكونُ الله قريباً وصفٌ ذاتيٌّ له لا ينفكُ عنه أزلاً ولا أبداً، وإنما المستقبلُ الإخبارُ بذلك.

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٦٦٧)، والطبري في «تفسيره» (٤٨٠/٣).

(٢) كذا في «الفتوحات الإلهية» (١٤٨/١).

(٣) وقد روى البيهقي في «الشعب» (٦٧٠) عن كعب قال : (قال موسى عليه السلام : يا ربُّ؛ أقرِيبُ أنت فأناجيك

أَمْ بَعِيدُ فأناديك؟ فقال له : يا موسى؛ أنا جليس من ذكرني)، وقد تقدم.

أَجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي

﴿أَجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ بِإِنَالَتِهِ مَا سَأَلَ، ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ دُعَائِي بِالطَّاعَةِ،

حاشية الصاوي

وقوله: (بعلمي) أي: وسمعي وبصري وقدرتي وإرادتي، ولم يقل: (بذاته) وإن كانت الصفات لا تفارق الذات لأنه ربما يتوهم للقاصر الحلول، فيقع في الحيرة، وأمّا مَنْ فني عن وجوده فلم يشهد إلا الله فقد زال عنه الحجاب، فلا حيرة عنده؛ إذ لم يشهد غيره، وإنما خصّ المفسّر العلم بذلك؛ لأنه من صفات الإحاطة، ومن غلبة رحمته تعالى أن وصف نفسه بالقرب، وإلا.. فمقتضى التوحيد وصفه بالبعد أيضاً باعتبار المتقدّم؛ فلو قال: (فإني بعيد) لحصل اليأس من رحمته.

قوله: ﴿أَجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (الياء ان من قوله: ﴿الدَّاعِ﴾ و﴿دَعَانِ﴾ من الزوائد عند القراء^(١)، ومعناه: أن الصحابة لم تثبت لها صورة في المصحف؛ ولذلك اختلفت فيها القراء، فمنهم من أسقطها وصلاً ووقفاً تبعاً للرسم، ومنهم من يثبتها في الحالين، ومنهم من يثبتها وصلاً ويحذفها وقفاً^(٢).

قوله: (بإنالته ما سأل) أي: ما لم يسأل بإثم أو قطيعة رحم، وهذه الإجابة وعد من الله وهو لا يتخلف، لكن على مراده تعالى لا على مراد الداعي، فالدعاء نافع ولا يخيب فاعله، و(ما) يحتمل أن تكون موصولة، وسأل: صلّتها والعائد محذوف، أو نكرة موصوفة، وسأل: صفتها، أو مصدرية؛ أي: بإنالته سؤاله.

قوله: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ يحتمل أن السين والتاء زائدتان، والمعنى: فليجيبوني بالامتثال والطاعة كما أجبْتُ دعاءهم، هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ وهذا ما مشى عليه المفسّر، ويحتمل أنهما للطلب، والمعنى: فليطلبوا منّي الإجابة عقب دعائهم، وفي الحديث: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة»^(٣)، فشرط الإجابة تيقنّها، وقد أشار لذلك السيّد البكري بقوله: (فلا تردّنا، واستجب لنا كما وعدتنا)^(٤).

(١) في (أ): إثبات الياءات في الموضعين كتابةً، والمثبت هنا من (ط).

(٢) «الدر المصون» (٢/٢٩٠)، قرأ ورش وأبو عمرو بإثبات الياء فيهما وصلاً لا وقفاً، واختلف عن قالون فيهما، والباقون بحذفها وصلاً ووقفاً. انظر «السراج المنير» (١/١٢٢).

(٣) رواه الترمذي (٣٤٧٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٤) قطعة من ورده المشهور بورد السحر، توفي العارف بالله السيّد مصطفى البكري سنة (١١٦٢هـ). انظر «سلك الدرر» (١٩١/٤).

وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ.....

﴿وَلْيُؤْمِنُوا﴾: يُدَاوِمُوا على الإيمان ﴿بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾: يَهْتَدُونَ.

﴿١٨٧﴾ ﴿أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ﴾ بِمَعْنَى الْإِفْضَاءِ ﴿إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ بِالْجَمَاعِ، نَزَلَ نَسْخًا لِمَا كَانَ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ مِنْ تَحْرِيمِهِ وَتَحْرِيمِ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ بَعْدَ الْعِشَاءِ،.....

حاشية الصاوي

قوله: ﴿يُدِيمُوا﴾ فعله من: أَدَامَ رُبَاعِيًّا، وفي نسخة: (يدوموا)، وفعله دَامَ ثَلَاثِيًّا، وهما لغتان فصيحتان.

قوله: (على الإيمان ﴿بِي﴾ أي: فلا يرتدوا.

قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ هكذا قرأ الجمهور بفتح الياء وضمّ الشين من باب: (قَتَلَ)، وقرئ بكسر الشين وفتحها والياء مفتوحة على كلٍّ من بابي: (ضَرَبَ، وَعَلِمَ)، وقرئ بضمّ الياء مبنياً للفاعل والمفعول محذوف؛ أي: غيرهم؛ أي: يدلّوهم على طريقة الرشاد؛ ولذا قيل: حَالُ رَجُلٍ فِي أَلْفٍ رَجُلٍ أَنْفَعُ مِنْ وَعِظِ أَلْفٍ رَجُلٍ فِي رَجُلٍ، أو مبنياً للمفعول، فقراءات غير الجمهور أربعة^(١).

قوله: ﴿أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ﴾ ﴿لَيْلَةَ﴾: ظَرَفٌ لـ ﴿أَحَلَّ﴾، والمعنى: أَحَلَّ لَكُمْ فِي لَيْلَةِ الصَّيَامِ، وفي الناصب له ثلاثة أقوال: قيل: أَحَلَّ وهو المشهور عند المعربين وليس بشيء؛ لأن الإحلال ثابت قبل ذلك الوقت، وقيل: مقدّر مدلولٌ عليه بلفظ الرفث، تقديره: أَحَلَّ لَكُمْ أَنْ تَرْفَثُوا لَيْلَةَ الصَّيَامِ، وقيل: متعلّق بالرفث؛ لأنه يُتَوَسَّعُ فِي الظُّرُوفِ مَا لَا يُتَوَسَّعُ فِي غَيْرِهَا.

قوله: ﴿الرَّفَثُ﴾ ضَمَّنَهُ معنى الإفضاء فعّاه بـ ﴿إِلَى﴾، وإلا.. فهو يتعدّى بالباء أو بـ (في). وهو في الأصل: الكلام الذي يُسْتَقْبَحُ ذِكْرُهُ، الواقع عند الجماع، فأُطلق وأريد منه الجماع على سبيل الكناية؛ لاستقباح ذكره.

قوله: (بمعنى الإفضاء) هو في الأصل: أَلَّا يَكُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الشَّيْءِ حَائِلٌ، وليس مراداً هنا، بل المرادُ به هنا إفضاء خاصٌّ بالجماع؛ ولذا قال المفسر: (بمعنى الإفضاء إلى نساءكم بالجماع).

قوله: ﴿إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ المراد: حلائلكم من زوجة وأمة.

قوله: (من تحرّمه) أي: الجماع.

قوله: (بعد العشاء) أي: دخول وقتها، أو بعد النوم ولو كان قبلها.

(١) «الدر المصون» (٢/٢٩٢)، والحاصل: الجمهور: يَرْشُدُونَ، وغيرهم: يَرْشِدُونَ وَيُرْشِدُونَ وَيُرْشَدُونَ.

مَنْ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ

﴿مَنْ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ كِنَايَةٌ عَنْ تَعَانُقِهِمَا أَوْ احْتِيَاجِ كُلِّ مِنْهُمَا إِلَى صَاحِبِهِ، ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ﴾: تَخُونُونَ ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾ بِالْجَمَاعِ لَيْلَةَ الصَّيَامِ، وَقَعَ ذَلِكَ لِعُمَرِ وَغَيْرِهِ وَاعْتَذَرُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾: قَبِلَ تَوْبَتَكُمْ، ﴿وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ﴾ إِذْ أُحِلَّ لَكُمْ

حاشية الصاوي

قوله: (كناية عن تعانقهما) أي: فالتشبيهُ من حيث الاعتناق، فكما أن اللباسَ يسلكُ في العنقِ كذلك المرأةُ تسلكُ في عنقِ الرجلِ، والرجلُ يسلكُ في عنقِها، ويصحُّ أن التشبيهُ من حيث السترُ، فالمرأةُ تسترُ الرجلَ، والرجلُ يسترُها، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]، وإليه الإشارةُ بقول المفسِّر: (أو احتياج كلِّ منهما لصاحبه)، والحكمةُ في تقديم قوله: ﴿مَنْ لِبَاسٌ لَكُمْ﴾: أَنَّ طَلَبَ المواقعة غالباً تكون ابتداءً من الرجلِ، فحاجةُ الرجلِ إليها أكثرُ؛ لما في الحديث: «لا خيرَ في النساءِ، ولا صبرَ عنهنَّ، يغلبنَ كريماً، ويغلبهنَّ لثيمٌ، فأحبُّ أن أكونَ كريماً مغلوباً، ولا أحبُّ أن أكونَ لثيماً غالباً»^(١).

قوله: ﴿تَخْتَانُونَ﴾ (هو أبلغُ من (تخونون))؛ لزيادةِ بنائه.

قوله: (وقع ذلك لعمر) وحاصله: أنه بعد أن صَلَّى العشاءَ وجدَ بأهلهِ رائحةً طيبةً، فواقعَ أهلهُ حينئذٍ، ثم لما أصبحَ جاءَ رسولُ الله وأخبره الخبرَ، فقال: يا رسولَ الله؛ إني أعتذرُ إلى الله وإليك ممَّا وقعَ مني، فقام جماعةٌ فقالوا مثلَ ما قال عمرُ، فنزلت الآيةُ نسخاً للتحريمِ الواقعِ بالسنة^(٢).

قوله: ﴿فَالْآنَ﴾ (إن قلتَ: إنه ظرفٌ للزمانِ الحاضرِ، وقوله: ﴿بَشِّرُوهُمْ﴾ مستقبلٌ، فحينئذٍ لا يحسنُ ذلك! أشارَ المفسِّرُ لدفعِ ذلك حيث حوِّلَ العبارةُ بقوله: (إذ أُحِلَّ لكم)، فمتعلِّقُ الظرفِ الحلُّ لا المباشرةُ، فالمعنى: حصلَ لكم التحليلُ الآنَ، فحينئذٍ باشيروهم فيما يُستقبلُ.

(١) روى ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣١٢/١٣): «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي، ما أكرم النساءِ إلا كريم، ولا أهانهن إلا لثيم»، وإلى قوله: «لأهلي» رواه الترمذي (٣٨٩٥)، وابن ماجه (١٩٧٧).

(٢) رواه بنحوه ضمن خبر طويل أبو داود (٥٠٦).

بَشِّرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ
الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ.....

﴿بَشِّرُوهُنَّ﴾: جامعوهنَّ، ﴿وَابْتَغُوا﴾: اطلبوا ﴿مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: أباحه من الجماع أو قدره من الولد، ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ الليل كله ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ﴾: يظهر ﴿لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾.....

حاشية الصاوي

قوله: (جامعوهن) أي: فالمراد مباشرة خاصة، فأطلق الملزوم وهو المباشرة، وأراد لازمه وهو الجماع.

قوله: (أي: أباحه من الجماع) أي: في النساء الحلال، وأشار بذلك إلى أنه ينبغي أن يقصد بجماعه العفة بالحلال عن الحرام له ولها، أو رجاء النسل لتكثير الأمة؛ ففي الحديث: «تناكحوا تناسلوا، فإني مباؤ بكم الأمم يوم القيامة»^(١).

قوله: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾) نزلت في صرمة بن قيس وكان عاملاً في أرض له وهو صائم، فحين جاء المساء رجع لأهله فلم يجد طعاماً، فغلبته عيناه من التعب، فلما حضر الطعام استيقظ، فكرة أن يأكل خوفاً من الله، فبات طاوياً، فما انتصف النهار حتى غشي عليه، فلما أفاق أخبر النبي بذلك، فنزلت الآية^(٢).

قوله: ﴿مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾) قيل: قبل نزول قوله: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ وضع عدي بن حاتم عقلاً أبيض وعقلاً أسود وجعل يأكل ويشرب حتى تبين كل منهما، فلما أصبح أخبر النبي بذلك، فقال له: «إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار»^(٣).

(١) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٧٣/٦)، وقال الحافظ السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص ٢٦٩): (جاء معناه عن جماعة من الصحابة، فأخرج أبو داود والنسائي والبيهقي وغيرهم من حديث معقل بن يسار مرفوعاً: «تزوجوا الولود الودود»، فإني مكاثرت بكم الأمم».

(٢) رواه البخاري (١٩١٥)، وأبو داود (٢٣١٤)، ولكن وقع اسم الصحابي عند البخاري (١٩١٥): قيس بن صرمة، ورجح الحافظ في «فتح الباري» (٤/١٣٠) أن اسمه صرمة بن أبي أنس قيس بن مالك، وقال: (فمن قال: قيس بن صرمة قلبه كما جزم الداودي والسهيلي وغيرهما).

(٣) رواه البخاري (١٩١٦)، ومسلم (١٠٩٠) من حديثه رضي الله عنه.

ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَشِّرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا

أي: الصَّادِق، بَيَانُ اللَّخِيطِ الْأَبْيَضِ، وَبَيَانُ الْأَسْوَدِ مَحْذُوفٌ أَي: مِنَ اللَّيْلِ، شَبَّهَ مَا يَبْدُو مِنَ الْبَيَاضِ وَمَا يَمْتَدُّ مَعَهُ مِنَ الْغَبَشِ بِخَيْطَيْنِ أَبْيَضٍ وَأَسْوَدٍ فِي الْإِمْتِدَادِ، ﴿ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ﴾ مِنَ الْفَجْرِ ﴿إِلَى اللَّيْلِ﴾ أَي: إِلَى دُخُولِهِ بِغُرُوبِ الشَّمْسِ، ﴿وَلَا تُبَشِّرُوهُمْ﴾ أَي: نِسَاءُكُمْ ﴿وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ﴾: مُقِيمُونَ بِنِيَّةِ الْإِعْتِكَافِ ﴿فِي الْمَسْجِدِ﴾ مُتَعَلِّقٌ بِ﴿عَاكِفُونَ﴾، نَهَى لِمَنْ كَانَ يَخْرُجُ وَهُوَ مُعْتَكِفٌ، فَيُجَامِعُ امْرَأَتَهُ وَيَعُودُ، ﴿تِلْكَ﴾ الْأَحْكَامُ الْمَذْكُورَةُ ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ حَدَّهَا لِعِبَادِهِ لِيَقْفُوا عِنْدَهَا، ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾

حاشية الصاوي

قوله: (أي: الصادق) احترزَ بذلك من الكاذب، وهو ما يظهر قبل الصادق كذنب السرحان، ثم تعقبه ظلمة، ثم يطلع الصادق وهو الضياء المنتشر.

قوله: (وبيان الأسود محذوف) أي: فلو بينه لقال: من الفجر والليل؛ ليكون لقا ونشراً مرتباً، ولم يذكره لعدم تعلّق حكم به، فإن الصوم متعلّق بظهور الأبيض.

قوله: (من الغبش) أي: ظلمة الليل.

قوله: (أبيض وأسود) لفّ ونشراً مرتباً، والتشبيه هنا إنما هو في الصورة والهيئة، وليس هنا خيط أبيض ولا أسود كما توهمه بعض الصحابة.

قوله: (في الامتداد) هذا هو وجه الشبه.

قوله: (بغروب الشمس) أشار بذلك إلى أن الغاية غير داخلية في المغيّا، وإنما صيام جزء من الليل من باب: ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

قوله: ﴿وَلَا تُبَشِّرُوهُمْ﴾ أي: مطلقاً، ليلاً كان أو نهاراً، وليس كالصيام.

قوله: (نهي) خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: هذه الآية نهى.

قوله: (الأحكام المذكورة) أي: من أوّل آية الصيام إلى هنا، واستشكل ذلك: بأن الحدّ هو

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَشِّرُوهُمْ...﴾ الآية، وأجيب: بأن الله أمرنا بالصوم بقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾، والأمرُ بالشيء نهى عن ضده.

كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ ءَايَتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ
وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِإِلَاسٍ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾
يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ.....

أَبْلَغُ مِنْ (لَا تَعْتَدُوهَا) الْمُعْبَّرُ بِهِ فِي آيَةٍ أُخْرَى، ﴿كَذَلِكَ﴾ كَمَا بَيَّنَّ لَكُمْ مَا ذَكَرَ ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ ءَايَتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ مَحَارِمَهُ.

﴿١٨٨﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ أَي: لَا يَأْكُلُ بَعْضُكُمْ مَالَ بَعْضٍ ﴿بِالْبَاطِلِ﴾: الْحَرَامِ
شَرْعاً كَالسَّرِقَةِ وَالْغَصَبِ، ﴿وَلَا﴾ لَا ﴿تُدْلُوا﴾: تُلْقُوا ﴿بِهَا﴾ أَي: بِحُكْمَتِهَا أَوْ بِالْأَمْوَالِ
رِشْوَةً ﴿إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا﴾ بِالتَّحَاكُمِ ﴿فَرِيقًا﴾: طَائِفَةً ﴿مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ﴾ مُلْتَبِسِينَ
﴿بِالْإِلَاسِ﴾ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنْكُمْ مُبْطِلُونَ.

﴿١٨٩﴾ يَسْأَلُونَكَ يَا مُحَمَّدٌ ﴿عَنِ الْأَهْلِ﴾ جَمْع (هَلَالٍ): لِمَ تَبْدُو دَقِيقَةً ثُمَّ تَزِيدُ.....

حاشية الصاوي

قوله: (أبلغ من لا تعتدوها) أي: لأن النهي عن المقاربة نهى عن المجاوزة وزيادة^(١).

قوله: (أي: لا يأكل بعضكم مال بعض) أي: لأن الله قَدَّرَ لكل رزقه، فلا يتسع بالباطل
ولا يضيق بالحق.

قوله: (كالسرقة والغصب) أي: والمكس والنهب من كل ما لم يأذن فيه الشرع.

قوله: (تلقوا) أي: تسرعوا وتبادروا.

قوله: (وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) جملة حالية من فاعل ﴿تَأْكُلُوا﴾.

قوله: (أنكم مبطلون) بفتح الهمزة، أشار إلى أنه مفعول ﴿تَعْلَمُونَ﴾.

قوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ أي: أصحابك.

قوله: (لِمَ تبدو دقيقة) هذا هو صورة السؤال.

قوله: (ثم تزيد) أي: شيئاً فشيئاً.

(١) والقاعدة: أن الأحكام إذا كانت نواهي يقال فيها: لا تقربوها؛ على حد: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ﴾ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾
وهكذا، وإن كانت أوامر يقال فيها: لا تعتدوها؛ أي: لا تتجاوزوها بالآ تفعلوها. «الفتوحات» (١/١٥١) نقلاً
عن «الكوكبين النيرين».

قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ

حَتَّى تَمْتَلِئَ نُورًا، ثُمَّ تَعُودُ كَمَا بَدَتْ، وَلَا تَكُونُ عَلَى حَالَةٍ وَاحِدَةٍ كَالشَّمْسِ؟ ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ: ﴿هِيَ مَوَاقِيتُ﴾: جَمْعُ (مِيقَاتٍ) ﴿لِلنَّاسِ﴾ يَعْلَمُونَ بِهَا أَوْقَاتَ زَرْعِهِمْ وَمَتَاجِرِهِمْ، وَعِدَدِ نِسَائِهِمْ وَصِيَامِهِمْ وَإِفْطَارِهِمْ،

حاشية الصاوي

قوله: (حتى تمتلئ نوراً) أي: وذلك ليلة أربعة عشر.

قوله: (ثم تعود كما بدأت) أي: فالهلال إنما أخذ في الزيادة وذلك في النصف الأول من الشهر، وإمّا أخذ في النقص وذلك في النصف الأخير منه.

قوله: ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ﴾ قيل: إن الجواب غير مطابق للسؤال؛ لأنّ سؤالهم عن حكمة كونه يبدو دقيقاً ثم إذا تمّ عادَ كما كان، والجواب إنما هو عن حكمة الهلال الظاهرية وهي كونه مواقيت للناس والحجّ، وأما جواب سؤالهم فليسوا مكلفين به، ولا حاجة لهم بذلك؛ لأنه من المغيّبات، وقيل: إن الجواب مطابق للسؤال، فقوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ﴾ أي: عن حكمتها الظاهرة، وهذا هو الأنسب بمقامهم؛ لأن الأول من باب: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١]، والضمير يعود على (الأهلة)، وتقدّم أنه جمع هلال، سُمّي بذلك لاستهلال الناس عند رؤيته بمعنى: رفع أصواتهم^(١)، ويسمّى بالهلال ليلتين أو ثلاثاً، وبعد ذلك يُسمّى قمراً^(٢).

قوله: (جمع ميقات) أصله: مِوَقَات، وقعت الواو ساكنة إثر كسرة قلبت ياءً.

قوله: (أوقات زرعهم) أي: فكلُّ زرع له وقتٌ يطلع فيه، فزرع هذا الشهر مثلاً لا يطلع في غيره وهكذا.

قوله: (وعِدَد نسائهم) أي: من كونها أربعة أشهر وعشراً أو ثلاثة أشهر مثلاً.

قوله: (وصيامهم) أي: في رمضان مثلاً.

قوله: (وإفطارهم) أي: في شوال.

(١) تقدم (١/٢٩١).

(٢) كل ما جاء من السؤال في القرآن أجيب عنه بـ(قل) بلا فاء، إلا في قوله في (طه): ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ﴾ فبالفاء؛ لأن الجواب في الجميع كان بعد وقوع السؤال، وفي (طه) كان قبله، إذ تقديره: إن سُئِلت عن الجبال فقل. «الفتوحات» (١/١٥٢).

وَالْحَجُّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾

﴿وَالْحَجُّ﴾ - عَطَفَ عَلَى (النَّاسِ) - أَي: يُعَلِّمُ بِهَا وَقْتَهُ، فَلَوْ اسْتَمَرَّتْ عَلَى حَالَةٍ لَمْ يُعْرِفْ ذَلِكَ، ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ فِي الْإِحْرَامِ، بِأَنْ تَنْقُبُوا فِيهَا نَقْبًا تَدْخُلُونَ مِنْهُ وَتَخْرُجُونَ وَتَتْرَكُوا الْبَابَ، وَكَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ وَيَزْعُمُونَهُ بَرًّا، ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾ أَي: ذَا الْبِرِّ ﴿مَنِ اتَّقَى﴾ اللَّهُ بِتَرْكِ مُخَالَفَتِهِ، ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ فِي الْإِحْرَامِ كَغَيْرِهِ، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾:

حاشية الصاوي

قوله: (عطف على الناس) أي: مسلَّط عليه ﴿مَوَقِيتٌ﴾ واللامُ، وفي الحقيقة هو معطوف على المضاف المحذوف؛ أي: لمصالح الناس والحجَّ.

قوله: (يُعلم بها وقته) أي: وهو شوال وذو القعدة وعشرُ ذي الحجة؛ فلو تقدَّم أو تأخَّر لم يصحَّ، وهذا هو حكمه تخصيصه من دون العبادات وإن كان من مصالح الناس.

قوله: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ﴾ الحكمة في ذكر هذه الآية بعد ما تقدَّم: أنهم سألوا عن ذلك أيضاً، وصورة سؤالهم: هل من البرِّ إتيانُ البيوت من ظهورها؟ فأجابهم الله بأنه ليس من البرِّ، ويتعيَّن رفعُ البرِّ هنا؛ لأنَّ ما بعد الباء يتعيَّن جعله خبراً لـ (ليس)؛ فإن الباء إنما تدخلُ على الخبر لا على الاسم.

قوله: (بأن تنقبوا فيها نقباً) أي: من خوف الاستئلال بالسقف، وهذا في الحاضر^(١)، وأما البادي فكان يشقُّ الخيمة، وذلك في الإحرام، زاعمين أن عدمَ تغطية الرأس بشيء أصلاً غير السماء برُّ.

قوله: (بترك مخالفته) أي: مطلقاً، وامتنالُ المأمورات على حسب الطاقة.

قوله: ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ حاصلُ ذلك: أن الله أخبرنا بجملتين وأمرنا بجملتين مرتباً لهما على الأوليين، فقوله: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ جملةٌ خبرية رُتِّبَ عليها قوله: ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾، وقوله: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى﴾ جملةٌ خبرية أيضاً رُتِّبَ عليها قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾.

(١) عبارة العلامة الجمل في «فتوحاته» (١/١٥٢): (فإن كان من أهل المدر نقب نقباً في ظهر بيته يدخل منه، أو يتخذ سلماً...).

وَقَاتِلُوا فِي

تَفُوزُونَ.

﴿١٩٠﴾ وَلَمَّا صُدَّ ﷺ عَنِ الْبَيْتِ عَامَ الْحُدَيْبِيَّةِ، وَصَالَحَ الْكُفَّارَ عَلَى أَنْ يَعُودَ الْعَامَ الْقَابِلَ، وَيُخْلُوا لَهُ مَكَّةَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَتَجَهَّزَ لِعُمْرَةِ الْقَضَاءِ، وَخَافُوا أَنْ لَا تَفِي قُرَيْشٌ وَيُقَاتِلُوهُمْ، وَكَرِهَ الْمُسْلِمُونَ قِتَالَهُمْ فِي الْحَرَمِ وَالْإِحْرَامِ وَالشَّهْرِ الْحَرَامِ، نَزَلَ: ﴿وَقَاتِلُوا فِي حَاشِيَةِ الصَّوِي

قوله: (تفوزون) أي: تسعدون وتظفرون برضائه.

قوله: (ولما صُدَّ... إلخ) أي: صُدَّه المشركون ومنعوه وصرفوه، والمراد بالبيت: الكعبة، وحاصله: أن النبي ﷺ سَتَّ من الهجرة توجَّه مع ألف وأربع مئة لفعل عُمره؛ لأن الحجَّ إذ ذاك لم يكن فُرْضَ، فوصلوا الحديبيةً بمكان قريب من مكة يُسَمَّى وادي فاطمة، فخرجت عليهم سُفهاءُ مكة يقاتلونهم بالأحجار والسهام، فأرسل رسولُ الله عثمانُ يستأذنُ أهلَ مكة في أن يدخلَ هو وأصحابه ويطوفُوا ويكملوا عمرتهم، فأشاعَ الكفارُ وإبليسُ أن عثمانَ قد مات، فبايعَ النبيُّ أصحابَهُ تحتَ الشجرة على قتالهم، فحصلَ صلحُ بينه وبينهم عشرَ سنين، وتبيَّنَ أن عثمانَ حيٌّ لم يمت، وأتى إليهم وقال: إن الكفارَ أوعَدونا إلى العام القابل، فتحلَّلَ المسلمون مكانهم في الحديبية، ونحروا هديهم وحلَّقوا وانصرفوا راجعين، ثم في العام القابل - وهو سنة سبع - تجهَّزَ رسولُ الله ﷺ لِعُمْرَةِ الْقَضَاءِ، وَسُمِّيَتْ قَضَاءُ لأنها وقعَ فيها المقاضاةُ والصلحُ، لا أنه لزمهم قضاءُ للعمرة السابقة؛ لأنَّ من صُدَّ لا يلزمه قضاء، فخافت المسلمون أن قريشاً لا تفي بالوعد ويحصلُ قتالٌ في الشهر الحرام والحرم والإحرام، فنزلت الآية^(١).

قوله: (وصالِحَ الكفار) يصحُّ أن الكفارَ فاعلٌ بـ(صالِح)، والمفعولُ محذوفٌ تقديرُهُ: صالِحُه، ويصحُّ أن الفاعلَ مستترٌ تقديرُهُ: هو يعود على النبي، والكفارَ مفعول.

قوله: (على أن يعود العام القابل) تقدم أنه عامٌ سبع.

قوله: (وخافوا ألا تفي قريش... إلخ) أي: فيحصل المحذور الذي هو القتال في الحرم والإحرام والشهر الحرام.

قوله: (نزل) هذا جوابُ (لَمَّا) أي: سبب النزول.

قوله: ﴿وَقَاتِلُوا فِي

(١) كذا عند الثعلبي في «تفسيره» (٨١/٢)، وعند الواحدي في «أسباب النزول» (ص ٥٧).

سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَأَقْتُلُوهُمْ
حَيْثُ تَقْبَلُونَهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ

سَبِيلِ اللَّهِ ﴿١﴾ أَي: لِإِعْلَاءِ دِينِهِ ﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ مِنَ الْكُفَّارِ، ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ عَلَيْهِمْ
بِالْإِبْتِدَاءِ بِالْقِتَالِ، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾: الْمُتَجَاوِزِينَ مَا حُدَّ لَهُمْ، وَهَذَا
مَنْسُوخٌ بِآيَةِ (بَرَاءة) أَوْ بِقَوْلِهِ:

﴿١٩١﴾ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْبَلُونَهُمْ ﴿١﴾ وَجَدْتُمُوهُمْ، ﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ أَي: مِنْ مَكَّةَ،
وَقَدْ فُعِلَ بِهِمْ ذَلِكَ عَامَ الْفَتْحِ،

حاشية الصاوي

سَبِيلِ اللَّهِ ﴿١﴾ السَّبِيلُ فِي الْأَصْلِ: الطَّرِيقُ، فَاسْتَعِيرَ لِدِينِ اللَّهِ وَشَرَائِعِهِ بِجَامِعِ التَّوَصُّلِ لِلْمَقْصُودِ
فِي كُلِّ.

قوله: ﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ (أَي: لَا تَبْتَدِئُوهُمْ بِالْقِتَالِ).

قوله: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ المرادُ بِالْإِعْتِدَاءِ هُنَا: الْقِتَالُ ابْتِدَاءً، لَا حَقِيقَةُ الْإِعْتِدَاءِ الَّذِي هُوَ تَجَاوُزُ
الْحُدَّ.

قوله: (وهذا منسوخ بآية براءة) أَي: بِقَوْلِهِ: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ [التوبة: ٣٦]، فَأَزَالَ اللَّهُ
الضِّيقَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ وَأَبْدَلَهُ بِالسَّعَةِ، وَفِي الْحَقِيقَةِ هَذِهِ الْآيَةُ نُسَخَتْ نَحْوَ سَبْعِينَ آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ حَصَلَ
فِيهَا نَهْيٌ مِنَ الْقِتَالِ ^(١).

قوله: (أو بقوله... إلخ) أَي: وَهَذَا أُبْلِغُ؛ لَكُونِهَا بِلَصْقِهَا.

قوله: ﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ (أَي: مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي أَخْرَجُوكُم مِّنْهُ، يَعْنِي: مَكَّةَ، وَهُوَ أَمْرٌ
بِالْإِخْرَاجِ، فَكَأَنَّهُ وَعْدٌ مِنَ اللَّهِ بِالْفَتْحِ لِمَكَّةَ، وَقَدْ أَنْجَزَ اللَّهُ مَا وَعَدَ بِهِ عَامَ ثَمَانٍ).

قوله: (وقد فعل) أَي: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَهُمْ؛ أَي: بِالْكَفَّارِ مِنْهُمْ.

قوله: (عام الفتح) أَي: وَهُوَ الْعَامُ الثَّامِنُ، إِنْ قُلْتَ: إِنَّ مَدَّةَ الصَّلْحِ بَاقِيَةٌ مَعَ أَنْ إِخْرَاجَهُمْ
وَقَاتِلَهُمْ حَصَلَ قَبْلَ مُضِيِّ تِلْكَ الْمَدَّةِ! أَجِيبُ: بِأَنَّهُ حَصَلَ مِنْهُمْ نَقْضٌ لِلْعَهْدِ بَعْدَ عُمرَةِ الْقَضَاءِ.

(١) «تفسير البغوي» (١/٢٣٦)، وَهَذَا الْكَلَامُ ذَكَرَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمَفْسِّرِينَ، وَفِيهِ مَبَالِغَةٌ؛ لِأَنَّ التَّحْقِيقَ: أَنَّ الْمَنْسُوخَ فِي الْقُرْآنِ
أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ بِكَثِيرٍ؛ كَمَا حَقَّقَهُ السَّيُوطِيُّ فِي «الْإِتْقَانِ» (٣/٧١). (ع)

وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقْتَلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَتِّلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنْ أَنْهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَتِّلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ

﴿وَالْفِتْنَةُ﴾: الشُّرْكُ مِنْهُمْ ﴿أَشَدُّ﴾: أَعْظَمُ ﴿مِنَ الْقَتْلِ﴾ لَهُمْ فِي الْحَرَمِ أَوْ الْإِحْرَامِ الَّذِي اسْتَعْظَمْتُمُوهُ، ﴿وَلَا تُقْتَلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أَي: فِي الْحَرَمِ ﴿حَتَّى يُقَتِّلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلُوكُمْ﴾ فِيهِ ﴿فَاقْتُلُوهُمْ﴾ فِيهِ. - وَفِي قِرَاءَةِ بِلَا أَلِفٍ فِي الْأَفْعَالِ الثَّلَاثَةِ - ﴿كَذَلِكَ﴾ الْقَتْلِ وَالْإِخْرَاجِ ﴿جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿١٩٢﴾ ﴿فَإِنْ أَنْهَوْا﴾ عَنِ الْكُفْرِ وَأَسْلَمُوا، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لَهُمْ، ﴿رَحِيمٌ﴾ بِهِمْ.

﴿١٩٣﴾ ﴿وَقَتِّلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ﴾: تُوْجَدَ ﴿فِتْنَةٌ﴾: شِرْكٌ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَالْفِتْنَةُ﴾ ... إلخ) هذا جوابٌ عن سؤالٍ مقدَّر، تقديرُهُ: إِنْ خِفْتُمْ أَنْ تَقَاتِلُوهُمْ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَرَاعَيْتُمْ حُرْمَةَ الشَّهْرِ وَالْإِحْرَامَ وَالْحَرَمَ. فالشُّرْكُ الَّذِي حَصَلَ مِنْهُمْ الَّذِي فِيهِ تَهَاوُنٌ بِرَبِّ الْحَرَمِ أَبْلَغُ.

قوله: ﴿وَلَا تُقْتَلُوهُمْ﴾ ... إلخ) هذا توكيدٌ للمنسوخ، وهو تفسِيرٌ لقوله: (وَلَا تَعْتَدُوا).

قوله: (أَي: فِي الْحَرَمِ) إِنَّمَا فَسَّرَ ﴿عِنْدَ﴾ بِ(فِي) لِأَنَّهُ ظَرَفٌ مَنْصُوبٌ، وَهُوَ عَلَى تَقْدِيرِ (فِي)، وَأَطْلَقَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَأَرَادَ مَا يَعُمُّ الْحَرَمَ بِتَمَامِهِ.

قوله: (وَفِي قِرَاءَةِ بِلَا أَلِفٍ) وَالْقِرَاءَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ^(١)، وَالتَّلَاوَةُ عَلَى هَذَا: (وَلَا تَقْتُلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَتِّلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ)، وَالْمَعْنَى: فَخُذُوا فِي أَسْبَابِ قَتْلِهِمْ.

قوله: ﴿جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ أَي: فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ.

قوله: ﴿فَإِنْ أَنْهَوْا﴾ أَي: رَجَعُوا عَنِ الْكُفْرِ، وَأَصْلُهُ: انْتَهَيْتُمْ بِيَاءٍ مَضمومةٌ بَعْدَ الْهَاءِ، اسْتَقْلَتِ الزُّمَّةُ عَلَى الْيَاءِ فَحُذِفَتْ، وَتَحَرَّكَتِ الْيَاءُ بِحَسَبِ الْأَصْلِيِّ وَانْفَتَحَ مَا قَبْلُهَا بِحَسَبِ الْآنَ قَلَبْتُ أَلْفًا، فَالْتَقَى سَاكِنَانِ حُذِفَتِ الْأَلِفُ وَبَقِيَ الْفَتْحَةُ دَلِيلًا عَلَيْهَا.

قوله: ﴿وَقَتِّلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ هذه الآية ناسخةٌ أيضاً لما قَبْلَهَا.

(١) قرأ الجمهور بالالف في الأفعال الثلاثة، وحمزة والكسائي بغير ألف كما سيبين المصنف. انظر «الدر المصون»

وَيَكُونُ الَّذِينَ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ
قِصَاصٌ.....

﴿وَيَكُونُ الَّذِينَ لِلَّهِ﴾ : الْعِبَادَةُ لِلَّهِ ﴿وَحَدَهُ لَا يُعْبَدُ سِوَاهُ﴾ ؛ ﴿فَإِنْ أَنْهَوْا﴾ عَنِ الشَّرِكِ فَلَا تَعْتَدُوا عَلَيْهِمْ ، دَلٌّ عَلَى هَذَا : ﴿فَلَا عُدْوَانَ﴾ : اعْتِدَاءٌ بِقَتْلِ أَوْ غَيْرِهِ ﴿إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ ، وَمَنْ انْتَهَى فَلَيْسَ بِظَالِمٍ ، فَلَا عُدْوَانَ عَلَيْهِ .

﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ﴾ : الْمُحَرَّمُ مُقَابِلُ ﴿بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ ؛ فَكَمَا قَاتَلُوكُمْ فِيهِ فَاقْتُلُوهُمْ فِي مِثْلِهِ ، رَدٌّ لِاسْتِعْظَامِ الْمُسْلِمِينَ ذَلِكَ ، ﴿وَالْحُرُمَتُ﴾ : جَمْعُ (حُرْمَةٍ) : مَا يَجِبُ احْتِرَامُهُ ﴿قِصَاصٌ﴾ أَيُ : يُقْتَصُّ بِمِثْلِهَا إِذَا انْتَهَكْتَ ،

حاشية الصاوي

قوله : ﴿وَيَكُونُ الَّذِينَ لِلَّهِ﴾ (أي : في مكة ؛ لأن المراد تخليص الدين في مكة من الشرك فقط ، لا كل الجهات ، وأما آية (الأنفال) في قوله : ﴿وَيَكُونُ الَّذِينَ كُفُّهُ﴾ [الأنفال : ٣٩] أي : في كل الجهات .

قوله : ﴿فَإِنْ أَنْهَوْا﴾ (أي : رجعوا عن الكفر وأسلموا .

قوله : ﴿فَلَا عُدْوَانَ﴾ ... إلخ) هذا خبرٌ في صورة الأمر مبالغة ؛ أي : فلا تنتقموا ولا تقتلوا إلا الظالمين ، والمعنى : لا يُجَازَى عَلَى عُدْوَانِهِ إِلَّا الظَّالِمُونَ ؛ لِأَنَّ الْعُدْوَانَ وَقَعَ مِنَ الْكُفَّارِ بِكُفْرِهِمْ وَقَاتِلِهِمُ لِلْمُسْلِمِينَ ، لَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِقَاتِلِهِمْ لَهُمْ .

قوله : ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ﴾ ... إلخ) هذا نزل أيضاً زيادة طمأنينة للمسلمين ؛ لأنه كان يَشُقُّ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ فِيهَا تَعْظِيماً لَهَا^(١) ، وَقِيلَ : إِنَّهَا نَزَلَتْ رَدًّا عَلَى الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ الْمُعْتَرِضِينَ فِي قَوْلِهِمْ : إِنَّ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ وَالْحَرَمَ مَعْظَمَةٌ قَدِيمًا ، وَيَزْعُمُ مُحَمَّدٌ أَنَّهُ يَحْكُمُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ يَنْتَهِكُ حُرْمَةَ الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحَرَمِ ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ : الشَّهْرُ الْحَرَامُ الَّذِي نَقَاتَلَكُمْ فِيهِ فِي مَقَابِلَةِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ ؛ أَيُ : الَّذِي صَدَدْتُمُونَا فِيهِ عَنِ الْعِمْرَةِ وَالِدُخُولِ وَقَاتَلْنَا سَفَهَاؤَكُمْ ، وَلَا يُسَمَّى انْتِهَاكًا وَلَا عَدَمَ تَعْظِيمٍ لِلْحَرَمِ ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا كَانَ بِأَمْرِ اللَّهِ أَنْدَفَعَ ذَلِكَ كُلُّهُ .

قوله : ﴿وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ﴾ (أي : متى حصل من أحد انتهاك لحُرْمَةٍ آخَرَ سَقَطَتْ حُرْمَتُهُ ، فَيُقْتَصُّ لَهُ مِنْهُ ، وَمِنْ هُنَا قَوْلُ بَعْضِهِمْ مَلْغَرًا فَيَمَنُ قُطِعَتْ يَدُهُ ظُلْمًا ، وَمَنْ قُطِعَتْ يَدُهُ لِأَجْلِ السَّرَقَةِ : [البسيط]

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/٥٧٥) ، وهو السبب السابق ذكره في خبر الحديبية .

فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

﴿فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ بِالْقِتَالِ فِي الْحَرَمِ أَوْ الْإِحْرَامِ أَوْ الشَّهْرِ الْحَرَامِ، ﴿فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ سَمَّى مُقَابَلَتَهُ اعْتِدَاءً لِشَبْهِهَا بِالْمُقَابَلِ بِهِ فِي الصُّورَةِ، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فِي الْإِنْتِصَارِ وَتَرْكِ الْإِعْتِدَاءِ، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ بِالْعَوْنِ وَالنَّصْرِ. ﴿١٩٥﴾ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ: طَاعَتِهِ: الْجِهَادِ وَغَيْرِهِ،

حاشية الصاوي

يَذُ بِخَمْسِ مِئِينَ عَسَجِدٍ وَدِيْتٍ مَا بِأَلْهَا قُطِعَتْ فِي رُبْعِ دِينَارٍ؟^(١)

أَجَابَ عَنْهُ الْقَاضِي عَبْدُ الْوَهَّابِ الْبَغْدَادِي^(٢) بقوله: [البسيط]

عِزُّ الْأَمَانَةِ أَغْلَاهَا وَأَرْخَصَهَا ذُلُّ الْخِيَانَةِ، فَافْهَمْ حِكْمَةَ الْبَارِي

قوله: ﴿فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ تسميته اعتداءً ظاهرًا؛ لأنه تجاوزَ للحدِّ، وقوله: ﴿فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾ أي: انتقموا منه وقاتلوه، فتسميته اعتداءً مشاكلةً لمقابلته، وقوله: ﴿بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ تأكيدٌ لقوله: ﴿وَالْحُرْمَتُ قِصَاصٌ﴾، وكلُّ هذا منسوخٌ بقوله: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾.

قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي: ومن التقوى رحمةُ عباده، سيِّما إذا لم يقاتلوكم، أو إذا قدرتم عليهم فالأولى العفو.

قوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ أي: معيةٌ خاصة، فيمدُّهم بالنصر والعون، وإلا... فهو مع كلِّ نفس بعلمه وتصرفه.

قوله: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: ابدلوا أنفسكم وأموالكم في طاعته ومراضيه، سواءً الجهاد وغيره؛ كصلة الرحم ومراعاة الضعفاء والفقراء من عباد الله.

(١) البيت لأبي العلاء المعري (ت ٤٤٩هـ) في «ديوانه»، ومعه قوله:

تَنَاقُضٌ مَا لَنَا إِلَّا الشُّكْرُ لَهُ وَأَنْ نَعُوذَ بِمَوْلَانَا مِنَ النَّارِ

(٢) المالكي، (ت ٤٢٢هـ)، وفي «وفيات الأعيان» (٣/٢٢٠): أن أبا العلاء المعري استضافه لما مرَّ بالمعرة، والبيت الآتي نُسِبَ بنحوه للشيخ علم الدين السخاوي، وانظر «نكت الهميان» (ص ٨٣) للصفدي.

وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعَمْرَةَ لِلَّهِ

﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾ أي: أنفسكم - والباء زائدة - ﴿إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾: الهلاك بالإمساك عن النفقة في الجهاد أو تركه؛ لَأَنَّهُ يُقَوِّي الْعَدُوَّ عَلَيْكُمْ، ﴿وَأَحْسِنُوا﴾ بِالنَّفَقَةِ وَغَيْرِهَا، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: يُشَبِّهِم.

﴿١٩٦﴾ ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعَمْرَةَ لِلَّهِ﴾: أدوهُما بِحُقُوقِهِمَا،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾ عبّر بالأيدي عن الأنفس اكتفاءً بالجزء الأهم من النفس^(١)؛ كقوله: في آية أخرى: ﴿وَمَا أَصْبَحَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠] أي: أنفسكم.

قوله: ﴿إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ أي: إلى الهلاك؛ أي: إلى أسبابه، وأسبابُ الهلاك إمساكُ الأموال والأنفس عن الجهاد؛ لأنَّ به يقوى العدو وتكثرُ المصائبُ في الدين والذلُّ لأهله كما هو مشاهد، ومن أنفقَ أمواله ونفسه في سبيل الله فقد ألقى بنفسه إلى العزِّ الدائم في الدنيا والآخرة، أولئك عليهم صلواتٌ من ربِّهم ورحمةٌ وأولئك هم المهتدون.

قوله: ﴿وَأَحْسِنُوا﴾ أي: افعلوا الإحسانَ بالإنفاق في سبيل الله وغيره من أنواع العبادات والقربات.

قوله: (أي: يُشَبِّهِم) فسَّرَ المحبةَ في حق الله بالإثابة؛ لأنَّ حقيقتها - وهي ميلُ القلب للمحبوب - مُستحيلةٌ في حقِّ الله تعالى، والإثابةُ لازمةٌ لذلك، والقاعدةُ: أن كلَّ ما استحَالَ على الله باعتبار مبدئه وورده. . يطلقُ ويرادُ لازمُهُ وغايَتُهُ.

قوله: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعَمْرَةَ لِلَّهِ﴾ المتبادرُ من الآية يشهدُ لقول الشافعي بوجوب العمرة عيناً في العمر مرةً كالْحَجِّ، وقال مالك: بسنَّيَّتِها في العمر مرةً عيناً، وقُرئ: ﴿وَأَقِمُوا الْحَجَّ وَالْعَمْرَةَ﴾^(٢)، وهي تؤيِّدُ مذهبَ الشافعي، سيَّما مع كون الأصل في الأمر الوجوب، وحجَّةُ مالك:

(١) لأن بها البطش والحركة، والباء في (بأيديكم) إما زائدة لتعدي الفعل بنفسه؛ كقوله تعالى: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ﴾، أو يضمن الفعل معنى أفضى؛ كأفضيت بجنبي إلى الأرض، بمعنى طرحته عليها. انظر «الفتوحات» (١/١٥٥).

(٢) قرأ بها علقمة وإبراهيم النخعي كما في «تفسير البغوي» (١/٢٤١)، وابن مسعود وابن عباس كما في «تفسير الطبري» (٧/٣).

فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَخْلِفُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ.....

﴿فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ﴾: مُنِعْتُمْ عَنْ إِمْتَامِهِمَا بَعْدُ ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾: تَيْسَرَ ﴿مِنَ الْهَدْيِ﴾ عَلَيْكُمْ وَهُوَ شَاةٌ، ﴿وَلَا تَخْلِفُوا رُءُوسَكُمْ﴾ أَي: لَا تَتَحَلَّلُوا ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ الْمَذْكُورُ مَحَلَّهُ﴾: حَيْثُ يَجِلُّ ذَبْحُهُ، وَهُوَ مَكَانُ الْإِحْصَارِ.....

حاشية الصاوي

أن المراد: تَمُّوهُمَا إِذَا شَرَعْتُمْ فِيهِمَا، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ وَجوب الإتمام وجوبُ الابتداء، فالحاصل: أن العلماء اتفقوا على وجوب الحجِّ عيناً في العمر مرةً، وما عدا ذلك فهو فرضٌ كفاية لإقامة الموسم^(١)، واتفقوا على مشروعية العَمَرِ، واختلفوا في حكمها؛ فقال الشافعي بوجوبها كالحجِّ، وحملَ الإتمامَ على الأداء، وقال مالك بسنَّيَّتها، وحملَ الإتمامَ على حقيقته.

قوله: ﴿فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ﴾ (أي: عن البيت ولم تتمكنوا من دُخُولِهِ؛ كما وقع للمصطفى ﷺ)^(٢)، وهذا رفعٌ للحرَجِ الواقع في الأمر من قوله: ﴿وَأَنْتَوُا﴾.

قوله: (تيسر) أشار بذلك إلى أن السين ليست لمعنى زائد، بل استيسر وتيسر بمعنى واحد.

قوله: (وهو شاة) أي: ضأناً أو معزاً مجزئةً في الضحية.

قوله: ﴿وَلَا تَخْلِفُوا رُءُوسَكُمْ﴾ اعلم: أنه إذا اجتمع هديٌّ وحَلْقٌ.. فالهديُّ مقدَّمٌ على الحلق، فإذا اجتمعَ معهما رميٌّ وطوافٌ.. قُدِّمَ الرميُّ ثم النحرُ ثم الحلقُ ثم الطوافُ، وضبطها بعضهم بقوله: (رنحط).

قوله: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾ اعلم: أنه اختلف في الهدْيِ؛ فقليل: يُؤمر به، وهو قول الشافعي، وعليه فإن لم يَجِدْ هدياً قَوَّمَهُ بطعام وأخرجه، فإن لم يجد صامَ بعدد الأمداد^(٣)، وقيل: لا يؤمر به، والآيةُ محمولةٌ على مَنْ كَانَ معه هديٌّ تطَوُّعاً مثلاً، وهو قول مالك، وعليه: فإن لم يَجِدْ هدياً فلا شيء عليه غير الحلق.

قوله: ﴿مَحَلَّهُ﴾ بالكسر يطلقُ على الزمان والمكان، وبالفَتْحِ على المكان فقط^(٤).

(١) انظر «شرح مختصر خليل» (١٠٨/٣) للخرشي.

(٢) في خبر الحديبية المتقدم قريباً.

(٣) «الأم» (٢٠٧/٢)، وانظر «تحفة المحتاج» (١٧٥/٤).

(٤) «المصباح المنير» (ح ل ل)، ومعنى اسمية الزمان: الأجل.

فَن كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكَ

عند الشافعي، فيذبح فيه بنية التحلل ويُفَرَّق على مساكينه ويحلق به، وبه يحصل التحلل، ﴿فَن كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ﴾ كَقَمَلٍ وَصُدَاعٍ فَحَلَقَ فِي الْإِحْرَامِ ﴿فَفِدْيَةٌ﴾ عَلَيْهِ ﴿مِّن صِيَامٍ﴾ لِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، ﴿أَوْ صَدَقَةٍ﴾ بِثَلَاثَةِ أَصْعٍ مِّنْ غَالِبِ قُوتِ الْبَلَدِ عَلَى سِتَّةِ مَسَاكِينَ، ﴿أَوْ نُسْكَ﴾ أَي: ذَبْحِ شَاةٍ، وَ(أَوْ) لِلتَّخْيِيرِ، وَأَلْحَقَ بِهِ مَن حَلَقَ لِغَيْرِ عُذْرٍ لِأَنَّهُ أَوْلَى بِالْكَفَّارَةِ، وَكَذَا مَن اسْتَمْتَعَ بِغَيْرِ الْحَلْقِ، كَالطَّيِّبِ وَاللُّبْسِ وَالذَّهْنِ لِعُذْرِ أَوْ غَيْرِهِ،
حاشية الصاوي

قوله: (عند الشافعي^(١)) أي: ومالك أيضاً، فالمدارُ عندهما على مكان الإحصار حلالاً أو حراماً، وقال أبو حنيفة: لا بدَّ أن يذبح بالحرم^(٢).

قوله: ﴿أَوْ بِهِ أَذًى﴾ متعلِّقٌ بمحذوفٍ معطوفٍ على ﴿مَرِيضًا﴾ الواقع خبراً لـ ﴿كَانَ﴾، وقوله: ﴿أَذًى﴾ فاعلٌ بالجار والمجرور^(٣)، أو الجار والمجرور خبرٌ مقدَّم، و﴿أَذًى﴾: مبتدأ مؤخَّر، والجملة معطوفة على ﴿مَرِيضًا﴾^(٤).

قوله: ﴿فَفِدْيَةٌ﴾ عليه قدَّره إشارةً إلى أنه خبرُ المبتدأ، والجملة جواب (مَن).
واعلم: أن دماء الحجِّ ثلاثة: فديةٌ وهديٌّ وقد ذكرهما هنا، وجزاءٌ وقد ذكره في (المائدة)^(٥)، فما كان عن إزالة أذى أو ترفُّهٍ.. فهو فديةٌ، وما ترتَّب عن نقصٍ في حجٍّ أو عمرة بفعل اختياري أو لا.. فهديٌّ، وما كان عن صيد.. فجزاء.

قوله: (على ستة مساكين) أي: لكلِّ مسكينٍ مَدَان.

قوله: (لغير عذر) أي: وإن كان حراماً.

قوله: (وكذا من استمتع بغير الحلق) أي: فهو مَقِيسٌ عليه.

قوله: (بعذر أو غيره) راجعٌ للثلاثة، غير أن الحرمةَ فيما كان لغير عذر، وألحق بذلك من قلم ظفره، وأما الوطءُ وتقبيلُ الزوجة.. فكذلك عند الشافعي، وعند مالك فيه هدي.

(١) «الأم» (١٧٣/٢).

(٢) «الهداية» (١٧٦/١).

(٣) أي: فاعل لـ (كائناتاً) المقدَّر المعطوف على (مريضاً).

(٤) فهي وإن كانت جملة لفظاً فهي في محل مفرد؛ إذ المعطوف على المفرد مفرد. «الفتوحات» (١٥٦/١).

(٥) في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْلُوبُوا الصِّدْقَ وَأَنَّهُمْ حُرْمٌ﴾.

فَإِذَا أَمِنْتُمْ مَن تَمَنَعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ

﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾ العَدُوُّ بِأَنْ ذَهَبَ أَوْ لَمْ يَكُنْ ﴿فَمَنْ تَمَنَعَ﴾ : اسْتَمْتَعَ ﴿بِالْعُمْرَةِ﴾ أي : بِسَبَبِ فَرَاغِهِ مِنْهَا بِمَحْظُورَاتِ الْإِحْرَامِ ﴿إِلَى الْحَجِّ﴾ أي : إِلَى الْإِحْرَامِ بِهِ بِأَنْ يَكُونَ أَحْرَمَ بِهَا فِي أَشْهُرِهِ، ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾ : تَيْسَّرَ ﴿مِنَ الْهَدْيِ﴾ عَلَيْهِ، وَهُوَ شَاةٌ يَذْبَحُهَا بَعْدَ الْإِحْرَامِ بِهِ، وَالْأَفْضَلُ يَوْمَ النَّحْرِ، ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ الْهَدْيَ لِفَقْدِهِ أَوْ فَقْدِ ثَمَنِهِ ﴿فَصِيَامُ﴾ أي : فَعَلِيهِ صِيَامُ ﴿ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ﴾ أي : فِي حَالِ الْإِحْرَامِ بِهِ، فَيَجِبُ حِينَئِذٍ أَنْ يُحْرِمَ قَبْلَ السَّابِعِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، وَالْأَفْضَلُ قَبْلَ السَّادِسِ لِكِرَاهَةِ صَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَلَا يَجُوزُ صَوْمُهَا أَيَّامَ التَّشْرِيقِ عَلَى أَصَحِّ قَوْلِي الشَّافِعِيِّ،

حاشية الصائوي

قوله : ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾ أي : ابْتِدَاءً وَانْتِهَاءً.

قوله : ﴿فَمَنْ تَمَنَعَ﴾ حاصلُ ما في المقام : أَنَّ الشَّخْصَ إِذَا كَانَ مُفْرَدًا فَإِنَّهُ لَا شَيْءَ عَلَيْهِ، وَأَمَّا إِذَا كَانَ قَارِنًا أَوْ مَتَمَتْعًا . . فعليه دَم.

قوله : (أي : بسبب فراغه منها) دفع بذلك ما يُقال : إنَّ العُمْرَةَ فِيهَا مَشَقَّةٌ وَلَا تَمْتَعُ فِيهَا !

قوله : ﴿إِلَى الْحَجِّ﴾ أي : تَمْتَعُ مِنْ فَرَاغِهِ مِنَ الْعُمْرَةِ وَاسْتَمَرَّ عَلَى ذَلِكَ إِلَى الْإِحْرَامِ بِالْحَجِّ.

قوله : (تيسر من الهدي) وأفضل الهدايا الإبلُ ثم البقرُ ثم الغنم.

قوله : ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ أي : فَهُوَ عَلَى التَّرْتِيبِ، وَهَذَا الدَّمُ يُلْزَمُ بِشُرُوطِ أَرْبَعَةٍ : الْأَوَّلُ : أَلَا يَكُونَ أَهْلُهُ بِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، الثَّانِي : أَنْ يَكُونَ تَحْلُلُهُ مِنَ الْعُمْرَةِ فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ، الثَّالِثُ : أَنْ يَحْجَّ فِي عَامِهِ، الرَّابِعُ : أَلَا يَرْجِعَ إِلَى بَلَدِهِ أَوْ مِثْلِهَا، وَقَالَ الشَّافِعِيُّ : أَلَا يَرْجِعَ إِلَى الْمِيقَاتِ.

قوله : ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ﴾ محلُّ ذلك : إِنْ كَانَ النِّقْصُ قَبْلَ الْوُقُوفِ، وَإِلَّا . . صَامَ الْعَشْرَةَ مَتَى شَاءَ.

قوله : (قبل السابع) أي : لِيَصُومَ الثَّلَاثَةَ الْأَيَّامَ، وَمَا مَشَى عَلَيْهِ الْمَفْسِّرُ قَوْلُ ضَعِيفٍ فِي مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ، وَالْمَعْتَمَدُ : أَنَّهُ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ تَحْصِيلُ سَبَبِ الْوُجُوبِ^(١)، وَوَافَقَهُ مَالِكٌ عَلَى ذَلِكَ.

قوله : (على أصح قول الشافعي) وقال مالكٌ بجواز صومها.

(١) انظر «المجموع» (٧/١٨١).

وَسَبْعَةٌ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾

﴿وَسَبْعَةٌ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ إلى وَطَنِكُمْ مَكَّةَ أو غَيْرِهَا، وقيل: إذا فرغتم من أعمال الحجِّ، وفيه التِّفَاتُ عَنِ الْغَيْبَةِ، ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ - جُمْلَةٌ تَأْكِيدٌ لِمَا قَبْلَهَا -.

﴿ذَلِكَ﴾ الْحُكْمُ الْمَذْكُورُ مِنْ وَجُوبِ الْهَدْيِ أو الصَّيَامِ عَلَى مَنْ تَمَتَّعَ ﴿لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، بِأَنْ لَمْ يَكُونُوا عَلَى دُونِ مَرَحَلَتَيْنِ مِنَ الْحَرَمِ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ، فَإِنْ كَانَ فَلَادَمَ عَلَيْهِ وَلَا صِيَامَ وَإِنْ تَمَتَّعَ. وفي ذكر الأهل إشعارٌ باشتراط الاستيطان، فلو أقام قبل أشهر الحجِّ ولم يَسْتَوْطِنْ وتَمَتَّعَ فعليه ذلك، وهو أَحَدُ وَجْهَيْنِ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ، والثَّانِي: لا، والأهل كنايةٌ عَنِ النَّفْسِ، وَالْحَقُّ بِالتَّمَتُّعِ فِيمَا ذُكِرَ بِالسَّنَةِ الْقَارِنُ، وهو مَنْ أَحْرَمَ بِالْعُمْرَةِ وَالْحَجِّ مَعًا، أو يُدْخِلُ الْحَجَّ عَلَيْهَا قَبْلَ الطَّوَافِ، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فِيمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ وَيَنْهَاهُمْ عَنْهُ، ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لِمَنْ خَالَفَهُ.

حاشية الصاوي

قوله: (وفيه التِّفَاتُ عَنِ الْغَيْبَةِ) أي: مع مراعاة معنى (مَنْ).

قوله: (تَأْكِيدٌ لِمَا قَبْلَهَا) أي: لدفع توهم الكثرة في العدد، وقوله: ﴿كَامِلَةٌ﴾ أي: في الثواب كالهدي، وفيه تسليَةٌ لِلْفَقِيرِ الْعَاجِزِ عَنِ الْهَدْيِ.

قوله: (عند الشافعي) أي: وعند مالك لا يَنْتَفِي الْهَدْيُ إِلَّا عَمَّنْ كَانَ مَتَوَطَّنًا بِأَرْضِ الْحَرَمِ، فيشملُ أَهْلَ مَنْى وَمَزْدَلِفَةَ.

قوله: (وهو أَحَدُ وَجْهَيْنِ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ) أي: وهو مذهبُ مالك.

قوله: (والأهل) كنايةٌ عَنِ النَّفْسِ؛ أي: فعلى هذا يكون معنى الآية: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ﴾ أي: لِمُحْرِمٍ ﴿لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ﴾ أي: نَفْسُهُ ﴿حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، وهذا معنى بعيد، فالأولى ما قاله غيره من أن المراد بالأهل الزوجة والأولاد الذين تحت حِجْرِهِ دُونَ الْآبَاءِ وَالْأَخْوَةِ، ومعدومُ الأهلِ المتوطنُ بنفسه كذلك، وإنما عَبَّرَ بِالْأَهْلِ؛ لكون شأن المتوطن يكون بذلك.

قوله: (القارن) أي: ويطوفُ لهما طوافاً واحداً وسعيّاً واحداً عند مالك والشافعي، وقال أبو حنيفة: لا بدَّ لهما من طوافين وسعيين.

قوله: (فِيمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ... إلخ) أي: وخصوصاً في الحجِّ والعمرة.

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِكَ الْحَجَّ

﴿١٩٧﴾ ﴿الْحَجُّ﴾ وَقْتُهُ ﴿أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ﴾ شَوَّالٌ وَذُو الْقَعْدَةِ وَعَشْرُ لَيَالٍ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ،
وَقِيلَ: كُلُّهُ، ﴿فَمَنْ فَرَضَ﴾ عَلَى نَفْسِهِ ﴿فِيهِكَ الْحَجَّ﴾ بِالْإِحْرَامِ بِهِ،

حاشية الصاوي

قوله: (وَقْتُهُ) إِنَّمَا قَدَّرَهُ؛ لِأَنَّ الْحَجَّ عَمَلٌ وَالْأَشْهُرُ زَمَنٌ، وَلَا يَخْبُرُ عَنِ الْعَمَلِ بِالزَّمَنِ.
قوله: (﴿أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ﴾) هَذِهِ الْآيَةُ مَقِيدَةُ لآيَةِ ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾؛ لِأَنَّ الْمَتَبَادَرَ
مِنْهَا أَنَّ الْأَهْلَةَ كُلَّهَا مَوَاقِيتُ لِلْحَجِّ، فَأَفَادَ بِهَذِهِ الْآيَةِ: أَنَّ الْحَجَّ لَهُ زَمَنٌ مَعْلُومٌ يُوَدَّى فِيهِ، وَأَمَّا الْعَمْرَةُ
فَوَقْتُهَا السَّنَةُ كُلُّهَا مَا لَمْ يَكُنْ مُتَلَبِّسًا بِالْحَجِّ، وَإِلَّا... فَلَا يَعْتَمِرُ حَتَّى يَفْرَغَ مِنْهُ.
قوله: (وَعَشْرُ لَيَالٍ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ) أَيُّ: فَالْجَمْعُ فِي الْآيَةِ لِمَا فَوْقَ الْوَاحِدِ، أَوْ بِاعْتِبَارِ جَبْرِ
الْكسْرِ.

قوله: (وَقِيلَ: كُلُّهُ) أَيُّ: فَالْجَمْعُ عَلَى حَقِيقَتِهِ، وَبِذَلِكَ قَالَ مَالِكٌ، وَالْمَعْنَى عَلَى مَا قَالَ مَالِكٌ:
أَنَّ لَهُ التَّحْلِيلَ فِي ذِي الْحِجَّةِ بَتَمَامِهِ، وَلَا يَلْزِمُهُ دَمٌ إِلَّا بِدُخُولِ الْمُحَرَّمَ؛ لَا أَنَّ الْمَعْنَى أَنَّهُ يُبْتَدَأُ
الْإِحْرَامُ بِهِ بَعْدَ فَجْرِ النُّحْرِ، فَإِنْ ذَلِكَ لَمْ يَقْلُهُ مَالِكٌ وَلَا غَيْرُهُ مِمَّنْ يَعْتَدُّ بِهِ^(١)، فَالْحَاصِلُ: أَنَّ الْحَجَّ لَهُ
مِيقَاتَانِ مَكَانِيٌّ وَزَمَانِيٌّ، فَالْمَكَانِيُّ مَا أَشَارَ لَهُ بَعْضُهُمْ بِقَوْلِهِ: [الْكَامِلُ]

عِرْقُ الْعِرَاقِ يَلْمَلُمُ الْيَمَنِ وَبِذِي الْحُلَيْفَةِ يُحْرِمُ الْمَدَنِي
وَالشَّامُ جُحْفَةٌ إِنْ مَرَرْتَ بِهَا وَلِأَهْلِ نَجْدٍ قَرْنٌ فَاسْتَيْنِ^(٢)

وَالزَّمَانِيُّ لِابْتِدَاءِ الْإِحْرَامِ بِهِ شَوَّالٌ وَذُو الْقَعْدَةِ وَعَشْرُ لَيَالٍ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، وَأَمَّا لَانْتِهَاءُ التَّحْلِيلِ
مِنْهُ فَبَقِيَّةُ ذِي الْحِجَّةِ.

قوله: (﴿فَمَنْ فَرَضَ﴾ عَلَى نَفْسِهِ) أَيُّ: أَلْزَمَ نَفْسَهُ الدُّخُولَ فِي أَفْعَالِ الْحَجِّ؛ بِأَنَّ أَحْرَمَ بِهِ سِوَاءَ
كَانَ فَرْضًا عَلَيْهِ قَبْلَ ذَلِكَ أَوْ لَا.

قوله: (﴿فِيهِكَ﴾) أَيُّ: الشَّهْرَيْنِ وَالْعَشْرَ لَيَالٍ، وَأَمَّا فِي غَيْرِ هَذِهِ الْأَشْهُرِ فَقَالَ مَالِكٌ: يَنْعَقِدُ
وَيَكْرَهُ، وَقَالَ غَيْرُهُ: لَا يَنْعَقِدُ.

(١) فَقَدْ نَقَلَ الْعَلَامَةُ الْجَمَلُ فِي «فَتْوَاهِ» (١٥٨/١) قَوْلًا نَعْتَهُ بِالشَّدُوذِ بِجَوَازِ الْإِحْرَامِ لَيْلَةَ النُّحْرِ، بَلْ فِي جَمِيعِ شَهْرِ ذِي
الْحِجَّةِ!

(٢) كَذَا فِي «تَهْذِيبِ الْأَسْمَاءِ وَاللُّغَاتِ» (١١٤/٣) مِنْ غَيْرِ نِسْبَةٍ.

فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمَهُ اللَّهُ

﴿فَلَا رَفَثَ﴾: جماعٌ فيه ﴿وَلَا فُسُوقَ﴾: معاصي ﴿وَلَا جِدَالَ﴾: خصام ﴿فِي الْحَجِّ﴾، - وفي قراءة بفتح الأولين - والمراد في الثلاثة النهي، ﴿وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ كَصَدَقَةٍ ﴿يَعْلَمَهُ اللَّهُ﴾ فيُجَازِيكُمْ بِهِ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَلَا رَفَثَ﴾ في الآية ثلاث قراءات غير شاذة: الأولى: برفع الجميع مع التنوين، الثانية: برفع الأولين وبناء الثالث على الفتح، الثالثة: بناء الثلاثة على الفتح، وقرئ شذوذاً بنصب الثلاثة^(١).

قوله: (معاصي) أي: بأيّ وجهٍ من أوجه المعاصي، والنهي وإن كان عامّاً إلا أنه في الحجّ أشدّ.

قوله: ﴿وَلَا جِدَالَ﴾ هو مُقابِلَةُ الحجة بالحجة لنصرة الباطل، وأما لنصرة الحقّ فلا بأس بذلك.

قوله: ﴿فِي الْحَجِّ﴾ أظهر في مقام الإضمار؛ اهتماماً بشأنه.

قوله: (بفتح الأولين) أي: مع الثالث.

قوله: (والمراد في الثلاثة النهي) أي: لا الإخبار، وإنما أتى بها على صورة الإخبار؛ إشارة إلى أنه لا ينبغي أن يقع ذلك، والتعبير عن النهي بصورة الخبر أبلغ في الانزجار.

قوله: ﴿وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمَهُ اللَّهُ﴾: إن قلت: إن الله كما يعلم الخير من العبد يعلم الشرّ منه! أجيب: بأن شأن الله ستر الشر عن العبيد فلا يظهره عليهم، بخلاف الخير فيظهره للخلائق؛ لما في الحديث: «إذا تاب العبد.. أنسى الله الحفظة ذنوبه»، وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه، حتى يأتي يوم القيامة وليس عليه شاهدٌ بذنب»^(٢)، وأيضاً: الآية مسوقة في أفعال الحجّ وكلّها خير.

(١) قرأ أبو عمرو وابن كثير بتنوين (رفث وفسوق) ورفعهما وفتح (جدال)، والباقون بفتح الثلاثة، وأبو جعفر - ويروى عن عاصم - برفع الثلاثة والتنوين، وأبو رجاء العطاردي بنصب الثلاثة والتنوين. انظر «البحر المحيط» (٢/٩٦)، و«الدر المصون» (٢/٣٢٣).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «التوبة» (١٤٣) عن الخليل بن عبد الله بلاغاً، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٤/١٧) عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً، والمعالم: جمع معلّم، وهو الأثر من الأرض، يعني المواضع التي اقترب السيئات فيها، وانظر «فيض القدير» (١/٣١٣).

وَتَكَرَّوْا فِيكَ خَيْرَ الزَّادِ النَّقْوَى وَاتَّقُونَ يَتَأُولَى الْآلَتِبِ (١٩٧) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ

وَنَزَلَ فِي أَهْلِ الْيَمَنِ - وَكَانُوا يُحْجُونَ بِلا زَادٍ، فَيَكُونُونَ كَلًّا عَلَى النَّاسِ -: ﴿وَتَكَرَّوْا﴾ مَا يُبَلِّغُكُمْ لِسَفَرِكُمْ؛ ﴿فِيكَ خَيْرَ الزَّادِ النَّقْوَى﴾ مَا يُتَّقَى بِهِ سُؤَالُ النَّاسِ وَغَيْرُهُ، ﴿وَاتَّقُونَ يَتَأُولَى الْآلَتِبِ﴾: ذَوِي الْعُقُولِ.

﴿١٩٨﴾ ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ فِي ﴿أَنْ تَبْتَغُوا﴾: تَطَلَّبُوا ﴿فَضْلاً﴾: رِزْقاً ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ بِالتَّجَارَةِ فِي الْحَجِّ، نَزَلَ رَدًّا لِكِرَاهَتِهِمْ ذَلِكَ، ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ﴾: دَفَعْتُمْ ﴿مِنْ عَرَفَتٍ﴾ بَعْدَ الْوُقُوفِ بِهَا ﴿فَأَذْكُرُوا اللَّهَ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (ونزل في أهل اليمن) أي: وكانوا حديثي عهد بإسلام ويزعمون أنهم متوكلون^(١).

قوله: (كلًّا على الناس) عالة.

قوله: (وغيره) أي: كالغصب والسرقة.

قوله: (نزل ردًّا لكراهتهم ذلك) أي: فلا بأس بالتجارة في الحج إذا كانت لا تشغله عن أفعاله، واختلف هل التجارة تنقص ثواب الحج أو لا؟ قال بعضهم: إن كانت التجارة أكبر همًّا ومبلغ علمه سقط الفرض عنه، وليس ثوابه كمن لا قصد له إلا الحج، وإن استوى الأمران فلا يذم ولا يمدح، وإن كانت التجارة تبعًا للحج فقد حاز خير الدنيا والآخرة^(٢).

قوله: ﴿مِنْ عَرَفَتٍ﴾ هو مصروف، ويصح منعه من الصرف للعلمية والتأنيث؛ لأنه علم على البقعة.

قوله: (بعد الوقوف بها) اعلم: أن الركن عند مالك إدراك جزء من الليل، وأما النهار فهو واجبٌ يُجبرُ بالدم، وعند الشافعي أحدهما كافٍ، فمن أدرك جزءاً من الليل وجزءاً من النهار.. فقد تمَّ حجُّه باتفاق، والأفضل الوقوف عند الصخرات العظام هناك؛ لأنه موقفُ رسول الله عليه الصلاة والسلام^(٣).

(١) الخبر رواه البخاري (١٥٢٣) عن ابن عباس ؓ.

(٢) انظر «إحياء علوم الدين» (٤/٣٨٥).

(٣) رواه مسلم (١٢١٨).

عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ
الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ

بعد المبيت بمزدلفة بالتلبية والتهليل والدعاء، ﴿عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ هو جبل في آخر
المزدلفة يقال له: قَرْحُ، وفي الحديث أَنَّهُ ﷺ وَقَفَ بِهِ يَذْكُرُ اللَّهَ وَيَدْعُو حَتَّى أَسْفَرَ جَدًّا،
رَوَاهُ مُسْلِمٌ. ﴿وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُكُمْ﴾ لِمَعَالِمِ دِينِهِ وَمَنَاسِكَ حَجِّهِ، - والكاف للتعليل -
﴿وَإِنْ﴾ - مُخَفَّفَةٌ - ﴿كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ﴾: قَبْلَ هُدَاةٍ ﴿لَمَنِ الضَّالِّينَ﴾.

﴿١٩٩﴾ ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا﴾ يا قُرَيْشُ ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ أي: مِنْ عَرَفَةَ؛ بِأَنْ تَقِفُوا

حاشية الصاوي

قوله: (بعد المبيت بمزدلفة) أي: ويجمعون بها المغرب والعشاء جمع تأخير ويقصرون العشاء
إلا أهلها، ويستمرّون بها إلى صلاة الصبح، فيصلّونها ثم يتوجّهون إلى المشعر الحرام فيقفون به
إلى الإسفار.

قوله: (بالتلبية) هذا جري على مذهب الشافعي، وأما عند مالك فيقطع التلبية من وصوله لعرفة
وصلاته الظهر والعصر بها.

قوله: (هو جبل في آخر المزدلفة) أي: من جهة منى عند منارة بلا جامع.

قوله: (قَرْح) على وزن: عُمر^(١).

قوله: (والكاف للتعليل) أي: فالمعنى: اذكروه لأجل هدايته إياكم، ولأجل أنكم كنتم قبل ذلك
من الضالين.

قوله: ﴿وَإِنْ﴾ مخففة أي: مهملة لا عمل لها.

قوله: ﴿لَمَنِ الضَّالِّينَ﴾ أي: التائهين عن الهدى، فهي نعمة ثانية يجب الشكر عليها، قال
تعالى في مقام تعداد النعم: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ...﴾ [الشورى: ٥٢] الآية.

قوله: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا﴾ أي: قفوا بعرفة، وتقدّم: أن معنى الإفاضة الدفع، فأطلقه وأراد لازمه
وهو الوقوف.

(١) وقُرِحَ ممنوع من الصرف للعلمية والعدل. «الفتوحات» (١/١٥٩).

وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَسِكَكُمْ فَادْكَرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا

بِهَا مَعَهُمْ، وَكَانُوا يَقِفُونَ بِالْمُزْدَلِفَةِ تَرْفَعًا عَنِ الْوُقُوفِ مَعَهُمْ، - وَ﴿ثُمَّ﴾ لِلتَّرْتِيبِ فِي الذِّكْرِ -
﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ مِنْ ذُنُوبِكُمْ، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿رَحِيمٌ﴾ بِهِمْ.

﴿٢٠٠﴾ ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ﴾: أَدَيْتُمْ ﴿مَنَسِكَكُمْ﴾: عِبَادَاتِ حَجِّكُمْ؛ بِأَنْ رَمَيْتُمْ جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ وَطَفَّيْتُمْ وَاسْتَقَرَّرْتُمْ بِمَنَى، ﴿فَادْكَرُوا اللَّهَ﴾ بِالتَّكْبِيرِ وَالشَّاءِ ﴿كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ كَمَا كُنْتُمْ تَذْكُرُونَهُمْ عِنْدَ فَرَاغِ حَجِّكُمْ بِالْمُفَاخَرَةِ، ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ مِنْ ذِكْرِكُمْ إِيَّاهُمْ،
حاشية الصاوي

قوله: (ترفعاً) أي: تكبراً.

قوله: (و) (ثم) للترتيب في الذكر^(١) جوابٌ عن سؤال مقدّر حاصله: أن الإتيان بـ(ثم) يقتضي أن الأمر بالوقوف بعد رجوع الناس من عرفة ووصولهم منى، مع أن الأمر ليس كذلك! فأجاب المفسر بذلك، وأجيب أيضاً: بأن (ثم) بمعنى الواو وهي لا تقتضي ترتيباً، وأجيب أيضاً: بأن في الكلام تقديماً وتأخيراً، فقوله: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا﴾ معطوف على قوله: ﴿فَاتَّقُونَ﴾، وقوله: ﴿فَإِذَا أَقْضَيْتُمْ﴾ مرتّب عليه، ويكون الخطاب لعموم الناس.

قوله: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ أي: اطلبوا منه مغفرة ذُنُوبِكُمْ بتلك المواضع المطهّرة؛ فإنها مهبطٌ تجلّي الرحمات وإجابة الدعوات.

قوله: ﴿مَنَسِكَكُمْ﴾ جمع مَنَسَكٍ، وهي العبادات التي عيّن الشارع لها أماكن مخصوصة؛ كالطواف لا يكون إلا بالبيت، والسعي لا يكون إلا بين الصفا والمروة، والوقوف لا يكون إلا بعرفة، والرمي لا يكون إلا بمنى، فالمعنى: أدّيتُم العبادات في أماكنها المعهودة.

قوله: (بالمفاخرة) كانت العرب في الجاهلية بعد فراغ حجّهم يذكرون آباءهم بالخصال الحميدة نظماً ونثراً، فكان الواحد منهم يقول مثلاً: إن أبي كان كبير الجفنة؛ أي: القصعة، فتأكّاً للشجعان وهكذا؛ لأنه يوم اجتماع القبائل من العام إلى العام^(٢).

(١) في (أ): (للترتيب الذكري)، وهما بمعنى، وانظر ما تقدم (١/١١٩).

(٢) «الخازن» (١/١٣٣)، وذكر أن (أو) في ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ بمعنى بل أو بمعنى الواو.

فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلْقٍ ﴿٢٠٠﴾
وَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً

- وَنَضُبُّ ﴿أَشَدَّ﴾ عَلَى الْحَالِ مِنْ ﴿ذِكْرًا﴾ الْمَنْصُوبِ بِـ (اذْكُرُوا)؛ إِذْ لَوْ تَأَخَّرَ عَنْهُ لَكَانَ صِفَةً لَهُ .. ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا ءَاتِنَا﴾ نَصِيبُنَا ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ فَيُؤْتَاهُ فِيهَا، ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلْقٍ﴾ : نَصِيبٍ.

﴿٢٠١﴾ ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ : نِعْمَةٌ، ﴿وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾
هِيَ الْجَنَّةُ،

حاشية الصاوي

قوله: (مِنَ ﴿ذِكْرًا﴾ الْمَنْصُوبِ بِـ (اذْكُرُوا)) أي: على المصدرية.

قوله: (إِذْ لَوْ تَأَخَّرَ عَنْهُ لَكَانَ صِفَةً لَهُ^(١)) أي: لِأَنَّ الْقَاعِدَةَ: أَنْ نَعْتَ النُّكْرَةَ إِذَا تَقَدَّمَ عَلَيْهَا يَعْزُبُ حَالًا، وَتَعَرَّبُ النُّكْرَةُ بِحَسَبِ الْعَوَامِلِ، فَيَكُونُ التَّقْدِيرُ: فَاذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَائِنًا كَذَكَرْكُمْ أَبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ.

قوله: (﴿فَمِنَ النَّاسِ﴾) هَذَا بَيَانٌ لِّحَالٍ مِّنْ يَقِفُ بِعَرَفَةٍ.

قوله: (﴿مِنَ خَلْقٍ﴾) (مِنَ): صِلَةٌ.

قوله: (نَصِيبٍ) أي: حَظٌّ، وَهَذَا دَعَاءٌ غَيْرُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْآخِرَةِ، وَقَوْلُهُ: (﴿وَمِنْهُمْ﴾) هَذَا هُوَ دَعَاءُ الْمُؤْمِنِينَ بِهَا.

قوله: (نِعْمَةٌ) أي: بَرَكَةٌ وَخَيْرٌ، وَذَلِكَ كَالْعَافِيَةِ وَالزَّوْجَةِ الْحَسَنَةِ وَالِدَارِ الْوَاسِعَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَعْينُ عَلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ، فَكُلُّ أَمْرٍ فِي الدُّنْيَا يُوَافِقُ الطَّبَعَ وَيَعْينُ عَلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ فَهُوَ مِنْ حَسَنَاتِ الدُّنْيَا^(٢).

قوله: (هي الجنة) أي: دُخُولُهَا بِسَلَامٍ بَحِثْ يَمُوتُ عَلَى الْإِسْلَامِ وَلَا يَلْحَقُهُ حِسَابٌ وَلَا عَذَابٌ،

(١) أي: لو تأخر (أشد) على (ذكرًا) لكان صفة له، والتقدير: أو ذكرًا أشدَّ، وكذلك الجار والمجرور (كذكركم) له التقدير نفسه، ولكنهما تقدمتا على النكرة، فأعربا حالًا، فتقدير المصنف الآتي هو للوصفية لا للحالية.

(٢) في (أ): (حسنة الدنيا) بدل (حسنات الدنيا).

وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾

﴿وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ بِعَدَمِ دُخُولِهَا، وَهَذَا بَيَانٌ لِّمَا كَانَ عَلَيْهِ الْمُشْرِكُونَ وَلِحَالِ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْقَصْدُ بِهِ الْحَثُّ عَلَى طَلَبِ خَيْرِي الدَّارَيْنِ، كَمَا وَعَدَ بِالثَّوَابِ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ:

﴿٢٠٢﴾ ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ﴾: ثَوَابٌ ﴿مِمَّنْ أَجَلَ﴾ ﴿مَّا كَسَبُوا﴾: عَمَلُوا مِنَ الْحَجِّ وَالِدُعَاءِ، ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يُحَاسِبُ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ فِي قَدَرِ نِصْفِ نَهَارٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا؛ لِحَدِيثٍ بِذَلِكَ.

حاشية الصاوي

ويرى وجه الله الكريم، وهذا أحسن ما فسر به حسنة الدنيا والآخرة، وهو معنى قوله في الحديث لعائشة: «سلي الله العافية في الدارين»^(١).

قوله: ﴿وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ من عطف اللازم على الملزوم، وأصل (قنا): أَوْقْنَا، حذفت الواو لوقوعها بين عدوّتيها في المضارع^(٢)، ثم حذفت الهمزة للاستغناء عنها؛ لأنه أتى بها توضيحاً للنطق بالساكن وقد زال، وقد ورد: أن المؤمن الناجي يكون بينه وبين النار مسيرة خمس مئة عام عرضاً وعمقاً.

قوله: (بعدم دخولها) أي: أصلاً، فلا ندخلها ولا نراها.

قوله: (لما كان عليه المشركون) أي: وهو الأول، وقوله: (ولحال المؤمنين) أي: وهو الثاني.

قوله: (الحث على طلب خير الدارين) أي: لا التخيير بين كونه يدعو به شيء يؤتاه في الدنيا فقط أو بحسنة الدنيا والآخرة، ولحسنة الأول في دعائهم لم يبين الله ما طلبوه في الدنيا.

قوله: (ثواب) أي: على الطلب، فيؤتون سُؤْلَهُمْ ويزادون ثواباً على طلبهم ذلك؛ لأنَّ الدعاء منَّ العبادة^(٣).

قوله: (في قدر نصف نهار) بل قد ورد: أنه في مقدار ساعة، بل ورد أيضاً: أنه كلمح البصر، وذلك كناية عن عظيم قدرته، فمن كان هذا وضعه ينبغي أن يُتَّقَى ويخشى، وما من أحد

(١) روى النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٦٤٨) عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لو علمتُ أيُّ ليلةٍ ليلةُ القدر لكان أكثر دعائي فيها أن أسأل الله العفو والعافية».

(٢) وهما الياء والكسرة في قولنا: وقاه يؤقيه، ثم قيل: بقيه، والأمر قه.

(٣) كما روى ذلك الترمذي (٣٣٧١) من حديث أنس رضي الله عنه.

وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ

﴿٢٠٣﴾ ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ﴾ بِالتَّكْبِيرِ عِنْدَ رَمِي الْجَمَرَاتِ ﴿فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ أَي: أَيَّامِ التَّشْرِيقِ الثَّلَاثَةِ، ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ﴾ أَي: اسْتَعَجَلَ بِالنَّفَرِ مِنْ مَنَى ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ أَي: فِي ثَانِي أَيَّامِ التَّشْرِيقِ بَعْدَ رَمِي جِمَارِهِ،

حاشية الصاوي

من المحاسبين إلا ويرى أنه لا محاسب غيره، وذلك من انفضاض الموقف الذي تدنو الشمس فيه من الرؤوس، ويسيلُ العرقُ في الأرض سبعين ذراعاً، وتكونُ النارُ حولَ الخلائق، وتحيطُ الملائكةُ بالمخلوقات فيكونون سبعَ صفوفٍ يحولون بينهم وبين النار^(١)، وهو يختلف باختلاف الناس، نسأل الله السلامة من أهواله.

قوله: (عند رمي الجمرات) أي: عند رمي كلِّ حصاة من حصيات الجمار يقول: الله أكبر، وكذلك عقب الصلوات، وعند الذبح بأن يقول: باسم الله والله أكبر، اللهم إن هذا منك وإليك.

قوله: (أي: أيام التشريق الثلاث) أي: وهي ثاني يوم النحر وتاليه، وأما يومُ النحر فمعلومٌ للذبح غيرُ معدود للرمي، واليومان بعده معلومان معدودان، والرابعُ معدودٌ غيرُ معلوم عند مالك وأبي حنيفة، وعند الشافعي معلومٌ أيضاً، وما ذكره المفسر من أن المراد بالأيام المعدودات: أيام التشريق الثلاث هو ما عليه مالك والشافعي، وإطلاق التشريق على الثلاث اعتبارٌ بمذهب الشافعي، والحاصل: أن يوم النحر يفعل فيه رمي جمرة العقبة ثم النحر ثم الحلق ثم طواف الإفاضة، وفي الثاني يرمي ثلاث جمرات يبدأ بالتي تلي مسجد منى ثم الوسطى ثم يختم بالعقبة، وكذا في الثالث والرابع إن لم يتعجل.

قوله: (أي: في ثاني أيام التشريق) دفع بذلك ما يتوهم أن له التعجل في كل من اليومين مع أنه لا معنى له.

قوله: (بعد رمي جماره) أي: وهو بعد الزوال، ومحلُّ التخيير إن لم تغرب عليه الشمس وهو بمنى، وإلا.. فيلزمه المبيت بها لرمي الثالث، وأصل مشروعية الرمي عند أمر إبراهيم الخليل بذبح ولده، فلمَّا توجَّه به لمنى تعرَّض له الشيطان عند المسجد فرماه بسبع حصيات، ثم تعرَّض له عند

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٤١٨/٢٤) عن الضحاك بن مزاحم.

فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾

﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ بِالتَّعْجِيلِ، ﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ﴾ بِهَا حَتَّى بَاتَ لَيْلَةَ الثَّالِثِ وَرَمَى جِمَارَهُ ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ بِذَلِكَ، أَي: هُمْ مُخَيَّرُونَ فِي ذَلِكَ، وَنَفْيُ الْإِثْمِ ﴿لِمَنِ اتَّقَى﴾ اللَّهُ فِي حُجَّتِهِ؛ لِأَنَّهُ الْحَاجُّ فِي الْحَقِيقَةِ، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فِي الْآخِرَةِ فَيُجَازِيكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ.

﴿٢٠٤﴾ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وَلَا يُعْجِبُكَ فِي الْآخِرَةِ لِمُخَالَفَتِهِ لِإِعْتِقَادِهِ، ﴿وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾ أَنَّهُ مُوَافِقٌ لِقَوْلِهِ، ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾: شَدِيدُ الْخُصُومَةِ لَكَ وَلِاتِّبَاعِكَ لِعِدَاوَتِهِ لَكَ،

حاشية الصاوي

الوسطى فرماه أيضاً بسبع، ثم تعرَّضَ له عند العقبة فرماه أيضاً بسبع^(١)، فهو ممَّا زال سببُهُ وبقيَ حكمُهُ.

قوله: ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ أي: لا حرجَ لأنه رخصة.

قوله: (أي: هم مخيرون) جوابٌ عن سؤال، وهو أن المتأخَّرَ أتى بالمطلوب فكيف ينفي عنه الإثم؟! وأجيب أيضاً: بأن ذكرَ الإثم في جانب المتأخَّرِ مشاكلةً، وأجيب أيضاً: بأنه ردُّ على من زعمَ من الجاهلية أنَّ على المتعجِّلِ الإثمَ، وعلى من زعمَ منهم أن على المتأخَّرِ الإثمَ.

قوله: (ونفيُ الإثمِ ﴿لِمَنِ اتَّقَى﴾) أشارَ بذلك إلى أن ﴿لِمَنِ اتَّقَى﴾ خبرٌ لمحذوف، قدَّره بقوله: (ونفيُ الإثمِ).

قوله: (لأنه الحاجُّ على الحقيقة) وفي نسخة: (في الحقيقة) أي: لاستكمالهِ الشروط والآداب، وأما غيرُ المتقي فعليه الإثم مطلقاً، تعجَّلَ أو تأخَّرَ؛ كالحاجِّ بالمال الحرام ومرتكبِ المعاصي.

قوله: (فيجَازيكم بأعمالكم) أي: إن خيراً فخيرٌ، وإن شراً فشرٌّ.

قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ معطوفٌ على قوله: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا...﴾ الآية، فقد

(١) رواه أحمد في «مسنده» (٣٠٦/١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٠٥﴾
وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ
.....

وهو الأخنس بن شريق، كان منافقاً حلو الكلام للنبي ﷺ، يحلف أنه مؤمن به ومحب له، فيدني مجلسه، فأكذبه الله في ذلك، ومرّ بزرع وحمر لبعض المسلمين، فأحرقه وعقرها ليلاً، كما قال تعالى:

﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا تَوَلَّى: انصرفت عنك ﴿سَعَى﴾: مشى ﴿فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ من جملة الفساد، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ أي: لا يرضى به.
﴿٢٠٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ ﴿فِي فِعْلِكَ﴾: أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ: حَمَلَتْهُ الْأَنْفَةُ وَالْحَمِيَّةُ

حاشية الصاوي

قسم الله الناس على أربعة أقسام: الأول من يطلب الدنيا لا غير، ومنهم من يطلب الدنيا والآخرة، ومنهم من يظهر أنه من أهل الآخرة مع أنه في الواقع من أهل النار، ومنهم من هو مؤمن ظاهراً وباطناً، وذكرهم على هذا الترتيب.

قوله: (الأخنس ابن شريق) هذا لقبه، واسمه أُبَيّ، وكان يتبعه ثلاث مئة منافق من بني زهرة، وسبب تلقّيه بالأخنس أنه اختفى يوم بدر هو وجماعته، فقال لهم: إن انتصر محمدٌ فالعزة لكم لعدم ظهور العداوة منكم، وإن انتصر الكفار فقد كُفّيتموه^(١).

قوله: (حلو الكلام) أي: والمنظر.

قوله: (ليدني مجلسه) أي: فيقربه منه، وفي الحديث: «إنا لنبش في وجوه قوم وقلوبنا تلعنهم»^(٢). قوله: (فأكذبه الله في ذلك) أي: في دعواه وفي حلفه.

قوله: (وحمر) جمع حمار.

قوله: (وعقرها) أي: قطع أرجلها.

قوله: ﴿لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾ علة لقوله: ﴿سَعَى﴾.

قوله: ﴿وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ تفصيل للإفساد.

(١) وعدّه الحافظ في «الإصابة» من الصحابة وأنه عاد بعد رده للإسلام، وكان من المؤلفات قلوبهم.

(٢) علّف البخاري (٣١/٨) من كلام أبي الدرداء ؓ.

بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْإِمْهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ
مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾

على العمل ﴿بِالْإِثْمِ﴾ الذي أُمِرَ بِاتِّقَائِهِ، ﴿فَحَسْبُهُ﴾: كَافِيهِ ﴿جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْإِمْهَادُ﴾: الفِرَاشُ هِيَ.

﴿٢٠٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى: يَبِيعُ ﴿نَفْسَهُ﴾ أَي: يَبْذُلُهَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ
﴿ابْتِغَاءَ﴾: طَلَبَ ﴿مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾: رِضَاهُ، وَهُوَ صُهِيبٌ، لَمَّا آذَاهُ الْمُشْرِكُونَ هَاجَرَ
إِلَى الْمَدِينَةِ وَتَرَكَ لَهُمْ مَالَهُ، ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ حَيْثُ أَرْشَدَهُمْ لِمَا فِيهِ رِضَاهُ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿بِالْإِثْمِ﴾ الباء للملابسة، والإتيان بقوله: ﴿بِالْإِثْمِ﴾ يُسَمَّى عند علماء البديع تميمًا؛
لأنه ربما يتوهم أن المراد عِزَّةٌ ممدوحة.

قوله: ﴿وَلَيْسَ الْإِمْهَادُ﴾ أَي: إِنْ اللَّهُ جَعَلَ لَهُ جَهَنَّمَ غَطَاءً وَوِطَاءً، فَأَكْرَمَهُ كَمَا تَكْرُمُ أُمُّ الصَّبِيِّ
وَلَدَهَا بِالْغَطَاءِ وَالْوِطَاءِ اللَّيْنَيْنِ، وَذَلِكَ مِنْ بَابِ التَّهْكُمِ.

قوله: (وهو صهيب) أَي: ابْنُ سَنَانِ الرُّومِيِّ، حِينَ أَسْلَمَ تَعَرَّضَ لَهُ الْمُشْرِكُونَ وَآذَوْهُ، فَقَالَ: إِنِّي
رَجُلٌ كَبِيرٌ مُسْكِنٌ لَيْسَ بِنَافِعِكُمْ، وَفِرَارِي لَيْسَ بِضَارِكُمْ، فَإِنْ كَانَ مِنْ جِهَةِ الْمَالِ فَهَا هُوَ، فَتَرَكَهُ
وَهَاجَرَ لِرَسُولِ اللَّهِ، وَقَدْ مَدَحَهُ رَسُولُ اللَّهِ بِقَوْلِهِ: «نِعْمَ الْعَبْدُ صُهَيْبٌ، لَوْ لَمْ يَخَفِ اللَّهُ لَمْ يَعْصِهِ»^(١)؛
أَي: لَوْ انْتَفَى عَنْهُ خَوْفُ اللَّهِ لَا يَقَعُ مِنْهُ عَصْيَانٌ؛ لِأَنَّ طَاعَتَهُ مَحَبَّةٌ فِي اللَّهِ، لَا طَمَعًا فِي جَنَّةٍ وَلَا خَوْفًا
مِنْ نَارٍ.

قوله: (حيث أُرشدَهم لما فيه رضاه) أَي: فَقَدْ جَعَلَ النِّعِمَ الدَّائِمَ فِي نَظِيرِ الْعَمَلِ الْقَلِيلِ؛ فَإِنْ
الْخُلُودُ فِي الْجَنَّةِ جَزَاءُ كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ، وَمِنْ جُمْلَةِ رَأْفَتِهِ مِضَاعَفَةُ الْحَسَنَاتِ، وَعَدَمُ مِضَاعَفَةِ
السَّيِّئَاتِ، وَعَدَمُ مَوَازِنَةِ الْكُفْرِ خَوْفِ الْقَتْلِ، وَقَبُولُ التَّائِبِ وَإِنْ بَالَعَ فِي الْعَصْيَانِ وَطَالَ زَمَانُهُ.

(١) أوردته مع تفسيره الآتي أبو عبيد في «غريب الحديث» (٣/٣٩٤) من كلام عمر رضي الله عنه، والمشهور بمدحه قوله عليه
الصلاة والسلام كما روى الحاكم في «المستدرک» (٣/٣٩٨) بعد هذه الحادثة: «يا أبا يحيى؛ ربح البيع» قالها
ثلاثاً.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ

﴿٢٠٨﴾ وَنَزَلَ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَأَصْحَابِهِ لَمَّا عَظَّمُوا السَّبْتَ، وَكَرَهُوا الْإِبِلَ بَعْدَ الْإِسْلَامِ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ﴾ - بِفَتْحِ السَّيْنِ وَكَسْرِهَا -: الْإِسْلَامُ ﴿كَآفَّةً﴾ - حَالٌ مِنَ ﴿السِّلْمِ﴾ - أَي: فِي جَمِيعِ شَرَائِعِهِ، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ﴾: طُرُقَ ﴿الشَّيْطَانِ﴾ أَي: تَزِينَهُ بِالتَّفْرِيقِ،

حاشية الصاوي

قوله: (ونزل في عبد الله بن سلام) أي: وكان من أحبار اليهود^(١).

قوله: (وأصحابه) أي: الذين أسلموا معه من اليهود.

قوله: (لما عظموا السبت) أي: احتراموه بتحريم الصيد فيه كما كان في شرع موسى.

قوله: (وكرهوا الإبل) أي: حيث حرّموا أكل لحومها وشرب ألبانها.

قوله: (بعد الإسلام) أي: بعد أن دخلوا في الإسلام لم يتمسكوا بجميع شرائعه، فوبّخهم الله على ذلك.

قوله: (بفتح السين وكسرهما) قراءتان سبعيتان هنا وفي (الأنفال) و(القتال)^(٢)، لكن الأكثر هنا الكسر، وما هناك العكس، وقوله: (الإسلام) إشارة لمعناه هنا على القراءتين، وأما في (الأنفال) وفي (القتال) فمعناه الصلح.

قوله: (حال من ﴿السِّلْمِ﴾) أي: وهو يذكر ويؤنث؛ فلذا أتى بالتاء في ﴿كَآفَّةً﴾، وقال تعالى أيضاً: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾.

قوله: (أي: تزيينه) أي: تحسينه الأمور لكم، والمعنى: لا تتبعوا طرق الشيطان التي يزينها لكم بوسوسته.

قوله: (بالتفريق) أي: بأن تتبعوا محمداً في أمور وموسى في أمورٍ أُخر.

(١) «تفسير الطبري» (٤/٣٥٥)، و«الوسيط» للواحد (١/٣١٢).

(٢) قرأ نافع وابن كثير والكسائي بفتح السين في (السلم)، وقرأ الباقون بكسرهما، وكذلك في «الأنفال»: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ﴾، وفي «القتال» أي: «سورة محمد»: ﴿وَنَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ﴾. انظر «البحر المحيط» (٢/١٣٠).

إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ

﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾: بَيَّنَّ الْعَدَاوَةَ.

﴿٢٠٩﴾ ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ﴾: مِلْتُمْ عَنِ الدُّخُولِ فِي جَمِيعِهِ، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾: الْحُجُجُ الظَّاهِرَةُ عَلَى أَنَّهُ حَقٌّ، ﴿فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ عَنْ انتِقَامِهِ مِنْكُمْ، ﴿حَكِيمٌ﴾ فِي صُنْعِهِ.

﴿٢١٠﴾ ﴿هَلْ﴾: مَا ﴿يَنْظُرُونَ﴾: يَنْتَظِرُ التَّارِكُونَ الدُّخُولَ فِيهِ ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ أَي: أَمْرُهُ، كَقَوْلِهِ: ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [النحل: ٣٣] أَي: عَذَابُهُ، ﴿فِي ظُلَلٍ﴾: جَمْعُ (ظُلَّةٍ)

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾) تعليل لما قبله، والعدو: هو الذي يسره ما يضرُّك، ويضرُّه ما يسرك.

قوله: (بَيَّنَّ الْعَدَاوَةَ) من: أبان اللازم، والمعنى: أن عداوته بيَّنة وظاهرة لمن نورَّ الله بصيرته وأراد به خيراً، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ الَّذِيكَ اتَّفَقُوا إِذَا مَسَّهُمْ طَلِيفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾ [الأعراف: ٢٠١].

قوله: (عن الدخول في جميعه) أي: جميع أحكامه.

قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾) إن قلت: إن الزلل لا يكون إلا بعد مجيئها! أجيب: بأن المراد بمجيئها ظهورها ظهوراً بيّناً.

قوله: (لا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ) أي: فلا تُفْلِتُونَ مِنْهُ.

قوله: ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه) أي: يصنع الأشياء في محلِّها، ومنه عذاب المفرِّق.

قوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾) الاستفهام هنا إنكارٌ توبيخي.

قوله: (الدخول فيه) أي: في جميع أحكامه.

قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾) استثناء مفرَّغ، والمعنى: لا ينتظرون شيئاً إلا إتيان الله في ظلل.

قوله: (أي: أمره) دفع بذلك ما يُقال: إن الإتيان بمعنى الانتقال من صفات الحوادث، وهي مستحيلة على الله تعالى.

قوله: ﴿فِي ظُلَلٍ﴾) ظرفٌ للإتيان المذكور، والمعنى: أن الله يُرسلُ عليهم العذابَ في صورة

مِّنَ الْعَمَامِ وَالْمَلَائِكَةِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ سَلِّ بَنِي إِسْرَءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَهُمْ

﴿مِّنَ الْعَمَامِ﴾: السَّحَابِ ﴿وَالْمَلَائِكَةِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾: تَمَّ أَمْرُ هَلَاكِهِمْ، ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ - بِالنِّبَاءِ لِلْمَفْعُولِ وَالْفَاعِلِ - فِي الْآخِرَةِ، فَيُجَازِي كُلًّا بِعَمَلِهِ.

﴿٢١١﴾ ﴿سَلِّ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ تَبَكِّيتًا: ﴿كَمْ ءَاتَيْنَهُمْ﴾ - ﴿كَمْ﴾ اسْتَفْهَامِيَّةٌ مُّعَلِّقَةٌ ﴿سَلِّ﴾ عَنِ الْمَفْعُولِ الثَّانِي،

حاشية الصاوي

الرحمة، وذلك لأنَّ شأنَ السحاب الرقيق أن تأتي بالأمطار التي يكون فيها منافع لهم، وذلك مكرٌ عظيم من الله بهم.

قوله: ﴿وَالْمَلَائِكَةِ﴾ عطفٌ على لفظ الجلالة، والمعنى: أن إتيانَ الملائكة مصاحبٌ لعذاب الله المظروف في السحاب الرقيق، وقُرِئَ شاذًّا بجرٍّ (الملائكة)، واختلفوا في عطفه؛ فقليل: معطوف على ﴿ظَلَّلِ﴾، وقيل: على ﴿الْعَمَامِ﴾^(١).

قوله: ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ عبَّرَ بالماضي؛ لِتَحَقُّقِ وَقُوعِهِ، وإلا... فالمقام للمضارع؛ لمناسبة ﴿يَأْتِيهِمْ﴾ و﴿يَنْظُرُونَ﴾، وهذا وعيدٌ عظيم لكلِّ من لم يستجمع أحكامَ الإسلام، فالعبرةُ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

قوله: (فيجازي كُلًّا بعمله) أي: فيحاسبكم على النَّقِيرِ وَالْقَطْمِيرِ، ويؤوُلُ أَمْرُكُمْ إِلَى جَنَّةٍ أَوْ إِلَى نَارٍ.

قوله: ﴿سَلِّ﴾ أصله: اسأل، نُقِلَتْ فَتَحَةُ الْهَمْزَةِ الثَّانِيَةِ إِلَى السَّاكِنِ قَبْلَهَا، فَسَقَطَتْ تِلْكَ الْهَمْزَةُ تَخْفِيفًا، ثُمَّ سَقَطَتْ هَمْزَةُ الْوَصْلِ لِإِسْتِغْنَاءِ عَنْهَا، فَصَارَ وَزْنُهُ: قُلٌّ.

قوله: (تبكيتًا) أي: تقريعاً وتوبيخاً لا للاستفهام منهم، وهذا تسليةٌ لرسول الله ﷺ؛ أي: فلا غرابة في عدم إيمانهم بك؛ فإننا أتيناهم آياتٍ بيناتٍ على يد موسى فلم يؤمنوا ولم ينقادوا.

قوله: (معلّقةٌ ﴿سَلِّ﴾ عن المفعول الثاني) التعليقُ هو: إبطالُ العملِ لفظاً لا محلاً، والإلغاء: إبطاله لفظاً ومحلاً، فتكون جملة ﴿كَمْ ءَاتَيْنَهُمْ﴾ في المعنى في محلِّ المفعول الثاني لـ ﴿سَلِّ﴾.

(١) قراءة الجر قرأ بها الحسن وأبو حيوة وأبو جعفر وهي شاذة، والجمهور بالرفع. انظر «البحر المحيط» (١٣٤/٢).

مِنْ ءَايَةٍ يَبْدُلُ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا

وهي ثاني مفعولي (آتيناً)، ومُمَيِّزُهَا: - ﴿مِنْ ءَايَةٍ يَبْدُلُ نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ ظاهرة، كَفَلَقِ الْبَحْرَ وَإِنْزَالِ الْمَنْ وَالسَّلْوَى، فَبَدَّلُوهَا كُفْرًا، ﴿وَمَنْ يُبَدِّلُ نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ أي: ما أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ مِنَ الْآيَاتِ لِأَنَّهَا سَبَبُ الْهِدَايَةِ ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ﴾ كُفْرًا، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لَهُ.

..... ﴿زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ﴿٢١٢﴾

حاشية الصاوي

إن قلت: إن التعليق مختص بأفعال القلوب، و(سَلْ) ليست منها! أجيب: بأنها سبب للعلم والعلم منها.

قوله: (وهو ثاني مفعول «آتيناً») أي: (كم)، ومفعولها الأول الهاء من (هم).

قوله: (ومُمَيِّزُهَا) أي: مُمَيِّزُ (كَمْ).

قوله: (كَفَلَقِ الْبَحْرَ) أي: اثني عشر طريقاً.

قوله: (وإنزال المَنْ والسَّلْوَى) أي: وهم في التَّيِّهِ حينُ أُمِرُوا بِقِتَالِ الْجَبَّارِينَ.

قوله: (فَبَدَّلُوهَا كُفْرًا) هذا إشارة للبدل، والمعنى: أن الله يَأْتِيهِمْ بِالْآيَاتِ فَيَبْدِلُونَهَا بِالْكَفْرِ.

قوله: ﴿وَمَنْ يُبَدِّلُ نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ (مَنْ): شرطية، و﴿يُبَدِّلُ﴾: فعلُ الشرط، وقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ جوابه.

قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ﴾ أي: اتَّضَحَتْ وَثَبَتَ لَهُ.

قوله: (كُفْرًا) هذا هو المفعول الثاني، وقد صرَّح به في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا

نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ [إبراهيم: ٢٨].

قوله: (له) قَدَّرَهُ الْمَفْسِّرُ لَصَحَّةِ جَعْلِ الْجُمْلَةِ جَوَابَ الشَّرْطِ.

قوله: ﴿زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ﴿زَيْنَ﴾: فعلٌ ماضٍ مبني للمفعول، ونائبُ الفاعل قوله: ﴿الْحَيَوَةُ

الَّذِينَ﴾، و﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: متعلِّقٌ بـ﴿زَيْنَ﴾، وفاعلُ الزينة حقيقةً هو الله، والشيطان مجازاً، وقُرِئَ

ببناء الفعل للفاعل، و﴿الْحَيَوَةُ﴾: مفعول، والفاعل ضمير يعود على الله أو الشيطان، وجُرِّدَ الفعل

من العلامة لكون نائب الفاعل مجازي التأنيث، سيَّما مع وجود الفاصل.

الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٧٢﴾

من أهل مكة ﴿الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا﴾ بالتَّمْوِيهِ، فأحبُّوها، ﴿و﴾ هم ﴿يَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ لِفَقْرِهِمْ، كِبَلَالٍ وَعَمَّارٍ وَضُهَيْبٍ، أي: يَسْتَهْزِئُونَ بِهِمْ وَيَتَعَالَوْنَ عَلَيْهِمْ بِالمَالِ، ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشُّرَكَ وَهُمْ هَؤُلَاءِ ﴿فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: رِزْقاً وَاسِعاً فِي الْآخِرَةِ

حاشية الصاوي

قوله: (من أهل مكة) تخصيص بحسب السبب، وإلا.. فكلُّ كافرٍ كذلك.

قوله: (بالتمويه) أي: التحسين الظاهري الذي باطنه قبيح.

قوله: ﴿و﴾ هم ﴿يَسْخَرُونَ﴾) قدره المفسر؛ إشارة إلى أن الجملة حالية، قال ابن مالك: [الرجز]

وذاث واوٍ بَعْدَهَا اَنْوَ مُبْتَدَا لَهُ الْمُضَارِعُ اجْعَلَنَّ مُسْنَدًا^(١)

قوله: (لفقرهم) أي: لتركيهم الدنيا وإقبالهم على الآخرة.

قوله: (كعمار) أي: بن ياسر.

قوله: (وبلال) أي: الحبشي، لما أسلم عُذِّبَ في الله عذاباً شديداً^(٢)، وقوله: (وضهيب)

تقدّمت قصته^(٣).

قوله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ جملة حالية.

قوله: ﴿فَوْقَهُمْ﴾ أي: حسّاً؛ لكونهم في الجنة وهي عالية وجهنم سافلة، ومعنى؛ لكونهم

مكرّمين والكفار مُهانون.

قوله: ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ﴾ جملة مستأنفة كاللّيل لما قبلها.

قوله: (أي: رزقاً واسعاً في الآخرة) أي: لما في الحديث: «لموضع سوط أحدكم في الجنة

خيرٌ من الدنيا وما فيها»^(٤).

(١) «الخلاصة» (باب الحال)، وهذا كقولهم: قمتُ وأصك عينه، فهنا يجب تقدير مبتدأ بعد الواو؛ أي: وأنا أصك.

(٢) رواه ابن سعد في «طبقاته» (٣/٢٣٢)، وبعضه عند الحاكم في «المستدرک» (٣/٢٨٤).

(٣) قريباً (١/٣٤٠).

(٤) رواه البخاري (٣٢٥٠) من حديث سهل الساعدي رضي الله عنه.

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ

أو الدنيا، بِأَن يُمْلِكَ الْمَسْخُورَ مِنْهُمْ أَمْوَالَ السَّاخِرِينَ وَرِقَابَهُمْ.

﴿٢١٣﴾ ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ عَلَى الْإِيمَانِ، فَاخْتَلَفُوا بِأَن آمَنَ بَعْضٌ وَكَفَرَ بَعْضٌ، ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ﴾ إِلَيْهِمْ ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ مَنْ آمَنَ بِالْجَنَّةِ، ﴿وَمُنْذِرِينَ﴾ مَنْ كَفَرَ بِالنَّارِ، ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ بِمَعْنَى الْكِتَابِ ﴿بِالْحَقِّ﴾ - مُتَعَلِّقٌ بِ(أَنْزَلَ) - ؛ ﴿لِيَحْكُمَ﴾ بِهِ ﴿بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (أو في الدنيا) هذا تفسير آخر، وقوله: (بأن يملك المسخور منهم...) إلخ) أي: وقد حصل ذلك بعد الفتح وفي الغزوات؛ فإنه ما من غزوة إلا ويأخذ منهم الأموال والرقاب في تلك الغزوة، بل زادهم الله بأن ملكهم رقاب الملوك وأموالهم، والحاصل: أن رزق المؤمن في الدنيا بغير حساب بخلاف الكافر، وفي الحديث: «أبى الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب»^(١)، وأما في الآخرة فالأمر ظاهر.

قوله: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي: في مبدأ الدنيا من آدم إلى إدريس، وقيل: من آدم إلى نوح، والمعنى: إنهم كانوا على الحق ولا اختلاف بينهم في تلك المدة، وقيل: كانوا على باطل في تلك المدة وهو ضعيف؛ ولذا لم يعرج عليه المفسر.

قوله: (بأن آمن بعض...) إلخ) أي: بعد ظهور نوح أو إدريس.

قوله: (من آمن) هذا هو معمول ﴿مُبَشِّرِينَ﴾، وقوله: (من كفر) معمول ﴿مُنْذِرِينَ﴾.

قوله: ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ﴾ أي: مع مجموعهم، لا جميعهم.

قوله: (بمعنى الكتب) أشار بذلك إلى أن (أل) جنسية.

قوله: (متعلق بـ «أنزل») أي: والباء للملابسة.

قوله: ﴿لِيَحْكُمَ﴾ (يحتمل عود الضمير على الله؛ لأنه الحاكم حقيقة، ويحتمل عودُه على الأنبياء باعتبار كل فرد من أفرادهم؛ أي: ليحكم كل نبي بين أمته.

(١) رواه القضاعي في «مسند الشهاب» (٥٨٥)، والديلمي في «مسند الفردوس» (١٧١٤)، وانظر «فيض القدير» (١/٧١).

وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾

مِنَ الدِّينِ، ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ﴾ أي: الدِّينِ ﴿إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ أي: الْكِتَابَ، فَاَمَّنَ بَعْضُ وَكَفَرَ بَعْضٌ، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾: الْحُجُجُ الظَّاهِرَةُ عَلَى التَّوْحِيدِ، - و﴿مِنْ﴾ مُتَعَلِّقَةٌ بِ﴿اخْتَلَفَ﴾، وَهِيَ وَمَا بَعْدَهَا مُقَدَّمٌ عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ فِي الْمَعْنَى - ﴿بَغْيًا﴾ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ﴾ - لِلْبَيَانِ - ﴿الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾: بِإِرَادَتِهِ، ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ هِدَايَتَهُ ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: طَرِيقَ الْحَقِّ.

حاشية الصاوي

قوله: (من الدين) بيان ل(ما).

قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ استثناء مفرغ، فالمستثنى منه محذوف؛ أي: وما اختلف فيه أحد إلا الذين أوتوه، والمعنى: لم يختلف في الدين أحد إلا الذين أوتوا الكتاب، فالاختلاف في عهد إنزال الكتب، وذلك يؤيد القول بأن الاختلاف من زمن إدريس.

قوله: (وهي وما بعدها مقدم على الاستثناء) أي: فيكون المعنى: وما اختلف في الدين أحد من بعد ظهور الحجج الواضحة حال كون الاختلاف بغياً إلا الذين أوتوه، وإنما جعل مقدماً على الاستثناء لئلا يكون الاستثناء المفرغ متعدداً مع أنه لا يكون كذلك؛ لأنه يصير المعنى حينئذ: إلا الذين أوتوه إلا من بعد ما جاءتهم البينات إلا بغياً بينهم!

قوله: ﴿بَغْيًا﴾ أي: ظلماً وتعدياً.

قوله: (للبيان) أي: بيان الأمر الذي اختلفوا فيه.

قوله: (بإرادته) أي: سبقت إرادته بهداية الذين آمنوا للحق الذي اختلف فيه الكفار.

قوله: (هدايته) أشار بذلك إلى أنه مفعول ﴿يَشَاءُ﴾، وأشار بذلك إلى أن الهداية والإضلال ليسا من فعل الإنسان، بل بخلق الله، ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥].

قوله: (طريق الحق) أي: دين الإسلام، سُمِّيَ طريقاً لأنه يُوصَلُ للمقصود، كما أن الطريق كذلك.

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ

﴿٢١٤﴾ ونزل في جهدٍ أصاب المسلمين: ﴿أَمْ﴾ بَلْ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا: لَمْ ﴿يَأْتِكُمْ مَثَلُ﴾: شَبَهُ مَا أَتَى ﴿الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْمَحَنِّ، فَتَصَبَّرُوا كَمَا صَبَرُوا؟ ﴿مَسَّتْهُمُ﴾ - جُمْلَةٌ مُسْتَأْنَفَةٌ مُبَيِّنَةٌ مَا قَبِلَهَا - ﴿الْبَأْسَاءُ﴾: شِدَّةُ الْفَقْرِ، ﴿وَالضَّرَاءُ﴾: الْمَرَضُ، ﴿وَزُلْزِلُوا﴾: أُزْعِجُوا بِأَنْوَاعِ الْبَلَاءِ، ﴿حَتَّى يَقُولَ﴾ - بِالنَّصْبِ وَالرَّفْعِ - حَاشِيَةُ الصَّادِقِ

قوله: (ونزل في جهدٍ) هو بالفتح المشقة.

قوله: (أصاب المسلمين) قيل: كان ذلك في غزوة الأحزاب حين حاصر الكفار المدينة واحتاطوا بها، وقطعوا عنها الوارد، ولم يكن بينهم وبين دخولها إلا الخندق، وكانوا إذ ذاك عشرة آلاف مقاتل، فاشتد الكرب والخوف على المسلمين، سيما مع وجود ثلاث مئة منافق بين أظهرهم، فنزلت الآية^(١).

قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ (قدّر المفسر (بل) إشارة إلى أن (أم) منقطعة، والهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي، والمقصود منه تقويثهم على الصبر.

قوله: (لم) قدّرها إشارة إلى أن (لما) نافية بمعناها.

قوله: (ما أتى) قدّر ذلك المضاف؛ إشارة إلى أن الشبهة في الأمر الذي اتاهم، لا في الذوات.

قوله: ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ (تأكيد لـ ﴿خَلَوْا﴾).

قوله: (من المحن) بيان لـ (ما أتى).

قوله: (بالنصب والرفع) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(٢)، والنصب بـ (أن) مضمرة، و(حتى) بمعنى إلى، وهي تنصب المضارع إذا كان مستقبلاً، ولا شك أن القول مستقبلي بالنسبة للزلزال.

إن قلت: إن القول والزلزال قد مضى! فالجواب: أنه على حكاية الحال الماضية، وأما الرفع فهو بناء على أن الفعل بعدها حالّ مقارن لما قبلها، والحال لا ينصب بعد (حتى)، فتحصل أن لها

(١) وهو قول السدي وقتادة كما روى الطبري في «تفسيره» (٤/٢٨٩).

(٢) قرأ نافع بالرفع، والجمهور بالنصب. انظر «البحر المحيط» (٢/١٤٩).

الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ

أي: قال ﴿الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾ استبطاءٌ لِلنَّصْرِ لِتَنَاهِي الشَّدَّةِ عَلَيْهِمْ: ﴿مَتَى﴾ يَأْتِي نَصْرُ اللَّهِ الذي وَعَدْنَاهُ؟ فَأَجِيبُوا مِنْ قَبْلِ اللَّهِ: ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ إِيَّانَهُ.

﴿٢١٥﴾ يَسْأَلُونَكَ يا مُحَمَّدٌ: ﴿مَاذَا﴾ أي: الذي ﴿يُنْفِقُونَ﴾، والسَّائِلُ عَمْرُو بْنُ

حاشية الصاوي

بعد حتى ثلاثة أحوال: إما أن يكون مستقبلاً أو ماضياً أو حالاً، فالأول ينصب، والآخران يُرفعان^(١).

قوله: ﴿مَتَى نَصْرُ اللَّهِ﴾ قدَّر المفسِّرُ (يأتي) إشارةً إلى أن ﴿نَصْرُ اللَّهِ﴾ فاعلٌ بفعل محذوف، ولكن الأحسن جعله مبتدأً مؤخراً، و﴿مَتَى﴾ خبرٌ مقدَّم، وليس قولُ الرسول قلقاً وعدمَ صبرٍ، بل ذلك دعاءٌ وطلبٌ لما وعده الله به.

قوله: ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ أخذ من ذلك أنه إذا اشتدَّ الكربُ.. كان الدعاء بالفرج مستجاباً، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢]، وقد حَقَّقَ الله ذلك سريعاً كما قال في سورة (الأحزاب): ﴿فَإَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩].
قوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ أي: أصحابُك المسلمون.

قوله: ﴿مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ (ما): اسم استفهام مبتدأ، و(ذا): اسم موصول بمعنى الذي خبره، وجملة ﴿يُنْفِقُونَ﴾ صلته، والعائدُ محذوف؛ أي: يُنفقونه، والمعنى: أن أصحابك يسألونك عن الشيء الذي ينفقونه؛ هل يُنفقون ممَّا تيسر ولو حراماً، أو يتحرَّون الحلال؟ وفي الآية حذف سؤال آخر دلَّ عليه الجواب، والتقدير: وعلى من يُنفقون؟ والسؤال عن صدقة التطوع بدليل الجواب.

قوله: (السائل عمرو)^(٢) أي: وإنما جمع السائل في الآية؛ لأن التكليف لكلِّ مسلم، فكان هذا السائلُ ترجماناً عن كلِّ مسلم، وإنما اعتنى بذلك السؤال؛ لأنَّ الإنسان يومَ القيامة وردَّ: أنه يُسألُ عن ماله من أين اكتسبه؟ وفيَم أنفق؟^(٣)

(١) ولكن إن كان ماضياً فإن حكيته بحسب كونه حالاً فترفعه، أو بحسب كونه مستقبلاً فتنصبه. انظر «الفتوحات الإلهية» (١٧٠/١).

(٢) «الوسيط» للواحد (٣١٨/١).

(٣) رواه الترمذي (٢٤١٦) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ

الْجَمُوحِ، وَكَانَ شَيْخاً ذَا مَالٍ، فَسَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَمَّا يُنْفِقُ وَعَلَى مَنْ يُنْفِقُ، ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ: ﴿مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ بَيَانٌ لـ ﴿مَا﴾ شَامِلٌ لِلْقَلِيلِ وَالكَثِيرِ، وَفِيهِ بَيَانُ الْمُنفِقِ الَّذِي هُوَ أَحَدُ شَقَيِّ السُّؤَالِ، وَأَجَابَ عَنِ الْمَصْرِفِ الَّذِي هُوَ الشَّقُّ الْآخَرُ بِقَوْلِهِ: ﴿فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ أَي: هُمْ أَوْلَى بِهِ، ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾: إِنْفَاقٍ وَغَيْرِهِ

حاشية الصاوي

قوله: (فسأل النبي... إلخ) أي: وحينئذٍ ففي الآية اكتفاءً في السؤال، حيث حذف الشق الثاني واكتفى بجوابه.

قوله: ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ أي: حلال.

قوله: (الذي هو أحد شقي السؤال) أي: المذكور في الآية، وقوله: (وأجاب عن المَصْرِفِ... إلخ) أي: الذي سؤاله مطوي.

قوله: ﴿وَالْأَقْرَبِينَ﴾ أي: من أولاد وإخوة وأعمام وعمّات، وهو من عطف العام على الخاص، وصرّح بذكر الوالدين وإن دخلا في الأقربين اعتناءً بشأنيهما.

قوله: ﴿وَالْيَتَامَى﴾ جمع يَتِيم، وهو من فقد أباه وهو دون البلوغ، وقدّم اليتامى على المساكين لعجزهم عن التكسب.

قوله: ﴿وَالْمَسْكِينِ﴾ المرادُ بهم ما يشملُ الفقراء.

قوله: ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ أي: الغريب المسافر.

قوله: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ (ما): شرطية، و﴿تَفْعَلُوا﴾: فعلُ الشرط، وما بعد الفاء جوابه، وأتى بتلك الجملة طمأنينةً للمؤمن في الاكتفاء بوعده الله في المجازاة؛ لأنه وعدَ بها، ووعدُهُ لا يتخلفُ، ومع ذلك لا يغيبُ عن علمِهِ مثقالُ ذرّة، فيلزِمُ من علمه بالخير من العبد مجازاتُهُ عليه. والإسراءُ بنفقة التطوّع أفضل؛ لأن صاحبها من جملة مَنْ يظَلُّهُ اللهُ في ظلِّ عرشه يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّهُ^(١).

قوله: (وغیره) أي: كالکلام اللین الطیب.

(١) رواه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ

﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ فَمُجَازٍ عَلَيْهِ.

﴿٢١٦﴾ ﴿كُتِبَ﴾: فَرِضَ ﴿عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ﴾ لِلْكَفَّارِ ﴿وَهُوَ كُرْهُ﴾: مَكْرُوهٌ ﴿لَكُمْ﴾ طَبْعاً؛ لِمَشَقَّتِهِ، ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ لِمِيلِ النَّفْسِ إِلَى الشَّهَوَاتِ الْمُوجِبَةِ لِهَلَاكِهَا، وَنُفُورِهَا عَنِ التَّكْلِيفَاتِ الْمُوجِبَةِ لِسَعَادَتِهَا، حَاشِيَةُ الصَّاوِي

قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ أي: وقد التزم جزاءه، وحقيق بأن ينجزه.

قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ أي: وكان فرضه بعد الهجرة، بعد أن نُهي رسول الله عنه في نيف وسبعين آية، وهو فرض عيني إن فجأ العدو، وكفاية إن لم يفجأ بأن كان في بلده ونحن الطالبون له.

قوله: (للكفار الحربين) وأما أهل الذمة فيحرم قتالهم.

قوله: (طبعاً) أي: فهو مكروه من جهة الطبع، ولا يلزم من كون الطبع يكرهه أنه كاره حكم الله به، بل هو من باب مخالفة النفس.

قوله: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا﴾ الترجي في كلام الله ليس على بابه، بل هو للتحقيق؛ لأنه خبر من أحاط بكل شيء علماً، و(عسى) هنا تامة تكتفي بمرفوعها، قال ابن مالك: [الرجز]

بَعْدَ عَسَى اخْلَوْلَقَ أَوْشَكَ قَدْ يَرِدُ غِنَى بِأَنْ يَفْعَلَ عَنْ ثَانٍ فَقَدْ^(١)

قوله: ﴿وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ جملة حالية من قوله: ﴿شَيْئًا﴾، أو صفة له، واستشكل كل منهما: بأن الحال لا يأتي من النكرة بدون مسوِّغ، وبأن الصفة لا تقترن بالواو! وأجيب عن الأول: بأن إثبات الحال من النكرة بدون مسوِّغ قليل، وعن الثاني: بأن الصفة أجريت مجرى الحال في جواز اقترانها بالواو^(٢).

وقوله: (الموجبة لسعادتها) أي: فالسعادة في طاعة الله، والشقاوة في معاصيه.

(١) «الخلاصة» (باب أفعال المقاربة)، وفي (أ): (مثل عسى) بدل (بعد عسى)، والتصحيح من شروح «الخلاصة».

(٢) «الدر المصون» (٢/٣٨٨)، واستظهر النصب على الحالية.

وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾

فَلَعَلَّ لَكُمْ فِي الْقِتَالِ وَإِنْ كَرِهْتُمُوهُ خَيْرًا؛ لِأَنَّ فِيهِ إِمَّا الظَّفَرَ وَالْغَنِيمَةَ، أَوِ الشَّهَادَةَ وَالْأَجْرَ، وَفِي تَرْكِهِ وَإِنْ أَحْبَبْتُمُوهُ شَرًّا؛ لِأَنَّ فِيهِ الذُّلَّ وَالْفَقْرَ وَحِرْمَانَ الْأَجْرِ، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ، ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذَلِكَ؛ فَبَادِرُوا إِلَى مَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ.

﴿٢١٧﴾ وَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ أَوَّلَ سَرَايَاهُ وَعَلَيْهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ، فَقَاتَلُوا الْمُشْرِكِينَ،

حاشية الصاوي

قوله: (إمّا الظفر والغنيمة) أي: لمن عاش، وقوله: (أو الشهادة والأجر) أي: لمن مات.

قوله: (لأن فيه الذل) أي: بغلبة العدو علينا، وقوله: (والفقر) أي: لكونه يسلب مالنا، وقوله: (وحرمان الأجر) أي: المترتب على الجهاد في سبيل الله، وهو مضاعفة الحسنات إلى سبع مئة ضعف، وغير ذلك مما وعد الله به المجاهدين.

قوله: (وأرسل النبي) هذا بيانٌ لسبب نزول هذه الآيات من هنا إلى آخر الرُّبْع.

قوله: (أول سراياه) أي: وكانت تلك السرية إذ ذاك ثمانية رجال، وقيل: اثني عشر، أرسلهم النبي لمحل يُقال له: نخلة جهة الطائف يتجسسون على الكفار ويأتون بأخبارهم، فبينما هم في ذلك الموضع إذ مرّت بهم عيرٌ لقريش من جهة الطائف ومعها أربعة رجال، فقتل أهل السرية أحدَ الأربعة، وأسرُوا اثنين، وهربَ واحد، وغنموا العيرَ وما عليها، وكان ذلك في آخر يوم من جمادى الآخر قبل بدرٍ بشهرين^(١).

واعلم: أن جملة سراياه وغزواته سبعون، والسرية: من خمسة رجال إلى أربع مئة، وما فوقها يُقال له: جيش، ثم صريحُ المفسر يقتضي أنه لم يكن قبلها سرية، والذي ذكره في «المواهب»^(٢): أن أول سرية كانت في رمضان سابع شهرٍ من هجرته عليه الصلاة والسلام، والثانية في شوال، والثالثة في صفر، وهذه الرابعة، وغزا قبل تلك السرية ثلاث غزوات، إلا أن يُجاب عن المفسر بأن المراد بأول سراياه التي حصلَ منها القتلُ والغنيمةُ للكفار، وأما ما قبلها فلم يقعَ فيها قتلٌ ولا غنيمة.

قوله: (وعليها عبد الله بن جحش) أي: أميراً، وهو ابنُ عمّة رسول الله.

قوله: (فقاتلوا المشركين) أي: الذين كانوا مع العير.

(١) الخبر رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٨٧٥٢)، وانظر «تفسير الطبري» (٤/٣٠٥).

(٢) «المواهب اللدنية» (١/٢٠٠).

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكَفْرٌ بِهِ
وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ

وَقَتَلُوا ابْنَ الْحَضَرَمِيِّ آخِرَ يَوْمٍ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ، وَالتَّبَسَّ عَلَيْهِمْ بِرَجَبٍ، فَعَيَّرَهُمُ الْكُفَّارُ
بِاسْتِحْلَالِهِ، فَنَزَلَ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾: الْمُحَرَّمُ ﴿قِتَالٍ فِيهِ﴾ - بَدَلُ اشْتِمَالٍ - ﴿قُلْ﴾
لَهُمْ: ﴿قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾: عَظِيمٌ وَزَرَأٌ، - مُبْتَدَأٌ وَخَبَرٌ - ﴿وَصَدُّ﴾ - مُبْتَدَأٌ -: مَنَعٌ لِلنَّاسِ ﴿عَنِ
سَبِيلِ اللَّهِ﴾: دِينِهِ، ﴿وَكُفْرٌ بِهِ﴾ بِالله، ﴿وَ﴾ صَدُّ عَنْ ﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أَي: مَكَّةَ،
﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ﴾ وَهُمْ النَّبِيُّ ﷺ وَالْمُؤْمِنُونَ، - وَخَبَرُ الْمُبْتَدَأِ -: ﴿أَكْبَرُ﴾: أَعْظَمُ وَزَرَأٌ ..

حاشية الصاوي

قوله: (والتبس عليهم برجب) أي: حيث رأوا الهلال كبيراً، فالتبس عليهم هل هو ابن ليلة أو ليلتين؟
قوله: (فعيّرهم الكفار باستحلاله) أي: حيث قال الكفار للمسلمين: أنتم قد استحلتتم القتال
في الأشهر الحرم.

قوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ (أي: سؤال اعتراض).

قوله: (بديل اشتمال) أي: من الشهر؛ إذ هو مشتمل على القتال لوقوعه فيه.

قوله: ﴿كَبِيرٌ﴾ (أي: إن كان عمداً).

قوله: (مبتدأ وخبر) أي: والمسوّغ وصفه بالجار والمجرور.

قوله: ﴿وَ﴾ صَدُّ عَنْ ﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ (قدّر ذلك المفسّر؛ إشارة إلى أنه معطوف على سَبِيلِ
اللَّهِ مسلّط عليه (صدّ)^(١)، لكن يلزم عليه العطف على المبتدأ قبل استكمال مسوّغه^(٢) وأجيب:
بأنه لا يلزم المحذور إلا إذا كان المعطوف أجنبيّاً من المعطوف عليه، وهنا ليس بأجنبي؛ لأنّ الكفر
والصدّ عن سبيل الله والمسجد الحرام من واحد واحد.

قوله: (وخبر المبتدأ) أي: وما عطف عليه، وإنما أفرد الخبر؛ لأنه اسم تفضيل مجرّد،
والقاعدة: أن اسم التفضيل إذا كان مجرّداً أو مضافاً لنكرة فإنه يلزم أن يكون بلفظ واحد للمثنى
والجمع والمذكر والمؤنث، قال ابن مالك: [الرجز]

(١) المعطوف المراد هنا هو قوله: (والمسجد الحرام) لا (وصدّ).

(٢) وعبرة العلامة الجمل في «فتوحاته» (١/١٧٣): (وتعقب بأن عطف قوله: «وكفر به» على «صد» مانع؛ إذ لا يتقدم
العطف على الصلة وهو «سبيل الله»، لوجود الفصل بأجنبي).

عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقْتَلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾

﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ مِنَ الْقِتَالِ فِيهِ، ﴿وَالْفِتْنَةُ﴾: الشَّرُّ مِنْكُمْ ﴿أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ لَكُمْ فِيهِ، ﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾ أَي: الْكُفَّارُ ﴿يُقْتَلُونَكُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ﴿حَتَّى﴾: كَي ﴿يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ﴾ إِلَى الْكُفْرِ ﴿إِنْ اسْتَطَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ﴾: بَطَلَتْ ﴿أَعْمَلُهُمْ﴾ الصَّالِحَةُ ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾، فَلَا اعْتِدَادَ بِهَا وَلَا ثَوَابَ عَلَيْهَا، وَالتَّقْيِيدُ بِالمَوْتِ عَلَيْهِ يُفِيدُ أَنَّهُ لَوْ رَجَعَ إِلَى الْإِسْلَامِ لَمْ يَبْطُلْ عَمَلُهُ، فَيُثَابُّ عَلَيْهِ، وَلَا يُعِيدُهُ كَالْحَجِّ مَثَلًا، وَعَلَيْهِ الشَّافِعِيُّ، ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

حاشية الصاوي

وإن لمَنكُورٍ يُضَفَّ أو جُرِّداً أَلْزِمَ تَذْكِيراً وَأَنْ يُوَحِّدَا^(١)

قوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقْتَلُونَكُمْ﴾ المقصودُ من ذلك: تَحْضِيضُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ.

قوله: (كَي) ﴿يَرُدُّوكُمْ﴾ أشار بذلك إلى أن ﴿حَتَّى﴾ للتعليل، والفعل منصوب بـ(أَنْ) مُضْمَرَةٌ بعدها، و﴿عَنْ دِينِكُمْ﴾: متعلقٌ بـ﴿يَرُدُّوكُمْ﴾.

قوله: ﴿إِنْ اسْتَطَعُوا﴾ جملةٌ شرطيةٌ حذف جوابُها؛ لدلالة ما قبلها عليه، ومفعولُها محذوف أيضاً؛ أي: إِنْ اسْتَطَاعُوا ذَلِكَ فَلَا يَزَالُونَ يِقَاتِلُونَكُمْ.

قوله: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ﴾ هكذا القراءةُ هنا بالفكِّ لا غير، وأما في (المائدة) ففيها قراءتان؛ بالفكِّ والإدغام.

قوله: (أعمالهم الصالحة) أي: وأما السيئةُ فباقيةٌ يعذبون عليها.

قوله: (وعليه الشافعي) هذا ضعيفٌ، والمعتمدُ عنده: أَنَّهُ يَرْجِعُ لَهُ عَمَلُهُ مَجَرِّدًا عَنْ الثَّوَابِ^(٢)، وأما عند مالكٍ وأبي حنيفةٍ فهو كالكَافِرِ الْأَصْلِيِّ إِذَا أَسْلَمَ، فَلَا يَرْجِعُ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِهِ، وَلَا يُؤْمَرُ بِالْقَضَاءِ تَرْغِيبًا لَهُ فِي الْإِسْلَامِ، إِلَّا مَا أَسْلَمَ فِي وَقْتِهِ فَيَفْعَلُهُ.

(١) «الخلاصة» (باب أفعال التفضيل).

(٢) كذا بيّن العلامة الجمل في «فتوحاته» (١/١٧٤).

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ
عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ

﴿٢١٨﴾ وَلَمَّا ظَنَّ السَّرِيَّةُ أَنَّهُمْ إِنْ سَلِمُوا مِنَ الْإِثْمِ فَلَا يَحْصُلُ لَهُمْ أَجْرٌ، نَزَلَ: ﴿إِنَّ
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾: فَارْقُوا أَوْطَانَهُمْ، ﴿وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لِإِعْلَاءِ دِينِهِ،
﴿أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾: ثَوَابَهُ، ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ﴾ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿رَّحِيمٌ﴾ بِهِمْ.
﴿٢١٩﴾ - ﴿٢٢٠﴾ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾:

حاشية الصاوي

وثمره الخلاف تظهر في صحابي ارتد ثم عاد للإسلام ولم تثبت رؤيته للنبي بعد ذلك؛ هل
ترجع له الصحبة مجردة عن الثواب؟ وعليه الشافعي، أو لا؟ وعليه مالك وأبي حنيفة، وأما زوجته
فتبين منه وترجع له بالإسلام من غير عقد عند الشافعي، وعند مالك وأبي حنيفة: لا ترجع له
إلا بالعقد، وحكم المرتد عند مالك: أنه يستتاب ثلاثة أيام، فإن تاب وإلا قتل بعد غروب الثالث.

قوله: (ولما ظن السرية... إلخ) بل ورد: أنهم سألوا النبي عن ذلك^(١).

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: وهم عبد الله بن جحش ومن معه.

قوله: (فارقوا أوطانهم) أشار بذلك إلى معنى الهجرة هنا.

قوله: ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: ومن رحمته بهم غفران خطاياهم، وقسم الغنيمة عليهم؛ فإنه
نزل بعد هذه الآية: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ...﴾ [الأنفال: ٤١] الآية، فأخذ
رسول الله الخمس لبيت المال، وفرق عليهم الأربعة أخماس.

قوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ السائل عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل وجماعة من
الصحابة بقولهم: إن الخمر والميسر يضيعان العقل والمال، فأفتنا فيهما.

وحاصل ما وقع في الخمر في زمن رسول الله: أنه نزل فيه أربع آيات: الأولى نزلت بمكة تدل
على حله، وهي قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ لَتَخْذُونَ مِنْهُ سَكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ [النحل: ٦٧]، ثم
سأل عمر ومعاذ وجماعة النبي بالمدينة عن حكمه، فنزل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ...﴾ [البقرة:
٢١٩] الآية، فشربها قوم لقوله: ﴿وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾، وامتنع آخرون خوفاً من قوله: ﴿فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣١٩/٤)، فسألوا أجر المجاهدين فأعطوه في هذه السرية.

القِمَار: ما حُكْمُهُمَا؟

حاشية الصاوي

ثم إن عبد الرحمن بن عوف صنع طعاماً لبعض الصحابة، فأكلوا وشربوا الخمر، فحضرت صلاة المغرب، فأثمهم واحد منهم، فقرأ: (قل يا أيها الكافرون، أعبد ما تعبدون) بإسقاط (لا) إلى آخر السورة، فنزل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى...﴾ [النساء: ٤٣] الآية، فحرمت في أوقات الصلاة دون غيرها.

ثم إن عتبان بن مالك صنع طعاماً لجماعة من الصحابة وفيهم سعد بن أبي وقاص، فأكلوا وشربوا الخمر، فافتخروا وتناشدوا الشعر، فأنشد سعد قصيدة يمدح فيها قومه ويهجو الأنصار، فشج رجل منهم رأسه، فرفع ذلك لرسول الله ﷺ، فقال عمر: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، فأنزل الله آية (المائدة) إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾ [المائدة: ٩١]، فقال عمر: انتهينا يا رب، فكان يوم نزولها عيداً عظيماً^(١).

والخمر: كل مائع غيب العقل ولو من غير ماء العنب، وهو نجس، وفيه الحد قليلاً أو كثيراً، بل بالغ بعض المالكية في الحد حيث أوجبته على من وضع إبرة فيه ومصّها وبلغ ريقه^(٢)، والحاصل: أن المتخذ من ماء العنب نجس يحرم قليله وكثيره، أسكر أم لا، ويحد شاربه بإجماع، وأما المتخذ من غيره من سائر المائعات التي دخلتها الشدة المطربة.. فكذاك عند الأئمة الثلاثة وبعض الحنفية، وقال بعضهم: لا يحرم منه إلا القدر المسكر^(٣)، وأما الجامد الذي يغيب العقل كالحشيشة والأفيون والبنج والداتورة.. فطاهر يحرم تعاطي القدر المغيب للعقل منه، وفيه الأدب^(٤).

قوله: (القمار) هو آلات الملاهي التي يلعب بها في نظير مال، فيشمل الطاب والشطرنج والسيجة، وأما إن كان بغير مال ففيه خلاف، قيل: كبيرة، وقيل: صغيرة، وقيل: مكروه.

(١) رواه أبو داود (٣٦٧٠)، والترمذي (٣٠٤٩)، والنسائي (٢٨٦/٨) من حديث عمر رضي الله عنه.

(٢) والقول منقول عن الفاكهي في «شرح العمدة»، جاء في «حاشية الدسوقي على الشرح الكبير» (٣٥٢/٤): (قال الشيخ إبراهيم اللقاني: إنه لا حد في ذلك؛ لأن مثل هذا لا يسمى شرباً، والقول بحدّه من التعقّق في الدين).

(٣) وهو المعتمد عندهم، وانظر «الاختيار» (٩٨/٤) وما بعدها.

(٤) الداتورة: نبتة ثمرها مسكر، يقال لها: جوز مائل، وانظر «تاج العروس» (ج و ز)، وقال الشيخ عlish في «منح الجليل» (٤٧٩/١): (استعمال قليلهما - البنج والداتورة - الذي لا يغيب العقل جائز، وكثيرهما الذي يغيبه محرّم وموجب للأدب بما يردع المستعمل من ضرب أو غيره).

قُلْ فِيهِمَا إِنَّمَا كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ أَلَمْفَوْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾

﴿قُلْ لَهُمْ﴾: ﴿فِيهِمَا﴾ أي: في تعاطيهما ﴿إِنَّمَا كَبِيرٌ﴾: عَظِيمٌ، - وفي قِراءةِ الْمُثَلَّثَةِ - لِمَا يَحْصُلُ بِسَبَبِهِمَا مِنَ الْمُخَاصَمَةِ وَالْمُشَاتَمَةِ وَقَوْلِ الْفَحْشِ، ﴿وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ بِاللَّذَةِ وَالْفَرَحِ فِي الْخَمْرِ، وَإِصَابَةِ الْمَالِ بِلا كَدٍّ فِي الْمَيْسِرِ، ﴿وَإِنَّهُمَا﴾ أي: ما يَنْشَأُ عَنْهُمَا مِنَ الْمَفَاسِدِ ﴿أَكْبَرُ﴾: أَعْظَمُ ﴿مِنْ نَفْعِهِمَا﴾. وَلَمَّا نَزَلَتْ شَرِبَهَا قَوْمٌ وَامْتَنَعَ آخَرُونَ إِلَى أَنْ حَرَّمَتْهَا آيَةُ (الْمَائِدَةِ)، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ أي: ما قَدْرُهُ؟ ﴿قُلْ﴾: أَنْفِقُوا ﴿أَلَمْفَوْ﴾ أي: الْفَاضِلَ عَنِ الْحَاجَةِ، وَلَا تُنْفِقُوا مَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ وَتُضَيِّعُوا أَنْفُسَكُمْ، - وفي قِراءةِ بِالرَّفْعِ بِتَقْدِيرٍ: هُوَ - ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كَمَا بَيَّنَّ لَكُمْ مَا ذَكَرَ ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (أي: في تعاطيهما) لا حاجة له بعد تقدير: (ما حكمهما؟).

قوله: (بالمثلثة) أي: كثير^(١).

قوله: (باللذة والفرح) أي: والقوة على الجماع والشجاعة والكرم.

قوله: (إلى أن حرّمتها آية «المائدة») ظاهرة أن آية (المائدة) نزلت بعد هذه الآية، وليس كذلك، بل بينهما آية (النساء).

قوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ السائل عمرو بن الجموح المتقدم، فسأل أولاً عن جنس المال الذي ينفق منه وعلى من ينفقه، وسأل ثانياً عن القدر المنفق، فلم يكن بين السؤالين تكراراً، وتقدم الجواب عن الجمع بأنه لما كان ذلك السؤال ينفق جميع الناس. . فكان السائل جميع الناس.

قوله: (وتضيّعوا أنفسهم) أي: فالإسراف مذموم، وكذا التقتير، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ...﴾ [الإسراء: ٢٩] الآية، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧].

قوله: (قراءة بالرفع) أي: وهي لأبي عمرو من السبعة^(٢)، وسبب القراءتين الاختلاف في إعراب

(١) وهي قراءة حمزة والكسائي، والباقون بالموحدة. انظر «الوسيط» للواحيدي (١/٣٢٣).

(٢) انظر «البحر المحيط» (٢/١٦٨).

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّتِي تَمْنَى

﴿فِي﴾ أمر ﴿الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾، فتأخذون بالأصلح لكم فيهما. ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّتِي تَمْنَى﴾ وما يَلْقَوْنَهُ مِنَ الْحَرْجِ فِي شَأْنِهِمْ؛ فَإِنْ وَكَلُوهُمْ بِأَمْثَلِهِمْ، وَإِنْ عَزَلُوا مَا لَهُمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَصَنَعُوا لَهُمْ طَعَامًا وَحَدَهُمْ

حاشية الصاوي

﴿مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾، فمن أعرب ﴿مَاذَا﴾ جميعها اسم استفهام معمولاً لـ ﴿يُنْفِقُونَ﴾. . . فالجملة فعلية، فيكون جوابها كذلك، فقله: ﴿الْعَفْوُ﴾ بالنصب معمولٌ لمحذوف، والجملة في محل نصب مقول القول؛ لأن القول لا ينصب إلا الجمل وما قام مقامها، ومن أعرب (ما) وحدها اسم استفهام مبتدأ، و(ذا) اسم موصول خبره، وجملة ﴿يُنْفِقُونَ﴾ صلته. . . فالجملة اسمية، فيكون جوابها كذلك، فد(العفو) بالرفع خبرٌ لمحذوف؛ أي: هو العفو، والجملة على كل حال مقول القول، وهذا هو المناسب، وإلا. . . فيصح جعل السؤال جملة اسمية، والجواب جملة فعلية وبالعكس.

قوله: ﴿فِي﴾ أمر ﴿الدُّنْيَا﴾ أي: فتصلحوها، ولا تسرفوا ولا تقتروا.

قوله: ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ أي: فتصلحوها أيضاً بالأعمال الصالحة، فلا تشددوا حتى تملؤوا ولا تتركوا حتى تغفلوا، بل التوسط مطلوب في أمر الدنيا والآخرة.

قوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّتِي تَمْنَى﴾ سبب نزولها: أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلَتِهِمْ طُلُمًا إِنَّهُمْ يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠] اشتد الكرب على أولياء الأيتام، فشكوا إلى رسول الله ذلك، فقالوا: يا رسول الله؛ إن خالطناهم. . . فبالضرورة لا بد من أكل شيء من أموالهم، وإن عزلناهم. . . فخرج^(١).

قوله: (وما يَلْقَوْنَهُ مِنَ الْحَرْجِ) هذا بيان لوجه السؤال، كأنه قال: ويسألونك عما يَلْقَوْنَ مِنَ الْحَرْجِ الوارد في سورة (النساء).

قوله: (فإن واكلوهم) أي: خالطوهم.

قوله: (يأثموا) أي: يقعوا في الإثم المترتب عليه الوعيد، وهذا بيان لوجه الحرج.

قوله: (وإن عزلوا مالهم) أي: مال اليتامى، وقوله: (من أموالهم) أي: الأولياء، ويصح

العكس.

(١) في (ط): (وإن عزلناهم يلزم عليه المشقة على اليتامى وعلى أوليائهم، فنزلت الآية).

قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَتْكُمْ

فَحَرَجُ، ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ﴾ في أموالهم بِتَنْمِيَّتِهَا وَمُدَاخَلَتِكُمْ ﴿خَيْرٌ﴾ مِنْ تَرْكِ ذَلِكَ، ﴿وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ﴾ أي: تَخَلَّطُوا نَفَقَتَكُمْ بِنَفَقَتِهِمْ ﴿فَإِخْوَانُكُمْ﴾ أي: فَهُمْ إِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ، وَمِنْ شَأْنِ الْأَخِ أَنْ يُخَالِطَ أَخَاهُ، أي: فَلَكُمْ ذَلِكَ، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ﴾ لِأَمْوَالِهِمْ بِمُخَالَطَتِهِ ﴿مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ بِهَا، فَيُجَازِي كُلًّا مِنْهُمَا، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَتْكُمْ﴾: لَصَيَّقَ عَلَيْكُمْ

حاشية الصاوي

قوله: (فخرج) أي: هو حرج، فالجملة جواب الشرط.

قوله: ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ﴾ التنوين عوض عن المضاف إليه؛ أي: إصلاحكم لهم خير، والوعيد محمول على الأكل بنية الإفساد.

قوله: (بتنميتها) الباء: للسببية؛ أي: بسبب زيادتها بالأتجار فيها، وفي الحديث: «اتجروا في أموال اليتامى لا تأكلها الزكاة»^(١).

قوله: (ومداخلتكم) أي: مخالطتكم لهم بأن تدخلوا أموالهم في أموالكم.

قوله: ﴿خَيْرٌ﴾ (من ترك ذلك) أي: العزل، واختلف في تنمية مال اليتيم بالأتجار ونحوه، فقال مالك: حفظ ماله بأي وجه واجب، والأولى أن يكون بالتنمية، فهي ليست واجبة، وحمل حديث: «اتجروا» على الندب^(٢)، واسم التفضيل على بابه، فترك التنمية خير أيضاً، لكن الأولى التنمية، وقال الشافعي: تنميته والأتجار فيه على حسب الطاقة واجب، وحمل الحديث على الوجوب، واسم التفضيل في الآية على غير بابه، فترك التنمية لا خير فيه، بل هي المتعينة.

قوله: (أي: فهم إخوانكم) أشار بذلك إلى أنه خبر لمحذوف، والجملة جواب الشرط، وهذا من التعبير باللازم؛ ولذا أشار له المفسر بقوله: (أي: فلكم ذلك).

قوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ أي: فيدخل المفسد النار والمصلح الجنة، ودفع بذلك ما يقال: ربما الأولياء يدعون الإصلاح بالخلطة والواقع غير ذلك.

(١) رواه الطبراني في «الأوسط» (٤١٥٢) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) والحديث عنده في «الموطأ» (٢٥١/١) بلاغاً عن عمر رضي الله عنه موقوفاً عليه.

إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ

بِتَحْرِيمِ الْمُخَالَطَةِ، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ، ﴿حَكِيمٌ﴾ فِي صُنْعِهِ.
 ﴿٢٢١﴾ ﴿وَلَا تَنْكِحُوا﴾: تَتَزَوَّجُوا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ ﴿الْمُشْرِكَةَ﴾ أَي: الْكَافِرَاتِ، ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنَ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (بتحريم المخالطة) أي: بأن يكلف الأولياء بعزل مال اليتيم وطعامه وشرابه، وإن تلف شيء من ذلك فعلى الولي.

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ هذا كالتعليل لما قبله، فالمعنى: لو شاء الله عنتكم لأعنتكم؛ لأنه غالب على أمره.

قوله: ﴿حَكِيمٌ﴾ (في صنعه) أي: يضع الشيء في محله، فحيث أوجب الله حفظ مال اليتيم سوَّغ المخالطة رفقا بالأولياء، والحاصل: أنه يُخرج من تركه أبي الأيتام مؤن تجهيزه، وأما ما أوصى به من السبح والجُمع. . . فمن ثلثه إن وسعه^(١)، وأما إن لم يوص وقد جرت العادة بذلك والمال واسع وفعل ذلك كبير رشيد. . . فعند المالكية يلزم الأيتام ذلك، ولا يحرم الأكل منه حيث كان لا إسراف فيه، وعند الشافعي: لا يلزم الأيتام ذلك اتفاقاً، ويحرم الأكل منه إلا أن يُهدي للأيتام ما يفي بما أكله.

قوله: (تتزوجوا) يشير إلى أن المراد بالنكاح: العقد لا الوطء، ولم يرد في القرآن بمعنى الوطء، وسبب نزول الآية: أن رجلاً من الصحابة كان عاشقاً امرأة في الجاهلية، فلما أسلم اجتمع بها في مكة بعد هجرة النبي إلى المدينة، فراودته عن نفسه، فقال لها: قد حال بيني وبين ما تطلبينه الإسلام، فقالت له: فهل لك في التزوج بي؟ فقال: حتى أستاذن رسول الله، فلما أخبره نزلت الآية^(٢).

قوله: (أيها المسلمون) تفسير للواو في ﴿تَنْكِحُوا﴾.

قوله: (الكافرات) أي: الغير الكتائيات، بدليل ما يأتي في المفسر.

قوله: ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنَ﴾ فعل مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة وهي فاعله، سكنت وأدغمت في نون الفعل.

(١) السبح والجُمع بعض ما اعتاده الناس من إطعام واجتماع لأهل الميت وغيرهم، وهو نافذ من الوصية.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢١٠٠)، والصحابي هو أبو مرثد الغنوي رضي الله عنه، والمرأة عناق، وعند أبي داود (٢٠٥١)، والترمذي (٣١٧٧)، والنسائي (٦٦/٦) أن الخبر سبب نزول آية: ﴿وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾.

خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ

خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ ﴿٢٢١﴾ حُرَّةٌ؛ لِأَنَّ سَبَبَ نُزُولِهَا الْعَيْبُ عَلَى مَنْ تَزَوَّجَ أُمَةً وَتَرغيبُهُ فِي نِكَاحِ حُرَّةٍ مُّشْرِكَةٍ، ﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ لِجَمَالِهَا وَمَالِهَا، وَهَذَا مَخْصُوصٌ بِغَيْرِ الْكِتَابِيَّاتِ، بِآيَةِ ﴿وَالْمُخَصَّنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [المائدة: ٥]، ﴿وَلَا تُنكِحُوا﴾: تَزَوَّجُوا ﴿الْمُشْرِكِينَ﴾ أَي: الْكُفَّارَ الْمُؤْمِنَاتِ، ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ لِجَمَالِهِ وَجَمَالِهِ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ﴾ اسمُ التفضيل ليس على بابه، أو باعتبار أمر الدنيا.

قوله: (على من تزوج أمة) أي: وهو عبدُ الله بن رواحة^(١)، أو حذيفة بن اليمان^(٢)، كان عند كلِّ منهما أمةٌ فأعتقها وتزوَّج بها، فغيراً بذلك، وفي الحقيقة لم يتزوجا إلا بحرّة، وأما التزوُّج بالأمة من غير عتق... فيجوز بشرط ألا يجدَ للحرائر طولاً، وأن يخشى العنت، أو تكون أمةً كالجدِّ^(٣)، وهذا إن كان يُولدُ له منها، وإلا... فيجوز بغير شرط، وسيأتي التعرُّضُ له في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً﴾ [النساء: ٢٥] الآيات^(٤).

قوله: (بغير الكتابيات) أي: الحرائر، وأما الأمة الكتابية... فلا تحلُّ إلا بالملك.

قوله: ﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ القراءة بضم التاء بإجماع، وهو يَنْصَبُ مفعولين، ﴿الْمُشْرِكِينَ﴾ مفعول أول، وقَدَّرَ المفسِّرُ المفعول الثاني، والمعنى: لا تَزَوَّجُوا الْكُفَّارَ وَلَوْ أَهْلَ كِتَابِ الْمُؤْمِنَاتِ.

قوله: (المؤمنات) قدَّره؛ إشارةً إلى مفعول ﴿تُنكِحُوا﴾ الثاني.

قوله: ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا﴾ أي: إلى أن يدخلوا في الإيمان.

قوله: ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ الواو: للحال، و(لو): شرطية بمعنى (إن)، جوابها محذوف تقديره:

فلا تزوجوه.

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢١٠٢)، والطبري في «تفسيره» (٣٦٨/٤).

(٢) خبر حذيفة رضي الله عنه كونه تزوج بيهودية أو نصرانية وقد غضب عليه عمر رضي الله عنه. انظر «الدر المنثور» (٦١٥/١).

(٣) أي كأمة الجدِّ، فولدُها حرٌّ بالضرورة، هذا إذا كان الجدُّ حرّاً. انظر «الشرح الكبير» للدردير (٢٦٢/٢).

(٤) سيأتي (٤٤/٢).

أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ

﴿أُولَئِكَ﴾ أي: أهل الشرك ﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ يدعائهم إلى العمل الموجب لها، فلا تليقُ مُنَاكَحَتُهُمْ، ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو﴾ على لسانِ رُسُلِهِ ﴿إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ﴾ أي: العمل الموجب لهما ﴿بِإِذْنِهِ﴾: بإرادته، فَتَجِبُ إجابته بِتَزْوِيجِ أوليائه، ﴿وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: يَتَعُظُّونَ.

﴿٢٢٢﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ أَي: الْحَيْضُ أَوْ مَكَانِهِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ﴾ قَدَّمَ الْجَنَّةَ هُنَا لِمُنَاسَبَةِ النَّارِ، وَإِلَّا . . . فَاَلْمَغْفِرَةَ سَبَبٌ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، وَالسَّبَبُ مَقْدَمٌ عَلَى الْمَسَبِّبِ، وَقَدْ قُدِّمَتْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾ [الحديد: ٢١].

قوله: (بِتَزْوِيجِ أوليائه) أي: وهم المسلمون.

قوله: ﴿وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ﴾ أي: يَظْهَرُهَا وَيُوضِّحُهَا لَهُمْ، وَ﴿لِلنَّاسِ﴾: مُتَعَلِّقٌ بِ(يُبَيِّنُ).

قوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ السَّائِلُ أَبُو الدَّحْدَاحِ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ^(١)، وَسَبَبُ ذَلِكَ: أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا يَعْتَزِلُونَ النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ بِالْمَرَّةِ، حَتَّى إِنَّهُ لَا يَبِيتُ فِي مَكَانٍ فِيهِ حَائِضٌ، وَلَا تَصْنَعُ لَهُ حَاجَةً أَبَدًا، ثُمَّ اقْتَدَتْ بِهِمُ الْجَاهِلِيَّةُ، وَأَمَّا النَّصَارَى . . . فَبِخِلَافِ ذَلِكَ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَفْرُقُونَ بَيْنَ كَوْنِهَا حَائِضًا أَوْ لَا، فَيَبَيَّنُ اللَّهُ أَنَّ شَرْعَنَا بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا.

قوله: (أي: الحيض أو مكانه) اعْلَمْ: أَنَّ الْمَحِيضَ مُصَدَّرٌ مِمِّي يَصْلُحُ لِلزَّمَانِ أَوْ الْمَكَانِ، فَقَوْلُهُ: (أَوْ مَكَانَهُ) أَي: أَوْ زَمَانُهُ، وَالْحَيْضُ لُغَةً: السَّيْلَانُ، يُقَالُ: حَاضَ الْوَادِي: إِذَا سَالَ، وَاصْطِلَاحًا: دَمٌ أَوْ صُفْرَةٌ أَوْ كُدْرَةٌ خَرَجَ مِنْ قُبُلٍ مِنْ تَحْمَلٍ عَادَةً حَالَةَ الصَّحَّةِ وَالْإِعْتِيَادِ، فَخَرَجَ بِقَوْلِنَا: (دم . . . إلخ) الْقَصَّةُ الْبَيْضَاءُ، فَإِنَّهَا عَلَامَةُ الطَّهَرِ مِنَ الْحَيْضِ لَا نَفْسُ الْحَيْضِ، وَقَوْلِنَا: (مَنْ قُبُلٍ مِّنْ تَحْمَلٍ عَادَةً) أَي: وَهُوَ مَا بَيْنَ الْإِثْنَيْ عَشَرَ وَالْخَمْسِينَ سَنَةً، وَأَمَّا مَا فَوْقَ الْخَمْسِينَ إِلَى السِّتِينَ وَمِنَ التَّسْعَةِ إِلَى الْإِثْنَيْ عَشَرَ يُسَالُّ النِّسَاءُ الْعَارِفَاتُ، فَإِنْ قَلْنَ: إِنَّهُ حَيْضٌ كَانَ حَيْضًا،

(١) «تفسير الطبري» (٣/ ٣٧٤)، وَأَبُو الدَّحْدَاحِ اسْمُهُ ثَابِتُ بْنُ الدَّحْدَاحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ

ماذا يُفَعَّلُ بالنِّسَاءِ فِيهِ؟ ﴿قُلْ هُوَ أَذَى﴾: قَدَرٌ أَوْ مَحَلٌّ، ﴿فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ﴾: اترْكُوا وَطَأْهُنَّ
حاشية الصاوي

وإلا.. فلا، خرج به من لا تحمل عادة لصغر أو يأس؛ كَبِنَتْ سَتٌّ أَوْ سَبْعِينَ، فليس بحيض،
وقولنا: (حالة الصحة والاعتیاد) خرج بذلك ما نزل على وجه المرض؛ كالسلس، فليس بحيض
إلا أن تُمَيِّزَه بعد طهر تام.

وأكثره للمبتدأة نصف شهر، فإن زاد كان استحاضة، وللمعتادة عادتُها، فإن زاد استظهرت عليها
بثلاثة أيام ما لم تُجَاوِزَ نصفَ شهر وتصير هي مع الاستظهار عادةً لها، وأحكام الحيض مفصلة
في الفروع.

قوله: (ماذا يفعل بالنساء) هذا هو صورة السؤال.

قوله: ﴿قُلْ هُوَ أَذَى﴾ أي: المحيضُ بمعنى: الدم السائل، لا بالمعنى المصدري الذي هو
السيلان، ففيه استخدامٌ.

قوله: (قدر أو محله) لفٌّ ونشْرٌ مرَّتَبٌ؛ فإن قوله: (قدر) راجعٌ لتفسيره بالمصدر، وقوله:
(أو محله) راجعٌ لتفسيره بالمكان.

قوله: ﴿فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ﴾ مفرَّغٌ على قوله: ﴿قُلْ هُوَ أَذَى﴾، ولما نزلت هذه الآية.. فهم بعض
الصحابية أن الاعتزال مطلقٌ حتى في المسكن، فقال ناس من الأعراب: يا رسول الله؛ البردُ شديد
والثيابُ قليلة، فإن آثرناهن هلك سائر أهل البيت، وإن استأثرنا بها هلك الحَيْضُ! فقال:
«إنما أمرتكم أن تعتزلوا مجامعتهن، ولم تؤمروا بإخراجهن من البيوت كفعل الأعاجم»^(١).

ثم اعلم: أنه يحرم وطء الحائض في الفرج بإجماع، وأما التلذُّذ بما بين السرة والركبة؛ فإن
كان من فوق الإزار.. ففيه خلاف، وما عدا ذلك من سائر الجسد فهو جائز بإجماع؛ لما
في الحديث: «الحائضُ تشدُّ إزارها، شأنك بأعلاها»^(٢).

(١) «تفسير الثعلبي» (١٥٧/٢) بغير سند.

(٢) رواه مالك في «الموطأ» (٥٧/١) من حديث زيد بن أسلم مرسلًا، ومعنى: (شأنك) دونك، والرواية: (ثم شأنك
بأعلاها).

فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ

﴿فِي الْمَحِيضِ﴾ أي: وَقْتِهِ أَوْ مَكَانِهِ، ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ﴾ بِالْجَمَاعِ ﴿حَتَّى يَطْهَرْنَ﴾ - بِسُكُونِ
الطَّاءِ، وَتَشْدِيدِهَا وَالْهَاءِ، وَفِيهِ إِدْغَامُ التَّاءِ فِي الْأَصْلِ فِي الطَّاءِ - أَي: يَغْتَسِلْنَ بَعْدَ
انْقِطَاعِهِ، ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ﴾ بِالْجَمَاعِ ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ بِتَجَنُّبِهِ فِي الْحَيْضِ وَهُوَ
الْقُبْلُ، وَلَا تَعْدُوهُ إِلَى غَيْرِهِ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ﴾: يُثِيبُ وَيُكْرِمُ ﴿التَّوَّابِينَ﴾ مِنَ الذُّنُوبِ،
﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ مِنَ الْأَقْدَارِ.

﴿٢٢٣﴾ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ أَي: مَحَلُّ زَرْعِكُمُ الْوَلَدِ، ﴿فَأَتُوا حَرْثَكُمْ﴾ أَي: مَحَلَّهُ

حاشية الصاوي

قوله: (أي: وقته أو مكانه) تفسير له بالزمان أو المكان.

قوله: (بالجماع) أي: فالمراد: قرب خاص.

قوله: (وفيه إدغام التاء في الأصل) أي: فأصله: يَطْهَرْنَ، قلبت التاء طاءً ثم أدغمت في الطاء.

قوله: (أي: يغتسلن بعد انقطاعه) أي: بالماء إن كان موجوداً وقدرت على استعماله، وإلا..

فالتيمُّ يقوم مقامه، ولا يجوز قربانها بعد الانقطاع وقبل الطهر عند الأئمة الثلاثة، وجوزه أبو حنيفة
حيث انقطع بعد مضي أكثره وهو عشرة أيام عنده، وأما إن انقطع قبل مضي أكثره.. فلا يجوز
قربانها إلا بال غسل، أو بمضي وقت صلاة.

قوله: ﴿مِنْ حَيْثُ﴾ أي: فِي الْمَكَانِ الَّذِي أَمَرَكَ اللَّهُ بِتَجَنُّبِهِ فِي زَمَنِ الْحَيْضِ.

قوله: (ولا تعدوه) بسكون العين وضم الدال، ويصح فتح العين وتشديد الدال.

قوله: (إلى غيره) أي: وهو الدبر، فلا يجوز الإيلاج فيه مطلقاً، زمن الحيض أو لا.

قوله: ﴿التَّوَّابِينَ﴾ أي: وَهُمْ الَّذِينَ كَلَّمَا أَذْنُبُوا تَابُوا.

قوله: (من الأقدار) أي: الحسية والمعنوية، وقدَّم التوابين لثلاثاً يقنطوا، وأخَّر المتطهرين؛

لثلاثاً يعجبوا وإن كانوا أعلى منهم.

قوله: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ﴾ أي: كَأَرْضٍ تَحْرُثُ لِيُوضَعَ فِيهَا الْبَذَرُ، فَشَبَّهَ النِّسَاءَ بِالْأَرْضِ

الَّتِي تُحْرَثُ، وَشَبَّهَ النِّطْفَةَ بِالْبَذْرِ الَّذِي يُوضَعُ فِي تِلْكَ الْأَرْضِ، وَشَبَّهَ الْوَلَدَ بِالزَّرْعِ الَّذِي يَنْبُتُ مِنَ
الْأَرْضِ، وَالْمَرَادُ مِنْ تِلْكَ الْآيَةِ: بَيَانُ الْآيَةِ الْمَتَقَدِّمَةِ، وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكَ اللَّهُ﴾، فَبَيَّنَ
أَنَّ الْمَرَادَ بِهِ مَوْضِعُ الزَّرْعِ، وَهُوَ الْقُبْلُ لَا غَيْرَ.

أَنِّي شِئْتُمْ وَقَدِمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ

وهو القُبل ﴿أَنِّي﴾: كَيْفَ ﴿شِئْتُمْ﴾؛ مِنْ قِيَامٍ وَقُعودٍ واضْطِجَاعٍ، وإِقْبَالٍ وإِدْبَارٍ، نَزَلَ رَدًّا لِقَوْلِ الْيَهُودِ: مَنْ أَتَى امْرَأَتَهُ فِي قُبْلِهَا - مِنْ جِهَةِ دُبْرِهَا - جَاءَ الْوَلَدُ أَحْوَلُ. ﴿وَقَدِمُوا لِأَنفُسِكُمْ﴾ الْعَمَلُ الصَّالِحُ كَالْتَّسْمِيَةِ عِنْدَ الْجَمَاعِ، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ

حاشية الصاوي

قوله: (وهو القُبل) أَخَذَ بَعْضُهُمْ مِنَ الْآيَةِ: أَنَّهُ يَحْرُمُ وَطْءُ النِّسَاءِ فِي أَدْبَارِهِنَّ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ مُحَلًّا لِلزَّرْعِ، وَحِكْمَةُ النِّكَاحِ: وَجُودُ النِّسْلِ، وَإِنَّمَا جُعِلَتِ الشَّهْوَةُ وَسِيلَةً لَذَلِكَ، وَجُعِلَتِ شَهْوَةُ النِّسَاءِ أَكْبَرُ لِأَنَّ مَشَقَّةَ النِّسْلِ عَلَيْهِنَّ أَكْبَرُ مِنَ الرَّجُلِ، فَتَسَلَّى النِّسَاءُ عَنِ الْمَشَقَّةِ بِعِظَمِ الشَّهْوَةِ.

قوله: ﴿أَنِّي شِئْتُكُمْ﴾ (﴿أَنِّي﴾: بِمَعْنَى (كَيْفَ)، فَهِيَ لِتَعْمِيمِ الْأَحْوَالِ.

قوله: (وإدبار) أَي: فَيَجَامِعُهَا مِنْ جِهَةِ دُبْرِهَا لَكِنْ فِي الْفَرْجِ، وَالْوَارِدُ فِي السَّنَةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ فِي صِفَةِ إِتْيَانِهِ لِنِسَائِهِ: أَنَّهُ كَانَ يَجْلِسُ بَيْنَ شُعْبَيْهَا الْأَرْبَعِ وَهِيَ مُسْتَلْقِيَةٌ عَلَى ظَهْرِهَا^(١)، وَقَالَ الْحُكَمَاءُ: إِدَامَةُ الْجَمَاعِ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى جَنْبِهِ يَوْرَثُ وَجَعَ الْجَنْبِ.

قوله: (جاء الولد أحول) أَي: بَيَاضُ عَيْنِهِ مَكَانَ سَوَادِهَا.

قوله: (كالتسمية عند الجماع) أَي: بِأَن يَقُولَ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا»^(٢)، فَإِنَّهُ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ.. حَفِظَ الْوَلَدُ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَكُتِبَ لَهُ بَعْدُ أَنْفَاسُهُ وَأَنْفَاسُ أَوْلَادِهِ حَسَنَاتٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

قوله: (في أمره) أَي: بِالْإِتْيَانِ فِي الْقُبْلِ وَالتَّسْمِيَةِ، وَقَوْلُهُ: (وَنَهْيِهِ) أَي: عَنِ الْإِتْيَانِ فِي الدَّبْرِ، وَإِنَّمَا طُلِبَتِ التَّسْمِيَةُ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ؛ لِأَنَّهَا ذَكَرٌ فِي وَقْتِ غَفْلَةٍ، فَيَكْتَسِبُ مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ فِي الْغَافِلِينَ، وَأَهْلُ اللَّهِ فِي ذَلِكَ لَهُمْ تَجْلِيَّاتٌ وَمَشَاهِدَاتٌ تَجَلُّ عَنِ الْحَصْرِ وَالْكِيفِ، وَإِلَى ذَلِكَ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ النِّسَاءُ وَالطِّيبُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»^(٣)، حَيْثُ قَدَّمَ النِّسَاءَ، وَلَا يُقَالُ: إِنَّ الْإِشْتَغَالَ بِمَشَاهِدَةِ الْمُنْعَمِ تَحْجُبُ عَنِ اللَّذَّةِ؛

(١) عِنْدَ الْبُخَارِيِّ (٢٩١)، وَمُسْلِمٌ (٣٤٨) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعاً: «إِذَا جَلَسَ بَيْنَ شُعْبَيْهَا الْأَرْبَعِ ثُمَّ جَهْدَهَا فَقَدْ وَجِبَ الْغُسْلُ».

(٢) كَذَا وَرَدَ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ (١٠٩٢)، وَمُسْلِمٌ (١٤٣٤) مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ لَفْظاً: (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ).

(٣) رَوَاهُ النَّسَائِيُّ فِي «الْمَجْتَبَى» (٦١/٧) مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ﴾ بِالْبَعَثِ فَيُجَازِيكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الَّذِينَ اتَّقَوْهُ بِالْجَنَّةِ.

﴿٢٢٤﴾ ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ﴾ أَي: الْحَلِفَ بِهِ ﴿عُرْضَةً﴾: عِلَّةً مَانِعَةً ﴿لِأَيْمَانِكُمْ﴾ أَي: نَصَباً لَهَا بِأَنْ تَكْثُرُوا الْحَلِفَ بِهِ،

حاشية الصاوي

لأنه يُقال: إنه مقامُ جمالٍ وبسط، لا جلالٍ وقبض، فعند ذلك تزدادُ القوة؛ لما ورد: أن رسول الله أعطي قوةً أربعة آلاف رجل من أهل الدنيا في الجماع^(١)، ويُقربُ ذلك: إذا أضافك ملكٌ عظيم وصنع لك طعاماً عظيماً وجلس معك يباسطُك بأنواع المباسطات؛ فإن شهودك له ومسامرته تزيد لذتك في طعامه وشرابه أكثر من تمتُّعك بذلك في حال غيبتك عنه، فسبحان المعطي المانع^(٢).

قوله: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ﴾ (أي: مُلاقو جزائه).

قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً﴾ (سببُ نزول هذه الآية: أن عبد الله بن رواحة كان بينه وبين ختته - أي: نسيبه، وهو النعمان بن بشير^(٣) - شيء، فحلف ألا يواصله أبداً، فنزلت، وقيل: نزلت في حقِّ الصديق حين حلف على مسطحٍ لَمَّا تكلَّم في الإفك أنه لا يَصِلُهُ^(٤)).

قوله: ﴿لِأَيْمَانِكُمْ﴾ (أي: أفعالِ برِّكم، وسُميت أيماناً لتعلُّق الإيمان بها، وقوله: ﴿أَنْ تَبْرُوا﴾... إلخ) بدلٌ من ﴿أَيْمَانِكُمْ﴾.

قوله: (أي: نصباً لها) أي: غرضاً مانعاً من فعل البرِّ.

قوله: (بأن تكثرُوا الحلف به) هذا تفسيرٌ آخر للآية، فكان المناسبُ للمفسِّر أن يأتي بـ(أو).

(١) روى البخاري (٢٦٨) عن أنس رضي الله عنه في صفة طوافه ﷺ على نسائه بغسل واحد: (كنا نتحدَّث أنه أعطي قوة ثلاثين)، وجاء في «فتح الباري» (٣٧٨/١): (ومن حديث عبد الله بن عمر ورفعه: «أُعطيَتْ قوة أربعين في البطش والجماع»، وعند أحمد والنسائي وصححه الحاكم من حديث زيد بن أرقم رفعه: «إن الرجل من أهل الجنة ليعطى قوة مائة في الأكل والشرب والجماع والشهوة»، فعلى هذا يكون حساب قوة نبينا أربعة آلاف).

(٢) في (أ): (تزيد عن لذتك...)، ولعل الصواب ما أثبت من (ط١).

(٣) كذا في النسخ، وختن عبد الله بن رواحة - كما في «الإصابة» - هو بشير بن سعد بن ثعلبة بن جلاس الأنصاري، وهو والد النعمان، وزوجه - أم النعمان - هي عمرة بنت رواحة أخت عبد الله رضي الله عنهم أجمعين.

(٤) ذكرهما البغوي في «تفسيره» (٢٩٤/١).

أَنْ تَبْرُوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ

﴿أَنْ﴾ لا ﴿تَبْرُوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾، فتكره اليمين على ذلك، ويسن فيه الحنث ويكفر، بخلافها على فعل البر ونحوه فهي طاعة، المعنى: لا تمتنعوا من فعل ما ذكر من البر ونحوه إذا حلفت عليه، بل اثبوه وكفروا؛ لأن سبب نزولها الامتناع من ذلك، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم، ﴿عَلِيمٌ﴾ بأحوالكم.

﴿٢٢٥﴾ ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ﴾ الكائن ﴿فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ وهو ما يسبق إليه اللسان من غير قصد الحلف، نحو: لا والله، وبلى والله، فلا إثم فيه ولا كفارة، ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أي: قصده من الأيمان إذا حنثتم،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَنْ تَبْرُوا﴾ أي: تصلوا الرحم مثلاً، وقوله: ﴿وَتَتَّقُوا﴾ أي: تصلوا وتصوموا مثلاً، وقوله: ﴿وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾ من عطف الخاص على العام، والمعنى: أن الفعل الذي يحصل لكم به خير فلا تحلفوا على تركه، وهذا على التفسير الأول، وأما على الثاني فلا يحتاج لتقدير (لا)، وإنما يقدّر لام التعليل؛ أي: لا تكثروا الحلف بالله لما فيه من ابتذال اسمه تعالى في كل شيء قليل أو كثير، عظيم أو حقير؛ لأجل أن تكونوا من أهل البر والتقوى والصلاح بين الناس، فالنهي عن الكثرة على هذا، والأيمان على بابها بمعنى: الأقسام، و(عرضة) بمعنى: معروض، فهي اسم مفعول؛ أي: محل للحلف كغرض الرماة، وعلى الأول فهي بمعنى عارضة؛ أي: لا تجعلوا الله مانعاً من بركم وتقواكم وإصلاحكم بواسطة القسم به.

قوله: (فتكره اليمين على ذلك) أي: إن كان مندوباً^(١)، وهو مفرغ على التفسير الأول.

قوله: (فهي طاعة) أي: مندوب، وتعتريها الحرمة كما إذا حلف على ترك واجب.

قوله: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ﴾ اختلف العلماء في معنى اللغو؛ فقال الشافعي: هو ما سبق إليه اللسان من غير قصد عقد اليمين، فلا إثم ولا كفارة له، وقال أبو حنيفة ومالك: هو أن يحلف على ما يعتقده فيبتين خلافه، وفي الفروع تفاصيل موكولة لأربابها.

قوله: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ وقعت هنا (لكن) بين نقيضين باعتبار وجود اليمين؛

(١) أي: إن كان المحلوف على تركه مندوباً فعله شرعاً.

وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصٌ

﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ﴾ لِمَا كَانَ مِنَ اللَّغْوِ، ﴿حَلِيمٌ﴾ بِتَأْخِيرِ الْعُقُوبَةِ عَنْ مُسْتَحِقِّهَا.
﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ أَي: يَحْلِفُونَ أَنْ لَا يُجَامِعُوهُنَّ ﴿تَرَبُّصٌ﴾: انْتِظَارٌ

حاشية الصاوي

لأنها لا تخلو إما ألا يقصدها القلب بل جرت على اللسان وهي اللغو عند الشافعي، وإما أن يقصدها وهي المنعقدة، والمعنى: لا يؤاخذكم الله بغير المقصودة لقلوبكم، وإنما يؤاخذكم بالمقصودة لها، وهذا التقرير على مذهب الشافعي، ويقال على مذهب أبي حنيفة ومالك: لا يؤاخذكم الله باللغو؛ أي: بما حلفت عليه معتقدين حقيقته بحيث يكون اللسان موافقاً للجنان، ولكن يؤاخذكم بما حلفت عليه غير معتقدين حقيقته وهي اليمين الغموس، وقد نظم الأجهوري من المالكية صورَ كفارة اللغو والغموس بقوله: [البسيط]

كَفَّرَ غَمُوساً بِمَا مَاضٍ تَكُونُ كَذَا لَعُوْ بِمُسْتَقْبَلٍ لَا غَيْرَ قَامَتْهُ لَا^(١)
قوله: (لما كان من اللغو) أي: والخطأ.

قوله: (بتأخير العقوبة عن مستحقها) أي: ومن ذلك اليمين الغموس، فكفارتها الغمس في جهنم.

قوله: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ حقيقة الإيلاء: الحلف بالله أو بغيره على ترك وطء الزوجة المدخول بها المطيقة للوطء أكثر من أربعة أشهر، إما صريحاً ك: لا أطوك، أو ضمناً ك: لا أغتسل من جنابة منك، وحكمه كما قال الله. و﴿لِلَّذِينَ﴾: خبرٌ مقدَّم، و﴿تَرَبُّصٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والإضافة على معنى (في) أي: انتظاراً في أربعة أشهر، ولها النفقة والكسوة في تلك المدة؛ لأن الامتناع من قبله، بخلاف الناشز فلا نفقة لها ولا كسوة؛ لأن الامتناع منها.

قوله: (أي: يحلفون ألا يجامعوهن) بيانٌ لحقيقة الإيلاء الشرعي، وإلا.. فمعناه لغةً مطلق الحلف.

(١) والحاصل: أن الغموس واللغو لا كفارة فيهما إن تعلقتا بماضٍ اتفاقاً، وفيهما الكفارة إن تعلقتا بمستقبل اتفاقاً، فإن تعلقتا بحال كُفرت الغموس دون اللغو. «حاشية العدوي على كفاية الطالب» (٢/٢٤)، وفي النسخ: (يكون) بدل (تكون).

أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَالْمُطَلَّقَتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ.....

﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا﴾: رَجَعُوا فِيهَا أَوْ بَعْدَهَا عَنِ الْيَمِينِ إِلَى الْوُطْءِ، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لَهُمْ مَا أَتَوْهُ مِنْ ضَرَرِ الْمَرْأَةِ بِالْحَلْفِ، ﴿رَحِيمٌ﴾ بِهِمْ.

﴿٢٢٧﴾ ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾ أَي: عَلَيْهِ بِأَنْ لَمْ يَفِيثُوا، فليُوقِعُوهُ؛ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لِقَوْلِهِمْ، ﴿عَلِيمٌ﴾ بِعَزَمِهِمْ، الْمَعْنَى: لَيْسَ لَهُمْ بَعْدَ تَرَبُّصٍ مَا ذُكِرَ إِلَّا الْفَيْثُ أَوْ الطَّلَاقُ.

﴿٢٢٨﴾ ﴿وَالْمُطَلَّقَتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾ أَي: لِيَنْتَظِرْنَ ﴿بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ عَنِ النِّكَاحِ ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾.....

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾﴾ أَي: وَتُحَسَّبُ مِنْ يَوْمِ الْحَلْفِ إِنْ كَانَتْ صَرِيحَةً فِي تَرْكِ الْوُطْءِ، وَمِنْ يَوْمِ الرَّفْعِ لِلْحَاكِمِ إِنْ لَمْ تَكُنْ صَرِيحَةً.

قوله: (رَجَعُوا فِيهَا) أَي: فِي الْأَرْبَعَةِ أَشْهُرِ، وَيُلْزَمُهُ مَا يَتَرَبَّصُ عَلَى الْحَنْثِ مِنْ كَفَّارَةٍ إِنْ كَانَتْ الْيَمِينُ بِاللَّهِ، أَوْ الْعَتَقِ إِنْ كَانَ بِهِ.

قوله: (أَي: عَلَيْهِ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ ﴿الطَّلَاقَ﴾ مَنْصُوبٌ بِنَزْعِ الْخَافِضِ.

قوله: (فليُوقِعُوهُ) قَدَرُهُ الْمَفْسَرُ؛ إِشَارَةً لَجَوَابِ الشَّرْطِ، فَإِنْ امْتَنَعُوا مِنْ إِيقَاعِهِ وَمِنْ الْوُطْءِ فَإِنَّ الْحَاكِمَ بِأَمْرُهَا بِالطَّلَاقِ ثُمَّ يَحْكُمُ بِهِ، وَقِيلَ: يَنْشِئُ الطَّلَاقُ، وَهُوَ رَجْعِيٌّ كَالطَّلَاقِ عَلَى الْمَعْسِرِ بِالنَّفَقَةِ؛ لِأَنَّ كُلَّ طَلَاقٍ أَوْقَعَهُ الْحَاكِمُ فَهُوَ بَائِنٌ إِلَّا الْمُؤَلِّيَ وَالْمَعْسِرَ بِالنَّفَقَةِ.

قوله: (الْمَعْنَى) أَي: الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿﴿فَإِنْ فَاءُوا...﴾﴾ الْآيَتَيْنِ.

قوله: (تَرَبَّصَ مَا ذَكَرَ) أَي: الْأَرْبَعَةَ أَشْهُرَ.

قوله: (إِلَّا الْفَيْثُ أَوْ الطَّلَاقُ) أَي: مَا لَمْ تَرْضَ بِالْمَقَامِ مَعَهُ بِلَا وَطْءٍ، فَإِنْ اسْتَمَرَّتْ عَلَى ذَلِكَ فَلَا مَرُ ظَاهِرٌ، وَإِنْ رَفَعْتَ ثَانِيًا وَشَكَتَ لِلْحَاكِمِ أَمْرَهُ بِالْفَيْثِ أَوْ الطَّلَاقِ، فَإِنْ امْتَنَعَ مِنْهُمَا طَلَّقَ عَلَيْهِ الْحَاكِمُ.

قوله: ﴿﴿وَالْمُطَلَّقَتُ﴾﴾ أَي: رَجْعِيًّا أَوْ بَائِنًا.

قوله: ﴿﴿بِأَنْفُسِهِنَّ﴾﴾ يَحْتَمَلُ أَنْ الْبَاءَ زَائِدَةٌ لِتَوْكِيدِ النُّونِ؛ أَي: يَتَرَبَّصْنَ أَنْفُسَهُنَّ، وَيَحْتَمَلُ أَنَّهَا لِلتَّعْدِيَةِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُنَّ لَا يَحْتَجْنَ لِحُكْمِ.

قوله: (عَنِ النِّكَاحِ) أَي: نِكَاحٍ غَيْرِ الْمُطَلَّقِ.

وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ

تَمْضِي مِنْ حِينَ الطَّلَاقِ، جَمَعَ (قَرَأَ) بِفَتْحِ الْقَافِ وَهُوَ الطَّهَرُ أَوْ الْحَيْضُ، قَوْلَانِ، وَهَذَا فِي الْمَدْخُولِ بِهِنَّ، أَمَّا غَيْرُهُنَّ فَلَا عِدَّةَ عَلَيْهِنَّ لِقَوْلِهِ: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ﴾ [الاحزاب: ٤٩]، وَفِي غَيْرِ الْآيَةِ وَالصَّغِيرَةِ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ، وَالْحَوَامِلُ فَعِدَّتُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ كَمَا فِي سُورَةِ (الطَّلَاقِ)، وَالْإِمَاءُ فَعِدَّتُهُنَّ قَرَأَنَ بِالسُّنَّةِ. ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾ مِنَ الْوَلَدِ أَوْ الْحَيْضِ،

حاشية الصاوي

قوله: (تمضي من حين الطلاق) أي: وتُصَدَّقُ المرأةُ في ذلك؛ لأنها أُمِينَةٌ عَلَى فَرْجِهَا إِنْ مَضَى زَمَنٌ تَقْضِي الْعَادَةَ فِيهِ بِمَضْيِ الثَّلَاثَةِ أَقْرَاءَ.

قوله: (بفتح القاف) أي: وأما الضَّمُّ فجمعه أقرء ك: قُفْلٌ وَأَقْفَالٌ، وَإِنَّمَا ضَبَطَهُ الْمَفْسَرُ بِالْفَتْحِ فَقَطْ لِأَجْلِ جَمْعِهِ فِي الْآيَةِ عَلَى (قَرَأَ)، وَإِلَّا... فَهُوَ فِي نَفْسِهِ يَصَحُّ فِيهِ الضَّمُّ وَالْفَتْحُ.

قوله: (وهو الطهر) أي: وإليه ذهب مالكٌ والشافعي وأحمدٌ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ.

قوله: (أو الحيض) أي: وإليه ذهب أبو حنيفة وأحمدٌ فِي آخِرِ أَمْرِهِ.

قوله: (قولان) أي: للعلماء، وَتَظْهَرُ ثَمَرَةُ الْخِلَافِ فِيهَا إِذَا طُلِّقَتْ فِي طَهَرٍ ثُمَّ حَاضَتْ ثُمَّ طَهَّرَتْ ثُمَّ حَاضَتْ ثُمَّ طَهَّرَتْ، فَعِنْدَ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ: إِنَّمَا تَحِلُّ لِلْأَزْوَاجِ بِمَجَرَّدِ رُؤْيَا الدَّمِ؛ لِأَنَّ الْأَقْرَاءَ قَدْ تَمَّتْ، وَعِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَحْمَدَ فِي آخِرِ أَمْرِهِ: أَنَّهَا لَا تَحِلُّ حَتَّى تَطْهَرَ، وَأَمَّا إِذَا طَلَّقَهَا فِي الْحَيْضِ فَلَا تَحْسِبُ ذَلِكَ الْحَيْضَ مِنَ الْعِدَّةِ اتِّفَاقًا، وَيَأْتِي الْخِلَافُ فِي الْحَيْضَةِ الرَّابِعَةِ هَلْ تَحِلُّ بِأَوَّلِهَا أَوْ بَانْقِضَائِهَا؟

قوله: (وفي غير الآيسة) وهي بِنْتُ كَسْبَعِينَ.

قوله: (والصغيرة) أي: المَطِيقَةُ لِلوِطْءِ وَلَمْ تَبْلُغْ أَوْانَ الْحَمْلِ.

قوله: (كما في سورة «الطلاق») رَاجِعٌ لِلْآيَةِ وَالصَّغِيرَةِ وَالْحَوَامِلِ، وَحَاصِلُ مَا فِي الْمَقَامِ: أَنَّ غَيْرَ الْمَدْخُولِ بِهَا لَا عِدَّةَ عَلَيْهَا فِي الطَّلَاقِ حُرَّةً كَانَتْ أَوْ أَمَةً، وَأَمَّا الْمَدْخُولُ بِهَا فَفِيهَا تَفْصِيلٌ؛ فَالْآيَةُ وَالصَّغِيرَةُ عِدَّتُهَا ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ، وَالْحَامِلُ وَضَعُ حَمْلِهَا كُلُّهُ، لَا فَرْقَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ بَيْنَ الْحُرَّةِ وَالْأَمَةِ، وَأَمَّا مَنْ يَأْتِيهَا الْحَيْضُ فَعِدَّتُهَا ثَلَاثَةُ أَقْرَاءَ إِنْ كَانَتْ حُرَّةً، وَقَرَأَنَ إِنْ كَانَتْ أَمَةً، وَهَذَا فِي الطَّلَاقِ، وَأَمَّا فِي الْوَفَاةِ فَسَيَأْتِي أَنَّهَا لِلْحُرَّةِ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ وَعَشْرَ، وَلِلْأَمَةِ نِصْفُهَا، وَلِلْحَامِلِ وَضَعُ الْحَمْلِ.

إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيُؤْمِلُنَّ أَهَقُ بِرَبِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ

﴿إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيُؤْمِلُنَّ﴾: أزواجهنَّ ﴿أَهَقُ بِرَبِّهِنَّ﴾: بِمُراجعتِهِنَّ ولو أُبينَ ﴿فِي ذَلِكَ﴾ أي: في زَمَنِ التَّربُّصِ، ﴿إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ بينهما لا إضرارَ المرأة، وهو تحريضٌ على قصده لا شرطٌ لجواز الرجعة، وهذا في الطلاق الرجعي، و﴿أَهَقُ﴾ لا تفضيل فيه؛ إذ لا حقٌ لغيرهم في نكاحهنَّ في العدة. ﴿وَلَهُنَّ﴾ على الأزواج ﴿مِثْلُ الَّذِي﴾ لَهُمْ ﴿عَلَيْهِنَّ﴾ مِنَ الْحُقُوقِ ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ شرعاً، مِنْ حُسْنِ الْعِشْرَةِ وتركِ الإضرار ونحو ذلك،

حاشية الصاوي

قوله: (من الولد أو الحيض) أي: أو عيوب الفرج كالرتق والقرن والعقل والبخر والإفشاء.

قوله: ﴿إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ﴾ هذا من باب الزجر والتشديد عليهن، وجوابُ الشرط محذوفٌ دلَّ عليه قوله: ﴿فلا يحل﴾.

قوله: ﴿وَيُؤْمِلُنَّ﴾ جمع بعل، يطلق على الرجل والمرأة، لكن المرادُ به هنا الرجل، فالتاء لتأنيث الجمع؛ لأن كلَّ جمع يجوز تأنيثه.

قوله: (لا إضرار^(١) المرأة) فتحرم الرجعة إذ ذاك، ويعتريها الوجوبُ إن خشي على نفسه الزنا ودفع الضرر، وتكره إن أشعلته عن عبادة مندوبة، وتندبُ إن كانت تُعينه على تلك العبادة.

قوله: (لجواز الرجعة) أي: مضيها، فلا ينافي أنه شرطٌ في جواز القدوم عليها.

قوله: (في نكاحهن في العدة) صوابه أن يقول: فلا حقٌ لغيرهم في ردِّهن ورجعتهن كما عبَّرَ به غيره^(٢)، تأمل.

قوله: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ﴾ حاصله: أن الرجلَ له حقوقٌ على المرأة من طبخ وعجن وكنس وغير ذلك من الخدمة الباطنية، وللمرأة حقوقٌ على الرجل من نفقة وكسوة وإظهار محبة وغير ذلك، فالمماثلة في الآية في مطلق الوجوب لا في صفة الحقوق، وفي الآية احتباك؛ حيث حذف من كلِّ نظير ما أثبتته في الآخر، يشير لذلك تقديرُ المفسر قوله: (على الأزواج)، وقوله: (لهم).

(١) في (أ): (ضرار) بدل (إضرار) والمعنى المراد واحد، وهو معطوف على (إصلاحاً).

(٢) كالقاضي البيضاوي في «تفسيره» (١/١٤١).

وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۖ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ اَلطَّلُقُ مَرَّتَانٍ فَاِمَسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ اَوْ تَشْرِيعٌ

﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾: فَضِيلَةٌ فِي الْحَقِّ مِنْ وُجُوبِ طَاعَتِهِنَّ لَهُمْ لِمَا سَاقَوْهُ مِنَ الْمَهْرِ وَالْإِنْفَاقِ، ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ فِي مُلْكِهِ، ﴿حَكِيمٌ﴾ فِيمَا دَبَّرَهُ لِخَلْقِهِ.

﴿٢٢٩﴾ ﴿اَلطَّلُقُ﴾ أَي: التَّطْلِيقُ الَّذِي يُرَاجِعُ بَعْدَهُ ﴿مَرَّتَانٍ﴾ أَي: اثْنَتَانِ؛ ﴿فَاِمَسَاكٌ﴾ أَي: فَعَلَيْكُمْ إِمْسَاكُهُنَّ بَعْدَهُ بِأَنْ تُرَاجِعُوهُنَّ ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ مِنْ غَيْرِ ضِرَارٍ، ﴿اَوْ تَشْرِيعٌ﴾ حَاشِيَةُ الصَّائِي

قوله: (فضيلة في الحق) أي: فحق الرجل زائد على حقها.

قوله: (لما ساقوه) علة لوجوب طاعتهم لهم، ومعناه: دفعوه، وقوله: (من المهر والإنفاق) بيان لما).

قوله: ﴿اَلطَّلُقُ مَرَّتَانٍ﴾ سبب نزول هذه الآية: أنه كان في صدر الإسلام إذا طلق الرجل امرأته طلاقاً رجعيّاً وراجعها في العدة كان له ذلك ولو طلق ألف مرة، فطلق رجل امرأته طلاقاً رجعيّاً ثم راجعها قبل انقضاء عدتها بشيء يسير، فقال: والله؛ لا آويك ولا تحلين لغيري أبداً، فنزلت الآية، فاستأنف الناس الطلاق وألغوا ما مضى^(١)، وقوله: ﴿مَرَّتَانٍ﴾ أي: مرة بعد أخرى، أو المراتن دفعةً، وهو تخصيص لقوله: ﴿وَيُعَوِّلُهُنَّ أَحَقُّ بِرَبِّهِنَّ فِي ذَلِكَ﴾.

قوله: (أي: التطلق) إنما فسر اسم المصدر بالمصدر لأجل قوله: ﴿اَوْ تَشْرِيعٌ﴾.

قوله: (أي: اثنتان) دفع بذلك ما يتوهم أنه لا بد وأن يكون في مرتين.

قوله: (أي: فعليكم) قدر ذلك؛ إشارة إلى أن (إمساك) مبتدأ خبره محذوف، وقدره مقدماً عليه ليكون مسوغاً للابتداء بالنكرة.

قوله: ﴿اَوْ تَشْرِيعٌ﴾ يحتمل أن المراد بذلك إنشاء طلاق ثالث بعد المراجعة الثانية، ويحتمل أن المراد عدم المراجعة إذا طلقها ثانياً، وأما الطلقة الثالثة فمأخوذة من قوله تعالى: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ [البقرة: ٢٣٠]، وهو الأقرب؛ لأنه المتبادر من المفسر، فالرجل مخير في عدة الطلقة الأولى بين أن يراجعها بالمعروف أو يسرحها من غير مراجعة، وكذا في عدة الثانية.

(١) رواه الترمذي (١١٩٢) من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها.

يَاخْسَنُ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ

أي: إرسالَ لَهُنَّ ﴿يَاخْسَنُ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾ أيها الأزواج ﴿أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ من المهور ﴿شَيْئًا﴾ إذا طَلَقْتُمُوهُنَّ، ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا﴾ أي: الزَّوْجَانِ ﴿أَنْ﴾ لا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ. أي: لا يَأْتِيَا بِمَا حَدَّهُ لَهُمَا مِنَ الْحُقُوقِ. - وفي قِراءة: (يُخَافَا) بِالْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ، فَ﴿أَلَّا يُقِيمَا﴾ بَدَلُ اشْتِمَالٍ مِنَ الضَّمِيرِ فِيهِ، وَقُرِئَ بِالْفَوْقَانِيَةِ فِي الْفِعْلَيْنِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿يَاخْسَنُ﴾ أي: فيؤدي ما عليه لها من الحقوق ولا يذكرها بسوء.

قوله: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا﴾ يوضح معنى الآية قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْتُمُوهُنَّ قِنْطَارًا...﴾ [النساء: ٢٠] الآيات.

قوله: (من المهور) بيانٌ ل(ما).

قوله: (إذا طلقتموهن) أي: وأما إن كانت في عصمته ووهبت له صداقها أو بعضه فلا بأس بذلك.

قوله: ﴿أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ (أَنْ) وما دخلت عليه: في تأويل مصدر مجرور ب(من)، التقديرُ من عدم إقامتها حدودَ الله، وسببُ نزولها: أن امرأة - واسمها جميلة بنتُ عبد الله بن أبي بن سلول - كانت تبغضُ زوجها ثابتَ بنِ قيس، فشكت للنبي ﷺ حيث قالت: يا رسول الله؛ إني لا أعيبه في دين ولا في خلق، غير أنني وجدته مقبلاً في جماعة فرأيتُه أشدَّهم سواداً وقصراً وأقبحهم وجهاً، لا يجمعُ رأسي ورأسه شيءٌ، وإني لأكره الكفر في الإسلام، فلمَّا نزلت هذه الآية.. أمرها رسولُ الله ﷺ بالفداء، فأخذ ما كان أعطاه لها وطلَّقها، وكان قد أمهرها حديقة^(١).

قوله: (وفي قِراءة) أي: فهما سبعيتان^(٢).

قوله: (بالبناء للمفعول) أي: فالضمير نائب فاعل، والفاعل وُلاة الأمور؛ أي: فإن خاف ولاة الأمور الزوجين، و ﴿أَلَّا يُقِيمَا﴾ بَدَلُ اشْتِمَالٍ مِنَ الضَّمِيرِ نَائِبِ الْفَاعِلِ.

قوله: (وقُرِئَ) أي: قِراءة شاذة^(٣).

(١) رواه البخاري (٥٢٧٣) من حديث ابن عباس ؓ، والكفر بمعنى الزنا، وانظر الروايات في «الدر المنثور» (١/٦٧١).

(٢) قِراءة البناء للمفعول (يُخَافَا) قرأ بها حمزة. انظر «الدر المصون» (٢/٤٤٨).

(٣) قرأ بها عبد الله بن مسعود ؓ. انظر «الدر المصون» (٢/٤٤٧).

فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾: نَفْسَهَا مِنَ الْمَالِ لِيُطْلَقَهَا،
 أَي: لَا حَرَجَ عَلَى الزَّوْجِ فِي أَخْذِهِ وَلَا الزَّوْجَةِ فِي بَذْلِهِ. ﴿تِلْكَ﴾: الْأَحْكَامُ الْمَذْكُورَةُ
 ﴿حُدُودَ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.
 ﴿٢٢٩﴾ ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾: الزَّوْجُ بَعْدَ الثَّنَيْنِ ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ﴾: أَي: بَعْدَ الطَّلَاقِ الثَّالِثَةِ ﴿حَتَّى
 تَنْكِحَ﴾: تَتَزَوَّجَ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾: خطابٌ لِوَلَاةِ الْأُمُورِ.

قوله: ﴿فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾: أَي: كَانَ بِمَهْرِهَا أَوْ أَقْلًا أَوْ أَكْثَرَ.

قوله: (أَي: لَا حَرَجَ عَلَى الزَّوْجِ فِي أَخْذِهِ) أَي: لِعَدَمِ ظُلْمِهَا، وَقَوْلُهُ: (وَلَا عَلَى الزَّوْجَةِ فِي بَذْلِهِ) أَي: لِدَفْعِهَا الضَّرَرَ عَنْ نَفْسِهَا.

قوله: ﴿فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾: أَي: تَتَجَاوَزُوهَا بِأَنْ تُعِينُوا الظَّالِمَ عَلَى الْمَظْلُومِ مِنْهُمَا.

قوله: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ﴾: ذَكَرَ هَذَا الْوَعِيدَ بَعْدَ النَّهْيِ عَنْ تَعْدِيهَا لِلْمُبَالَغَةِ فِي التَّهْدِيدِ،
 وَقَوْلُهُ: ﴿الظَّالِمُونَ﴾: أَي: لِأَنْفُسِهِمْ بِتَعْرِيزِهَا لِسُخْطِ اللَّهِ تَعَالَى وَعِقَابِهِ.

قوله: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾: أَي: طَلَقَهُ ثَلَاثَةً، سَوَاءٌ وَقَعَ الْاِثْنَانِ فِي مَرَّةٍ أَوْ مَرَّتَيْنِ، وَالْمَعْنَى: فَإِنْ ثَبَتَ طُلُقُهَا^(١) ثَلَاثًا فِي مَرَّةٍ أَوْ مَرَّاتٍ فَلَا تَحِلُّ... إلخ؛ كَمَا إِذَا قَالَ لَهَا: أَنْتِ طَالِقٌ ثَلَاثًا أَوْ أَلْبَتَةً، وَهَذَا هُوَ الْمَجْمَعُ عَلَيْهِ، وَأَمَّا الْقَوْلُ بِأَنَّ الطَّلَاقَ الثَّلَاثَ فِي مَرَّةٍ وَاحِدَةٍ لَا يَقَعُ إِلَّا طَلَقًا.. فَلَمْ يُعَرَفْ إِلَّا لِابْنِ تَيْمِيَّةٍ مِنَ الْحَنَابِلَةِ، وَقَدْ رَدَّ عَلَيْهِ أَئِمَّةُ مَذْهَبِهِ، حَتَّى قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنَّهُ الضَّالُّ الْمُضِلُّ، وَنَسَبُهَا لِلْإِمَامِ أَشْهَبُ مِنْ أَئِمَّةِ الْمَالِكِيَّةِ بَاطِلَةٌ^(٢).

قوله: ﴿حَتَّى تَنْكِحَ﴾: الْمُرَادُ بِهِ هُنَا: الْعَقْدُ مَعَ الْوُطءِ كَمَا يُبَيِّنُ ذَلِكَ فِي الْحَدِيثِ وَالْإِجْمَاعِ عَلَيْهِ، خِلَافًا لِمَا نَقَلَ عَنْ ابْنِ الْمُسَيَّبِ: أَنَّ الْعَقْدَ كَافٍ فِي التَّحْلِيلِ.

(١) كَذَا فِي النُّسخِ، وَلَعَلَّهَا: (بَتْ طَلَقَهَا).

(٢) وَلِلْمُصَنِّفِ رَحِمَهُ اللَّهُ مَنْظُومَةٌ بِعَنْوَانٍ: «السِّيفُ الصَّقِيلُ فِي عُقُقٍ مِنْ يَرُدُّ الْمَطْلُوقَةَ ثَلَاثًا لِزَوْجِهَا مِنْ غَيْرِ تَحْلِيلٍ»،
 وَلِلْعَلَامَةِ الشَّيْخِ سَلَامَةِ الْقَضَاعِيِّ مُؤَلَّفٌ بِعَنْوَانٍ: «بِرَاهِينُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ النَّاطِقَةُ عَلَى وَقُوعِ الطَّلَاقِ الْمَجْمُوعَةُ مِنْجَزَةٌ أَوْ مَعْلُوقَةٌ» رَدًّا عَلَى هَذَا الْقَوْلِ.

زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا

﴿زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ وَيَطَّأُهَا كَمَا فِي الْحَدِيثِ، رَوَاهُ الشَّيْخَانِ، ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ أَي: الزَّوْجُ الثَّانِي
﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ أَي: الزَّوْجَةُ وَالزَّوْجُ الْأَوَّلِ ﴿أَنْ يَتَرَاجَعَا﴾ إِلَى النِّكَاحِ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿زَوْجًا﴾) أَي: لَا سِيدًا، فَلَا يَقَعُ بِهِ تَحْلِيلٌ، وَلَا بَدٌّ مِنْ كَوْنِ الزَّوْجِ بِالْغَا عِنْدَ مَالِكٍ؛
لِقَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ: «حَتَّى يَذُوقَ عَسِيلَتِكَ وَتَذُوقِي عَسِيلَتِهِ»^(١)، وَلَا عَسِيلَةٌ لِلصَّبِيِّ، وَقَالَ الشَّافِعِيُّ
بِعَدَمِ اشْتِرَاطِ بُلُوغِهِ، وَمِنْ هُنَا الْمَسْأَلَةُ الْمَلْفَقَةُ، وَهِيَ أَنْ يَقْلَدَ الشَّافِعِيُّ فِي صَحَّةِ تَحْلِيلِ الصَّبِيِّ،
وَمَالِكًا فِي صَحَّةِ طَلَاقٍ وَلِيٍّ عَنْهُ لِمَصْلُحَةٍ، وَفِي عَدَمِ الْعِدَّةِ عَلَيْهَا مِنْ وَطْئِهِ، وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ قَالَ
الْعُلَمَاءُ فِيهَا: الْوَرَعُ تَرْكُهَا، وَيَشْتَرُطُ لِلتَّحْلِيلِ عِنْدَ مَالِكٍ شُرُوطٌ عَشْرَةٌ تُعْلَمُ مِنَ الْفُرُوعِ.

قوله: (ويطؤها) أَي: وَلَا يَشْتَرُطُ الْإِنْزَالُ.

قوله: (كما في الحديث) وهو أنه جاءت امرأة تسمى تميمة القرظية، وكانت متزوجة بابن عمها
رفاعة القرظي إلى رسول الله ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ إِنْ رَفَاعَةَ أَبَتُّ طَلَاقِي، فَتَزَوَّجْتُ بَعْدَ
الرَّحْمَنِ بْنِ الزَّبِيرِ - بَفَتْحِ الزَّايِ - وَإِنَّمَا مَعَهُ مِثْلُ هُدْبَةِ الثَّوْبِ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ وَقَالَ: «أَتُرِيدِينَ
أَنْ تَرْجِعِي إِلَى رَفَاعَةٍ؟ لَا، حَتَّى يَذُوقَ عَسِيلَتِكَ وَتَذُوقِي عَسِيلَتِهِ»، فَمَكَثَتْ مَدَّةً ثُمَّ جَاءَتْ ثَانِيًا
لِرَسُولِ اللَّهِ وَقَالَتْ: إِنَّهُ مَسْنِيٌّ وَذُقْتُ مِنْهُ وَذَاقَ مِنِّي، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ: «إِنْ قَوْلُكَ الْأَوَّلُ كَذَبُكَ
الْآنَ»، فَجَاءَتْ لِلصَّدِيقِ فِي خِلَافَتِهِ وَقَالَتْ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ، فَقَالَ لَهَا: إِنِّي شَهِدْتُ
مَجِيئَكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَلَامِكَ لَهُ، لَا تَرْجِعِي، فَجَاءَتْ لِعَمْرٍ فِي خِلَافَتِهِ وَقَالَتْ لَهُ كَذَلِكَ، فَقَالَ
لَهَا: إِنْ عُذِبَ لِرَفَاعَةَ رَجَمْتُكَ^(٢).

قوله: (رواه الشيخان) أَي: عَنْ عَائِشَةَ.

قوله: (﴿أَنْ يَتَرَاجَعَا﴾ إِلَى النِّكَاحِ) أَي: بِعَقْدٍ وَمَهْرٍ وَوَلِيِّ وَشُهُودٍ.

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٦٣٩)، وَمُسْلِمٌ (١٤٣٣)، وَهُوَ حَدِيثُ رَفَاعَةَ الْقُرْظِي الْآتِي قَرِيبًا.

(٢) كَذَا فِي «تَفْسِيرِ الزَّمَخْشَرِيِّ» (٢٧٥/١)، وَأَصْلُ الْحَدِيثِ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةِ رَجُوعِهَا ثَانِيَةً رَوَاهُ الشَّيْخَانِ كَمَا سَبَقَ مِنْ
حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَرَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي «الْمَصْنَفِ» (٣٤٧/٦): (فَقَعَدَتْ ثُمَّ جَاءَتْهُ بَعْدَ، فَأَخْبَرَتْهُ أَنْ قَدْ مَسَّهَا،
فَمَنْعَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَى زَوْجِهَا الْأَوَّلِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ؛ إِنْ كَانَ بِهَا لِيَحْلِلَهَا لِرَفَاعَةَ فَلَا يَتِمُّ لَهُ نِكَاحُهُ مَرَّةً أُخْرَى»،
ثُمَّ أَنْتَ أَبَا بَكْرٍ وَعَمْرٌ فِي خِلَافَتِهِمَا فَمَنْعَاهَا).

إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدْنَ لَهُنَّ فَرْجًا فَلَمْ تَجِدُوا لَهُنَّ مَا تَرْضَوْنَ وَلَا تَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ وَلَا تَحْسَبُوا عَلَيْهِنَّ مَا لَمْ تَحْسُبُوا ۚ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ۚ ﴿٢٣١﴾

بعد انقضاء العدة، ﴿إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ﴾ المذكورات ﴿حُدُودَ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: يتدبرون.

﴿٢٣١﴾ ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدْنَ لَهُنَّ فَرْجًا﴾: قاربن انقضاء عدتهن، ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾: بأن تراجعوهن ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ من غير ضرار، ﴿أَوْ سَرِحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾: اتركوهن حتى تنقضي عدتهن، ﴿وَلَا تَمْسِكُوهُنَّ بِالرَّجْعَةِ﴾ بالرجعة ﴿ضَرَارًا﴾ - مفعول لأجله -
حاشية الصاوي

قوله: (بعد انقضاء العدة) أي: فلا بد من عدتين؛ عدة للزوج الأول وعدة للثاني.

قوله: ﴿أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ (أن) وما دخلت عليه: في تأويل مصدر مفعول (ظن) الثاني، ومعنى إقامة حدود الله: زوال ما في أنفسهما من الكدر الذي كان سبباً في الطلاق.

قوله: ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ خصهم لأنهم المنتفعون بتلك الأحكام، وهم الذين يعقلون الخطاب.

قوله: (أي: يتدبرون) أي: ينظرون في عواقب أمورهم.

تنبيه: يقع الطلاق فيما ذكر ولو كان سكراناً^(١) بحرام؛ لعدم عذره بذلك، أو في حماقة، وليست الحماقة من باب الإكراه الذي قال فيه رسول الله: «لا طلاق في إغلاق»^(٢)، خلافاً لمن يفتي بذلك؛ فإنه ضالٌّ مضلٌّ، اللهم إلا أن يطيش عقله فلا يعرف الأرض من السماء ويصير كالمجنون، فلا شيء عليه.

قوله: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ أي: طلاقاً رجعيّاً، وإنما كرّره للإيضاح.

قوله: (قاربن انقضاء عدتهن) أي: أشرفن عليها.

قوله: (مفعول له) أي: لأجله.

قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ علة لقوله: ﴿ضَرَارًا﴾.

(١) على لغة بني أسد؛ لأنهم يؤثنون باب (سكران) بالتاء، فيستغنون فيه بـ (فعلانة) عن (فعلى)، بخلاف غيرهم من العرب، ولما ألحقوا التاء... فقد شبه بـ (حمراء)، فلم يسعهم إلا أن يصرفوا فيقولون: رأيت رجلاً سكراناً، وصبيّاً غضباناً، وغصناً رياناً، وإناء ملاًناً، وأشباه ذلك. انظر «شرح الكافية الشافية» لابن مالك (٣/١٤٤١).

(٢) رواه أبو داود (٢١٩٣)، وابن ماجه (٢٠٤٦) من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها، وفُسر الإغلاق بالإكراه والغضب.

لِنَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ، وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ، وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ.....

﴿لِنَعْتَدُوا﴾ عَلَيْهِنَّ بِالْإِلْجَاءِ إِلَى الْإِفْتِدَاءِ وَالتَّطْلِيقِ وَتَطْوِيلِ الْحَبْسِ، ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ بِتَعْرِيفِهَا إِلَى عَذَابِ اللَّهِ، ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾: مَهْزُوءًا بِهَا بِمُخَالَفَتِهَا، ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بِالْإِسْلَامِ، ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ﴾: الْقُرْآنِ ﴿وَالْحِكْمَةِ﴾: مَا فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ، ﴿يَعِظُكُمْ بِهِ﴾: بِأَنْ تَشْكُرُوهَا بِالْعَمَلِ بِهِ، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ.

﴿٢٣٢﴾ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ: انْقَضَتْ عِدَّتُهُنَّ، ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ - خِطَابٌ لِلْأَوْلِيَاءِ - أَي: تَمْنَعُوهُنَّ مِنْ ﴿أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ الْمُطَلَّقِينَ لَهُنَّ؛ لِأَنَّ سَبَبَ نُزُولِهَا

حاشية الصاوي

قوله: (بالإلجاء) أي: الاضطرار.

قوله: (وتطويل الحبس) أي: العدة.

قوله: ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ (أي: لما في الحديث: «يغلبن كريماً ويغلبهن لئيم، فأحب أن أكون كريماً مغلوباً، ولا أحب أن أكون لئيماً غالباً»^(١)).

قوله: (بمخالفتها) أي: فأطلق الاستهزاء وأراد المخالفة.

قوله: (ما فيه من الأحكام) أي: العلوم النافعة.

قوله: (بالعمل به) أي: ولا تتخذوها هُزُوًا.

قوله: (لا يخفى عليه شيء) أي: فيثيب المطيع، ويعذب العاصي.

قوله: (انقضت عدتهن) أي: فبلوغ الأجل في المحللين مختلف.

قوله: (خطابٌ للأولياء) أي: وأما الخطابُ في ﴿طَلَقْتُمُ﴾ فهو خطابٌ للأزواج، ويصح أن يكون خطاباً للأولياء أيضاً، والمعنى: إذا رفعن أمرهن إليكم أيها الأولياء وتسببتم في طلاقهن

(١) روى ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣/٣١٢): «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي، ما أكرم النساء إلا كريم، ولا أهانهن إلا لئيم»، وإلى قوله: «لأهلي» رواه الترمذي (٣٨٩٥)، وابن ماجه (١٩٧٧).

إِذَا تَرَضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَمُ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ وَالْوِلْدَاتُ يُرْضِعْنَ

أَنَّ أُخْتَ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ طَلَّقَهَا زَوْجَهَا، فَأَرَادَ أَنْ يُرَاجِعَهَا فَمَنْعَهَا مَعْقِلٌ كَمَا رَوَاهُ الْحَاكِمُ، ﴿إِذَا تَرَضَوْا﴾ أَيُ: الْأَزْوَاجُ وَالنِّسَاءُ ﴿بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ شَرْعاً، ﴿ذَلِكَ﴾ النَّهْيُ عَنِ الْعِضْلِ ﴿يُوعَظُ بِهِ﴾ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴿لِأَنَّهُ الْمُتَنَفِّعُ بِهِ﴾، ﴿ذَلِكَ﴾ أَيُ: تَرَكُ الْعِضْلَ ﴿أَزْكَى﴾: خَيْرٌ ﴿لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ لَكُمْ وَلَهُمْ؛ لِمَا يُخْشَى عَلَى الزَّوْجَيْنِ مِنَ الرَّيْبَةِ بِسَبَبِ الْعِلَاقَةِ بَيْنَهُمَا، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ مَا فِيهِ الْمَصْلَحَةُ، ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذَلِكَ؛ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ.

﴿٢٣٢﴾ وَالْوِلْدَاتُ يُرْضِعْنَ أَيُ: لِيُرْضِعْنَ

حاشية الصاوي

من أزواجهن، ثم زال ما في النفوس وأرادوا العقد على أزواجهم.. فلا يكن منكم عضلٌ لهن من ذلك.

قوله: (أن أخت معقل) أي: واسمها جميلة.

قوله: (طلقها زوجها) أي: واسمها عاصم بن عدي^(١).

قوله: (أي: الأزواج والنساء) وغلب الذكور لشرفهم، وهو جمعٌ باعتبار أفراد الرجال والنساء.

قوله: (لأنه المتنفع به) جوابٌ عما يُقال: لم خص المؤمنين؟

قوله: (بسبب العلاقة) أي: الارتباط.

قوله: (فاتبعوا أمره) أي: ولا تطيعوا أنفسكم في العِضْل، فمتى كان لكل منهما رغبة في الآخر فلا يكن منكم منعٌ في ذلك؛ لأنه لا مصلحة فيه، وقد جرت عادة الله في كتابه أنه يتخلل الأحكام والقصص بالمواعظ الجليلة، وفي الحديث: (كان يتخولنا بالمواعظ مخافة السامة علينا)^(٢).

قوله: (أي: ليرضعن) فسره بالأمر؛ إشارةً إلى أن الجملة خبرية لفظاً إنشائية معنًى، فالمقصود منها الأمر، وهو للندب للأُمِّ بشروط ثلاثة: إن كان للولد أبٌ موسرٌ أو مالٌ، ووجد من ترضعه غير أمه، وقبلها، فإن فقد شرط منها.. وجب عليها الرضاع.

(١) رواه أبو داود (٢٠٨٧)، والترمذي (٢٩٨١)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٩٧٤) عن معقل بن يسار رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٦٨)، ومسلم (٢٨٢١) من كلام ابن مسعود رضي الله عنه.

أَوْلَدَهُنَّ حَوْلِينَ كَامِلِينَ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ

﴿أَوْلَدَهُنَّ حَوْلِينَ﴾ : عامين ﴿كَامِلِينَ﴾ - صفة مؤكدة - ، ذلك ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ ولا زيادة عليه ، ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾ أي : الأب ﴿رِزْقُهُنَّ﴾ : إطعام الواليدات ﴿وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ على الإرضاع إذا كنَّ مُطْلَقَاتٍ ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ : بِقَدْرِ طاقته ،
حاشية الصاوي

قوله : ﴿أَوْلَدَهُنَّ﴾ (أي : ذكوراً أو إناثاً).

قوله : ﴿كَامِلِينَ﴾ (هذا تقريبٌ عند مالك ، فألحق الشهران بالحولين ، وتحديدٌ عند الشافعي .

قوله : (صفة مؤكدة) أي : لدفع توهم تسمية الأقلّ منهما باسم الكامل تسميحاً ، والمقصود من النصّ على الحولين : قطع النزاع بين الزوجين حيث أراد أحدهما أكثر من الحولين أو أقلّ والآخر الحولين ، فإنه يقضى لمن أرادهما .

قوله : ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ (الجار والمجرور خبرٌ لمبتدأٍ محذوفٍ قدره المفسّر بقوله : (ذلك) ، وهو جوابٌ عن سؤال مقدر .

قوله : (ولا زيادة عليه) أي : خلافاً لمن قال : إذا شحّت المرأة قضى لها بثلاثين شهراً ، ولمن قال : بثلاثة أعوام .

قوله : ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾ (أي : المنسوب له الولد ، احترازاً عن ابن الزنا ومن نفاه أبوه بلعانٍ ، فلا يلزم أباه شيءٌ من أجله ؛ لقطع نسبه .

قوله : ﴿رِزْقُهُنَّ﴾ (أي : دفع الرزق ، بمعنى الأجرة التي يحصلُ بها الطعام والشراب والكسوة .

قوله : (إذا كنَّ مطلقات) أي : بائناً ، وأما الرجعيات واللاتي في العصمة فلا يلزمه أجره على الرضاع عند الشافعي ، وكذا عند مالك في غير مَنْ شأنها عدم الإرضاع بنفسها كنساء الملوك ، وأما هي فلها أن تأخذ الأجرة على ذلك ، هكذا حملهُ المفسّر على غير الزوجة ، وبعضهم حملهُ على ما يعمّ الزوجة ، بمعنى أن الزوجة تأخذ الأجرة على الرضاع ولو ناشزاً ولا يجري على حكم نفقة الزوجة .

قوله : (بقدر طاقته) أي : أعسر أو أيسر^(١) .

(١) في (ط) : (عسراً ويسراً) ، وسقط من (أ) قبلاً : (وبعضهم حملهُ على ما يعمّ الزوجة ، بمعنى أن الزوجة تأخذ الأجرة) .

لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارُّ وَالِدَةُ وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ

﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾: طاقتها، ﴿لَا تُضَارُّ وَالِدَةُ وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾: بِسَبَبِهِ، بِأَنْ تُكْرَهُ عَلَى إِرْضَاعِهِ إِذَا امْتَنَعَتْ، ﴿وَلَا يُضَارُّ مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾: أَي: بِسَبَبِهِ بِأَنْ يُكَلَّفَ فَوْق طاقته، وإضافة الولد إلى كُلِّ مِنْهُمَا فِي الْمَوْضِعَيْنِ لِلِاسْتِعْطَافِ، ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ﴾: أَي: وَارِثِ الْأَبِ وَهُوَ الصَّبِيُّ، أَي: عَلَى وَلِيِّهِ فِي مَالِهِ ﴿مِثْلُ ذَلِكَ﴾: الَّذِي عَلَى الْأَبِ لِلْوَالِدَةِ مِنَ الرِّزْقِ وَالْكِسْوَةِ، ﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾: أَي: الْوَالِدَانِ ﴿فِصَالًا﴾: فِطَامًا لَهُ قَبْلَ الْحَوْلَيْنِ صَادِرًا عَنْ تَرَاضٍ: اتِّفَاقٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ بَيْنَهُمَا؛ لِتَظْهَرِ مَصْلَحَةُ الصَّبِيِّ فِيهِ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ﴾) ببناء الفعل للمجهول، و﴿نَفْسٌ﴾: نائب الفاعل، وفي قراءة: (يُكَلِّفُ نَفْسًا) ببناء الفعل للفاعل، والفاعل هو الله سبحانه وتعالى^(١).
قوله: (بأن تكره على إرضاعه) أي: بغير أجر، أو بأجرة دون أجر المثل حيث طلبتها.
قوله: (إذا امتنعت) أي: ووُجد غيرها وقبّلها الولد وكان الأب موسراً أو للولد مال، وإلا.. أكرهت الأم على إرضاعه إما بنفسها أو تكري له مَنْ يرضعهُ.
قوله: (في ماله) أي: وهو مقدّم ثم مال الأب ثم مال الأم عند مالك^(٢).
قوله: (للوالدة) أي: المرضعة والدة كانت أو غيرها.
قوله: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا﴾) هذا تقييد لما تقدّم في قوله: ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾.
قوله: ﴿عَنْ تَرَاضٍ﴾) الجار والمجرور متعلّق بمحذوف صفة لـ ﴿فِصَالًا﴾، قدره المفسّر بقوله: (صادراً).

(١) الجمهور على البناء للمفعول، وقراءة البناء للفاعل قرأ بها أبو رجاء وهي شاذة. انظر «البحر المحيط» (٢/٢٢٥).
(٢) قال العلامة النفراوي في «الفواكه الدواني» (١/٣٠٩): (إذا استتجرت المرضع فإن الأجرة تكون من مال الولد حيث كان له مال؛ لأنها كالنفقة، والأب لا يلزمه الإنفاق عليه مع وجود مال له، وأما إن لم يكن له مال فمن مال الأب، فإن لم يكن للأب مال فمن مال الأم، هكذا اقتصر عليه ابن عرفة فيكون مقيداً لترجيح القول بتقديم مال الأب على مال الأم، والخلاف في مال الأم التي يلزمها الرضاع، وإلا اتفق على تقديم مال الأب على مال الأم).

فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرَضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا ءَاتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ
وَأَلْفُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ في ذلك. ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ﴾ - خِطَابٌ لِلْآبَاءِ - ﴿أَنْ تَسْرَضِعُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ مَرَضِعَ
غَيْرِ الْوَالِدَاتِ، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ فِيهِ ﴿إِذَا سَلَّمْتُمْ﴾ إِلَيْهِنَّ ﴿مَا ءَاتَيْتُمْ﴾ أَي: أَرَدْتُمْ إِيْتَاءَهُ
لَهُنَّ مِنَ الْأَجْرَةِ ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: بِالْجَمِيلِ، كَطِيبِ النَّفْسِ، ﴿وَأَلْفُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ﴾ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهُ.

حاشية الصاوي

قوله: (في فعل ذلك) أي: ولا في الزيادة على الحولين عند الاتفاق، بل هو جائز شرعاً،
ومنه الحكماء لما فيه من توريث البلادة للطفل.

قوله: (مراضع) مفعول أول لـ ﴿تَسْرَضِعُوا﴾ مؤخر، و﴿أَوْلَادَكُمْ﴾: مفعول ثانٍ مقدّم على حذف
الجار؛ أي: إن أردتم أن تطلبوا مراضع لأولادكم؛ لأن (أفعل) إذا كان متعدياً إلى مفعول واحد
وزيدت فيه السين للطلب أو النسبة يصير متعدياً إلى مفعولين كما قال الزمخشري^(١)، وقال
الجمهور: إنما يتعدى الثاني بحرف الجر، فيكون ﴿أَوْلَادَكُمْ﴾ منصوباً بنزع الخافض، و(أن)
وما دخلت عليه: في تأويل مصدر مفعول ﴿أَرَدْتُمْ﴾.

قوله: (غير الوالدات) أي: حيث كان أجره الغير أقل من أجره الأم، أو كانت الغير ترضع
مجاناً، أما إذا استويا فالأم أولى.

قوله: ﴿إِذَا سَلَّمْتُمْ﴾ ليس شرطاً لصحة الإجارة، بل هو بيان للأكمل؛ لأن التعجيل أطيب
لنفوسهن.

قوله: ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أنها متعلّق بـ ﴿سَلَّمْتُمْ﴾، الثاني: أنه متعلّق
بـ ﴿ءَاتَيْتُمْ﴾، الثالث: أنه حال من فاعل ﴿سَلَّمْتُمْ﴾ أو ﴿ءَاتَيْتُمْ﴾، والعامل فيه حينئذ محذوف؛
أي: ملتبس بالمعروف^(٢).

قوله: ﴿وَأَلْفُوا اللَّهَ﴾ مبالغة في المحافظة على ما شرع في أمر الأطفال والمراضع.

(١) «تفسير الزمخشري» (١/٢٨١)، وانظر «الفتوحات الإلهية» (١/١٩٠).

(٢) «الدر المصون» (٢/٤٧٦).

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا.....

﴿٢٣٤﴾ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ : يَمُوتُونَ ﴿مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ﴾ : يَتَرُكُونَ ﴿أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ﴾ أي : لِيَتَرَبَّصْنَ ﴿بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ بَعْدَهُمْ عَنِ النِّكَاحِ ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ مِنَ اللَّيَالِي ،
حاشية الصاوي

قوله : ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ﴾ بضم الياء مبنياً للمفعول، وفي قراءة بفتحها مبنياً للفاعل^(١)، والمعنى عليها : يَسْتَوِفُونَ أَجَالَهْم.

قوله : (يموتون) المناسب : تقبض أرواحهم ؛ ليناسب الفعل المبني للمفعول.

قوله : ﴿أَزْوَاجًا﴾ جمع زوج بمعنى زوجة ؛ لأن الزوج يقع على الذكر والأنثى.

قوله : (أي : لِيَتَرَبَّصْنَ) أشار بذلك إلى أن المراد من الآية الأمر وإن كان ظاهرها الخبر.

قوله : ﴿بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ الباء : زائدة للتأكيد، والأصل : يَتَرَبَّصْنَ أَنْفُسَهُنَّ، يعني : لا بواسطة حُكْم حاكم ؛ فإن العِدَّة لا تحتاج لذلك.

قوله : (بعدهم) الضمير عائد على اسم الموصول الواقع على الرجال، وقدره المفسر ليصح الإخبار بجملة ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ عن الموصول، هكذا أعرب المفسر، وبعضهم قدر في المبتدأ فقال : وأزواج الذين يتوفون، وبعضهم قدر في الخبر حيث قال : والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً أزواجهم يتربصن، فأزواجهم : مبتدأ، وجملة ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ : خبره، والمبتدأ وخبره خبر الأول، والرباط موجود.

قوله : (عن النكاح) أي : نكاح الغير لهن.

قوله : ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ إما مفعولٌ لـ ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ على حذف مضاف ؛ أي : مُضي أربعة أشهر وعشراً، أو ظرفٌ له.

قوله : (من الليالي) أي : مع النهار، وخصَّ الليالي لسبقها على النهار.

(١) قرأ بها سيدنا علي رضي الله عنه، ورواها المفضل عن عاصم. انظر «الدر المصون» (٢/٤٧٨).

فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ

وهذا في غير الحوامل، أمّا الحوامل فعدّتهنّ أن يضعن حملهنّ بآية الطلاق، والأمة على النصف من ذلك بالسنة، ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: انقضت مدّة تربّصهنّ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أيها الأولياء ﴿فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾ من التزّين والتعرّض للخطّاب، ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ شرعاً، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: عالمٌ بباطنه كظاهره.

﴿٢٣٥﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا عَرَضْتُمْ: لَوْحْتُمْ ﴿بِهِ﴾ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ الْمُتَوَقَّى عَنْهُنَّ أزواجهنّ في العِدّة، كقول الإنسان مثلاً: إِنَّكَ لَجَمِيلَةٌ، وَمَنْ يَجِدُ مِثْلَكَ؟ وَرُبَّ رَاغِبٍ حاشية الصاوي

قوله: (وهذا في غير الحوامل) أي: ما تقدّم من العموم لا يتناول الحوامل والإماء.

قوله: (أن يضعن حملهنّ) أي: كلّه ولو علقّة أو مضغة، فلا تحلّ إلا بوضعه ولو مكث الزمن الطويل في بطنها.

قوله: (والأمة) بالجرّ معطوف على الحوامل.

قوله: (على النصف من ذلك) أي: فعدّتها شهران وخمسة ليالٍ، وهو خبرٌ لمبتدأٍ محذوف تقديره: وهي على النصف من ذلك. واعلم أن ذلك تعبّد أمرنا به الشارع ولم نعقل له معنى، ولذلك أمرت بتلك العِدّة الصغيرة وزوجة الصغير، وما قيل: إنه معلّل بوجود حركة الحمل بعد الأربعة أشهر... فغير مطّرد في الأمة والصغيرة وزوجة الصغير.

قوله: (بالسنة) أي: الدليل السني.

قوله: (من التزّين) أي: الشرعي؛ بأن تفعل ذلك ببيتها.

قوله: (والتعرّض للخطّاب) معطوف على التزّين، فلا يحرم كلّ من التزّين والتعرّض للخطّاب بعد العِدّة، وأما فيها فيحرم على الأولياء وعليهنّ إذا بلغن، ويجبُ عليهنّ كفّهنّ ولو بالشم وال ضرب.

قوله: ﴿فِي مَا عَرَضْتُمْ﴾ التعريض: هو الكلام الذي يُفهم منه المقصود بطرفٍ خفي.

قوله: ﴿مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ بكسر الخاء: التماسُ النكاح.

قوله: (ورب راغب) (رُبَّ): للتكثير.

أَوْ أَكَنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُنَّهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا
قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَقْرِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ، وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ
مَا فِي أَنْفُسِكُمْ

فِيكَ، ﴿أَوْ أَكَنَنْتُمْ﴾: أَضْمَرْتُمْ ﴿فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ مِنْ قَصْدِ نِكَاحِهِنَّ، ﴿عِلْمَ اللَّهِ أَنَّكُمْ
سَتَذْكُرُنَّهُنَّ﴾ بِالْخُطْبَةِ وَلَا تَصْبِرُونَ عَنْهُنَّ، فَأَبَاحَ لَكُمْ التَّعْرِيضَ، ﴿وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾
أَي: نِكَاحًا ﴿إِلَّا﴾: لَكِنْ ﴿أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ أَي: مَا عُرِفَ شَرْعًا مِنَ التَّعْرِيضِ
فَلَكُمْ ذَلِكَ، ﴿وَلَا تَقْرِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾ أَي: عَلَى عَقْدِهِ ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ﴾
أَي: الْمَكْتُوبُ مِنَ الْعِدَّةِ ﴿أَجَلَهُ﴾ بِأَنْ يَنْتَهِيَ، ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾
مِنَ الْعَزْمِ وَغَيْرِهِ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَوْ أَكَنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾) أَي: وَلَوْ أَخْبَرْتُمْ بِذَلِكَ غَيْرَ الْمَجْبِرِ لَهَا، فَالْحَرَمَةُ
فِي التَّصْرِيحِ لَهَا أَوْ لَوْلِيهَا الْمَجْبِرِ.

قوله: (فَأَبَاحَ لَكُمْ التَّعْرِيضَ) أَي: وَالْإِضْمَارَ فِي أَنْفُسِكُمْ، وَهُوَ تَفْرِيعٌ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿عِلْمَ اللَّهِ﴾
الْوَاقِعِ عَلَّةٌ لِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾، وَالْمَعْنَى: إِنَّمَا لَمْ يَحْرَمْ عَلَيْكُمْ التَّعْرِيضَ وَالْإِضْمَارَ فِي الْأَنْفُسِ
لِعِلْمِهِ أَنَّهُ إِنْ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ ذَلِكَ لَوْ قَعْتُمْ فِيهَا هُوَ أَعْظَمُ الَّذِي هُوَ التَّصْرِيحُ، فَأَبَاحَ لَكُمْ التَّعْرِيضَ.

قوله: ﴿سِرًّا﴾) هُوَ فِي الْأَصْلِ: ضِدُّ الْجَهْرِ، أُطْلِقَ وَأُرِيدَ مِنْهُ الْوُطْءُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا كَذَلِكَ،
ثُمَّ أُطْلِقَ وَأُرِيدَ مِنْهُ الْعَقْدُ؛ لِأَنَّهُ سَبَبُهُ، فَهُوَ مُجَازٌ عَلَى مُجَازٍ.

قوله: (أَي: نِكَاحًا) أَي: عَقْدًا.

قوله: ﴿إِلَّا﴾) لَكِنْ ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ ... إلخ) جَعَلَ الْمَفْسُورَ الْإِسْتِثْنَاءَ مَنْقُطَعًا؛ لِأَنَّ التَّعْرِيضَ لَيْسَ
مِنَ الْمَوَاعِدَةِ، وَالْمَوَاعِدَةُ إِنَّمَا تَحْرُمُ إِذَا كَانَتْ مِنَ الْجَانِبَيْنِ، وَأَمَّا مِنْ جَانِبٍ فَيَكُونُ عِنْدَ مَالِكٍ.

قوله: ﴿وَلَا تَقْرِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾) أَي: فَالْعَقْدُ فِي الْعِدَّةِ فَاسِدٌ وَيَنْفَسَخُ، فَإِنْ انْضَمَّ لِذَلِكَ
الْعَقْدُ مُبَاشَرَةً وَلَوْ بَعْدَ الْعِدَّةِ.. تَأَبَّدَ تَحْرِيمُهَا عِنْدَ مَالِكٍ، وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ: يَفْسَخُ الْعَقْدُ فَقَطْ، وَلَهُ الْعَقْدُ
عَلَيْهَا ثَانِيَةً بَعْدَهَا.

قوله: (مِنَ الْعَزْمِ) أَي: التَّصْمِيمِ عَلَى الْعَقْدِ، فَالْعَزْمُ يُوَاقِظُ الْإِنْسَانَ بِهِ خَيْرًا كَانَ أَوْ شَرًّا،
وَقَدْ نَظَّمَ بَعْضُهُمُ الْأُمُورَ الَّتِي تَطَرُّأُ عَلَى الشَّخْصِ فَقَالَ: [البسيط]

فَاَحْذَرُوهُ وَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُوْرٌ حَلِيْمٌ ﴿٢٣٥﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوْهُنَّ

﴿فَاَحْذَرُوهُ﴾ أَنْ يُعَاقِبَكُمْ إِذَا عَزَمْتُمْ، ﴿وَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُوْرٌ﴾ لِمَنْ يَحْذَرُهُ، ﴿حَلِيْمٌ﴾ بِتَأْخِيرِ الْعُقُوْبَةِ عَنْ مُسْتَحِقِّهَا.

﴿٢٣٦﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوْهُنَّ.....

حاشية الصاوي

مَرَاتِبُ الْقَصْدِ خَمْسٌ هَاجِسٌ ذَكَرُوا فَخَاطِرُ فَحَدِيثُ النَّفْسِ فَاسْتِمَاعَا
يَلِيهِ هَمٌّ فَعَزَمٌ كُلُّهَا رُفِعَتْ سِوَى الْأَخِيرِ فَفِيهِ الْأَخْذُ قَدْ وَقَعَا
قوله: ﴿فَاَحْذَرُوهُ﴾ أي: الله، بمعنى: احذروا عقابه.

قوله: (لِمَنْ يَحْذَرُهُ) أي: يخافه، ففي الحديث: «إِذَا أَذْنَبَ الْعَبْدُ ذَنْبًا وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ يَغْفِرُهُ، غَفَرَ لَهُ بِمَجْرَدِ فَعْلِهِ الذَّنْبُ»^(١).

قوله: (بتأخير العقوبة عن مستحقها) أي: فلا يغتر العاصي بذلك؛ فربما يكون ذلك التأخير استدراجاً له.

قوله: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ سبب نزولها: أن رجلاً من الأنصار تزوج امرأة تفويضاً ثم طلقها قبل الدخول، فرفعه لرسول الله ﷺ، فنزلت، فقال له رسول الله: «امْتِعْهَا وَلَوْ بِقَلْنُسُوتِكَ»^(٢).

قوله: ﴿مَا لَمْ تَمْسُوْهُنَّ﴾ فعله (مسّ) مسندٌ للرجل؛ لأنه الأقوى في المسّ، والأقرب: أن (ما) شرطية بمعنى (إن)^(٣)، وليست مصدرية وظرفية كما قال المفسر؛ لأن محلّ الظرفية فيما يقتضي

(١) قد روى البخاري (٧٥٠٧)، ومسلم (٢٧٥٨) واللفظ له من حديث أبي هريرة عنه ﷺ فيما يحكي عن ربه عز وجل قال: «أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا فَقَالَ: اللَّهُمَّ! اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ؟ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ؟ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اْعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ».

(٢) كذا في «زاد المسير» (٢١١/١) عن مقاتل بن سليمان، وروى البيهقي في «السنن الكبرى» (٢٥٧/٧) عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: لما طلق حفص بن المغيرة امرأته فاطمة فأنت النبي ﷺ، فقال لزوجها: «امْتِعْهَا»، قال: لا أجد ما أمتعها، قال: «فإنه لا بدّ من المتاع»، قال: امْتِعْهَا وَلَوْ نِصْفَ صَاعٍ مِنْ تَمْرٍ.

(٣) فهي من باب اعتراض الشرط على الشرط، والمعنى: إن طلقتموهن غير ماسين لهن. انظر «الفتوحات الإلهية» (١٩٢/١).

أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ

- وفي قراءة: ﴿تُمَاسُّوهُنَّ﴾ - أي: تُجَامِعُوهُنَّ، ﴿أَوْ﴾ لم ﴿تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾: مَهْرًا، و﴿مَا﴾ مصدرية ظرفية، أي: لا تَبِعَةٌ عَلَيْكُمْ فِي الطَّلَاقِ زَمَنَ عَدَمِ الْمَسِيَسِ وَالْفَرَضِ بِإِثْمٍ وَلَا مَهْرٍ، فَطَلَّقُوهُنَّ ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ﴾: أَعْطُوهُنَّ مَا يَتِمَّتَعْنَ بِهِ ﴿عَلَى الْمَوْسِعِ﴾: الْغَنِيِّ مِنْكُمْ ﴿قَدْرُهُ﴾ وَعَلَى الْمُقْتَرِ: الضَّيِّقِ الرِّزْقِ ﴿قَدْرُهُ﴾، يُفِيدُ أَنَّهُ لَا نَظَرَ إِلَى قَدَرِ الزَّوْجَةِ، ﴿مَتَّعًا﴾: تَمَتِّعًا ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: شَرْعًا، - صِفَةُ ﴿مَتَّعًا﴾ -

حاشية الصاوي

الامتداد؛ كقوله تعالى: ﴿خَلَدِيَّتْ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [هود: ١٠٧]؛ لأنَّ شأنَ الخلود الامتداد.

قوله: (وفي قراءة: «تُمَاسُّوهُنَّ») أي: بضم التاء، وفعله: مَاسَّ مَمَاسَّةً، مُفاعلة من الجانبيين^(١)؛ لأنَّ كلاً يمسُّ الآخر، واستشكل مفهوم الآية: بأن الطلاق بعد المسِّ لا إثم فيه، نعم، فيه المهر! وأجيب: بأنه مظنة الجُناح بدفع المهر، ووجود الإثم من حيث إنه قد يُوقعه زمن الحيض، وأما الطلاق قبل الدخول فلا جُناح فيه أصلاً^(٢).

قوله: (فطلقوهن ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ﴾) أشار بذلك إلى أن ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ﴾ معطوفٌ على محذوف قَدْرُهُ بقوله: ﴿فَطَلَّقُوهُنَّ﴾.

قوله: ﴿قَدْرُهُ﴾ بفتح الدال وسكونها، قراءتان سبعيتان^(٣).

قوله: (يفيد أنه لا نظر إلى قدر الزوجة) أي: وهو أحد الأقوال عند الشافعي، والمفتى به عند مالك، ولكن المعتمد عند الشافعي مراعاة حال الزوج والزوجة^(٤).

قوله: (تمتيعاً) أشار بذلك إلى أن اسم المصدر بمعنى المصدر.

قوله: (شرعاً) أي: لا بشيءٍ حرام.

(١) وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف. انظر «الدر المصون» (٢/٤٨٦).

(٢) سقط من (أ): (وأجيب بأنه مظنة الجُناح بدفع المهر).

(٣) قرأ بفتح الدال حمزة والكسائي وابن ذكوان وحفص، والباقون بسكونها. انظر «الدر المصون» (٢/٤٨٨).

(٤) وعبارة «المحرر»: وينظر الحاكم باجتهاده إلى حالهما جميعاً، والثاني: أن الاعتبار بحاله، والثالث: بحالها.

«الفتوحات» (١/١٩٣).

حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُوَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ

﴿حَقًّا﴾ - صفة ثانية أو مصدر مؤكد - ﴿عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾: المطيعين.

﴿٢٣٧﴾ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ يَجِبُ لَهُنَّ وَيَرْجِع لَكُمْ النِّصْفُ، ﴿إِلَّا﴾: لَكِنْ ﴿أَنْ يَعْفُوَ﴾ أي: الزَّوْجَاتُ فَيَتْرُكْنَهُ، ﴿أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ وهو الزَّوْجُ،

حاشية الصاوي

قوله: (أو مصدر مؤكد) أي: وعامله محذوف؛ أي: أحقُّه حقًا.

واعلم: أنه اختلف في المتعة؛ فقيل: واجبة نظراً للأمر ولقوله: ﴿حَقًّا﴾ وبه أخذ الشافعي، وقيل: مندوبة نظراً لقوله: ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ ولقوله: ﴿عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ وبه أخذ مالك^(١).

قوله: ﴿(مِنْ قَبْلِ)﴾ متعلق بـ ﴿طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾، وقوله: ﴿(وَقَدْ فَرَضْتُمْ)﴾ الجملة حالية.

قوله: ﴿(فَرِيضَةً)﴾ بمعنى: مفروضة، مفعول به، وقيل: مفعول مطلق بمعنى: فرض^(٢)، لكن الأول أقرب.

قوله: ﴿(فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ)﴾ مبتدأ خبره محذوف، قدره المفسر بقوله: (يجب لهن)، ويحتمل أنه خبرٌ لمبتدأ محذوف، تقديره: فاللأزم لكم نصف ما فرضتم، و﴿مَا﴾: اسم موصول، والعائد محذوف، وجملة ﴿فَرَضْتُمْ﴾: صِلته، و(نصف): يُقرأ بكسر النون وضمها، وهما لغتان، وفيه لغة ثالثة وهي نصيف ك(رغيف)^(٣).

قوله: ﴿(إِلَّا أَنْ يَعْفُوَ)﴾: أداة استثناء، و﴿أَنْ﴾: حرف مصدري ونصب، و﴿يَعْفُوَ﴾: مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة وهي فاعل، والواو لام الكلمة لا واو الجماعة؛ لأن وزنها (يفعلن)، بخلاف: الرجال يعفون؛ فإن وزنه (يفعون)، وقدر المفسر (لكن)

(١) انظر «تحفة المحتاج» (٤١٥/٧)، و«المدونة» (٢٣٢/٢).

(٢) كذا في النسخ على الإضافة، ولو قال: (فرضاً) على الحكاية لكان أوضح.

(٣) قرأ بالضم زيد وعلي وأبو عمرو برواية الأصمعي، والجمهور بالكسر، والثالثة لم يقرأ بها، وسياق المصنف عند السمين في «الدر المصون» (٤٩٢/٢)، وفي (ط١): (ونصف: مثلث النون ونصيف كـ رغيف، ولا يقرأ في جميع مواضع القرآن إلا بكسر النون لا غير)، ويحمل على المتواترة دون الشاذة.

وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾
حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ

فَيَتْرُكُ لَهَا الْكُلَّ، وعن ابنِ عَبَّاسٍ: الْوَلِيُّ إِذَا كَانَتْ مَحْجُورَةً، فَلَا حَرَجَ فِي ذَلِكَ، ﴿وَأَنْ تَعْفُوا﴾ - مُبْتَدَأُ خَبْرِهِ: - ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ أَي: أَنْ يَتَفَضَّلَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فَيُجَازِيكُمْ بِهِ.

﴿٢٣٨﴾ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ ﴿الْحَمْسِ﴾

حاشية الصاوي

إشارة إلى أن الاستثناء منقطع؛ لأن العفو ليس من جنس ما قبله؛ فإن ما قبله وجوب دفع نصف المهر.

قوله: (فترك لها الكل) أي: وتسميته عفواً مشاكلة لما قبله.

قوله: (الولي) أي: المجبر، وقال به مالك.

قوله: (محجورة) أي: مجبورة.

قوله: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا﴾ الضمير عائذ على مَنْ ذكر من الرجال والنساء، وإنما غلب الرجال لشرفهم، وأصله: تَعْفُوونَ، دخل الناصب فحذف النون، ثم استثقلت الضمة على الواو فحذفت، فالتقى ساكنان حُذِفَتْ لَامُ الْكَلِمَةِ لالتقائهما.

قوله: ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ استُشْكِلَ كَلَامُ ابْنِ عَبَّاسٍ: بِأَنْ عَفَوَ الْوَلِيُّ لَا تَقْوَى فِيهِ! ^(١) أَجِيبُ: بِأَنْ الْمَرَادُ بِالتَّقْوَى: الْأَلْفَةُ؛ أَي: فَإِذَا عَفَا الْوَلِيُّ فَرُبَّمَا تَحَصَّلُ الْأَلْفَةُ مِنَ الزَّوْجِ ثَانِيًا.

قوله: (أي: أن يتفضل بعضكم على بعض) أي: يفعل بعضكم مع بعض مكارم الأخلاق؛ بأن يحصل العفو عن جميع المهر من الزوج، أو تعفو الزوجة عن النصف الذي يخصها.

قوله: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ أتى بهذه الآية في خلال ما يتعلق بالأزواج والأولاد تنبيهاً على أنه لا ينبغي من العبد أن يشتغل عن حقوق سيده بأمر الأزواج والأولاد، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [المنافقون: ٩].

(١) يعني: تفسير ابن عباس الذي بيده عقدة النكاح أنه الولي يقتضي نفي وصفه بالتقوى؛ لأن ظاهر فعله يعود بالضرر على من هو وليها.

وَالصَّلَاةُ الْوُسْطَى

بَادَائِهَا فِي أَوْقَاتِهَا، ﴿وَالصَّلَاةُ الْوُسْطَى﴾ هِيَ الْعَصْرُ أَوْ الصُّبْحُ أَوْ الظُّهْرُ أَوْ غَيْرُهَا،
حَاشِيَةُ الصَّامِي

قوله: (بَادَائِهَا فِي أَوْقَاتِهَا) أَي: مع استكمال شُرُوطِهَا وفرائضِهَا وسُنَنِهَا وآدَابِهَا، فَإِنْ قُدَّ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ دَخَلَ فِي الْوَعِيدِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۖ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤-٥]، وَخَصَّ الصَّلَاةَ بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهَا عِمَادُ الدِّينِ^(١)، وَمَعْظَمُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ^(٢)، مَنْ أَقَامَهَا فَقَدْ أَقَامَ الدِّينَ، وَمَنْ هَدَمَهَا فَقَدْ هَدَمَ الدِّينَ.

قوله: (﴿وَالصَّلَاةُ الْوُسْطَى﴾) فُعْلَى مُؤَنَّثُ الْأَوْسَطِ بِمَعْنَى: الْأَفْضَلُ وَالْأَخِيرُ، لَا بِمَعْنَى: الْمَتَوَسِّطَةِ بَيْنَ شَيْئَيْنِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ فِيهِ مَزِيدٌ مَزِيَّةً، وَهُوَ مِنْ عَطْفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ، وَالنَّكْتَةُ مَزِيدُ فَضْلِهَا عَلَى غَيْرِهَا؛ كَلِيلَةُ الْقَدْرِ، فَهِيَ أَفْضَلُ اللَّيَالِي.

قوله: (هِيَ الْعَصْرُ) أَي: لِأَنَّهُ وَقْتُ نَزُولِ مَلَائِكَةِ اللَّيْلِ وَصُعُودِ مَلَائِكَةِ النَّهَارِ، وَبِهِ قَالَ الشَّافِعِيُّ^(٣).

قوله: (أَوْ الصُّبْحُ) لَمَّا ذُكِرَ^(٤)، وَلَمَّا فِي الْحَدِيثِ: «بُورِكَ لَأُمْتِي فِي بُكُورِهَا»^(٥)، وَلِأَنَّهَا تَأْتِي النَّاسَ وَهُمْ نِيَامٌ، وَبِهِ قَالَ مَالِكٌ.

قوله: (أَوْ الظُّهْرُ) أَي: لِأَنَّهَا أَوَّلُ صَلَاةٍ ظَهَرَتْ فِي الْإِسْلَامِ، وَقَوْلُهُ: (أَوْ غَيْرِهَا) قِيلَ: هِيَ الْمَغْرِبُ؛ لِأَنَّهَا وَتَرُ صَلَاةَ النَّهَارِ، وَقِيلَ: الْعِشَاءُ؛ لِأَنَّهَا تَأْتِي النَّاسَ وَهُمْ كَسَالَى، وَقِيلَ: هِيَ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ^(٦)، وَقِيلَ: هِيَ صَلَاةُ الْجُمُعَةِ، وَقِيلَ: الْجَنَازَةُ،

(١) رَوَى الْبَيْهَقِيُّ فِي «الشَّعْبِ» (٢٥٥٠) عَنْ عَمْرِو مَرْفُوعاً: «الصَّلَاةُ لَوْقَتِهَا، وَمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ فَلَا دِينَ لَهُ، وَالصَّلَاةُ عِمَادُ الدِّينِ».

(٢) كَذَا فِي النُّسخِ: (مَعْظَمُ)، وَلَعَلَّهَا: أَعْظَمُ.

(٣) أَي: الْمَعْتَمَدُ فِي مَذْهَبِهِ، وَإِلَّا فَقَدْ نَقَلَ الْحَافِظُ فِي «فَتْحِ الْبَارِي» (١٩٦/٨) أَنَّ الشَّافِعِيَّ فِي «الْأَمِّ» نَصَّ أَنَّهَا صَلَاةُ الصُّبْحِ.

(٤) مِنْ نَزُولِ الْمَلَائِكَةِ، فَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ (٥٥٥)، وَمُسْلِمٌ (٦٣٢) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعاً: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَرْجِعُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يَصَلُونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يَصَلُونَ».

(٥) رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» (٧٥٤) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعاً.

(٦) قَالَ الْعَلَامَةُ الزَّرْقَانِيُّ فِي «شَرْحِ الْمَوْطَأِ» (٤٩٥/١): (وَزَادَ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ أَنَّهَا الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ).

وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ

أَقْوَالُ، وَأَفْرَدَهَا بِالذِّكْرِ لِفَضْلِهَا، ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ﴾ فِي الصَّلَاةِ ﴿قَانِتِينَ﴾ قِيلَ: مُطِيعِينَ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «كُلُّ قُنُوتٍ فِي الْقُرْآنِ فَهُوَ طَاعَةٌ»، رَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ، وَقِيلَ: سَاكِتِينَ؛ لِحَدِيثِ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ: كُنَّا نَتَكَلَّمُ فِي الصَّلَاةِ حَتَّى نَزَلَتْ فَأَمَرْنَا بِالسُّكُوتِ، وَنُهِنَا عَنِ الْكَلَامِ. رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

﴿٢٣٩﴾ ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ مِنْ عَدُوٍّ أَوْ سَيْلٍ أَوْ سَبْعٍ،

حاشية الصاوي

وقيل: صلاة العيد^(١).

وحكمة إخفائها: ليحافظ الإنسان على ذلك كله؛ كما أخفى ليلة القدر في سائر الليالي، وساعة الإجابة في يوم الجمعة، والرجل الصالح في الخلق، واختار ابن العربي وابن أبي جمرة: أن الصلاة الوسطى هي مجموع العصر والصبح، مستدلّين بأدلة كثيرة تشهد بفضل هذين الوقتين^(٢).

قوله: (وأفردا بالذكر لفضلها) أشار بذلك لنكتة عطفها على الصلوات؛ لأنّ عطف الخاص على العام يحتاج لنكتة.

قوله: (قيل: مطيعين^(٣)) أي: لا مكرهين ولا كسالى، بل ممثّلين الأمر، مجتنبين النهي.

قوله: (وقيل: ساكتين^(٤)) أي: إلا عن ذكر الله، ويلحق به مخاطبة النبي؛ فإنها لا تبطل الصلاة.

قوله: (من عدوٍّ) أي: مسلم أو كافر، وقوله: (أو سيلٍ أو سبع) أي: دافع كلُّ منهما الناس، لو توانى واحدٌ منهم أخذه ما ذكر.

(١) قال الحافظ في «فتح الباري» (١٩٦/٨): (وجمع الدميّاطي في ذلك جزءاً مشهوراً سماه «كشف الغطا عن الصلاة الوسطى»، فبلغ تسعة عشر قولاً)، ثم أوردتها كلها مدلاً لكل قول منها.

(٢) وصحّح ابن العربي في «أحكام القرآن» (٣٠٠/١) عدم الترجيح، وأن الإيهام وقع للحكمة التي ذكرها المصنف هنا، واختار ابن أبي جمرة حكاه الخطّاب في «مواهب الجليل» (٤٠٠/١).

(٣) حديث «كل قنوت...» رواه أحمد في «المسند» (٧٥/٣) بلفظ: «كل حرف من القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة»، وبلغه هنا رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٨٠٨)، ومعنى «كل قنوت» أي: سواء كان بصيغة الفعل أو الاسم المفرد أو الجمع، ومعنى «فهي طاعة» أي: فمعناه الطاعة. «الفتوحات» (١٩٥/١).

(٤) رواه البخاري (١٢٠٠)، ومسلم (٥٣٩).

فَرَجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾
وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً

﴿فَرَجَالًا﴾ جمع (راجِلٍ)، أي: مُشَاةً صَلُّوا ﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾ جمع (راكِبٍ) أي: كَيْفَ أَمَكْنَ؛ مُسْتَقْبِلِي الْقِبْلَةِ أَوْ غَيْرِهَا، وَيُؤْمِنُ بِالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾ مِنَ الْخَوْفِ ﴿فَأَذْكُرُوا اللَّهَ﴾ أي: صَلُّوا ﴿كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ قَبْلَ تَعْلِيمِهِ مِنْ فَرَائِضِهَا وَحُقُوقِهَا. - والكاف بِمَعْنَى (مِثْل)، و(ما) مُصَدِّرِيَّةٌ أَوْ مَوْصُولَةٌ ..

﴿٢٤٠﴾ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا ﴿وَصِيَّةً﴾

حاشية الصاوي

قوله: (جمع راجل) أي: ويجمع أيضاً على (رجل) بسكون الجيم، قال تعالى: ﴿وَأُجِلَّتْ عَلَيْهِمْ بِحَبْلِكَ وَرَجُلِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤]^(١)، ويجمع أيضاً على (رُجَال) بتشديد الجيم المفتوحة.

قوله: (أي: مشاة) أي: مستقبلين القبلة.

قوله: (جمع راكب) هو في الأصل: راكب الإبل، لكن المراد به هنا: الراكب مطلقاً، إيلاً أو غيرها، ولصلاة الخوف أقسام تأتي في سورة (النساء).

قوله: (أي: صلوا) إنما سُمِّيَ الصلاة ذكراً؛ لأنها جمعت أنواع الذكر.

قوله: ﴿كَمَا عَلَّمَكُم﴾ أي: على الصفة التي علَّمَكُم إيَّاهَا قَبْلَ حُصُولِ الْخَوْفِ وَلَوْ رُكْعَةً، وَحِكْمَةُ الْإِتْيَانِ فِي جَانِبِ الْخَوْفِ بِ(إِنْ) الَّتِي تُفِيدُ الشَّكَّ، وَبِ(إِذَا) فِي جَانِبِ الْأَمْنِ الْمُفِيدَةِ لِلتَّحْقِيقِ: الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ الْأَصْلَ الْأَمْنُ وَهُوَ مُحَقَّقٌ، وَالْخَوْفُ طَارِئٌ يَزُولُ.

قوله: و(ما: موصولة) أي: والعائد محذوف، والتقدير: فاذكروا الله ذكراً مثل الذكر الذي علَّمَكُمُوهُ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ، و(ما) الثانية بدلٌ من (ما) الأولى أو من الضمير المحذوف، وقوله: (أو مصدرية) أي: تُسَبِّكُ بِمُصَدَّرٍ، وَظَاهِرُهُ: أَنَّ الْكَافَ أَيْضاً بِمَعْنَى مِثْلٍ، وَلَكِنَّهُ بَعِيدٌ، فَالْأَظْهَرُ: أَنَّهَا لِلتَّعْلِيلِ، وَالتَّقْدِيرُ: فَاذْكُرُوا اللَّهَ لِأَجْلِ تَعْلِيمِهِ إِيَّاكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ، و(ما) معمولٌ لِ(تعليم).

قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ﴾ حَاصِلُهُ: أَنَّهُ كَانَ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ يَجِبُ عَلَى الرَّجُلِ

(١) فقرة الجمهور بسكون الجيم، وقرأ حفص بكسرها. انظر «الدر المصون» (٣٨٢/٧)، وهو كصاحب وضرب.

لَا زَوْجَهُمْ مَتَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْتُمْ فِي
أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾

- وفي قراءة بالرفع أي: عليهم - ﴿لَا زَوْجَهُمْ﴾ ويعطوهن ﴿مَتَعًا﴾: ما يتمتعن به من النفقة والكسوة، ﴿إِلَى﴾ تمام ﴿الْحَوْلِ﴾ من موتهم الواجب عليهن تربصه، ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾: حال - أي: غير مخرجات من مسكنهن، ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ بأنفسهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ يا أولياء الميِّت ﴿فِي مَا فَعَلْتُمْ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ﴾ شرعاً، كالتزوين وترك الإحداد وقطع النفقة عنها، ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في ملكه، ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه. والوصية المذكورة منسوخة بآية الميراث، وتربص الحول بآية ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ السابقة المتأخرة في النزول، والسكنى ثابتة لها عند الشافعي رحمه الله.

حاشية الصاوي

إذا حضرته الوفاة أن يوصي بالنفقة والكسوة والسكنى لزوجته سنة؛ لأنها عدتها، ولا ينقطع عنها ذلك إلا بخروجها من نفسها، ثم نسخ ذلك^(١).

قوله: (وفي قراءة بالرفع) أي: وهي سبعة^(٢).

قوله: ﴿مَتَعًا﴾ مفعولٌ لمحذوف قدره المفسر بقوله: (يعطوهن).

قوله: (حال) أي: من الزوجات.

قوله: (كالتزوين وترك الإحداد) أي: فكان حلالاً في العدة.

قوله: (وقطع النفقة عنها) أي: بخروجها من نفسها من غير إخراج أحدٍ لها.

قوله: (المتأخرة في النزول) جوابٌ عن سؤال، وهو أن المتقدم لا ينسخ المتأخر! أجاب: بأنه وإن تقدم تلاوة إلا أنه متأخر في النزول.

قوله: (والسكنى ثابتة لها عند الشافعي) أي: أربعة أشهر وعشراً، وأما عند مالك فهي ثابتة لها إن كان السكن له أو نقد كراءه، وإلا.. فقدت هي كراءه ومكثت مكانها حتى تخرج من العدة.

(١) انظر «البخاري» (٤٥٣١).

(٢) قرأ بالرفع ابن كثير ونافع والكسائي وأبو بكر عن عاصم، والباقون بالنصب. انظر «الدر المصون» (٥٠٢/٢).

وَالْمُطْلَقَاتِ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَتِهِ
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ

﴿٢٤١﴾ وَالْمُطْلَقَاتِ مَتَّعٌ ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بِقَدْرِ الْإِمْكَانِ، ﴿حَقًّا﴾ - نُصِبَ بِفِعْلِهِ الْمُقَدَّرِ - ﴿عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ اللهُ تَعَالَى، كَرَّرَهُ لِيُعَمِّ الْمَمْسُوسَةُ أَيْضاً؛ إِذِ الْآيَةُ السَّابِقَةُ فِي غَيْرِهَا. ﴿٢٤٢﴾ كَذَلِكَ ﴿كَمَا بَيَّنَّ لَكُمْ مَا ذُكِرَ﴾، ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَتِهِ﴾ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ: تَتَدَبَّرُونَ.

﴿٢٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ - اسْتَفْهَامٌ تَعْجِيبٌ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَالْمُطْلَقَاتِ﴾ أي: مطلقاً، قبل الدخول أو بعده إلا مَنْ طُلِّقَتْ قبل الدخول وأخذت نصفَ الصداق فلا مُتَّعَ لها، وزاد مالكُ المختلعةَ، فلا مُتَّعَ لها أيضاً.

قوله: ﴿مَتَّعٌ﴾ أي: مُتَّعَ، وهي بقدر إمكان الزوج فقط عند مالك، وعند الشافعي بقدرهما، ويسنُّ ألا تنقص عن ثلاثين درهماً.

قوله: ﴿عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ إنما قال هنا ذلك، وقال فيما تقدم: ﴿عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾؛ لأن بعض الأعراب حين نزلت الآية الأولى طلق زوجته ولم يمتنعها، وقال: إن أردتُ أحسنتُ، وإن أردتُ لم أحسن، فنزلت: ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾^(١).

قوله: (بفعله المقدر) أي: تقديره: أحقُّه حقاً.

قوله: (إذ الآية السابقة في غيرها) أي: وأمّا هذه فهي عامّة في كلّ مطلقة ما عدا المطلقة قبل الدخول وأخذت نصف المهر، والمختلعة والمخيّرة والمملّكة عند مالك.

قوله: (كما بين لكم ما ذكر) هذا وعدٌ من الله ببيان كلّ شيء في القرآن؛ ولذا قال الشافعي: (لو ضاع مني عقالٌ بغير لوجدته في القرآن)^(٢).

قوله: (استفهام تعجب) أي: إيقاعٌ في العجب، والخطابُ قيل: للنبي، وقيل: لكل من يصلح للخطاب، وهو أولى.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٦٤/٥).

(٢) حكاها السيوطي في «الحاوي للفتاوي» (١٩٤/٢) عن ابن عباس رضي الله عنه، وقال الشافعي رحمه الله تعالى في مقدمة «رسالته» (ص ١٩): (ليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلةً إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها).

إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَخْيَلَهُمْ

وتشويق إلى استماع ما بعده - أي: يَنْتَه عِلْمُكَ ﴿إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ أربعة أو ثمانية أو عشرة، أو ثلاثون أو أربعون أو سبعون ألفاً، ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ - مفعول له - وهم قوم من بني إسرائيل، وَقَعَ الطَّاعُونَ بِبِلَادِهِمْ فَفَرُّوا، ﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾ فماتوا، ﴿ثُمَّ أَخْيَلَهُمْ﴾ بعد ثمانية أيام أو أكثر بدعاء نبيهم حزقييل - بكسر الميملة والقاف وسكون الزاي - ،

حاشية الصاوي

قوله: (وتشويق) أي: إيقاعه في الشوق؛ لأنَّ ما سبق بعد الطلب ألدَّ ممَّا سبق بلا تعب، وعطف التشويق على التعجب من عطف المسبَّب على السبب.

قوله: (أي: ينته علمك) أشار بذلك إلى أن (تري) مضمَّنة معنى (ينته)، والحاملُ له على ذلك تصريحُ الله بـ(إلى)، وإلا... (فأرى) علمية تتعدَّى للمفعولين بنفسها.

قوله: (ألفاً) تمييزٌ حذفه من الأول لدلالة الأخير عليه، وقد ذكر المفسِّر ستة أقوال؛ أصحُّها الثلاثة الأخيرة؛ لأن (ألوف) جمعُ كثرة، ومبدؤه بعد العشرة.

قوله: (مفعول له) أي: لأجله، وقد استوفى شروطه المذكورة في العربية.

قوله: (ففرّوا) أخذت الأئمة من الآية النهي عن الخروج من بلد فيها الطاعون، فقال مالك بالكراهة، والشافعي بالحرمة.

قوله: (فماتوا) قدره المفسِّر لعطف قوله: ﴿ثُمَّ أَخْيَلَهُمْ﴾ عليه، وقوله: ﴿فَقَالَ لَهُمُ﴾ قيل: المراد: على لسان ملك، وقيل: كناية عن سرعة الإيجاد.

قوله: (بعد ثمانية أيام) أي: حتى انتشرت عظامهم، وذاب لحمهم.

قوله: (حزقييل) هو الخليفة الثالث في بني إسرائيل بعد موسى؛ لأنَّ موسى لما حضرته الوفاة خلَّف يوشع بن نون، فلما حضرته الوفاة خلَّف كالب، ثم عند موته خلَّف حزقييل ويسمى ابن العجوز؛ لأنه جاءها وهي عجوز، ويلقبُ بذئ الكفل؛ لأنه كفل - أي: وقى - سبعين نبياً من القتل، ورد: أنه لما مرَّ عليهم وهم موتى قال: يا ربِّ؛ كنتُ في قوم يحمدونك ويهلِّلونك ويكبرونك، بقيتُ وحدي لا قوم لي، فأوحى الله إليه أن قل: أيُّها العظام؛ إن الله يأمرُك أن تجتمع، فاجتمعت العظام، فأوحى الله إليه أن قل: أيُّها العظام؛ إن الله يأمرُك أن تكتسي لحماً، فاكست، ثم أمره الله

إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَتِّلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾

فَعَاشُوا دَهْرًا عَلَيْهِمْ أَثَرُ الْمَوْتِ، لَا يَلْبَسُونَ ثَوْبًا إِلَّا عَادَ كَالْكَفَنِ، وَاسْتَمَرَّتْ فِي أَسْبَاطِهِمْ، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ وَمِنْهُ إِحْيَاءُ هَؤُلَاءِ، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ وَهُمْ الْكُفَّارُ ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾، وَالْقَصْدُ مِنْ ذِكْرِ خَبَرِ هَؤُلَاءِ تَشْجِيعُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ، وَلِذَا عَظَفَ عَلَيْهِ:

﴿٢٤٤﴾ وَقَتِّلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿أَي: لِإِعْلَاءِ دِينِهِ﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ ﴿لِأَقْوَالِكُمْ، عَلَيْهِ﴾ بِأَحْوَالِكُمْ

حَاشِيَةُ الصَّائِلِ

أَنْ يَقُولَ لَهَا: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقُومِي، فَقَامُوا قَائِلِينَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ^(١).
إِنْ قُلْتَ: كَيْفَ مَاتَ هَؤُلَاءِ مَرَّتَيْنِ مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ [الدخان: ٥٦]؟

قُلْتَ: إِنْ الْمَوْتَ قَبْلَ اسْتِيفَاءِ الْأَجْلِ إِمَّا عَقُوبَةُ كَمُوتِ الَّذِينَ سَأَلُوا الرُّؤْيَا قَبْلَهُمْ، أَوْ عِبْرَةُ كَمُوتِ الْعَزِيزِ وَحِمَارِهِ.

قَوْلُهُ: (فَعَاشُوا دَهْرًا) أَي: مَدَّةَ عُمْرِهِمْ.

قَوْلُهُ: (أَثَرُ الْمَوْتِ) أَي: مِنَ الصَّفْرَةِ.

قَوْلُهُ: (وَاسْتَمَرَّتْ فِي أَسْبَاطِهِمْ) أَي: أَوْلَادِهِمْ كَمَا هُوَ مُشَاهِدٌ فِي بَعْضِ الْيَهُودِ ^(٢).

قَوْلُهُ: (وَمِنْهُ إِحْيَاءُ هَؤُلَاءِ) أَي: لِيَعْتَبِرُوا وَيُظْفَرُوا بِالسَّعَادَةِ.

قَوْلُهُ: (تَشْجِيعُ الْمُؤْمِنِينَ) أَي: حَمْلُهُمْ عَلَى الْقِتَالِ.

قَوْلُهُ: (وَلِذَا عَظَفَ عَلَيْهِ) أَي: عَلَى الْخَبَرِ الْمَذْكُورِ، وَقِيلَ: مَعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿حَافِظُوا عَلَى

الصَّلَاةِ...﴾ الْآيَةُ، وَمَا بَيْنَهُمَا اعْتِرَاضٌ.

قَوْلُهُ: (لِإِعْلَاءِ دِينِهِ) أَي: لَا لَغْنِيمَةٍ، وَلَا لِإِظْهَارِ شَجَاعَةٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

قَوْلُهُ: ﴿وَأَعْلَمُوا﴾... إلخ) فِيهِ وَعْدٌ لِلْمُجَاهِدِينَ، وَوَعِيدٌ لِمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُمْ.

(١) انظر روايات الخبر عند الطبري في «تفسيره» (٢٦٨/٥).

(٢) قول السيوطي: (لا يلبسون ثوبًا إلا عاد كالكفن) أَي: فِي التَّغْيِيرِ كَتَغْيِيرِ أَكْفَانِ الْمَوْتَى. «الفتوحات» (١٩٨/١).

مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً

فمُجَارِيكُمْ.

﴿٢٤٥﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ بِإِنْفَاقٍ مَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ بِأَنْ يُنْفِقَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ طِيبِ قَلْبٍ، ﴿فَيُضْعِفُهُ﴾ - وفي قِرَاءة: (فَيُضْعِفُهُ) بِالتَّشْدِيدِ - ﴿لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ مِنْ عَشْرِ إِلَى أَكْثَرٍ مِنْ سَبْعِمِائَةٍ كَمَا سَيَأْتِي،

حاشية الصاوي

قوله: (فمُجَارِيكُمْ) أي: على ما يعلم منكم، فالجزاء على حسب البواطن لا الظواهر.

قوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي﴾ يحتمل أن ﴿مَنْ﴾ اسم استفهام مبتدأ، و﴿ذَا﴾: خبر، و﴿الَّذِي﴾: بدلٌ منها، و﴿يُقْرِضُ﴾: صلة الموصول لا محل لها من الإعراب، ويحتمل أن ﴿مَنْ ذَا﴾ اسم استفهام مبتدأ، و﴿الَّذِي﴾: خبر، و﴿يُقْرِضُ﴾: صلة الموصول.

قوله: ﴿يُقْرِضُ اللَّهَ﴾ أي: يسلفه، وهذا من تنزلات المولى لعباده، حيث خاطبهم مخاطبة المحتاج المضطر مع أنه غني عنهم رحمة بهم؛ على حد: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]، وسمّاه هنا قرضاً، وفي آية (براءة) بيعاً، وفي الحقيقة لا بيع ولا قرض؛ لأنَّ المُلْكَ كُلَّهُ لَهُ، وحينئذٍ فليست مضاعفته على ذلك ربا؛ لأنه لا تجري أحكام الربا بين السيد وعبدِ الحادثين لملكه له صورة، فأولى بين السيد المالك القديم وعبدِ الذليل الضعيف الذي لا يملك شيئا أصلاً، فمن إحسانه عليه خلق ونسب إليه^(١).

قوله: ﴿قَرْضًا﴾ مفعول مطلق لقوله: ﴿يُقْرِضُ﴾.

قوله: (عن طيب قلب) أي: لا رياء ولا سمعة، بل يُنْفِقُهُ من حلال خالصاً لله.

قوله: ﴿فَيُضْعِفُهُ﴾ بالرفع والنصب، والتشديد والتخفيف، قراءات أربع سبعة، فالرفع عطف على ﴿يُقْرِضُ﴾، والنصب بـ(أن) مضمرة بعد فاء السببية في جواب الاستفهام^(٢).

قوله: (كما سيأتي) أي: في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ...﴾ الآية، وكثرة المضاعفة على حسب الإخلاص، قال عليه الصلاة والسلام: «الله الله

(١) وفي «حكم ابن عطاء» (١٢٩): (إذا أراد أن يظهر فضله عليك.. خلق ونسب إليك).

(٢) قرأ عاصم وابن عامر هنا وفي «الحديد» بنصب الفاء، إلا أن ابن عامر يشدد العين من غير ألف، والباقون برفعها، إلا أن ابن كثير يشدد العين من غير ألف. «الدر المصون» (٥٠٩/٢).

وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ

﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ﴾ : يُمَسِّكُ الرِّزْقَ عَمَّنْ يَشَاءُ ابْتِلَاءً، ﴿وَيَبْصُطُ﴾ : يُوسِّعُهُ لِمَنْ يَشَاءُ امْتِحَانًا،
﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ فِي الْآخِرَةِ بِالْبَعْثِ، فَيُجَازِيكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ.

﴿٢٤٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ :

حاشية الصاوي

فِي أَصْحَابِي، لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا مِنْ بَعْدِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا
مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ^(١).

قوله : ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ﴾ هذا كالدليل لما قبله؛ أي : إن الإنفاق لا يقبض الرزق، وعدمه
لا ييسطه، بل القابض الباسط هو الله.

قوله : (ابتلاء) أي : اختباراً، هل يصبرون ولا يشكون أم لا؟

قوله : (امتحاناً) أي : هل يشكرون أم لا؟ فالمطلوب من الإنسان أن يكون كما قال الشاعر : [الكامل]

إِسْتَعْنِ مَا أَغْنَاكَ رَبُّكَ بِالْغِنَى وَإِذَا تُصِيبَكَ خَصَاصَةٌ فَتَجَمَّلِ^(٢)

فلا يشكو ربّه في حال فقره، ولا يطغى في حال غناه، قال أهل الإشارات : في الآية إشارة
خفية إلى أن القبض لا بدّ وأن يعقبه بسط، بخلاف العكس.

قوله : (فيجازيكم بأعمالكم) أي : يثيب المنفق ويعذب الممسك.

قوله : ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ضَمَنْتَ معنًى (يَنْتَه) فَعَدَّيْتُ بِ(إِلَى) كما تقدّم نظيره، والاستفهام هنا نظير
ما تقدّم، فالمقصود من ذكر هذه القصة : العبرة؛ حيث كانوا كثيراً ولو لم يوجد الصدق في غالبهم،
فالمعنى : لا تكونوا - يا أمة محمد - كمّن ذكروا في الجبن والمخالفة.

(١) جمع رحمه الله بين حديثين؛ فقد روى الترمذي (٣٨٦٢) عن عبد الله بن مغفل مرفوعاً : «الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه»، وروى البخاري (٣٦٧٣) عن أبي سعيد الخدري، ومسلم (٢٥٤٠) عن أبي هريرة مرفوعاً : «لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحُدٍ ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه».

(٢) هو عبد القيس بن خفاف البرجمي، قاله في قصيدة ينصح بها ابنه. انظر «المفضليات» (ص ٣٨٥)، و«الأصمعيات» (ص ٢٣٠)، والبيت فيه شاهد لجزم (إذا) كما ترى، وانظر «خزانة الأدب» (الشاهد ٢٩٢)، والتجمل : تكلف الجميل وإظهار حسن الحال.

مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا

الْجَمَاعَةُ ﴿مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾ أَي: إِلَى قِصَّتِهِمْ وَخَبَرِهِمْ، ﴿إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ﴾ هُوَ شَمُوِيلُ: ﴿أَبْعَثْ﴾: أَقِمْ ﴿لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ﴾ مَعَهُ ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ تَنْتَظِمُ بِهِ كَلِمَتَنَا وَنَرْجِعُ إِلَيْهِ، ﴿قَالَ﴾ النَّبِيُّ لَهُمْ: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾ - بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ - ﴿إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾ - خَبَرَ (عَسَى)، وَالْأَسْتِفْهَامُ لِتَقْرِيرِ التَّوَقُّعِ بِهَا -

حاشية الصاوي

قوله: (الجماعة) أي: الأشراف؛ لأنهم هم الذين يملؤون العين هيبة وأنساً.

قوله: (﴿مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾) (﴿مِنْ﴾): تَبْعِيضِيَّةٌ، وَحَاصِلُ مَبْدَأِ تِلْكَ الْقِصَّةِ: أَنَّهُ عِنْدَ وَفَاةِ مُوسَى خَلَفَ اللَّهُ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ يَوْشَعَ بْنِ نُونٍ، فَقَامَ بِالْخِلَافَةِ حَقَّ الْقِيَامِ، ثُمَّ لَمَّا مَاتَ تَخَلَّفَ عَلَيْهِمْ كَالْبُ، ثُمَّ حِزْقِيلُ، ثُمَّ إِيَّاسُ، ثُمَّ الْيَسَعُ، فَقَامُوا جَمِيعاً بِالْخِلَافَةِ كَمَنْ قَبْلَهُمْ، ثُمَّ ظَهَرَتْ لَهُمُ الْعِمَالِقَةُ وَكَانُوا فِي بَلَدٍ قَرِيبَةٍ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدَسِ يُقَالُ لَهَا: فِلَسْطِينَ، وَهُمْ مِنْ أَوْلَادِ عِمْلِيقَ بْنِ عَادٍ، فَغَلَبُوا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ بِلَادِهِمْ، وَأَسْرَوْا مِنْ أَبْنَاءِ مُلُوكِهِمْ أَرْبَعَ مِائَةَ وَزِيَادَةً، وَضَرَبُوا عَلَيْهِمُ الْجَزْيَةَ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ إِذْ ذَاكَ نَبِيٌّ وَلَا ذُرِّيَّةُ نَبِيٍّ إِلَّا امْرَأَةٌ حَبْلَى مِنْ ذُرِّيَّةِ لَآوِيٍّ مِنْ أَوْلَادِ يَعْقُوبَ، فَوُلِدَتْ غُلَاماً فَسَمَّاهُ شَمُوِيلَ، فَلَمَّا كَبُرَ نَبَأُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَأَرْسَلَهُ إِلَيْهِمْ، ثُمَّ إِنَّهُمْ طَلَبُوا مِنْهُ مَلِكاً يَقِيمُ أَمْرَهُمْ وَيُرْشِدُهُمْ لِمَا فِيهِ صَلَاحُهُمْ، فَأَقَامَ لَهُمْ طَالُوتَ، إِلَى آخِرِ مَا قَصَّ اللَّهُ.

قوله: (﴿مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾) (﴿مِنْ﴾): ابْتِدَائِيَّةٌ.

قوله: (إلى قصتهم وخبرهم) بيانٌ للمراد من الآية؛ لأنه لا معنى لرؤية ذواتهم.

قوله: (﴿نُقَاتِلَ﴾) مجزومٌ في جواب الأمر.

قوله: (والاستفهام لتقرير التوقع) والمعنى: أترقب منكم عدم القيام بالقتال، وقوله: (خبر عسى) أي: واسمها التاء، وقوله: (﴿إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾) جملةٌ معترضةٌ بين اسمها وخبرها، وجوابُ الشرط محذوفٌ تقديره: فلا تقاتلوا^(١).

(١) وقول السيوطي: (عسيتم بالفتح والكسر) قرأ نافع بكسر السين، وهي لغة في (عسى) مع التاء ونون الإناء، وقرأ

الباقون بالفتح. انظر «الدر المصون» (٢/٥١٥).

قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجَنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ

﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجَنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾ بِسَبِيلِهِمْ وَقَاتِلِهِمْ، وقد فعلَ بِهِمْ ذلك قومُ جالوت، أي: لا مانعَ لنا منه مع وجودِ مُقتَضِيهِ، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا﴾ عنه وَجَبُوا ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ وَهُمْ الَّذِينَ عَبَرُوا النَّهْرَ مع طَالُوتَ كما سيأتي،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ﴾ (ما): استفهامية بمعنى شيء، مبتدأ، و﴿لَنَا﴾: متعلقٌ بمحذوف خبر، و﴿أَنَّ﴾: مقدَّرٌ قبلها الجار، و﴿لَا﴾: بمعنى عدم، ويكون المعنى: أيُّ شيء ثبت لنا في عدم القتال؟

قوله: ﴿وَقَدْ أَخْرَجَنَا﴾ جملةٌ حالية، والمعنى: أخرجَ أصولنا وأبناؤهم^(١).

قوله: (فعل بهم ذلك قوم جالوت) أي: حين مات آخر نبيِّ لهم وهو اليسع، وضربوا عليهم الجزية، وأسروا من أبناء ملوكهم أربع مئة ألف وشيئاً فضلاً عن غيرهم.

قوله: (أي: لا مانع لنا منه) تفسيرٌ للمعنى المراد من الآية.

قوله: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾ مرتَّبٌ على محذوف تقديره: فدعا شَمُوِيلَ رَبَّهُ بذلك، فبعث لهم ملكاً، وكتبَ عليهم القتال، فلما كتب عليهم... إلخ.

قوله: (وَجَبُّوا) عطف تفسير، وهو تركُ القتال خوفَ الموت، وسيأتي بيانُ جُبْنِهِمْ.

قوله: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ منصوبٌ على الاستثناء من الواو في ﴿تَوَلَّوْا﴾، وهو استثناءٌ متصل، وكان عدَّتْهُمْ ثلاث مئة وثلاثة عشر.

(١) قال العلامة السمين في «الدر المصون» (٥١٨/٢): «وأبناؤنا» عطف على «ديارنا» أي: ومن أبناؤنا، فلا بدَّ من حذف مضاف تقديره: «من بين أبناؤنا»، كذا قدَّره أبو البقاء، وقيل: إن هذا على القلب، والأصل: وقد أخرج أبناؤنا منا، ولا حاجة إلى هذا)، واختار الأجهوري في «الكوكبين» أن فعل (أخرجنا) ضَمَّنَ معنى أبعدنا. انظر «الفتوحات» (٢٠٠/١).

لطيفة: قال الإمام القشيري في «لطائف الإشارات» (٢٣٦/١): (يقال: إنهم أظهروا التصلب والجِدَّةَ في القتال ذُبًا عن أموالهم ومنازلهم، فلذلك لم يَتِمَّ قصدُهم؛ لأنه لم يخلُصَ لحقِّ الله عزُّمُهم، ولو أنهم قالوا: وما لنا أَلَّا نقاتلَ في سبيلِ الله لأنه قد أمرنا وأوجب علينا؛ فإنه سيدُّنا ومولانا، ويجب علينا أمره.. لعلهم وُفقوا لإتمام ما قصدوه).

وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ فمُجَازِيهِمْ.

﴿٢٤٧﴾ وَسَأَلَ النَّبِيُّ رَبَّهُ إِرْسَالَ مَلِكٍ، فَأَجَابَهُ إِلَى إِرْسَالِ طَالُوتَ، ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى﴾: كَيْفَ ﴿يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ سِبْطِ الْمَمْلَكَةِ وَلَا النَّبُوءَةِ، وَكَانَ دَبَّاعًا أَوْ رَاعِيًا، ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾ يَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى إِقَامَةِ الْمُلْكِ، ﴿قَالَ﴾ النَّبِيُّ لَهُمْ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ﴾: اخْتَارَهُ لِلْمُلْكِ ﴿عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً﴾: سَعَةً ﴿فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾، وَكَانَ أَعْلَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَوْمَئِذٍ وَأَجْمَلَهُمْ وَأَتَمَّهُمْ خَلْقًا،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ أي: منهم، وهذا وعيدٌ عظيم لمن جبن عن القتال.

قوله: (كيف) تفسير لـ ﴿أَنَّى﴾، والعاملُ فيه ﴿يَكُونُ﴾.

قوله: (لأنه ليس من سبط المملكة) أي: لكونه لم يكن من ذرية يهوذا بن يعقوب، وقوله: (ولا النبوة) أي: لكونه لم يكن من ذرية لاوي، بل هو من ذرية بنيامين أصغر أولاد يعقوب، وكانت ذريته لا نبوة فيهم ولا مملكة، بل أُقيموا في الحِرفِ الدنيئة من أجل معاصيهم^(١).

قوله: ﴿سَعَةً﴾ أصله: وَسَعٌ، حذفت فاء الكلمة وهي الواو وعُوْضَ عنها تاءُ التانيث كما في عِدَّةٍ وَزِنَةٍ، وحُذفت في مضارعه لوقوعها بين عدوّتيها؛ لأن أصله: يَوْسِعُ.

قوله: (وكان أعلم بني إسرائيل) فكان يحفظ التوراة، وقوله: (وأتمهم خلقاً) أي: فكان يزيدُ على أهل زمانه بكتفيه ورأسه، قيل: ورد أنه لما دعا شَمُوِيلُ رَبَّهُ أَنْ يَبْعَثَ لَهُمْ مَلِكًا أَعْطَاهُ اللَّهُ قَرْنًا فِيهِ طَيْبًا - وَيَسْمَى طَيْبَ الْقُدُسِ - وَعَصًا، وَأَوْحَى إِلَيْهِ: إِذَا دَخَلَ عَلَيْكَ رَجُلٌ اسْمُهُ طَالُوتُ فَانْظُرْ فِي الْقَرْنِ، فَإِذَا فَرَ فَادْهَنْ رَأْسَهُ بِهِ، وَقِسْهُ بِالْعَصَا، فَإِذَا جَاءَ طَوْلُهَا فَهُوَ الْمَلِكُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ فَعَلَ

(١) الخبر رواه الطبري في «تفسيره» (٣٠٦/٥) عن وهب بن منبه.

وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ

﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ﴾ إيتاءه لا اعتراض عليه، ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ فضله، ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن هو أهل له.

﴿٢٤٨﴾ ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾ لَمَّا طَلَبُوا مِنْهُ آيَةً عَلَى مُلْكِهِ: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾: الصُّنْدُوقُ كَانَ فِيهِ صُورُ الْأَنْبِيَاءِ،

حاشية الصاوي

به كما أمر، فإذا هو طولها، ثم دهن رأسه بذلك الدهن وقال له: إن الله جعلك ملكاً على بني إسرائيل، فقال: كيف ذلك مع أي أدنى منهم؟ فقال له: الله يؤتي ملكه من يشاء^(١).

قوله: ﴿﴿عَلِيمٌ﴾﴾ بمن هو أهله) أي: فلا حرج عليه في فعل ولا ترك.

قوله: ﴿﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾﴾ أي: حين استبعدوا مجيء الملك له.

قوله: (لما طلبوا منه آية) (لما): بمعنى حين، ظرف لقوله: ﴿﴿قَالُوا﴾﴾ أي: وقع منهم القول وقت طلبهم منه آية.

قوله: (الصندوق) ويقال: بالزاي والسين، وكل من الثلاثة إما مفتوح أو مضموم، أفصحها بالصاد مع الضم، وكان من خشب الشُّمُشَار^(٢)، طولُه ثلاثة أذرع، وعرضُه ذراعان، مموّه بالذهب، وكان عند آدم، فيه صورُ الأنبياء جميعهم، وفيه صورةُ محمد وبيته وأصحابه وقيامه يُصلي بينهم^(٣)، ثم توارثه ذريةُ آدم إلى أن وصل لموسى، فكان يضعُ فيه التوراة، ووضع بقية الألواح التي تكسرت، ثم أخذه بنو إسرائيل بعد موسى، وكانوا إذا خرجوا للقتال يقدمونه بين أيديهم، وكانت الملائكة تحمله فوق رؤوس المقاتلين، ثم يشرعون في القتال، فإذا سمعوا صيحةً تيقنوا النصر، فلما انقرضت أنبياءهم.. سلَّط الله عليهم العمالقة بسبب فسادهم، فأخذوا منهم الصندوق وجعلوه في موضع البول

(١) «تفسير البغوي» (١/٣٣٣)، و«تفسير الخازن» (١/١٨٠).

(٢) في «الفتوحات» (١/٢٠١) بالذال بدل الراء، قال العلامة الشهاب في «حاشيته على البيضاوي» (٢/٣٢٧):

(وشمشاذ بالذال والبدال: شجر السرو، وشمشار بالراء وشمشير: شجر الصمغ، وكله فارسية)، وانظر «تاج

العروس» (ش م ش ذ).

(٣) كذا في «تفسير الثعالبي» (٢/٢١٢).

فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ
الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ آدَمَ وَاسْتَمَرَ إِلَيْهِمْ، فَغَلَبَتْهُمْ الْعَمَالِقَةُ عَلَيْهِ وَأَخَذُوهُ، وَكَانُوا يَسْتَفْتِحُونَ بِهِ
عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ وَيُقَدِّمُونَهُ فِي الْقِتَالِ وَيَسْكُنُونَ إِلَيْهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ﴾:
طُمَأْنِينَةٌ لِّقُلُوبِكُمْ ﴿مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَارُونَ﴾ أَي: تَرَكَاهُ
هُمَا، وَهِيَ نَعْلَا مُوسَىٰ وَعَصَاهُ، وَعِمَامَةُ هَارُونَ، وَقَفِيزٌ مِنَ الْمَنِّ الَّذِي كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ،
وَرُضَاضٌ مِنَ الْأَلْوَا حِ، ﴿تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ - حَالٌ مِّن فَاعِلٍ ﴿يَأْتِيَكُمْ﴾ - ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَآيَةً لَّكُمْ﴾ عَلَى مُلْكِهِ ﴿إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾، فَحَمَلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
حَاشِيَةُ الصَّائِلِ

والغائط، فلما أَرَادَ اللَّهُ إِظْهَارَ مُلْكِ طَالُوتَ . . سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْبَلَاءَ، فَكَانَ كُلُّ مَنْ بَالَ عِنْدَهُ ابْتَلِيَ
بِالْبَوَاسِيرِ، حَتَّى خَرِبَتْ خَمْسُ بِلَادٍ مِّنْ بِلَادِهِمْ، فَلَمَّا كَثَرَ خَوْفُهُمْ مِنْهُ . . أَخْرَجُوهُ لِلْخَلَاءِ، ثُمَّ حَمَلَتْهُ
الْمَلَائِكَةُ وَأَتَتْ بِهِ لَطَالُوتَ^(١).

قوله: (أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ آدَمَ) أَي: ثُمَّ تَوَارَثَهُ ذُرِّيَّتُهُ مِنْ بَعْدِهِ.

قوله: (فَغَلَبَتْهُمْ الْعَمَالِقَةُ) أَي: بَعْدَ مَوْتِ أَنْبِيَائِهِمْ.

قوله: (وَكَانُوا يَسْتَفْتِحُونَ بِهِ) أَي: يَطْلُبُونَ الْفَتْحَ وَالنَّصْرَ بِهِ.

قوله: (وَيَسْكُنُونَ إِلَيْهِ) أَي: وَيَطْمَتِنُونَ بِقُدُومِهِ عَلَى الْعَدُوِّ.

قوله: (طُمَأْنِينَةٌ لِّقُلُوبِكُمْ) أَي: فَ(فِي) لِلْسَّبِيَّةِ، فَالْمَعْنَى: أَنَّ السَّكِينَةَ تَحْصُلُ بِسَبَبِهِ وَمِنْ أَجَلِهِ،

وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالسَّكِينَةِ: صُورَةٌ مِّن زَبْرَجَدٍ عَلَى صُورَةِ الْهَرَّةِ غَيْرَ أَنَّ لَهَا جَنَاحَيْنِ، فَإِذَا صَوَّتَتْ
فِي الصَّنَدُوقِ اسْتَبَشَرُوا بِالنَّصْرِ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالسَّكِينَةِ: صُورُ الْأَنْبِيَاءِ، فَالظَّرْفِيَّةُ عَلَى بَابِهَا.

قوله: (أَي: تَرَكَاهُ هُمَا) بَيَانٌ لِلْمُرَادِ مِنَ الْآيَةِ، فَأُطْلِقَ الْآلَ وَأَرَادَ مِنْهُ نَفْسَ مُوسَىٰ وَهَارُونَ،
وَكَثِيرًا مَا يُطْلَقُ آلُ الرَّجُلِ عَلَى الرَّجُلِ نَفْسِهِ.

قوله: (وَرُضَاضٌ الْأَلْوَا حِ) أَي: كِسْرُهَا.

قوله: (حَالٌ مِّن فَاعِلٍ ﴿يَأْتِيَكُمْ﴾) أَي: وَهُوَ التَّابُوتُ.

قوله: (﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾) أَي: إِتْيَانِ التَّابُوتِ عَلَى الْوَصْفِ الْمَذْكُورِ.

(١) الْخَبَرُ بِطَوْلِهِ عِنْدَ الْبَغَوِيِّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (١/٣٣٥).

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي
وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ

وَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، حَتَّى وَضَعَتْهُ عِنْدَ طَالُوتَ، فَأَقْرَأُوا بِمُلْكِهِ وَتَسَارَعُوا إِلَى الْجِهَادِ، فَاخْتَارَ
مِنْ شَبَّانِهِمْ سَبْعِينَ أَلْفًا.

﴿٢٤٩﴾ ﴿فَلَمَّا فَصَلَ﴾: خَرَجَ ﴿طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَكَانَ الْحَرُّ شَدِيدًا
وَطَلَبُوا مِنْهُ الْمَاءَ، ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ﴾: مُخْتَبِرُكُمْ ﴿بِنَهَرٍ﴾ لِيُظْهَرَ الْمُطِيعُ مِنْكُمْ
وَالْعَاصِي، وَهُوَ بَيْنَ الْأُرْدُنِّ وَفِلَسْطِينَ، ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ﴾ أَي: مِنْ مَائِهِ ﴿فَلَيْسَ مِنِّي﴾
أَي: مِنْ أَتْبَاعِي، ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ﴾: يَذُقْهُ ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً﴾ - بِالْفَتْحِ
وَالضَّمِّ - ﴿بِيَدِهِ﴾ فَاكْتَفَى بِهَا وَلَمْ يَزِدْ عَلَيْهَا، فَإِنَّهُ مِنِّي، ﴿فَشَرَبُوا مِنْهُ﴾ لَمَّا وَافَوْهُ بِكَثْرَةِ،

حاشية الصاوي

قوله: (فاختار من شبابه) أي: الذين لا شاغلَ لهم دُنْيَوِي؛ لَأَنَّهُ كَانَ لَا يَأْخُذُ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ بِنَاءٌ
لَمْ يَتِمَّ، وَمَنْ عَقَدَ عَلَى زَوْجَةٍ وَلَمْ يَدْخُلْ، وَمَنْ كَانَ مَشْغُولًا بِتِجَارَةٍ.

قوله: (سبعين ألفاً) وقيل: ثمانون ألفاً، وقيل: مئة ألف وعشرون ألفاً.

قوله: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ﴾ أي: انفصل، وهو مرْتَبٌّ عَلَى مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ: فَجَمَعَهُمْ.

قوله: (وهو بين الأردن) بفتح الهمزة وسكون الراء وضم الدال وتشديد النون^(١)، موضع قريب
من بيت المقدس، وقوله: (وفلسطين) بفتح الفاء وكسرها وفتح اللام لا غير، قال بعضهم: إنه قرية،
وقال بعضهم: إنه عِدَّةُ قُرَى قَرَبَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ.

قوله: ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ﴾ أي: بكثرة؛ بدليل ما بعده، وهذا النهر باقٍ يَجْرِي إِلَى الْآنَ بَيْنَ
الْخَلِيلِ وَغَزَّةَ.

قوله: (يذقه) أشارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الطَّعْمَ بِمَعْنَى الذَّوْقِ يُطْلَقُ عَلَى الْمَأْكُولِ وَالْمَشْرُوبِ^(٢).

قوله: (بالفتح والضم) قراءتان سبعيتان بمعنى: الشيء المغروف، وقيل: بالفتح: اسمٌ

(١) كَذَا فِي النسخ، وَضَبَطَهُ يَاقُوتٌ فِي «مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ» (١/١٤٧) بِضَمِّ أَوَّلِهِ، وَكَذَا فِي «الْفَتْوحَاتِ» (١/٢٠٢)، وَلَعَلَّهُ
الصَّوَابُ.

(٢) الطَّعْمُ بِفَتْحِ الطَّاءِ وَسُكُونِ الْعَيْنِ بِمَعْنَى الذَّوْقِ، وَيَجُوزُ ضَمُّ الطَّاءِ وَلَكِنَّهُ لَا يَخْتَصُّ بِالذَّوْقِ.

إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلْكُوا اللَّهَ كَمِ مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةُ كَثِيرَةٍ بِإِذْنِ اللَّهِ

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ فاقْتَصَرُوا عَلَى الْغُرْفَةِ، رُوِيَ أَنَّهَا كَفَتْهُمْ لِشُرْبِهِمْ وَدَوَابِّهِمْ وَكَانُوا ثَلَاثِمِائَةً وَبِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾ وَهُمْ الَّذِينَ اقْتَصَرُوا عَلَى الْغُرْفَةِ، ﴿قَالُوا﴾ أَي: الَّذِينَ شَرِبُوا: ﴿لَا طَاقَةَ﴾: قُوَّةٌ ﴿لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ أَي: بِقِتَالِهِمْ، وَجَبُّوا وَلَمْ يُجَاوِزُوهُ، ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾: يُوقِنُونَ ﴿أَنَّهُمْ مُّلْكُوا اللَّهَ﴾ بِالْبَعَثِ، وَهُمْ الَّذِينَ جَاوَزُوهُ: ﴿كَمِ﴾ - خَبَرِيَّةٌ بِمَعْنَى: كَثِيرٌ - ﴿مِّن فِتْنَةٍ﴾: جَمَاعَةٍ ﴿قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةُ كَثِيرَةٍ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: بِإِرَادَتِهِ،

حاشية الصاوي

للاعتراف، وبالضم: اسمٌ للشيء المغروف، وقيل: بالفتح والضم بمعنى: المصدر، أشهرها: أوسطها^(١).

قوله: ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ استثناءٌ من قوله: ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ﴾ المقيّد بالكثرة، فالمعنى: إلا قليلاً شربوا منه بقلّة، فيؤخذ منه أن الجميع شربوا لكن أكثرهم شرب بكثرة، وأقلهم شرب منه بقلّة.

قوله: (وبضعة عشر) البضعة: من ثلاثة عشر إلى تسعة عشر، لكن المراد بها هنا ثلاثة عشر كما في أكثر الروايات، وهم عدّة غزوة بدر^(٢).

قوله: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ﴾ أي: تعدّاه.

قوله: ﴿وَجُنُودِهِ﴾ قيل: عدّتهم مئة ألف شاكي السلاح، وقيل: أكثر، وكان طول جالوت ميلاً، وخودته التي على رأسه ثلاث مئة رطل.

قوله: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّلْكُوا اللَّهَ﴾ استشكل: بأن من شرب كثيراً مؤمنون!^(٣)

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح الغين، والباقون بضمها. انظر «الدر المصون» (٢/٥٢٧).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٥١٠) عن سعيد بن جبيرة، والبضعة من الثلاثة إلى التسعة، فبيانها هنا لمراعاة السياق.

(٣) لظاهر قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾، والإمام السيوطي جرى أن الذين شربوا لم يجاوزوا النهر، بل قالوا هذا القول وهم على ساحله معتذرين عن التخلف، وعامة المفسرين أنهم جاوزوه ثم رجعوا منهزمين. انظر «الفتوحات» (١/٢٠٣).

وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا مَبْرَأً
وَكُنِيتَ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ
دَاوُدُ

﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بِالْعَوْنِ وَالنَّصْرِ.

﴿٢٥٠﴾ ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ أي: ظَهَرُوا لِقِتَالِهِمْ وَتَصَافَّوْا، ﴿قَالُوا رَبَّنَا
أَفْرِغْ﴾: اصْبُبْ ﴿عَلَيْنَا مَبْرَأً وَكُنِيتَ أَقْدَامَنَا﴾ بِتَقْوِيَةِ قُلُوبِنَا عَلَى الْجِهَادِ، ﴿وَانصُرْنَا عَلَى
الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿٢٥١﴾ ﴿فَهَزَمُوهُمْ﴾: كَسَرُوهُمْ ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: بِإِرَادَتِهِ، ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ﴾ وَكَانَ فِي عَسْكَرِ
طَالُوتَ

حاشية الصاوي

وأجيب: بأنه سلب إيمانهم بكثرة الشرب، وأجيب أيضاً: بأن المراد: يظنون أنهم ملاقوا الله؛
أي: بالموت في تلك الواقعة، فلا أمل لهم في الحياة.

قوله: ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ قيل: من كلامهم، وقيل: من كلام الله بشارة لهم، والمراد معية
معنوية خاصة.

قوله: (أي: ظهروا لقتالهم) أي: فلم يبقَ بينهم حجابٌ أبداً، بل خرجوا في البرازِ الذي
هو صحراء الأرض.

قوله: (أَصْبُبْ ﴿عَلَيْنَا مَبْرَأً﴾) أي: كصب الماء على الأرض الجُرْز.

قوله: ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ﴾ أي: ابن إيشى^(١)، وكان إيشى من جملة عسكر طالوت، وكان أولاده
ثلاثة عشر معه أصغرهم داوود، وكان يرعى الغنم، فلما خرجوا للقتال . . مرَّ داوود بحجرٍ فناداه:
يا داوود! احملني فإني حجرٌ هارون، فحمله، ثم مرَّ بآخر فقال له: احملني فإني حجرٌ موسى،
فحمله، ثم مرَّ بآخر فقال له: احملني فإني حجرٌ الذي تقتلُ به جالوت، فحمله، ووضع الثلاثة
في مخلاته، فلما تصافَّوا للقتال نادى طالوت: كُلُّ مَنْ يَقتُلُ جالوت فإني أزوجه ابنتي وأناصفه

(١) بوزان كسرى كما في «الفتوحات» (٢٠٤/١)، ورسمت في النسخ بالممدودة، والألف التي تكون آخر اللفظ

الأعجمي تكون مقصورة.

جَالُوتَ وَءَاتَكَهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ

﴿جَالُوتَ وَءَاتَكَهُ﴾ أي: داوُدَ ﴿اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ في بني إسرائيل، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: النبوة بعد موت شمويل وطالوت، ولم يجتمعاً لأحد قبله، ﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ كصناعة الدروع ومنطق الطير، ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ﴾

حاشية الصاوي

في ملكي، فلم يتقدّم أحد، فسأل طالوت شمويل، فدعا ربّه فأتى بقرن فيه دهن، وقيل له: الذي يقتل جالوت هو الذي إذا وُضِعَ الدهنُ على رأسه لا يَسِيلُ على وجهه، فدعا طالوت القوم وصار يدهن رؤوسهم، فلم تصادف تلك الصفة أحداً، إلى أن وصل لداوود فصادف، فقال له: أنت تبرّأ له، فقال: نعم، فأتى بالمقلاع وأخرج حجراً من مخلاته وقال: باسم ربّ إبراهيم، وأخرج حجراً آخر وقال: باسم ربّ إسحاق، وأخرج آخر وقال: باسم ربّ يعقوب، ثم وضعها في مقلاعه فصارت الثلاثة حجراً واحداً، فرمى به جالوت فأصابه في خوذته وخرج من دماغه فقتل ثلاثين رجلاً، فأخذ داوود جالوت حتى ألقاه بين يدي طالوت، وفرّح هو ومن معه من بني إسرائيل، وزوّجه ابنته وأعطاه نصف الملك، فمكث كذلك أربعين سنة، فلما مات طالوت وشمويل انفرد بالملك، فعاش نبياً ملكاً سبع سنين، ثم خلفه سليمان ولده في النبوة والملك^(١).

قوله: ﴿وَأَتَاكَهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ أي: استقلالاً سبع سنين.

قوله: (كصناعة الدروع) أي: وكان يَلِينُ في يده من غير نار، وينسجُه كالغزل.

قوله: (ومنطق الطير) أي: فهم أصواتها، بل وجميع الحيوانات.

قوله: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ﴾ أي: لولا أن الله يدفع الناس وهم أهل الكفر والمعاصي ببعض الناس وهم أهل الإيمان والطاعة.. لَغَلَبَ المشركون على الأرض فقتلوا المؤمنين، وخربوا المساجد والبلدان، وقيل: معناه: لولا دفع الله بالمؤمنين والأبرار عن الكفار والفجار.. لفسدت الأرض؛ أي: هلكت ومن فيها، ولكن الله يدفع بالمؤمنين عن الكفار وبالصالحين عن الفاجر، وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يدفع بالمسلم عن مئة من أهل بيت من جيرانه البلاء، ثم قرأ: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ...﴾ الآية»^(٢).

(١) الخبر عن ابن إسحاق رواه الطبري في «تفسيره» (٣٥٦/٥).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢١٥/١٣)، والطبري في «تفسيره» (٣٧٤/٥)، وعليه الباء في «يدفع بالمسلم» للسببية.

بَعْضُهُمْ يَبْغِضُ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾
تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا
بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ

بَعْضُهُمْ ﴿٢٥١﴾ - بَدَلُ بَعْضٍ مِنَ ﴿النَّاسِ﴾ - ﴿يَبْغِضُ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ بِغَلَبَةِ الْمُشْرِكِينَ وَقَتْلِ
الْمُسْلِمِينَ وَتَخْرِيبِ الْمَسَاجِدِ، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾، فَدَفَعَ بَعْضُهُمْ
بِبَعْضٍ.

﴿٢٥٢﴾ ﴿تِلْكَ﴾: هَذِهِ الْآيَاتُ ﴿آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا﴾: نَقُصُّهَا ﴿عَلَيْكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ
﴿بِالْحَقِّ﴾: بِالصُّدُقِ، ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾. - التَّأْكِيدُ بِ(إِنَّ) وَغَيْرِهَا رَدُّ لِقَوْلِ الْكُفَّارِ
لَهُ: (لَسْتَ مُرْسَلًا) ..

﴿٢٥٣﴾ ﴿تِلْكَ﴾ - مُبْتَدَأٌ - ﴿الرُّسُلُ﴾ - صِفَةٌ، وَالْخَبَرُ -: ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ يعني: أن دفع الفساد على هذا الوجه بطريق
إنعام الله وتفضله، فعمَّ الناس كلَّهم، ومن المعلوم أن (لولا) حرف امتناع لوجود، فالمعنى: امتنع
فساد الأرض لأجل وجود دفع الله للناس بعضهم عن بعض، وهذه الآية كالدليل لما ذكر في القصة
من مشروعية القتال ونصر داود على جالوت.

قوله: (هذه الآيات) أي: فالإشارة عائدة على ما تقدّم من أول الربع إلى آخره؛ لما فيه من
عظيم العجائب، والإشارة في الآية للبعيد نظراً لبُعْدِ زمن تلك القصة، وإنما فسّره بالقرب نظراً للفظ
الدالِّ عليها، فأفاد المفسّر أنه يصحُّ إرادة المعنيين، فلا مخالفة بين إشارة الآية وإشارة المفسّر.

قوله: (بالصدق) أي: الذي لا يحتمل النقيض.

قوله: (وغيرها) أي: وهي اللام والجملة الاسمية.

قوله: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ﴾ اسم الإشارة عائذ على الرسل المذكورين من أول السورة إلى هنا،
أو على المذكورين بلبصقتها، وأتى بالإشارة البعيدة نظراً لبُعْدِ رتبهم وعلوها عند الله.
قوله: (صفة) أي: أو عطف بيان، أو بدل؛ لأن المحلّى ب(أل) بعد اسم الإشارة يجوز فيه
الثلاثة.

مَنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضُهُمْ دَرَجَتٍ

بِتَخْصِيصِهِ بِمَنْقَبَةٍ لَيْسَتْ لِغَيْرِهِ، ﴿مَنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ كَمُوسَى، ﴿وَرَفَعَ بَعْضُهُمْ﴾
أَي: مُحَمَّدًا ﷺ ﴿دَرَجَتٍ﴾ عَلَى غَيْرِهِ، بِعُمُومِ الدَّعْوَةِ،

حاشية الصاوي

قوله: (بتخصيصه بمنقبة) أي: بصفة الكمال، وذلك بفضل الله لا بصفة قائمة بذاته بحيث تقتضي التخصيص بالمناقب لذاته، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾ [النور: ٢١].

قوله: ﴿مَنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ بيان للتفضيل، وقوله: ﴿كَلَّمَ اللَّهُ﴾ أي: كلمه الله بغير واسطة.

قوله: (كموسى) أي: في الطور ليلة الحيرة وغيرها^(١)، والحق: أن كلام الله لموسى لا يحصى بعدد، وأدخلت الكاف محمداً ليلة الإسراء، وإنما لم يشتهر بالكلام؛ لأنه حاز منصباً أشرف من المكاملة، وهي الرؤية.

قوله: (أي: محمداً) مثل هذا التفسير لا يقال من قبل الرأي، بل هو الوارد^(٢)، وقد أشار لذلك العارف بقوله: [الوافر]

وإن ذكروا نجي الطور فاذكروا نجي العرش مفتقراً لتغنى
فإن الله كلم ذاك وخياً وكلم ذا مشافهة وأذنى
وإن قابلت لفظة «لن تراني» بـ«ما كذب الفؤاد» فهمت معنى
فموسى خراً مغشياً عليه وأحمد لم يكن ليزيغ ذهننا^(٣)

قوله: (بعموم الدعوى) أي: لجميع المخلوقات حتى الجمادات والملائكة والجن^(٤)، ولا يرد حُكم سليمان في الجن؛ فإنه حُكم سلطنة لا رسالة.

(١) سُميت بليلة الحيرة لتحيّره في معرفة طريقه من مسيره من مدين إلى مصر وفي الطور. انظر «السراج المنير» للخطيب (١/١٦٦).

(٢) نحو ما رواه مسلم (٢٢٧٨) عن أبي هريرة ؓ مرفوعاً: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع».

(٣) الأبيات لعبد الرحيم البرعي رحمه الله تعالى ضمن قصيدة له. انظر «ديوانه» (ص ٢٤٤).

(٤) قال المحقق ابن حجر الهيتمي في «تحفته» (١/٢٥): (لكافة الثقلين الإنس والجن إجماعاً معلوماً من الدين بالضرورة، فيكفر منكروه، وكذا الملائكة كما رجّحه جمع محققون كالسبكي ومن تبعه)، ثم نقل عن البارزي أنه قال: =

وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ

وَحَتَمَ النُّبُوَّةَ، وَتَفْضِيلِ أُمَّتِهِ عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ، وَالْمُعْجَزَاتِ الْمُتَكَاثِرَةِ وَالْخَصَائِصِ الْعَدِيدَةِ، ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ﴾ : قَوَيْنَاهُ ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ : جِبْرِيلَ يَسِيرَ مَعَهُ حَيْثُ سَارَ، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ هُدَى النَّاسِ جَمِيعاً ﴿مَا أَقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ :
حاشية الصاوي

قوله : (وَحَتَمَ النُّبُوَّةَ) أي : فلا نبيَّ بعده تُبَدَأُ رِسَالَتُهُ، ويلزمُ من ذلك نسخُهُ لِشَرْعٍ غَيْرِهِ، وعدمُ نسخِ شَرْعِهِ.

قوله : (وتفضيل أُمَّتِهِ عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ) قال تعالى : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران : ١١٠]، وأما قوله تعالى في حقِّ بني إِسْرَائِيلَ : ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة : ٤٧] . . فالمرادُ : عالمو زمانِهِمْ .
قوله : (والمعجزات المتكاثرة) أي : الكثيرة التي لا تحصى بحدِّ ولا عَدِّ، قال العارفُ البوصيري : [الخفيف]

إِنَّمَا فَضْلُكَ الزَّمَانُ وَآيَا تُكَ فِيْمَا نَعُدُّهُ الْآنَاءُ^(١)

قوله : (والخصائص العديدة) أي : كالحوضِ المورود، والمقام المحمود، والوسيلة، وغير ذلك.

قوله : ﴿الْبَيِّنَاتِ﴾ أي : كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص.

قوله : (يسير معه حيث سار) أي : من مبدإ خلقته ؛ لأنَّ خلقَهُ كان على يده.

قوله : (هدى الناس) مفعول لـ ﴿شَاءَ﴾، وقوله : ﴿مَا أَقْتَتَلَ﴾ جوابُ (لو)، وهو إشارةٌ لقياس

= (أرسل حتى للجُمادات بعد جعلها مدركة، وفائدة الإرسال للمعصوم وغير المكلف : طلبُ إذعانهما لشرفه، ودخولهما تحت دعوته، واتباعه تشريعاً له على سائر المرسلين).

(١) من همزته، والمعنى : فضلك كالزمان من حيث تكاثر أجزائه، وكذا معجزاتك كأناته لا تحُدُّ. انظر «المنح المكية» (ص ٦٧٤)، ومنها :

فَانْقَضَتْ آيُ الْأَنْبِيَاءِ وَآيَا	تُكَ فِي النَّاسِ مَا لَهُنَّ أَنْقِضَاءُ
وَالْكَرَامَاتُ مِنْهُمْ مُعْجَزَاتُ	حَازَهَا مِنْ نَوَالِكَ الْأَوْلِيَاءِ
إِنَّ مِنْ مُعْجَزَاتِكَ الْعَجَزَ عَنْ وَضد	فِيكَ إِذْ لَا يَحُدُّهُ الْإِخْصَاءُ

مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ

بعد الرُّسُل أي: أُمَمُهُمْ ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ لِاخْتِلَافِهِمْ وَتَضَلُّيلِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، ﴿وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا﴾ لِمَشِيئَتِهِ ذَلِكَ، ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ﴾: ثَبَّتَ عَلَى إِيْمَانِهِ، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾ كَالنَّصَارَى بَعْدَ الْمَسِيحِ، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَتَلُوا﴾ - تَأْكِيدٌ -، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ مِنْ تَوْفِيقٍ مَنْ شَاءَ وَخِذْلَانٍ مَنْ شَاءَ.

﴿٢٥٤﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ زَكَاتَهُ ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ﴾: فِدَاءٌ ﴿فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ﴾: صَدَاقَةٌ تَنْفَعُ ﴿وَلَا شَفْعَةٌ﴾ بِغَيْرِ إِذْنِهِ، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ،

حاشية الصاوي

استثنائي، نَظْمُهُ أَنْ تَقُولَ: لَوْ شَاءَ اللَّهُ هَدَى النَّاسَ جَمِيعًا مَا أَقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِ الرُّسُلِ، لَكِنَّهُمْ أَقْتَلُوا؛ فَلَمْ يَشَأْ اللَّهُ هِدَايَهُمْ جَمِيعًا.

قوله: (بعد الرسل) أي: بعد مجيئهم.

قوله: (أي: أُمَمُهُمْ) تفسيرٌ للذين، وقوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ متعلقٌ بـ﴿أَقْتَتَلُوا﴾، و(ما): مصدرية؛ أي: مِنْ بَعْدِ مَجِيءِ الْبَيِّنَاتِ لَهُمْ.

قوله: (لاختلافهم) علَّةٌ للاقتتال.

قوله: ﴿وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا﴾ هذا استثناءٌ لنقيض التالي، فينتجُ نقيضُ المقدم، وهو: لَمْ يَشَأْ اللَّهُ هِدَايَهُمْ، لَكِنَّهُ عَبَّرَ بِالسَّبَبِ وَهُوَ الْاِخْتِلَافُ عَنِ الْمُسَبَّبِ وَهُوَ الْاِقْتِتَالُ.

قوله: (لمشيئته ذلك) أي: فلو شاء هداهم لم يختلفوا ولم يقتتلوا، فالحقُّ واضحٌ ظاهرٌ، وإنما كَفَرَ مَنْ كَفَرَ بِإِرَادَةِ اللَّهِ عَدَمَ إِيْمَانِهِ، فَالْعَبْدُ مُجْبُورٌ فِي قَالِبِ مُخْتَارٍ.

قوله: (ثبت على إيمانه) أي: بإرادة الله.

قوله: (زكاته) قَدَرُهُ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْمَرَادَ الْإِنْفَاقُ الْوَاجِبُ؛ بِدَلِيلِ الْوَعِيدِ الْعَظِيمِ، وَنَحْوِ الزَّكَاةِ كُلِّ نَفَقَةٍ وَاجِبَةٍ.

قوله: (بغير إذنه) أشارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْآيَةَ مُطْلَقَةٌ، فَتَحْمَلُ عَلَى الْمُقِيدَةِ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ

- وفي قراءة برفع الثلاثة - ﴿وَالْكَافِرُونَ﴾ بالله أو بما فرض عليهم ﴿هُمُ الظَّالِمُونَ﴾؛ لوضعهم أمر الله في غير محله.

﴿٢٥٥﴾ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ﴾ أي: لا معبود بحق في الوجود ﴿إِلَّا هُوَ الْحَيُّ﴾:

حاشية الصاوي

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعة^(١).

قوله: (برفع الثلاثة) على أن (لا) نافية مهملة، أو عاملة عمل ليس؛ لأنها إذا تكررت جاز إعمالها وإلغاؤها، وأما على القراءة الأولى.. فهي عاملة عمل (إن)، تنصب الاسم وترفع الخبر.

قوله: (بالله) أي: فهو كفر حقيقي، وقوله: (أو بما فرض عليهم) أي: بالتفريط في الفرائض، وهو كفر مجازي.

قوله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ هذه الآية تُسمى آية الكرسي، وهي أفضل آي القرآن^(٢)؛ لأن التوحيد الذي استُفيد منها لم يُستفد من آية سواها؛ لأنَّ الشيء يشرف بشرف موضوعه، فإنها اشتملت على أمّهات المسائل الدالة على ثبوت الكمالات لله، ونفي النقائص عنه تعالى، وورد في فضلها من الأحاديث الكثيرة ما يجعل عن الحصر:

منها: «مَن قرأها عند خروجه من بيته.. كان في ضمان الله حتى يرجع»، ومنها: «مَن قرأها دبر كل صلاة.. لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت»^(٣).

ومنها: «ما قرئت في دار إلا هجرتها الشياطين ثلاثين يوماً، ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة، يا علي؛ علّمها ولدك وأهلك وجيرانك، فما نزلت آية أعظم منها»^(٤).

ومنها: «مَن قرأها إذا أخذ مضجعه.. آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والأبيات حوله»^(٥).

(١) قرأ نافع والكوفيون وابن عامر بالرفع، وبالفتح أبو عمرو وابن كثير. انظر «الدر المصون» (٢/٥٣٨).

(٢) ومعنى الفضل: أن الثواب على قراءتها أكثر منه على غيرها من الآيات، هذا هو التحقيق في تفضيل القرآن بعضه على بعض. «الفتوحات» (١/٢٠٦) نقلاً عن العلامة الأجهوري في «الكوكبين النيرين».

(٣) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٩٨٤٨) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

(٤) كذا في «تفسير الزمخشري» (١/٣٠٢)، وقال الحافظ الزيلعي: (لم أجده).

(٥) رواه البيهقي في «الشعب» (٢١٧٤) من حديث علي كرم الله وجهه.

الْقِيَوْمُ

الدَّائِمُ الْبَقَاءُ، ﴿الْقِيَوْمُ﴾: المُبَالِغُ فِي الْقِيَامِ بِتَدْيِيرِ خَلْقِهِ،

حاشية الصاوي

ومنها: «سَيِّدُ الْكَلَامِ الْقُرْآنُ، وَسَيِّدُ الْقُرْآنِ الْبَقَرَةُ، وَسَيِّدُ الْبَقَرَةِ آيَةُ الْكُرْسِيِّ»^(١).

ومنها: ما ورد: «أَنَّهُ نَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَى مُوسَى وَقَالَ لَهُ: رَبُّكَ يَقُولُ لَكَ: مَنْ قَالَ عَقَبَ صَلَاتِهِ: اللَّهُمَّ؛ إِنِّي أَقْدَمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَي كُلِّ نَفْسٍ وَلَمْحَةٍ وَطَرْفَةِ يَطْرِفُ بِهَا أَهْلُ السَّمَاوَاتِ وَأَهْلُ الْأَرْضِ وَكُلِّ شَيْءٍ هُوَ فِي عِلْمِكَ كَائِنٌ أَوْ قَدْ كَانَ، أَقْدَمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَي ذَلِكَ كُلِّهِ: اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ... إِلَى آخِرِهَا، فَإِنَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ أَرْبَعٌ وَعِشْرُونَ سَاعَةً، لَيْسَ مِنْهَا سَاعَةٌ إِلَّا وَيَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ مِنْهَا سَبْعُونَ أَلْفَ حَسَنَةٍ حَتَّى يَنْفَخَ فِي الصُّورِ وَتَشْتَغِلَ الْمَلَائِكَةُ»^(٢).

وأخذ العارِفون منها فوائد جَمَّة:

منها: من قرأها عَقَبَ كُلِّ صَلَاةٍ أَرْبَعَةَ عَشَرَ عَدَّةً فَصَلَّاهَا... أَحَبَّهُ الْعَالَمُ الْعُلُويُّ وَالسُّفْلِيُّ، وَمَنْ قَرَأَهَا عَدَّةَ الرِّسْلِ ثَلَاثَ مِئَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ... فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَزَالَ عَنْهُ مَا يَكْرَهُ.

ومنها: من قرأها عَدَدَ حُرُوفِهَا وَهِيَ مِئَةٌ وَسَبْعُونَ حَرْفًا... لَا يَطْلُبُ مَنَزَلَةً إِلَّا وَجَدَهَا، وَلَا سَعَةً إِلَّا نَالَهَا، وَلَا فَرْجًا مِنْ سَائِرِ الشَّدَائِدِ إِلَّا حَصَلَ.

ومنها: أَنَّهُ إِذَا سُقِيَ الْمَبْطُونُ حُرُوفَهَا مَقْطَعَةً... شُفِيَ بِإِذْنِ اللَّهِ.

ومنها: مَنْ كَتَبَهَا عَدَدَ كَلِمَاتِهَا وَهِيَ خَمْسُونَ كَلِمَةً وَحَمَلَهَا... أَدْرَكَ غَرَضَهُ مِنْ عَدُوِّهِ وَحَاسَدِهِ، وَإِنْ كَانَ لِلْمَحَبَةِ وَالْأَلْفَةِ... نَالَ مَقْصُودَهُ.

وتسميتها آيَةُ الْكُرْسِيِّ مِنْ بَابِ: تَسْمِيَةِ الشَّيْءِ بِاسْمِ جِزْئِهِ؛ لِذِكْرِهِ فِيهَا.

قوله: (الدَّائِمُ الْبَاقِي) أَي: فِحْيَاتُهُ ذَاتِيَّةٌ لَهُ.

قوله: (﴿الْقِيَوْمُ﴾) هُوَ مِنْ صَيَغِ الْمُبَالِغَةِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الصَّيَغِ الْمَشْهُورَةِ.

قوله: (المُبَالِغُ فِي الْقِيَامِ بِتَدْيِيرِ مَلَكِهِ) أَي: فَلَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ، وَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ أَبَدًا، ﴿سَوَاءٌ مَنَكُم مَّنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ، وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٍ بِالنَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠]، ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْثُبُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [الفمان: ٢٨]، فَقَوْمَ السَّمَاءِ وَزَيْنَهَا، وَبَسْطَ الْأَرْضِ

(١) هُوَ عِنْدَ الدِّيْلَمِيِّ فِي «مَسْنَدِ الْفَرْدَوْسِ» (٣٤٧١) مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رَوَاهُ الْحَكِيمُ التِّرْمِذِيُّ فِي «نَوَادِرِ الْأَصُولِ» (٢٦٧/٣).

لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ

﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ﴾: نَعَّاسٌ ﴿وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مُلْكاً وَخَلْقاً وَعَبِيداً،
حاشية الصاوي

وجمّلها، وأرضى كلّ إنسان بما قد قسم له من غير تعب يحصل له من ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨].

قوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ هذا من صفات السُّلُوب، والسَّنة: هي النوم في العين، وهي نوم الأنبياء.

قوله: ﴿وَلَا نَوْمٌ﴾ عُرِّفَ بأنه فترةٌ طبيعية تهجم على الشخص قهراً عليه تمنع حواسّه الحركة، وعقله الإدراك.

إن قلت: حيث كان منزّهاً عن السَّنة فهو مُنزّه عن النوم بالأولى!

أجيب: بأنه زيادةٌ في الإيضاح، وأجيب أيضاً: بأنه ذكر النوم لأنه ربما يُتوهّم من كونه يهجم قهراً أنه يغلبه، فلا يلزم من نفي السَّنة نفي النوم، وهذا هو الأتم؛ لأنه لا يلزم من نفي الأخفّ نفي الأثقل.

إن قلت: إن الملائكة أيضاً لا تأخذهم سِنَّةٌ ولا نوم، فليس في ذكر هذه الصفة مزيدٌ مزية!

أجيب: بأن تنزّه الملائكة عن النوم من إخبار الله فقط، وإلا . . . فالعقل يجوزّه عليهم، بخلاف تنزّه الله عنه، فالدليل العقلي قائم على تنزّهه عنه.

قوله: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ كالدليل لما قبله، وأتى بـ(ما) تغليباً لغير العاقل لكثرتِه.

قوله: (مُلْكاً) بضم الميم معناه التصرف، وقوله: (وخلقاً) أي: إيجاداً، وقوله: (وعبيداً) أي: مملوكين له، ﴿إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣]، ولا نزاع في كون السماوات والأرض مملكتاً لله، قال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩]، وفي ذلك ردٌّ على الكفار حيث أثبتوا له شريكاً، فكأن الله يقول لهم: ما أشركتموه لا يخرج عن السماوات والأرض، وشأن الشريك أن يكون مستقلاً خارجاً عن مملكة الشريك الآخر.

مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ

﴿مَنْ ذَا الَّذِي﴾ أي: لا أحد ﴿يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ له فيها، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: الخلق ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي: من أمر الدنيا والآخرة، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾ أي: لا يعلمون شيئاً من معلوماته ﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ أن يعلمهم به منها بإخبار الرسل، حاشية الصاوي

قوله: ﴿مَنْ ذَا﴾ اسم استفهام مبتدأ، و﴿الَّذِي﴾: خبره، وهو استفهام إنكاري بمعنى النفي؛ أي: لا شفيع في أحد يستحق النار يشفع عنده بغير مراده.
قوله: (أي: لا أحد) تفسير للاستفهام الإنكاري.
قوله: ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ أي: مراده.

قوله: (أي: من أمر الدنيا) راجع لقوله: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾، وقوله: (والآخرة) راجع لقوله: ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾، فهو لفّ ونشر مرتّب، ويصحّ العكس، فيكون لفّاً ونشراً مشوّشاً، والأقرب أن يقال: المراد ب﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: ما يُستقبل من الدنيا والآخرة، وقوله: ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: ما انقضى من أمر الدنيا، فعلم أمر الدنيا والآخرة مُستوٍ عنده، بخلاف المخلوقات، قال الشاعر: [الطويل]

وَأَعْلَمُ عِلْمَ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ وَلَكِنِّي عَنْ عِلْمٍ مَا فِي غَدٍ عَمِي^(١)

قوله: (أي: لا يعلمون شيئاً من معلوماته) دفع بذلك ما يُتوهم: أن علم الله يتجزأ مع أنه ليس كذلك، وما يُتوهم أيضاً: أنه يشاء إطلاع أحد على علمه مع أنه مُستحيل؛ إذ ليس في طاقة الحادث إطلاع على حقيقة القديم ولا صفاته سبحانه، مَنْ لا يعلم قدره غيره، ولا يبلغ الواصفون صفته.
قوله: (منها) أي: من معلوماته.

قوله: (بإخبار الرسل) أي: فلا يصل لأحد علم إلا بواسطة الأنبياء، فالأنبياء وسائط لأمرهم في كل شيء، وواسطتهم رسول الله، قال العارف: (اللهم؛ صلّ على من منه انشقت الأسرار، وانفلقت الأنوار، وفيه ارتقت الحقائق، وتنزلت علوم آدم فأعجز الخلاق)^(٢).

(١) البيت من معلقة زهير بن أبي سلمى. انظر «ديوانه» (ص ١١٠).

(٢) مطلع الصلاة المشهورة بالصلاة المشيشية للعارف بالله تعالى عبد السلام بن مشيش، (ت ٦٢٢ هـ).

وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ قِيلَ: أَحَاطَ عِلْمُهُ بِهِمَا، وَقِيلَ: مُلْكُهُ، وَقِيلَ: الْكُرْسِيُّ نَفْسُهُ مُشْتَمِلٌ عَلَيْهِمَا لِعَظَمَتِهِ لِحَدِيثٍ: «مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَدَرَاهِمِ سَبْعَةِ أَلْقِيَتِ

حاشية الصاوي

قوله: (قيل: أحاط علمه بهما) أي: فالكرسي بضم الكاف وكسرهما: يطلق على العلم؛ كما يطلق على السرير الذي يجلس عليه^(١).

قوله: (وقيل: الكرسي بعينه) أي: وهو مخلوق عظيم فوق السماء السابعة، يحمله أربع ملائكة، لكل ملك أربعة أوجه، أرجلهم تحت الصخرة التي تحت الأرض السابعة، وتحت الأرض السفلى ملك على صورة آدم يسأل الرزق لابن آدم، وملك على صورة الثور يسأل الرزق للبهائم، وملك على صورة السبع يسأل الرزق للوحوش، وملك على صورة النسر يسأل الرزق للطيور، بينهم وبين حملة العرش سبعون حجاباً من ظلمة، وسبعون حجاباً من نور، سمك كل حجاب خمس مئة سنة، وذلك لئلا تحترق حملة الكرسي من نور حملة العرش، وخلق العرش والكرسي من حكم الله لا لاحتياج لهما، قال صاحب «الجوهرة»: [الرجز]

وَالْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ ثُمَّ الْقَلَمُ وَالْكَاتِبُونَ اللَّوْحَ كُلُّ حِكْمٍ
لَا لِاحْتِيَاجٍ وَبِهَا الْإِيمَانُ يَجِبُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ^(٢)

(١) الكرسي بمعنى العلم رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٥٩٩)، والطبري في «تفسيره» (٣٩٧/٥) عن ابن عباس، وقال الطبري: (وأصل الكرسي العلم)، وعلقه البخاري في «صحيحه» (٣١/٦) عن سعيد بن جبير، وعند الواحدي في «التفسير الوسيط» (٣٦٨/١): (وقال أبو إسحاق الزجاج: الله أعلم بحقيقة الكرسي، إلا أن جملته أنه أمر عظيم من أمره).

واجتمعت كلمة المحققين أن الصحيح فيما روي عن ابن عباس عليه السلام هو أنه موضع القدمين، وأن العرش لا يقدر قدره، فكما أن العرش في اللغة هو موضع الجلوس فالكرسي هو الذي يكون تحته وتضع الملوك عليه أقدامهم، وينبئ أهل العلم أن يسبق الوهم لتمثيل حقيقة المعنى المتبادر، قال المصنف العلامة السيوطي في «الدر المنثور» (١٧/٢): (هذا على سبيل الاستعارة، تعالى الله عن التشبيه، ويوضحه ما أخرجه ابن جرير عن الضحاك في الآية قال: كرسيه الذي يوضع تحت العرش الذي تجعل الملوك عليه أقدامهم).

(٢) انظر شرح المصنف لها (ص ٣٩٠).

وَلَا يَتُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ

في ترس، ﴿وَلَا يَتُودُهُ﴾: يُثْقِلُهُ ﴿حِفْظُهُمَا﴾ أي: السماوات والأرض، ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ فوق خلقه بالقهر، ﴿الْعَظِيمُ﴾: الكبير.

﴿٢٥٦﴾ ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ على الدُّخُولِ فِيهِ، ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ أي: ظَهَرَ بِالْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ أَنَّ الْإِيمَانَ رُشْدٌ وَالْكُفْرَ غَيٌّ، نَزَلَتْ فِيْمَنْ كَانَ لَهُ مِنَ الْأَنْصَارِ أَوْلَادٌ أَرَادَ أَنْ يُكْرِهَهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ،
حاشية الصاوي

قوله: (في ترس) هو ما يترسُّ به عند الحرب، وهو المسمَّى بالدَّرَقَةِ.

قوله: ﴿وَلَا يَتُودُهُ﴾ أي: الله وهو ظاهر، أو الكرسي وهو أبلغ؛ لأنه إذا لم تُثْقَلِ السماوات والأرض مع عِظَمِهما الكرسي مع أنه مخلوق فكيف بخالقه؟!

قوله: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ أي: المنزَّه عن صفات الحوادث، فهو من صفات السُّلُوبِ.

قوله: ﴿الْعَظِيمُ﴾ أي: المتَّصِفُ بالعِظَمِ، وقَدَّمَ العلي عليه؛ لأنه من باب: تقديم التَّحْلِيَةِ على التَّحْلِيَةِ.

قوله: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ قيل: إن من هنا إلى ﴿خَالِدُونَ﴾ من تمام آية الكرسي، وقيل: ليست منها وهو الحق، وإنما ذكرت عقبها كالنتيجة لما ذكر فيها من خالص التوحيد، والمعنى: لا يكره أحدٌ أحداً على الدخول في الإسلام؛ فإن الحقَّ والباطل ظاهران لكلٍّ أحد، فلا ينفع الإكراه، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩].

قوله: (أي: ظهر بالآيات البينات) الدلائل الظاهرة على باهر قدرته وعظيم حكمته، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ [البقرة: ١٦٤] الآية.

قوله: (فيمن كان له من الأنصار أولاد) أي: وهو أبو الحصين، كان له ابنان تنصرا قبل بعثة النبي، ثم قَدَمَا المدينة بتجارة زيت، فلقِيَهُمَا أبوهما وأحبَّ أن يُكْرِهَهُمَا على الإسلام، فارتفع معهما إلى النبي ﷺ، فقال أبوهما: يا رسول الله؛ أيدخل بعضي النار وأنا أنظرُ إليه؟! فنزلت^(١).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٤٠٩/٥)، واسم الصحابي المذكور الحصين ويكنى بأبي الحصين كما في «الإصابة».

فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ

﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ : الشَّيْطَانِ أَوْ الْأَصْنَامِ، وَهُوَ يُطْلَقُ عَلَى الْمُفْرَدِ وَالْجَمْعِ،
﴿وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ﴾ : تَمَسَّكَ ﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ : بِالْعَقْدِ الْمُحْكَمِ، ﴿لَا
انْفِصَامَ﴾ : انْقِطَاعَ ﴿لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾

حاشية الصاوي

وهذه الآية يحتمل أنها منسوخة بآيات القتال، أو محكمة وتحمل على من ضرب عليهم الجزية،
ويؤيده سبب نزولها.

قوله: ﴿بِالطَّاغُوتِ﴾ مبالغة في الطغيان؛ كالجبروت والملكوت، والمراد به: ما يُعبد من
دون الله، ومعنى الكفر به جحدّه والإعراض عنه.

قوله: (وهو يطلق على المفرد والجمع) أي: ويعود الضمير عليه مؤنثاً ومذكراً، وهو قيل:
مصدر، وقيل: اسم جنس.

قوله: ﴿وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ﴾ تقديم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله من باب: تقديم التولية
على التحلية؛ لأنه لا يصح إيمان بالله مع إشراك غيره معه.

قوله: ﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ﴾ هذه الجملة جواب الشرط الذي هو (مَنْ)، وقرن بالفاء لدخول (قد)
عليها.

قوله: (تمسك) أشار بذلك إلى أن السين والتاء زائدتان لتقوية الاستمسك.

قوله: ﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ فيه استعارة تصريحية أصلية، حيث شبه دين الإسلام بالعروة الوثقى -
وهي موضوع المسك من الحبل - بجامع أن كلاً لا يخشى منه الخلل، واستعير اسم المشبه به وهو
العروة الوثقى للمشبه وهو دين الإسلام، والاستمسك وعدم الانفصال ترشيحان؛ لأنه من ملائمت
المشبه به، أو فيه استعارة تمثيلية بأن يقال: شبه حال من تمسك بدين الإسلام وأحكامه بحال من
تمسك بالعروة الوثقى بجامع أن كلاً لا يخشى الانفكاك ولا الخلل، واستعير اسم المشبه به للمشبه،
والاستمسك وعدم الانفصال ترشيحان أيضاً.

قوله: ﴿لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾ الانفصام: الانقطاع بغير بينونة، والانقصام بالقاف: الانقطاع
مع البينونة، فالتعبير بالانقصام أبلغ.

عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَائُهُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ

لما يُقال، ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يُفَعَّلُ.

﴿٢٥٧﴾ ﴿اللَّهُ وَلِيُّ﴾: ناصِرُ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾: الكُفْرُ ﴿إِلَى النُّورِ﴾: الإِيمَانِ، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَائُهُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾، ذَكَرَ الإِخْرَاجَ إِمَّا فِي مُقَابَلَةِ قَوْلِهِ: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾، أَوْ فِي كُلِّ مَنْ آمَنَ بِالنَّبِيِّ قَبْلَ بَعَثَتِهِ حَاشِيَةُ الصَّائِقِ

قوله: (لما يُقال) أي: سرّاً وجهراً.

قوله: (بما يفعل) أي: خيراً أو شراً، سرّاً أو جهراً.

قوله: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾) هذا كالدليل لما قبله، وولي: فاعيل بمعنى فاعل؛ أي: متولّي أمر عباده، وأما الوليّ من العبيد: فيمعنى فاعل؛ أي: موالي طاعة ربه، أو بمعنى مفعول؛ أي: تولّاه الله فلم يَكُلْهُ لغيره.

قوله: (الكفر) شبه بالظلمات الحسية للحيرة وعدم الاهتداء في كلّ، ولأنه يكون كذلك يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ظُلُمْتُ بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُهُ لَمْ يَكْدِ يَرْنَاهَا﴾ [النور: ٤٠]، وقوله: (الإيمان) شبه بالنور لأنه يُهْتَدَى بِكُلِّ، ولأنه يكون كذلك يوم القيامة، قال تعالى: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ [التحریم: ٨]، فالكفر ظلمةٌ مَعْنَوِيَّةٌ فِي الدُّنْيَا وَحَسِيَّةٌ فِي الْآخِرَةِ، وَالْإِيمَانُ نُورٌ مَعْنَوِي فِي الدُّنْيَا وَحَسِيٌّ فِي الْآخِرَةِ.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَائُهُمُ الظُّلُمَاتُ﴾) إنما لم يُقَلْ: والطاغوت أولياء الذين كفروا... لأجل المقابلة؛ لثلاث يكون الطاغوت مقابلاً لاسم الله وهو قبيحٌ، فبدأ بكفرهم تقييحاً وتبكيثاً لهم. قوله: (ذكر الإخراج... إلخ) جوابٌ عن سؤال مقدّرٍ حاصله: أن الكفار لم يكونوا في نور فأخرجوا منه إلى الظلمات، كيف ذلك؟ أجاب المفسّرُ بجوابين: الأول: أنه مشاكلةٌ لما قبله، والمرادُ مَنْعُهُمْ مِنْ أَصْلِ النُّورِ. والثاني: أنه إخراجٌ حقيقي، وهو في كلّ مَنْ آمَنَ بِالنَّبِيِّ قَبْلَ مَبْعَثِهِ ثُمَّ ارْتَدَّ بَعْدَ ذَلِكَ^(١)، وفي هذه الآية وعدٌ من الله بالأمن للمؤمن من المخاوف دنيَاً وَآخِرِيَاً.

(١) وعبارة الكرخي في «إئمة العينين» كما نقلها عنه العلامة الجمل في «الفتوحات» (١/٢١٠): (وحاصل الجواب مع الإيضاح: أنه إما للمقابلة، أو لأن إيمان أهل الكتاب بالنبي قبل أن يظهر كان نوراً لهم، وكفرهم به بعد ظهوره =

أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ . . .

مِنَ الْيَهُودِ ثُمَّ كَفَرَ بِهِ، ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿٢٥٨﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ﴾: جَادَلَ ﴿إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾: ﴿أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ أي: حَمَلَهُ بِطَرُوهُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى ذَلِكَ وَهُوَ نَمْرُودُ، . . .

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿أَلَمْ تَرَ﴾﴾ الاستفهام لِتَقْرِيرِ النفي مع التعجب، والمعنى: أَلَمْ يَنْتَهَ عِلْمُكَ إِلَى هَذَا الَّذِي قَابَلَهُ اللَّهُ بِالْجُودِ وَالْإِحْسَانِ وَقَابَلَ مَوْلَاهُ بِالْكَفْرِ وَالطُّغْيَانِ؟ وَهَذَا كَالدَّلِيلِ لِقَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْفَاطِقُونَ . . .﴾ الْآيَةُ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ طَاغُوثٌ نَمْرُودُ، وَهُوَ طَاغُوثٌ غَيْرُهُ مَا عَدَا إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ تَبِعَهُ.

قوله: ﴿﴿إِلَى الَّذِي حَاجَّ﴾﴾ لَمْ يُصْرِّحْ بِاسْمِهِ تَبَكُّيًّا لَهُ وَإِظْهَارًا لِقَبْحه.

قوله: (جادل) أي: مجادلةً باطلة، وهي مقابلةُ الحجّة بالحجة، فإِبْرَاهِيمُ يَجَادِلُ بِالْحَقِّ، وَنَمْرُودُ يَجَادِلُ بِالْبَاطِلِ.

قوله: ﴿﴿فِي رَبِّهِ﴾﴾ أي: إِبْرَاهِيمَ فَالْإِضَافَةُ لِلتَّشْرِيفِ، أَوْ نَمْرُودَ وَالْإِضَافَةُ لِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ حَيْثُ نَازَعَ خَالِقَهُ فِي وَصْفِهِ.

قوله: ﴿﴿أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾﴾ مَفْعُولٌ لِأَجْلِهِ، وَهُوَ مَجْرُورٌ بِاللَّامِ لِفَقْدِ أَحَدِ شُرُوطِهِ، وَهُوَ عَدَمُ اتِّحَادِ الْفَاعِلِ؛ لِأَنَّ فَاعِلَ الْمَحَاجَّجَةِ النَمْرُودُ، وَفَاعِلَ إِيْتَاءِ الْمُلْكِ هُوَ اللَّهُ، قَالَ ابْنُ مَالِكٍ: (وَإِنْ شَرَطَ فَقَدْ فَاجَرُوهُ بِالْحَرْفِ) (١)، وَحُذِفَ الْجَارُ؛ لِأَنَّ حَذْفَهُ مَطْرُودٌ مَعَ (أَنْ) وَ(أَنَّ).

قوله: (بطرؤه) هو الاستخفافُ بِآلَاءِ اللَّهِ.

قوله: (بنعم الله) أي: وهي الدنيا؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَمْلِكِ الدُّنْيَا إِلَّا أَرْبَعَةً: اثْنَانِ مُسْلِمَانِ، وَاثْنَانِ كَافِرَانِ، سَلِيمَانِ وَذُو الْقَرْنَيْنِ، وَالنَمْرُودُ وَبِخْتِ نَصْرٍ.

قوله: (وهو نمرود) أي: ابن كنعان، حملت به أمه من زناً؛ خوفاً عَلَى مَلِكِ أَبِيهِ مِنَ الضِّيَاعِ،

= خروج منه إلى ظلمات الكفر، على أن الخروج يستعمل بمعنى المنع من الدخول، فعصمة المؤمنين عن الدخول في الظلمات إخراج لهم منها).

(١) متزع من بيتين من رجز «الخلاصة» (باب المفعول له).

إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُعْبَىٰ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُخِيَّ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي
بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾

﴿إِذْ﴾ - بَدَلٌ مِنْ ﴿حَاجَّ﴾ - ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ لَمَّا قَالَ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ الَّذِي تَدْعُونَا إِلَيْهِ؟: ﴿رَبِّيَ
الَّذِي يُعْبَىٰ وَيُمِيتُ﴾ أَي: يَخْلُقُ الْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ فِي الْأَجْسَادِ، ﴿قَالَ﴾ هُوَ: ﴿أَنَا أُخِيَّ
وَأُمِيتُ﴾ بِالْقَتْلِ وَالْعَفْوِ عَنْهُ، وَدَعَا بِرَجُلَيْنِ فَقَتَلَ أَحَدَهُمَا وَتَرَكَ الْآخَرَ، فَلَمَّا رَأَاهُ غَيِّبًا ﴿قَالَ
إِبْرَاهِيمُ﴾ مُنْتَقِلًا إِلَى حُجَّةٍ أَوْضَحَ مِنْهَا: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا﴾ أَنْتَ
﴿مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾: تَحَيَّرَ وَدُهِشَ، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ بِالْكُفْرِ
إِلَى مَحَجَّةِ الْاِحْتِجَاجِ.

حاشية الصاوي

حيث كان أبوه عقيماً، وهو أولٌ من لبس التاج المكلَّل، وهذه الواقعة كانت بعد إلقاء إبراهيم
في النار، وكان النمرودُ قد ملكَ أقاليمَ الأرض كلها، فكان لا يعطي القوتَ إلا لمن آمنَ به، فذهبَ
إبراهيمُ له وطلبَ منه شيئاً من القوتِ، فامتنعَ حتى يتبعه، فذهبَ إبراهيمُ إلى كتيبٍ من رملٍ وملاً
وعاءه، فلَمَّا وصل منزله صار دقيقاً، فصار يأكلُ منه هو ومن تبعه^(١).

قوله: (بدل من ﴿حَاجَّ﴾) أي: بدل اشتمال.

قوله: (لما قال له) ظرفٌ لقوله: ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ أي: قال إبراهيم ذلك وقتَ قوله له: من ربك؟
قوله: ﴿أَنَا أُخِيَّ﴾ الضميرُ قيل: (أَنْ) وحدها، والألفُ زائدةٌ لبيان الحركة في حالة الوقف،
وقيل: بل كلها الضمير، والصحيحُ: أن فيه لُغتين؛ لغة تميم إثبات ألفه وصلاً ووقفاً، والثانية:
إثباتها وقفاً وحذفها وصلاً.

قوله: (غيباً) أي: بليداً لا يفهمُ جواباً، ولا يُحسنُ خطاباً، وهو جوابٌ عن سؤالٍ مقدَّر
حاصلُهُ: أن ما وقعَ من إبراهيم ليس من صناعة المناظرة؛ لأنه كان الواجبُ إبطال حجةِ الإحياء
والإماتة التي ادعاها اللعين أولاً، ثم ينتقلُ لحجةِ أخرى! أجابَ المفسرُ: بأنه لَمَّا رآه غيباً لم يُدققْ
عليه في ذلك، وانتقلَ لحجةِ أخرى.

(١) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (٤٣٣/٥) عن زيد بن أسلم.

أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا

﴿٢٥٩﴾ ﴿أَوْ﴾ رَأَيْتَ ﴿كَالَّذِي﴾ - الكاف زائدة - ﴿مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ هِيَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ، رَاكِباً عَلَى جِمَارٍ، وَمَعَهُ سَلَّةٌ تَيْنٌ وَقَدَحٌ عَصِيرٌ، وَهُوَ عُزَيْرٌ، ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾: سَاقِطَةٌ ﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾: سُقُوفِهَا لَمَّا خَرَبَهَا بُخْتَنْصَرُ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَوْ كَالَّذِي﴾ هذا كالدليل لقوله: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، فهو من باب: اللف والنشر المشوَّش، فمن أَرَادَ اللَّهُ هِدَايَتَهُ جَعَلَ لَهُ كُلَّ شَيْءٍ دَلِيلًا يَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى ذَاتِ صَانِعِهِ وَصِفَاتِهِ، وَمَنْ أَرَادَ اللَّهُ خِذْلَانَهُ أَضْلَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَأَعْمَى قَلْبَهُ عَنِ النَّظَرِ فِي الْمَصْنُوعَاتِ، وَإِنَّمَا قَدَّمَ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْكَافِرِ؛ لِقَصْرِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ وَاتِّصَالِهِ بِمَا قَبْلَهُ، بِخِلَافِ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْمُؤْمِنِ.

واعلم أنهم ذكروا أن في الكاف قولين:

الأول: أنها بمعنى (مثل)، وعليه درج المفسر حيث قَدَّرَ (رأيت)، فيكون المعنى: أَلَمْ يَنْتَوِ عِلْمُكَ إِلَى مِثْلِ الَّذِي مَرَّ؟ أي: مثله وصفته، فقوله: (والكاف زائدة) غير مناسب لحله.

الثاني: أنها زائدة، والمعنى: أَلَمْ يَنْتَوِ عِلْمُكَ إِلَى الشَّخْصِ الَّذِي مَرَّ... إلخ^(١).

قوله: (وهو عُزَيْر) أي: ابن شرخيا كَانَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، قِيلَ: كَانَ نَبِيًّا، وَقِيلَ: وَلِيًّا، وَقِيلَ: هُوَ الْخَضِرُ، وَقِيلَ: رَجُلٌ كَانَ كَافِرًا يَنْكُرُ الْبَعْثَ، فَأَرَادَ اللَّهُ لَهُ الْهَدَى، وَالْقَرْيَةُ هِيَ: بَيْتُ الْمَقْدِسِ كَمَا قَالَ الْمَفْسِّرُ، وَقِيلَ: هِيَ الْقَرْيَةُ الَّتِي خَرَجَ مِنْهَا الْأُلُوفُ حَذَرَ الْمَوْتِ.

قوله: (لما خربها بختنصر) بخت: معناه: ابن، وَنَصَّرَ: اسْمٌ لِلصَّنَمِ^(٢)، سَمِّيَ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ أُمَّهُ لَمَّا وَلَدَتْهُ وَضَعَتْهُ عِنْدَهُ، فَلَمَّا وَجَدُوهُ قَالُوا: بَخْتَ نَصَّرَ؟ أي: ابن الصنم، وَكَانَ كَافِرًا، مَلِكُ الْأَرْضِ مَشْرِقًا وَمَغْرِبًا، وَسَبَبُ تَخْرِيبِهَا: أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا طَغَوْا... سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بَخْتَ نَصَّرَ، فَتَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ فِي سِتِّ مِائَةِ رَايَةٍ، فَلَمَّا مَلَكَهُمْ قَسَمَهُمْ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ: قَسَمَ قَتْلَهُ، وَقَسَمَ أَقْرَهُ بِالشَّامِ، وَقَسَمَ اسْتَرْقَهُ، وَكَانَ ذَلِكَ مِائَةَ أَلْفٍ، فَقَسَمَهُ بَيْنَ الْمَمْلُوكِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ، فَأَصَابَ كُلَّ وَاحِدٍ أَرْبَعَةً، فَكَانُوا خَمْسَةً وَعِشْرِينَ أَلْفَ مَلِكٍ، وَكَانَ مِنْ جُمْلَةٍ مِنْ أَسْرَ عُزَيْرٍ، وَفُكَّ مِنَ الْأَسْرِ، فَلَمَّا مَرَّ عَلَيْهَا وَهِيَ بِهَذِهِ الْحَالَةِ قَالَ مَا ذَكَرَ.

(١) وقد لَفَّقَ الإمام السيوطي بين القولين على وجوه أوجب صعوبة الفهم كما قال العلامة الجمل في «فتوحاته» (١/ ٢١١).

(٢) تقدم أنه يجوز أن يكتب هذا الاسم موصولاً ومفصلاً (١/ ٢٢٢)، ويجوز في لفظ عُزَيْرِ الصَّرف ومنعه.

قَالَ أَنِّي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَيْتُ قَالَ لَيْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَيْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ

﴿قَالَ أَنِّي﴾: كَيْفَ ﴿يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾؟! استِعْظَاماً لِقُدْرَتِهِ تَعَالَى، ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ﴾ وَالْبَشَّةُ ﴿مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾: أَحْيَاهُ لِيُرِيَهُ كَيْفِيَّةَ ذَلِكَ، ﴿قَالَ﴾ تَعَالَى لَهُ: ﴿كَمْ لَيْتُ﴾: مَكَثْتُ هُنَا؟ ﴿قَالَ لَيْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ لِأَنَّهُ نَامَ أَوَّلَ النَّهَارِ فُقِبِضَ وَأُحْيِيَ عِنْدَ الْغُرُوبِ، فَظَنَّ أَنَّهُ يَوْمُ النَّوْمِ، ﴿قَالَ بَلْ لَيْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ﴾ الثَّيْنِ ﴿وَشَرَابِكَ﴾ الْعَصِيرِ ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾: لَمْ يَتَغَيَّرْ مَعَ طُولِ الزَّمَانِ، - وَالْهَاءُ قِيلَ: أَصْلٌ مِنْ (سَانَهَتْ)، ...

حاشية الصاوي

قوله: ﴿قَالَ أَنِّي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ (يَحْتَمِلُ أَنْ الْمُرَادَ فِي الدُّنْيَا أَوْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ شَكًّا وَاسْتِغْرَابًا لِفِعْلِ اللَّهِ، بَلْ ذَلِكَ سَوَالٌ عَنْ تَعَلُّقِ قُدْرَةِ اللَّهِ، كَأَنَّهُ قَالَ: هَلْ تَعَلَّقَتْ قُدْرَةُ اللَّهِ بِأَحْيَائِهَا فَيُحْيِيهَا، أَوْ بَعْدَهُ فَيُبْقِيهَا عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ؟

قوله: (كَيْفَ) وَقِيلَ: بِمَعْنَى (مَتَى).

قوله: (استِعْظَاماً لِقُدْرَتِهِ) أَي: إِنَّهُ لَا يَقْدَرُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا صَاحِبُ الْقُدْرَةِ الْعَظِيمَةِ.

قوله: (وَالْبَشَّةُ) قَدَرَهُ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿مِائَةَ عَامٍ﴾ مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ، وَلَا يَصَحُّ تَعَلُّقُهُ بِ﴿أَمَاتَهُ﴾؛ لِأَنَّهُ لَا مَعْنَى لَهُ.

وَسَبَبُ ذَلِكَ: أَنَّهُ لَمَّا دَخَلَ بَيْتَ الْمَقْدَسِ وَرَبِطَ حِمَارَهُ فَلَمْ يَرَ أَحَدًا بِهَا، ثُمَّ رَأَى أَشْجَارَهَا قَدْ أَثْمَرَتْ، فَأَكَلَ مِنْهَا وَنَامَ، فَأَمَاتَهُ اللَّهُ فِي مَنَامِهِ، فَلَمَّا مَضَى مِنْ مَوْتِهِ سَبْعُونَ سَنَةً... وَجَّهَ اللَّهُ مَلِكًا مِنْ مَلُوكِ فَارَسَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدَسِ لِيَعْمُرَهُ، فَعَمَرَهُ، وَرَدَّ مِنْ بَقِيٍّ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَلَمَّا تَمَّتَ الْمِئَةُ أَحْيَاهُ اللَّهُ^(١).

قوله: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ (أَوْ) لِلْإِضْرَابِ؛ لِأَنَّهُ نَامَ ضَحْوَةَ النَّهَارِ، فَأُحْيِيَ آخَرَ النَّهَارِ، فَظَنَّ أَنَّهُ يَوْمُ النَّوْمِ، فَبِالضَّرُورَةِ لَيْسَ يَوْمًا كَامِلًا.

قوله: (قِيلَ: أَصْلٌ) أَي: فِيهِ لَامُ الْكَلِمَةِ، وَالْفِعْلُ مُجْزُومٌ بِسُكُونِ الْهَاءِ، فَأَصْلُ سَنَةٍ: سَنَةٌ^(٢).

(١) الخبر بطوله عند البغوي في «تفسيره» (٣٥٢/١)، وفيه خبر عزيز الآتي أيضاً.

(٢) يتسَنَّه: مشتق من السنة؛ أي: لم تمر عليه السنوات، والمعنى على التشبيه؛ أي: كأنه لم تمر عليه المئة سنة.

«الفتوحات» (٢١٣/١).

وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِئُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

وقيل: لِلسَّكْتِ مِنْ (سَانَيْتُ)، وفي قِرَاءَةِ بِحَذْفِهَا - ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾ كَيْفَ هُوَ؟ فَرَأَهُ مَيِّتًا وَعِظَامُهُ بِيضٌ تَلُوحُ، فَعَلْنَا ذَلِكَ لِتَعْلَمَ، ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً﴾ عَلَى الْبَعْثِ ﴿لِلنَّاسِ﴾ وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ مِنْ حِمَارِكَ ﴿كَيْفَ نُنشِئُهَا﴾: نُحْيِيهَا - بِضَمِّ النُّونِ، وَقُرِئَ بِفَتْحِهَا مِنْ (أَنْشَرَ) وَ(نَشَرَ) لُغَتَانِ، وفي قِرَاءَةِ بِضَمِّهَا وَالزَّايِ: نُحَرِّكُهَا وَنَرْفَعُهَا - ﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾، فَنَظَرَ إِلَيْهَا وَقَدْ تَرَكَّبَتْ وَكُسِيتَ لَحْمًا وَنُفِخَ فِيهِ الرُّوحُ وَنَهَقَ، ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾ ذَلِكَ بِالْمُشَاهَدَةِ ﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾ عِلْمَ مُشَاهَدَةٍ ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. - وفي قِرَاءَةِ: (اعْلَمَ) أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ لَهُ ..

حاشية الصاوي

قوله: (وقيل: للسكت) أي: فهي زائدة، وأصل سنة: سنو.

قوله: (وفي قراءة بحذفها) أي: وصلاً^(١).

قوله: (من أنشر ونشر) لفٌّ ونشرٌ مرتَّب.

قوله: (ونرفعها) أي: نرفعُ بعضُها إلى بعض^(٢).

قوله: (علم مشاهدة) جوابٌ عن سؤالٍ مقدَّر.

قوله: (أمر من الله له) أي: وترقى من علم اليقين إلى عين اليقين.

روي: أن العزيزَ لما أُحْيِيَ ورأسه ولحيته إذ ذاك سوداوان وهو ابنُ أربعين سنة.. ركبَ حمارَهُ وأتى محلَّته، فأنكره الناسُ، وأنكرَ هو الناسَ والمنازلَ، فانطلقَ على وَهْمٍ مِنْهُ حَتَّى أَتَى مَنْزِلَهُ، فإِذَا بِعَجُوزٍ عَمِيَاءَ مَقْعَدَةٍ قَدْ أَدْرَكَتْ زَمَنَ عُزَيْرٍ، فَقَالَ عُزَيْرٌ: يَا هَذِهِ؟ هَذَا مَنْزِلُ عُزَيْرٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، وَأَيْنَ عُزَيْرٍ؟ قَدْ فَقَدْنَاهُ مِنْذُ كَذَا وَكَذَا، فَبَكَتْ بَكَاءً شَدِيدًا، قَالَ: فَإِنِّي عُزَيْرٌ، قَالَتْ: سُبْحَانَ اللَّهِ! أَنَّى يَكُونُ

(١) قرأ حمزة والكسائي بالهاء وفقاً وبحذفها وصلاً، والباقون بإثباتها في الحاليين. انظر «الدر المصون» (٢/٥٦٣).

(٢) قرأ أبو عمرو ونافع وابن كثير: (نُنشِئُهَا) بضم النون وكسر الشين والراء المهملة، والباقون بالزاي: (نُنشِئُهَا).

المصدر السابق (٢/٥٦٦).

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ

﴿٢٦٠﴾ ﴿و﴾ اذْكُرْ ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ

حاشية الصاوي

ذلك؟! قال: قد أمانني الله مئة عام ثم بعثني، قالت: إن عزيزاً كان رجلاً مجاب الدعوة، فادع الله لي يرد علي بصري حتى أراك، فدعا ربّه، فمسح بين عينيها فصحتا، فأخذ بيدها فقال لها: قومي بإذن الله، فقامت صحيحة كأنها نشطت من عقال، فنظرت إليه، فقالت: أشهد أنك عزيز، فانطلقت به إلى محلّة بني إسرائيل وهم في أنديتهم، وكان في المجلس ابنٌ لعزيز قد بلغ مئة وثمانين عشرة سنة، وبنو بنيّه شيوخ، فنادت: هذا عزيزٌ قد جاءكم، فكذبوها، فقالت: انظروا فإني بدعائه رجعتُ إلى هذه الحالة، فنهض الناس، فأقبلوا إليه، فقال ابنه: كان لأبي شامة سوداء بين كتفيه مثل الهلال، فكشف فإذا هو كذلك.

وقد كان قبل بخت نَصْر بيت المقدس من قرأ التوراة أربعون ألفاً، ولم يكن يومئذ بينهم نسخة من التوراة، ولا أحد يعرف التوراة، فقرأها عليهم عن ظهر قلبه من غير أن يُخلّ منها بحرف، فقال رجل من أولاد المسييين ممن ورد بيت المقدس بعد هلاك بخت نَصْر: حدثني أبي عن جدي أنه دفن التوراة يوم سبينا في خابية في كرم، فإن أريتموني كرم جدي أخرجتها لكم، فذهبوا به إلى كرم جدّه، ففتشوا فوجدوها، فعارضوها بما أملى عليهم عزيزٌ عن ظهر القلب فما اختلفا في حرف واحد، فعند ذلك قالوا: هو ابنُ الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ هذا دليل آخر لقوله: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، وقصة إبراهيم أبلغ من قصة العزيز؛ لعظيم مقام إبراهيم، وإنما غاير الأسلوب ولم يقل: أو كالذي قال: ربّ! أرني... إلخ؛ لأن إبراهيم قد تقدّم له ذكر، وأيضاً الأمر المعجز لم يقع له في نفسه كالعزيز، وإنما أراه الله ذلك في غيره.

وسبب سؤال إبراهيم: أنه مرّ بساحل طبرية فوجد جيفة، قيل: جيفة إنسان، وقيل: حمار، وقيل: حوت، فلما رآها وجد السباع والطيور والسمك تأكل منها، فاشتاقَتْ نفسه إلى رؤية جمع الله لها، فقال: أعلم أن الله قادرٌ على جمعها، لكن أحبُّ أن أرى ذلك، وقيل: سبب سؤاله: أنه لما حاجج النمروذ حيث قال: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُخَيِّ وَيُمِيتُ﴾، فقال النمروذ: أنا أحيي وأميت، ودعا برجلين، فقتل أحدهما وعفا عن الآخر، فقال له إبراهيم: ليس هذا إحياء؛ فإن الإحياء إدخال الروح في الجسم وتقويمه بها، فقال النمروذ: أوزبك يفعل ذلك؟ فقال إبراهيم: نعم، فقال له: هل عاينته؟

رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيُظْمِنَ قَلْبِي

رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ تَعَالَى لَهُ: ﴿أُولَئِمُ تُؤْمِنُ﴾ بِقُدْرَتِي عَلَى الْإِحْيَاءِ؟ سَأَلَهُ مَعَ عِلْمِهِ بِإِيمَانِهِ بِذَلِكَ لِيُجِيبَهُ بِمَا سَأَلَ، فَيَعْلَمُ السَّامِعُونَ غَرَضَهُ، ﴿قَالَ بَلَى﴾ آمَنْتُ، ﴿وَلَكِن﴾ سَأَلْتُكَ ﴿لِيُظْمِنَ﴾: يَسْكُنُ ﴿قَلْبِي﴾ بِالْمُعَايَنَةِ الْمَضْمُونَةِ إِلَى الْاسْتِدْلَالِ،

حاشية الصاوي

فانتقلَ لِحِجَّةٍ أُخْرَى وَهِيَ أَنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ... الْآيَةُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَشَوَّقُ لِلْمُعَايَنَةِ لِتَقْوَى حُجَّتِهِ عَلَى قَوْمِهِ إِذَا سَأَلُوهُ عَنِ الْمُعَايَنَةِ، وَقَالَ: ﴿رَبِّ أَرِنِي...﴾ الْآيَةُ (١).

قَوْلُهُ: ﴿رَبِّ أَرِنِي﴾ أَصْلُهُ: أَرَيْتُنِي بوزن: أَكْرَمَنِي، حَذَفَتِ الْيَاءُ؛ لِأَنَّ الْأَمْرَ كَالْمُضَارَعِ فَصَارَ أَرَيْتُنِي، ثُمَّ نُقِلَتِ حَرَكَةُ الْهَمْزَةِ إِلَى الرَّاءِ وَحَذَفَتِ الْهَمْزَةُ، وَالرُّوْيَةُ هُنَا بَصَرِيَّةٌ تَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ، فَلَمَّا دَخَلَتْ هَمْزَةُ النِّقْلِ تَعَدَّتْ إِلَى مَفْعُولٍ ثَانٍ وَهُوَ جُمْلَةُ الْاسْتِفْهَامِ.

قَوْلُهُ: (سَأَلَهُ) أَي: سَأَلَ اللَّهَ إِبْرَاهِيمَ، وَقَوْلُكَ: (بِذَلِكَ) أَي: بِقُدْرَتِهِ عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى.

قَوْلُهُ: (لِيُجِيبَ) عَلَّةٌ لـ(سَأَلَ)، وَفَاعِلُ الْإِجَابَةِ إِبْرَاهِيمُ، وَهُوَ الْمَسْئُولُ، وَقَوْلُهُ: (بِمَا سَأَلَهُ) أَي: اللَّهَ، وَقَوْلُهُ: (فَيَعْلَمُ السَّامِعُونَ غَرَضَهُ) أَي: لِأَنَّ سَأَالَهُ أَوَّلًا يُؤْهِمُ عَدَمَ إِيْمَانِهِ، فَتَرْتَّبَ عَلَى سَأَالِ اللَّهِ لَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿أُولَئِمُ تُؤْمِنُ﴾ مِنْ كَشْفِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ مُرَادِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿بَلَى وَلَكِن لِّيُظْمِنَ قَلْبِي﴾.

قَوْلُهُ: (آمَنْتُ) قَدَرَهُ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَلَكِن لِّيُظْمِنَ قَلْبِي﴾ مَرْتَّبٌ عَلَيْهِ، وَهَنَّاكَ مَحْذُوفٌ آخَرُ تَقْدِيرُهُ: وَلَيْسَ سَأَالِي لِعَدَمِ إِيْمَانٍ مِنِّي وَلَكِنْ... إلخ.

قَوْلُهُ: (يَسْكُنُ قَلْبِي) أَي: مِنْ اضْطِرَابِهِ وَاشْتِيَاقِهِ إِلَى الْمُعَايَنَةِ، وَلَا يَقْدَحُ ذَلِكَ فِي إِيْمَانِ إِبْرَاهِيمَ؛ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ مُؤْمِنٌ بِرَسُولِ اللَّهِ وَبَبَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، وَلَكِنْ قَلْبُهُ مُشْتَاقٌ وَمُضْطَرَبٌ لِمُشَاهَدَةِ رَسُولِ اللَّهِ وَبَيْتِهِ الْحَرَامِ غَايَةَ الْإِشْتِيَاقِ، وَمَعَ ذَلِكَ لَا يَقْدَحُ فِي إِيْمَانِهِ بِمَا ذَكَرَ، وَكَسْوَالِ مُوسَى رُؤْيَةَ اللَّهِ مَعَ كَوْنِهِ فِي أَعْلَى مَرَاتِبِ الْإِيْمَانِ بِاللَّهِ.

قَوْلُهُ: (بِالْمُعَايَنَةِ الْمَضْمُونَةِ إِلَى الْاسْتِدْلَالِ) إِنْ قُلْتَ: إِنْ إِيْمَانَ الْأَنْبِيَاءِ حَقٌّ يَقِينٌ لَا عِلْمُ يَقِينٍ وَلَا عَيْنُ يَقِينٍ، فَكَيْفَ يَطْلُبُ إِبْرَاهِيمُ الْإِنْتِقَالَ مِنْ عِلْمِ الْيَقِينِ إِلَى عَيْنِ الْيَقِينِ مَعَ أَنَّ مَرْتَبَتَهُ فَوْقَ ذَلِكَ؟ أَجِيبَ: بِأَنَّ هَذَا الْكَلَامَ بِالنِّسْبَةِ لِلذَّاتِ وَالصِّفَاتِ لَوْجُودِهَا بِحَيْثُ لَوْ كُشِفَ عَنَّا الْحِجَابُ

(١) السِّبْيَانُ رَوَاهُمَا الطَّبْرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٤٨٥/٥) عَنْ قَتَادَةَ وَابْنِ جَرِيرٍ وَعَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ.

قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ
يَأْتِيَنَّكَ سَعِيًّا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾

﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ - بِكسرِ الصَّادِ وَضَمِّهَا -: أَمِلْهُنَّ إِلَيْكَ وَقَطَّعْهُنَّ
وَاخْلِطْ لَحْمَهُنَّ وَرِيَشَهُنَّ، ﴿ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ﴾ مِّنْ جِبَالِ أَرْضِكَ ﴿مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ
ادْعُهُنَّ﴾ إِلَيْكَ ﴿يَأْتِيَنَّكَ سَعِيًّا﴾ سَرِيعًا، ﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، ﴿حَكِيمٌ﴾
فِي صُنْعِهِ، فَأَخَذَ طَاوُوسًا وَنَسْرًا وَغُرَابًا وَدِيكًا، وَفَعَلَ بِهِنَّ مَا ذَكَرَ، وَأَمْسَكَ رُؤُوسَهُنَّ عِنْدَهُ،
وَدَعَاهُنَّ فَتَطَايَرَتْ الْأَجْزَاءُ إِلَى بَعْضِهَا حَتَّى تَكَامَلَتْ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ إِلَى رُؤُوسِهَا.

حاشية الصاوي

لَرَأَيْنَاهَا، وَأَمَّا إِيْجَادُ اللَّهِ لِلْأَشْيَاءِ فَهُوَ أَمْرٌ اِعْتِبَارِي يُطْلَعُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ مَن خَصَّهُ بِرَحْمَتِهِ، فَلَا يُشَاهِدُهُ
إِلَّا مَن رَأَاهُ بَعِينُهُ.

وأجيب أيضاً: بأنه من أهل حقِّ اليقين في الجميع؛ لأن الله يمثِّلُ لأحبابه الأمورَ الاعتبارية
التي ستحصلُ فتصيرُ كالمشاهدة الحاضرة، فلا فرق في حقِّ اليقين بين شُهود الذات والصفات
والأفعال، وإنما طلب ذلك لأجل تمام الاستدلال والاحتجاج على قومه، وهذا هو الأتمُّ^(١).

قوله: (بكسر الصاد وضمها) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(٢).

قوله: (أَمِلْهُنَّ إِلَيْكَ) أي: أو قَطَّعْهُنَّ، فهما معنيان لـ(صُرْهُنَّ)، والمفسرُ جمعَ بينهما.

قوله: (من جبالِ أرضك) أي: من جبالِ حولك، وكانت أربعاً، وقيل: سبعاً.

قوله: (فأخذ طائوساً... إلخ) الحكمةُ في اختيار هذه الطيور الأربعة: شَبَّهَهَا بِالْإِنْسَانِ؛ فَإِنْ
فِي الطَاوُوسِ الْحَيَلَاءِ وَالْعُجْبِ، وَفِي النَّسْرِ شَهْوَةُ الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ، وَفِي الْغُرَابِ الْحَرَصِ، وَفِي الدِّيكِ
شَهْوَةُ النِّكَاحِ، وَذَلِكَ كُلُّهُ فِي الْإِنْسَانِ.

قوله: (ثم أقبلت إلى رؤوسها) أي: بدعائها ثانياً، فالدعوة الأولى لالتئام أجزائها، والثانية:

(١) والجوابان على طريقة من يقول بأن إيمان الأنبياء كإيمان الملائكة لا يزيد ولا ينقص، وهو ما ذهب إليه المصنف
في «شرحه للجوهرة» (ص ١٣٩)، وهي مسألة فيها خلاف، فذهب جمعٌ أن إيمان الأنبياء يزيد ولا ينقص، وجعلوا
في هذه الآية إشارة لذلك، وكذا في قوله تعالى: ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾، وهو ما يُفيدُه كلام العلامة الأمير
في «حاشيته على شرح الجوهرة» (ص ٩٠).

(٢) قرأ حمزة بكسر الصاد، والباقون بضمها. انظر «الدر المصون» (٢/ ٥٧٥).

مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ

﴿٢٦١﴾ ﴿مَثَلُ﴾: صِفَةُ نَفَقَاتِ ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أَي: طَاعَتِهِ ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾ فَكَذَلِكَ نَفَقَاتُهُمْ تُضَاعَفُ لِسَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ﴾ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ
حاشية الصاوي

لإتيانها إليه لأخذ رؤوسها، وإنما لم تكن من جنس واحد ليظهر التمييز، وكانت من الطيور لأن الطير صفته الطيران في العلو، وجهة إبراهيم إلى جهة العلو، فمعجزته مشاكلة لهمة.

قوله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ﴾ ﴿مَثَلُ﴾: مبتدأ مضاف للموصول، و﴿يُنْفِقُونَ﴾: صلته، والخبر قوله: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾، وقدر المفسر قوله: (نفقات) ليصح التشبيه؛ لأن ذوات المنفقين لا يصح تشبيهها بالحبة، والحاصل: أنه لا يصح التشبيه إلا بتقدير إما في الأول كما صنع المفسر، أو في الثاني؛ أي: مثل الذين ينفقون أموالهم كمثل باذر حبة.

قوله: (طاعته) أي: واجبة أو مندوبة، فيشمل الجهاد وطلب العلم والحج والتوسعة على العيال وغير ذلك، وكلما عظمت القربة كانت الحسنات فيها أكثر.

قوله: ﴿أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾ أي: في سبع شعب، والأصل والساق واحد، وسنابل: جمع سنبلة، ويقال أيضاً: سبل وسنبلة، وفعل الأول: سنب، والثاني: سبل، وغالباً يوجد ذلك في الذرة والدخن والشعير.

قوله: ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ﴾ أكثر من ذلك) أي: على حسب الإخلاص وطيب المال، ويشهد لذلك قوله ﷺ: «الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضاً من بعدي، فوالذي نفسي بيده؛ لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»^(١).

(١) جمع رحمه الله بين حديثين؛ فقد روى الترمذي (٣٨٦٢) عن عبد الله بن مغفل مرفوعاً: «الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضاً من بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه»، وروى البخاري (٣٦٧٣) عن أبي سعيد الخدري، ومسلم (٢٥٤٠) عن أبي هريرة مرفوعاً: «لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه».

لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِ ﴿٢٦١﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ مِمَّا
أَنْفَقُوا مَنَّا

﴿لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ فَضْلُهُ، ﴿عَلَيْهِ﴾ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْمُضَاعَفَةَ.

﴿٢٦١﴾ ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ مِمَّا أَنْفَقُوا مَنَّا﴾ عَلَى الْمُنفِقِ عَلَيْهِ
بِقَوْلِهِمْ مَثَلًا: قَدْ أَحْسَنْتُ إِلَيْهِ وَجَبَرْتُ حَالَهُ،

حاشية الصاوي

واعلم: أن أقل المضاعفة عشر، ثم سبعون، ثم سبع مئة، ثم إلى غير نهاية، وظاهر المفسر:
أن وعد الله الذي لا يتخلف هو المضاعفة بالسبع مئة، وأما ما زاد فيختص برحمته من يشاء،
والحق: أن وعد الله الذي لا يتخلف هو المضاعفة بالعشر، وما زاد فيخص به من يشاء، فقوله:
﴿وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَن يَشَاءُ﴾ صادق بما فوق العشرة.

قوله: ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ فضله) أي: فلا يستغرب إعطاؤه الشيء الكثير في نظير شيء قليل،
لا تخفى عليه خافية، وهذا كالدليل لما قبله.

قوله: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾ نزلت هذه الآية في حق عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن
عوف رضي الله عنهما في غزوة تبوك، حيث جهز عثمان ألف بعير بأحلاسها وأقتابها^(١)، ووضع بين يدي
رسول الله ألف دينار، فصار رسول الله يقلبها ويقول: «ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم»^(٢)، وأتى
عبد الرحمن النبي عليه الصلاة والسلام بأربعة آلاف درهم، وأخبره أنه أبقى لأهله نظيرها، فقال له:
«بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أنفقت»^(٣)، فصار بعد ذلك ماله كالتراب.

قوله: ﴿مَنَّا﴾ هو تعداد النعم، وأتى بـ(ثم) إشارة إلى أن المَنَّ يقع بعد الإنفاق بمهلة،
وهو حرام محبب للعمل، إلا من الوالد على ولده، والشيخ على تلميذه، والسيد على عبده، فليس
بحرام.

(١) رواه الترمذي (٣٧٠٠) عن عبد الرحمن بن خباب رضي الله عنه، وفيه ذكر تسع مئة، ونقل المحب الطبري في «الرياض

النضرة» (١٧/٣) عن ابن شهاب الزهري قوله: (حمل عثمان بن عفان في غزوة تبوك على تسع مئة وأربعين بعيراً،

وستين فرساً أنتم بها الألف)، قال: (خرجه القزويني الحاكمي).

(٢) رواه الترمذي (٣٧٠١) من حديث عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٨٣/١٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وَلَا أَذَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبَعُهَا أَذَىٰ.....

﴿وَلَا أَذَىٰ﴾ لَهُ بِذِكْرِ ذَلِكَ لِمَنْ لَا يُحِبُّ وَقُوفَهُ عَلَيْهِ وَنَحْوَهُ، ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ ثَوَابٌ إِنْفَاقِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ فِي الْآخِرَةِ.

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾: كَلَامٌ حَسَنٌ وَرَدُّ عَلَى السَّائِلِ جَمِيلٌ ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ لَهُ فِي إِلْحَاجِهِ، ﴿خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبَعُهَا أَذَىٰ﴾ بِالْمَنْ وَتَعْيِيرٌ لَهُ بِالسُّؤَالِ،.....

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَلَا أَذَىٰ﴾ من عطف العام على الخاص؛ لأنَّ المَنْ من جملة الأذى.

قوله: (ونحوه) أي: كَانَ يَعْطِيهِ وَيُسَبِّه.

قوله: ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أي: مَذْخَرٌ عِنْدَهُ، وَالْعِنْدِيَّةُ عِنْدِيَّةُ مَكَانَةٍ وَشَرَفٍ لَا مَكَانَ.

قوله: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي: فِي الْآخِرَةِ، وَالْخَوْفُ: غَمٌّ لَمَّا يَسْتَقْبِلُ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أي: فِيهَا، وَالْحَزَنُ: غَمٌّ لَمَّا مَضَى، فَقَوْلُهُ: (فِي الْآخِرَةِ) رَاجِعٌ لَهُمَا، وَأَمَّا فِي الدُّنْيَا فَلَا مَانِعَ مِنْ حَصُولِ ذَلِكَ؛ لَمَّا فِي الْحَدِيثِ: «أَشَدُّكُمْ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَوْلِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ» فَالْأَمْثَلُ^(١).

قوله: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾... إلخ ﴿قَوْلٌ﴾: مُبْتَدَأٌ، وَ﴿مَّعْرُوفٌ﴾: صِفَتُهُ، ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾: مَعْطُوفٌ عَلَيْهِ، وَ﴿خَيْرٌ﴾: خَيْرُهُ، وَسَوْغُ الْإِبْتِدَاءِ بِالنُّكْرَةِ الْأُولَى وَصَفُهَا، وَبِالثَّانِيَةِ عَطْفُهَا عَلَى مَا لَهُ مَسَوِّغٌ.

قوله: (كلام حسن) أي: مِنَ الْمَسْئُولِ؛ كَانَ يَقُولُ لَهُ: اللَّهُ يَرْزُقُكَ مَثَلًا.

قوله: ﴿خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبَعُهَا أَذَىٰ﴾ اعْلَمْ: أَنَّ أَعْلَى الْمَرَاتِبِ الْإِحْسَانُ مَعَ الْكَلَامِ الْحَسَنِ، ثُمَّ الْكَلَامُ الْحَسَنُ مِنْ غَيْرِ إِعْطَاءٍ، وَأَدْنَاهَا الْإِعْطَاءُ مَعَ الْأَذَى، وَهَلْ لَهُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ ثَوَابٌ لِقَضَاءِ حَاجَةِ السَّائِلِ، وَعِقَابٌ مِنْ جِهَةِ الْأَذَى؟ أَوْ لَا ثَوَابٍ وَلَا عِقَابٍ؟ أَوْ يُعَاقَبُ فَقَطْ وَلَا ثَوَابَ لَهُ؛ لِيُجُودَ الْأَذَى؟ وَيُؤَيِّدُهُ: مَا يَأْتِي فِي قَوْلِهِ: ﴿لَا تُبْطَلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ...﴾ الْآيَةُ، وَعَلَى ذَلِكَ: فَيَشْكَلُ الْإِتْيَانُ بِاسْمِ التَّفْضِيلِ! وَأَجِيبَ: بِأَنَّ الْخَيْرِيَّةَ بِالنِّسْبَةِ لِلْسَّائِلِ لَا لِلْمَسْئُولِ.

(١) رواه الترمذي (٢٣٩٨)، والنسائي في «الكبرى» (٧٤٣٩)، وابن ماجه (٤٠٢٣) وليس فيه «ثم الأولياء»، بل تفهم من

وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَتَابِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطَلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ

﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عَنْ صَدَقَةِ الْعِبَادِ، ﴿حَلِيمٌ﴾ بِتَأْخِيرِ الْعُقُوبَةِ عَنِ الْمَانِّ وَالْمُؤْذِي.

﴿٢٦٤﴾ ﴿يَتَابِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطَلُوا صَدَقَتِكُمْ﴾ أَي: أَجُورَهَا ﴿بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ إِبْطَالًا ﴿كَالَّذِي﴾ أَي: كإِبْطَالِ نَفَقَةِ الَّذِي ﴿يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ﴾ مُرَافِقًا لَهُمْ، ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ وَهُوَ الْمُنَافِقُ، ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾: حَجَرٍ أَمْلَسَ ﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ﴾: مَطَرٌ شَدِيدٌ، ﴿فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾: صُلْبًا أَمْلَسَ لَا شَيْءَ عَلَيْهِ، ﴿لَا يَقْدِرُونَ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ﴾ أَي: فَلَا يُحْرَجُ عِبَادَةُ الْفُقَرَاءِ إِلَى مَنْ الْأَغْنِيَاءِ وَأَذَاهُمْ، وَيَرْزُقُهُمْ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، إِذَا سُدَّ بَابُ يَفْتَحُ اللَّهُ عَشْرَةَ، وَفِي الْحَقِيقَةِ: الصَّدَقَةُ نَفْعٌ صِرْفٌ لِمُصَاحِبِهَا، ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾ [الإسراء: ٧]، وَأَمَّا قِسْمَةُ اللَّهِ لِلْعَبْدِ فَلَا تُخْطِئُهُ، بَلْ إِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ هَذَا فَمِنْ غَيْرِهِ.

قوله: (أَي: أَجُورَهَا) يَحْتَمِلُ أَنْ الْمُرَادَ مِضَاعَفَتُهَا، أَوْ ثَوَابُهَا مِنْ أَصْلِهِ.

قوله: (إِبْطَالًا) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿كَالَّذِي﴾ صِفَةٌ لِمَصْدَرٍ مَحْذُوفٍ.

قوله: (أَي: كإِبْطَالِ نَفَقَةِ الَّذِي) الْكَلَامُ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ؛ أَي: كإِبْطَالِ أَجْرِ نَفَقَةِ الَّذِي...

إِلخ.

قوله: (أَي: مُرَافِقًا لَهُمْ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ ﴿رِثَاءَ﴾ مَصْدَرٌ بِمَعْنَى اسْمِ الْفَاعِلِ، حَالٌ مِنْ فَاعِلِ ﴿يُنْفِقُ﴾، وَالْمُرَادُ: مُفَاعَلَةٌ مِنَ الْجَانِبِينَ.

قوله: (وَهُوَ الْمُنَافِقُ) أَي: وَهُوَ قِسْمَانِ: نِفَاقٌ عَمَلِيٌّ، وَنِفَاقٌ دِينِيٌّ، فَالْأَوَّلُ: أَنْ يَقْصِدَ بِصَدَقَاتِهِ وَصَلَاتِهِ وَصَوْمِهِ غَيْرَ وَجْهِ اللَّهِ لَكِنَّهُ مُسْلِمٌ، وَالثَّانِي: أَنْ يَظْهَرَ الْإِسْلَامَ وَيُخْفِي الْكُفْرَ، فَمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ أَي: أَصْلًا؛ بَأَنْ يَكُونَ كَافِرًا، أَوْ إِيْمَانًا كَامِلًا؛ بَأَنْ يَكُونَ مُسْلِمًا عَاصِيًا.

قوله: ﴿فَمَثَلُهُ﴾ أَي: فِي الْإِنْفَاقِ.

قوله: (حَجَرٍ أَمْلَسَ) أَي: وَهُوَ كَبِيرٌ.

قوله: (مَطَرٌ شَدِيدٌ) وَأَوَّلُهُ رَشٌّ، ثُمَّ طَشٌّ، ثُمَّ طَلٌّ، ثُمَّ نَضْحٌ، ثُمَّ هَطْلٌ ثُمَّ وَبْلٌ.

عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ
ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَثَلَّثَ
أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِيبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ.....

استئنافٌ لبيانِ مَثَلِ الْمُنَافِقِ الْمُتَنَفِّقِ رِثَاءَ النَّاسِ، - وَجَمَعَ الضَّمِيرُ بِاعْتِبَارِ مَعْنَى (الذي) -
﴿عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾: عَمِلُوا، أي: لَا يَجِدُونَ لَهُ ثَوَاباً فِي الْآخِرَةِ كَمَا لَا يُوجَدُ
عَلَى الصَّفْوَانِ شَيْءٌ مِنَ الثَّرَابِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ لِإِذْهَابِ الْمَطَرِ لَهُ، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْكَافِرِينَ﴾.

﴿٢٦٥﴾ ﴿وَمَثَلُ﴾ نَفَقَاتِ ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءً﴾: طَلَبَ ﴿مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا
مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: تَحْقِيقاً لِلثَّوَابِ عَلَيْهِ بِخِلَافِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَهُ لِإِنْكَارِهِمْ لَهُ،
- و﴿مِّنْ﴾ ابْتِدَائِيَّةٌ - ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾: بُسْتَانٍ ﴿بِرَبْوَةٍ﴾ - بِضَمِّ الرَّاءِ وَفَتْحِهَا -: مَكَانٌ مُّرْتَفِعٌ
مُسْتَوٍ، ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ فَثَلَّثَ﴾: أَعْطَتْ ﴿أُكُلَهَا﴾ - بِضَمِّ الْكَافِ وَسُكُونِهَا -: ثَمَرَهَا
﴿ضِعْفَيْنِ﴾: مِثْلِي مَا يُثْمَرُ غَيْرُهَا، ﴿فَإِن لَّمْ يُصِيبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ﴾: مَطَرٌ خَفِيفٌ يُصِيبُهَا
وَيَكْفِيهَا لِارْتِفَاعِهَا، الْمَعْنَى: تُثْمِرُ وَتَزْكُو كَثَرُ الْمَطَرِ أَمْ قَلٌّ، فَكَذَلِكَ نَفَقَاتُ مَنْ ذَكَرَ تَزْكُو
عِنْدَ اللَّهِ.....

حاشية الصاوي

قوله: (وجمع الضمير باعتبار معنى الذي) أي: وأفرد فيما قبله نظراً للفظه.

قوله: (﴿ابْتِغَاءً﴾) مفعول لأجله.

قوله: (أي: تحقيقاً للثواب) أي: جازماً ومُصمماً أن الله يُثِيبُهُ^(١).

قوله: (مكان مرتفع) أي: طيب، حسن شجره، تام ثمره، وقوله: (مُستو) أي: لا مُستَم؛ لعدم

بقاء الماء عليه، وقوله: (بضم الراء وفتحها) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(٢).

قوله: (لارتفاعها) أي: واستوائها.

(١) روى الطبري في «تفسيره» (٥/٥٣٣) عن الحسن: (كان الرجل إذا همَّ بصدقة تثبَّت، فإن كان لله مضي، وإن خالطه شكٌ أمسك).

(٢) قرأ ابن عامر وعاصم: (رَبْوَةٌ) بفتح الراء، والباقون بالضم. انظر «الدر المصون» (٢/٥٩٢).

وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَّدُ أَحَدُكُمْ أَنَّ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ

كَثُرَتْ أَمْ قَلَّتْ، ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فَيُجَازِيكُمْ بِهِ.
 ﴿٢٦٦﴾ ﴿أَيَوَّدُ﴾: أَيَحِبُّ ﴿أَحَدُكُمْ أَنَّ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ﴾: بُسْتَانٌ ﴿مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا ثَمَرٌ﴾ مِّنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ

حاشية الصاوي

قوله: (كثرت أم قلت) أي: فحيث حسن باطنه بالإخلاص فقليل عمله ككثيره في رضا الله عنه، قال العارف: [الطويل]

وَبَعْدَ الْفَنَاءِ فِي اللَّهِ كُنْ كَيْفَمَا تَشَاءُ فَعِلْمُكَ لَا جَهْلٌ وَفِعْلُكَ لَا وِزْرٌ^(١)

قوله: (فيجازيكم به) في ذلك وعد للمخلصين برضا الله والفوز الأكبر، ووعد للمرائين بغضب الله وعدم الرضا عليهم.

قوله: ﴿أَيَوَّدُ أَحَدُكُمْ﴾ شروع في ذكر مثال آخر للمرائي والمان، والاستفهام إنكاري بمعنى النفي، ومصبه قوله: ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾^(٢)، وقوله: (أَيَحِبُّ) تفسير لـ (يود)، فالمودة هي: المحبة لكن مع تمنّي اللقاء.

قوله: ﴿جَنَّةٌ﴾ قيل: إن المراد بالجنة الأرض ذات الشجر، وقيل: الشجر نفسه.

قوله: ﴿نَّخِيلٍ﴾ اسم جنس جمعي، واحده: نخلة، ولا يكون إلا لشجر البلح، والأعناب: جمع عنب، اسم للكرم المعلوم، خصهما لعظم منافعهما ومزيد فضلهما على سائر الأشجار، وإلا.. فالمراد في الآية جميع الثمار؛ بدليل باقي الآية.

قوله: ﴿لَهُ فِيهَا ثَمَرٌ﴾ أشار بذلك إلى أن ﴿مِّنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ جارٌّ ومجرور متعلقٌ بمحذوف صفة لموصوف محذوف على حدٍّ: (منا ظعن ومنا أقام) أي: منا فريق ظعن ومنا فريق أقام، وكقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾؛ أي: ما منا أحد، وقوله: ﴿لَهُ﴾ متعلقٌ بمحذوف خبر لـ (ثمر) المقدّر، وقوله: ﴿فِيهَا﴾ متعلقٌ بمحذوف حال من ضمير الخبر.

(١) البيت للعارف بالله محمد وفا ضمن قصيدة له. انظر «ديوانه» (ص ١٢٠).

(٢) المنفي في الحقيقة هو قوله: ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ...﴾، إلخ، فهو مصب الإنكار والنفي، وعبارة أبي السعود في «تفسيره» (٢٦٠/١): والهمزة لإنكار الوقوع، على معنى أن مناط الإنكار ليس جميع ما تعلق به الود، بل إنما هو قوله: ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ﴾. «الفتوحات» (١/٢٢٢).

وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ

و ﴿أَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾ فَضَعُفَ مِنَ الْكِبَرِ عَنِ الْكَسْبِ، ﴿وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ﴾: أَوْلَادٌ صِغَارٌ لَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ، ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ﴾: رِيحٌ شَدِيدَةٌ ﴿فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ فَفَقَدَهَا أَحْوَجَ مَا كَانَ إِلَيْهَا، وَبَقِيَ هُوَ وَأَوْلَادُهُ عَجْزَةً مُتَحِيرِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ، وَهَذَا تَمَثِيلٌ لِنَفَقَةِ الْمُرَائِي وَالْمَانِّ فِي ذَهَابِهَا وَعَدَمِ نَفْعِهَا أَحْوَجَ مَا يَكُونُ إِلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ، وَالِاسْتِفْهَامُ بِمَعْنَى النَّفْيِ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: هُوَ الرَّجُلُ عَمِلَ بِالطَّاعَاتِ، ثُمَّ بُعِثَ لَهُ الشَّيْطَانُ فَعَمِلَ بِالْمَعَاصِي حَتَّى أَحْرَقَ أَعْمَالَهُ، ﴿كَذَلِكَ﴾ كَمَا يُبَيِّنُ مَا ذَكَرَ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾ الجملة حالية، و(قد) مقدرة كما ذكره المفسر؛ لأن الجملة الماضية إذا وقعت حالاً.. فإن (قد) تصحبها إما لفظاً أو تقديرًا، وقوله: ﴿وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ﴾ جملة حالية أيضاً.

قوله: ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ﴾ هذا هو مصب الاستفهام؛ لأن هذا هو موضع المصيبة.

قوله: (ريح شديدة) هي المسمأة بالزُّوبعة؛ لأنها تعصرُ الشجرَ كما يعصرُ الإنسان الثوبَ، وتقلعه من أصله.

قوله: ﴿فَاحْتَرَقَتْ﴾ معطوف على ﴿أَصَابَهَا﴾.

قوله: (أحوج ما كان إليها) حال من فاعل (فقدتها)، أي: فقدتها هو حال كونه محتاجاً إليها.

قوله: (عجزة) جمع عاجز؛ ك(كَمَلَة وكامل).

قوله: (وهذا تمثيل لنفقة المرائي والمان) أي: لأنهما خصلتان من خصال المنافقين، وهو كافر بهما إن استحل ذلك.

قوله: (والاستفهام بمعنى النفي) أي: فهو إنكاري؛ يعني لا يحبُّ مسلمٌ ذلك.

قوله: (وعن ابن عباس) أي: فهو تفسير آخر لمعنى الآية^(١).

قوله: (ما ذكر) أي: من نفقة المخلص بقوله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾

الآية، ونفقة المرائي والمان بقوله: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ...﴾ الآية.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/٥٤٤) بنحوه.

يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ ...

﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ فتعتبرون.

﴿٢٦٦﴾ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا﴾ أي: زكّوا ﴿مِنْ طَيِّبَاتِ﴾: جِيارِ ﴿مَا كَسَبْتُمْ﴾ من المال، ﴿وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ من الحبوب والثمار، ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا﴾: تقصّدوا ﴿الْخَبِيثَ﴾: الرديء ﴿مِنْهُ﴾ أي: من المذكور ﴿تُنْفِقُونَ﴾ في الزكاة، - حالٌ من ضمير ﴿تَيَمَّمُوا﴾ - ﴿وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ﴾ أي: الخبيث لو أعطيتُموه في حقوقكم، .

حاشية الصاوي

قوله: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ أي: فلم يكلفكم إلا بعد البيان.

قوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا﴾ هذا نتيجة ما قبله، فبين أولاً الإخلاص في الإنفاق، وبين هنا الإخلاص في الشيء المنفق.

قوله: (زكّوا) أي: أدّوا الزكاة وما قاربها.

قوله: (من المال) أي: وهو النقد والمواشي وعروض التجارة.

قوله: ﴿وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ ظاهر الآية: أن جميع ما خرج من الأرض يجب فيه الزكاة، ولكن تفصيل ذلك موكولٌ للسنة، فأوجب الشافعي الزكاة فيما كان مُقتاتاً للآدمي حالة الاختيار إذا بلغ ذلك خمسة أوسق، ففيه إن سُقيَ بألة نصف العُشر، وبغيرها العُشر، وأبقاها أبو حنيفة على ظاهرها، فأوجب الزكاة في جميع ما يخرج من الأرض من مأكولات الآدمي كالفواكه والخضروات، وأوجب في ذلك العُشر قليلاً أو كثيراً، وعند مالك: تجب الزكاة في عشرين نوعاً: القمح والشعير والسُّلت والدُّخن والذُّرة والأرز والعلس، والقَطاني السبع وهي الفول والحمص والثُّرْمُس والبَسِيلَة والجُلْبَان واللوبياء والعدس، وذوات الزيوت الأربع وهي الزيتون والقرْطَم وحبُّ الفجل الأحمر والسُّمسيم والتمر والزبيب، فيخرج من ذلك نصف العُشر إن سُقيَ بألة، والعُشر كاملاً إن سُقيَ بغيرها، إن بلغ حبُّ ذلك أو زيت ما له زيت خمسة أوسق.

قوله: (أي: من المذكور) أي: الخبيث، فقوله: ﴿مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ متعلق بـ ﴿الْخَبِيثِ﴾.

قوله: ﴿وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ﴾ هذا احتجاج على من أدّى الزكاة من الرديء وامتنع من إعطائها من الطيب، وقد نزلت في الأنصار، عن البراء بن عازب قال: نزلت فينا معشر الأنصار، كنّا أصحاب

إِلَّا أَنْ تُغْنِيُوا فِيهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ

﴿إِلَّا أَنْ تُغْنِيُوا فِيهِ﴾ بالتساهل وغلص البصر، فكيف تؤذون منه حق الله؟! ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ﴾ عَنْ نَفَقَاتِكُمْ، ﴿حَمِيدٌ﴾: محمودٌ على كلِّ حالٍ.

﴿٢٦٨﴾ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ: يُخَوِّفُكُمْ بِهِ إِنْ تَصَدَّقْتُمْ فَتُمْسِكُوا، ﴿وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾: البخلِ ومنع الزكاة، ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُم﴾ على الإنفاقِ ﴿مَغْفِرَةً مِنْهُ﴾ لِذُنُوبِكُمْ، ﴿وَفَضْلًا﴾: رِزْقًا خَلْفًا مِنْهُ، ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ فَضْلُهُ،

حاشية الصاوي

نخل، فكان الرجل يأتي بالقنوَ والقنوين فيعلِّقهُ في المسجد، وكان أهلُ الصفة ليس لهم طعام، فكان أحدهم إذا جاع أتى القنوَ فضربه بعصاه فسقط البُسْرُ أو التمر فيأكل، وكان فينا من لا يرغب في الخير، فيأتي بالقنوَ فيه الشَّيْصُ والحشَفُ وبالقنوَ قد انكسر فيعلِّقهُ، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَتِمَّمُوا...﴾ الآية^(١).

قوله: (بالتساهل) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿إِلَّا أَنْ تُغْنِيُوا فِيهِ﴾ كناية عن التساهل؛ لأن من تساهل في شيء فقد غلص بصره عنه.

قوله: (عن نفقاتكم) أي: فأمركم بها لانتفاعكم بها، لا لعجزه عن نفقة الفقراء.

قوله: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ﴾ أي: يخبركم بأسباب الفقر ويجعله بين أعينكم.

قوله: (البخل) قال بعضهم: (الفحشاء في القرآن جميعه معناها الزنا، إلا هذه فمعناها البخل)^(٢)، والمعنى: يُغويكم ويخبركم بأمور يتسبب عنها البخل، فيترتب على ذلك مطاوعتكم له كمطاوعة المأمور للأمر، وسُمِّيَ إخبارُ الشيطان بالفقر وعداً مع أنه وعيدٌ لأنه شرٌّ؛ مشاكلةً لقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا﴾.

قوله: (خلفاً منه) ورد: أن الله بعث ملكين أحدهما ينادي: «اللهم أعط منفقاً خلفاً، والآخر ينادي: اللهم أعط ممسكاً تلفاً»^(٣)، وفي الحديث أيضاً: «أن للشيطان لمةً بابن آدم وللملك لمةً،

(١) رواه الترمذي (٢٩٨٧)، والقنوَ: العذق من النخل، والشَّيْصُ والحشَفُ: أردأ التمر.

(٢) «تفسير البغوي» (٣٧٢/١) عن الكلبي، ونحوه في «تفسير الثعلبي» (٢٧٠/٢) عن مقاتل.

(٣) رواه البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

عَلَيْهِمُ ۖ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ

﴿عَلَيْهِمُ﴾ بِالْمُنْفِقِ .

﴿٢٦٩﴾ ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ﴾ أَي : الْعِلْمَ النَّافِعَ الْمُؤَدِّيَ إِلَى الْعَمَلِ

حاشية الصاوي

فَأَمَّا لَمَّةُ الشَّيْطَانِ . . فإِعَادُ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبُ بِالْحَقِّ ، وَأَمَّا لَمَّةُ الْمَلِكِ . . فإِعَادُ بِالْخَيْرِ وَتَصْدِيقُ بِالْحَقِّ ، فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ ، وَمَنْ وَجَدَ الْآخِرَى فَلْيَتَعَوَّذْ مِنَ الشَّيْطَانِ ، ثُمَّ قَرَأْ : ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (١) .

قوله : (بالمنفق) يُقْرَأُ بِصِيغَةِ اسْمِ الْفَاعِلِ ؛ أَي : بَنِيَّةِ الشَّخْصِ الْمُنْفِقِ ، وَبصِيغَةِ اسْمِ الْمَفْعُولِ ؛ أَي : بِالشَّيْءِ الْمُنْفَقِ .

قوله : (العلم النافع . . إلخ) هذا هو أَصَحُّ الْأَقْوَالِ وَأَوْلَاهَا بِالصَّوَابِ ، وَفِي تَفْسِيرِهَا أَقْوَالٌ كَثِيرَةٌ ؛ قِيلَ : النَّبُوَّةُ ، وَقِيلَ : الْمَعْرِفَةُ بِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ ، وَقِيلَ : الْفَهْمُ فِيهِ ، وَقِيلَ : الْإِصَابَةُ فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ ، وَقِيلَ : الْفَقْهُ فِي الدِّينِ مُطْلَقاً ، وَقِيلَ : خَشْيَةُ اللَّهِ ، وَقِيلَ : الْقُرْآنُ ؛ لِمَا وَرَدَ : «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْزَالَ الْعَذَابَ بِقَوْمٍ سَمِعَ تَعْلِيمَ صَبِيَانِهِمُ الْحِكْمَةَ رَفَعَهُ عَنْهُمْ» (٢) ، وَيَشْهَدُ لِمَا قَالَهُ الْمَفْسِّرُ حَدِيثُ : «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَةٍ فِي الْخَيْرِ ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيَعْلَمُهَا النَّاسُ» (٣) .

قوله : (المؤدي إلى العمل) أَي : وَأَمَّا شَقَشَقَةُ اللِّسَانِ الَّتِي لَمْ تُورَثِ الْقَلْبَ خَشِيَةً . . فَلَا تُسَمَّى حِكْمَةً ، بَلْ يَعْذَّبُ الْإِنْسَانُ عَلَى ذَلِكَ وَيُبْعَثُ جَاهِلاً ، قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ : [الطويل]

إِذَا لَمْ يَزِدْ عِلْمُ الْفَتَى قَلْبَهُ هُدًى وَسِيرَتُهُ عَدْلًا وَأَخْلَاقُهُ حُسْنًا
فَبَشَّرَهُ أَنَّ اللَّهَ أَوْلَاهُ نِقْمَةً يُنْكَلُ بِهَا مِنْ قَبْلِ مَنْ عَبَدَ الْوَنَا (٤)

نَسَأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ .

(١) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٩٨٨) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ فِي «سُنَنِهِ» (٣٣٨٨) عَنْ ثَابِتِ بْنِ عَجْلَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَوْقُوفاً عَلَيْهِ .

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٤٠٩) ، وَمُسْلِمٌ (٨١٦) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَالْأَقْوَالُ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْطُبِيِّ» (٣/٣٣٠) مَنْسُوبَةٌ لِأَصْحَابِهَا .

(٤) كَذَا فِي النُّسخِ ، وَهِيَ لِأَبِي الْفَتْحِ الْبُسْتِي كَمَا فِي «دِيَوَانِهِ» ، وَبَلْفَظْ :

إِذَا لَمْ يَزِدْ عِلْمُ الْفَتَى قَلْبَهُ هُدًى وَسِيرَتُهُ عَدْلًا وَأَخْلَاقُهُ حُسْنًا
فَبَشَّرَهُ أَنَّ اللَّهَ أَوْلَاهُ فَتْنَةً تُغْشِيهِ حَرْمَانًا وَتُوسِعُهُ حُزْنًا

مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾
وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ
أَنْصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ

﴿مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ لِمَصِيرِهِ إِلَى السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ، ﴿وَمَا يَذْكُرُ﴾ - فِيهِ إِدْغَامُ التَّاءِ فِي الْأَصْلِ فِي الذَّالِ -: يَتَّعِظُ ﴿إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾: أَصْحَابُ الْعُقُولِ.

﴿٢٧٠﴾ ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ﴾: أَدَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ أَوْ صَدَقَةٍ ﴿أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ﴾ فَوَفَّيْتُمْ بِهِ، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ فَيُجَازِيكُمْ عَلَيْهِ، ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ بِمَنْعِ الزَّكَاةِ وَالنَّذْرِ أَوْ بِوَضْعِ الْإِنْفَاقِ فِي غَيْرِ مَحَلِّهِ مِنْ مَعَاصِي اللَّهِ ﴿مِنْ أَنْصَارٍ﴾ مَانِعِينَ لَهُمْ مِنْ عَذَابِهِ.

﴿٢٧١﴾ ﴿إِنْ تُبْدُوا﴾: تُظْهِرُوا ﴿الصَّدَقَاتِ﴾ أَي: النَّوَافِلِ،

حاشية الصاوي

قوله: (فيه إدغام التاء في الأصل... إلخ) فإن أصله: يتذكر، قلبت التاء دالاً ثم أعجمت وأدغمت في الذال.

قوله: (أصحاب العقول) أي: الكاملة السالمة من شوائب النقص.

قوله: (فوفيتهم به) أشار بذلك إلى أن في الآية حذف العاطف والمعطوف؛ لأن المجازاة لا تترتب إلا على الوفاء بالنذر، لا على نفس النذر.

قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ دليل الجواب، وقدّر المفسر الجواب بقوله: (فيُجازيكم عليه).

قوله: ﴿مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (مِنْ) صلة، والأنصار الأعوان.

قوله: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ﴾ لَمَّا تَقَدَّمَ فَضْلُ الصَّدَقَةِ كَأَن قَائِلًا يَقُولُ: هل هذا الفضل مخصوص بمن أسرها أو بمن أعلنها؟ فأجاب بذلك، وحذف من هنا شيئاً أثبت نظيره في الآخر، تقديره: إن تبدا الصدقات وتعطوها الأغنياء فنعما هي.

قوله: (أي: النوافل) أي: فالمراد بالصدقات: صدقات التطوع؛ لأنها هي التي يصح إعطاؤها للأغنياء.

فَإِنَّمَا هِيَ وَإِنْ تُخَفُّوْهَا وَتُؤْتَوْهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾

﴿فَإِنَّمَا هِيَ﴾ أي: نعم شيئاً إبداءها، ﴿وَإِنْ تُخَفُّوْهَا﴾: تُسَرُّوْهَا ﴿وَتُؤْتَوْهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من إبدائها وإيتائها الأغنياء؛ أمّا صدقة الفرض فالأفضل إظهارها لِيُقْتَدَى بِهِ، وَلئَلَّا يُتَّهَمَ، وإيتاؤها الفقراء مُتَعَيَّنٌ، ﴿وَيُكَفِّرُ﴾ - بالياء، والثون مجزوماً بالعطف على محلّ ﴿فَهُوَ﴾، ومرفوعاً على الاستئناف - ﴿عَنْكُمْ مِنْ﴾: بَعْضُ ﴿سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: عالم بباطنه كظاهره،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَإِنَّمَا﴾ هي بكسر النون وفتحها قراءتان سبعيتان^(١)، والعين مكسورة على كلِّ حال، والقياس: فتح النون؛ لأنه على وزن عَلِمَ، وإنما كُسرت النون في القراءة الأخرى إتباعاً لكسرة العين، و(نعم): فعلٌ ماضٍ، و(ما): مميز، وقيل: فاعل، و(هي): هو المخصوص بالمدح. قوله: (شيئاً) تفسير ل(ما)، وقوله: (إبداءها) بيان لكون المخصوص على حذف مضاف. قوله: (فالأفضل إظهارها) أي: حيث كان مشهوراً بالمال ولم يخشَ على نفسه تسلُّطَ الظَّلمة على ماله.

قوله: (وإيتاؤها الفقراء متعين) التعيُّن بالنسبة للأغنياء، وإلا . . فالأصناف التي تُدْفَعُ لهم ثمانية مذكورة في سورة (براءة).

قوله: (بالياء) أي: مع الرفع لا غير، وقوله: (والنون) أي: مع الجزم والرفع، فالقراءات ثلاث، فقول المفسر: (مجزوماً ومرفوعاً) راجع لقوله: (والنون لا غير)^(٢).

قوله: (على محلّ ﴿فَهُوَ﴾) أي: مع خبره، ومحلهُ جزمٌ لوقوعه جواب الشرط.

قوله: (بعض ﴿سَيِّئَاتِكُمْ﴾) أشار بذلك إلى أن (مِنْ) للتبويض؛ لأن الصدقات لا تكفِّرُ جميعَ السيئات، بخلاف التوبة فتكفِّرُ جميعها.

(١) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح النون وكسر العين، وابن كثير وورش وحفص بكسر النون والعين. انظر الدر المصون (٦٠٨/٢).

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر بالنون ورفع الراء، وقرأ نافع وحمزة والكسائي بالنون وجزم الراء، وابن عامر وحفص عن عاصم: بالياء ورفع الراء. الدر المصون (٦١١/٢).

لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ

لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهُ .

﴿٢٧٢﴾ وَلَمَّا مَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ التَّصَدُّقِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ لِيُسْلِمُوا نَزَلَ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾
 أي: النَّاسِ إِلَى الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، إِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ،

حاشية الصاوي

قوله: (لا يخفى عليه شيء منه) أي: من العمل سرّاً أو جهراً، فإسرازُ العمل لا يدلُّ على الإخلاص، وإجهارُهُ لا يدلُّ على الرياء.

قوله: (ولما منع) أشارَ بذلك إلى سبب نزول الآية.

قوله: (من التصدّق على المشركين) أي: الكفارِ الفقراء، يهوداً أو غيرهم.

قوله: (ليسلموا) أي: ليضطروا، فربما يترتّب على ذلك إسلامهم^(١).

قوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ أي: لم يكلّفك يا محمدُ ربُّكَ بخلق الهدى فيهم، بل كلفك بتبليغ شرعه وُسمّى هدى أيضاً، قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧] بمعنى: مبلِّغ ودالٍّ لهم على طريق الحق، فتحصّل أن الهدى يطلقُ بمعنى: الدلالة، وهو مكلفٌ به الأنبياء والعلماء، وبمعنى: إيصال الخير للقلب، وهو لم يكلّف به أحد، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦]، ومن هنا قولُ العارف: (مَنْ نَظَرَ لِلخَلْقِ بَعَيْنَ الْحَقِيقَةِ عَذَرَهُمْ، وَمَنْ نَظَرَ لَهُمْ بَعَيْنَ الشَّرِيعَةِ مَقَّتَهُمْ)^(٢)، فعذرهم بالنظر لخلقِ الله الضلال والهدى في قلوبهم، فالخالق للضلال والهدى والأفعال جميعها هو الله وحده، فمن نظرَ لذلك لم يستقيجْ فعلَ أحد؛ لأنه فعلُ الله في الحقيقة، قال العارف: [الطويل]

إِذَا مَا رَأَيْتَ اللَّهَ فِي الْكُلِّ فاعِلاً رَأَيْتَ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ مِلَاحاً
 وَإِنْ لَمْ تَرَى إِلَّا مَظَاهِرَ صُنْعِهِ حُجِبَتْ فَصَيَّرْتَ الْحِسَانَ قِبَاحاً^(٣)

(١) روى ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠٣٩٨) عن سعيد بن جبير مرسلًا قال ﷺ: «لَا تَصَدَّقُوا إِلَّا عَلَى أَهْلِ دِينِكُمْ»، فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ...﴾ الآية، قال: قال رسول الله ﷺ: «تصدقوا على أهل الأديان».

(٢) «إيقاظ الهمم» (ص ٣٦) عن بعضهم، عند شرح قوله: (ما ترك من الجهل شيئاً من أراد أن يظهر في الوقت غير ما أظهره الله فيه).

(٣) ومن مشكاته قول العارف بالله محمد وفا رحمه الله تعالى كما أورده العلامة الأمير في «حاشيته على شرح الجوهرة»:

سمعتُ الله في سرِّي يقول: أنا في المملكِ وحدي لا أزولُ =

وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْتُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُوا إِلَّا
أَنْتِفَاءً وَجْهَ اللَّهِ.....

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ هِدَايَتَهُ إِلَى الدُّخُولِ فِيهِ، ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾: مَالٍ
﴿لَأَنْتُسِكُمْ﴾ لِأَنَّ ثَوَابَهُ لَهَا، ﴿وَمَا تُنْفِقُوا إِلَّا أَنْتِفَاءً وَجْهَ اللَّهِ﴾: أَي: ثَوَابِهِ لَا غَيْرِهِ مِنْ
أَعْرَاضِ الدُّنْيَا، - خَبَرٌ بِمَعْنَى النَّهْيِ -
حاشية الصاوي

ومقتهم بالنظر للتكليف الظاهري، فالعبد مجبورٌ في قالب مختار^(١).

قوله: (هديته) قدره؛ إشارة إلى مفعول ﴿يَشَاءُ﴾.

قوله: (لأن ثوابه لها) أي: فلا يضيع الثواب؛ سواء تصدق على مؤمن أو مشرك.

قوله: (لا غيره من أعراض الدنيا) أي: فلا تجعلوا نفقاتكم عليهم إلا لوجه الله، لا لشيء
آخر؛ لأن من كان مقصده وجه الله فلا يخيب أبداً، كانت النفقة على مسلم أو كافر، بل ورد: أن الله
غفر للإنسان بسبب سقيه كلباً يلهث عطشاً^(٢).

قوله: (خبر بمعنى النهي) راجع للجملة الثانية؛ أي: فهي خبرية لفظاً إنشائية معنى، والمعنى:
لا تجعلوا إنفاقكم إلا خالصاً لوجه الله لا لغرض آخر لا دُنْيَوِي ولا أُخْرَوِي، وهذا هو المقام
الأعلى، أو: لا تقصدوا إلا وجه الله بمعنى ثوابه، وهذا أدنى منه، وارتكبه المفسر وإن كانت الآية
محملة لهما بالنظر لأخلاق العامة، ويصح في هذه الجملة أن تكون خبرية لفظاً ومعنى، وتكون قيداً
فيما قبلها، فالمعنى: وما تنفقوا من خير فلا أنفسكم إن قصدتم بها وجه الله.

= وحيث الكلُّ عني لا قبيحٌ وقبحُ القبح من حيثي جميلٌ
أما من حيث نسبته للعبد فما وافق أمر الشارع فحسن، وما خالفه فقبيح، قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْقَلْقَلِ ۝١ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾.

(١) لأن فعل العبد من جملة أفعاله تعالى، والعبد يفعل ويريد، فهو مختار؛ إذ الجبر فعلٌ مخالف لإرادة الفاعل، فإن
قيل: والإرادة من جملة خلقه تعالى! أجيب بأن ذلك لا يخرج العبد عن صورة الاختيار الذي هو موافقة الفعل
للإرادة وإن حصل الجبر في الباطن.

(٢) رواه البخاري (١٧٣)، ومسلم (٢٢٤٤) من حديث أبي هريرة، بل روى البخاري (٣٤٦٧)، ومسلم (٢٢٤٥) عنه
مرفوعاً: «بينما كلب يطيف بركبة كاد يقتله العطش، إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل، فنزعت موقها فسقته، فغفر
لها به»، والركبة: البشر.

وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ

﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ جزاؤه، ﴿وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾: تُنْقَضُونَ مِنْهُ شَيْئاً. - والجُمْلَتَانِ تَأْكِيدٌ لِلأُولَى -.

﴿٢٧٢﴾ ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ - حَبْرٌ مُبْتَدَأٌ مَحذُوفٌ - أي: الصَّدَقَاتُ، ﴿الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: حَبَسُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى الْجِهَادِ، نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ، وَهُمْ أَرْبَعُمِائَةٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أُرْصِدُوا لِتَعَلُّمِ الْقُرْآنِ وَالْخُرُوجِ مَعَ السَّرَايَا، ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا﴾: سَفَرًا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ لِلتَّجَارَةِ وَالْمَعَاشِ؛ لِشُغْلِهِمْ عَنْهُ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ أي: قليلاً أو كثيراً.

قوله: (تنقصون منه شيئاً) أي: سواء كان قليلاً أو كثيراً ولو خَرَدَلَةً.

قوله: (للأولى) أي: وهي قوله: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْتُمْ﴾.

قوله: (أي: الصدقات) أي: المتقدم ذكرها تُصَرَفُ وتعطى للفقراء الذين أُحْصِرُوا... إلخ.

قوله: (في أهل الصُّفَّة) أي: وهي محلٌّ في مُؤَخَّرِ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ^(١)، والعبرةُ بعموم اللفظ

لا بخصوص السبب، فالمراد: كلُّ من كان متصفاً بأوصافهم فالصدقات تُعطى له.

قوله: (وهم أربع مئة) أي: ورئيسهم عبد الرحمن بن صخر المكنى بأبي هريرة^(٢).

قوله: (من المهاجرين) أي: الذين هاجروا مع رسول الله من مكة وما حولها وتركوا أموالهم

وديارهم، ولم يكن لهم بالمدينة مساكن ولا عشائر، وكانوا غير متزوجين، وكانوا يستغرقون أوقاتهم

في الاشتغال بالقرآن والسنة، والعبادة ليلاً والجهاد نهاراً، وكانوا يقفون أوَّلَ صَفٍّ في الصلاة

والجهاد.

قوله: (أرصدوا لتعليم القرآن) أي: والصلاة خلف النبي وقيام الليل.

(١) روى سبب نزولها ابنُ سعد في «طبقاته» (٢٥٥/١) عن محمد بن كعب القرظي.

(٢) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٢٨٧/١١): (وقد قال أبو نعيم: كان عدد أهل الصفة يختلف بحسب اختلاف الحال، فربما اجتمعوا فكثرُوا، وربما تفرَّقوا إما لغزو أو سفر أو استفتاء فقلُّوا، ووقع في «عوارف السهروردي» أنهم كانوا أربع مئة).

يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ
إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ
بِالْئِيلِ وَالْتَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

بِالْجِهَادِ، ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ﴾ بِحَالِهِمْ ﴿أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ أَي: لَتَعَفُّفِهِمْ عَنِ السُّؤَالِ
وَتَرْكِهِ، ﴿تَعْرِفُهُمْ﴾ يَا مُخَاطَبُ ﴿بِسِيمَاهُمْ﴾: عَلَامَتِهِمْ مِنَ التَّوَاضُّعِ وَأَثَرِ الْجَهْدِ، ﴿لَا
يَسْأَلُونَ النَّاسَ﴾ شَيْئًا فَيُلْحِفُونَ ﴿إِلْحَافًا﴾ أَي: لَا سُؤَالَ لَهُمْ أَصْلًا، فَلَا يَقَعُ مِنْهُمْ
إِلْحَافٌ وَهُوَ الْإِلْحَاحُ، ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ فَمُجَازٍ عَلَيْهِ.

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْئِيلِ وَالْتَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ
رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (بالجهاد) أي: في طاعة الله؛ إما بالغزو، أو بتعليمهم القرآن وغير ذلك من أنواع الطاعات.

قوله: (وأثر الجهد) أي: من عظيم الخدمة مع الجوع.

قوله: (شئاً) قدّره إشارة إلى مفعول ﴿يَسْأَلُونَ﴾، وقوله: (فيلحفون) قدّره إشارة
إلى أن ﴿إِلْحَافًا﴾ مفعول لمحذوف^(١).

قوله: (أي: لا سؤال لهم أصلاً) أي: فالنفي منصب على القيد وهو ﴿إِلْحَافًا﴾ والمقيد
وهو أصل السؤال، فالإلحاف منفي قطعاً لانتفاء أصل السؤال.

قوله: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ هذه الجملة تأكيدٌ للجملة المتقدمة.

قوله: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾ قيل: نزلت في أبي بكر؛ حيث تصدّق بأربعين ألف
دينار، عشرة آلاف بالليل ومثلها بالنهار، ومثلها سرّاً ومثلها علانية^(٢)، وقيل: في علي؛ كانت معه

(١) أي: مفعولاً مطلقاً، والتقدير: يلحفون إلحافاً، والجملة المقدرة حال من فاعل (يسألون)، ويجوز أن يكون مفعولاً
من أجله؛ أي: لا يسألون لأجل الإلحاف، ويجوز أن يكون مصدرًا في موضع الحال تقديره: لا يسألون ملحفين.
انظر: «الدر المصون» (٢/٦٢٢).

(٢) صرح الإمام السيوطي في «نواهد الأبيكار» (٢/٤٦٩) أنه لم يقف عليه، وكون الصديق تصدّق بهذا أخرجه ابن
عساكر في «تاريخه».

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا.....

﴿٢٧٥﴾ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا أَي: يَأْخُذُونَهُ، وهو الزَّيَادَةُ في الْمُعَامَلَةِ بِالنَّقُودِ وَالْمَطْعُومَاتِ فِي الْقَدْرِ أَوْ الْأَجْلِ، ﴿لَا يَقُومُونَ﴾ مِنْ قُبُورِهِمْ ﴿إِلَّا﴾ قِيَامًا ﴿كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ﴾: يَصْرَعُهُ ﴿الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾: الْجُنُونُ بِهِمْ، - مُتَعَلِّقٌ بِ﴿يَقُومُونَ﴾ - ﴿ذَلِكَ﴾ الذي نَزَلَ بِهِمْ ﴿بِأَنَّهُمْ﴾: بِسَبَبِ أَنَّهُمْ ﴿قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ فِي الْجَوَازِ،
حاشية الصاوي

أربعة دراهم لم يملك غيرها، فتصدَّق بدرهم ليلاً وبآخر نهاراً، وبآخر سراً وبآخر علانية^(١)، ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالمرادُ بيانُ أجر المنفِقِ على هذا الوجه، فلا خصوصية لأبي بكر بذلك ولا لعلي.

قوله: (أي: يأخذونه) أشار بذلك إلى أن المراد ليس خصوص الأكل، بل تناول مطلقاً.

قوله: (في القدر) مرادُه به ربا الفضل؛ أي: الزيادة، وهو حرام في متحد الجنس فقط، وقوله: (والأجل) مرادُه به ربا النساء، وهو حرام وإن تعدَّد الجنس، قال الأجهوري: [الطويل]

رَبَا نَسَاءٍ فِي النَّقْدِ حَرَّمَ وَمِثْلُهُ طَعَامٌ وَإِنْ جِنْسَاهُمَا قَدْ تَعَدَّدَا

وَحُصَّ رِبَا فَضْلِ بِنَقْدٍ وَمِثْلُهُ طَعَامٌ رِبَاً إِنْ جِنْسُ كُلِّ تَوَحَّدَا^(٢)

واعلم: أن الربا محرَّم كتاباً وسنة وإجماعاً، فمن استحلَّه فقد كفر، وقد وردَ في ذمِّ أكل الربا من الأحاديث ما لا يُحصى؛ فمنها: «لَعَنَ اللَّهُ أَكَلَ الرِّبَا وَمُؤْكِلَهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدَهُ، كُلُّهُمْ فِي اللَّعْنَةِ سَوَاءٌ»^(٣)، ومنها: «أَنَّهُ رَأَى لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ رَجُلًا يَسْبُحُ فِي نَهْرٍ مِنْ دَمٍ يُلْقِمُ الْحَجَارَةَ، فَقَالَ: مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا مِثْلُ أَكْلِ الرِّبَا»^(٤).

قوله: ﴿الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ﴾ أَي: وهذه علامة يُعرفون بها يوم القيامة.

قوله: (بسبب) «أَنَّهُمْ قَالُوا»... إلخ) أَي: فقد فضَّلوا الربا قولاً وفعلاً واعتقاداً^(٥).

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩٧/١١).

(٢) انظر «الشرح الكبير» للعلامة الدردير (٢٩/٣).

(٣) رواه مسلم (١٥٩٨) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري (١٣٨٦، ٢٠٨٥) من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه.

(٥) وفي (ط): (فقد ضلُّوا بالربا قولاً وفعلاً واعتقاداً).

وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَاَ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَاَ وَيُزِيلُ الصَّدَقَتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾

- وهذا من عكس التشبيه مبالغاً -، فقال تعالى رداً عليهم: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَاَ فَمَنْ جَاءَهُ﴾: بَلَّغَهُ ﴿مَوْعِظَةٌ﴾: وَعَظُ ﴿مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى﴾ عَنْ أَكْلِهِ، ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ قَبْلَ النَّهْيِ أَي: لَا يُسْتَرَدُّ مِنْهُ، ﴿وَأَمْرُهُ﴾ فِي الْعَفْوِ عَنْهُ ﴿إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ﴾ إِلَى أَكْلِهِ مُشَبَّهًا لَهُ بِالْبَيْعِ فِي الْحَلِّ، ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَاَ﴾: يُنْقِصُهُ وَيُذْهِبُ بَرَكَتَهُ، ﴿وَيُزِيلُ الصَّدَقَتِ﴾: يَزِيدُهَا وَيُنَمِّيْهَا وَيُضَاعِفُ ثَوَابَهَا، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ﴾ بِتَحْلِيلِ الرِّبَا، ﴿أَثِيمٍ﴾: فَاجِرٍ بِأَكْلِهِ، أَي: يُعَاقِبُهُ.

حاشية الصاوي

قوله: (وهذا من عكس التشبيه) أي: فقد جعلوا المشبهة مشبهاً به، فجعلوا الربا أصلاً في الحل والبيع مقيساً عليه.

قوله: ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ (أي: سبق قبل النهي عنه).

قوله: (في العفو عنه) أي: عن آكله، والمعنى: فأمره في الثواب لامتنانٍ أمر الله موكولاً له، سني: أن مَنْ سَمِعَ النَّهْيَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ عَنْهُ وَتَابَ فَقَدْ فَازَ بِمَا أَكَلَهُ قَبْلَ النَّهْيِ، وَثَوَابُهُ مَوْكُولٌ لِلَّهِ، فَهَذِهِ الْآيَةُ مَحْمُولَةٌ عَلَى الصَّحَابَةِ الَّذِينَ سَبَقَ مِنْهُمْ الرِّبَا قَبْلَ تَحْرِيمِهِ.

قوله: ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (أي: لاستحلالهم ما حَرَّمَ اللَّهُ).

قوله: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَاَ﴾ (أي: المال كله).

قوله: ﴿وَيُزِيلُ الصَّدَقَتِ﴾ (أي: لما في الحديث: «إِذَا تَصَدَّقَ الْعَبْدُ بِصَدَقَةٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَرْبِّيْهَا لَهُ كَمَا يَرْبِي أَحَدَكُمْ فَلَوْهُ حَتَّى تَكُونَ فِي مِيزَانِهِ كَأُحُدٍ»^(١)).

قوله: (أي: يعاقبه) تفسير لعدم محبة الله له.

(١) رواه البخاري (١٤١٠)، ومسلم (١٠١٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، والفلو: المهر إذا فُطم.

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾

﴿٢٧٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ.

﴿٢٧٨﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا: اتركوا ﴿مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ صَادِقِينَ فِي إِيمَانِكُمْ؛ فَإِنَّ مِنْ شَأْنِ الْمُؤْمِنِ امْتِثَالَ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، نَزَلَتْ لَمَّا طَالَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ بَعْدَ النَّهْيِ بِرِبَا كَانَ قَبْلُ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: بما أنزل الله، ومن جملة ذلك تحريم الربا، وقوله: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي: بتركهم الربا واتباعهم ما أحلَّ الله.

قوله: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ﴾ نصَّ عليهما وإن كانا داخلين في قوله: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ لعظيم شأنهما.

قوله: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي: من مكروه يوم القيامة، وقوله: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أي: في يوم القيامة على ما فاتهم من الدنيا.

قوله: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا﴾ أي: امثلوا أوامر الله واجتنبوا نواهيه.

قوله: ﴿وَذَرُوا﴾ أمرٌ من: وَذَرَ يَذَرُ، وأصله: إِذَرُوا، حذفت الواو حملاً على حذفها في المضارع.

قوله: (لَمَّا طَالَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ) قيل: هو عثمان بن عفان والعباس، كانا أسلماً رجلاً في قدرٍ من التمر، فلَمَّا حُلَّ الأجلُ طالبا، فقال لهما: إن أعطيتكما الحقَّ بتمامه لم يبقَ شيءٌ للعيال، وإنما أعطيتكما الآن نصفها، والنصف الآخر أُخْرَانِي بِهِ وَأَزِيدُكُمَا مِثْلَهُ، فتراضيا معه على ذلك، ثم حُلَّ الأجل، فطالبا بذلك فنزلت الآية^(١).

إن قلت: كيف يطالبان بالربا مع علمهما بالنهي السابق قبل التحريم؟

فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ زُؤُوسٌ أَمْوَالُكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ.....

﴿٢٧٩﴾ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا ﴿﴾ مَا أَمَرْتُمْ بِهِ، ﴿فَأْذَنُوا﴾: اَعْلَمُوا ﴿بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: لَكُمْ، فِيهِ تَهْدِيدٌ شَدِيدٌ لَهُمْ، وَلَمَّا نَزَلَتْ قَالُوا: لَا يَدَ لَنَا بِحَرْبِهِ، ﴿وَإِنْ تُبْتُمْ﴾: رَجَعْتُمْ عَنْهُ، ﴿فَلَكُمْ زُؤُوسٌ﴾: أَصُولُ ﴿أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ﴾ بِزِيَادَةٍ، ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ بِنَقْصٍ. ﴿٢٨٠﴾ وَإِنْ كَانَتْ: وَقَعَ غَرِيمٌ ﴿ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ﴾.....

حاشية الصاوي

أَجِيبَ: بَأَنَّهُمَا تَأَوَّلَا ذَلِكَ؛ حَيْثُ ظَنَّا أَنَّهُ لَا حَرَمَةَ إِلَّا عَلَى مَنْ جَدَّدَ عَقْدًا بَعْدَ التَّحْرِيمِ. قَوْلُهُ: ﴿فَأْذَنُوا﴾ بِالْقَصْرِ وَالْمَدِّ، قَرَأَتَانِ سَبْعَتَانِ^(١)، فَعَلَى الْقَصْرِ مَعْنَاهَا: أَيْقِنُوا، وَعَلَى الْمَدِّ مَعْنَاهَا أَعْلَمُوا غَيْرَكُمْ بِذَلِكَ، وَكَلَامُ الْمَفْسِّرِ يَحْتَمِلُهُمَا. قَوْلُهُ: ﴿بِحَرْبٍ﴾ أَي: حَرْبُ الْكَفَّارِ إِنْ اسْتَحَلَّهُ، أَوِ الْبَغَاةِ إِنْ لَمْ يَسْتَحِلَّهُ. قَوْلُهُ: (لَا يَدِي لَنَا) هَكَذَا بِالتَّثْنِيَةِ، وَكَانَ مُقْتَضَى الْفَصِيحِ: لَا يَدَيْنِ، إِلَّا أَنْ يُقَالَ: حَذَفَتِ النُّونُ تَخْفِيفًا، أَوْ يُلَاحِظُ إِضَافَتُهُ لِلزَّمِيرِ وَاللَّامِ مُقَحَّمَةً^(٢)، وَفِي نَسْخَةٍ: (لَا يَدَ لَنَا) بِالْإِفْرَادِ وَهِيَ ظَاهِرَةٌ، وَمَعْنَاهُمَا: لَا طَاقَةَ وَلَا قُدْرَةَ لَنَا عَلَى مُحَارَبَتِهِ، وَهَذَا كُنَايَةٌ عَنْ كَوْنِهِمْ امْتَثَلُوا مَا أَمَرُوا بِهِ؛ لَوُرُودِ هَذَا الْوَعِيدِ الْعَظِيمِ فِيهِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ عُمَرَ وَكَانَ قَدْ صَعِدَ الْمَنْبَرُ: (أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنْ آيَةَ الرَّبِّ آخَرُ مَا نَزَلَ عَلَى نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ عَاشَ لَبَيَّنَ لَكُمْ وَجْهًا كَثِيرًا لَا تَعْلَمُونَهَا، فَاتَّقُوا الرَّبَّ وَالرَّيْبَةَ)^(٣). قَوْلُهُ: ﴿لَا تَظْلِمُونَ﴾ بِزِيَادَةٍ وَمِنْ ذَلِكَ مَهَادَاةُ الْمَدِينِ لِرَبِّ الدِّينِ، فَهُوَ حَرَامٌ وَرَبًّا إِنْ لَمْ تَكُنْ عَادَتُهُ الْهَدِيَّةُ قَبْلَ شَغْلِ الذِّمَّةِ.

قَوْلُهُ: (وَقَعَ غَرِيمٌ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ ﴿كَانَ﴾ تَامَّةٌ، وَ﴿ذُو﴾: فَاعِلُهَا، وَهُوَ الْأَقْرَبُ، وَيَصَحُّ كَوْنُهَا نَاقِصَةً، وَ﴿ذُو﴾: اسْمُهَا، وَخَبَرُهَا مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: غَرِيمًا لَكُمْ. قَوْلُهُ: ﴿ذُو عُسْرَةٍ﴾ أَي: حَيْثُ كَانَ ثَابِتًا عُسْرُهُ بِالْبَيِّنَةِ أَوْ بِإِقْرَارِ صَاحِبِ الدِّينِ، وَأَمَّا مَنْ لَمْ يَكُنْ عُسْرُهُ ثَابِتًا بِأَنَّ كَانَ ظَاهِرَ الْمَلَاءِ فَإِنَّهُ يَحْبَسُ حَتَّى يُؤَدِّي أَوْ يَثْبِتَ عُسْرُهُ أَوْ يَمُوتَ.

(١) قَرَأَ حَمْزَةُ وَأَبُو بَكْرٍ عَنْ عَاصِمٍ: (فَأْذَنُوا) بِالْفَتْحِ بَعْدَ الْهَمْزَةِ، وَالْبَاقُونَ: (فَأْذَنُوا) بِدُونِ أَلْفٍ سَاكِنٍ الْهَمْزَةُ. انْظُرْ: «الدَّرْ الْمَصُون» (٦٣٩/٢).

(٢) «حَاشِيَةُ الشَّهَابِ عَلَى الْبِيضَاوِيِّ» (٣٤٧/٢).

(٣) رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ (٢٢٧٦) بِنَحْوِهِ.

إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ

لَهُ أَي: عَلَيْكُمْ تَأْخِيرُهُ ﴿إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ - بِفَتْحِ السَّيْنِ وَضَمِّهَا - أَي: وَقْتُ يُسْرِ، ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا﴾ - بِالتَّشْدِيدِ عَلَى إِدْغَامِ التَّاءِ فِي الْأَصْلِ فِي الصَّادِ، وَبِالتَّخْفِيفِ عَلَى حَذْفِهَا - أَي: تَتَصَدَّقُوا عَلَى الْمُعْسِرِ بِالْإِبْرَاءِ ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أَنَّهُ خَيْرٌ فافْعَلُوهُ، فِي الْحَدِيثِ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَظْلَهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

﴿٢٨١﴾ ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ﴾ - بِالْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ -: تُرْجَعُونَ، - وَلِلْفَاعِلِ -: تَصِيرُونَ

حاشية الصاوي

قوله: (أَي: عَلَيْكُمْ تَأْخِيرُهُ) أَي: وَجُوبًا، وَأَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنْ (نَظَرَةً) مُبْتَدَأً، خَيْرُهُ مُحذُوفٌ.
قوله: (فِي الْأَصْلِ فِي الصَّادِ) أَي: فَأَصْلُهُ: تَتَصَدَّقُوا، قَلِبْتَ التَّاءَ الثَّانِيَةَ صَادًا ثُمَّ أَدْغَمْتَ فِي الصَّادِ.

قوله: (عَلَى حَذْفِهَا) أَي: التَّاءِ، قَالَ ابْنُ مَالِكٍ: [الرَّجَز]

وَمَا يَتَاءَمُّنِ ابْتِدَائِي قَدْ يُقْتَصَرُ فِيهِ عَلَى تَاكَ (تَبَيَّنُ الْعِبَرُ) ^(١)

قوله: (بِالْإِبْرَاءِ) أَي: وَهُوَ مَنْدُوبٌ، وَهُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْوَاجِبِ الَّذِي هُوَ الْإِنْظَارُ؛ لِأَنَّهُ إِنْظَارٌ وَزِيَادَةٌ، وَلَهُ نَظَائِرُ نَظَمَهَا الْمُفَسِّرُ بِقَوْلِهِ: [الْكَامِل]

الْفَرْضُ أَفْضَلُ مَا أَتَى مُتَعَبِّدٌ حَتَّى وَلَوْ قَدْ جَاءَ مِنْهُ بِأَكْثَرِ

إِلَّا السَّطَهْرُ قَبْلَ وَقْتٍ وَابْتِدَا بِالسَّلَامِ كَذَاكَ إِبْرًا الْمُعْسِرِ ^(٢)

قوله: ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا﴾ هَذِهِ الْآيَةُ آخِرُ الْقُرْآنِ نَزُولًا كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ^(٣)، أَمَرَ جَبْرِيلُ رَسُولَ اللَّهِ بِوَضْعِهَا عَلَى رَأْسِ مِثْتَيْنِ وَثَمَانِينَ ^(٤)، وَتَقَدَّمَ لَنَا أَنَّ (الْبَقَرَةَ) مِثْتَانِ وَسِتُّ وَثَمَانُونَ آيَةً، فَيَكُونُ الْبَاقِي بَعْدَ خَمْسِ آيَاتٍ: أَوَّلُهَا: آيَةُ الدِّينِ، ثَانِيهَا: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿عَلَيْكُمْ﴾، ثَالِثُهَا: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ إِلَى ﴿فَذِيرُكُمْ﴾، رَابِعُهَا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إِلَى ﴿الْمَصِيرُ﴾، خَامِسُهَا: ﴿لَا

(١) «الخلاصة» (باب الإدغام).

(٢) «الأشباه والنظائر» للسيوطي (ص ١٤٧) باختلاف يسير.

(٣) رَوَاهُ النَّسَائِيُّ فِي «السنن الكبرى» (١٠٩٩١).

(٤) «الوسيط» للواحدي (١/ ٤٠٠) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ

﴿فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ هو يَوْمُ الْقِيَامَةِ، ﴿ثُمَّ تُوَفَّى﴾ فِيهِ ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ جَزَاءُ ﴿مَّا كَسَبَتْ﴾ : عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بِنَقْصِ حَسَنَةٍ أَوْ زِيَادَةِ سَيِّئَةٍ.

﴿٢٨٢﴾ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ﴾ : تَعَامَلْتُمْ ﴿بِدِينٍ﴾ كَسَلِمٍ وَقَرْضٍ، ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ : مَعْلُومٍ، ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾

حاشية الصاوي

يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ إِلَى آخِرِهَا، وَنَزَلَتْ قَبْلَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ بِثَلَاثِ سَاعَاتٍ، وَقِيلَ : بِسَبْعَةِ أَيَّامٍ، وَقِيلَ : بِأَحَدٍ وَعَشْرِينَ، وَقِيلَ : بِأَحَدٍ وَثَمَانِينَ.

قوله : (جَزَاءُ ﴿مَّا كَسَبَتْ﴾) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْكَلَامَ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ.

قوله : (﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ﴾) هَذِهِ الْآيَةُ مِنْ هُنَا إِلَى ﴿عَلَيْكُمْ﴾ أَطْوَلُ آيِ الْقُرْآنِ، وَقَدْ اشْتَمَلَتْ عَلَى بَيَانِ إِرْشَادِ الْعِبَادِ لِمَصَالِحِ دُنْيَاهُمْ ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الدُّنْيَا مَزْرَعَةُ الْآخِرَةِ، وَالَّذِينَ الْمَعَامَلَةُ، فَحَيْثُ لَا يَتِمُّ إِصْلَاحُ الْآخِرَةِ إِلَّا بِإِصْلَاحِ الدُّنْيَا، فَبَيَّنَ هُنَا مَا بِهِ صَلَاحُ الدُّنْيَا.

قوله : (تَعَامَلْتُمْ) فَسَّرَ الْمَدَايِنَةَ بِالْمَعَامَلَةِ الَّتِي هِيَ مِفَاعَلَةٌ مِنَ الْجَانِبَيْنِ ؛ أَيِ : سَوَاءٌ كَانَتْ آخِذًا أَوْ مَأْخُوذًا مِنْكَ.

قوله : (﴿بِدِينٍ﴾) حِكْمَةُ التَّصْرِيحِ بِهِ وَإِنْ عَلِمَ مِنْ ﴿تَدَايَنْتُمْ﴾ ؛ لِيَعُودَ الضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ : ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾ عَلَيْهِ صِرَاحَةً، وَأَيْضًا : لِدَفْعِ تَوْهَمٍ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْمَدَايِنَةِ الْمَجَازَاةَ، كَقَوْلِهِ : كَمَا يَدِينُ الْفَتَى يُدَانُ ؛ أَيِ : كَمَا يُجَازِي يُجَازَى، وَأَيْضًا : صَرَّحَ بِهِ إِشَارَةً إِلَى عُمُومِ الدِّينِ قَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا جَلِيلًا أَوْ حَقِيرًا، فَالْمَعْنَى : لَا تَسْتَخَفُّوا بِهِ.

قوله : (كَسَلِمٍ) أَيِ : مُسَلِّمٍ فِيهِ ؛ كَمَا إِذَا دَفَعَ عَشْرَةَ دِرَاهِمٍ مِثْلًا لِيَأْتِيَ لَهُ بِقَنْطَارٍ مِنْ سَمْنٍ عِنْدَ أَجَلٍ مَعْلُومٍ بَيْنَهُمَا، وَقَوْلُهُ : (وَقَرْضٍ) الْمُرَادُ بِهِ : السَّلَفُ.

قوله : (﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾) أَيِ : وَأَمَّا الْحَالُ فَلَا يَحْتَاجُ لِكِتَابَةٍ ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْمَهْمَّاتِ، وَلَمَزِيدِ الْمَشَقَّةِ.

قوله : (مَعْلُومٍ) أَيِ : فَالْجَهْلُ فِيهِ مَفْسَدٌ لِلْعَقْدِ إِنْ كَانَ مُسَلِّمًا، وَأَمَّا السَّلَفُ فَيَجُوزُ فِيهِ التَّأَجُّلُ وَالْحُلُولُ، فَإِنْ وَقَعَ عَلَى الْحُلُولِ فَلَا بَدَّ عِنْدَ مَالِكٍ مِنْ مَضِيِّ زَمَنِ يُمْكِنُ انْتِفَاعُهُ بِهِ عَادَةً، وَإِنْ وَقَعَ

وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْمَكْدَلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلْ

استيثاقاً ودفعاً للنزاع، ﴿وَلْيَكْتُبْ﴾ كتاب الدين ﴿بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْمَكْدَلِ﴾ بِالْحَقِّ فِي كِتَابَتِهِ، لا يَزِيدُ فِي الْمَالِ وَالْأَجْلِ وَلَا يُنْقِصُ، ﴿وَلَا يَأْبَ﴾: يَمْتَنِعُ ﴿كَاتِبٌ﴾ مِنْ ﴿أَنْ يَكْتُبَ﴾ إِذَا دُعِيَ إِلَيْهَا، ﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ أَي: فَضَّلَهُ بِالْكِتَابَةِ، فَلَا يَبْخُلُ بِهَا، - وَالْكَافُ مُتَعَلِّقَةٌ بِ﴿يَأْبَ﴾ - ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ - تَأْكِيدٌ - ﴿وَلْيُمْلِلْ﴾: يُمِلُّ الْكَاتِبُ

حاشية الصاوي

على التأجيل فيلزم المقرض الصبر إلى الأجل عند مالك، وعند الشافعي: لا يلزم الصبر إليه، بل له أن يطلبه قبله.

قوله: (استيثاقاً) أشار بذلك إلى أن الأمر في الآية للإرشاد، لا للوجوب كالأمر بالصلاة والصوم بحيث يعاقب على تركه.

قوله: (كتاب الدين) أشار بذلك إلى أن مفعول (يكتب) محذوف.

قوله: ﴿بِالْمَكْدَلِ﴾ أي: ولا يكون إلا فقيهاً عدلاً، ويشترط أن يكتب كلاماً معروفاً لا موهماً. قوله: ﴿وَلَا يَأْبَ﴾ (لا): ناهية، والفعل مجزوم بحذف الألف، والفتحة دليل عليها، و﴿كَاتِبٌ﴾: فاعل ﴿يَأْبَ﴾، وقوله: (من) ﴿أَنْ يَكْتُبَ﴾ قَدَرٌ (من) إشارة إلى أن الجار محذوف، وهو مَطْرَدٌ مع (أَنْ) و(أَنْ) عند أمن اللبس، فهو في محل نصب مفعول لـ ﴿يَأْبَ﴾.

قوله: (والكاف متعلقة بـ ﴿يَأْبَ﴾) أي: تعليلية، و(ما): مصدرية، وعبرة غيره: والكاف متعلقة بـ (لا يَأْبَ)، وهي الأوضح؛ لأنَّ من لم يعرف الوضع والأحكام لا يتعلَّقُ به النهي، والمعنى: لا يمتنع كاتب من الكتابة من أجل تعليم الله له تلك الكتابة.

قوله: (تأكيد) أي: زيادة في الإيضاح.

قوله: (الكاتب) مفعول أول لـ (يمل)، ومفعوله الثاني قوله: (الدين)، وقوله: (يمل) أشار بذلك إلى أن الإملاء والإملال لغتان، يُقال: أمليت الحق وأملته بمعنى: ألقيت عليه ذلك شيئاً فشيئاً، ومن ذلك سُمِّيَتِ الْمِلَّةُ مِلَّةً؛ لإملائها وإلقائها على رسول الله شيئاً فشيئاً، والقراءة بالفك، ويصح في غير القرآن الإدغام لقول ابن مالك: [الرجز]

الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلَيَسَّيْ اللَّهُ رَبَّهُ، وَلَا يَبْخَسُ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعْمَلَ هُوَ فَلْيُكْمَلْ وَلِيَّهُ، بِالْعَدْلِ وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ

﴿الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾: الدِّينُ لِأَنَّهُ الْمَشْهُودُ عَلَيْهِ، فَيُقَرَّرُ لِيُعْلَمَ مَا عَلَيْهِ، ﴿وَلَيَسَّيْ اللَّهُ رَبَّهُ﴾: فِي إِمْلَائِهِ، ﴿وَلَا يَبْخَسُ﴾: يُنْقِصُ ﴿مِنْهُ﴾ أَي: الْحَقُّ ﴿شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا﴾: مُبْذَرًا ﴿أَوْ ضَعِيفًا﴾ عَنِ الْإِمْلَاءِ لِصِغَرٍ أَوْ كِبَرٍ، ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعْمَلَ هُوَ﴾ لِحَرَسٍ أَوْ جَهْلِ بِاللُّغَةِ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، ﴿فَلْيُكْمَلْ وَلِيَّهُ﴾: مُتَوَلَّى أَمْرِهِ مِنْ وَالِدٍ وَوَصِيِّ وَقِيَمٍ وَمُتَرَجِّمٍ، ﴿بِالْعَدْلِ وَأَسْتَشْهِدُوا﴾: أَشْهِدُوا عَلَى الدِّينِ ﴿شَهِيدَيْنِ﴾: شَاهِدَيْنِ ﴿مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ أَي: بِالْغِي الْمُسْلِمِينَ الْأَحْرَارِ،

حاشية الصاوي

..... وَفِي جَزْمٍ وَشَبْهِ الْجَزْمِ تَخْيِيرٌ فِي (١)

قوله: (لأنه المشهود عليه) أي: فلا يكتب الكاتب إلا بحضرتيهما؛ لقطع النزاع بينهما.

قوله: ﴿وَلَيَسَّيْ اللَّهُ رَبَّهُ﴾ أي: فلا يكتب كلاماً موهماً للزيادة أو النقص، فقوله: ﴿وَلَا يَبْخَسُ مِنْهُ شَيْئًا﴾ تفسيرٌ للتقوى، وذلك كأن يكتب ألفاً ولم يبيّن كونه فضة أو محبوباً أو ريالاً أو غير ذلك، أو عشرين محبوباً مثلاً ولم يبيّن كونها معاملة أو ذهباً أو غير ذلك.

قوله: ﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ أو الذي له الحق.

قوله: (مبذراً) أي: في أمور دنياه عند مالك، أو في أمور دنياه ودينه عند الشافعي.

قوله: (أو كبر) أي: مفترط بحيث لا يدري شيئاً، أو كان من عليه الحق أنى يخشى منها الفتنة، فتوكل محرماً.

قوله: (ومتترجم) أي: إن كان لا يعرف اللغة العربية مثلاً.

قوله: ﴿بِالْعَدْلِ﴾ متعلق بقوله: ﴿فَلْيُكْمَلْ﴾.

قوله: (أشهدوا على الدين) أشار بذلك إلى أن السنين والتاء لتأكيد الطلب.

قوله: ﴿مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ متعلق بمحذوف صفة لـ ﴿شَهِيدَيْنِ﴾.

قوله: (أي: بالغى المسلمين الأحرار) أي: العقلاء العدول، فشهادة الصبيان لا تقبل

فَإِنْ لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ رَضَوْنَ مِنَ الشَّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ
إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى.....

﴿فَإِنْ لَّمْ يَكُونَا﴾ أي: الشَّهِيدَانِ ﴿رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ يَشْهَدُونَ ﴿مِمَّنْ رَضَوْنَ مِنَ الشَّهَدَاءِ﴾ لِدِينِهِ وَعَدَالَتِهِ، وَتَعَدُّ النِّسَاءَ لِأَجْلِ ﴿أَنْ تَضِلَّ﴾: تَنْسَى ﴿إِحْدَاهُمَا﴾ الشَّهَادَةَ لِنَقْصِ عَقْلِهِنَّ وَضَبْطِهِنَّ، ﴿فَتُذَكِّرَ﴾ - بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ - ﴿إِحْدَاهُمَا﴾ الذَّاكِرَةُ ﴿الْأُخْرَى﴾ النَّاسِيَةُ، وَجُمْلَةُ الْإِذْكَارِ مَحَلُّ الْعِلَّةِ، أَي: لِتُذَكِّرَ أَنْ ضَلَّتْ، وَدَخَلَتْ عَلَى الضَّلَالِ لِأَنَّهُ سَبَبُهُ، - وَفِي قِرَاءَةِ بِكَسْرِ ﴿إِنْ﴾ شَرْطِيَّةٌ.....

حاشية الصاوي

في الأموال ولا فيما آَلَ إليها، وعند مالك: تجوزُ شهادةُ الصبيان على بعضهم في الجراح، وكذا لا تقبلُ شهادةُ العبيد ولا الكفار ولا المجانين ولا غير العدول، ولكن إذا لم يوجد العدول فليستكثر من الشهود.

قوله: ﴿فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ أي: في الأموال وما آَلَ إليها، فإذا لم يوجد الرجل كفى اليمينُ معهما وكفى اليمينُ معه، وهذا مذهبُ مالك والشافعي، وأما أبو حنيفة.. فلا يكتفي باليمين مع الشاهد.

قوله: ﴿مِمَّنْ رَضَوْنَ﴾ متعلق بـ(استشهدوا)، فيؤخذُ منه شرطُ العدالة في الجميع، وقد صرَّح بالعدالة في مواضع أُخر.

قوله: (وعدالته) العدْلُ: هو من لم يفعلْ كبيرةً ولا صغيرةً خَسَةً؛ كتطفيفِ حَبَّةٍ، ولا ما يخلُّ بالمروءة؛ كالأكل في الأسواق.

قوله: (وتعدد النساء... إلخ) أشارَ بذلك إلى أن قوله: ﴿أَنْ تَضِلَّ﴾ متعلقٌ بمحذوف جواب عن سؤالٍ مقدَّرٍ تقديرُهُ: لِمَ اشترطَ تعدُّدُ النساء مع أنهن شقائق الرجال؟ أجيب: بأنه لتذكُّرُ إحداهما الأخرى، وإنما احتيج للتذكُّر؛ لأنَّ شأنهنَّ النسيان؛ لنقصِ عقْلِهِنَّ وعدمِ ضَبْطِهِنَّ.

قوله: ﴿فَتُذَكِّرَ﴾ معطوف على ﴿تَضِلَّ﴾ عطفتْ مسبِّبٌ على سبب، أو معلولٌ على علَّة؛ لأنَّ التذكُّرَ علَّةُ التعداد، والإضلالَ علَّةُ للتذكُّر، فهو علَّةٌ للعلَّة.

وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا سَعَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ.....

ورفع (تذكر) استثناف جوابه.. ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا﴾ - زائدة - ﴿دُعُوا﴾ إلى تحمّل الشهادة وأدائها، ﴿وَلَا سَعَمُوا﴾: تملّوا من ﴿أَنْ تَكْتُبُوهُ﴾ أي: ما شهدتُم عليه من الحق؛ لكثرة وقوع ذلك ﴿صَغِيرًا﴾ كان ﴿أَوْ كَبِيرًا﴾: قليلاً أو كثيراً، ﴿إِلَى أَجَلِهِ﴾: وقت حلوله،

حاشية الصاوي

قوله: (ورفع «تذكر») أي: بالتشديد لا غير، فالقراءات ثلاث، وكلها سبعة، فعلى هذه القراءة: ﴿تَضَلَّ﴾: فعل الشرط، وهو مجزوم بسكون مقدّر على آخره منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة الإدغام^(١).

قوله: (استئناف) أي: خبر لمبتدأ محذوف، والجملة في محلّ جزم جواب الشرط؛ أي: فهي تذكر.

قوله: ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ﴾ أي: لا يجوز للشهود الامتناع من أداء الشهادة وتحملها؛ لأنه فرض كفاية إن وجد من يثبت به الحق غيرهم، وإن لم يوجد غيره كان التحمّل أو الأداء فرض عين، ومن تأخّر عن ذلك كان عاصياً.

قوله: (من) ﴿أَنْ تَكْتُبُوهُ﴾ أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿أَنْ تَكْتُبُوهُ﴾ في تأويل مصدر مجرور بـ(من) مقدّرة معمول لـ﴿سَعَمُوا﴾، والمعنى: لا تسأموا من كتابته، وظاهره لزوم تقدير (من)، وليس كذلك؛ لأنّ (سَمِمَ) يتعدّى بنفسه وبحرف الجر، فعلى عدم التقدير: (أن) وما دخلت عليه: في تأويل مصدر مفعول لـ﴿سَعَمُوا﴾.

قوله: (لكثرة وقوع ذلك) علة للنهي؛ أي: لا يسأم من الكتابة من تكثر منه الحقوق، فبالأولى من لم تكثر منه، وظاهر قوله: (أي: ما شهدتُم عليه) أن الضمير في ﴿تَكْتُبُوهُ﴾ عائذ على الشهود، وهو معنى صحيح، فبيّن أولاً كتابة المتدائنين، وثانياً كتابة الشاهدين لشهادتهما؛ لتكون تلك الكتابة مذكرة لهما، ويصحّ أن يكون خطاباً للمتدائنين، ويؤوّل قول المفسّر: (ما شهدتُم) بـ(أشهدتم).

قوله: ﴿صَغِيرًا﴾ (كان) قدّر (كان) إشارة إلى أن ﴿صَغِيرًا﴾ و﴿كَبِيرًا﴾ خبران لـ(كان) المحذوفة، قال ابن مالك: [الرجز]

(١) قرأ حمزة: إن تضلّ فتذكر، بكسر (إن) وتشديد الكاف ورفع الراء، وخرّجها المصنف، وقرأ أبو عمرو وابن كثير بفتح (أن) وتخفيف الكاف ونصب الراء، والباقون كذلك إلا أنهم يشددون الكاف. انظر: «الدر المصون» (٢/٦٦٤).

ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَدَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا ۖ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُوبُوهَا ۚ

- حالٌ من الهاء في ﴿تَكْتُوبُوهَا﴾ - ، ﴿ذَلِكُمْ﴾ أي: الكتب ﴿أَقْسَطُ﴾: أعدل ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَدَةِ﴾ أي: أعونٌ على إقامتها لأنه يُذكرها، ﴿وَأَدْنَىٰ﴾: أقرب إلى ﴿أَنْ﴾ ﴿لَّا تَرْتَابُوا﴾: تَشْكُوا في قَدْرِ الْحَقِّ وَالْأَجْلِ، ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ﴾: تَقَعَ ﴿تِجَارَةً حَاضِرَةً﴾، - وفي قِراءة بِالنَّصَبِ، فـ ﴿تَكُونَ﴾ ناقصة واسمها ضمير التجارة - ﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ أي: تَقْبِضُونَهَا وَلَا أَجَلَ فِيهَا، ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ في ﴿أَنْ﴾ ﴿لَّا تَكْتُوبُوهَا﴾ والمرادُ بها الْمُتَجَرُّ فِيهِ،

حاشية الصاوي

وَيَحْذِفُونَهَا وَيُبْقُونَ الْخَبَرَ وَبَعْدَ إِذْ وَلَوْ كَثِيرًا إِذَا اشْتَهَرَ^(١)

وليس بمتعين، بل يصح جعلهما حالين من الهاء في ﴿تَكْتُوبُوهَا﴾.

قوله: (أي: الكتب) أي: المفهوم من ﴿أَنْ تَكْتُوبُوهَا﴾ على حدٍّ: ﴿أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾^(٢).

قوله: ﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَدَةِ﴾ هذا يؤيد ما ذكره المفسر أولاً من أن الضمير في ﴿تَكْتُوبُوهَا﴾ عائد على الشهود.

قوله: (أي: تشكوا في قدر الحق والأجل) أي: فيلزم على ذلك إما ضرر المدين أو من له الدين.

قوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً﴾ إما بالرفع على أَنَّ ﴿تَكُونَ﴾ تامة، أو بالنصب على أنها ناقصة، واسمها ضمير ﴿تَكُونَ﴾، قراءتان سبعيتان^(٣)، و﴿حَاضِرَةً﴾ و﴿تُدِيرُونَهَا﴾: صفتان لـ ﴿تِجَارَةً﴾، وهو وصف بالجملة بعد الوصف بالمفرد، عكس قوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام: ٩٢]، والاستثناء يحتمل أن يكون متصلاً من عموم الأحوال، ويحتمل أن يكون منقطعاً وهو الأقرب؛ لأنَّ ما يبيع مناجزة ليس داخلاً تحت قوله: ﴿إِلَّا أَجَلٌ مُّسَمًّى...﴾ الآية.

(أي: تقبضونها) راجع لقوله: ﴿تُدِيرُونَهَا﴾، وقوله: (ولا أجل فيها) راجع لقوله: ﴿حَاضِرَةً﴾، فهو لفٌّ ونشْرٌ مشوّش.

(١) «الخلاصة» (باب كان وأخواتها).

(٢) فالضمير (هو) عائد على المصدر المفهوم من الفعل (اعدلوا)؛ أي: العدل أقرب للتقوى.

(٣) قرأ عاصم بنصب (تجارة حاضرة)، والباقون برفعها. انظر «الدر المصون» (٢/ ٦٧٣).

وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا

﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ عليه فإنه أدفعُ للاختلاف، وهذا وما قبله أمرٌ ندب، ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ صاحب الحق ومن عليه بتحريف أو امتناع من الشهادة أو الكتابة، ولا يضرهما صاحب الحق بتكليفهما ما لا يليق في الكتابة والشهادة، ﴿وَإِنْ تَفْعَلُوا﴾ ما نهيتُم عنه

حاشية الصاوي

قوله: (أمر ندب) أي: إرشاد لمصالح الدنيا؛ لقطع النزاع، وهذا تقييد للاستثناء؛ أي: إن الإشهاد المذكور يكون في العقارات والأموال التي تبقى، وأما الاستثناء فمحلُّ الأمور التي لا تبقى^(١).

قوله: (صاحب الحق) قدره إشارة إلى أن ﴿يُضَارَّ﴾ مبني للفاعل، و﴿كَاتِبٌ﴾: فاعل^(٢)، وأصله: يضارر، ف(لا): ناهية، و﴿يُضَارَّ﴾: مجزوم بسكون مقدر على آخره منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة الإدغام.

قوله: (بتحريف) أي: في الكتابة؛ بأن يزيد أو ينقص فيضر البائع أو المشتري، وقوله: (أو امتناع من الشهادة) أي: بتركها حتى يأخذ عليها جُعلاً مثلاً، وذلك إضراراً من الكاتب والشاهد لصاحب الحق.

قوله: (أو لا يضرهما صاحب الحق) أي: ف﴿يُضَارَّ﴾ مبني للمفعول، و﴿كَاتِبٌ﴾ و﴿شَهِيدٌ﴾: نائب فاعل، فأصله: يضارر.

قوله: (ما لا يليق في الكتابة) أي: بأن يلزم بكتابة ما لم يطلع عليه^(٣)، أو يمتنع من إعطاء أجرته له، وقوله: (والشهادة) أي: بأن يستشهد على ما لم يره، أو يأخذ على مسافة القصر قصراً من غير دفع شيء له يتمون به.

قوله: (ما نهيتُم عنه) أي: من مضاررة الكاتب والشاهد.

(١) في (أ): (فمحظه) بدل (فمحله).

(٢) في النسخ: (اسم فاعل) بدل (مبني للفاعل)، ولكن على هامش (أ) مصححاً: (لعله: مبني للفاعل)، ويشهد له اللحاق الآتي.

(٣) في (أ): (يأمره) بدل (يلزم).

فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ

﴿فَإِنَّهُ فُسُوقٌ﴾: خُرُوجٌ عَنِ الطَّاعَةِ لِاحِقٌ ﴿بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، ﴿وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ﴾ مَصَالِحَ أُمُورِكُمْ، - حَالٌ مُقَدَّرَةٌ أَوْ مُسْتَأْنَفٌ -، ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿٢٨٢﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ أَي: مُسَافِرِينَ وَتَدَايَنْتُمْ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَإِنَّهُ فُسُوقٌ﴾ أَي: يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ الْفُسُوقُ آخَرًا؛ لِأَنَّ مَنْ لَمْ يَدِرِ الْعَوَاقِبَ فَلَيْسَ لَهُ فِي الدُّنْيَا صَاحِبٌ.

قوله: ﴿لَا حَقَّ﴾ (قَدَّرَهُ)؛ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ ﴿بِكُمْ﴾ مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ.

قوله: (أَوْ مُسْتَأْنَفٌ) الْأَوَّلَى الْاِقْتِصَارُ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ جَعْلَهُ حَالًا خِلَافَ الْقَاعِدَةِ النَّحْوِيَّةِ؛ فَإِنَّ الْقَاعِدَةَ: أَنَّ الْجُمْلَةَ الْمُضَارِعِيَّةَ الْمُثَبَّتَةَ إِذَا وَقَعَتْ حَالًا فَإِنَّ الضَّمِيرَ يَلْزُمُهَا وَتَخْلُو مِنَ الْوَائِ، وَلَا يَصَحُّ أَيْضًا عَطْفُهَا عَلَى جُمْلَةٍ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾؛ لِأَنَّهُ يَلْزَمُ عَلَيْهِ عَطْفُ الْخَبَرِ عَلَى الْإِنْشَاءِ، وَفِيهِ خِلَافٌ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ﴾ أَي: الْعِلْمُ النَّافِعُ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ نُورٌ، وَالنُّورَ لَا يَهْدِي لِغَيْرِ الْمُتَّقِي، قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ: [الوافر]

شَكُوتٌ إِلَى وَكَيْعٍ سُوءٍ حَفْظِي فَأَرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ الْمَعَاصِي

وَأَعْلَمَنِي بِأَنَّ الْعِلْمَ نُورٌ وَنُورُ اللَّهِ لَا يُهْدِي لِمَعَاصِي^(١)

وَقَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ: (مَنْ عَمَلَ بِمَا عَلَّمَ وَرَّثَهُ اللَّهُ عِلْمًا مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ)^(٢)، فَالْتَقَى سَبَبٌ لِإِعْطَاءِ الْعِلْمِ النَّافِعِ.

قوله: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أَي: فِيْجَازِي كَلًّا مِنَ الْفَاسِقِ وَالتَّقِي عَلَى مَا صَدَرَ مِنْهُ.

قوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ﴾ فِيهِ اسْتِعَارَةٌ تَبْعِيَّةٌ، حَيْثُ شَبَّهَ الظَّرْفِيَّةَ الْمَطْلُوقَةَ بِالْاِسْتِعْلَاءِ الْمَطْلُوقِ،

(١) انظر «ديوانه» (ص ٨٨).

(٢) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٦/١٦٣) عن عبد الواحد بن زيد، وحكاها الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٢٣/٢٩١) عن الفضيل بن عياض.

وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَنٌ مَّقْبُوضَةٌ.....

﴿وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَنٌ﴾ وفي قراءة: ﴿فَرِهَنٌ﴾ جمع رَهْنٍ ﴿مَّقْبُوضَةٌ﴾ تَسْتَوِثُقُونَ بِهَا، وَبَيَّنَّتِ السُّنَّةُ جَوَازَ الرَّهْنِ فِي الْحَضَرِ وَوُجُودَ الْكَاتِبِ، فَالتَّقْيِيدُ بِمَا ذُكِرَ لِأَنَّ التَّوْثِيقَ فِيهِ أَشَدُّ. وَأَفَادَ قَوْلُهُ: ﴿مَّقْبُوضَةٌ﴾ اشْتِرَاطَ الْقَبْضِ فِي الرَّهْنِ، وَالْاِكْتِفَاءَ بِهِ مِنَ الْمُرْتَهَنِ وَوَكِيلِهِ.

حاشية الصاوي

فسرى التشبيه من الكليات للجزئيات، فاستعيرت (على) الموضوعه للاستعلاء الخاص لمعنى (في) الموضوعه للظرفية الخاصة، عكس ﴿وَلَا ضَلَّيْنَكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]، والجامع بينهما: التمكن في كل، فكما أن المسافر متمكن من السفر كذلك الراكب متمكن من الركوب ومُستعلٍ على المركوب، وقد أشار للاستعارة المفسر بقوله: (أي: مسافرين).

قوله: ﴿وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا﴾ يصح عطفه على فعل الشرط فهو في محلّ جزم، أو على خبر (كان) فهو في محلّ نصب، أو حالاً فهو في محلّ نصب أيضاً، ولم يقل: ولا شهوداً؛ لأنّ الشأن وجودهم إذ ذاك بخلاف الكاتب.

قوله: ﴿فَرِهَنٌ﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿مَّقْبُوضَةٌ﴾ صفته، وخبره محذوف قدره المفسر بقوله: تستوثقون بها، والجملة جواب الشرط في محلّ جزم.

قوله: (جمع رَهْن) أي: كل من: رَهْنٍ وَرِهَانٍ: جمعٌ ل(رَهْن) ^(١).

قوله: (وبينت السنة... إلخ) جواب عن سؤال مقدّر وهو أن مفهوم الآية أن الرهن في الحضر لا يسوغ أخذه! أجاب: بأن السنة بينت الجواز في الحضر.

قوله: (لأن التوثق فيه أشد) أي: لأن الغالب في السفر عدم وجود الكاتب، ونسيان الدين، والتعرض للموت.

قوله: (اشتراط القبض في الرهن) أي: وهل يشترط من الراهن الإقباض بأن يسلمه الرهن بيده؟ خلاف عند مالك والشافعي، والمعتمد: عدم اشتراطه، ولا بدّ أن يكون القبض بعلم الراهن أو وكيله ورضاه، فلو سرقة المرتهن مثلاً ومات الراهن أو فلس... فلا يختص المرتهن به، بل هو أسوة الغرماء.

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: (فَرِهَن) بضم الراء والهاء، والباقون: (فَرِهَان) بكسر الراء وألف بعد الهاء. انظر «الدر المصون» (٢/٦٧٨).

فَإِنْ آمَنَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ، وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ، وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ إِيَّائِمُّ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا

﴿فَإِنْ آمَنَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ﴾ أي: الدَّائِنُ الْمَدِينِ عَلَى حَقِّهِ فَلَمْ يَرْتَهِنَ ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ﴾ أي: الْمَدِينُ ﴿أَمْنَتَهُ﴾: دَيْنُهُ، ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾: فِي أَدَائِهِ، ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾ إِذَا دُعِيتُمْ لِإِقَامَتِهَا، ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ إِيَّائِمُّ قَلْبُهُ﴾ خُصَّ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُ مَحَلُّ الشَّهَادَةِ، وَلِأَنَّهُ إِذَا أَثِمَ تَبِعَهُ غَيْرُهُ فَيُعَاقَبُ عَلَيْهِ مُعَاقِبَةُ الْإِثْمِينَ، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهُ.

﴿٢٨٤﴾ ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا﴾:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَإِنْ آمَنَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ﴾ أي: رَضِيَ بَعْضُكُمْ وَهُوَ صَاحِبُ الدِّينِ بِأَمَانَةٍ بَعْضٍ وَهُوَ الْمَدِينُ.

قوله: ﴿فَلَمْ يَرْتَهِنَ﴾ تَفْرِيعٌ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿فَإِنْ آمَنَ...﴾ إلخ.

قوله: ﴿فَلْيُؤَدِّ﴾... إلخ جوابُ الشرط، وَقُرْنِ بِالْفَاءِ لِأَنَّ الْجُمْلَةَ طَلِبِيَّةً، وَقَدْ أَكَّدَ ذَلِكَ بِأَمْرِ، مِنْهَا الْأَمْرُ، وَمِنْهَا تَسْمِيَةُ أَمَانَةٍ، وَمِنْهَا الْأَمْرُ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي الْأَدَاءِ، وَمِنْهَا التَّصْرِيحُ بِقَوْلٍ: ﴿اللَّهُ رَبُّهُ﴾. قوله: ﴿دَيْنَهُ﴾ إِنَّمَا سَمَّاهُ أَمَانَةً؛ لِأَنَّهُ صَارَ لَا يُعْلَمُ إِلَّا مِنْهُ.

قوله: ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ أي: لِيَخْشَ عِقَابَ رَبِّهِ فِي الْأَدَاءِ، وَلَا يُمَاطِلَهُ بِهِ.

قوله: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾ أي: الْإِقْرَارَ بِالذِّينِ، وَسُمِّيَ شَهَادَةً؛ لِأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ إِلَّا مَنْ الْمَدِينِ، فَكَانَ شَاهِدًا بِالذِّينِ، فَحَيْثُ كَتَمَهُ فَقَدْ كَتَمَ الشَّهَادَةَ بِالذِّينِ.

قوله: ﴿فَإِنَّهُ إِيَّائِمُّ قَلْبُهُ﴾ جوابُ الشرط، وَ﴿قَلْبُهُ﴾: فَاعِلٌ بـ﴿إِيَّائِمُّ﴾.

قوله: ﴿وَلِأَنَّهُ إِذَا أَثِمَ تَبِعَهُ غَيْرُهُ﴾ أي: فِي الْإِثْمِ؛ لِأَنَّهُ سُلْطَانُ الْأَعْضَاءِ، إِذَا صَلَحَ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ.

قوله: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ أي: فَيُجَازِي الْخَلْقَ عَلَى أَعْمَالِهِمْ خَيْرًا وَشَرًّا.

قوله: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: مُلْكًا وَخَلْقًا وَعَبِيدًا، وَهَذَا كَالدَّلِيلِ لِمَا قَبْلَهُ، وَعَبَّرَ بِ(مَا) تَغْلِيظًا لِغَيْرِ الْعَاقِلِ لِكَثْرَتِهِ.

مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾

تُظْهِرُوا ﴿مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ مِنَ السُّوءِ وَالْعِزِّ عَلَيْهِ ﴿أَوْ تُخَفُّوهُ﴾: تُسِرُّوهُ، ﴿يُحَاسِبُكُمْ﴾: يُخَبِّرُكُمْ ﴿بِهِ اللَّهُ﴾: يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾: الْمَغْفِرَةَ لَهُ، ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾: تَعَذِّيبَهُ، - وَالْفِعْلَانِ بِالْجَزْمِ عَطْفٌ عَلَى جَوَابِ الشَّرْطِ، وَالرَّفْعُ أَي: فَهُوَ - ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: وَمِنْهُ مُحَاسِبَتُكُمْ وَجَزَاؤُكُمْ.

حاشية الصاوي

قوله: (تظهروا ﴿مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾) أي: فتفعلوا بمقتضاه.

قوله: (والعزم عليه) عطف تفسير، وهذا هو محلُّ المؤاخذه، وهو إشارة لجواب عن الآية، حيث عَمَّ في المؤاخذه مع أنه لا يُؤَاخَذُ إِلَّا بِالْفِعْلِ أَوْ الْعِزِّ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ يُنَافِيهِ مَا يَأْتِي مِنْ أَنَّ عَمَمَ الْآيَةِ مَنْسُوخٌ بِآيَةٍ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، إِلَّا أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ إِشَارَةٌ لِّجَوَابِ آخَرٍ، فَمَا يَأْتِي عَلَى هَذَا بَيَانٌ لِلْمُرَادِ هُنَا، وَالْحَاصِلُ: أَنَّهُ إِنْ أَبْقِيَتِ الْآيَةُ عَلَى عُمُومِهَا كَانَتْ مَنْسُوخَةً بِمَا بَعْدَهَا، وَإِنْ حُمِلَتْ عَلَى الْعِزِّ فَلَا نَسَخَ، وَمَا يَأْتِي تَوْضِيحٌ لِمَا أَجْمَلَ هُنَا، وَقَدْ تَقَدَّمَ مَرَاتِبُ الْقَصْدِ نِظْمًا وَنَثْرًا^(١).

قوله: (يخبركم) أي: يُعَلِّمُكُمْ بِهِ.

قوله: (والفعلان بالجزم عطفًا على جواب الشرط) أي: الذي هو (يحاسب)، وقوله: (والرفع) أي: على الاستئناف خبر لمحذوف، قراءتان سبعتان^(٢)، وَيَصِحُّ فِي غَيْرِ الْقُرْآنِ النَّصْبُ عَلَى إِضْمَارِ (أَنْ)^(٣)، قَالَ ابْنُ مَالِكٍ: [الرجز]

وَالْفِعْلُ مِنْ بَعْدِ الْجَزَا إِنْ يَفْتَرَنْ بِأَلْفَا أَوْ الْوَائِ بِتَثْلِيثٍ قَمِنْ^(٤)

وهذه الآية محمولة على من مات مُسْلِمًا عَاصِيًا، لَا مِنْ مَاتَ كَافِرًا.

قوله: (ومنه محاسبكم) ورد: أَنَّهُ يُحَاسِبُ الْخَلْقَ فِي نِصْفِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا^(٥).

(١) عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا عُقْدَةَ الْنِكَاحِ...﴾ الآية، انظرها (١/ ٣٨٤ - ٣٨٥).

(٢) قرأ ابن عامر وعاصم برفع (يغفر ويعذب)، والباقون من السبعة بجزمهما. «الدر المصون» (٢/ ٦٨٧).

(٣) أي: قراءة سبعة غير شاذة، وإلا فقد قرأ ابن عباس والأعرج وأبو حيو: (فيغفر) بالنصب. المصدر السابق.

(٤) «الخلاصة» (باب عوامل الجزم).

(٥) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١٣١٤) عن إبراهيم النخعي.

ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيَّهِ وَكُتُبِهِ.....

﴿٢٨٥﴾ ﴿ءَامَنَ﴾: صَدَقَ ﴿الرَّسُولُ﴾ مُحَمَّدٌ ﷺ ﴿بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ مِنَ الْقُرْآنِ، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ - عَظُفٌ عَلَيْهِ -، ﴿كُلُّ﴾ - تَنْوِينُهُ عِوَضٌ مِنَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ - ﴿ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيَّهِ وَكُتُبِهِ﴾.....

حاشية الصاوي

قوله: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ﴾ روى مسلم عن أبي مسعود الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ آخِرَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ... كَفَّتَاهُ»^(١)، قيل: عن قيام الليل؛ كما روى عن ابن عمر قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «أُنزِلَ اللَّهُ عَلَيَّ آيَتَيْنِ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ، خَتَمَ بِهِمَا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، مَنْ قَرَأَهُمَا بَعْدَ الْعِشَاءِ مَرَّتَيْنِ... أَجْزَأَتَاهُ عَنْ قِيَامِ اللَّيْلِ: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ»^(٢)، وقيل: كَفَّتَاهُ مِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ، فَلَا يَكُونُ لَهُ عَلَيْهِ سُلْطَانٌ.

وإنما خَتَمَ السُّورَةَ بِهَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ؛ لِأَنَّهَا بَيَّنَّتْ فَرَضَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْحَجِّ وَالطَّلَاقِ وَالْإِبْلَاءِ وَالْحِيْضَ وَالْجِهَادَ وَقَصَصَ الْأَنْبِيَاءَ، فَنَاسَبَ أَنْ يُذَكَّرَ تَصَدِيقُ النَّبِيِّ وَالْمُؤْمِنِينَ بِجَمِيعِ ذَلِكَ.

قوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: فاشترك الرسول والمؤمنون في أصل الإيمان، لكن افترقا من جهة أخرى وهي أن إيمان الرسول من قبيل حق اليقين، وإيمان المؤمنين من قبيل علم اليقين، أو عين اليقين، فالافتراق من حيث المراتب لا من حيث أصله.

قوله: (عطف عليه) أي: فهو مرفوع بالفاعلية، والوقف عليه، ويدلُّ على صحَّة هذا قراءة علي بن أبي طالب: ﴿وَأَمِنَ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٣)، فأظهر الفعل، ويكون قوله: ﴿كُلُّ ءَامَنَ﴾ جملةً من مبتدأ وخبر تدلُّ على أن جميع من تقدَّم ذكره آمن بما ذكر.

قوله: (عوض عن المضاف إليه) أي: فيكون الضمير الذي ناب عنه التنوين في ﴿كُلُّ﴾ راجعاً إلى الرسول والمؤمنين؛ أي: كلُّهم، وتوحيد الضمير في ﴿ءَامَنَ﴾ مع رجوعه إلى كلِّ المؤمنين؛ لكون المراد بيان كلِّ فرد منهم من غير اعتبار الاجتماع.

قوله: ﴿كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾ ﴿كُلُّ﴾: مبتدأ أخبر عنه بخبرين، راعى في أولهما لفظ ﴿كُلُّ﴾ فأفرد، وفي ثانيهما معناها فجمع حيث قال: ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا... إلخ﴾.

(١) رواه البخاري (٤٠٠٨)، ومسلم (٨٠٧) واللفظ له.

(٢) كذا عند القرطبي في «تفسيره» (٤٣٣/٣)، ورواه ابن عدي في «الكامل» (٣٦٩/٨) عن أبي مسعود أيضاً بنحوه.

(٣) رواها ابن أبي داود في «المصاحف» (ص ١٦٤).

وَرُسُلِهِ لَا تَفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا

- بِالْجَمْعِ وَالْإِفْرَادِ - ﴿وَرُسُلِهِ﴾ يَقُولُونَ: ﴿لَا تَفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ فَنُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ كَمَا فَعَلَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا﴾ أَي: مَا أَمَرْنَا بِهِ سَمَاعَ قَبُولٍ، ﴿وَأَطَعْنَا﴾، نَسْأَلُكَ ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا

حاشية الصاوي

قوله: (الجمع والإفراد) أي: في الكتب، قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: (يقولون... إلخ) قَدَّرَ الفعل لِيُفِيدَ أَنَّ هذه الجملة منصوبة بقول محذوف، وهذا القول المضمَّرُ في محلِّ نصب على الحال؛ أي: قائلين.

قوله: ﴿بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ أي: في الإيمان به، وَأَضِيفَ ﴿بَيْنَ﴾ إِلَى ﴿أَحَدٍ﴾ وهو مفردٌ وإن كانت قاعدتهم أنه إنما يضاف إلى متعدّد نحو: (بين زيد وعمرو)؛ لأنَّ (أحداً) يستوي فيه الواحد والمتعدّد^(٢).

قوله: (فنؤمن ببعض... إلخ) بالنصب في حيز النفي، فالنفي مسلَّطٌ عليه، وسيأتي وصفهم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ...﴾ [النساء: ١٥٠] الآية.

قوله: (سماع قبول) فيه تعريض بالردّ على من قال: سمعنا وعصينا.

قوله: ﴿وَأَطَعْنَا﴾ أي: انقَدنا للطاعة ولو بالعزم عليها.

قوله: ﴿غُفْرَانَكَ﴾ مفعولٌ لمحذوف، قَدَّرَهُ المفسِّرُ بقوله: نسألك، ومعنى الغفران: سترُ الذنوب كبيرها وصغيرها، جليّها وخفيّها، فالإنسان يطلبُ المغفرة ولو في حال الطاعة؛ بسبب ما يطرأ عليها من العجب وحبِّ المحمّدة وغير ذلك من الآفات التي تُذهِبُها، فالعارف لا يعتمدُ على أعماله أبداً، وعلامةُ ذلك كونهُ يجددُ التوبة والاستغفار ولو كان مُلتبساً بأكبر الطاعات.

قوله: ﴿رَبَّنَا﴾ منادى، وحرفُ النداء محذوف؛ أي: يا ربَّنَا.

(١) قرأ حمزة والكسائي: (وكتابه) بالإفراد، وباقي السبعة: (وكتبه) بالجمع. انظر «الدر المصون» (٢/٦٩٢).

(٢) فهو اسم لمن يصلح أن يخاطب، يستوي فيه الواحد والمثنى والمجموع، والمذكر والمؤنث، فحيث أضيف (بين) إليه، أو أعيد ضمير جمع إليه أو نحو ذلك... فالمراد به كما قال الشيخ سعد الدين التفتازاني جمعٌ من الجنس الذي يدل الكلام عليه، فمعنى ﴿لَا تَفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ﴾: لا تفرق بين جمع من الرسل. «الفتوحات» (١/٢٣٧).

وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ

وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ الْمَرْجِعُ بِالْبَعْثِ. وَلَمَّا نَزَلَتْ الْآيَةُ قَبْلَهَا، شَكَا الْمُؤْمِنُونَ مِنَ الْوَسْوَسةِ وَشَقَّ عَلَيْهِمُ الْمُحَاسَبَةُ بِهَا، فَنَزَلَ:

﴿٢٨٦﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴿٢٨٥﴾ أَي: مَا تَسْعُهُ قُدْرَتُهَا، ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ مِنَ الْخَيْرِ أَي: ثَوَابِهِ، ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ مِنَ الشَّرِّ أَي: وَزْرُهُ، وَلَا يُؤَاخِذُ أَحَدٌ بِذَنْبٍ أَحَدٍ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ قيل: معطوفٌ على محذوفٍ تقديره: لك المبدأ وإليك المصير.

قوله: (ولمَّا نزلت الآية قبلها) أي: قوله: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَخَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾.

قوله: (من الوسوسة) أي: التي تطرأ على القلب؛ كالهاجس وهو: ما لاح وذهب بسرعة، والخابر وهو: ما لاح ومكث برهة من الزمن، وحديث النفس وهو: تزيينها الأمور وتحسينها، وهذه لا تكتبُ خيراً كانت أو شراً، والهَمُّ وهو: ترجيحُ الفعل، وهو يكتبُ إن كان خيراً لا شراً، وأما العزمُ.. فيكتبُ خيراً أو شراً.

قوله: (فنزلت: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ﴾) أي: فهذه الآية إما ناسخةٌ للأولى أو مبيِّنةٌ لها، وتقدّمت الإشارة لذلك.

قوله: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ عبّر في جانب الخير باللام، وفي جانب الشر بـ(على)؛ لأنَّ اللامَ للمسرّة، و(على) للمضرّة، وعبّر في جانب الطاعة بـ﴿كَسَبَتْ﴾، وفي جانب المعصية بـ﴿اكتسبت﴾؛ لأنَّ شأنَ المعصية التّعاني والشهوة، بخلاف الطاعة فشأنها عدمُ الشهوة؛ لما في الحديث: «حُقَّتْ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُقَّتْ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ»^(١)، وأيضاً: لا يُؤَاخِذُ فِي الْمَعْصِيَةِ بِالْهَمِّ بَلْ بِالْعَزْمِ أَوْ الْفَعْلِ، بخلاف الطاعة فيكتبُ له ثوابُ الهَمِّ عليها، وأيضاً: يُؤَجِّرُ الْمَرْءُ رَغْماً عَنْ أَنْفِهِ، بخلاف المعصية، وأيضاً: الطاعةُ تتعدّى لغير فاعلها، بخلاف المعصية.

قوله: (ولا يؤاخذ أحدٌ بذنب أحد) هذا في جانب المعصية، وأما في جانب الطاعة.. فقد تنفع غير فاعلها.

(١) رواه البخاري (٦٤٨٧)، ومسلم (٢٨٢٢) والرواية له عن أنس رضي الله عنه.

رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ

ولا بما لم يكسبه مما وسوست به نفسه، قولوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا بِالْعِقَابِ﴾ ﴿إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾: تركنا الصواب لا عن عمد، كما أخذت به من قبلنا، وقد رفع الله ذلك عن هذه الأمة كما ورد في الحديث، فسؤاله اعتراف بنعمة الله، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا﴾: أمراً يثقل علينا حملة ﴿كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ أي: بني إسرائيل، من قتل النفس في التوبة، وإخراج ربع المال في الزكاة، وقرض موضع النجاسة، ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ﴾: قُوَّة

حاشية الصاوي

قوله: (ولا بما لم يكسبه) المناسب: يكتسبه.

قوله: (مما وسوست به نفسه) أي: من هاجس وخاطر وحديث النفس وهم.

قوله: ﴿إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ أي: واستكرهنا عليه، وقد علم ذلك من قوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، ومن هنا إلى آخر السورة سبع دعوات مستجابة.

قوله: (تركنا الصواب لا عن عمد) تفسير لكل من الخطأ والنسيان.

قوله: (كما ورد في الحديث) أي: «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»^(١).

قوله: (فسؤاله اعتراف بنعمة الله) جواب عما يُقال: حيث رفعه الله فما وجه سؤالنا لرفعهِ؟ فأجاب بما ذكر.

قوله: (من قتل النفس في التوبة) أي: حين عبدوا العجل، فتوبتهم قتل طائعتهم العاصي منهم، وأما توبتنا فالندم.

قوله: (وإخراج ربع المال في الزكاة) أي: وأما نحن فربع العشر في التقدين، والعشر أو نصفه في الحبوب.

قوله: (وقرض موضع النجاسة) أي: من الثوب أو البدن^(٢).

(١) رواه الحاكم في «المستدرک» (٢/١٩٩).

(٢) عبارة «الكشاف» (١/٣٣٣): (وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب وغير ذلك).

لَنَا بِهِ^١ وَأَعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

﴿لَنَا بِهِ^١﴾ من التكاليف والبلاء، ﴿وَأَعْفُ عَنَّا﴾: أَمْحُ ذُنُوبَنَا، ﴿وَأَعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾ في الرَّحْمَةِ زِيَادَةً عَلَى الْمَغْفِرَةِ، ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا﴾: سَيِّدُنَا وَمُتَوَلِّي أُمُورِنَا، ﴿فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ بِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ وَالْعَلْبَةِ فِي قِتَالِهِمْ؛ فَإِنَّ مِنْ شَأْنِ الْمَوْلَى أَنْ يَنْصُرَ مَوَالِيَهُ عَلَى الْأَعْدَاءِ، وَفِي الْحَدِيثِ: «لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فَقَرَأَهَا ﷺ، قِيلَ لَهُ عَقِبْ كُلَّ كَلِمَةٍ: قَدْ فَعَلْتُ».

حاشية الصاوي

قوله: (من التكاليف) أي: فلم يكلفنا بالحج من غير استطاعة مثلاً، ولا بالصلاة من قيام مع كونه مريضاً لا يقدر عليه، ولا باستعمال الماء مع عدم القدرة عليه.

قوله: (والبلاء) أي: فكان ينزل بمن قبلنا الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والصيحة والخسف والمسح وغير ذلك من أنواع البلايا العامة التي لا تبقي ولا تذر.

قوله: (امح ذنوبنا) أي: من الصحف.

قوله: ﴿وَأَعْفِرْ لَنَا﴾ أي: استرها عن أعين المخلوقات.

قوله: ﴿وَارْحَمْنَا﴾ أي: أنعم علينا، وذلك في حق من تاب جزماً، وأما من لم يتب ومات.. فأمره مفوض لخالقه.

قوله: (سيدنا ومتولي أمورنا) هذا أحد معاني المولى، ويُطلق على الناصر، ولا شك أن الله كذلك.

قوله: (أن ينصر مواليه) أي: عبده، فإن المولى كما يطلق على العبد يطلق على السيد.

قوله: (عقيب) لغة رديئة في (عقب)، وقوله: (كل كلمة) أي: وهي سبع، وكلها مستجابة، وكرر لفظ (ربنا) بين المتعاطفات زيادة في التضرع.

قوله: (قد فعلت) أي: أجبت مطلوبكم؛ لما في الحديث: «إن الله لأفرح بتوبة عبده ممن ضلّ منه راحلته فوجدّها بعد طلبها»^(١)، وفي رواية: (لَمَّا قرأ النبي قوله: ﴿عُفْرَانِكَ رَبَّنَا﴾ قَالَ اللهُ: قَدْ غَفَرْتُ، وَفِي قَوْلِهِ: ﴿لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قَالَ: لَا أُوَاخِذُكُمْ، وَفِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا﴾ قَالَ: لَا أَحْمِلُ عَلَيْكُمْ، وَفِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تُحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ قَالَ: لَا أَحْمِلُكُمْ،

(١) رواه البخاري (٦٣٠٨)، ومسلم (٢٦٧٥).

حاشية الصاوي

وفي قوله: ﴿وَأَعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ قال: قد عفوْتُ عنكم وغفرت لكم ورحمتكم ونصرتكم على القوم الكافرين^(١).

والحكمة في زيادة قوله: (القوم) ولم يقل: الكافرين: أنه لا يلزم من النصرة على أفراد الكفار النصرة على الهيئة المجتمعة.

وفي هذه الآية تعليم لآداب الدعاء، وفي الحديث: «إذا دعوتكم فعمموا»^(٢).



(١) رواه الطبراني في «الأوسط» (٩٣٠٨)، والبيهقي في «الشعب» (٢١٨٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) وذكر تعالى دعاء سيدنا نوح وهو يُفيد التعميم: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾.



مَدَنِيَّة، مِثْنَان، أَوْ إِلَّا آيَةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ آَلَمَ: اللهُ أَعْلَمُ بِمِرَادِهِ بِذَلِكَ.

حاشية الصاوي

(سُورَةُ الْاَعْمُرَانِ)

مبتدأ، و(مدنية) خبره، و(مثنان): خبر ثان، وقوله: (مدنية) أي: نزلت بعد الهجرة وإن بغير أرض المدينة، وتسميتها بذلك الاسم من باب: تسمية الشيء باسم جزئه.

واختلف في عمران الذي سُميت به؛ ف قيل: المراد به أبو موسى وهارون، فأله موسى وهارون، وقيل: المراد به أبو مريم، والمراد بالله مريم وابنها عيسى، ويقرب ذلك ذكر قصتهما إثر ذكره، وبين عمران أبي موسى وعمران أبي مريم ألف وثمان مئة عام.

قوله: (أو إلا آية) (أو): لحكاية الخلاف، وسببه: الاختلاف في عد البسملة من السورة، فمَن عدها قال: مثنان، ومن لم يعدّها قال: (إلا آية).

وورد في فضل هذه السورة: أنها أمانٌ من الحيات، وكنزٌ للفقير، وأنه يكتب لمن قرأ منها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إلى آخرها آخر الليل ثوابٌ مَنْ قَامَ اللَّيْلَ كُلَّهُ^(١).

قوله: (الله أعلم بمراده بذلك) مشى بذلك على مذهب السلف في المتشابه، وهكذا عادته في فواتح السور، وقد تقدّم الكلام في ذلك بأبسط عبارة^(٢).

(١) انظر «تفسير القرطبي» (٢/٤).

(٢) انظر (٨١/١).

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ

﴿٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ .

(٣ - ٤) ﴿نَزَلَ عَلَيْكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿الْكِتَابَ﴾ : الْقُرْآنَ مُلْتَبِسًا ﴿بِالْحَقِّ﴾ : بِالصِّدْقِ فِي أَخْبَارِهِ، ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ : قَبْلَهُ مِنَ الْكُتُبِ،
حاشية الصاوي

واعلم : أنه قُرِئَ عند إسقاط الهمزة من ﴿اللَّهُ﴾ وفتح ميم ﴿الْعَ﴾ للنقل بمد الميم ستَّ حركات أو حركتين، وعند إسكان الميم حالة الوقوف وإثبات الهمزة بمد الميم ستَّ حركات، فالقراءات ثلاث^(١).

قوله : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ سبب نزولها : قدوم وفد نصارى نجران وكانوا ستين راكباً، منهم أربعة عشر من أشرافهم، ثلاثة منهم أكابرهم أميرهم وحبرهم ووزيرهم، يحاجون رسول الله في عيسى، فتارة قالوا : إن عيسى ابن الله ؛ لأنه لم يكن له أب، وتارة قالوا : إنه الله ؛ لأنه يحيي الموتى، وتارة قالوا : إنه ثالث ثلاثة ؛ لأنه يقول : فعلنا وخلقنا ؛ فلو كان واحداً لذكره مفرداً، فشرع النبي يردُّ عليهم تلك الشبهة، فقال لهم : أتسلمون أن الله حي لا يموت ؟ قالوا : نعم، فقال : «أتسلمون أن عيسى يموت ؟»، قالوا : نعم، فقال لهم : «أتسلمون أن الله يُصَوِّرُ في الأرحام كيف يشاء ؟»، فقالوا : نعم، إلى غير ذلك، فنزلت تلك السورة منها نيف وثمانون آية على طبق ما ردَّ عليهم به^(٢).

قوله : ﴿الْحَيُّ﴾ أي : ذو الحياة الذاتية، وقوله : ﴿الْقَيُّومُ﴾ أي : القائمُ بأمور خلقه من غير واسطة مُعين.

قوله : (ملتبساً ﴿بِالْحَقِّ﴾) أشار بذلك إلى أن الباء في ﴿بِالْحَقِّ﴾ للملابسة، في محل نصب على الحال، فيكون ﴿مُصَدِّقًا﴾ حالاً بعد حال.
قوله : ﴿مُصَدِّقًا﴾ حال من ﴿الْكِتَابِ﴾.

قوله : ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ في الكلام استعارة بالكناية ؛ حيث شبه بسلطان تقدّمه عسكريه، وجاء على إثرهم يؤيّدُهم ويُقوِّيهم، وطوي ذكر المشبه به، ورُمز له بشيء من لوازمه وهو قوله : ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، فإثباته تخيل.

(١) والقراءة الأولى للجمهور، وانظر «الدر المصون» (٦/٣).

(٢) رواه الطبراني في «تفسيره» (١٥١/٦).

وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٣﴾ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ

﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٣﴾ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قَبْلَ تَنْزِيلِهِ ﴿هُدًى﴾ - حالٌ - بِمَعْنَى: هَادِيَيْنِ مِنَ الضَّلَالَةِ، ﴿لِلنَّاسِ﴾ مِمَّنْ تَبِعَهُمَا، وَعَبَّرَ فِيهِمَا بِ(أَنْزَلَ) وَفِي الْقُرْآنِ بِ(نَزَّلَ) الْمُقْتَضِي لِلتَّكْرِيرِ لِأَنَّهُمَا أُنْزِلَا دُفْعَةً وَاحِدَةً بِخِلَافِهِ، ﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ بِمَعْنَى الْكُتُبِ الْفَارِقَةِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَذَكَرَهُ بَعْدَ ذِكْرِ الثَّلَاثَةِ لِيُعَمَّ مَا عَدَاهَا.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ﴾ أي: على موسى، وقوله: ﴿وَالْإِنْجِيلَ﴾ أي: على عيسى، واختلف الناس في هاتين اللفظتين؛ هل يدخلهما الاشتقاق والتَّصْرِيفُ أم لا لِكَوْنَهُمَا أَعْجَمِيَّيْنِ؟ فَذَهَبَ جَمَاعَةٌ إِلَى الْأَوَّلِ، فَقَالُوا: التَّوْرَةُ مُشْتَقَّةٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: وَرَى: إِذَا قَدَحَ فَظَهَرَ مِنْهُ نَارٌ^(١)، فَلَمَّا كَانَتِ التَّوْرَةُ فِيهَا ضِيَاءٌ وَنُورٌ يُخْرِجُ بِهِ مِنَ الضَّلَالِ إِلَى الْهُدَى كَمَا يُخْرِجُ بِالنَّارِ مِنَ الظَّلَامِ إِلَى النُّورِ.. سُمِّيَ هَذَا الْكِتَابُ بِالتَّوْرَةِ، وَالْإِنْجِيلُ مُشْتَقٌّ مِنَ: النَّجَلِ، وَهُوَ التَّوَسُّعُ، وَمِنْهُ: الْعَيْنُ النَّجْلَاءُ؛ لِسَعَتِهَا، فَسُمِّيَ الْإِنْجِيلُ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ فِيهِ تَوْسُّعٌ لَمْ تَكُنْ فِي التَّوْرَةِ؛ إِذْ حُلِّلَ فِيهِ أَشْيَاءٌ كَانَتْ مُحَرَّمَةً فِيهَا، وَالصَّحِيحُ: أَنَّهُمَا لَيْسَا مُشْتَقَيْنِ؛ لِأَنَّهُمَا عِبْرَانِيَّانِ^(٢).

قوله: (أي: قَبْلَ تَنْزِيلِهِ) أي: الْكِتَابُ الَّذِي هُوَ الْقُرْآنُ.

قوله: (حال) أي: مِنْ ﴿التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾.

قوله: (مِمَّنْ تَبِعَهُمَا) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْهُدَى: الْوَصُولُ، لَا مَجَرَّدَ الدَّلَالَةِ.

قوله: (وَعَبَّرَ فِيهِمَا بِ«أَنْزَلَ»... إلخ) جَوَابٌ عَنْ سُؤَالٍ مُقَدَّرٍ، وَقِيلَ: إِنْ ذَلِكَ تَفْتَنٌ، وَقِيلَ: إِنْ مَادَّةُ (نَزَلَ) تَفِيدُ التَّكَرَّارَ غَالِبًا، وَمَادَّةُ (أَنْزَلَ) تَفِيدُ عَدَمَهُ غَالِبًا، فَلَعَلَّ الْمَفْسِّرَ بَنَى هَذَا الْجَوَابَ عَلَى ذَلِكَ، وَإِلَّا... فَالْهَمْزُ وَالتَّضْعِيفُ أَخْوَانُ^(٣).

قوله: (بِخِلَافِهِ) أي: فَإِنَّهُ نَزَلَ مَفْرَقًا بِحَسَبِ الْوَقَائِعِ فِي ثَلَاثٍ وَعَشْرِينَ سَنَةً.

قوله: (لِيُعَمَّ مَا عَدَاهَا) أي: فَهُوَ مِنْ عَطْفِ الْعَامِّ عَلَى الْخَاصِّ، فَالْمُرَادُ بِالْفُرْقَانِ هُنَا: الْفَارِقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، لَا خُصُوصَ الْقُرْآنِ، فَالْفُرْقَانُ كَمَا يُطْلَقُ عَلَى الْقُرْآنِ يُطْلَقُ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْكُتُبِ.

(١) يُقَالُ: وَرَى الرَّئِدُ يَرِي مِنْ بَابِ وَعَدَ، وَفِي لُغَةٍ: وَرَى يَرِي بِكَسْرِهِمَا: انْظُرْ «المصباح المنير» (و ر ي).

(٢) «الدر المصون» (١٦/٣) نَقْلًا عَنْ الزَّمَخْشَرِيِّ وَصَحَّحَهُ.

(٣) مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْإِمَامُ السَّيُوطِيُّ هُوَ رَأْيُ الزَّمَخْشَرِيِّ فِي تَفْرِيقِهِ بَيْنَ أَنْزَلَ وَنَزَلَ، وَرَدَّ عَلَيْهِ الْعَلَامَةُ السَّمِينُ بِمَا حَاصِلُهُ عِنْدَ

الْمُصَنِّفِ هُنَا. انْظُرْ «الدر المصون» (٢١/٣).

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٥﴾ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: القرآن وغيره ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾: غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ، فلا يَمْنَعُهُ شَيْءٌ مِنْ إِنْجَازِ وَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ، ﴿ذُو انْتِقَامٍ﴾: عَقُوبَةُ شَدِيدَةٍ مِمَّنْ عَصَاهُ، لا يَقْدِرُ عَلَى مِثْلِهَا أَحَدٌ.

﴿٥﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ﴾ كَائِنٌ ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ لِعِلْمِهِ بِمَا يَقَعُ فِي الْعَالَمِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، وَخَصَّصَهُمَا بِالذِّكْرِ لِأَنَّ الْحِسَّ لَا يَتَجَاوَزُهُمَا.

﴿٦﴾ ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ مِنْ ذُكُورٍ وَأُنْثَى، وَبَيَاضٍ وَسَوَادٍ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: كنصاري نجران.

قوله: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ أي: في الدنيا بالقتل والأسر، وفي الآخرة بالنار.

قوله: (وعده) أي: بالخير، وقوله: (ووعيده) أي: بالشر.

قوله: (لا يقدر على مثلها أحد) أي: لأن غاية عذاب غيره الموت، وفيه راحةٌ للمعذب، ولا يقدر على إعادة روحه حتى تتألم ثانياً، وأما عذاب الله فدائم لا آخر له، قال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَفِثَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلَّتْهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦].

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ﴾ هذا ردٌ لقولهم: إن عيسى إله؛ لأنه يعلم الأمور، فردّ عليهم: بأن الله هو الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وليس كذلك عيسى. قوله: (كائن) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ متعلق بمحذوف صفة لـ ﴿شَيْءٌ﴾.

قوله: (وخصّصهما بالذكر) جوابٌ عن سؤال مقدر.

قوله: (لا يتجاوزهما) أي: لا يتعدّاهما.

قوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ﴾ هذه حجة أخرى للردّ على تلك الفرقة؛ كأنه يقول: لا إله إلا مَنْ يَصَوِّرُ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ، وأما عيسى فإنه وإن كان يحيي الموتى فبإذن الله، ولا يقدر أن يصوّر في الأرحام كيف يشاء، بل هو مصوّر في الرحم، فالمصوّر لا يصوّر غيره، بل ولا نفسه.

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْغَزِيرُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ تُحْكِمُكَ هُنَّ أُمُّ
الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ

وغير ذلك، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْغَزِيرُ﴾ في ملكه، ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه.
﴿٧﴾ ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ تُحْكِمُكَ﴾ : واضحات الدلالة، ﴿هُنَّ أُمُّ
الْكِتَابِ﴾ : أصله المَعْتَمَدُ عَلَيْهِ في الأحكام، ﴿وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ﴾

حاشية الصاوي

قوله : ﴿الْغَزِيرُ﴾ (أي : الغالبُ على أمره، عديمُ المثال.
قوله : ﴿الْحَكِيمُ﴾ (أي : ذو الحكمة، وهي وضع الشيء في محله.
قوله : ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ (قيل : سببُ نزولها : أن وفدَ نجران قالوا للنبي ﷺ : ألسْتَ تقول :
إن عيسى روحُ الله وكلمته؟ فقال : «نعم»، فقالوا : حسبنا؛ أي : يكفيك ذلك في كونه ابنَ الله، فنزلت الآية .
والمعنى : أن الله أنزلَ القرآنَ منه محكمٌ ومنه مُتشابه، وقوله : (روح الله وكلمته) من المتشابه
الذي لا يعرفون معناه ولا يفهمون تأويله، بل معنى ذلك : أنه روحٌ من الله؛ أي : نُورُهُ وكلمته،
بمعنى أنه قال له : كُنْ، فكان، فهو عبدٌ من جملة العباد، مَيَّزَهُ اللهُ بالنبوة والرسالة .
قوله : (أصله) إنما فسرَ (الأم) بذلك ؛ لِصحة الإخبار بالمفرد عن الجمع ؛ لأنَّ الأصلَ يصدق
بالمتعدد، وأجيبَ أيضاً : بأنه عبَّرَ بالمفرد ؛ إشارةً إلى أن المجموع بمنزلة آية واحدة ؛ على حدِّ :
﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ [المؤمنون : ٥٠] ^(١)، وما سلكه المفسرُ أظهر .
قوله : (المعتمدُ عليه في الأحكام) أي : الذي يعوَّلُ عليه في أحكام الدين والدنيا هو المحكمُ،
وأما المتشابهُ . . فلم نكلِّفَ بمعرفة معناه، بل نؤمِّنُ به ونفوضُ علمه لله .
قوله : ﴿وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ﴾ (إن قلتَ : هَلَّا نزلَ كُلُّهُ محكماً ؛ لأنه نزلَ لإرشاد العباد ومدارُهُ
على المحكم لا على المتشابه؟

أجيبَ : بأنه نزلَ على أسلوب العرب ؛ فإنَّ أسلوبَهم التعبيرُ بالمجاز والكناية والتلميح وغير ذلك
من المستحسنات ؛ فلو نزلَ كُلُّهُ محكماً . . لقاتل العرب : إن القرآنَ على لُغتنا، فهَلَّا ذُكِرَ فيه
مستحسناتُ لغاتنا؟! .

(١) أي : كلُّ واحدٍ منهما آية، وقوله : (لصحة الإخبار . . .) أي : إذا كان المفرد واقعاً موقع الجمع . ذكر ذلك العارف
بالله تعالى أحمد الرفاعي رحمه الله تعالى في «البرهان المؤيد» (ص ١٤) .

فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ

لا تُفْهَمُ مَعَانِيهَا كَأَوَائِلِ السُّورِ، وَجَعَلَهُ كُلَّهُ مُحْكَمًا فِي قَوْلِهِ: ﴿أُحْكِمْتَ آيَاتَهُ﴾ [هود: ١] بِمَعْنَى أَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ عَيْبٌ، وَمُتَشَابِهًا فِي قَوْلِهِ: ﴿كُنَّا مُتَشَابِهًا﴾ [الزمر: ٢٣] بِمَعْنَى أَنَّهُ يُشَبِّهُ بَعْضُهُ بَعْضًا فِي الْحُسْنِ وَالصِّدْقِ، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾: مَيْلٌ عَنِ الْحَقِّ ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ﴾: طَلَبَ ﴿الْفِتْنَةِ﴾ لِجَهَالِهِمْ بِوُقُوعِهِمْ فِي الشُّبُهَاتِ وَاللَّبْسِ،

حاشية الصاوي

قوله: (لا يفهم معانيها) أي: إلا بفكر وتأمل كما هو مذهب الخلف.

قوله: (كأوائل السور) أي: بعضها، وأدخلت الكاف باقي الآيات المتشابهة.

قوله: (وجعله كله محكمًا... إلخ) جوابٌ عن سؤال مقدّر؛ كأن قائلًا يقول: هذه الآية بيّنت أن القرآن بعضه محكمٌ، وبعضه متشابه، وآية أخرى أفادت أن كله محكمٌ، وآية أخرى أفادت أن كله متشابهٌ، فبين هذه الآيات تنافٍ! أجاب المفسر بما ذكره^(١).

قوله: (بمعنى: أنه ليس فيه عيب) أي: لا في ألفاظه، ولا في معانيه.

قوله: (في الحسن والصدق) قال ابن عباس: تفسير القرآن أربعة أقسام: قسم لا يسع أحداً جهله، كقوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، وقسم يتوقّف على معرفة لغات العرب، كقوله: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي﴾ [طه: ١٨]، وقسم يعرفه العلماء الراسخون في العلم، وقسم لا يعلمه إلا الله، ودخل تحت القسمين الأخيرين المتشابه^(٢).

وحكمة الإتيان بالمتشابه: الزيادة في الإعجاز عن الإتيان بمثله؛ فإنّ المحكم وإن فهموا معناه إلا أنهم عجزوا عن الإتيان بلفظ مثل ألفاظه، والمتشابه عجزوا عن فهم معناه كما عجزوا عن الإتيان بمثله.

قوله: (ميل عن الحق) أي: إلى الباطل.

قوله: (بوقوعهم في الشبهات واللبس) أي: كنصارى نجران ومن هذا حذوهم ممن أخذ بظاهر القرآن؛ فإنّ العلماء ذكروا أن من أصول الكفر الأخذ بظواهر الكتاب والسنة^(٣).

(١) انظر «تأسيس التقديس» (ص ٢٢٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٧٥/١) بنحوه، ورواه مرفوعاً بإسناد وفيه نظر.

(٣) ذكر ذلك العارف بالله تعالى أحمد الرفاعي رحمه الله تعالى في «البرهان المؤيد» (ص ١٤).

وَأَبْتَعَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ

﴿وَأَبْتَعَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾: تفسيره، ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ﴾: تفسيره ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ وحده، ﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾: الثَّابِتُونَ الْمُتَمَكِّنُونَ ﴿فِي الْعِلْمِ﴾ - مُبْتَدَأُ خَبَرِهِ: - ﴿يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ﴾ أي: بِالْمُتَشَابِهِ أَنَّهُ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَلَا نَعْلَمُ مَعْنَاهُ، ﴿كُلٌّ﴾ مِنَ الْمُحَكَّمِ وَالْمُتَشَابِهِ ﴿مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ - بِإِدْغَامِ حَاشِيَةِ الصَّائِي

قوله: ﴿وَأَبْتَعَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ معطوفٌ على ﴿أَبْتَعَاءَ﴾ الأول، والمعنى: أنهم يتجرؤون على تفسيره بتفسير باطل لا أصل له.

قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ﴾ أي: تفسيره على الحقيقة.

قوله: ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ وحده هذه طريقة السلف، واختارها المفسر؛ لكونها أسلم، فالوقف على قوله: ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾، وأما طريقة الخلف فهي أحكم، والوقف على ﴿أُولَى الْأَلْبَابِ﴾، ف(الراسخون) معطوفٌ على لفظ الجلالة، قال بعضهم: ويؤيد طريقة الخلف قوله تعالى بعد ذلك: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾^(١).

قوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾ كلامٌ مستأنف، فالواو للاستئناف، و(الراسخون): مبتدأ، و﴿فِي الْعِلْمِ﴾ متعلِّقٌ بـ(الراسخون)، وخبره ﴿يَقُولُونَ﴾ كما قال المفسر، قال مالك: (الراسخ في العلم: من جمع أربع خصال: الخشية فيما بينه وبين الله، والتواضع فيما بينه وبين الناس، والزهد فيما بينه وبين الدنيا، والمجاهدة فيما بينه وبين نفسه)^(٢).

قوله: ﴿مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ أي: ففهمنا المحكم، وأخفى علينا المتشابه.

(١) وصف طريقة السلف بأنها الأسلم، والخلف بأنها الأحكم... هو على الجملة، وإلا فلا ريب أن طريقة السلف هي الأسلم والأحكم، قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٣٥٢/١٣): (قول من قال: طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أحكم... ليس بمستقيم؛ لأنه ظن أن طريقة السلف مجرد الإيمان بالفاظ القرآن والحديث من غير فقه... إلى أن قال: (بل السلف في غاية المعرفة بما يليق بالله تعالى، وفي غاية التعظيم له والخضوع لأمره والتسليم لمراه، وهذا الترجيح لا يذهب بطريقة الخلف من المتكلمين وغيرهم؛ إذ هي مؤسسة على أصول الدين ناصرة له).

(٢) عند البغوي في «تفسيره» (٤١٢/١) أن مالكاً فسّر الراسخ بقوله: (العالم العامل بما علم المتبع له)، ونقل ما هنا بقوله: (وقيل...).

إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُرْغِ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ
الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ ﴿٩﴾ ..

التاء في الأصل في الذال - أي: يَتَّعِظُ ﴿إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾: أصحاب العقول، ويقولون
أيضاً إذا رأوا من يتَّبِعُهُ:

﴿٨﴾ رَبَّنَا لَا تُرْغِ قُلُوبَنَا: تَمْلِهَا عَنْ الْحَقِّ بِابْتِغَاءِ تَأْوِيلِهِ الَّذِي لَا يَلِيقُ بِنَا، كَمَا أَرْغَتْ
قُلُوبَ أَوْلَئِكَ ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾: أَرْشَدْتَنَا إِلَيْهِ، ﴿وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ﴾: مِنْ عِنْدِكَ ﴿رَحْمَةً﴾:
تَثِيئَةً، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾.

﴿٩﴾ يَا ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ﴾: تَجْمَعُهُمْ ﴿لِيَوْمٍ﴾ أي: فِي يَوْمٍ ﴿لَا رَيْبَ﴾: شَكٌّ
﴿فِيهِ﴾ هو يَوْمُ الْقِيَامَةِ، فَتُجَازِيهِمْ بِأَعْمَالِهِمْ كَمَا وَعَدْتَ بِذَلِكَ، ﴿إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ
الْوَعْدَ﴾: مَوْعِدَهُ بِالْبَعْثِ، فِيهِ التَّفَاتُ عَنْ الْخِطَابِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ كَلَامِهِ تَعَالَى،

حاشية الصاوي

قوله: (في الأصل في الذال) أي: فأصله: يتذكر، قلبت التاء ذالاً ثم أدغمت في الذال.

قوله: (أصحاب العقول) أي: السليمة المستنيرة.

قوله: (من يتبعه) أي: يتبع الباطل.

قوله: ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ أي: بعد وقت هدايتك وتبيينك الحق لنا.

قوله: (تثيئاً) فسر الرحمة هنا بذلك؛ لأنه المراد هنا، وأما في غير هذا الموضع.. فقد تفسر
بالمطر، أو الغفران.

قوله: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ أي: الذي يُعْطِي النوال قبل السؤال.

قوله: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ﴾ منادى، وحرّف النداء محذوف، قدره المفسر إشارة إلى أنه دعاء.

قوله: (أي: في يوم) أشار بذلك إلى أن اللام بمعنى (في).

قوله: (فيه التفات) أي: على أنه من كلام الراسخين.

قوله: (ويحتمل أن يكون من كلامه تعالى) أي: فلا التفات فيه على مذهب الجمهور، وأما
على مذهب السكاكي.. ففيه التفات على كل حال؛ لأنه أتى على خلاف السياق^(١).

(١) انظر «الإيضاح»، (٢/٨٥).

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ

وَالْغَرَضُ مِنَ الدُّعَاءِ بِذَلِكَ بَيَانُ أَنَّ هَمَّهُمْ أَمْرُ الْآخِرَةِ، وَلِذَلِكَ سَأَلُوا الثَّبَاتَ عَلَى الْهِدَايَةِ لِيَنَالُوا ثَوَابَهَا، رَوَى الشَّيْخَانِ عَنِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ إِلَى آخِرِهَا وَقَالَ: «فَإِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ، فَاحْذَرُوهُمْ»، وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي إِلَّا ثَلَاثَ خِلَالٍ، وَذَكَرَ مِنْهَا أَنْ يُفْتَحَ لَهُمُ الْكِتَابُ فَيَأْخُذَهُ الْمُؤْمِنُ يَبْتَغِي تَأْوِيلَهُ، وَلَيْسَ يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ، ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾...» الْحَدِيثُ.

﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ: تَدْفَعُ

حاشية الصاوي

قوله: (روى الشيخان) ^(١) قصده بذلك الاستدلال على ذم المتبعين للمتشابه، ومدح الراسخين.
قوله: (فأولئك الذين سمى الله) أي: بقوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ...﴾ الآية.
قوله: (فاحذروهم) الخطاب لعائشة، وإنما ذكّر وجمع تعظيماً لها، أو إشارة إلى عدم خصوصيتها بذلك.

قوله: (وروى الطبراني) أي: في «معجمه الكبير» ^(٢).
قوله: (إلا ثلاث خلال) هذه نسخة، وفي أخرى: (خِصَال).
قوله: (وذكر منها... إلخ) هذه هي الخلّة الثانية، وترك اثنتين، ونصّ الحديث: أخرج الطبراني عن أبي مالك الأشعري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا أخاف على أمتي إلا ثلاث خلال: أن يكثر لهم المال فيتحاسدوا فيقتتلوا، وأن يفتح لهم الكتاب فيأخذهُ المؤمنُ يبتغي تأويله، ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾، وأن يزداد علمهم فيضيّعوه ولا يسألوا عنه».

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قيل: المراد بهم: جميع من كفر من أوّل الزمان إلى آخره، وقيل: المراد بهم: نصارى نجران، وقيل: كفار مكة، وعلى كلّ فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

(١) رواه البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٩٣/٣) من حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَدُهُمْ مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمُ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠﴾ كَذَابٍ ءَالٍ فِرْعَوْنَ
وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ يَذُّوهُمْ فِي شَدِيدِ الْعِقَابِ ﴿١١﴾

﴿عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَدُهُمْ مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: عَذَابُهُ ﴿شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمُ وَقُودُ النَّارِ﴾ - بِفَتْحِ
الواو -: ما تُوقَدُ بِهِ.

﴿١١﴾ ذَابُّهُمْ ﴿كَذَابٍ﴾: كَعَادَةِ ﴿ءَالٍ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ مِنَ الْأُمَمِ كَعَادِ وَثْمُودَ،
﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ﴾: أَهْلَكَهُمْ ﴿يَذُّوهُمْ﴾ - وَالْجُمْلَةُ مُفَسَّرَةٌ لِّمَا قَبْلَهَا -، ﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ
الْعِقَابِ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَدُهُمْ﴾﴾ قَدَّمَ الْأَمْوَالَ؛ لِأَنَّ الشَّأْنَ أَنَّ الشَّخْصَ أَوَّلَ مَا يَفْتَدِي بِالْأَمْوَالِ ثُمَّ
بِالْأَوْلَادِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ زِينَتَهُمْ وَعِزَّهُمْ لَا يَدْفَعُ عَنْهُمْ شَيْئًا مِنْ عِقَابِ اللَّهِ أَبَدًا، لَا قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا.

قوله: (أي: عَذَابِهِ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ فِي الْكَلَامِ حَذَفَ مِضَافٍ.

قوله: ﴿﴿وَأُولَئِكَ هُمُ وَقُودُ النَّارِ﴾﴾ هَذِهِ الْجُمْلَةُ تَأْكِيدٌ لِلْجُمْلَةِ الْأُولَى.

قوله: (بِفَتْحِ الْوَائِ) أَي: بِاتِّفَاقِ السَّبْعَةِ، وَقَرَأَ الْحَسَنُ بضمِّ الْوَائِ، مُصَدِّرٌ بِمَعْنَى: الْإِيقَادُ^(١).

قوله: (ما يوقد به) أَي: وَهُوَ الْحَطْبُ مِثْلًا.

قوله: (ذَابُّهُمْ ﴿كَذَابٍ﴾) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿﴿كَذَابٍ﴾﴾ خَبَرٌ لِّمَحْذُوفٍ قَدَّرَهُ بِقَوْلِهِ:
(ذَابُّهُمْ)^(٢)، وَهَذَا بَيَانٌ لِّسَبَبِ كَوْنِهِمْ وَقُودَ النَّارِ، وَفِي ذَلِكَ تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ؛ أَي: فَلَا تَحْزَنْ
يَا مُحَمَّدُ؛ فَإِنَّ مَا نَزَلَ بِالْأُمَمِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَنْ قَبْلَكَ يَنْزِلُ بِمَنْ كَفَرَ بِكَ.

قوله: (كَعَادِ وَثْمُودَ) بَيَانٌ لِلْأُمَمِ، وَأَدْخَلْتَ الْكَافَ بَاقِيَ الْأُمَمِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنْبِيَائِهِمْ؛ كَقَوْمِ نُوحٍ
وَقَوْمِ مُوسَى وَغَيْرِهِمْ.

قوله: (أَهْلَكَهُمْ ﴿يَذُّوهُمْ﴾) أَي: انْتَقَمَ مِنْهُمْ دُنْيَا وَآخِرَى.

قوله: (وَالْجُمْلَةُ مُفَسَّرَةٌ لِّمَا قَبْلَهَا) أَي: جُمْلَةُ ﴿﴿كَذَّبُوا﴾﴾ وَمَا قَبْلَهَا هِيَ قَوْلُهُ: ﴿﴿كَذَابٍ ءَالٍ
فِرْعَوْنَ﴾﴾.

(١) «الدر المصون» (٣/٧٣).

(٢) يقال: ذاب فلان في عمله؛ جَدَّ وَتَعَبَ، وَالدَّابُّ: الْاجْتِهَادُ.

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ

﴿١٢﴾ وَنَزَلَ لَمَّا أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ الْيَهُودَ بِالْإِسْلَامِ مَرَجَعَهُ مِنْ بَدْرٍ، فَقَالُوا: (لَا يَغُرَّنَّكَ أَنْ قَتَلْتَ نَفَرًا مِنْ قُرَيْشٍ أَغْمَارًا لَا يَعْرِفُونَ الْقِتَالَ): ﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدٌ ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مِنَ الْيَهُودِ: ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾ - بِالتَّاءِ وَالْيَاءِ - فِي الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ وَضَرْبِ الْجِزْيَةِ، وَقَدْ وَقَعَ

حاشية الصاوي

واعلم: أنه هنا قال: ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾، وفي آية أخرى: ﴿كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾، وفي آية أخرى: ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾، وحكمة ذلك: التفتن في التعبير على عادة فُصَحَاءِ الْعَرَبِ.

والباء في قوله: ﴿يَذُوبُهُمْ﴾ يحتمل أن تكون لِلْمَلَابَسَةِ، والمعنى: أخذهم الله والحال أنهم ملتبسون بذنوبهم، يعني من غير توبة، ويحتمل أن تكون لِلْسَبِيَّةِ، والمعنى: أخذهم الله بسبب ذنوبهم، والأول أبلغ؛ لأنَّ فيه دفع توهم أن موتهم كفارة لما وقع منهم.

قوله: (ونزل لما أمر النبي ﷺ) حاصل ذلك: أنه لما رجع من غزوة بدر إلى المدينة جمع يهودها وهم قريظة وبنو النضير ودعاهم للإسلام، وتوعدهم إن لم يُسلموا أو يؤدوا الجزية.. قاتلهم، فقالوا له ما ذكره المفسر^(١).

قوله: (أغماراً) جمع غُمرٍ بالضم، وهو: الرجل الذي لا يعرف الأمور، وأما بالكسر.. فمعناه: الحقد، وبالفتح مع سكون الميم.. يطلق على الشدة، وأما الغمر بفتحيتين فمعناه: الدَّسَمُ^(٢).

قوله: (من اليهود) أي: قريظة وبنو النضير ومن هذا حذوهم كأهل خيبر.

قوله: (بالتاء والياء) أي: فهما قراءتان سبعيتان، فالتاء ظاهرة في الخطاب لهم، والياء معناها الإخبار بأنهم سيغلبون^(٣).

قوله: (وقد وقع ذلك) أي: فقتل من قريظة ست مئة حول الخندق^(٤)، وكان القاتل لهم علي بن أبي طالب، وقوله: (وضرب الجزية) أي: على أهل خيبر، وأما بنو النضير.. فأجلاهم إلى الشام.

(١) رواه الطبراني في «تفسيره» (٢٢٧/٦) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) «الصحاح» (غ م ر)، والغمر: زهمة اللحم وريحه.

(٣) قرأ حمزة والكسائي بالياء، والباقون بالتاء. انظر «الدر المصون» (٤١/٣).

(٤) في (أ): (فقتل من فحول قريظة).

وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيَبُوءُ الْمَيْهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ

ذَلِكَ، ﴿وَتُحْشَرُونَ﴾ - بِالْوَجْهَيْنِ - فِي الْآخِرَةِ ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ فَتَدْخُلُونَهَا، ﴿وَيَبُوءُ الْمَيْهَادُ﴾: الْفِرَاشُ هِيَ.

﴿١٣﴾ ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾: عِبْرَةٌ، - وَذُكِّرَ الْفِعْلُ لِلْفَصْلِ - ﴿فِي فِئَتَيْنِ﴾: فِرْقَتَيْنِ
﴿الَّتَقَتَا﴾ يَوْمَ بَدْرٍ لِلْقِتَالِ؛ ﴿فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أَي: طَاعَتِهِ، وَهُمْ النَّبِيُّ
وَأَصْحَابُهُ،

حاشية الصاوي

قوله: (بالوجهين) أي: التاء والياء، وهما سبعيتان أيضاً^(١).

قوله: ﴿وَيَبُوءُ الْمَيْهَادُ﴾ المقصودُ من ذلك: بيانُ سوءِ مآلِهِمْ، قال تعالى: ﴿لَمَّا مِّن جَهَنَّمَ مَيْهَادٌ
وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾
[العنكبوت: ٥٥].

قوله: (هي) هذا هو المخصوصُ بالذمِّ، وفاعلُ (بُئِسَ) قوله: ﴿الْمَيْهَادُ﴾.

قوله: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾ يحتملُ أن يكون ذلك من جملةِ مقولِ النبيِّ للكفار؛ أي: قل لهم
ما ذكر، وقل لهم: قد كان لكم آية، فعلى ذلك الخطابُ لليهود، ويحتملُ أن يكون ذلك خطاباً
لكفار مكة أو للمؤمنين ويكونُ مُستأنفاً.

قوله: (أي: للفصل) أي: بالجار والمجرور الواقع خبراً لـ ﴿كَانَ﴾، على حدِّ: أتى القاضي بنتُ
الواقف، وأجيبَ أيضاً: بأن الفاعل مجازيُّ التانيث، أو مذكَّرٌ معنًى؛ لأنَّ الآيةَ معناها البرهان.

قوله: (فرقتين) إنما سُمِّيتِ الفرقة فئَةً؛ لِأَنَّهُ يُفَاءُ - بمعنى: يُرْجَعُ - إِلَيْهَا فِي الشَّدَائِدِ.

قوله: ﴿فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ بِرَفْعِ ﴿فِئَةٌ﴾ بِاتِّفَاقِ السَّبْعَةِ، مُبْتَدَأً، خَبَرُهُ ﴿تُقَاتِلُ... إلخ﴾؛
والمعنى: فئَةٌ مُؤْمِنَةٌ، وقوله: ﴿وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ يعني: تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ، ففِيهِ شَبْهُ احْتِبَاكٍ؛
حَيْثُ حُذِفَ مِنْ كُلِّ نَظِيرٍ مَا أُثْبِتَهُ فِي الْآخِرِ^(٢).

(١) تابعة للقراءة السابقة.

(٢) وهذا هو الاحتباك عند البلاغيين، وتبع المصنف هنا العلامة الجمل في «فتوحاته» (٢٤٦/١) حيث عبَّرَ بشبه الاحتباك
وأراد الاحتباك بعينه، قال: (فحذف من الأول ما يفهم من الثاني، ومن الثاني ما يفهم من الأول)، والله أعلم.

وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ

وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، معهم فرسان وست أدراع وثمانية سيوف، وأكثرهم رجالة، ﴿وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (وكانوا ثلاث مئة) أي: من المهاجرين سبعة وسبعون، صاحب رأيهم علي بن أبي طالب، ومن الأنصار مئتان وستة وثلاثون، صاحب رأيهم سعد بن عباد، والذي مات منهم في تلك الغزوة أربعة عشر؛ ستة من المهاجرين، وثمانية من الأنصار.

قوله: (معهم فرسان) ورد: أنه كان معهم سبعون بعيراً^(١).

قوله: (رجالة) جمع: راجل بمعنى: ماش.

قوله: ﴿يَرَوْنَهُمْ﴾ هكذا بالياء للسبعة ما عدا نافعاً فقرأ بالتاء^(٢)، و(رأى): بصريّة، والواو: فاعلٌ عائد على المؤمنين، والهاء: مفعولٌ عائد على الكفار، و﴿مِثْلَيْهِمْ﴾: حال، والهاء: إما عائدة على المؤمنين، والمعنى: يُشاهد المؤمنون الكفارَ قدرَ أنفسهم مرتين، أو الكفار، والمعنى: يرى المؤمنون الكفارَ قدرَ الكفار مرتين محنةً للمؤمنين، ويحتمل أن الواو عائدة على الكفار، والهاء عائدة على المؤمنين، والهاء في ﴿مِثْلَيْهِمْ﴾ إمّا عائدة على الكفار، والمعنى: يرى الكفار المؤمنين قدرهم مرتين، فترتب على ذلك هزيمتهم، أو عائدة على المؤمنين، والمعنى: يرى الكفار المؤمنين قدر المؤمنين مرتين، ففي هذه القراءة احتمالات أربعة قد علمتها، ومثلها على قراءة التاء؛ لأنه يحتمل أن الخطاب للمؤمنين؛ فالواو عائدة على المؤمنين، والهاء عائدة على الكفار، والضمير في ﴿مِثْلَيْهِمْ﴾ عائدة على الكفار، وهو ظاهر، أو على المؤمنين ويكون فيه التفات من الخطاب للغيبة، وكان مقتضى الظاهر أن يقول: مثليكم، ويحتمل أن الخطاب للكفار فالواو عائدة على الكفار، والهاء عائدة على المؤمنين، والضمير في ﴿مِثْلَيْهِمْ﴾ إما عائدة على المؤمنين وهو ظاهر، أو على الكفار، وفيه التفات أيضاً.

بقي شيء آخر، وهو أن مقتضى الآية أن المرثي كثير، سواء كان الرائي الكفار أو المسلمين، ومقتضى ما يأتي في سورة (الأنفال) أن المرثي قليل، فحصل تناف بين الآيتين!

(١) عند ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١٦/٢): (ومعهم سبعون بعيراً وفرسان).

(٢) «الدر المصون» (٤٧/٣)، وسياق المصنف الآتي عنده.

مَنْ لَيْتَهُمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ

أي: الكفار ﴿مَنْ لَيْتَهُمْ﴾ أي: المسلمين أي: أكثر منهم، وكانوا نحو ألف، ﴿رَأَى الْعَيْنِ﴾ أي: رؤية ظاهرة مُعَايَنَةً، وقد نصرهم الله مع قَلَّتِهِمْ، ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ﴾: يُقَوِّي ﴿بِنَصَرِهِ، مَنْ يَشَاءُ﴾ نصره، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ لِذَوِي الْبَصَائِرِ، أَفَلَا تَعْتَبِرُونَ بِذَلِكَ فَتُؤْمِنُونَ؟

﴿١٤﴾ ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾: مَا تَشْتَهِيهِ النَّفْسُ وَتَدْعُو إِلَيْهِ، زَيْنَهَا اللَّهُ ابْتِلَاءً،

حاشية الصاوي

وأجيب عن ذلك: بِحَمَلِ مَا يَأْتِي عَلَى حَالَةِ الْبَعْدِ، وما هنا على حالة التقاء الصَّفَيْنِ، وحكمة ذلك: أَنَّهُمْ إِذَا شَاهَدُوا الْقَلَّةَ عَلَى بُعْدٍ.. حَمَلَهُمْ ذَلِكَ عَلَى الْإِلْتِحَامِ.

قوله: (أي: الكفار) يقرأ بالرفع تفسيراً للواو، وبالنصب تفسيراً للهاء.

قوله: (وقد نصرهم الله مع قَلَّتِهِمْ) أي: مع كونهم عدداً قليلاً جداً ولا عُدَدَ مَعَهُمْ.

قوله: ﴿لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ صفةٌ لـ(عبرة).

قوله: (أفلا تعتبرون) الخطابُ لليهود، أو لِكُفَّارِ مَكَّةَ.

قوله: (بذلك) أي: بالنصر ورؤية الجيش مثليهم.

قوله: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ﴾ هذه الآيةُ مسوقةٌ لبيانِ حقارة الدنيا وتزهيدِ المسلمين فيها؛ ففي الحديث:

«ظَاهِرُهَا غِرَّةٌ، وَبَاطِنُهَا عِبْرَةٌ»، وقال الشاعر: [الوافر]

هِيَ الدُّنْيَا تَقُولُ بِمِلْءٍ فِيهَا: حَذَارِ حَذَارِ مِنْ بَطْشِي وَفَتْكِي

فَلَا يَغْرُرْكُمْ مِنِّي ابْتِسَامٌ فَقَوْلِي مُضْحِكٌ وَالْفِعْلُ مُبْكِي

والفعلُ مبني للمفعول، والمزِينُ حقيقةً هو الله، ويصحُّ أن يكون الشيطان باعتبار وسوسته؛ ولذا

نَوَّعَ فِيهِ الْمَفْسَّرَ.

قوله: ﴿حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ جمع شهوة، وهي ميلُ النفس لمحبوبها، ولما كان ذلك المعنى ليس

مراداً.. فَسَّرَهَا بِالَّذِي تَشْتَهِيهِ؛ ففيه إشارةٌ إلى أنه أُطلق المصدرُ وأريد اسمُ المفعول.

إِنْ قُلْتَ: إِنَّهُ يَدْخُلُ فِي النَّاسِ الْأَنْبِيَاءُ مَعَ أَنَّهُمْ مَعْصُومُونَ مِنْ ذَلِكَ!

مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ

أو الشَّيْطَانُ، ﴿مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ﴾: الأموال الكثيرة ﴿الْمُقَنْطَرَةِ﴾: المُجمَّعة،
حاشية الصاوي

أجيب: بأنه عامٌ مخصوص بما عدا الأنبياء، وأما هم فهم معصومون من الميل إلى ما سوى الله؛
لما في الحديث: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ»^(١)، ولم يقل: من دُنْيَانَا، وفي الحديث أيضاً: «لَسْتُ مِنَ
الدُّنْيَا وَلَا الدُّنْيَا مِنِّي»^(٢).

قوله: (زَيْنَهَا اللَّهُ) أي: أوجدَ فيها الزَّيْنَةَ.

قوله: (ابتلاء) أي: اختباراً، قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّمَنَّا لِنَبْلُوهُم أَيُّهُمْ أَحْسَنُ
عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧].

قوله: (أو الشيطان) أي: بالوسوسة.

قوله: ﴿مِنَ النِّسَاءِ﴾ متعلق بمحذوف حال من ﴿الشَّهَوَاتِ﴾، وهو تفصيل لما أجمل فيها،
وقدَّم النساءَ لأنهن أعظمُ زينة الدنيا، فإنهن جبالُ الشيطان، ويحملن الإنسانَ على قطع الرحم،
واكتساب المال من الحرام، وارتياب المحرمات، وقال ﷺ: «ما تركتُ فِتْنَةً أَضُرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ
النِّسَاءِ»^(٣)، «ما رأيتُ ناقصات عقلٍ ودينٍ أسْلَبَ لِلْبَّ الرجلِ الحكيمَ منهنَّ»^(٤).

قوله: ﴿وَالْبَنِينَ﴾ قدَّمهم على الأموال؛ لأنهم فرعُ النساءِ، وأكبر فتنة من الأموال؛ لأنَّ
الإنسانَ يفدي بنيه بالمال، ولم يقل: والبنات؛ لأنَّ الشَّانَ أن الفخرَ في الذكور دون الإناث.

قوله: ﴿وَالْقَنَاطِيرِ﴾ جمع: قِنْطَار، قيل: المرادُ به: المَالُ الكثير، وقيل: أَلْفُ أوقية ومئتا
أوقية، وقيل: اثنا عشر ألف أوقية، وقيل غير ذلك، ودرج المفسر على الأول.

قوله: ﴿الْمُقَنْطَرَةِ﴾ قيل: وزنها (مُفَعَّلَةٌ)، فتكون النون أصلية، وقيل: وزنها (مُفْعَلَةٌ)، فالنون
زائدة، ويترتب على ذلك النون في (قِنْطَار) هل هي أصلية فوزنه (فِعْلَال)، أو زائدة فوزنه (فِنَعَال)؟
وأقلُّ القناطر المقنطرة تسعة؛ لأنَّ المراد: تعدَّدتْ جموعُ القناطر عنده، ثلاثة ففوق.

(١) رواه النسائي في «المجتبى» (٦١/٧) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) رواه الضياء في «الأحاديث المختارة» (١٥٤٢) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري (١٤٦٢)، ومسلم (٧٩).

مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثُ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَآئِ (١٤) قُلْ أُوْنِيْكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ

﴿مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾: الحِسانِ، ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾ أي: الإبل والبقر والغنم، ﴿وَالْحَرْثُ﴾: الزَّرْع؛ ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يُتَمَتَّعُ بِهِ فِيهَا ثُمَّ يَفْنَى، ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَآئِ﴾: المَرْجِع وهو الْجَنَّةُ، فَيَنْبَغِي الرِّغْبَةُ فِيهِ دُونَ غَيْرِهِ.

﴿قُلْ﴾ (١٥) يَا مُحَمَّدُ لِقَوْمِكَ: ﴿أُوْنِيْكُمْ﴾: أَخْبِرْكُمْ ﴿بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ﴾ المذكور من الشَّهَوَاتِ؟ - اسْتَفْهَامُ تَقْرِيرٍ -

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَالْفِضَّةُ﴾ (أو) المانعة الخلو، فتجوز الجمع، وقدم الذهب والفضة على ما عداهما؛ لأنَّ فخرَ صاحبهما أعظم.

قوله: ﴿وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾ (قدَّما على الأنعام؛ لأنَّ فخرها أعظم.

قوله: (الزرع) أي: مطلقاً، حنطة أو غيرها.

قوله: (ثمَّ يفنى) أي: يزول هو وصاحبه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ...﴾ [يونس: ٢٤] الآية.

قوله: (فينبغي الرغبة فيه) أي: في ذلك المآب الحسن. وفي الآية اكتفاء؛ أي: وعنده سوء المآب، فحسنُ المآب لمن لم يغترَّ بالدنيا وجعلها مزرعةً للآخرة، وسوءُ المآب لمن اغترَّ بها وآثرها على الآخرة.

قوله: ﴿قُلْ أُوْنِيْكُمْ﴾ قُرِئَ في السبع بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية مع زيادة مدٍّ بينهما، وبدون زيادة، فالقراءاتُ أربع، وليس في القرآن همزة مضمومة بعد مفتوحة إلا ما هنا وما في (ص): ﴿أُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾ [ص: ٨]، وما في (اقتربت الساعة): ﴿أَتَأْتِيَ الذِّكْرَ عَلَيْهِ﴾ [القمر: ٢٥] (١).

قوله: (من الشهوات) أي: المشتَهيات.

قوله: (استفهام تقرير) أي: تثبيت.

لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ
وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾

﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشُّرَكَاءُ ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ - خَبَرٌ مُّبْتَدِئَةٌ: - ﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ﴾
أي: مُقَدَّرِينَ الْخُلُودَ ﴿فِيهَا﴾ إِذَا دَخَلُوهَا، ﴿وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ مِنَ الْحَيْضِ وَغَيْرِهِ مِمَّا
يُسْتَقْدَرُ، ﴿وَرِضْوَانٌ﴾ - بِكَسْرِ أَوَّلِهِ وَضَمِّهِ لُغَتَانِ - أي: رِضًا كَثِيرًا ﴿مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ
بَصِيرٌ﴾: عَالِمٌ ﴿بِالْعِبَادِ﴾، فَيُجَازِي كُلًّا مِنْهُمْ بِعَمَلِهِ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ (الشرك) أي: بالإيمان، وإنما اقتصر عليه؛ لأن أصل دخول الجنة إنما
يتوقف عليه فقط.

قوله: ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ في محل نصب على الحال من ﴿جَنَّاتٍ﴾.

قوله: ﴿جَنَّاتٍ﴾ أي سبع: جنة المأوى، وجنة الخلد، وجنة النعيم، وجنة عدن، وجنة
الفردوس، ودار السلام، ودار الجلال، وأبوابها ثمانية عشر، وأعظمها جنة الفردوس.

قوله: (أي: مقدرين الخلود) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿خَالِدِينَ﴾ حالٌ منتظرة؛ أي: مُتَنَظِّرِينَ
الخلود فيها إذا دخلوها؛ لأنه ينادي المنادي حين استقرار أهل الدارين فيهما: «يا أهل الجنة؛ خلودٌ
بلا موت، ويا أهل النار؛ خلودٌ بلا موت، فيقعُ الفرحُ الدائم في قلوب أهل الجنة، والحزنُ الدائم
في قلوب أهل النار»^(١).

قوله: ﴿وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ أي: من الحُور وغيرهنَّ من نساء الدنيا.

قوله: (لغتان) أي: وقرئ فيهما في السبع في جميع لفظ (رضوان) الواقع في القرآن، إلا الثاني
في (المائدة) فإنه بالكسر باتفاق السبعة^(٢)، وهو قوله: ﴿مَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانَكَ سُبُلَ السَّلَامِ﴾
[المائدة: ١٦]، والمكسورُ قياسيٌّ والمضمومُ سماعيٌّ، ومعناها واحد، وقولُ المفسر: (كثير) أخذ
الكثرة من التنوين.

قوله: (أي: رضاء كثير) أي: عظيم لا سخط بعده أبدًا.

قوله: (فيجازي كلًّا منهم بعمله) أي: فيدخل المتقين الجنة، والعاصين النار.

(١) رواه البخاري (٦٥٤٨)، ومسلم (٢٨٥٠) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) الكسر لغة الحجاز، والضم لغة تميم، وبالكسر قرأ العامة إلا أبا بكر عن عاصم. انظر «الدر المصون» (٦٨/٣).

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ
وَالصَّادِقِينَ وَالْقَنِيتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾

﴿١٦﴾ (الَّذِينَ) - نَعْتُ، أو بَدَلٌ مِنَ (الَّذِينَ) قَبْلَهُ - ﴿يَقُولُونَ﴾: يا ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَمَّا﴾: صَدَّقْنَا بِكَ وَبِرَسُولِكَ، ﴿فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

﴿١٧﴾ (الصَّابِرِينَ) على الطَّاعَةِ وَعَنِ الْمَعْصِيَةِ، - نَعْتُ - ﴿وَالصَّادِقِينَ﴾ في الإِيمَانِ، ﴿وَالْقَنِيتِينَ﴾: الْمُطِيعِينَ لِلَّهِ، ﴿وَالْمُنْفِقِينَ﴾: الْمُتَصَدِّقِينَ، ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ﴾ الله بِأَن يَقُولُوا: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا ﴿بِالْأَسْحَارِ﴾: أَوَاخِرِ اللَّيْلِ، خُصَّتْ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهَا وَقْتُ الْغَفْلَةِ وَلَذَّةِ النَّوْمِ.

حاشية الصاوي

قوله: (نعت) أي: للذين اتقوا.

قوله: (على الطاعة) أي: على فعلها، وقوله: (وعن المعصية) أي: نهاهم الله عنها، فأمسكوا عنها وانتهوا.

قوله: ﴿وَالصَّادِقِينَ﴾ (إن قيل: كيف دخلت الواو على هذه الصفات مع أن الموصوف فيها واحد؟ أجيب بجوابين:

أحدهما: أن الصفات إذا تكررَت جازَ أن يعطف بعضها على بعض بالواو وإن كان الموصوف بها واحداً، ودخول الواو في مثل هذا للتفخيم؛ لأنه يؤذن بأن كل صفة مستقلة يمدح الموصوف بها.

ثانيهما: لا نسلم أن الموصوف بها واحد، بل هو متعدّد والصفات موزعة عليه، فبعضهم صابر، وبعضهم صادق، ففيه إشارة إلى أن بعضها كافٍ في المدح.

قوله: (في الإيمان) أي: صدّقوا بقلوبهم، وانقادوا بظواهرهم.

قوله: (المطيعين لله) أي: بأي نوع من أنواع الطاعة.

قوله: (بأن يقولوا: اللهم! اغفر لنا) أي: أو غير ذلك من أنواع الطاعات، فالمراد بالمستغفرين: المتعرّضون للمغفرة إما بسؤال المغفرة أو غيرها من الطاعات.

قوله: (أواخر الليل) ويدخل بالنصف الأخير منه، وقيل: الأسحار: ما بعد الفجر إلى طلوع الشمس، فينبغي اعتناء هذين الوقتين؛ فإن لم يمكن الأول.. فالثاني.

شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ

﴿١٨﴾ ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾: بَيَّنَّ لِحَلْقِهِ بِالذَّلَائِلِ وَالآيَاتِ ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: لَا مَعْبُودَ فِي الْوُجُودِ بِحَقِّ ﴿إِلَّا هُوَ وَ﴾ شَهِدَ بِذَلِكَ ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ بِالْإِقْرَارِ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ سببُ نزولها: أن حبرين من أحبار الشام قَدَمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ بِالْمَدِينَةِ، فَقَالَا لَهُ: نَسَأُكَ عَنْ شَيْءٍ إِنْ أَخْبَرْتَنَا بِهِ آمَنَّا بِكَ وَصَدَقْنَاكَ، فَقَالَ: «سَلَا»، فَقَالَا: أَخْبَرْنَا عَنْ أَعْظَمِ شَهَادَةٍ فِي الْقُرْآنِ، فَتَزَلَّتْ، فَأَمَّا بِهِ^(١)، وَلَكُونَهَا أَعْظَمَ كَانَ وَقْتُ نَزُولِهَا حَوْلَ الْبَيْتِ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَسِتُونَ صِنْمًا، فَحِينَ نَزَلَتْ تَسَاقَطَتْ تِلْكَ الْأَصْنَامُ^(٢).

ووردَ فِي فَضْلِهَا: «أَنَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُجَاءُ بِمَنْ كَانَ يَحْفَظُهَا، فيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: إِنْ لَعَبَدِي هَذَا عِنْدِي عَهْدًا فَأَوْفِيهِ إِيَّاهُ، أَدْخِلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ، فَيُدْخِلُوهُ مِنْ غَيْرِ سَابِقَةِ عَذَابٍ»^(٣)، وَمِنْ فَضْلِهَا: أَنَّهُا تَقْطَعُ عِرْقَ الشَّرِكِ مِنَ الْقَلْبِ، وَتَنْفَعُ مِنَ الْوَسْوَاسِ؛ وَلِذَا اخْتَارَهَا الْعَارِفُونَ فِي خَتَمِ صَلَاتِهِمْ، فَيَقْرَءُونَهَا عَقِبَ كُلِّ صَلَاةٍ.

ثُمَّ اعْلَمْ: أَنَّ مَعْنَى الشَّهَادَةِ: الْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ، وَالْإِذْعَانُ بِالْقَلْبِ، وَذَلِكَ مُسْتَحِيلٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَالْمُرَادُ: بَيَّنَّ وَأَظْهَرَ لِحَلْقِهِ بِالذَّلَائِلِ الْقَطْعِيَّةِ... إلخ؛ فِي الْكَلَامِ اسْتِعَارَةُ تَبَعِيَّةٍ؛ حَيْثُ شَبَّهَ الْبَيَانَ بِالشَّهَادَةِ، وَاسْتَعَارَ اسْمَ الْمَشْبُوهِ بِهِ لِلْمَشْبُوهِ، وَاشْتَقَّ مِنَ الشَّهَادَةِ شَهِدَ بِمَعْنَى: بَيَّنَّ، وَالْجَامِعُ: الْوَثُوقُ بِكُلِّ؛ لِأَنَّ مَنْ أَقَرَّ وَأَدْعَى حَصَلَ لَهُ الْوَثُوقُ؛ كَمَا أَنَّ مَنْ بَيَّنَّ حَصَلَ لِلْسَامِعِ وَثُوقٌ بِخَبْرِهِ، وَإِلَى ذَلِكَ أَشَارَ الْمَفْسِّرُ بِقَوْلِهِ: (بَيَّنَّ لِحَلْقِهِ... إلخ).

قوله: (فِي الْوُجُودِ) أَيِ: الدُّنْيَوِيِّ وَالْآخِرِيِّ.

قوله: ﴿وَ﴾ شَهِدَ بِذَلِكَ ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ (الْمَلَائِكَةَ) مَعْطُوفٌ عَلَى لَفْظِ الْجَلَالَةِ، فَهُوَ مَرْفُوعٌ، وَقَدَّرَ الْفَعْلَ؛ دَفْعًا لِاسْتِعْمَالِ اللَّفْظِ فِي حَقِيقَتِهِ وَمَجَازِهِ، وَفِيهِ خِلَافٌ، وَلَا يَمْشِي التَّنْزِيلُ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّ الشَّهَادَةَ فِي حَقِّ الْمَلَائِكَةِ مَعْنَاهَا: الْإِقْرَارُ، وَأَمَّا فِي حَقِّ اللَّهِ فَمَعْنَاهَا: التَّبَيُّنُ.

(١) «تفسير البغوي» (١/٤٢٠) عَنْ الْكَلْبِيِّ مَقْطُوعًا.

(٢) رَوَاهُ عَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ وَابْنُ الْمُنْذِرِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ. انْظُرْ «الدر المنثور» (٢/١٦٧).

(٣) رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الشَّعْبِ» (٢١٩٠)، وَابْنُ عَدِيٍّ فِي «الْكَامِلِ» (٦/٦٧) عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا.

وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

﴿وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ من الأنبياء والمؤمنين بالاعتقاد واللفظ، ﴿قَائِمًا﴾ بتدبير مصنوعاته، ونصبه على الحال، والعامِلُ فيها معنى الجملة - أي: تَفَرَّدَ ﴿بِالْقِسْطِ﴾: بِالْعَدْلِ، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ - كَرَّرَهُ تَأْكِيدًا - ﴿الْعَزِيزُ﴾ في مُلْكِهِ، ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صُنْعِهِ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ لم يقدر الفعل اكتفاءً بما قدره في جانب الملائكة.

قوله: (بالاعتقاد) أي: في القلب، وقوله: (واللفظ) أي: باللسان، وإنما اقتصر في جانب الملائكة على الإقرار دون أولي العلم؛ لأنَّ توحيد الملائكة جبليٌّ لهم مخلوقون عليه كالنفس، فلا يُتَوَهَّمُ فيهم عدم الاعتقاد، بخلاف الإنس فاختراريٌّ لهم؛ لوجود المنافقين فيهم دون الملائكة.

قوله: (ونصبه على الحال) أي: إمَّا من لفظ الجلالة، أو من الضمير المنفصل بعد (إلا)، والأحسن: الثاني؛ ليفيد أن الله شهد شهادتين؛ الأولى: أنه لا إله إلا هو، والثانية: أنه قائم بالقسط، فمتعلِّقُ الأولى تنزيهُ ذاته، ومتعلِّقُ الثانية تنزيهُ صفاته.

قوله: (معنى الجملة) أي: جملة (لا إله إلا هو)، وقوله: (أي: تفرَّد) بيان لمعنى الجملة.

قوله: ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بيان لكرمه تعالى، فالمعنى: أنه تعالى ثابت الألوهية، وأن جميع الخلق مملوكون له يتصرف فيهم كيف شاء؛ فلو أدخل الطائعين جميعاً النار.. لا حرج عليه، غير أنه لا يفعل ذلك، بل هو قائمٌ بالقسط.

قوله: (تأكيداً) أي: وتوطئة لقوله: ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

قوله: ﴿الْعَزِيزُ﴾ في ملكه) أي: عديم المثال، أو قاهرٌ لخلقه، وهو راجع لقوله: ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾.

قوله: ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه) أي: يضع الشيء في محله، وهو راجع لقوله: ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾، و﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ إمَّا خبران لمبتدأ محذوف، وإمَّا بدلان من الضمير المنفصل، أو نعتان له على جواز نعت ضمير الغيبة.

إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَقِيًّا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾

﴿١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ الْمَرْضِيَّ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ الْأَسْلَمُ أي: الشرع المبعوث به الرسل المبني على التوحيد، - وفي قراءة بفتح (أَنْ) بَدَلٌ مِنْ «أَنَّهُ»... إلخ بَدَلٌ اشتمال - «وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ»: اليهود والنصارى في الدين - بِأَنْ وَحَّدَ بَعْضٌ وَكَفَرَ بَعْضٌ - «إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ» بِالتَّوْحِيدِ «بَقِيًّا» مِنَ الْكَافِرِينَ «بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ» أي: المُجَازَاةَ لَهُ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَمُ﴾ نزلت لما ادّعت اليهود أنه لا دين أفضل من دين اليهودية، وادّعت النصارى أنه لا دين أفضل من دين النصرانية^(١).

قوله: (هُوَ الْأَسْلَمُ) قدّر الضمير؛ إشارة إلى أن الجملة معرفة الطرفين، فتفيد الحصر.

قوله: (المبعوث به الرسل) أي: جميعهم، من آدم إلى محمد، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾ [الشورى: ١٣]، فأصل الدين واحد، وإنما الاختلاف في الفروع.

قوله: (بَدَلُ اشتمال)^(٢) أي: فيكون من تمام آية «شَهِدَ اللَّهُ»؛ لأنَّ وحدانية الله اشتمل عليها الإسلام، وهذا إن أُريد بالإسلام الشرع المنقول، وأما إن أُريد به التوحيد.. كان بَدَلُ كُلِّ مِنْ كُلِّ.

قوله: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ جوابٌ عن سؤال نشأ من قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَمُ﴾، كأنه قيل: حيث كان الدين واحداً من آدم إلى الآن فما اختلاف أهل الكتاب؟

قوله: ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ استثناء من محذوف؛ أي: ما كان اختلافهم في حال من الأحوال إلا في حال مجيء العلم لهم، فالمعنى: لا عذر ولا شبهة لهم في ذلك الاختلاف؛ لأنَّ الله بيّن لهم الحق من الباطل، وإنما كفرهم واختلافهم محض عناد، قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَ وَاسْطَيْقَنْتَهُمْ أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

قوله: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ﴾ (مَنْ): اسم شرط جازم، و﴿يَكْفُرْ﴾: فعل الشرط، وقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ

(١) «زاد المسير» (٢٦٧/١) عن أبي سليمان الدمشقي.

(٢) قرأ الكسائي بفتح همزة (أَنَّ الدين)، والباقون بكسرها. انظر «الدر المصون» (٨٣/٣).

فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَّمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيَّةَ أَسَلَّمْتُ فَإِنْ
أَسَلَّمُوا

﴿٢٠﴾ ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾: خَاصَمَكَ الْكُفَّارُ يَا مُحَمَّدُ فِي الدِّينِ، ﴿فَقُلْ﴾ لَهُمْ: ﴿أَسَلَّمْتُ وَجْهِيَ
لِلَّهِ﴾: انْقَدْتُ لَهُ أَنَا ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾، وَخَصَّ الْوَجْهَ بِالذِّكْرِ لِشَرْفِهِ، فَغَيْرُهُ أَوْلَى، ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ﴾: الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ﴿وَالْأُمِّيَّةَ﴾: مُشْرِكِي الْعَرَبِ: ﴿أَسَلَّمْتُ﴾ أَي: أَسْلِمُوا،
﴿فَإِنْ أَسَلَّمُوا﴾

حاشية الصاوي

سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿دَلِيلُ الْجَوَابِ، وَالْجَوَابُ مَحْذُوفٌ؛ أَي: فَيُعَذِّبُهُ، وَهَذَا تَسْلِيَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كَأَنَّهُ
قَالَ لَهُ: لَا تَحْزَنْ عَلَى كُفْرٍ مَنِ كَفَرَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ مُعَذِّبُهُ.

قوله: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾ أَي: الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى؛ حَيْثُ أَنْكَرُوا عُمُومَ رِسَالَتِكَ، أَوْ أَصْلَهَا، وَجُمْلَةَ
﴿حَاجُّوكَ﴾ فَعَلُ الشَّرْطِ، وَجَوَابُهُ: ﴿فَقُلْ﴾ وَمَا عُطِفَ عَلَيْهِ.

قوله: ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ مَعْطُوفٌ عَلَى ضَمِيرِ ﴿أَسَلَّمْتُ﴾ الْمُتَّصِلِ وَقَدْ وَجَدَ الْفَاصِلُ، وَهُوَ قَوْلُهُ:
﴿وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾، إِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ.. فَتَقْدِيرُ الْمَفْسَرِ (أَنَا) تَوْضِيحٌ وَبَيَانٌ لِلضَّمِيرِ الْمُتَّصِلِ، لَا لِيَفِيدَ
الْفَاصِلُ؛ فَإِنَّهُ قَدْ حَصَلَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾، قَالَ ابْنُ مَالِكٍ: [الرجز]

وَأِنْ عَلَى ضَمِيرٍ رَفَعَ مُتَّصِلٌ عَطَفْتَ فَأَفْصِلْ بِالضَّمِيرِ الْمُتَّفَصِّلِ
أَوْ فَاصِلٍ مَا^(١)

وما هنا من قبيله، ومفعول (مَنِ اتَّبَعَنِ) محذوفٌ لدلالة ما قبله عليه؛ أَي: وَمَنِ اتَّبَعَنِ أَسَلَّمَ وَجْهَهُ.

قوله: (لشرفه) أَي: لوجود الحواسِّ الخمس فيه.

قوله: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ أَي: التَّوْرَةَ بِالنِّسْبَةِ لِلْيَهُودِ، وَالْإِنْجِيلَ بِالنِّسْبَةِ لِلنَّصَارَى، وَفِيهِ
وَضَعُ الْمَوْصُولِ مَوْضِعَ الضَّمِيرِ لِمُقَابَلَتِهِ بِ(الْأُمِّيَّةِ)^(٢).

قوله: (ومشركي العرب) أَي: وَمَنْ عَادَاهُمْ مِمَّنْ لَا كِتَابَ لَهُمْ.

قوله: (أَي: أَسْلِمُوا) أَي: فَهُوَ اسْتِفْهَامٌ تَقْرِيعِي، وَالْمَقْصُودُ: الْأَمْرُ، عَلَى حَدِّ: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ

مُنْهَوُونَ﴾ [المائدة: ٩١].

(١) «الخلاصة» (باب عطف النسق).

(٢) إِذْ مَعْنَى الْأُمِّيَّةِ هُنَا الَّذِينَ لَا كِتَابَ لَهُمْ وَهُمْ مُشْرِكُو الْعَرَبِ، فَحَصَلَ التَّقَابُلُ.

فَقَدْ أَهْتَدَوْا وَإِذْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ
بَيَّاتٍ اللَّهُ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ

فَقَدْ أَهْتَدَوْا ﴿٢٠﴾ مِنَ الضَّلَالِ، ﴿وَإِذْ تَوَلَّوْا﴾ عَنِ الْإِسْلَامِ، ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ﴾: التَّبْلِيغُ
لِلرَّسَالَةِ، ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ فَيُجَازِيهِمْ بِأَعْمَالِهِمْ، وَهَذَا قَبْلَ الْأَمْرِ بِالْقِتَالِ.

﴿٢١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بَيَّاتٍ اللَّهُ وَيَقْتُلُونَ ﴿٢١﴾ - وَفِي قِرَاءَةٍ: ﴿يَقْتُلُونَ﴾ - ﴿النَّبِيَّ بِغَيْرِ
حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ﴾: بِالْعَدْلِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَقَدْ أَهْتَدَوْا﴾ (أي: انتفعوا، وحصل لهم الرضا والقبول، وتم لهم السعد والوصول،
وبهذا اندفع ما يقال: إن فعل الشرط متَّحدٌ مع جوابه، كأنه قال: فإن أسلموا فقد أسلموا).

قوله: ﴿وَإِذْ تَوَلَّوْا﴾ (أي: داموا عليه، وهو فعل الشرط، وقوله: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ﴾ دليلُ
الجواب، والجوابُ محذوفٌ تقديرُهُ: فلا تحزنْ عليهم وأمرهم إلى الله.

قوله: (أي: التبليغ للرسالة) أي: وقد بلغت، فلا تأسَ عليهم.

قوله: ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (أي: عليمٌ بهم، ومطلعٌ عليهم، وناظرٌ إليهم؛ فلا يغيبُ عنه شيءٌ
من أفعالهم).

قوله: (وهذا قبل الأمر بالقتال) أي: وهذه الآيةُ نزلت قبل الأمر به؛ فإنَّ رسول الله أُمرَ
بِالإمساك والإعراض عنهم في نحو نيفٍ وسبعين آية، ثم أُمرَ بقتالهم^(١).

قوله: ﴿بَيَّاتٍ اللَّهُ﴾ (أي: القرآن وغيره).

قوله: (وفي قراءة: ﴿يَقْتُلُونَ﴾) صوابُهُ: تأخيرُها بعد المعطوف؛ إذ هي التي فيها القراءتان،
وأما هذه.. ف(يقتلون) باتفاق السبعة^(٢).

قوله: ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ (إن قلت: إن قتل الأنبياء لا يكون إلا بغير حق!)

أجيب: بأنه في اعتقادهم أيضاً، فهو زيادةٌ في التشنيع عليهم، فالمعنى: اعجب يا محمد من
بلادة هؤلاء، حيث يقتلون الأنبياء وهم معتقدون أن قتلهم خلافُ الحق، ويقتلون مَنْ يأمرهم
بالعدل.

(١) أي: في آية: ﴿أُوذِيَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ أَنْهُمْ ظَلَمُوا﴾. انظر «تفسير الزمخشري» (٣/١٦٠).

(٢) قرأ حمزة: يقاتلون، والباقون: يقتلون. انظر «الدر المصون» (٣/٩٤).

مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتِ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿٢٢﴾

﴿مِنَ النَّاسِ﴾ وَهُمْ الْيَهُودُ، رُويَ أَنَّهُمْ قَتَلُوا ثَلَاثَةً وَأَرْبَعِينَ نَبِيًّا، فَهَاجَهُمْ مِائَةٌ وَسَبْعُونَ مِنْ
عِبَادِهِمْ فَقَتَلُوهُمْ مِنْ يَوْمِهِمْ، ﴿فَبَشِّرْهُمْ﴾: أَعْلِمُهُمْ ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: مُؤْلِمٌ، وَذَكَرَ الْبَشَارَةَ
تَهْكُمُ بِهِمْ. - وَدَخَلَتْ الْفَاءُ فِي خَبَرٍ ﴿إِنَّ﴾ لَشَبَهَ اسْمِهَا الْمَوْصُولِ بِالشَّرْطِ ..

﴿٢٢﴾ ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتِ﴾: بَطَلَتْ ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾: مَا عَمِلُوا مِنْ خَيْرٍ، كَصَدَقَةٍ
وَصِلَةِ رَحِمٍ، ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾: فَلَا اعْتِدَادَ بِهَا لِعَدَمِ شَرْطِهَا، ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ
نَّاصِرِينَ﴾: مَا يَعِينُ مِنَ الْعَذَابِ.

حاشية الصاوي

قوله: (وهم اليهود) أي: قوم موسى، وإنما خُوطِبَ مَنْ كَانَ فِي زَمَنِهِ ﷺ بذلك؛ لرضاهم
بفعلهم، مع كونهم كانوا عازمين على قتله ﷺ.

قوله: (ثلاثة وأربعين) وفي رواية أخرى: سبعين.

قوله: (من يومهم) أي: فقتلوا الأنبياء أَوَّلَ النَّهَارِ، وَالْعِبَادَ آخِرَهُ^(١).

قوله: (أعلمهم) أشارَ بذلك إِلَّا أَنْ فِي الْكَلَامِ اسْتِعَارَةٌ تَبَعِيَّةٌ، حَيْثُ شُبِّهَ الْإِعْلَامُ بِالْعَذَابِ
بِالْبَشَارَةِ، وَاسْتُعِيرَ اسْمُ الْمَشْبَبِ بِهِ لِلْمَشَبِّهِ، وَاشْتَقَّ مِنَ الْبَشَارَةِ (بَشَّرَهُمْ) بِمَعْنَى: أَعْلَمَهُمْ بِالْعَذَابِ،
وَالْجَامِعُ: الْإِنْتِقَالُ مِنْ حَالٍ لِأُخْرَى فِي كُلِّ.

قوله: (وذكرُ البشارة تهكُّم) أي: لِأَنَّ الْبَشَارَةَ هِيَ: الْخَبَرُ السَّارُّ، وَالنَّذَارَةُ: الْخَبَرُ الضَّارُّ، فَكَأَنَّهُ
يَقُولُ: هُوَ لَا يَتَخَلَّفُ كَمَا أَنَّ الْوَعْدَ بِالْخَيْرِ لَا يَتَخَلَّفُ.

قوله: (لشبه اسمها الموصول) أي: وَهُوَ فِي الْأَصْلِ كَانَ مُبْتَدَأً، وَالْمُبْتَدَأُ مَتَى وَقَعَ اسْمُ مَوْصُولٍ
وَلَوْ مَنْسُوخاً.. قُرِّنَ خَبَرُهُ بِالْفَاءِ^(٢).

قوله: (كصدقة وصلة رحم) إِنْ قُلْتَ: إِنْ مِثْلَ هَذَا الْعَمَلِ لَا يَتَوَقَّفُ عَلَى الْإِسْلَامِ؛ لِعَدَمِ تَوَقُّفِهِ

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٨٦/٦) من حديث أبي عبيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعاً، وَفِيهِ: «قَتَلَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ ثَلَاثَةً وَأَرْبَعِينَ نَبِيًّا
مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ، فَقَامَ مِثْلُ رَجُلٍ وَاثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مِنْ عِبَادِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَأَمَرُوا مَنْ قَتَلَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ
وَنَهَوْهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَقَتَلُوا جَمِيعًا آخِرَ النَّهَارِ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَهُمْ الَّذِينَ ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ؛ أَي: فِي الْآيَةِ.

(٢) إِذَا نُسِخَ بَلِيَتْ وَلَعَلَّ وَكَانَ، فَتَمْنَعُ الْفَاءُ. «الفتوحات» (٢٥٤/١).

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَمُفْرَضُونَ ﴿٢٣﴾

﴿٢٣﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تَنْظُرُ ﴿إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا﴾: حُظًّا ﴿مِّنَ الْكِتَابِ﴾: التَّوْرَةِ، ﴿يُدْعَوْنَ﴾ - حال - ﴿إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَمُفْرَضُونَ﴾ عَنِ قَبُولِ حُكْمِهِ؟ نَزَلَ فِي الْيَهُودِ؛ زَنَى مِنْهُمْ اثْنَانِ فَتَحَاكَمُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَحَكَمَ عَلَيْهِمَا بِالرَّجْمِ، فَأَبَوَا، فَجِيءَ بِالتَّوْرَةِ.....

حاشية الصاوي

على النية، فينتفع به الكافر، فلا يتم قول المفسر: (فلا اعتداد بها؛ لعدم شرطها)! فلعل ذلك محمولٌ على جماعة مخصوصين باشروا قتل الأنبياء وعاندوهم، وإلا.. فصدقة الكافر وصله الرحم تنفعه في الدنيا بتوسعتها عليه مثلاً لا غير، ولا ينتفع بها في الآخرة إجماعاً؛ لأنَّ محلَّ الجزاء الجَنَّةَ، وهو عنها بمعزل؛ لأنه ليس له في الآخرة إلا النار.

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ الخطاب للنبي، أو لكل من يتأتى منه النظر.

قوله: ﴿إِن كِتَابَ اللَّهِ﴾ أي: التوراة.

قوله: (في اليهود) أي: يهود خيبر.

قوله: (زنى منهم اثنان) أي: من أشrafهم، ثم سألوا أحبارهم، فأخبروهم بأن التوراة نصت على رجمهم، ولكن أخذتهم الشفقة عليهم؛ لكونهم من أشrafهم، فتحاكموا إلى النبي ﷺ لعله أن يوجد في دينه فرجٌ لهم، فقال لهم النبي: «حكم ديني رجمكم، والذي أعلمه أن في التوراة كذلك»، فقال بعضهم: جُرَّت علينا يا محمد! فقال: «هلموا إليّ بأعلمكم بالتوراة»، فقالوا: عبد الله بن سوريا، وكان بفدك، فأتي به، فسأله النبي عن حكم الزاني والزانية في التوراة، فقال: اتنوني بالتوراة، فقرأ منها على النبي ﷺ حتى وصل آية الرجم، فوضع يده عليها وقرأ ما بعدها، فأمر النبي بأخذها منه، فأخذها وقرأها، فإذا فيها: (إن المحصن والمحصنة إذا زنيا وقامت عليهما البينة رُجما، وإن كانت امرأة حبلى تُربص بها حتى تضع ما في بطنها)، فأمر ﷺ برجمهما، فغضب اليهود لذلك^(١).

(١) «تفسير البغوي» (٤٢٤/١) برواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأصل الخبر عند البخاري (٦٨٤١)،

ومسلم (١٦٩٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾
فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾

فُوجِدَ فِيهَا، فُرْجِمَا فَعَضِبُوا.

﴿٢٤﴾ ذَٰلِكَ التَّوَلَّى والإعراض ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا﴾ أي: بِسَبَبِ قولهم: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ أَرْبَعِينَ يَوْمًا مُدَّةَ عِبَادَةِ آبَائِهِمُ الْعَجَل ثُمَّ تَزُول عَنْهُمْ، ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ﴾ - مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ: - ﴿مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ مِنْ قولهم ذلك.

﴿٢٥﴾ فَكَيْفَ حَالُهُمْ إِذَا جُمِعْتَهُمْ لِيَوْمٍ ﴿لَا رَيْبَ﴾: شَكٌّ ﴿فِيهِ﴾ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَغَيْرِهِمْ جَزَاءً ﴿مَا كَسَبَتْ﴾: عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، ﴿وَهُمْ﴾ أي: النَّاسُ ﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾ بِنَقْصِ حَسَنَةٍ أَوْ زِيَادَةِ سَيِّئَةٍ؟

حَاشِيَةُ الصَّائِلِ

قوله: (فوجد فيها) أي: الرجم.

قوله: ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا﴾ أي: بسبب قولهم ذلك، فَهَوَّنُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ جَمِيعَ الْمَوْبِقَاتِ؛ مِنْ قَتْلِ الْأَنْبِيَاءِ وَعِصْيَانِهِمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

قوله: (من قولهم ذلك) أي: وهو ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾.

قوله: ﴿فَكَيْفَ﴾ حالهم ردُّ لقولهم المذكور، وإبطالٌ لما غَرَّهُمْ باستعظام ما سيقعُ لهم مِنَ الْأَهْوَالِ، وَيجوزُ أَنْ يَكُونَ (كيف) خبراً مقدِّماً، والمبتدأ محذوفٌ قَدْرُهُ الْمَفْسَرُ بِقَوْلِهِ: (حالهم)، وقوله: ﴿إِذَا جُمِعْتَهُمْ﴾ ظرفٌ غير مضمَّنٍ معنى الشرط، منصوبٌ عَلَى الظرفية، والعاملُ فِيهِ متعلقُ الخبر.

قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: فِي مَجِيئِهِ وَوُقُوعِ مَا فِيهِ.

قوله: ﴿وَهُمْ﴾ أي: النَّاسُ فِيهِ إشارَةٌ إِلَى أَنَّهُ ذَكَرَ ضَمِيرَهُمْ وَجَمَعَهُ بِاعْتِبَارِ مَعْنَى ﴿كُلُّ

نَفْسٍ﴾.

قُلِ اللَّهُمَّ

﴿٢٦﴾ وَنَزَلَ لَمَّا وَعَدَ النَّبِيُّ ﷺ أُمَّتَهُ مُلْكَ فَارِسَ وَالرُّومِ، فَقَالَ الْمُنَافِقُونَ: (هَيْهَاتَ!):

﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾ يَا اللَّهُ

حاشية الصاوي

قوله: (ونزل لما وعد... إلخ) وذلك أنه حين تحرّبت عليه الأحزاب سنة خمس من الهجرة، حتى تجمّع عليه عشرة آلاف مقاتل، وكانت المسلمون إذ ذاك نحو الألفين معه بالمدينة، فأشاروا عليه بحفر الخندق، فجعل على كل عشرة أربعين ذراعاً، فبينما هم في ذلك إذ ظهرت لهم صخرة عظيمة لا تعمل فيها المعاويل، فكرب من كانت في قسمته، فاستجاروا برسول الله، فأخذ ﷺ المعول من سلمان الفارسي وضرب الصخرة أوّل مرة، فخرج منها نورٌ ملاً ما بين لآبتي المدينة، فقال: «أضاء لي منها قصور الحيرة، كأنها أنياب الكلاب»، والحيرة بكسر الحاء المهملة وسكون الياء: مدينة بقرب الكوفة، وتمثله القصور بأنياب الكلاب؛ ليشبهها لها في البياض، وانضمام بعضها لبعض، مع الإشارة إلى تحقيقها، ثم ضرب الثانية وقال: «أضاء لي منها قصور الروم»، ثم ضرب الثالثة وقال: «أضاء لي منها قصور صنعاء اليمن، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة على كلها فأبشروا»، فقال المنافقون: ألا تعجبون! يُمنّيكُم ويعدّكم الباطل، ويخبركم أنه يبصر ما ذكر، وأنها تفتح لكم، وأنتم إنما تحفرون الخندق من شدة الخوف ولا تستطيعون البروز؟! فنزلت الآية، وكسر الصخرة في الثلاث ضربات من عزمه وقوّته البشرية، وإلا... لو كان معجزة لأشار لها فقط^(١).

وروي في فضل تلك الآية أحاديث لا تحصى؛ منها: ما روي أن الله لما أمر (فاتحة الكتاب) وآية الكرسي ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ و﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ﴾ بالنزول إلى الأرض... قالوا: يا ربنا! لا نهبطنا دار الذنوب وإلى من يعصيك، فقال تعالى: وعزّتي وجلالي؛ ما يقرأ كنّ عبدٌ عقب كل صلاة إلا أسكنته حظيرة القدس على ما كان منه، وإلا نظرت له بعيني المكنونة في اليوم واللييلة سبعين مرّة، وإلا قضيت له في اليوم واللييلة سبعين حاجة أدناها المغفرة، وإلا أعدتُه من عدوّه بنصرته عليه، ولا يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت^(٢).

قوله: (يا الله) أشار بذلك إلى أن الميم معوّضة عن ياء النداء، فهو مبني على الضم في محلّ

(١) الخبر بطوله رواه ابن سعد في «طبقاته» (٤/٨٢).

(٢) رواه ابن السني في «عمل اليوم واللييلة» (١٢٥) من حديث علي كرم الله وجهه.

مَلِكِ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكُ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكُ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ
بِيَدِكَ الْخَيْرُ

﴿مَلِكِ الْمَلِكِ تُؤْتِي﴾ : تُعْطِي ﴿الْمَلِكُ مَن تَشَاءُ﴾ مِنْ خَلْقِكَ، ﴿وَتَنْزِعُ الْمَلِكُ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ﴾ بِإِيَّتَائِهِ، ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ﴾ بِنَزْعِهِ مِنْهُ، ﴿بِيَدِكَ﴾ بِقُدْرَتِكَ ﴿الْخَيْرُ﴾ أَيِ : وَالشَّرُّ،

حاشية الصاوي

نصب، والميم عوضٌ عن ياء النداء، وذلك من جملة ما خُصَّ به لفظ الجلالة، ومن جملتها اجتماعُ يا و(أل).

قوله : ﴿مَلِكِ الْمَلِكِ﴾ يصحُّ أن يكون بدلاً، أو عطف بيان، أو نعتاً لمحلِّ ﴿اللَّهُمَّ﴾، أو منادى حذفت منه ياء النداء، والمُلْكُ : هو من العرش للفرش، وفي بعض الكتب : (أنا الله ملكُ الملوك، ومالكُ الملك، قلوبُ الملوك ونواصيهم بيدي، فإنَّ العبادُ أطاعوني جعلتهم عليهم رحمةً، وإن هم عصوني جعلتهم عليهم عقوبةً، فلا تشتغلوا بسبِّ الملوك، ولكن توبوا إليَّ أعطفهم عليكم)^(١).

قوله : ﴿تُؤْتِي الْمَلِكُ مَن تَشَاءُ﴾ إما صفةٌ لـ ﴿مَلِكِ الْمَلِكِ﴾، أو استئنافٌ بياني، دليلٌ لكونه مالكُ الملك، وقوله : ﴿مَن تَشَاءُ﴾ أي : كمحمَّدٍ وأصحابه.

قوله : ﴿بِإِيَّتَائِهِ﴾ أي : الملك.

قوله : ﴿بِنَزْعِهِ مِنْهُ﴾ أي : بنزع الملك من فارس والروم وغيرهما^(٢).

قوله : ﴿بِقُدْرَتِكَ﴾ هذا تأويلُ الخلف، وأما السلفُ فيؤمنون بذلك ويُفوضون علمَ ذلك لله.

قوله : ﴿أَيِ : وَالشَّرُّ﴾ أشارَ بذلك إلى أن فيه اكتفاءً، وإنما اقتصرَ على الخير؛ لأنَّ الآيةَ مسوقةٌ في الخير؛ بدليل سببِ نزولها وإن كان لفظها عاماً، أو يقال : إنما اقتصرَ على الخير؛ لأنه صنْعُهُ، وأما الشرُّ فبالنظر للمنعكس عليه، قال بعض العارفين : [الطويل]

إِذَا مَا رَأَيْتَ اللَّهَ فِي الْكُلِّ فَاعِلاً رَأَيْتَ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ مِلَاحاً

وَإِنْ لَمْ تَرَى إِلَّا مَظَاهِرَ صُنْعِهِ حُجِبَتْ فَصَيَّرَتِ الْجِسَانَ قِبَاحاً

ففعُلُ الله كُلُّهُ خَيْرٌ؛ لأن أفعاله دائرةٌ بين الفضل والعدل، ولا ينسبُ له الشرُّ أصلاً، وإنما ينسبُ الشرُّ للمُخالف، وليس لمولانا حاكم يخالفه فيما أمره به، بل هو الفَعَّالُ لما يريد.

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٢/٣٧٧) عن مالك بن دينار أنه قرأه في بعض كتب الحكمة.

(٢) وإنما ذكر هذه الأمم لملاحظة سبب النزول.

إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَتُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ

﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ .

﴿٢٧﴾ ﴿تُولِجُ﴾ : تُدْخِلُ ﴿اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ : تُدْخِلُهُ ﴿فِي اللَّيْلِ﴾ ، فَيَزِيدُ كُلَّ مِنْهُمَا بِمَا نَقَصَ مِنَ الْآخِرِ ، ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ﴾ كَالْإِنْسَانَ وَالطَّائِرَ مِنَ النُّطْفَةِ وَالْبَيْضَةِ ، ﴿وَتُخْرِجُ الْمَمِيتَ﴾ كَالنُّطْفَةِ وَالْبَيْضَةِ ﴿مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي : رِزْقًا وَاسِعًا .

﴿٢٨﴾ ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ﴾

حاشية الصاوي

قوله : ﴿﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾﴾ دليل لما تقدّم .

قوله : ﴿﴿فَيَزِيدُ كُلَّ مِنْهُمَا بِمَا نَقَصَ مِنَ الْآخِرِ﴾﴾ أي : بِقَدْرِ مَا نَقَصَ سَاعَةً بِسَاعَةٍ ، وَدَرَجَةً بِدَرَجَةٍ .

قوله : ﴿﴿كَالْإِنْسَانَ وَالطَّائِرَ . . .﴾﴾ (إِلخ) وَيَصِحُّ أَنْ يُرَادَ بِالْحَيِّ : الْمُسْلِمُ ، وَبِالْمَمِيتِ : الْكَافِرُ .

قوله : ﴿﴿مِنَ النُّطْفَةِ وَالْبَيْضَةِ﴾﴾ لَفٌّ وَنَشْرٌ مُرْتَبِّ .

قوله : ﴿﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾﴾ أي : وَمِنْ غَيْرِ تَوَقُّفٍ عَلَى عَمَلٍ ، وَإِلَّا . . . فَلَوْ تَوَقَّفَ رِزْقُهُ عَلَى عَمَلٍ مَنَّا لَمَا أَعْطَانَا شَيْئًا أَبَدًا ، بَلْ لَمْ يُبْقِ لَنَا نِعْمَتَهُ الَّتِي هِيَ مَوْجُودَةٌ فِينَا ؛ كَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْكَلَامِ وَالْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، فَسَبْحَانَ الْحَلِيمِ الَّذِي لَا يَعْجَلُ بِالْعُقُوبَةِ عَلَى مَنْ عَصَاهُ !

قوله : ﴿﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ﴾﴾ قِيلَ : نَزَلَتْ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَنِ سُلُولٍ ، كَانَ مُنَافِقًا يَخْفِي الْكُفْرَ وَيُحِبُّ أَهْلَهُ وَيُؤَالِيهِمْ بَاطِنًا ، وَكَانَ بِصَحْبَتِهِ عَلَى هَذِهِ الْخَصْلَةِ ثَلَاثُ مِثَّةٍ ، وَكَانُوا يُحِبُّونَ ظَفَرَ الْأَعْدَاءِ بِرَسُولِ اللَّهِ وَأَصْحَابِهِ ، وَإِنَّمَا كَانُوا يُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ فَقَطْ ، فَمَعْنَى الْآيَةِ : أَنَّ مِنْ عَلَامَةِ الْإِيمَانِ عَدَمَ مَوَالَاةِ أَهْلِ الْكُفْرِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿﴿لَا يَتَّخِذُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ . . .﴾﴾ [الْمَجَادَلَةُ : ٢٢] الْآيَةُ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿﴿يَتَّخِذُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ

إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ﴾ [الْمُمْتَحَنَةُ : ١] .

أُولِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّهُ

أُولِيَاءَ ﴿يُوالونَهُمْ﴾ ﴿مِنْ دُونِ﴾ أي: ﴿غَيْرِ﴾ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ﴿أي: يُوالِهِمْ﴾ فَلَيْسَ مِنْ دِينِ ﴿اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّهُ﴾ - مَصْدَرُ (تَقَيَّتُهُ) - أي: تَخَافُوا مَخَافَةً، فَلَكُمْ مُوَالَاتُهُمْ بِاللِّسَانِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أُولِيَاءَ﴾ (أي: أصدقاء، وقوله: (يوالونهم)^(١) أي: يحبونهم ويميلون إليهم.

قوله: ﴿مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ في محلّ الحال من الفاعل؛ أي: حال كون المؤمنين مُتَجَاوِزِينَ بِمُوَالَاتِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ؛ أي: تاركين قصر الولاية عليهم، وذلك الترك يصدق بصورتين: كونها مشتركة بين الكفار والمؤمنين، أو مختصة بالكفار، فالصورتان داخلتان في منطوق النهي، وإنما الواجب على المؤمنين قصر الموالاتة والمحبة على بعضهم.

قوله: ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ﴾ الكلام على حذف مضاف، قدّره المفسر بقوله: (دين)، وفيه حذف مضاف أيضاً؛ أي: من أهل دين الله، فالمعنى أنه كافر، وإذا اطلعنا عليه فلا نُبقِيه بل نقتله، ويسمى زنديقاً ومنافقاً، واسم (ليس) ضمير يعود على (من) الشرطيّة.

قوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا﴾ هذا استثناء مفرّغ من عموم الأحوال؛ أي: لا يتخذ المؤمن الكافر ولياً لشيء من الأشياء ولا لغرض من الأغراض إلا للتقية ظاهراً؛ بحيث يكون مواليه في الظاهر، ومُعَادِيهِ فِي الْبَاطِنِ، ومحصّله: أن الله نهى المؤمنين عن موالاتة الكفار ومداهنتهم إلا أن يكون الكفار غالبين ظاهرين، أو يكون المؤمن في قوم كفار فيداهنهم بلسانه مطمئناً قلبه بالإيمان، فالتقية لا تكون إلا مع الخوف على النفس أو العرض.

قوله: ﴿تُقَنَّهُ﴾ (وزنه: فَعَلَهُ، ويجمع على تُقَيُّ؛ كـ(رُطْبَةٍ ورُطْبٍ)، وأصله: وُقْيَةٌ؛ لأنه من الوقاية، فأبدلت الواو تاء، والياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، وقوله: (من: تَقَيَّتُهُ) بفتح القاف بوزن: رَمَيْتُهُ، وهو بمعنى: اتَّقَيْتُهُ^(٢).

(١) كذا في نسخة المصنف بإثبات النون، قال العلامة الجمل في «فتوحاته» (١/٢٥٧): (تفسير للفعل المجزوم، فالصواب حذف النون كما في بعض النسخ، نصّ على ذلك علي قاري، ويمكن أن يقال: إن التفسير لا يلزم أن يعطى حكم المفسر من كل وجه؛ فإن المدار على توضيح المعنى).

(٢) انظر «الدر المصون» (٣/١١٠).

وَيَعِذُّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسُهُ. وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَوْهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

دُونِ الْقَلْبِ، وهذا قَبْلَ عِزَّةِ الْإِسْلَامِ، وَيَجْرِي فِيْمَنْ هُوَ فِي بَلَدٍ لَيْسَ قَوِيًّا فِيهَا، ﴿وَيَعِذُّرُكُمْ﴾: يُخَوِّفُكُمْ ﴿اللَّهُ نَفْسُهُ﴾ أَنْ يَغْضَبَ عَلَيْكُمْ إِنْ وَالَيْتُمُوهُمْ، ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾: الْمَرْجِعُ، فَيُجَازِيكُمْ.

﴿٢٩﴾ ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ: ﴿إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾: قُلُوبِكُمْ مِنْ مُوَالَاتِهِمْ ﴿أَوْ تُبْذَوْهُ﴾: تُظْهِرُوهُ، ﴿يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَ﴾ هُوَ ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، وَمِنْهُ تَعْذِيبُ مَنْ وَالَاهُمْ.

حاشية الصاوي

قوله: (دون القلب) أي: فالموالاة به حرام إجماعاً.

قوله: (وهذا) أي: قوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَكْفُوا﴾.

قوله: (ليس قوياً فيها) أي: الإسلام ليس قوياً في تلك البلد؛ كأن يجعل أمراء تلك البلد الحُكَّامَ من أهل الكفر، فالواجب مداراتهم ظاهراً حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً؛ كما وقع لرسول الله ﷺ أنه كان في داره يوماً؛ إذ أقبل عليه رجل فطرق الباب، فقال: «من؟»، فقال: فلان، فقال سرّاً: «بئس أخو العشيرة»، ثم لما خرج إليه أطلق له وجهه وصار يلاطفه بالقول، فلما انصرف قالت له عائشة: رأيت منك عجباً! سمعتك تقول قولاً، ثم فعلت خلافاً! فقال: «يا عائشة؛ إنا لنبشّر في وجوه قوم وقلوبنا لتلعنهم»^(١).

قوله: ﴿وَيَعِذُّرُكُمْ﴾ (الكاف): مفعول أول، و﴿نَفْسُهُ﴾: مفعول ثانٍ، وهو على حذف مضاف، أشار له المفسر بقوله: (أن يغضب عليكم)، والأصل: غضب نفسه؛ أي: فإن واليتموهم غضب الله بجلاله عليكم^(٢).

قوله: (فيجازيكم) أي: إما بالثواب إن لم تُوالوهم، أو بالعقاب إن واليتموهم.

قوله: ﴿يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾ (أي: فيرتب الجزاء على ذلك).

(١) رواه البخاري (٦٠٣٢)، ومسلم (٢٥٩١) بلفظ: «يا عائشة؛ إن شرَّ الناس منزلة عند الله يوم القيامة من ودَّعه - أو تركه - الناس اتقاء فحشه»، وروى البيهقي في «الشعب» (٧٧٤٩) وعلقه البخاري عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إنا لنكسر في وجوه أقوام ونضحك إليهم وإن قلوبنا لتلعنهم).

(٢) في (أ): (غضب الله يحلُّ عليكم) بدل (غضب الله...).

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾

﴿٣٠﴾ اذْكُرْ ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ هـ ﴿مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ﴾ هـ ﴿مِنْ سُوءٍ﴾ هـ - مُبْتَدَأٌ خَبَرُهُ: - ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾: غاية في نهاية البعد فلا يصل إليها، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ - كُرِّرَ لِلتَّأْكِيدِ - ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾. ﴿٣١﴾ وَنَزَلَ لِمَا قَالُوا: (مَا نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ إِلَّا حُبًّا لِلَّهِ لِيُقَرَّبُونَا إِلَيْهِ):

حاشية الصاوي

قوله: ﴿يَوْمَ تَجِدُ﴾ ظرف لمحذوف؛ أي: اذكُرْ.

قوله: ﴿مُحْضَرًا﴾ أي: حاضراً ظاهراً تفرح به، وذلك كالصدقات والصيام والصلاة مثلاً.

قوله: ﴿أَمَدًا بَعِيدًا﴾ أي: مسافة طويلة، فيتمنى أن لم يكن رآه، وقد ورد: «أن العبد إذا خرج من قبره وجد عمله الصالح في صورة حسنة، فيقول: طالما كنت أقلقك في الدنيا، فاركب على ظهري الآن، فيركبه إلى المحشر، وذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥]، وإذا كان غير صالح وجد عمله السيئ في صورة قبيحة، فيقول له: طالما كنت تتمتع بي في الدنيا، فأنا أركبك الآن، وذلك قوله تعالى: ﴿يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾ [الأنعام: ٣١]»^(١).

﴿لَوْ﴾: شرطية، وفي الكلام حذفان، أحدهما: حذف مفعول ﴿يَوَدُّ﴾، والثاني: حذف جواب ﴿لَوْ﴾، والتقدير: تودُّ تباعد ما بينها وبينه، لو أنَّ بينها وبينه أمدًا بعيداً.. لَسُرَّتْ بذلك.

قوله: ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ أي: شديد الرحمة بهم؛ حيث قطع عذرهم بتبيين ذلك في زمن يسعُ التوبة والرجوع إليه فيه، ومن جملة رأفته كثرة التكرار والتأكيد في الكلام لعله يصلُ إلى قلوب السامعين فيعملوا بمقتضاه.

قوله: (ونزل لما قالوا... إلخ) وقيل: سبب نزولها: قول اليهود والنصارى: نحن أبناء الله وأحباؤه، وقيل: قول نصارى نجران: ما عبدنا عيسى وأمه إلا محبةً لله، وقيل: سبب نزولها: أن النبي دخل الكعبة فوجد الكفار يعلّقون على الأصنام بيض النعام ويؤزخرفونها، فقال لهم: «ما هذه ملّة إبراهيم التي تدعونها»، فقالوا: ما نعبدُهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى^(٢).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٢٧/١١) عن عمرو بن قيس العلاني، وضمن خبر طويل رواه ابن أبي شيبه في «المصنف» (٣٠٠٤٦) عن كعب.

(٢) كذا في «زاد المسير» (٢٣٧/١)، وروى الأخير البغوي في «تفسيره» (٤٢٩/١) عن ابن عباس ؓ.

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾

﴿قُلْ﴾ لَهُمْ يَا مُحَمَّدٌ: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ بِمَعْنَى: أَنَّهُ يُثَبِّتُكُمْ ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لِمَنْ اتَّبَعَنِي مَا سَلَفَ مِنْهُ قَبْلَ ذَلِكَ، ﴿رَحِيمٌ﴾ بِهِ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ يَا مُحَمَّدٌ أَي: رَدًّا لمقاتلتهم.

قوله: ﴿فَاتَّبِعُونِي﴾ أَي: فِي جَمِيعِ مَا جِئْتُ بِهِ، وَالْمَعْنَى: أَنْ اتَّبَعَ النَّبِيُّ فِيمَا جَاءَ بِهِ دَلِيلٌ عَلَى مَحَبَّةِ الْإِنْسَانِ لِرَبِّهِ، وَهِيَ: مِيلُ الْقَلْبِ نَحْوَهُ، وَإِثَارُ طَاعَتِهِ عَلَى هَوَى نَفْسِهِ، فَيَلْزَمُ مِنَ الْمَحَبَّةِ الطَّاعَةُ، قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: [الكامل]

لَوْ قَالَ تَبِهَا: قَفَّ عَلَى جَمْرِ الْغَضَا لَوَقَفْتُ مُمْتَثِلًا وَلَمْ أَتَوَقَّفْ^(١)
وقال بعضهم: [الكامل]

تَغْصِي الْإِلَهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ هَذَا لَعَمْرِي فِي الْفِعَالِ بَدِيعٌ
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لَا طَعْنَتَهُ إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعٌ^(٢)
فَمَنْ ادَّعَى الْمَحَبَّةَ مِنْ غَيْرِ طَاعَةٍ.. فَدَعَاوَاهُ بَاطِلَةٌ لَا تَقْبَلُ.

قوله: (بِمَعْنَى: أَنَّهُ يُثَبِّتُكُمْ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ مَعْنَى الْمَحَبَّةِ الْأَصْلِيَّ مُحَالٌ فِي حَقِّهِ تَعَالَى، أَوْ أَنَّ الْمَرَادَ بِمَحَبَّةِ اللَّهِ لِلْعَبْدِ: قَبُولُهُ وَالْإِثَابَةُ عَلَى أَعْمَالِهِ.

قوله: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ أَي: يَمْحُوها مِنَ الصَّحْفِ، فَالْمَحْبُوبُ لَا يَبْقَى عَلَيْهِ ذَنْبٌ، وَالْمَبْغُوضُ لَا تَبْقَى لَهُ طَاعَةٌ، قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: (وَاجْعَلْ سَيِّئَاتِنَا سَيِّئَاتٍ مَنْ أَحَبَّيْتُ، وَلَا تَجْعَلْ حَسَنَاتِنَا حَسَنَاتٍ مَنْ أَبْغَضْتُ، فَالْإِحْسَانُ لَا يَنْفَعُ مَعَ الْبَغْضِ مِنْكَ، وَالْإِسَاءَةُ لَا تَضُرُّ مَعَ الْحَبِّ مِنْكَ)^(٣).

قوله: ﴿رَحِيمٌ﴾ بِهِ أَي: فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

(١) هو لسلطان العاشقين ابن الفارض رحمه الله تعالى، انظر «ديوانه» (ص ١٥٣).

(٢) هما لمحمود الورّاق، انظر «ديوانه» (ص ٢٢٧)، ونسبا أيضاً للشافعي في «ديوانه» (ص ٩١)، ولابن المبارك كما في «تاريخ دمشق» (٤٦٩/٣٢)، وذكر ابن عساكر أيضاً: أَنَّ السَّيِّدَةَ رَابِعَةَ الْعَدْوِيَّةِ كَانَتْ تُنْشِدُهُمَا. وَقَوْلُهُ: (فِي الْفِعَالِ) كَذَا فِي الْأَصُولِ، وَفِي الدُّوَاوَيْنِ وَالْمَرَاجِعِ: (فِي الْقِيَاسِ).

(٣) قطعة من دعاء العارف بالله أبي الحسن الشاذلي المشهور بـ«الحزب الكبير».

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ

﴿٣٢﴾ قُلْ لَهُمْ: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ فيما يأمركم به مِنَ التَّوْحِيدِ، ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: أَعْرَضُوا عَنِ الطَّاعَةِ، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ - فِيهِ إِقَامَةُ الظَّاهِرِ مُقَامَ الْمُضْمَرِ - أَي: لَا يُحِبُّهُمْ بِمَعْنَى أَنَّهُ يُعَاقِبُهُمْ.

﴿٣٣﴾ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى: اخْتَارَ ﴿آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (من التوحيد) أي: وغيره من شرائع الدين.

قوله: (أعرضوا عن الطاعة) أي: فلم يتبعوك فيما أمرت به.

قوله: (فيه إقامة الظاهر) أي: تبكيته لهم.

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ﴾ قال ابن عباس: قالت اليهود: نحن من أبناء إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ونحن على دينهم، فأنزل تعالى هذه الآية، والمعنى: أن الله اصطفى هؤلاء بالإسلام والنبوة والرسالة، وأنتم يا معشر اليهود على غير دينهم^(١). وعاش آدم في الأرض تسع مئة وستين سنة، وأما مدة إقامته في الجنة.. فلا تحسب.

قوله: ﴿وَنُوحًا﴾ هذا لقبه، واسمه الأصلي: عبد الغفار، وقيل: السَّكَن، ولقب بنوح لكثرة نوحه، وهو من نسل إدريس؛ لأنه بن لمك بن متوشلخ بن إدريس عليهم الصلاة والسلام، وعمر ألف سنة وخمسين^(٢)، والمعنى: اختاره بالنبوة والرسالة، وجعله من أولي العزم.

قوله: ﴿وَآلَ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: اصطفاه بالنبوة والرسالة والخلة، وعمر إبراهيم مئة وسبعين سنة.

قوله: ﴿وَآلَ عِمْرَانَ﴾ قيل: المراد: عمران أبو مريم، وهو الأقرب، وقيل: أبو موسى وهارون^(٣)، وبين العمرانين ألف وثمان مئة سنة.

(١) «تفسير البغوي» (١/٤٣١).

(٢) انظر «الدر المنثور» (٣/٤٨٠)، وسُمي السكن لأن الناس سكنوا إليه بعد آدم، عليهما السلام، وفيه: (لامك) بدل (لمك).

(٣) انظر «زاد المسير» (١/٢٧٤)، القول الأول قاله الحسن ووهب، والثاني قاله مقاتل.

عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ

بمعنى: أنفسهما ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ يجعل الأنبياء من نسلهم.

﴿٣٤﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَلَدٍ ﴿بَعْضٌ﴾ مِنْهُمْ، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿٣٥﴾ اذْكُرْ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ حَنَّةٌ لَمَّا أَسْنَتْ وَاشْتَاقَتْ لِلْوَلَدِ، فَدَعَتْ اللَّهَ وَأَحْسَتْ بِالْحَمْلِ: يَا رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أَجْعَلَ

حاشية الصاوي

قوله: (بمعنى: أنفسهما) وقيل: إنهما حقيقة، فال إبراهيم: أولاده، وآل عمران أبو مريم^(١): مريم وابنها، وأبو موسى: موسى وهارون.

قوله: ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ أي: عالمي زمانهم.

قوله: ﴿ذُرِّيَّةً﴾ (بمعنى: ذرية) بدل من ﴿ءَادَمَ﴾ وما عطف عليه، وهي إما مأخوذة من: الذر؛ أو من: الذرء بمعنى: الخلق^(٢).

قوله: ﴿بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ ولد ﴿بَعْضٌ﴾ أي: مُتَنَاسِلِينَ مِنْ بَعْضٍ، فالمراد: البعضية في النسب. وقيل: المراد: بعضها من بعض في الصلاح والنبوة والرسالة، فكما أن الأصول أنبياء ورسلاً كذلك الذرية، بل في بعضها ما يفوق الأصول جميعها؛ كسيدنا محمد ﷺ.

قوله: ﴿إِذْ قَالَتِ﴾ ظرف في محل نصب على المفعولية لمحذوف، قدره المفسر بقوله: (اذكر)، والتقدير: اذكر يا محمد وقت قول امرأة عمران، والمقصود: ذكر القصة الواقعة في ذلك الوقت؛ لا ذكر الوقت نفسه.

قوله: (حَنَّةٌ) أي: بنت فاقود، وكان لها أخت تسمى إشاع^(٣) بنت فاقود، متزوجة بذكريا عليه السلام، وكان عمران من السادات الصالحين، وكان له التكلم على سدة بيت المقدس، واسم أبيه ماثان.

قوله: (واشتاقت للولد) سبب ذلك: أنها كانت يوماً جالسة في ظل شجرة، فرأت طائراً يطعم

(١) كذا في الأصول، ولعلها: (أبي مريم)، وكذا ما بعدها (أبي موسى).

(٢) والذرء التفريق؛ أي: فرقهم في الأرض، أو من الذرء؛ أي: خلقهم فيها.

(٣) كذا في النسخ و«الفتوحات» (٢٦٢/١)، وفي جُلِّ التفاسير: (إشاع) بياء بعد الهمزة.

لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحرراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ

﴿لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحرراً﴾: عتيقاً خالصاً من شواغل الدنيا لخدمة بيتك المقدس، ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾ للدعاء، ﴿الْعَلِيمُ﴾ بالنيات، وهلك عمران وهي حامل.

﴿٣٦﴾ ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾ ولدتها جارية - وكانت ترجو أن يكون غلاماً؛ إذ لم يكن يُحرر إلا الغلمان - ﴿قَالَتْ﴾ مُعْتَذِرَةً: يا ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ﴾ أي: عالم ﴿بِمَا وَضَعْتَ﴾ - جملة اعتراض من كلامه تعالى،

حاشية الصاوي

فرخه ويسقيه، فعطفت واشتاقت للولد من أجل رؤية ذلك الطائر، فدعت الله أن يرزقها ولداً، ونذرت أن تهبه لبيت المقدس يخدمه، وكان ما من رجلٍ من أشراف بيت المقدس إلا وله ولدٌ منذور لخدمته، فاستجاب الله دعاءها، فحملت، فلما أحسَّت بالحمل جدَّت النذر ثانياً بقولها: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحرراً﴾ [آل عمران: ٣٥]، فلامها زوجها على ذلك حيث أطلقت في نذرهما ولم تُقيِّده بالذكر، فبقيت في حيرة وكرب إلى أن وضعت، فلما وضعتها ورأتها أنثى.. اعتذرت إلى الله إلى آخر ما يأتي.

قوله: (عتيقاً خالصاً من شواغل الدنيا) أي: وكانوا يفعلون ذلك بالصبيان إلى أن يبلغوا الحلم، فإذا بلغوا عرضوا ذلك الأمر عليهم، فإن اختاروا الخدمة مكثوا وكلفوا بها، ولا يخرجون لشيء من شواغل الدنيا، وإن اختاروا عدم الخدمة أُجيبوا لذلك.

قوله: (وهلك عمران وهي حامل) أي: وحين نذرت ذلك النذر لامها فكربت، ثم لما وضعتها... إلخ، فهو مرتَّب على محذوف.

قوله: (جارية) حال من الهاء في ﴿وَضَعْتُهَا﴾.

قوله: ﴿قَالَتْ﴾ معذرة) حالٌ من فاعل ﴿قَالَتْ﴾، لا إعلماً له تعالى؛ فإنه لا يليق ذلك؛ فإنه عالمٌ بها من قبل أن تعلمَ بها هي.

قوله: ﴿أُنْثَى﴾) حالٌ من الضمير في ﴿وَضَعْتُهَا﴾ مؤكدة له، ويحتمل أن تكون مؤسسة بالنظر لعوده على النسمة الشاملة للذكر والأنثى.

قوله: (جملة اعتراض) أي: بين كلامي حنةً تفخيماً وتعظيماً لشأن ذلك المولود.

وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾

وفي قراءة: بِضَمِّ النَّاءِ - ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ﴾ الَّذِي طَلَبْتُ ﴿كَالْأُنْثَى﴾ التي وَهَبْتُ؛ لِأَنَّهُ يُقْصَدُ لِلْخِدْمَةِ وَهِيَ لَا تَصْلُحُ؛ لِضَعْفِهَا وَعَوَرَتِهَا، وَمَا يَعْتَرِبُهَا مِنَ الْحَيْضِ وَنَحْوِهِ، ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا﴾: أَوْلَادُهَا ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾: الْمَطْرُودِ، فِي الْحَدِيثِ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ إِلَّا مَسَّهُ الشَّيْطَانُ حِينَ يُوَلَّدُ، فَيَسْتَهْلُ صَارِحًا، إِلَّا مَرْيَمَ وَابْنَهَا». رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

حاشية الصاوي

قوله: (وفي قراءة) أي: سبعة.

قوله: (بضم الناء) أي: ويكون ذلك من كلامها اعتذاراً^(١).

قوله: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ (يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ، وَالْمَعْنَى: لَيْسَ الذَّكَرُ الَّذِي طَلَبْتَهُ كَالْأُنْثَى الَّتِي أُعْطِيْتُهَا لَكَ؛ فَإِنَّ مَا وَهَبْتُ لَكَ أَعْظَمُ مِمَّا طَلَبْتَهُ أَنْتِ لِنَفْسِكَ^(٢))، فَالْقَصْدُ: تَفْخِيمُ شَأْنِهَا، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ كَلَامِ حَتَّةَ، وَيَكُونُ فِي الْكَلَامِ قَلْبٌ، وَالْمَعْنَى: لَيْسَ الْأُنْثَى الَّتِي وَهَبْتُ لِي كَالذَّكَرِ الَّذِي طَلَبْتُهُ، فَالذَّكَرُ أَعْظَمُ مِنْ حَيْثُ قُوَّتُهُ عَلَى الْخِدْمَةِ، وَخُلُوهُ مِنَ الْقَذَارَةِ كَالْحَيْضِ وَالنَّفَاسِ، فَيَكُونُ اعْتِذَاراً وَاقِعاً مِنْهَا.

قوله: (ونحوه) أي: كالتَّفَاسِ.

قوله: ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا﴾ معطوفٌ على ﴿إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى﴾، وَيَكُونُ مَا بَيْنَهُمَا اعْتِرَاضاً عَلَى أَنَّهُ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ، وَأَمَّا عَلَى أَنَّهُ مِنْ كَلَامِهَا.. فَيَكُونُ مِنْ جُمْلَةِ مَقُولِهَا.

قوله: ﴿مَرْيَمَ﴾ معناه بلغتهم: العابدةُ خادمةُ الرَّبِّ.

قوله: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا﴾ أي: أَحْصَنُهَا وَأُجِيرُهَا.

قوله: (أولادها) أي: ولم تلد إلا عيسى.

قوله: ﴿الرَّجِيمِ﴾ فعيل بمعنى مفعول؛ أي: مطرودٌ كما قاله المفسر، أو مَرْجُومٌ بالشَّهْبِ مِنَ السَّمَاءِ.

قوله: (إلا مَسَّهُ الشَّيْطَانُ) أي: نَحَسَّهُ فِي جَنْبِهِ^(٣)، وَظَاهِرُهُ حَتَّى الْأَنْبِيَاءِ، وَهُوَ كَذَلِكَ.

(١) وهي قراءة ابن عامر وشعبة. انظر «الدر المصون» (٣/١٣٥).

(٢) كذا في الأصول (طلبته) بإثبات الياء في الموضعين، ولعله أشيع الكسرة.

(٣) رواه البخاري (٣٤٣١)، ومسلم (٢٣٦٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا

﴿٢٧﴾ ﴿فَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾ أي: قَبِلَ مَرِيَمَ مِنْ أُمِّهَا ﴿بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾: أَنْشَأَهَا بِخَلْقٍ حَسَنٍ، فَكَانَتْ تَنْبُتُ فِي الْيَوْمِ كَمَا يَنْبُتُ الْمَوْلُودُ فِي الْعَامِ، وَأَتَتْ بِهَا أُمُّهَا الْأَحْبَارَ سَدَنَةَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَقَالَتْ: دُونَكُمْ هَذِهِ النَّذِيرَةُ، فَتَنَافَسُوا فِيهَا لِأَنَّهَا بِنْتُ إِمَامِهِمْ، فَقَالَ زَكَرِيَّا: أَنَا أَحَقُّ بِهَا

حاشية الصاوي

إِنْ قُلْتَ: إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ مَعْصُومُونَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَلَا سَبِيلَ لَهُ عَلَيْهِمْ؟

أَجِيبْ: بِأَنَّهُمْ مَعْصُومُونَ مِنْ وَسْوَستِهِ وَإِغْوَائِهِ، لَا مِنْ نَخْسِهِ فِي أَجْسَامِهِمْ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَقْدَحُ فِي عِصْمَتِهِمْ مِنْهُ.

إِنْ قُلْتَ: إِنْ مَوْضُوعَ الْآيَةِ أَنْ دَعَا أُمُّ مَرِيَمَ كَانَتْ بَعْدَ وَضْعِهَا وَتَسْمِيَتِهَا، فَلَمْ تَنْفَعِ مَرِيَمَ مِنْ نَخْسِ الشَّيْطَانِ، وَإِنَّمَا نَفَعَتْ وَلَدَهَا فَقَطْ، فَلَمْ تَحْصُلْ مُطَابَقَةٌ بَيْنَ الْآيَةِ وَالْحَدِيثِ! إِلَّا أَنْ يُقَالَ: إِنْ حَفَظَهُمَا مِنْ نَخْسِ الشَّيْطَانِ كَانَ وَاقِعًا وَإِنْ لَمْ تَدْعُ حَتَّى، فَدَعَا طَابَقَتْ مَا أَرَادَهُ اللَّهُ بِهِمَا، وَمَعَ ذَلِكَ فَالْمُنَاسِبُ لِلْمَفْسَّرِ أَلَّا يَأْتِيَ بِالْحَدِيثِ تَفْسِيرًا لِلْآيَةِ، وَقَدْ وَرَدَ: أَنَّ الشَّيْطَانَ نَخَسَهُمَا أَيْضًا، إِلَّا أَنَّهُ صَادَفَ الْغِشَاءَ^(١).

قوله: ﴿فَقَبَّلَهَا﴾ أي: رَضِيَ بِهَا خَادِمَةً لِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَخَلَّصَهَا مِنْ دَنَسِ الْأَطْفَالِ وَالنِّسَاءِ.

قوله: ﴿بِقَبُولٍ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ الْبَاءَ زَائِدَةٌ؛ أَيْ: قَبُولًا، وَيَكُونُ مَنْصُوبًا عَلَى الْمَصْدَرِ، وَالْمَحْذُوفُ الزَّوَائِدَ، وَإِلَّا لَقِيلَ: تَقَبَّلًا أَوْ تَقْبِيلًا، وَيَحْتَمِلُ أَنَّهَا أَصْلِيَّةٌ، وَالْمَرَادُ بِالْقَبُولِ: اسْمٌ لِمَا يَقْبَلُ بِهِ الشَّيْءُ؛ كَالْوَجُورِ وَالسَّعُوطِ.

قوله: (كَمَا يَنْبُتُ الْمَوْلُودُ فِي الْعَامِ) أَيْ: فِي الْعَقْلِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَإِلَّا... فَالْكَلَامُ مِنْ قَبِيلِ الْمُبَالَغَةِ.

قوله: (سَدَنَةُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ) أَيْ: خَدَمَتِهِ.

قوله: (هَذِهِ النَّذِيرَةُ) أَيْ: الْمُنْذُورَةُ.

قوله: (لَأَنَّهَا بِنْتُ إِمَامِهِمْ) أَيْ: رَئِيسِهِمْ وَأَمِيرِهِمْ.

(١) فَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ (٣٢٨٦) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَطْعَنُ الشَّيْطَانَ فِي جَنْبِيهِ بِإِصْبَعِهِ حِينَ يُولَدُ غَيْرَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، ذَهَبَ يَطْعَنُ فَطْعَنَ فِي الْحِجَابِ».

وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا

لأنَّ خَالَتَهَا عِنْدِي، فَقَالُوا: لَا، حَتَّى نَقْتَرِعَ، فَانْطَلَقُوا وَهُمْ تِسْعَةٌ وَعِشْرُونَ إِلَى نَهْرِ الْأُرْدُنِّ، وَأَلْقُوا أَقْلَامَهُمْ عَلَى أَنَّ مَنْ ثَبَتَ قَلَمُهُ فِي الْمَاءِ وَصَعِدَ فَهُوَ أَوْلَى بِهَا، فَثَبَتَ قَلَمَ زَكَرِيَّا، فَأَخَذَهَا وَبَنَى لَهَا غُرْفَةً فِي الْمَسْجِدِ بِسُلَّمٍ لَا يَصْعَدُ إِلَيْهَا غَيْرُهُ، وَكَانَ يَأْتِيهَا بِأَكْلِهَا وَشُرْبِهَا وَدُھْنِهَا، فَيَجِدُ عِنْدَهَا فَاكِهَةَ الصَّيْفِ فِي الشِّتَاءِ، وَفَاكِهَةَ الشِّتَاءِ فِي الصَّيْفِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى. ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾: ضَمَّهَا إِلَيْهِ، - وَفِي قِرَاءَةِ بِالتَّشْدِيدِ وَنَصَبِ ﴿زَكَرِيَّا﴾ مَمْدُوداً وَمَقْصُوراً، وَالْفَاعِلُ اللَّهُ - ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا﴾

حاشية الصاوي

قوله: (لأنَّ خَالَتَهَا عِنْدِي) وَرَدَ: أَنَّهُمْ قَالُوا: لَوْ كَانَتِ الْقَرَابَةُ مُقْتَضِيَةً لِأَخْذِهَا.. لَكَانَتْ أُمُّهَا أَوْلَى.

قوله: (إِلَى نَهْرِ الْأُرْدُنِّ) أَي: وَهُوَ نَهْرٌ يَجْرِي إِلَى الْآنِ.

قوله: (وَأَلْقُوا أَقْلَامَهُمْ) قِيلَ: سِهَامُهُمْ، وَقِيلَ: الَّتِي كَانُوا يَكْتُبُونَ بِهَا التَّوْرَةَ، وَقِيلَ: أَقْلَامٌ مِنْ حَدِيدٍ.

قوله: (وَصَعِدَ) أَي: عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ، وَمَنْ غَرَقَ قَلَمُهُ أَوْ ذَهَبَ مَعَ الْمَاءِ.. فَلَا حَقَّ لَهُ فِيهَا^(١).

قوله: (بَأَكْلِهَا) بضم الهمزة فيه وفيما بعده؛ بِمَعْنَى: الشَّيْءِ الْمَأْكُولِ وَالْمَشْرُوبِ وَالَّذِي يَذْهَبُ

بِه.

قوله: (مَمْدُوداً وَمَقْصُوراً) رَاجِعَ لِقِرَاءَةِ التَّشْدِيدِ لَا غَيْرَ، وَأَمَّا التَّخْفِيفُ فَلَيْسَ فِيهِ إِلَّا الْمَدُّ مَعَ رَفْعِهِ عَلَى الْفَاعِلِيَّةِ^(٢).

قوله: (وَالْفَاعِلُ اللَّهُ) أَي: بِالنِّسْبَةِ لِلتَّشْدِيدِ.

قوله: (﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا﴾) أَي: فِي أَيِّ وَقْتٍ دَخَلَ عَلَيْهَا فِيهِ وَجَدَ... إلخ. و(زَكَرِيَّا)

بِالْمَدِّ وَالْقَصْرِ، قِرَاءَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ^(٣).

(١) الْخَبَرُ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «السَّنَنِ الْكُبْرَى» (٢٨٦/١٠)، وَعَلَّقَ بَعْضُهُ الْبُخَارِيُّ (بَابُ الْقِرْعَةِ فِي الْمَشْكَلَاتِ) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) قَرَأَ عَاصِمٌ وَحُمَزَةُ وَالْكَسَائِيُّ بِالتَّشْدِيدِ، وَالْبَاقُونَ بِالتَّخْفِيفِ. انْظُرْ «السَّرَاجُ الْمُنِيرُ» (٢١١/١).

(٣) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ.

الْمِحْرَابِ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرُؤُا أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ

الْمِحْرَابِ: الغرفة وهي أشرف المجالس ﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرُؤُا أَنَّى﴾: من أين ﴿لَكَ هَذَا قَالَتْ﴾ - وهي صغيرة -: ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ يَأْتِينِي بِهِ مِنَ الْجَنَّةِ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ رِزْقًا واسعاً بلا تَبَعَةٍ.

﴿هُنَالِكَ﴾ أي: لَمَّا رَأَى زَكْرِيَّا ذَلِكَ، وَعَلِمَ أَنَّ الْقَادِرَ عَلَى الْإِتْيَانِ بِالشَّيْءِ فِي غَيْرِ حِينِهِ قَادِرٌ عَلَى الْإِتْيَانِ بِالْوَلَدِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿الْمِحْرَابِ﴾ هو اسمٌ لكلِّ محلٍّ من محالِّ العبادة، فَسُمِّيَتِ الغرفةُ بذلك؛ لأنها في المسجد، وهو محلُّ العبادة.

قوله: ﴿وَجَدَ عِنْدَهَا﴾ حال من ﴿زَكْرِيَّا﴾، التقدير: قَائِلًا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكْرِيَّا الْمِحْرَابَ حَالَ كَوْنِهِ وَاجِداً عِنْدَهَا رِزْقًا: يَا مَرْيَمُ... إلخ، و﴿رِزْقًا﴾: مَفْعُولٌ لِقَوْلِهِ: ﴿وَجَدَ﴾، و﴿وَجَدَ﴾ بمعنى: أَصَابَ.

قوله: (وهي صغيرة) أي: فهي من جملة مَنْ تَكَلَّمَ فِي الْمَهْدِ.

قوله: (بلا تبعة) أي: حَقٌّ عَلَيْهِ، فَلَيْسَ إِعْطَاؤُهُ الرِّزْقَ لِحَقِّ الْعِبَادَةِ عَلَيْهِ، بَلْ هُوَ مِنْ مُحْضِ فَضْلِهِ وَجُودِهِ.

قوله: ﴿هُنَالِكَ﴾ أصلها ظرفُ مكانٍ، لكن استعملت هنا ظرفَ زمانٍ، ويحتمل أن تكون ظرفُ مكانٍ معنوي، والمعنى: عند تلك الواقعة دعا زكريا... إلخ، وهو كلامٌ مستأنف، وقصةٌ مستقلةٌ سبقت أثناء قصة مريم لما بينهما من قُوَّةِ الارتباط؛ لأنَّ فضلَ بعضِ الأقاربِ يدلُّ على فضلِ الآخر، وهو حِكْمَةٌ قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾.

قوله: (لما رأى ذلك زكريا) أي: ما تقدَّم من قِصَّةِ حَنَّةَ، حيث دعت الله أن يرزقها بولد مع يأسها، فأجابها الله مع كونها لم تكن نبيَّةً وأعطاهَا مَرْيَمَ، وجعلها أَفْضَلَ مِنَ الذَّكَورِ، وصار يَأْتِيهَا رِزْقُهَا مِنَ الْجَنَّةِ، وأكرمها إكراماً عظيماً، فكان ذلك الأمرُ العجيبُ باعثاً له على طلب الولد.

قوله: (وعلم) أي: تنبَّه واستحضر عند مشاهدة تلك الحَوَارِقِ للعادة، على حدٍّ: ﴿وَلَكِنْ لِيُظْمِنَ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠]، فشهودُ الكراماتِ يَزِيدُ فِي الْيَقِينِ، وَالْكَامِلُ يَقْبَلُ الْكَامِلَ.

دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ، قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ

على الكبر - وكان أهل بيته انقرضوا - ﴿دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾ لَمَّا دَخَلَ الْمِحْرَابَ لِلصَّلَاةِ جَوْفَ اللَّيْلِ؛ ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾ : مِنْ عِنْدِكَ ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ : وَلَدًا صَالِحًا؛ ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ﴾ : مُجِيبُ ﴿الدُّعَاءِ﴾ .

﴿٣٩﴾ ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي : جِبْرِيلُ ﴿وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾ أي : الْمَسْجِدِ ﴿أَنَّ﴾ أي : بِأَنَّ، - وفي قراءة بالكسر بِتَقْدِيرِ الْقَوْلِ -

حاشية الصاوي

قوله : (على الكبر) أي : منه ومن زوجته، قيل : كان وقت الدعاء عمره ثمانون سنة، وعمرها ثمان وخمسون^(١)، وبين الدعاء والإجابة أربعون سنة^(٢) .

قوله : (وكان أهل بيته) أي : أقاربه .

قوله : (لما دخل المحراب) أي : المسجد .

قوله : ﴿ذُرِّيَّةً﴾ (الذرية تُطلق على المفرد والجمع؛ فلذا قال المفسرُ : (ولداً صالحاً) .

قوله : ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ ليس المراد به الاسم، بل المرادُ به : المجيب؛ أي : سميعُ سماعِ إجابة كما قال المفسرُ .

قوله : ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي : بعد مضي أربعين سنة من دعوته .

قوله : (أي : جبريل) أي : فهو من تسمية الخاص باسم العام تعظيماً له .

قوله : ﴿وَهُوَ قَائِمٌ﴾ جملة حالية من الهاء في (نادته)، وجملة ﴿يُصَلِّي﴾ إما خبر ثانٍ، أو حال ثانية، أو صفة لـ ﴿قَائِمٌ﴾، وقوله : ﴿فِي الْمِحْرَابِ﴾ متعلق بـ ﴿يُصَلِّي﴾ أو بـ ﴿قَائِمٌ﴾ .

قوله : (أي : بأن) أي : فهو بدل من (نادته) .

قوله : (بتقدير القول) أي : استئناف، تقديره : قائلين : إن الله يبشرك . . . إلخ .

(١) اسمُ (كان) ضمير عائد على زكريا، وخبرها جملة، وفي (ط) اسمها : عمره وما عطف عليه .

(٢) «تفسير القرطبي» (٧٩ / ٤) .

اللَّهُ يُبَشِّرُكَ بِحَيٍّ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾

﴿اللَّهُ يُبَشِّرُكَ﴾ - مُثَقَّلًا وَمُخَفَّفًا - ﴿بِحَيٍّ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ﴾ كَائِنَةٌ ﴿مِّنَ اللَّهِ﴾ أَي: بِعِيسَى أَنَّهُ رُوحُ اللَّهِ، وَسُمِّيَ كَلِمَةً لِأَنَّهُ خُلِقَ بِكَلِمَةٍ (كُنْ)، ﴿وَسَيِّدًا﴾: مَتَّبِعًا، ﴿وَحَصُورًا﴾: مَمْنُوعًا مِنَ النِّسَاءِ، ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾، رُوي أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَطِيئَةً وَلَمْ يَهَمْ بِهَا.

حاشية الصاوي

قوله: (مُثَقَّلًا وَمُخَفَّفًا) أي: فهما قراءتان سبعتان مع فتح همزة (إن) وكسرها، فهما أربع، فالمثقل بضم الياء وفتح الباء وكسر الشين المشددة، والمخفف بفتح الياء وسكون الباء وضم الشين المخففة^(١).

قوله: ﴿بِحَيٍّ﴾ قيل: إنه منقول من الفعل، فيكون ممنوعاً من الصرف للعلمية ووزن الفعل، ويكون عربياً، وسُمِّيَ بذلك لأنه يُحيي القلوب الميتة، وقيل: أعجمي، فيكون ممنوعاً من الصرف للعلمية والعجمة، ويجمعُ في حالة الرفع على: يَحْيَوْنَ، وفي حالة النصب على: يَحْيِينَ، وتثنيته في حالة الرفع: يَحْيَانِ، وفي النصب والجر: يَحْيَيْنِ.

قوله: ﴿مُصَدِّقًا﴾ هو وما بعده أحوالٌ من (يحيى).

قوله: (أَنَّهُ رُوحُ اللَّهِ) أي: سرُّ نشأ من الله.

قوله: (لأنه خلقه بكلمة كن) وقيل: لأنه الكلمة التي قالها الله، وهي ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٤٧]، وقيل: لأنه الكلمة التي قالها الله لجبريل حيث أمره بالنفخ في جبينها.

قوله: (متبوعاً) أي: إماماً يقتدى به، حتى قيل: إنه أُعطي النبوة من حين الولادة.

قوله: (ممنوعاً من النساء) أي: اختياراً؛ لِشُغْلِهِ بِرَبِّهِ، وهذا هو المراد بالحضور هنا، فمعناه: الممنوع من النساء مطلقاً؛ سواءً كان اضطراراً أو اختياراً.

قوله: ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: من كبار المرسلين القائمين بحقوقك وحقوق عبادك^(٢).

قوله: (روي: أنه لم يعمل خطيئة... إلخ) هذا لا يخصُّه، بل كذلك غيره من الأنبياء.

(١) قرأ نافع وحمة وابن عامر بكسر همزة (إن)، والباقون بفتحها، وقرأ حمزة والكسائي: (يُبَشِّرُكَ)، والباقون: (يُبَشِّرُكَ) بالتشديد. انظر «الدر المصون» (٣/١٥٢)، و«السراج المنير» (١/٢١٢).

(٢) والمراد بالصلاح ما فوق الصلاح الذي لا بُدَّ منه في منصب النبوة. «الفتوحات» (١/٢٦٨).

قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَأَمْرَاتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾

﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى: كَيْفَ ﴿يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾: وَلَدٌ ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ﴾ أَي: بَلَغْتُ نِهَآيَةَ السَّنِّ مِائَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً، ﴿وَأَمْرَاتِي عَاقِرٌ﴾ بَلَغْتُ ثَمَانِيَّةً وَتِسْعِينَ سَنَةً؟ ﴿قَالَ﴾: الْأَمْرُ ﴿كَذَلِكَ﴾ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ غُلَامًا مِنْكُمْا ﴿اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ لَا يُعْجِزُهُ عَنْهُ شَيْءٌ، وَلِإِظْهَارِ هَذِهِ الْقُدْرَةِ الْعَظِيمَةِ أَلْهَمَهُ السُّؤَالَ لِجَبَابِ بِهَا.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَنَّى يَكُونُ﴾ تستعمل (أَنَّى) شرطية كقول الشاعر: [الطويل]

فَأَصْبَحْتَ أَنَّى تَأْتِيهَا تَسْتَجِرُ بِهَا تَجِدُ حَظْبًا جَزْلًا وَنَارًا تَأْجَجَا

وتستعمل اسم استفهام كما هنا؛ فليذا فسرها بـ(كيف)، فلا استفهام عن أحوال الغلام لا عن ذاته، و﴿يَكُونُ﴾: ناقصة، و﴿غُلَامٌ﴾: اسمها، وخبرها: ﴿أَنَّى﴾، التقدير: رب؛ يكون لي غلام على أي حالة؟

قوله: ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ﴾ هنا أسند البلوغ للكبر، وفيما يأتي في سورة (مريم) أسنده لنفسه، وكلاهما صحيح؛ لأنَّ البلوغ من الطرفين، والجملة حالية، وكذا ما بعدها.

قوله: (أَي: بلغت نهاية السن) أي: بالنسبة لأهل زمانني؛ فلا ينافي أن المتقدمين كان الواحد منهم يُعَمَّرُ الألف.

قوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ خبر لمحذوف قدره بقوله: (الأمر)، وقوله: (من خلق غلام) بيان لمرجع اسم الإشارة، والكاف في ﴿كَذَلِكَ﴾ يحتمل أن تكون صلة، والمعنى: قال الله: الأمر ذلك، واسم الإشارة راجع إلى خلق الولد، ويحتمل أن تكون أصلية، والمعنى: قال الله: الأمر كذلك؛ أي: كما قلت لا تغيير فيه ولا تبديل، فاسم الإشارة راجع إلى القول.

قوله: (ألهمة السؤال) أي: بقوله: ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾.

قوله: (ليجاب بها) علة للإلهام، وقوله: (لإظهار) علة لقوله: (ليجاب)، فهو علة مقدّمة على معلولها.

إن قلت: ما الحكمة في قوله في قصة زكريا: ﴿اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾، وفي قصة مريم: ﴿اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾؟

قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّي ءَايَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ اَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ اَيَّامٍ اِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ
كَثِيْرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْاِبْكَرِ ﴿٤١﴾

﴿٤١﴾ وَلَمَّا تَأَقَّتْ نَفْسُهُ إِلَى سُرْعَةِ الْمُبَشِّرِ بِهِ ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّي ءَايَةً﴾ أَي: عِلَامَةً
عَلَى حَمْلِ امْرَأَتِي، ﴿قَالَ ءَايَتُكَ﴾ عَلَيْهِ ﴿أَنْ﴾ ﴿لَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ﴾ أَي: تَمْتَنِعَ مِنْ كَلَامِهِمْ
بِخِلَافِ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، ﴿ثَلَاثَةَ اَيَّامٍ﴾ أَي: بِلَيَالِيهَا، ﴿اِلَّا رَمْزًا﴾: إِشَارَةً، ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ
كَثِيْرًا وَسَبِّحْ﴾: صَلِّ ﴿بِالْعَشِيِّ وَالْاِبْكَرِ﴾: أَوَاخِرِ النَّهَارِ وَأَوَائِلِهِ.

حاشية الصاوي

قلتُ: الحكمة: أن خرق العادة في عيسى أعظم من يحيى؛ فإن عيسى لم يكن له أب مع كون
أمه عذراء، وأما يحيى فأبواه موجودان وإن كان هناك مانع من الحمل، فعبر في جانب عيسى
بالخلق الذي هو إنشاء واختراع دون الفعل.
قوله: (ولما تأقت نفسه) أي: اشتاقت.
قوله: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّي ءَايَةً﴾ (أي: لأزداد بها شكراً على ما أعطيتني وسروراً به.
قوله: (علامة على حمل امرأتي) أي: فإن الحمل في مبدئه خفي، فطلب علامة على ظهور
علوقه بها.

قوله: ﴿اَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ﴾ (أي: يأتيك مانع من الله يمنعك من الكلام بغير ذكر الله.
قوله: (أي: بليلاتها) أخذ ذلك ممّا يأتي في سورة (مريم) جمعاً بين الموضعين والقصتين، ومن
ذلك اختار بعض أكابر الصوفية: أن الخلوة مع الرياضة لبُلُوغ المراد ثلاثة أيام بليلاتها، يجعل
ذكر الله فيها شعاره ودثاره، ولا يتكلم فيها.
قوله: ﴿اِلَّا رَمْزًا﴾ (استثناء منقطع على التحقيق؛ لأن الرمز لا يقال له: كلام اصطلاحاً وإن
كان كلاماً لغة، لكن ليس مراداً هنا.

قوله: (إشارة) أي: وكانت بسببته اليمنى.

قوله: (أواخر النهار) راجع للعشي، وقوله: (أوائله) راجع للإبكار، فهو لفّ ونشر مرتّب،
وخصّ هذين الوقتين؛ لفرضية الصلاة عليه فيهما.

وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾
يَمْرَيْمُ اقْنِئِي لِرَبِّكِ

﴿٤٢﴾ اذكر ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ﴾ أي: جبريل: ﴿يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾: اختارك ﴿وَوَطَّهَّرَكِ﴾ من ميسيس الرجال، ﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ أي: أهل زمانك.
﴿٤٣﴾ ﴿يَمْرَيْمُ اقْنِئِي لِرَبِّكِ﴾: أطيعيه،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ﴾ عطف على قوله: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾، والمناسبة بينهما ظاهرة؛ فإن تلك قصة الأم، وهذه قصة البنت، وأما قصة زكريا فذكرت بينهما؛ لأن رؤية العجائب في الأولى هي الحاملة لزكريا على طلب الولد.

قوله: (أي: جبريل) أشار بذلك إلى أنه من باب: تسمية الخاص باسم العام تعظيماً له.
قوله: ﴿يَمْرَيْمُ﴾ الحكمة في أن الله لم يذكر في القرآن امرأة باسمها إلا هي: الإشارة بطرف خفي إلى رد ما قال الكفار من أنها زوجته؛ فإن العظيم عليّ الهمة يأنف من ذكر اسم زوجته بين الناس، فكأن الله يقول: لو كانت زوجة لي لما صرحت باسمها.

قوله: (من ميسيس الرجال) أي: ومن الحيض والنفس وكل قدر.
قوله: (أي: أهل زمانك) أشار بذلك إلى أن ﴿الْعَالَمِينَ﴾ عام مخصوص بما عدا خديجة وفاطمة وعائشة، وهذه طريقة مرجوحة، والحق: أن مريم أفضل النساء على الإطلاق، ثم فاطمة، ثم خديجة، ثم عائشة، قال بعضهم في ذلك: [البسيط]

فُضِّلَتِ النِّسَاءُ بِنْتُ عِمْرَانَ فَفَاطِمَةُ خَدِيجَةُ ثُمَّ مَنْ قَدْ بَرَّأَ اللَّهُ^(١)

وبالجملة: فأفضل النساء خمسة: مريم، وخديجة، وفاطمة، وعائشة، وآسية بنت مزاحم زوجة فرعون، وهي زوجة النبي ﷺ في الجنة، وكذلك مريم.

قوله: ﴿يَمْرَيْمُ اقْنِئِي﴾ تكرار الخطاب باسمها يفيد ما قلناه أولاً من أنه إشارة لرد ما قيل: إنها زوجته.

(١) كذا في «نهاية المحتاج» (١٧٩/٦) وقال: (كما أفتى بذلك الوالد).

وَأَسْجُدِي وَأَزْكِى مَعَ الزَّكِيِّ ﴿٤٣﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرِيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾

﴿وَأَسْجُدِي وَأَزْكِى مَعَ الزَّكِيِّ﴾ أي: صَلِّي مع الْمُصَلِّينَ.

﴿٤٤﴾ ﴿ذَلِكَ﴾ الْمَذْكُورُ مِنْ أَمْرٍ زَكْرِيَّا وَمَرِيَمَ ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾: أَخْبَارِ مَا غَابَ عَنْكَ، ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ، ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ﴾ فِي الْمَاءِ يَقْتَرِعُونَ لِيُظْهِرَ لَهُمْ ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ﴾: يُرَبِّي ﴿مَرِيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ فِي كِفَالَتِهَا فَتَعَرَّفَ ذَلِكَ فَتُخْبِرَ بِهِ، وَإِنَّمَا عَرَفْتَهُ مِنْ جِهَةِ الْوَحْيِ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَأَسْجُدِي وَأَزْكِى﴾ قَدَّمَ السُّجُودَ لِشَرَفِهِ، وَالْوَاوُ لَا تَقْتَضِي تَرْتِيباً إِنْ كَانَتْ صَلَاتُهُمْ كَصَلَاتِنَا مِنْ تَقْدِيمِ الرُّكُوعِ عَلَى السُّجُودِ، وَإِنْ كَانَتْ بِالْعَكْسِ.. فَالْأَمْرُ ظَاهِرٌ.

قوله: ﴿مَعَ الزَّكِيِّ﴾ لَمْ يَقُلْ: مَعَ الرَّاكِعَاتِ؛ إِمَّا لِدُخُولِ جَمْعِ الْمُؤَنَّثِ فِي الْمَذْكَرِ تَغْلِيْباً، أَوْ الْمَعْنَى: صَلِّي كَصَلَاةِ الرِّجَالِ مِنْ حَيْثُ الْخَشْيَةُ وَعَلَوْ الْهَمَّةُ، لَا كَصَلَاةِ النِّسَاءِ مِنْ حَيْثُ التَّفْرِيطُ وَعَدَمُ الْخَشْيَةِ.

قوله: ﴿نُوحِيهِ﴾ أي: الْمَذْكُورُ، فَالضَّمِيرُ عَائِدٌ عَلَى اسْمِ الْإِشَارَةِ لِإِفْرَادِهِ.

قوله: ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ﴾ أي: وَقْتَ إِقْلَامِهِمْ أَقْلَامَهُمْ.

قوله: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ هَذَا بِمَعْنَى مَا قَبْلَهُ، وَالْمَعْنَى: يَخْتَصِمُونَ قَبْلَ إِقْلَامِ الْأَقْلَامِ.

قوله: (فَتَعَرَّفَ ذَلِكَ... إلخ) مُسَبَّبٌ عَنِ النَّفْيِ؛ أَي: مَا كُنْتَ حَاضِراً حَتَّى تَعَرَّفَ ذَلِكَ وَتُخْبِرَ بِهِ، وَإِنَّمَا عَرَفْتَهُ مِنْ جِهَةِ الْوَحْيِ لَا مِنْ جِهَةِ غَيْرِهِ؛ لِأَنَّ بَلَدَهُ لَيْسَتْ بِلَدِ عِلْمٍ، وَلَمْ يَجْلِسْ بَيْنَ يَدَيْ مَعْلَمٍ، وَلَمْ يَقْرَأْ كِتَاباً، وَلَمْ يَكُنْ هُوَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَجْدَادِهِ حَاضِراً وَقْتَ حَصُولِ تِلْكَ الْوَقَائِعِ، فَتَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بِوَحْيٍ مِنَ اللَّهِ، قَالَ الْعَارِفُ: [الْبَسِيطُ]

كَفَاكَ بِالْعِلْمِ فِي الْأُمِّيِّ مُعْجِزَةً فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْتَّأْدِيبِ فِي الْيُسْمِ^(١)

إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ

﴿٤٥﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ﴾ أي: جبريل: ﴿يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ أي: ولد ﴿اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾، خاطبها بنسبته إليها تنبيهاً على أنها تلده بلا أب؛ حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ﴾ (قدّر المفسّر (اذكر) إشارة إلى أن ﴿إِذْ﴾ ظرفٌ معمولٌ لمحذوف، وهذا شروع في ذكر قصّة عيسى وما فيها من العجائب.

قوله: (أي: جبريل) أي: فهو من باب: تسمية الخاصّ باسم العامّ.

قوله: ﴿يُبَشِّرُكِ﴾ البشارة: هي الخبر السارّ، وضدّها النذارة؛ وهي الخبر الضارّ.

قوله: ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ أي: الله.

قوله: (أي: ولد) أي: مولود، وعبر عنه بالكلمة؛ لأنه بقول: (كن) من غير واسطة مادة.

واتفق أن نصرانياً قدّم على الرشيد، فوجد عنده الحسن بن علي الواقدي، فقال النصراني للخليفة والعالم: إنّ في كلام الله آية تدلّ على أن عيسى ابنُ الله، فقال له: وما تلك الآية؟ فقال النصراني: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾، (فمن) للتبويض، فمقتضى ذلك أنه جزء منه، فقال الشيخ: إذا كانت (من) للتبويض هنا فكذلك هي في قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾؛ إذ لا فرق بينهما، فبُهِت النصراني وأسلم، وأغدق الخليفة على الشيخ إغداقاً كثيراً، وكان يوماً مشهوداً. وإنما (من) للابتداء؛ على حدّ: «إن الله خلق نور نبيك من نوره»^(١)، والمعنى: خلقه بلا واسطة مادة. واعلم أن تلك البشارة تضمّنت خمسة عشر وصفاً.

قوله: ﴿اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ ظاهرة: أنّ هذه الأشياء كلّها اسمٌ واحد له، مع أن المسيح لقب، وابن مريم كنيته، وإنما الاسم عيسى فقط، ويجاب: بأنه لما كان لا يتميز إلا بهذه الأشياء كلّها جعلت اسماً واحداً.

والمسيح: فَعِيلٌ إما بمعنى: فاعل؛ لأنه ما مسح على ذي عاهة إلا برئ، أو لأنه كان يمسح الأرض في الزمن القليل لهداية الخلق، أو مفعول؛ لأنه ممسوح بالبركة، أو ممسوح القدم بمعنى: أنها لا أخص لها، وأما الدجال فيلقب بالمسيح؛ إما لأنه يمسح الأرض في الزمن القليل لإضلال

(١) قال العلامة الحرّضي في «بهجة المحافل» (١٥/١): (أخرجه عبد الرزاق في «مُسْنَدِهِ» بسند مستقيم من حديث جابر)، وانظر «إتحاف السادة المتقين» (٤٥٣/١) في توجيه خلاف أول مخلوق لله تعالى.

وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾

إذ عادة الرجال نسبتهم إلى آبائهم، ﴿وَجِيهًا﴾: ذا جاء ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ بِالنُّبُوَّةِ، ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بِالشَّفَاعَةِ وَالدرجات العُلا، ﴿وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ عِنْدَ اللَّهِ.

﴿٤٦﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ أَي: طِفْلاً قَبْلَ وَقْتِ الْكَلَامِ، ﴿وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

حاشية الصاوي

الناس، أو لأنه ممسوح العين، فهو من تسمية الأضداد، ومن الأسماء المشتركة، وعيسى من العيس، وهو البياض المشرب بحُمْرة؛ لأن لونه كان كذلك.

قوله: (إذ عادة الرجال) أي: والنساء.

قوله: ﴿وَجِيهًا﴾ حالٌ من ﴿الْمَسِيحِ﴾.

قوله: (ذا جاء) أي: عزَّ وسُودِدَ.

قوله: (بالنبوة) أي: والمعجزات الباهرة، والحكمة التي لا تضاهي.

قوله: (والدرجات العُلا) أي: من حيث إنه من أولي العزم.

قوله: (عند الله) عندية مكانة لا مكان؛ أي: قُرب ومنزلة.

قوله: ﴿فِي الْمَهْدِ﴾ أي: زمنه، والمهد: فراش الصبي زمن طفوليته، وورد: أنه تكلم حين ولادته كما قصَّ الله في سورة (مريم).

قوله: (قبل وقت الكلام) أي: وانقطع إلى وقته المعتاد، وكان يحدث أمَّهُ وهو في بطنها، فإذا اشتغلت أمُّه بكلام إنسان اشتغل هو بالتسبيح^(١).

قوله: ﴿وَكَهْلًا﴾ أي: بين الثلاثين والأربعين، والمقصود: بشارَةُ أمِّه بِطُولِ عمره، لا كونُ كلامه حينئذٍ خرقَ عادة.

قوله: ﴿وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: الكاملين في الصلاح، وهم سادات الرسل، (فأل) في ﴿الصَّالِحِينَ﴾ للكمال.

(١) كذا روى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٣٠٧٤) عن مجاهد، وقوله: (انقطع) أي: الام.

قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٤٨﴾

﴿٤٧﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى: كَيْفَ ﴿يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾ بِتَزْوِجٍ وَلَا غَيْرِهِ؟
 ﴿قَالَ﴾: الْأَمْرُ ﴿كَذَلِكَ﴾ مِنْ خَلْقٍ وَلَدٍ مِنْكَ بِلَا أَبٍ، ﴿اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾: أَرَادَ خَلْقَهُ ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ أَي: فَهُوَ يَكُونُ.
 ﴿٤٨﴾ ﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾ - بِالنُّونِ وَالْيَاءِ - ﴿الْكِتَابَ﴾: الْخَطَّ ﴿وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (بتزويج ولا غيره) أي: كالزنا، وقد صرَّح به في سورة (مريم) بقوله: ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٠]، وهذا استفهام عن الحالة التي يأتي عليها ذلك الولد، وإنما استفهمت عن ذلك؛ لأنها جازمة أنها منذورة لخدمة بيت المقدس وأنها مقبولة، وكانت عادتهم أن المندور لا يتزوج، فهذا هو حكمة استعظامها ذلك.

قوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ خبرٌ لمحذوف، قدره المفسر بقوله: (الامر)، والكاف يُحتمل زيادتها، والأصل الأمر ذلك، ويحتمل أصالتها وقد تقدَّم ذلك.

قوله: ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ القضاء: هو تعلُّق إرادة الله بالأشياء أزلاً.

قوله: (أراد خلقه) أي: تعلَّقت إرادته بخلقهِ تعلُّقاً تنجيزياً قديماً.

قوله: (أي: فهو ﴿يَكُونُ﴾) أشار بذلك إلى أن جملة ﴿يَكُونُ﴾ خبرٌ لمحذوف.

قوله: (بالنون والياء) أي: قراءتان سبعيتان^(١)، فعلى الياء الأمر ظاهرٌ، وعلى النون فهو التفاتٌ من الغيبة للخطاب.

قوله: (الخطَّ) ورد: أنه كان حسن الخطَّ جدًّا، وكان يعلمه للصغار في المكتب.

قوله: ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ أي: النبوة.

قوله: ﴿وَالْتَّوْرَةَ﴾ (إن قلت: إنها كتابُ موسى! أجيب: بأنه كان يحفظها ويتعبَّد بها إلا ما نُسخَ منها في الإنجيل).

(١) قرأ نافع وعاصم بالياء، والباقون بنون المتكلم. انظر «الدر المصون» (٣/١٨٢).

وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ
كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ.....

﴿٤٩﴾ ﴿وَنَجْعَلُهُ﴾ ﴿رَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ في الصُّبَا أو بَعْدَ الْبُلُوغِ. فَنفَخَ جِبْرِيلُ
فِي جَيْبِ دِرْعِهَا فَحَمَلَتْ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِهَا مَا ذُكِرَ فِي سُورَةِ (مَرْيَمَ)، فَلَمَّا بَعَثَهُ اللهُ إِلَى بَنِي
إِسْرَءِيلَ قَالَ لَهُمْ: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ﴾، ﴿أَنِّي﴾ أَي: بِأَنِّي ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ﴾:
عَلَامَةٍ عَلَى صِدْقِي ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾، هِيَ ﴿أَنِّي﴾ - وَفِي قِرَاءَةِ الْكَسْرِ اسْتِثْنَاءً - ﴿أَخْلُقُ﴾:
أَصَوْرُ ﴿لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾: مِثْلَ صُورَتِهِ، - فَالْكَافُ اسْمٌ: مَفْعُولٌ -
حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَرَسُولًا﴾ معمولٌ لمحذوف قدره المفسرُ بقوله: (نَجْعَلُهُ) لأنه المناسبُ له.

قوله: (في الصبا) أي: وهو ابنُ ثلاث سنين، وقوله: (أو بعد البلوغ) أي: وهو ابنُ ثلاثين
سنة، وكِلَا القولين ضعيف، والمعتمدُ: أنه نبيٌّ على رأس الأربعين، وعاش نبياً ورسولاً ثمانين
سنة، فلم يُرَفَّعْ إلا وهو ابنُ مئةٍ وعشرين سنة^(١).

قوله: (فنفخ جبريل في جيب درعها) أي: وكان عمرُها إذ ذاك قِيل: عشر سنين، وقيل: ثلاثة
عشر، وقيل: ستة عشر سنة.

قوله: (ما ذكر في سورة «مريم») أي: في قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ...﴾ [مريم: ١٦]
الآيات، واختُلِفَ في مدَّةِ حَمَلِهَا، فقيل: تسعة أشهر، وقيل: ثلاث ساعات، وقيل: ساعة واحدة
وهو المشهور^(٢).

قوله: ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ﴾ مرتَّبٌ على محذوف قدره المفسرُ بقوله: (فلما بعثه الله... إلخ)،
وهو إشارةٌ لقِصَّةِ رسالته بعد أن ذكر قصة بشارته وحمله وولادته^(٣).

قوله: (أصوّر) دفع بذلك ما يُقال: إن الخلق هو الإيجاد بعد العدم، وهو مخصوصٌ بالله
تعالى! فأجاب: بأن معنى الخلق التصوير.

قوله: (مفعول) أي: لـ ﴿أَخْلُقُ﴾.

(١) كذا في «الفتوحات» (٢٧٣/١) نقلاً عن العلامة الأجهوري.

(٢) وقيل غير ذلك، وانظر «زاد المسير» (١٢٥/٣).

(٣) وقوله تعالى: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ﴾ قرأ نافع بكسر الهمزة، والباقون بفتحها. انظر «الدر المصون» (١٩١/٣).

فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُزْرِئُهُ الْأَكْمَهَ وَالْأَنْبَرَمَ وَأُخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ

﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ﴾ - الضَّمِيرُ لِلْكَافِ - ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا﴾ - وفي قراءة: (طائراً) - ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ : بِإِرَادَتِهِ، فَخَلَقَ لَهُمُ الْخُفَّاشَ لِأَنَّهُ أَكْمَلُ الطَّيْرِ خَلْقًا، فَكَانَ يَطِيرُ وَهُمْ يَنْظُرُونَهُ، فَإِذَا غَابَ عَنْ أَعْيُنِهِمْ سَقَطَ مَيِّتًا، ﴿وَأُزْرِئُهُ﴾ : أَشْفِي ﴿الْأَكْمَهَ﴾ الَّذِي وُلِدَ أَعْمَى، ﴿وَالْأَنْبَرَمَ﴾، وَخُصًّا بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُمَا دَاءٌ إِعْيَاءٍ، وَكَانَ بَعَثُهُ فِي زَمَنِ الطَّبِّ، فَأَبْرَأَ فِي يَوْمِ خَمْسِينَ أَلْفًا بِالدُّعَاءِ بِشَرَطِ الْإِيمَانِ، ﴿وَأُخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ كَرَّرَهُ لِنَفْيِ تَوَهُّمِ الْأُلُوْهِيَّةِ فِيهِ،

حاشية الصاوي

قوله: (الضمير للكاف) ويصح أن يعود على الطين، وحكمة المغايرة بين ما هنا وبين ما يأتي في آخر (المائدة): أن المتكلم هنا عيسى وهناك الله.

قوله: (وفي قراءة: طائراً) أي: بالإنفراد، وأما الأولى فهو اسم جمع، وهما سبعيتان^(١).

قوله: (الخفّاش) أي: الّوطواط^(٢)، وقوله: (لأنه أكمل الطير خلقاً) أي: لأنّ له أسناناً وثدياً، ويحيض كالنساء، ويطير من غير ريش، ولا يُبصر إلا في ساعة بعد المغرب وبعد الصبح، وما بقي من الزمن هو فيه أعمى.

قوله: (سقط ميتاً) أي: لِيَتِمِّزَ فِعْلُ الْمَخْلُوقِ مِنْ فِعْلِ الْخَالِقِ.

قوله: (الذي وُلِدَ أَعْمَى) أي: مَمْسُوحَ الْعَيْنِ أَمْ لَا، وَإِبْرَأُوهُ لِلطَّارِئِ أَوْ لَوِيٍّ.

قوله: ﴿وَالْأَنْبَرَمَ﴾ هو مَنْ بِهِ دَاءُ الْبَرَصِ، وَهُوَ دَاءٌ عَظِيمٌ يُشَبِّهُ الْبَهَقَ إِذَا نُخِسَ نَزَلَ مِنْهُ دَمٌ.

قوله: (لأنهما داء إعياء) أي: إعياء الأطباء الذين كانوا في زمنه؛ فَإِنَّ مَعْجَزَةَ كُلِّ نَبِيٍّ عَلَى شَكْلِ أَهْلِ زَمَانِهِ؛ كَمُوسَى فَإِنَّهُ بُعِثَ فِي زَمَنِ كَثُرَتْ فِيهِ السَّحَرَةُ، فَأَعْيَاهُمْ بِالْعَصَا وَالْيَدِ الْبَيْضَاءِ، وَسَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ فَإِنَّهُ بُعِثَ فِي زَمَنِ الْعَرَبِ الْبُلْغَاءِ، فَأَعْيَاهُمْ بِالْقُرْآنِ.

قوله: (بشرط الإيمان) أي: بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ؛ فَإِنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ فَقَطْ... لَمْ يُشَفَّ.

قوله: (لنفي توهم الألوهية فيه) أي: فِي عَيْسَى بِهَذَا الْوَصْفِ الَّذِي لَمْ يُشَارِكِ اللَّهُ فِيهِ أَحَدٌ صُورَةً، فَقَوْلُهُ: ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ رَدٌّ عَلَيْهِمْ، فَالْمَعْنَى: لَوْ كَانَ دَلِيلًا عَلَى أُلُوْهِيَّتِهِ لَكَانَ: بِإِذْنِهِ^(٣).

(١) قرأ نافع: طائراً، والجمهور: طيراً. المصدر السابق.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤٢٦/٦) عن ابن جريج.

(٣) وفي (أ): (لما قال: بإذنه) أي: بإذن الله؛ ليصح المعنى.

وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾

فَاحِيَا عَازَرَ صَدِيقًا لَهُ، وَابْنَ الْعَجُوزِ وَابْنَةَ الْعَاشِرِ، فَعَاشُوا وَوُلِدَ لَهُمْ، وَسَامَ بْنَ نُوحٍ وَمَاتَ فِي الْحَالِ، ﴿وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ﴾: تُخَبِّتُونَ ﴿فِي بُيُوتِكُمْ﴾ مِمَّا لَمْ أُعَايِنُهُ، فَكَانَ يُخْبِرُ الشَّخْصَ بِمَا أَكَلَ وَبِمَا يَأْكُلُ بَعْدُ، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الْمَذْكُورِ ﴿لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (عازر) بفتح الزاي، وقوله: (صديقاً له) أي: لعيسى، وكان قد تمرّض، فأرسلت أخته لعيسى فأخبرته بمرضه، وكان على مسافة ثلاثة أيام، فجاء فوجده قد مات ودُفن، فذهب مع أخته إلى قبره، فدعا بالاسم الأعظم فأحيي، وعاش إلى أن وُلِدَ له.

قوله: (وابن العجوز) أي: وأحياء قبل دفنه حين مرّ به على عيسى وهو على أعناق الرجال، فدعا الله، فجلس ولبس ثيابه وأتى أهله، وقوله: (وابنة العاشر) أي: الذي كان يأخذ العشر من الناس، وقوله: (وسام بن نوح) أي: وكان قد مات من نحو أربعة آلاف سنة، فدعا الله فأحياء، فقام وقد شاب نصف رأسه، ثم قال له: مُتْ بِإِذْنِ اللَّهِ، فقال: نَعَمْ، لكن لا أدوق حرارة الموت ثانياً، فقال له: كَذَلِكَ^(١).

قوله: ﴿وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ﴾ ورد: أنه كان يخبر الصبيان الذين يُعَلِّمُهُمُ الْخَطَّ بما في بيوت آبائهم من المذخرات، فتذهب الأولاد ويخبرون آباءهم بذلك، ثم إنهم تَجَمَّعُوا وحبسوا أولادهم عنه، فجاء إليهم وسأل عنهم، فأنكروهم، فقال لهم: مَنْ الَّذِينَ خَلَفَ الْأَبْوَابَ؟ فقالوا: هم خَنَازِيرُ، فقال: كَذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَفَتَحُوا خَلْفَ الْأَبْوَابِ فَفَتَحُوا عَلَيْهِمْ، فوجدوهم كذلك، فكَرَبُوا وَتَجَمَّعُوا عَلَى قَتْلِهِ، فَحَمَلَتْهُ أُمُّهُ عَلَى حِمَارٍ لَهَا، وَجَاءَتْ بِهِ مِصْرَ.

فَإِنْ قُلْتَ: قَدْ يَخْبُرُ الْمَنْجَمُ وَالكَاهِنُ عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ، فَمَا الْفَرْقُ؟

أَجِيبْ: بَأَنَّ الْمَنْجَمَ وَالكَاهِنَ لَا بَدَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ مَقَدِّمَاتِ يَرْجِعُ إِلَيْهَا وَيَعْتَمِدُ عَلَيْهَا فِي أَخْبَارِهِ، فَالْمَنْجَمُ يَسْتَعِينُ بِوَسْطَةِ الْكَوَاكِبِ، وَالكَاهِنُ يَسْتَعِينُ بِخَبَرِ مِنَ الْجِنِّ، وَقَدْ يُخْطِئَانِ فِي كَثِيرٍ، وَأَمَّا الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَلَيْسَ إِلَّا بِالْحُكِيِّ السَّمَاوِيِّ، وَهُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَا بِوَسْطَةِ حِسَابٍ وَلَا غَيْرِهِ، فَتَأْمَلْ!

قوله: ﴿فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ﴾ هذه الجملة يحتمل أن تكون من كلام عيسى، أو من كلام الله، وقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ جوابه محذوف؛ أي: انتفعتم بهذه الآية.

وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَحَدٍ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ
بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۝٥٠.....

﴿٥٠﴾ ﴿و﴾ جِئْتُكُمْ ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ﴾: قبلي ﴿مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَحَدٍ لَكُمْ بَعْضَ
الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ فيها، فأحلَّ لهم من السمك والطير ما لا صيصية له، وقيل: أحلَّ
الجميع، ف﴿بَعْضَ﴾ بمعنى (كُلِّ)، ﴿وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ - كَرَّرَهُ تَأْكِيداً وَلِيُبَيِّنَ عَلَيْهِ -
﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ فيما أمركم به من توحيد الله وطاعته.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿وَمُصَدِّقًا﴾﴾ حال معطوفة على حال مقدرة، وهي متعلق قوله: ﴿﴿بِآيَةٍ﴾﴾ التقدير: جئتكم
حال كوني ملتبساً بآية وحال كوني مُصَدِّقاً، ويشعرُ بذلك تقديرُ المفسرِ قوله: ﴿﴿جِئْتُكُمْ﴾﴾، وليس
معطوفاً على ﴿﴿وَجِئْتُكُمْ﴾﴾؛ لأنَّ ﴿﴿وَجِئْتُكُمْ﴾﴾ من جملة المبشِّر به وهو من كلام الله، وأما قوله: ﴿﴿مُصَدِّقًا﴾﴾
فهو من كلام عيسى.

قوله: ﴿﴿مِنَ التَّوْرَةِ﴾﴾ أي: وهي كتابُ موسى، وكان بينه وبين عيسى ألف وتسع مئة
 وخمسة وسبعون سنة، وأوَّلُ أنبياء بني إسرائيل يوسف بن يعقوب، وآخرهم عيسى.

قوله: ﴿﴿وَلِأَحَدٍ لَكُمْ﴾﴾ معمولٌ لمحذوف تقديره: وجئتكم لأجل التحليل، ولا يصحُّ عطفه
على ﴿﴿مُصَدِّقًا﴾﴾؛ لأنَّ ذاك حال، وذا تعليل.

قوله: ﴿﴿بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾﴾ أي: بسبب ظلمكم؛ كذي الظفر وشحوم البقر والغنم.
قوله: ﴿﴿مَا لَا صَيْصِيَّةَ لَهُ﴾﴾ أي: شوكة يؤذي بها^(١)، وأما ما له صيصية فهو باقي على حلِّه لم
يحرم.

قوله: ﴿﴿فَبَعْضَ﴾﴾ بمعنى كل استشكل: بأنه يلزمُ عليه تحليل كالزنا والقتل! وأجيب: بأن المراد
جميع ما طرأ تحريمه من قبل التشديد، لا ما كان محرماً بالأصالة.

قوله: ﴿﴿وَلِيُبَيِّنَ عَلَيْهِ﴾﴾ أي: فحيث أمرتكم بما ذُكِرَ مع ظهور الآيات فاتقوا... إلخ.

قوله: ﴿﴿وطاعته﴾﴾ معطوف على (توحيد الله)؛ من عطف العام على الخاص.

(١) الصَّيْصِيَّة: شوكة الحائك، وتطلق على شوكة الديك، وقرن البقر والظباء. انظر «تاج العروس» (ص ي ص).

إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ
قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِثُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا
مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾

﴿٥١﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا الَّذِي أَمَرُكُمْ بِهِ ﴿صِرَاطٌ﴾: طَرِيقُ
﴿مُسْتَقِيمٌ﴾، فَكَذَّبُوهُ وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ.

﴿٥٢﴾ ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ﴾: عَلِمَ ﴿عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ﴾ وَأَرَادُوا قَتْلَهُ، ﴿قَالَ مَنْ أَنْصَارِي﴾:
أَعوانِي ذَاهِباً ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ لِأَنْصُرَ دِينَهُ؟ ﴿قَالَ الْخَوَارِثُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾: أَعوانُ دِينِهِ، وَهُمْ
أَصْفِيَاءُ عِيسَى أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ، وَكَانُوا اثْنِي عَشَرَ رَجُلًا، مِنَ الْخَوَرِ وَهُوَ الْبَيَاضُ الْخَالِصُ،
وَقِيلَ: كَانُوا قَصَّارِينَ يُحَوِّرُونَ الثِّيَابَ أَي: يُبَيِّضُونَهَا، ﴿ءَامَنَّا﴾: صَدَّقْنَا ﴿بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ﴾
يَا عِيسَى ﴿بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ هذا ردٌّ لِدَعْوَاهُمْ بِنُورَةِ اللَّهِ، وَإِلَّا لَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَبِي.
قوله: ﴿طَرِيقٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ أَي: دِينٌ قِيمٌ، مَنْ تَمَسَّكَ بِهِ فَقَدْ نَجَا، وَمَنْ حَادَّ عَنْهُ وَقَعَ فِي الرَّدَى.
قوله: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ﴾ ﴿أَحَسَّ﴾: يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ وَبِحَرْفِ الْجَرِّ، وَالْإِحْسَاسُ:
الْإِدْرَاكُ بِأَحَدِ الْحَوَاسِّ الْخَمْسِ؛ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالذَّوْقَ وَاللَّمْسَ وَالشَّمَّ، وَالْمَعْنَى: أَدْرَكَهُ مِنْهُمْ عِنَادًا
بَعْدَ ظَهْوَرِ تِلْكَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ.

قوله: ﴿قَالَ مَنْ أَنْصَارِي﴾ أَي: مَنْ يَنْصُرُنِي؟ وَقَوْلُهُ: ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقٌ
بِمَحْذُوفٍ حَالٍ مِنَ الْيَاءِ فِي ﴿أَنْصَارِي﴾، قَدَّرَهُ الْمَفْسِّرُ بِقَوْلِهِ: (ذَاهِبًا).

قوله: (أَعوان دِينِهِ) أَي: أَهْلُ دِينِهِ، فَنُصْرَةُ الدِّينِ كُنَايَةٌ عَنْ نُصْرَةِ أَهْلِهِ.

قوله: (وَكَانُوا اثْنِي عَشَرَ) أَي: وَكَانَ لَهُمْ كَبِيرَانِ، اسْمُهُمَا شَمْعُونَ وَيَعْقُوبُ.

قوله: (وَهُوَ الْبَيَاضُ الْخَالِصُ) أَي: لِبَيَاضِ قُلُوبِهِمْ وَثِيَابِهِمْ، فَأَعْطَاهُمُ اللَّهُ بَيَاضَ بَوَاطِنِهِمْ
وظَوَاهِرِهِمْ.

قوله: (وَقِيلَ: كَانُوا قَصَّارِينَ) وَقِيلَ: لِأَنَّهُمْ حَوَّرُوا النَّبِيَّ بِمَعْنَى: نَصَرُوهُ، وَقِيلَ: كَانُوا صِيَّادِينَ
لِلسَّمَكِ، وَقِيلَ: كَانُوا صَبَّاعِينَ، وَقِيلَ: كَانُوا مُلُوكًا.

رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾

﴿٥٣﴾ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ مِنَ الْإِنْجِيلِ، ﴿وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ﴾: عيسى، ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ لَكَ بِالْوَحْدَانِيَّةِ، وَلِرَسُولِكَ بِالصُّدُقِ.

حاشية الصاوي

ورد: أن عيسى مرَّ على هؤلاء وهم يَصْطَادُونَ السمك، فقال لهم: اذهبوا بنا لِنَصْطَادَ الخلق، فقالوا: كيف ذلك؟ قال: نَدْلُهُمْ على عبادة الله، فقالوا له: وَمَنْ أَنْتَ؟ فقال: رَوْحُ الله، فقالوا: وما آيَتُكَ على ذلك؟ وكانوا طَوَّلَ نهارهم يَطْرَحُونَ الشبَكَ لا يَخْرُجُ لَهُمْ شَيْءٌ مِنَ السمك، فَأَمَرَ أَنْ يَطْرَحَ الشبَكَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ، ففعل، فخرجَ لَهُمْ سَمَكٌ مَلَأَ مَرْكَبَيْنِ، فَأَمَنُوا بِهِ وَسَارُوا بِسِيرِهِ.

وقيل: إن شَمْعُونَ كَانَ مَلِكًا، فرأى عيسى ذاتَ يَوْمٍ يَأْكُلُ مِنْ إِنَاءٍ هُوَ وَالنَّاسُ وَلَا يَفْرُغُ ذَلِكَ الطَّعَامَ، فَأَمَنَ بِهِ، وَنَزَلَ عَنْ مَلِكِهِ، وَتَبِعَهُ أَقَارِبُهُ.

وقيل: كَانَ فِي صِغَرِهِ عِنْدَ صَبَّاحٍ، فَأَمَرَهُ بِصَبْغِ ثِيَابٍ مُتَعَدِّدَةِ أَلْوَانٍ مُتَغَايِرَةٍ وَذَهَبَ لِحَاجَةٍ، فَوَضَعَ تِلْكَ الثِّيَابَ فِي دَنٍّ وَاحِدٍ وَقَالَ: أَيُّهَا الثِّيَابُ كُونِي كَمَا أُرِيدُ، فَجَاءَ الصَّبَّاحُ وَسَأَلَهُ عَنِ الثِّيَابِ، فَقَالَ: فِي هَذَا الدَّنِّ، فَحَزَنَ حَزْنًا عَظِيمًا، فَأَخْرَجَهَا مِنَ الدَّنِّ فَوَجَدَهَا كَمَا أَمَرَهُ الصَّبَّاحُ، فَأَمَنَ بِهِ هُوَ وَأَقَارِبُهُ.

وقيل: إن الْاِثْنِي عَشَرَ كَانُوا لَا صِنْعَةَ لَهُمْ حِينَ آمَنُوا بِعِيسَى^(١)، وَكَانُوا سَيَّاحِينَ مَعَهُ، وَكَانُوا كُلَّمَا جَاعُوا شَكَّوْا لِعِيسَى، فَيَنْزِلُ لَهُمْ كُلٌّ وَاحِدٌ رَغِيفَانِ، وَكُلَّمَا ظَمُّوا شَكَّوْا لَهُ فَتَنْبِغُ لَهُمْ عَيْنٌ فِي أَيِّ مَحَلٍّ كَانُوا فِيهِ، فَقَالَ لَهُمْ يَوْمًا: هُنَاكَ مِنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْكُمْ، فَقَالُوا: مَنْ؟ قَالَ: الَّذِينَ يَأْكُلُونَ مِنْ كَسْبِ أَيْدِيهِمْ، فَاسْتَعْمَلُوا قِصَارَةَ الثِّيَابِ.

وقد يُجْمَعُ بَيْنَ الرِّوَايَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ: بِأَنْ بَعْضَ الْاِثْنِي عَشَرَ كَانَ مِنَ الْمُلُوكِ، وَبَعْضُهُمْ مِنَ الصَّيَادِينَ، وَبَعْضُهُمْ مِنَ الْقَصَّارِينَ، وَبَعْضُهُمْ مِنَ الصَّبَّاحِينَ^(٢).

قوله: ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ أي: الْمَوْحِّدِينَ مُطْلَقًا، أَوِ الَّذِينَ فَضَّلْتَهُمْ بِالشَّهَادَةِ، وَهُمْ مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ؛ لِأَنَّهُمْ يَشْهَدُونَ لِلرَّسْلِ بِالتَّبْلِيغِ، وَعَلَى الْأُمَمِ بِالتَّكْذِيبِ.

(١) فِي (أ): (لَا مَنَعَةَ لَهُمْ).

(٢) انظر مجمل الروايات في «تفسير البغوي» (١/٤٤٤)، و«الدر المنثور» (٢/٢٣٣).

وَمَكْرُوا اللَّهَ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ

﴿٥٤﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَكْرُوا﴾ أي: كُفَّارَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِعِيسَى إِذْ وَكَّلُوا بِهِ مَنْ يَقْتُلُهُ غِيلَةً، ﴿وَمَكْرَ اللَّهِ﴾ بِهِمْ، بِأَنْ أَلْقَى شَبَهَ عِيسَى عَلَى مَنْ قَصَدَ قَتْلَهُ، فَقَتَلُوهُ، وَرَفَعَ عِيسَى إِلَى السَّمَاءِ، ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾: أَعْلَمُهُمْ بِهِ.

﴿٥٥﴾ اذْكُرْ ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَمَكْرُوا﴾ المكر: هو الخديعة وإظهار خلاف ما يُبطن.

قوله: (غيلة) هي بكسر الغين المعجمة وسكون الياء التحتية: أن يخدع الرجل فيذهب به إلى موضع لا يراه به أحد ويقتله.

قوله: ﴿وَمَكْرَ اللَّهِ﴾ أي: جازاهم على مكرهم، فحيث أضمرنا على أخذ عيسى من حيث لا يحتسب.. جازاهم على ذلك وأخذهم من حيث لم يحتسبوا.

قوله: (بأن ألقى شبه عيسى... إلخ) حاصل ذلك: أنهم لما تجمّعوا على قتله جاءه جبريل، فوجده في مكان في سقفه فرجة، فرفعه من تلك الفرجة إلى السماء، وأمر ملك اليهود رجلاً اسمه ططيانوس أن يدخل على عيسى فيقتله، فلما دخل فلم يجده خرج وقد ألقى الله شبه عيسى عليه، فلما رآوه ظنّوه عيسى فقتلوه، وفتشوا على عيسى فلم يجدوه، ثم قالوا: إن كان هذا عيسى فأين صاحبنا، وإن كان صاحبنا فأين عيسى؟! فوقع بينهم قتال عظيم^(١).

قوله: ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ أي: أقواهم مكرًا؛ بحيث يقدر على إيصال الضرر لهم من حيث لم يحتسبوا كما أضمرنا ذلك لعيسى، ولا يقال لله: ماكر أو مكّار إلا مشاكلة، ويؤوّل بما علمت؛ لأن أصل المكر يستعمل في المحتال لأخذ صاحبه لعجزه عنه، وهو مستحيل على الله.

قوله: (اذكر ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ﴾ أشار بذلك إلى أن ﴿إِذْ﴾ ظرفٌ معمولٌ لمحذوف، والمعنى: أن اليهود لما تجمّعوا على قتله وتحيلوا على أخذه.. جعل الله كيدهم في نحرهم، ﴿قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى... إلخ﴾، فهو من تفصيل قوله: ﴿وَمَكْرَ اللَّهِ﴾.

قوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ اختلّف في التوفي؛ فقليل: معناه: مبلّغك الأمل بأن تبلغَ عمرَكَ بتمامه، ولا تموتَ بقتل أحدٍ، بل من الله، وقيل: معناه بالنوم؛ أي: رفع إلى السماء وهو نائمٌ

(١) «الخازن» (٢٥١/١)، وقيل: هو ليودس، وهو عندهم يهوذا الإسخريوطي.

وَرَأْفَعُكَ إِلَى وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ

قَابِضُكَ ﴿وَرَأْفَعُكَ إِلَى﴾ مِنَ الدُّنْيَا مِنْ غَيْرِ مَوْتٍ، ﴿وَمُطَهِّرُكَ﴾: مُبْعِدُكَ ﴿مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ﴾: صَدَّقُوا بِنُبُوتِكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالنَّصَارَى

حاشية الصاوي

فلم يحصل له انزعاج، وقيل: معناه: مميتك وقابض لروحك، لا يقال: إنه يقتضي أنه يموت قبل الرفع إلى السماء؛ لأنه يقال: إن الواو لا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً، فالكلام على التقديم والتأخير، والمعنى: إني رافعك إليّ ومتوفيك بعد ذلك، والمقصود: إشارته بنجاته من اليهود ورفعه إلى السماء.

واعلم: أن الأنبياء الذين أمروا بالقتال معصومون من القتل، فلا خصوصية لعيسى، وأما من لم يؤمر به.. فلا مانع من كون الكفار يقتلونهم؛ لأنه مأمور بالصبر، وذلك كما وقع لزكريا حين نشره بالشجرة^(١).

قوله: (قَابِضُكَ ﴿وَرَأْفَعُكَ﴾) أشار بذلك إلى أن عطف ﴿وَرَأْفَعُكَ﴾ على ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ للتفسير، وهو تقرير آخر غير ما تقدم.

قوله: (﴿وَرَأْفَعُكَ إِلَى﴾) أي: إلى كرامتي وأهل قُربى^(٢)، وقوله: (من الدنيا) أراد بها الأرض. قوله: (﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ﴾) أي: أحبوك وانتسبوا لك؛ فإن صدّقوا بمحمد أيضاً وأحبّوه أو ماتوا قبل بعثته.. فقد تمّ لهم العزّ دنياً وأخرى، وإن لم يصدّقوا بمحمد ولم يحبّوه.. فقد حازوا عزّ الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق، فالنصارى لهم عزّ في الدنيا وسلطنة على اليهود إلى يوم القيامة.

(١) حيث اتهموه عليه السلام بمريم. انظر «زاد المسير» (١٠/٣).

(٢) تمسكت المشبهة بهذه الآية إثباتاً لجهة العلو والمكان لله تعالى عن ذلك علواً كبيراً، وهي كقوله: ﴿وَرَأْفَعُكَ إِلَى﴾. وقوله ﷺ: «ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله»، وقول إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾، وكل هذا معناه: إلى موضع لا يجري فيه غير حكم الله تعالى، قال أبو حيان في «البحر المحيط» (٤٩٧/٢): (إلى مكان لا يملك الحكم فيه في الحقيقة ولا في الظاهر إلا أنا، بخلاف الأرض؛ فإنه قد يتولّى المخلوقون فيها الأحكام ظاهراً)، وانظر «تفسير الرازي» (٢٦٢/١١).

فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَةِ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلَفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمُ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾

﴿فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بك، وهم اليهود، يَعْلُونَهُمْ بِالْحُجَّةِ وَالسَّيْفِ، ﴿إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَةِ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلَفُونَ﴾ من أمر الدين.
 ﴿٥٦﴾ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا﴾ بِالْقَتْلِ وَالسَّبْيِ وَالْجَزِيَّةِ، ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بِالنَّارِ، ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ مانعين منه.
 ﴿٥٧﴾ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ﴾ - بِالْيَأِ وَالنُّونِ - ﴿أُجُورَهُمُ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ أي: يُعَاقِبُهُمْ.

حاشية الصاوي

قوله: (وهم اليهود) أي: فهو عزٌّ على خصوص اليهود - لا مطلقاً - ما داموا كفاراً، وذلك أنه لما رفع الله عيسى... افترق أصحابه ثلاث فرق، فقالت فرقة: كان الله فينا ثم صعد إلى السماء وهم اليعقوبية، وقالت أخرى: كان فينا ابن الله ثم رفعه إليه وهم النسطورية، وقالت أخرى: كان فينا عبد الله ورسوله ثم رفعه إليه، وهذه الفرقة هم المسلمون، فتظاهرت عليهم الفرقتان الكافرتان فقتلوه، فلم يزل الإسلام منطمساً إلى أن بُعث محمد.

قوله: (يعلونهم بالحجة) أي: يغلبونهم بالأدلة.

قوله: ﴿إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَةِ﴾ أي: طائفة بعد طائفة.

قوله: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ﴾ خطابٌ لجميع المخلوقات.

قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ تفصيلٌ لما يؤول أمرُ الناس إليه في الآخرة.

قوله: (بالقتل والسبي) أي: مع الذل والهوان.

قوله: (مانعين منه) أي: من العذاب.

قوله: (بالياء والنون) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١).

(١) قرأ حفص بياء الغيبة، والباقون بالنون. «الدر المصون» (٢١٦/٣).

رُوي أَنَّ اللهَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ سَحَابَةً فَرَفَعَتْهُ، فَتَعَلَّقَتْ بِهِ أُمُّهُ وَبَكَتْ، فَقَالَ لَهَا: إِنَّ الْقِيَامَةَ تَجْمَعُنَا، وَكَانَ ذَلِكَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَلَهُ ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً، وَعَاشَتْ أُمُّهُ بَعْدَهُ سِتُّ سِنِينَ. وَرَوَى الشَّيْخَانِ حَدِيثٌ «أَنَّهُ يَنْزِلُ قُرْبَ السَّاعَةِ،
حاشية الصاوي

قوله: (فتعلقت به أمه) اعلم: أنه بعد رفعه بسبعة أيام قال الله له: اهبط إلى مريم؛ فإنه لم يبك عليك أحدٌ بكاءها، ولم يحزن عليك أحدٌ حزنها ثم لتجمعن الحواريين، فبثهم في الأرض دُعاة إلى الله، فأهبطه الله عز وجل، فاجتمعت له الحواريون، فبثهم في الأرض، فلما أصبح الحواريون تكلم كل واحد منهم بلغة من أرسله عيسى إليه^(١)، إذا علمت ذلك فقوله: (تعلقت به أمه) محمولٌ على هذا الصعود الثاني، وإلا.. فالأول لم تعلم به هي ولا أصحابه.

قوله: (وبكت) أي: على فراقه.

قوله: (وكان ذلك ليلة القدر) إن قلت: إن ليلة القدر من خصائص هذه الأمة! أجيب: بأن الذي من خصائص هذه الأمة فضلها من كونها خيراً من ألف شهر، وكونها تنزل فيها الملائكة من الغروب إلى طلوع الفجر، وكون الدعاء فيها مجاباً بعين المطلوب، فلا ينافي ثبوتها في الأمم السابقة، لكن لا بهذا الفضل.

قوله: (وله ثلاث وثلثون سنة) أي: وعليه فقل: جاءته النبوة من حين الولادة، وقيل: على رأس الثلاثين، وبعد هذا فما قاله المفسر ضعيف رجح عنه كما قاله سيدي محمد الزرقاني في «شرح المواهب»^(٢)، والحق الذي اعتمده الأشياخ: أنه ما رُفِعَ إلا بعد مضي مئة وعشرين سنة، وجاءته النبوة على رأس الأربعين كغيره، وعمر أمه حين رُفِعَ على الأول: ست وأربعون سنة، وعاشت بعده ست سنين، فيكون عمرها اثنين وخمسين، وعلى الثاني: مئة وتسعة وثلثون.

واعلم: أنه لما رُفِعَ كساه الله خلعة النور، وسلبه شهوة الطعام والشراب والنوم، وجعل له ريشاً يطير به كالملائكة، فهو حَكَمُهُمْ^(٣).

قوله: (أنه ينزل) أي: على منارة بني أمية حين يضايق الدجال المهدي والخلق جميعاً، فيهرعون إلى دمشق الشام وهو محتاط بهم، فينزل عند إقامة الصلاة، فيريد المهدي التأخر، فيأمره عيسى

(١) «تفسير البغوي» (٤٤٦/١)، و«تفسير الخازن» (٢٥١/١).

(٢) «شرح المواهب اللدنية» (٦٨/١)، وذكر أن المصنف رجح عنه في «مرقاة الصعود» له.

(٣) كذا في النسخ، والمعنى: صار في حكمهم بهذه الأوصاف.

ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ

وَيَحْكُمُ بِشَرْيَعَةِ نَبِيِّنَا، وَيَقْتُلُ الدَّجَالَ وَالْخَنزِيرَ، وَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ،
وفي حديث مُسْلِمٍ أَنَّهُ يَمُكُثُ سَبْعَ سِنِينَ، وفي حَدِيثِ عَبْدِ أَبِي دَاوُدَ الطَّيَالِسِيِّ: أَرْبَعِينَ
سَنَةً، وَيُتَوَفَّى وَيُصَلَّى عَلَيْهِ، فَيَحْتَمِلُ أَنَّ الْمُرَادَ مَجْمُوعَ لُبِّهِ فِي الْأَرْضِ قَبْلَ الرَّفْعِ وَبَعْدَهُ.

﴿٥٨﴾ الْمَذْكُورُ مِنْ أَمْرِ عِيسَى ﴿نَتْلُوهُ﴾: نَقْضُهُ ﴿عَلَيْكَ﴾ يَا مُحَمَّدٌ ﴿مِنْ
الْآيَاتِ﴾ - حَالٌ مِنَ الْهَاءِ فِي ﴿نَتْلُوهُ﴾، وَعَامِلُهُ مَا فِي ﴿ذَلِكَ﴾ مِنْ مَعْنَى الْإِشَارَةِ -

حاشية الصاوي

بِالتَّقَدُّمِ، فَبَعْدَ الصَّلَاةِ يَتَوَجَّهُونَ إِلَى الدَّجَالِ وَهُوَ بِلَدٍّ^(١)، فَإِذَا رَأَى عِيسَى ذَابَ كَالْمَلْحِ، فَيَهْزِمُهُ اللَّهُ،
ثُمَّ يَظْهَرُ الْعَدْلُ وَالصَّلَاحُ فِي الْأَرْضِ.

قوله: (ويحكم بشريعة نبينا) إن قلت: إن وضع الجزية ليس من شرع نبينا! أجيب: بأنه منه،
غير أن أخذها مَعْنِيًا بِنَزُولِ عِيسَى كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ نَبِيُّنَا^(٢)، فَوَضَعُهَا أَيْضًا مِنْ شَرْعِنَا.

قوله: (سبع سنين) أي: فوق الثلاث والثلاثين، وهو ضَعِيفٌ.

قوله: (أربعين سنة) قيل: من ولادته، فيكون مكثه بعد النزول سبع سنين كالرواية الأولى،
وقيل: مبدأ الأربعين من نزوله، وعلى كونها من نزوله فعلى كونه رُفِعَ وهو ابنُ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ فيكون
عمره ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ سنة، وعلى أنه رُفِعَ وهو ابنُ مِائَةٍ وَعِشْرِينَ فيكون عمره مِائَةً وَسِتِينَ.

قوله: (ويُصَلَّى عليه) أي: يُصَلَّى عليه المسلمون، ويُدفن في السهوة الشريفة^(٣)، فإذا جاء يومُ
الْقِيَامَةِ قَامَ أَبُو بَكْرٍ وَعَمْرُ بْنُ رَسُولَيْنِ؛ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٌ وَعِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ اسمُ الْإِشَارَةِ عَائِدٌ عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ عَجَائِبِ عِيسَى، وَأَفْرَدَ بِاعْتِبَارِ مَا ذَكَرَ
كَمَا أَشَارَ لَهُ الْمَفْسِّرُ.

قوله: (وعامله ما في ﴿ذَلِكَ﴾... إلخ) أي: لأنه مُضْمَنٌ مَعْنَى أَشِيرَ، وَاعْتَرَضَ ذَلِكَ:

(١) لَدَّ: بِلَدٍّ بِالشَّامِ، وَهِيَ قَرْيَةُ بَيْتِ الْمَقْدَسِ فِي فِلَسْطِينَ. انظر «معجم البلدان» (٥/١٥).

(٢) رواه البخاري (٢٢٢٢)، ومسلم (١٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) قال الحافظ القسطلاني في «المواهب» (٣/٥٨٥): (ونقل أهل السير عن سعيد بن المسيب قال: بقي في البيت
موضع قبر في السهوة الشرقية يدفن فيه عيسى بن مريم عليهما السلام، ويكون قبره الرابع)، والسهوة كما في «إتحاف
الزائر» (ص ١٧٨) وعنه نقل: بيت صغير منحدر في الأرض قليلاً شبيه بالمخدع.

وَالَّذِكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾

﴿وَالَّذِكْرِ الْحَكِيمِ﴾ : الْمُحْكَمِ أَي : الْقُرْآن .

﴿٥٩﴾ ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى﴾ : شَأْنُهُ الْغَرِيبَ ﴿عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ : كَشَأْنِهِ فِي خَلْقِهِ مِنْ غَيْرِ أَبِي ، وَهُوَ مِنْ تَشْبِيهِ الْغَرِيبِ بِالْأُغْرَبِ ؛ لِيَكُونَ أَقْطَعُ لِلْخَصْمِ وَأَوْقَعُ فِي النَّفْسِ ، ﴿خَلَقَهُ﴾ أَي آدَمَ أَي : قَالَهُ ﴿مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ﴾ بَشَرًا ﴿فَيَكُونُ﴾ أَي : فَكَانَ ،

حاشية الصاوي

بأن العامل في الحال هو العامل في صاحبها ، وصاحبها هو الهاء في ﴿نَتْلُوهُ﴾ ، فالعامل فيها هو ﴿نَتْلُوهُ﴾ ! قال بعضهم مُعْتَذِرًا عَنِ الْمَفْسَّرِ : بأنه خلط إعراباً بآخر ، وحاصل ذلك أن قوله : ﴿ذَلِكَ﴾ مبتدأ ، وقوله : ﴿نَتْلُوهُ﴾ خبره ، وقوله : ﴿وَمِنَ الْآيَاتِ﴾ حالٌ من الهاء ، وعاملُهُ هو (نتلو) ، أو ﴿مِنَ الْآيَاتِ﴾ خبره ، و﴿نَتْلُوهُ﴾ حال ، وعاملها ما في ﴿ذَلِكَ﴾ من معنى الإشارة ، وهذا الذي يشير إليه المفسر على قول بعضهم ^(١) .

قوله : ﴿وَالَّذِكْرِ الْحَكِيمِ﴾ عطفٌ على ﴿الْآيَاتِ﴾ للتفسير .

قوله : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى﴾ سبب نزولها : أن وفد نجران قدموا على النبي ﷺ ، فقالوا له : نراك تسبُّ صاحبنا ، فقال : «مَنْ هُوَ؟» ، قالوا : عيسى ، تزعم أنه عبدُ الله ، فقال رسول الله : «أَجَلْ» ، إنه عبدُ الله ورسوله ، فقالوا : هل له مثلٌ في الخلق خلق من غير أبي ؟ فنزلت الآية .

قوله : (الغريب) أي : وهو عيسى ، وقوله : (بالأغرب) أي : وهو آدم ، وأغربيته من وجوه ؛ منها : أنه لم يسبق له مثالٌ أصلاً ، ومنها : وجودُ الأم لعيسى دون آدم .

إن قلت : وجه التشبيه بينهما ليس بتام ! أجيب : بأنه يكفي وجهٌ واحد ، وهو عدمُ الأبوة لكل .

قوله : ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ جملةٌ مفسرةٌ لما قبلها ، فلا محلَّ لها من الإعراب .

قوله : (أي : قاله) بفتح اللام ، وهو الجسم ، وأما الروحُ فمن نورِ نبينا ﷺ ، وإنما حملَ الخلقَ على القالب لا على صورة الجسم الشاملة للروح ؛ نظراً لقوله : ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ﴾ إلخ ، وإلا . . . كان ضائعاً .

الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ

وكذلك عيسى قال له: (كُنْ مِنْ غَيْرِ أَبِي) فكان.

﴿٦٠﴾ ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ - خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ مَحذُوفٌ - أي: أمرُ عيسى، ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾: الشَّاكِّينَ فِيهِ.

﴿٦١﴾ ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ﴾: جَادَلَكَ مِنَ النَّصَارَى ﴿فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ بِأَمْرِهِ، ﴿فَقُلْ لَهُمْ﴾: ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ فَجَمَعَهُمْ

حاشية الصاوي

قوله: (وكذلك عيسى... إلخ) أشار بذلك إلى وجه الشَّبه بينهما.

واتفق أن عالماً أُسِرَ في بلاد الروم، فوجدَهم يعبدون عيسى، فقال لهم: لم تعبدون عيسى؟ فقالوا: لأنه لا أبَ له، فقال لهم: آدمُ أولى؛ لأنه معدومُ الأبوين، فقالوا له: آدمُ وإن كان بلا أبٍ إلا أنه لا يُحيي الموتى، فقال لهم: إذا كان كذلك فحزقيلُ أولى؛ لأنه أحيا ثمانية آلاف - وقيل: أكثر - بدعوته، وعيسى أحيا أربعة أنفار، فقالوا: إن عيسى يبرئ الأكمه والأبرص، فقال: جرجيسُ أُحرقَ وطُبِّحَ ولم يضرَّهُ الحرقُ ولا الطبخُ^(١).

قوله: (أي: أمر عيسى) أي: عيسى الذي قصَّه الله في كتابه.

قوله: ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ خطابٌ له والمرادُ أمته؛ على حدٍّ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]؛ لأنه معصومٌ من الامتراء والشُّرك وكلِّ كبيرة وصغيرة.

قوله: (من النصاري) أي: نصارى نجران أو غيرهم.

قوله: (بأمره) أي: أنه عبدُ الله ولم يكن ابنه.

قوله: ﴿تَعَالَوْا﴾ أصله: تعالَّيُوا، تحركت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً، فالتقى ساكنان الألف والواو حُذفت الألف لالتقائهما، وهو فعلٌ أمرٌ على الصحيح مبنيٌّ على حذف النون، والواو: فاعل، وهو مفتوح اللام دائماً لمذكَّر أو مؤنَّث.

قوله: ﴿أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ أي: الذكور، وقوله: ﴿وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ﴾ أي: الإناث منهم،

ثُمَّ نَبْتَهَلْ فَتَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾

﴿ثُمَّ نَبْتَهَلْ﴾: نَتَضَرَّعُ فِي الدُّعَاءِ، ﴿فَتَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ بِأَنْ نَقُولَ: اللَّهُمَّ الْعَنِ الْكَاذِبَ فِي شَأْنِ عَيْسَى! وَقَدْ دَعَا ﷺ وَفَدَّ نَجْرَانَ لِذَلِكَ لَمَّا حَاجُّوهُ فِيهِ، فَقَالُوا: حَتَّى نَنْظُرَ فِي أَمْرِنَا ثُمَّ نَأْتِيكَ، فَقَالَ ذُو رَأْيِهِمْ: لَقَدْ عَرَفْتُمْ نُبُوتَهُ، وَأَنَّهُ مَا بَاهِلَ قَوْمٌ نَبِيًّا إِلَّا هَلَكُوا، فَوَادِعُوا الرَّجُلَ وَانصَرِفُوا، فَاتَوْهُ وَقَدْ خَرَجَ وَمَعَهُ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَفَاطِمَةُ وَعَلِيٌّ وَقَالَ لَهُمْ: «إِذَا دَعَوْتُ فَأَمُّنُوا»، فَأَبَوْا أَنْ يُلَاعِنُوا وَصَالِحُوهُ عَلَى الْجَزِيَّةِ.

حاشية الصاوي

والحكمة في حضور الأولاد: زيادة التغليب في اليمين، وتأكيده لمزيد صدقه وكذبهم، ولما كانت المباهلة أمراً عظيماً.. لم تُشرع بعد النبي إلا في اللعان بين الزوجين^(١).

قوله: ﴿نَبْتَهَلْ﴾ الابتهال: من البهلة بفتح الباء وضمها، هي: اللعنة في الأصل، ثم استعمل في دعاء مُجتهد فيه وإن لم يكن التعاناً^(٢).

قوله: (لذلك) أي: للتضرع والدعاء.

قوله: (فقال ذوو رأيهم) أي: فرجعوا إليهم وشاوروهم فقال... إلخ.

قوله: (لقد عرفتم نبوته) أي: نبوة محمد، وقوله: (ما باهل) أي: نازع.

قوله: (فوادعوا الرجل) أي: صالحوه على مال يأخذه منكم.

قوله: (وقد خرج) الجملة حالية.

قوله: (وصالحوه على الجزية) ورد: أنها ألفا حلة؛ نصفها في صفر، ونصفها في رجب، وثلاثون درعاً، وثلاثون بعيراً، وثلاثون فرساً، وثلاثون من كل صنف من أصناف السلاح، وقد ثبتت هذه الرواية في بعض نسخ الجلال القديمة^(٣).

(١) نقل العلامة الجمل في «الفتوحات» (٢٨٣/١) عن المحقق جلال الدين الدواني (ت ٩١٨هـ) أن المباهلة لا تجوز إلا في أمر مهم شرعاً وقع فيه اشتباه أو عناد، ولا يتيسر دفعه إلا بالمباهلة، فتكون بعد إقامة الحجة، والسعي في زوال الشبهة، وتقديم النصح والإنذار، وما يشاكل ذلك.

(٢) إذ الابتهال: التضرع والاجتهاد في الدعاء، وإخلاصه لله تعالى.

(٣) عزا المصنف روايته في «الدر المثور» (٢٣٢/٢) لأبي نعيم في «دلائل النبوة».

إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَتَاهَلُ الْكِتَابُ

وعن ابن عباس قال: لو خَرَجَ الَّذِينَ يُبَاهِلُونَ، لَرَجَعُوا لَا يَجِدُونَ مَالاً وَلَا أَهْلًا، وَرُوي: لو خَرَجُوا لَا حَتَرُ قُوا.

﴿٦٢﴾ إِنَّ هَذَا الْمَذْكُورُ ﴿لَهُوَ الْقَصَصُ﴾: الْحَبْرُ ﴿الْحَقُّ﴾ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ، ﴿وَمَا مِنْ﴾ - زائدة - ﴿إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في مُلْكِهِ، ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صُنْعِهِ.

﴿٦٣﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا: أَعْرَضُوا عَنِ الْإِيمَانِ، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ فَيُجَازِيهِمْ. - وفيه وَضَعُ الظَّاهِرِ مَوْضِعَ الْمَضْمَرِ -.

﴿٦٤﴾ قُلْ يَتَاهَلُ الْكِتَابُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى

حاشية الصاوي

قوله: (وعن ابن عباس... إلخ) أي: ورد أنه ﷺ قال: «والذي نفسي بيده؛ إن الهلاك قد تولى على أهل نجران، ولو لا عَنُوا لُمُسَخُوا قردةً وخنازير، ولأُضْرِمَ عليهم الوادي ناراً، ولم يبق نصرانيٌّ على وجه الأرض إلى يوم القيامة»^(١).

قوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ (هذا نتيجة ما قبله، واسمُ الإشارة عائدٌ على ما ذَكَرَ من أمر عيسى، وأنه ليس ابنُ الله، وأكَّدَ الجملة بـ(إِنَّ) واللام وكونها معرفةً الطرفين؛ لشدة إنكارهم.

قوله: (زائدة) أي: و﴿إِلَهٍ﴾: مبتدأ، و﴿اللَّهُ﴾: خبره، وهو قصرُ أفراد.

قوله: (وفيه وضع الظاهر... إلخ) أي: زيادةً في التبكيت عليهم.

قوله: ﴿قُلْ يَتَاهَلُ الْكِتَابُ﴾ سببُ نزولها: أن نصارى نجران اختصموا مع اليهود في شأن إبراهيم؛ فزعمت النصارى أنه كان نصرانيًّا وهم على دينه، وزعمت اليهود أنه كان يهوديًّا وهم على دينه، فقدموا مُتَحَاكِمِينَ إلى النبي ﷺ، فقال ﷺ: «كِلَا الْفَرِيقَيْنِ كَاذِبٌ»، فقالت النصارى: ما تريد إلا أن نَتَّخِذَكَ معبوداً كما اتخذت اليهود العزيز ربًّا، وقالت اليهود: ما تريد إلا أن نَتَّخِذَكَ معبوداً كما اتخذت النصارى عيسى ربًّا، فنزلت^(٢).

(١) هو قطعة من الخبر السابق.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/٤٩٠) عن ابن عباس ؓ.

تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَزُ إِلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ

﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾: مَصْدَرٌ بِمَعْنَى: مُسْتَوٍ أَمْرُهَا ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكَزُ﴾، هِيَ ﴿أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ كَمَا اتَّخَذْتُمُ الْأَحْبَارَ وَالرُّهْبَانَ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِلَى كَلِمَةٍ﴾ متعلق بـ﴿تَعَالَوْا﴾، وذكره المتعلق هنا؛ لأنَّ المقصود الاجتماع على هذه الكلمة، بخلاف التي قبلها؛ فإنَّ المقصود منها مجرد الإقبال، أو حذفه من الأول وتقديره: إلى المباهلة؛ لدلالة الثاني عليه.

قوله: ﴿إِلَّا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ﴾ هذه الجملة في محل رفع خبر لمحذوف، قدره المفسر بقوله: (هي)، وإنما أطلق عليها كلمة مع أنها جمل؛ لارتباط بعضها ببعض، قال ابن مالك: [الرجز] وَكَلِمَةً بِهَا كَلَامٌ قَدْ يُؤَمُّ^(١)

نظير قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

قوله: (كما اتخذتم الأحرار) أي: وهم علماء اليهود، والرهبان: عبَّادُ النصراني، واتخاذهم أرباباً من حيث إنهم ينسبون التحليل والتحرير والإقالة من الذنوب لهم، ولا يتبعون ما أنزل الله، بل المدار عندهم على ما حلَّته الأحرار والرهبان أو حرِّموا^(٢)، وهذه الآية وإن كانت خطاباً لليهود والنصارى إلا أنها تجرُّ بذيلها على مَنْ يَشْرِكُ بِاللَّهِ غَيْرُهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، كضُعفاء الإيمان الذين يعتقدون في الأولياء أنهم يضرُّون وينفعون بذواتهم، ويحلُّون ما حرَّم الله، ويحرِّمون ما أحلَّ الله، ومع ذلك يُحْدِثُونَ بَدْعًا عَظِيمَةً مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ، ويجعلون تلك البدع طرقاً لهؤلاء الأولياء، ويزعمون أنها مُنْجِيَةٌ وَإِنْ كَانَتْ مُخَالَفَةً لِلشَّرْعِ، ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَّا إِلَهُمْ هُمْ أَلَكَذِبُونَ﴾ [١٨] اسْتَحْذَرُوا الشَّيْطَانَ فَاسْأَلْهُمْ ذَكَرَ اللَّهُ أَوْلِيَّكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْمُفْسِدُونَ [المجادلة: ١٨-١٩].

(١) «الخلاصة»، باب: (الكلام وما يتألف منه).

(٢) روى الترمذي (٣٠٩٥) عن عدي بن حاتم رضي الله عنه في قصة إسلامه مرفوعاً: «أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرَّموا عليهم شيئاً حرَّموه».

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَتَّأْهَلُ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ : أَعْرَضُوا عَنِ التَّوْحِيدِ، ﴿فَقُولُوا﴾ : أَنْتُمْ لَهُمْ : ﴿اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ : مُوَحِّدُونَ.

﴿٦٥﴾ وَنَزَلَ لَمَّا قَالَ الْيَهُودُ : إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيٌّ وَنَحْنُ عَلَى دِينِهِ، وَقَالَتِ النَّصَارَى كَذَلِكَ : ﴿يَتَّأْهَلُ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ﴾ : تُخَاصِمُونَ ﴿فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ : بِزَعْمِكُمْ أَنَّهُ عَلَى دِينِكُمْ، ﴿وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾ : بِزَمْنٍ طَوِيلٍ، وَبَعْدَ نَزُولِهِمَا حَدَّثَتِ الْيَهُودِيَّةُ وَالنَّصْرَانِيَّةُ،

حاشية الصاوي

قوله : (أعرضوا عن التوحيد) أي : ولم يمتثلوا أمرك، واتبعوا أخبارهم ورهبانهم فيما يأمرونهم

به .

قوله : ﴿اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (أي : مُنْقَادُونَ لِلَّهِ، وَبَرِيثُونَ مِنْكُمْ وَمِنْ عَقَائِدِكُمْ).

قوله : (ونزل لما قال اليهود... إلخ) أي : وتحاكموا عند النبي ﷺ لِيَفْصَلَ بَيْنَهُمَا.

قوله : (وقالت النصارى كذلك) أي : هو نصرانيٌّ ونحن على دينه .

قوله : ﴿يَتَّأْهَلُ الْكِتَابِ﴾ (أي : اليهود والنصارى).

قوله : ﴿لِمَ تُحَاجُّونَ﴾ (أي : يُحَاجُّ بِعُضُكُم بَعْضًا، وَالِاسْتِفْهَامُ تَوْبِيخِيٌّ إِنْكَارِيٌّ).

قوله : ﴿فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ (أي : فِي دِينِهِ، فَهُوَ عَلَى حَذْفٍ مضاف، وَإِلَيْهِ يُشِيرُ الْمَفْسَّرُ بِقَوْلِهِ : (بزعمكم أنه على دينكم)).

قوله : (بزمن طويل) أي : فَكَانَ بَيْنَ التَّوْرَةِ وَإِبْرَاهِيمَ أَلْفُ سَنَةٍ، وَبَيْنَ الْإِنْجِيلِ أَلْفَا سَنَةٍ وَتِسْعُ مِائَةٍ وَخَمْسَةٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً.

قوله : (وبعد نزولهما... إلخ) بهذا التقدير تَمَّتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ، فَالْمَعْنَى : أَنَّ الْمَانِعَ مِنْ كَوْنِهِمْ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ تَغْيِيرُهُمْ وَتَبْدِيلُهُمْ، وَإِلَّا... فَلَوْ تَمَسَّكُوا بِالتَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ حَقِيقَةً لَمَا اخْتَلَفُوا، وَلَكَانُوا عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ.

قوله : (حدثت اليهودية والنصرانية) أي : اللَّتَانِ ابْتَدَعُوهُمَا، حَيْثُ غَيَّرُوا التَّوْرَةَ وَسَمَّوْهَا الْيَهُودِيَّةَ، وَغَيَّرُوا الْإِنْجِيلَ وَسَمَّوْهُ النَّصْرَانِيَّةَ.

أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَآأَنْتُمْ هَآؤِلَآءِ حَآجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بطلان قولكم؟

﴿٦٦﴾ هَا - لِلتَّسْبِيهِ - ﴿أَنْتُمْ﴾ - مُبْتَدَأٌ - يَا ﴿هَآؤِلَآءِ﴾، - وَالْخَبَرُ: - ﴿حَآجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ مِنْ أَمْرِ مُوسَى وَعِيسَى، وَزَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ عَلَى دِينِهِمَا، ﴿فَلِمَ تُحَآجُونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ مِنْ شَأْنِ إِبْرَاهِيمَ؟ ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ شَأْنُهُ ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ هُ.

﴿٦٧﴾ قَالَ تَعَالَى تَبَرُّؤُهُ لِإِبْرَاهِيمَ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا﴾: مَائِلًا عَنِ الْأَدْيَانِ كُلِّهَا إِلَى الدِّينِ الْقَيِّمِ، ﴿مُسْلِمًا﴾: مُوَحِّدًا، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿٦٨﴾ إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ: أَحَقُّهُمْ ﴿بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾﴾ أي: أغفلتم عما زعمتم، فلا تعقلون ما تقولونه؟!

قوله: ﴿﴿هَآأَنْتُمْ﴾﴾ يقرأ إما بآلف وبعدها همزة محققة أو مُسهلة، أو بدون همزة أصلاً، فالقراءات خمسٌ وكلُّها سبعة^(١).

قوله: (من أمر موسى وعيسى) أي: الذي نطقت به التوراة والإنجيل من أنهما عبداً ورسولان لله، يأمران بعبادة الله وحده، ولا يُشركان به غيره.

قوله: (من شأن إبراهيم) أي: لكونه لم يذكر في كتبكم ما كان إبراهيم عليه، فكيف تدعون أنكم على دينه مع جهلكم به؟!

قوله: (إلى الدين القيم) أي: المستقيم الذي لا اعوجاج فيه.

قوله: (موحداً) أي: منقاداً ممثلاً أو امر ربّه، مجتنباً نواهيه.

قوله: ﴿﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾﴾ أي: معه غيره.

قوله: ﴿﴿لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾﴾ زيدت اللام للتقوية، وهي لام الابتداء، رُحِّلَتْ للخبر كما قال

في «الخلاصة»: [الرجز]

(١) قرأ الكوفيون وابن عامر والبري بآلف بعد الهاء وتحقيق همزة (أنتم)، وقرأ نافع وأبو عمرو ويعقوب بهاء بعدها ألف بعدها همزة مسهلة بين بين، وأبدل أناس هذه الهمزة ألفاً محضة لورش. انظر «البحر المحيط» (٥١٠/٢).

وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّتْ طَآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ
وَمَا يُضِلُّوكُمْ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾

في زمانه، ﴿وَهَذَا النَّبِيُّ﴾ مُحَمَّدٌ؛ لِمُوَافَقَتِهِ لَهُ فِي أَكْثَرِ شَرْعِهِ، ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ مِنْ أُمَّتِهِ،
فَهُمُ الَّذِينَ يَنْبَغِي أَنْ يَقُولُوا: نَحْنُ عَلَى دِينِهِ لَا أَنْتُمْ، ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾: نَاصِرُهُمْ
وَحَافِظُهُمْ.

﴿٦٩﴾ وَنَزَلَ لَمَّا دَعَا الْيَهُودَ مُعَاذًا وَحُذِيفَةً وَعَمَّارًا إِلَى دِينِهِمْ: ﴿وَدَّتْ طَآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّوكُمْ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾ لِأَنَّ إِيْثْمَ إِضْلَالِهِمْ عَلَيْهِمْ، وَالْمُؤْمِنُونَ
لَا يُطِيعُونَهُمْ فِيهِ، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بِذَلِكَ.

حاشية الصاوي

وَبَعْدَ ذَاتِ الْكُسْرِ تَضَحُّبُ الْحَبَرِ لَامُ ابْتِدَاءِ نَحْوٍ: إِنِّي لَوَزَرٌ^(١)

قوله: (في زمانه) أي: وهم أولاده، كإسماعيل وإسحاق ويعقوب وأولادهم إلى يوم القيامة،
قال تعالى: ﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَيْنَهُ وَيَعْقُوبُ...﴾ [البقرة: ١٣٢] الآية.

قوله: (لموافقته له في أكثر شرعه) أي: فعقائد محمد التي هو عليها لا تخالف ما قصه الله
في كتابه عن إبراهيم، إذا علمت ذلك فالمناسب للمفسر أن يقول: لموافقته له في الأصول، أو يقال:
إن الموافقة في الفروع من حيث السهولة؛ فإن شريعة محمد سهلة نهلة كشريعة إبراهيم، لا كشريعة
موسى؛ فإنها صعبة التكاليف بسبب عناد بني إسرائيل، وهذا هو محمل المفسر.
قوله: (من أمته) أي: أمة محمد ﷺ.

قوله: (ناصرهم) أي: على أعدائهم، وقوله: (وحافظهم) أي: وافيهم من عدوهم.
قوله: ﴿وَدَّتْ﴾ أي: أحبَّتْ، و﴿لَوْ﴾: مصدرية، والمعنى: أحبَّتْ جماعة من اليهود
والنصارى إضلالكم؛ أي: رجوعكم من الإسلام إلى الكفر، وكانوا يتودّدون إليهم بالهدايا.
قوله: (لأن إثم إضلالهم عليهم) أي: لأن الدالّ على الشرّ كفاعله، ويؤخذ من ذلك: أن المقوي
لشوك الكفر بالشبه الباطلة والحجج العاطلة.. عليه إثم كفره وإثم كفر من تبعه إلى يوم القيامة.
قوله: (بذلك) أي: بكون إثم الضلال لاحقاً بهم؛ لِقِسَاوَةِ قُلُوبِهِمْ، فلم يعرفوا أنهم لا يضرّون
إلا أنفسهم.

(١) «الخلاصة»، باب: (إن وأخواتها)، والوزر: الملجأ.

يَتَّاهِلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَتَّاهِلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْسُوتُ
الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي
أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامِنُوا

﴿٧٠﴾ يَتَّاهِلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ: القرآن المشتمل على نعت محمد ﷺ،
﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾: تعلمون أنه الحق؟

﴿٧١﴾ يَتَّاهِلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْسُوتُ: تَخْلِطُونَ ﴿الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾: بالتحريف والتزوير،
﴿وَتَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ﴾: أي: نعت النبي ﷺ ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أنه حق؟

﴿٧٢﴾ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ: الْيَهُودِ لِبَعْضِهِمْ: ﴿ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ
ءَامِنُوا﴾: أي: القرآن

حاشية الصاوي

قوله: (القرآن المشتمل على نعت محمد) أي: وقيل: هي التوراة والإنجيل؛ فإنهما مُشتملان
على نعته أيضاً، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي
التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ...﴾ [الأعراف: ١٥٧] الآية.

قوله: (تعلمون أنه حق) أي: التوراة والإنجيل.

قوله: ﴿الْحَقِّ﴾ أي: وهو نعت محمد وأصحابه المذكور في التوراة والإنجيل، وقوله:
﴿بِالْبَاطِلِ﴾ أي: وهو التغيير لتلك النعوت.

قوله: (بالتحريف والتزوير) أي: الكذب في تلك الصفات.

قوله: (أنه حق) أي: أنه نبي حق، وما جاء به من عند ربه حق.

قوله: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ﴾ شروع في بيان تلبسات اليهود، ورد: أنه اجتمع اثنا عشر من أحبار
خير، وأجمع رأيهم على أنهم يُظهرون الإسلام في أول النهار، وفي آخره يرجعون لدينهم، ويأمرون
الناس بذلك، وقصدتهم بذلك دخول الشك على من آمن به ﷺ، فلما أجمعوا وصمموا على ذلك..
جعل الله كيدهم في نحورهم، ولم يفعلوا شيئاً من ذلك، ولو فعلوه لعاد شؤمهم عليهم، وقتلوا إن لم
يتوبوا؛ لأن المرتد لا يبقى على ردة؛ ﴿فَمَنْ نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ [الفتح: ١٠].

قوله: ﴿ءَامِنُوا﴾ أي: صدقوا ظاهراً باللسان.

قوله: (أي: القرآن) هذا هو المشهور في تفسير الآية، وقيل: الذي أنزل على الذين آمنوا

وَجَهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا بِآخِرِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تَوْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ

﴿وَجَهَ النَّهَارِ﴾: أَوَّلُهُ، ﴿وَكَفَرُوا﴾ بِهِ ﴿بِهِ﴾ لَعَلَّهُمْ ﴿يَرْجِعُونَ﴾ عَنْ دِينِهِمْ؛ إِذْ يَقُولُونَ: مَا رَجَعَ هَؤُلَاءِ عَنْهُ بَعْدَ دُخُولِهِمْ فِيهِ - وَهُمْ أَوَّلُو عِلْمٍ - إِلَّا لِعِلْمِهِمْ بِطُلَانِهِ. ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا أَيْضاً: ﴿وَلَا تَوْمِنُوا﴾: تُصَدِّقُوا ﴿إِلَّا لِمَنْ﴾ - اللَّامُ زَائِدَةٌ - ﴿تَبَعَ﴾: وَافَقَ ﴿دِينَكُمْ﴾، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ يَا مُحَمَّدٌ: ﴿إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾ الَّذِي هُوَ الْإِسْلَامُ، وَمَا عَدَاهُ ضَلَالٌ،

حاشية الصاوي

هو: القبلة حين أمر النبي بالتحول للكعبة ثانياً بعد استقباله بيت المقدس، فحصل لليهود غيظٌ وحزنٌ عظيم، فأجمع رأيهم على موافقة المؤمنين أول النهار ومخالفتهم آخره، لعله يحصل الشك لأصحابه فيرجعوا عن دينهم.

قوله: (أَوَّلُهُ) أشار بذلك إلى أن ﴿وَجَهَ النَّهَارِ﴾ ظرفُ زمانٍ لقوله: ﴿يَرْجِعُونَ﴾.

قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (علّة لقوله: ﴿يَرْجِعُونَ﴾ بِالَّذِي أَنْزَلَ... إلخ.

قوله: (إِذْ يَقُولُونَ) علّة للعلّة.

قوله: ﴿وَلَا تَوْمِنُوا﴾ هذا من جملة تلبيساتهم، وحاصل إعراب هذه الآية أن يقال: (لا): ناهية، و﴿تَوْمِنُوا﴾: مجزوم بها، وعلامة جزمه حذف النون، والواو: فاعل، وقوله: ﴿أَنْ يُؤَقَّ﴾: حرف مصدري ونصب، و﴿يُؤَقَّ﴾: منصوبٌ بها، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر، وهو في تأويل مصدر معمول لقوله: ﴿وَلَا تَوْمِنُوا﴾، و﴿أَحَدٌ﴾: نائبُ فاعل ﴿يُؤَقَّ﴾، وهو مفعول أول له، و﴿مِثْلُ﴾: مفعول ثانٍ، وقوله: ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء، و﴿لِمَنْ﴾: اللام زائدة، و﴿مَنْ﴾: منصوب على الاستثناء، والمستثنى منه قوله: ﴿أَحَدٌ﴾، و﴿مَا﴾: اسم موصول، و﴿أُوتِيْتُمْ﴾: صلتها، والعائدُ محذوف، والمعنى: لا تصدّقوا إتيانَ أحدٍ من الفضائل والكمالات مثل الذي أُوتِيْتُمُوهُ إِلَّا مَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ، وَأَمَّا مَنْ لَمْ يَتَّبِعْهُ كَمُحَمَّدٍ... فلا تُصَدِّقُوهُ، وهذا الوجه وإن كان صحيحاً من جهة المعنى إلا أنه مشكّلٌ من جهة الصناعة؛ لأن فيه تقديم المستثنى على المستثنى منه، ومعمول الصلة عليها^(١).

(١) والخلاف الإعرابي في هذه الآية كبير، أورد العلامة السمين في «الدر المصون» (٣/٢٥٧) تسعة أوجه فيه.

أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ

- والجُمْلَةُ اعْتِرَاضٌ - ﴿أَنْ﴾ أي: بِأَنْ ﴿يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ وَالْفَضَائِلِ، - و﴿أَنْ﴾ مَفْعُولٌ ﴿تُؤْمِنُوا﴾، وَالْمُسْتَشْنَى مِنْهُ ﴿أَحَدٌ﴾ قُدِّمَ عَلَيْهِ الْمُسْتَشْنَى - الْمَعْنَى: لَا تُقَرُّوا بِأَنْ أَحَدًا يُؤْتَى ذَلِكَ إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ، ﴿أَوْ﴾ أَنْ ﴿يُحَاجُّوكُمْ﴾ أي: الْمُؤْمِنُونَ: يَغْلِبُوكُمْ ﴿عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ لِأَنَّكُمْ أَصَحُّ دِينًا، - وَفِي قِرَاءَةٍ: (أَنَّ) بِهَمْزَةِ التَّوْبِيخِ حَاشِيَةُ الصَّوَابِ

قوله: (والجملة اعتراض) أي: بين العامل والمعمول.

قوله: (و﴿أَنْ﴾ مفعول ﴿تؤمنوا﴾) أي: مع صلتها.

قوله: (والمعنى: لا تقرّوا... إلخ) إيضاحه: أنهم قالوا: انظروا فيمن ادّعى شيئاً من النبوة والفضائل والكمالات، فإن كان متبعاً لدينكم فصدّقوه، وإلا... فكذبوه، والمناسب للمفسّر أن يقول: والمعنى: لا تصدّقوا... إلخ، وحاصل المعنى الذي أشار له المفسّر: أنه ضَمَّنَ (تؤمنوا) معنى (تقرّوا)، فتكون اللام أصلية، والمستثنى منه محذوف تقديره: لأحد، والمعنى: لا تقرّوا ولا تعترفوا لأحد بأنه يُؤْتَى أحدٌ مثل الذي أُوتِيتُموه من الفضائل والكمالات إلا لشخص اتّبع دينكم، وهذا كله كناية عن نفي النبوة عن محمد ﷺ، وهذا المعنى صحيح من جهة العربية والمعنى، والمفسّر من شدة اختصاره خلط هذا التقرير بالتقرير المتقدم، وقد علّمتهما.

قوله: ﴿أَوْ يُحَاجُّوكُمْ﴾ معطوفٌ على ﴿يُؤْتَى﴾، والضمير عائذٌ على ﴿أَحَدٌ﴾ المتقدم، وإنما جمعه؛ لأنَّ أحدًا في معنى الجمع، والمعنى على الأول: لا تصدّقوا أن أحدًا يُحَاجُّكُمْ ويغلبكم عند ربكم يوم القيامة إلا مَنْ تَبَعَ دينكم، وأما من لم يتبعه فلا حجة له عليكم، وعلى الثاني: لا تقرّوا بأن أحدًا يَغْلِبُكُمْ ويحَاجُّكُمْ عند ربكم إلا لمن تَبَعَ دينكم، وأما غيره فلا تقرّوا ولا تعترفوا له بذلك. قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعة لابن كثير، لكن بتسهيل الثانية.

قوله: (بهزمة التوبيخ) أي: الاستفهام التوبيخي، والكلام قد تمّ قبل الاستفهام، والمستثنى منه محذوفٌ على كلا التقديرين المتقدمين، والمعنى: لا تصدّقوا أحدًا في دعواه النبوة والفضائل إلا من تَبَعَ دينكم، أو: لا تقرّوا لأحد من الناس أنه على هدى وخير إلا لمن تَبَعَ دينكم.

وقوله: ﴿قُلْ إِنْ أَلْهَدَىٰ هُذَىٰ اللَّهُ﴾ ردٌّ لمقالتهم، وجملته الاستفهام: استثنائية، فالمعنى: أيؤتى أحدٌ مثل الذي أُوتِيتُموه أو يكون له مُحَاجَّةٌ عند ربكم؟ وجوابه: لا يكون ذلك، وهو استبعادٌ منهم لفضل الله.

قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن إِنْ تَأَمَّنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ

أي: أيتاء أحدٍ مثله تُقرُّونَ به؟ - قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ فمن أين لكم أنه لا يُؤْتِي أحدٌ مثل ما أوتيتُمْ؟ ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ كثير الفضل، ﴿عَلِيمٌ﴾ بِمَن هو أهله.

﴿٧٤﴾ يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ.

﴿٧٥﴾ وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن إِنْ تَأَمَّنْهُ بِقِنْطَارٍ﴾ أي: بِمَالٍ كَثِيرٍ ﴿يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ لِأَمَانَتِهِ، كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ،

حاشية الصاوي

قوله: (أي: أيتاء أحد... إلخ) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿أَنْ يُؤَدِّهِ﴾ في تأويل مصدر مبتدأ، خبره محذوف، تقديره: تقرُّون به.

قوله: ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ﴾ ردُّ عليهم حيث استبعدوا أن الله لا يُؤْتِي أحدًا مثل ما آتاهم من الفضل والنبوة، وفي الحقيقة هو ردُّ لدعواهم من أولها إلى آخرها.

قوله: ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ أي: فيُعْطِيه لمن يشاء.

قوله: ﴿وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ شروعٌ في بيان قبائحهم في أمور الدنيا بعد أن ذكر قبائحهم في أمور الدين، والجار والمجرور: خبرٌ مقدَّم، و﴿مَنْ﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة، مبتدأ مؤخر، وقوله: ﴿إِنْ تَأَمَّنْهُ﴾ و﴿يُؤَدِّهِ﴾ جملة شرطية؛ إما صِلَةٌ، أو صفة، وراعى في أفراد الضمير في ﴿تَأَمَّنْهُ﴾ لفظ ﴿مَنْ﴾، ولو راعى معناها لقال: تأمَّنهم.

قوله: (أي: بمال كثير) أشار بذلك إلى بيان شأن هذا المؤمن وإن كان سببُ النزول في قِنْطَارٍ حقيقة، فالمقصود: بيانُ شرفه من جهة الأمانة، فلا مفهوم للقِنْطَارِ، بل لو ائتمن على قناطيرٍ مُتعددة.. لم يَخُنْهُ فيها^(١).

قوله: ﴿يُؤَدِّهِ﴾ يقرأ بالسكون وبالكسر مع الإشباع وتركه، فهي ثلاثٌ سبعيات^(٢).

(١) فقد روى البغوي في «تفسيره» (٤٥٨/١) كما سيأتي أن عبد الله بن سلام رضي الله عنه استودع ألفاً ومئتي أوقية من ذهب فأذاها لصاحبها، واستودع فنخاص بن عازوراء ديناراً فخان ولم يؤد.

(٢) قرأ حمزة وأبو عمرو وشعبة: (يؤدّه) و(لا يؤدّه) بإسكان الهاء، فهو وصل بنية الوقف، وقالون باختلاس حركة الهاء، وحفص والكسائي بالحركة الكاملة. انظر «السراج المنير» (٢٢٦/١).

وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأَمَّنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمْنِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ

أودعه رجل ألفاً ومائتي أوقية ذهباً فأدّاها إليه، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأَمَّنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ لـخِيَانَتِهِ، ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ لا تُفَارِقُهُ، فمَتَى فَارَقْتَهُ أَنْكَرُهُ، ككَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ، اسْتَوَدَعَهُ قُرَشِيٌّ دِينَاراً فَجَحَدَهُ، ﴿ذَلِكَ﴾ أَي: تَرَكُ الْأَدَاءَ ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا﴾ بِسَبَبِ قَوْلِهِمْ: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمْنِ﴾ أَي: الْعَرَبِ ﴿سَبِيلٌ﴾ أَي: إِثْمٌ؛ لِاسْتِحْلَالِهِمْ ظُلْمَ مَنْ خَالَفَ دِينَهُمْ، وَنَسَبُوهُ إِلَيْهِ تَعَالَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ فِي نِسْبَةِ ذَلِكَ إِلَيْهِ حاشية الصاوي

قوله: (أودعه رجل) أي: قُرَشِيٌّ.

قوله: ﴿بِدِينَارٍ﴾ (أصله: دِينَار بنونين، قلبت الأولى ياءً؛ دفعاً للثقل، والباء في قوله: ﴿بِدِينَارٍ﴾ و﴿بِقِنطَارٍ﴾ بمعنى: في، وهو على حذف مضاف؛ أي: في حفظ قنطار، وفي حفظ دينار، ويصح أن تكون بمعنى: على؛ لـتَعْدِي الْأَمَانَةِ بِهَا فِي الْقُرْآنِ كَثِيرًا؛ نَحْو: ﴿لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ﴾ [يوسف: ١١]، ﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ﴾ [يوسف: ٦٤]، والدينارُ: أربعة وعشرون قيراطاً، والقيراط وزنُهُ ثلاث شعيرات، فوزن الدينار بالشعير اثنان وسبعون شعيرة.

قوله: ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ (ما): مصدرية ظرفية، و(دام): فعل ماضٍ، والتاء: اسمها، و﴿قَائِمًا﴾: خبرها، والتقدير: إِلَّا مَدَّةَ دَوَامِهِ قَائِمًا عَلَيْهِ، والمعنى: لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ إِلَّا فِي حَالٍ مَلَازِمَتِكَ لَهُ وَإِشْهَادِكَ عَلَيْهِ.

قوله: (فجحدته) أي: أَنْكَرَهُ^(١).

قوله: (أي: بسبب قولهم) أشار بذلك إلى أن الباء سببية، و(أن) وما دخلت عليه: في تأويل مصدر مَجْرُورٍ بِالْبَاءِ.

قوله: (أي: العرب) أي: وَغَيْرَهُمْ مِمَّنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ كِتَابِهِمْ^(٢).

قوله: (لاستحللهم ظلم من خالف دينهم... إلخ) رُوي: أَنَّهُمْ قَالُوا: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاءُهُ،

(١) قيل: الجاحد هو فنخاص كما سبق، وقيل: كعب بن الأشرف كما أورده المصنف هنا. انظر «تفسير القرطبي» (١١٥/٤).

(٢) اختار الإمام الرازي أنهم يستحلون ما للعرب خاصة، بل هو قول عامة المفسرين، أو أنهم يرون أن من انتقل من دين باطل إلى دين باطل بزعمهم كان في حكم المرتد. انظر «مفاتيح الغيب» (٢٦٤/٨).

وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ.

﴿٧٦﴾ ﴿بَلَى﴾ عَلَيْهِمْ فِيهِمْ سَبِيلٌ، ﴿مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ﴾ الذي عَاهَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ، أَوْ بِعَهْدِ اللَّهِ إِلَيْهِ مِنْ أَدَاءِ الْأَمَانَةِ وَغَيْرِهِ، ﴿وَاتَّقَى﴾ اللَّهُ بِتَرْكِ الْمَعَاصِي وَعَمَلِ الطَّاعَاتِ، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾، - فِيهِ وَضْعُ الظَّاهِرِ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ - أَي: يُحِبُّهُمْ بِمَعْنَى: يُشَبِّهُهُمْ.

حاشية الصاوي

وجميع ما في الأرض مُلْكٌ لَأَيُّنَا، وأولاد السيّد يتصرّفون في ملك أبيهم، وقيل: إنهم قالوا: المأل لنا وظلمنا فيه العرب، وقيل: إنهم قالوا: إن الله أباح لنا مال من خالف ديننا، وادّعوا أن ذلك في التوراة، وردّ: أن النبيّ لما قالوا ذلك قال: «كذبوا، ما من شيء إلا وهو تحت قدمي - يعني: منسوخ - ما عدا الأمانة؛ فإنها مؤداة للبرّ والفاجر»^(١).

قوله: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ هذا بالنسبة لعلمائهم، وما عداهم مُقلّدون لهم في ذلك.

قوله: ﴿بَلَى﴾ إضرابٌ إبطالي، وهو مغني عن جملة قدرها المفسّر بقوله: (عليهم فيهم سبيل).

قوله: ﴿مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ﴾ جملة مستأنفة مؤكدة للإبطال الأول.

قوله: (الذي عاهد الله عليه) أي: فهو من إضافة المصدر لفاعله، وقوله: (أو بعهد الله إليه) أي: فهو من إضافة المصدر لمفعوله، فكلٌّ من العبد والمولى معاهدٌ ومعاهد، فعهدُ الله للعبد: إثابته، وعهدُ العبد لمولاه: عدمُ مخالفته له.

قوله: (من أداء الأمانة... إلخ) ورد في الحديث: «أربعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ منافقاً خالصاً، ومن كان فيه واحدةٌ منهم كان فيه خصلةٌ من النفاق حتى يدّعيها؛ إذا أوّتمن خان، وإذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»^(٢).

قوله: (فيه وضع الظاهر موضع المضمّر) أي: وكان مقتضى الظاهر أن يقول: فإن الله يحبُّه، وفيه أيضاً مراعاةٌ معنى (مَنْ).

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣٧١٢)، والطبري في «تفسيره» (٥٢٢/٦) من حديث سعيد بن جبیر مرسلًا.

(٢) تبع المصنف شيخه الجمل في «الفتوحات» (٢٩٠/١) بجمعه بين روايات الحديث، وقد رواه البخاري (٣٤) ولم يذكر: «إذا وعد أخلف»، ورواه (٢٤٥٩) ولم يذكر: «إذا أوّتمن خان» من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾

﴿٧٧﴾ ونَزَلَ فِي الْيَهُودِ لَمَّا بَدَّلُوا نَعْتَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَهْدَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ فِي التَّوْرَةِ، وَفِي مَنْ حَلَفَ كَاذِبًا فِي دَعْوَى أَوْ فِي بَيْعِ سِلْعَةٍ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ﴾: يَسْتَبَدِّلُونَ ﴿بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ إِلَيْهِمْ فِي الْإِيمَانِ بِالنَّبِيِّ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ ﴿وَأَيْمَانِهِمْ﴾: حَلْفِهِمْ بِهِ تَعَالَى كَاذِبِينَ ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ مِنَ الدُّنْيَا، ﴿أُولَٰئِكَ لَا خَلْقَ﴾: نَصِيبَ ﴿لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ غَضَبًا عَلَيْهِمْ، ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾: يَرْحَمُهُمْ ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾: يُطَهِّرُهُمْ، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤْلِمٌ.

حاشية الصاوي

قوله: (لما بدلوا...) إلخ) شروع في سبب نزول الآية، وقد ذكره على ثلاثة أوجه.

قوله: (نعت النبي) من الجماعة الذين بدلوا نعتة حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف.

قوله: (في دعوى) أي: كانت بين رجلين في بئر، أحدهما الأشعث بن قيس، فاختصما إلى النبي ﷺ، فقال له: «شاهدك أو يمينه»، فقال الأشعث بن قيس: إذا يحلف كاذباً ولا يُبالي! ^(١)

وقوله: (أو بيع سلعة) أي: فيمن أراد بيعها وحلف لقد أعطي فيها كذا كاذباً.

قوله: ﴿بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ الباء داخلة على المتروك؛ أي: يتركون الوفاء به في نظير الثمن القليل.

قوله: ﴿أُولَٰئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ﴾ أي: فهم مخلدون في النار إن استحلوا ذلك.

قوله: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ (إن قلت: إن قوله تعالى في سورة (المؤمنون): ﴿قَالَ أَخْسُوا فِيهَا وَلَا

تَكَلِّمُونِ...﴾ [المؤمنون: ١٠٨] الآية يقتضي أن الله يقع منه كلام لهم، فكيف الجمع بين الآيتين؟!

أجيب: بأن قوله تعالى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ أي: كلام رضاً، فلا ينافي أنه يكلمهم كلام

غضب، أو لا يكلمهم أصلاً، وآيات الكلام على لسان الملائكة، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿وَنَادَا

يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧].

قوله: ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ أي: نظر رحمة، وإلا... فهو ناظر لكل شيء.

قوله: (يطهرهم) أي: من الذنوب، ولا يُثني عليهم، وهذا استخفاف بهم.

(١) رواه البخاري (٢٥١٥) من حديث ابن مسعود ؓ، والأشعث صحابي تخلل إيمانه ردة.

وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ

﴿٧٨﴾ (وَإِنَّ مِنْهُمْ) أي: أهل الكتاب ﴿لَفَرِيقًا﴾: طائفة ككعب بن الأشرف، ﴿يَلْوُنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ﴾ أي: يعطفونها بقراءته عن المنزل إلى ما حرّفوه من نعت النبي ﷺ ونحوه؛ ﴿لِتَحْسَبُوهُ﴾ أي: المحرّف ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ الذي أنزله الله،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا﴾ هذا من جملة قبائحهم وتلبساتهم، وأكّدت الجملة بـ(إن) واللام؛ إشارة إلى أن ذلك محققٌ منهم.

قوله: (ككعب بن الأشرف) أدخلت الكاف مالك بن الصيف، وحيي بن أخطب، وأبا ياسر^(١)، وشعبة بن عمرو الشاعر.

قوله: ﴿يَلْوُنَ أَلْسِنَتَهُم﴾ في محلّ نصب صفة لـ(فريقاً)، وقوله: ﴿مِنْهُمْ﴾ متعلّق بمحذوف خبر (إن)، وراعى في الجمع معنى ﴿فَرِيقًا﴾؛ لأنه اسم جمع كـ(رهط وقوم)، قال بعضهم: ويجوز مراعاة اللفظ، و﴿أَلْسِنَتَهُم﴾: جمع لسان، وهذا على أنه مذكّر، وأما على أنه مؤنث فهو جمع لألسن كـ(ذراع وأذرع)^(٢)، والمراد من الألسنة: الكلام؛ ففيه إطلاق الشيء على آليته، والباء في ﴿بِالْكِتَابِ﴾ بمعنى (في) أي: يلفتون ألسنتهم في حال قراءة الكتاب^(٣).

قوله: (أي يعطفونها) أي: يلفتونها.

قوله: (عن المنزل) متعلّق بـ(يعطفونها)، وكذا قوله: (إلى ما حرّفوه)، وقوله: (من نعت النبي) بيان لـ(ما).

قوله: (ونحوه) أي: كآية الرجم وغيرها ممّا يشهد للنبي بالتصديق.

قوله: ﴿لِتَحْسَبُوهُ﴾ أي: أيّها المؤمنون، فالمقصود من ذلك: إدخال اللبس على المؤمنين.

قوله: ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ في محلّ نصب مفعول ثانٍ لـ﴿تَحْسَبُوهُ﴾، والهاء: مفعول أول.

(١) في النسخ: (أبي بن ياسر)، والتصحيح من «تفسير البغوي» (١/١٧١)، وهو أبو ياسر بن أخطب أخو حبي.

(٢) كذا في النسخ، والمراد: إن اعتبرنا كلمة (لسان) مؤنثة فيكون جمعها ألسن، أو مذكرة فجمعها ألسنة، وانظر «لسان العرب» (ل س ن).

(٣) يأتي اللّي بمعنى اللفت والفتل.

وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ

﴿وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ.

﴿٧٩﴾ وَنَزَلَ لِمَا قَالَ نَصَارَى نَجْرَانٍ: (إِنَّ عَيْسَى أَمَرَهُمْ أَنْ يَتَّخِذُوهُ رَبًّا)، أَوْ لِمَا طَلَبَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ السُّجُودَ لَهُ ﷺ: ﴿مَا كَانَ﴾: يَنْبَغِي ﴿لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ﴾ أَي: الْفَهْمَ لِلشَّرِيعَةِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ (أي: لا في الواقع، ولا في اعتقادهم، وأظهر في محل الإضمار في الموضوعين؛ زيادةً في التبكيت عليهم).

قوله: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (الواو: للحال، وقوله: (أنهم كاذبون) إشارة إلى مفعول ﴿يَعْلَمُونَ﴾).

قوله: (ونزل لما قال نصارى نجران) أي: حين قدموا على النبي ﷺ، فالمراد بالبشر على هذا: هو عيسى، وبالكتاب: الإنجيل^(١)، وقوله: (أو لما طلب بعض المسلمين... إلخ) (أو): لتنويع الخلاف، فالمراد بالبشر على ذلك: هو محمد ﷺ، وبالكتاب: القرآن، وآخر الآية يؤيد هذا السبب^(٢).

قوله: ﴿مَا كَانَ﴾ (إلخ) هذه الصيغة يؤتى بها للنفي العام الذي لا يجوز عقلاً ثبوته، وهو المراد هنا، وكذلك قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لَكُمُ أَنْ تُتْبِتُوا شَجَرَهَا﴾ [النمل: ٦٠] أي: لا يمكن ولا يتصور عقلاً دعوى الألوهية من نبي قط، ويؤتى بها للنفي الخاص؛ كقول أبي بكر: (ما كان لابن أبي قحافة

(١) أورده البغوي في «تفسيره» (٤٦٢/١).

(٢) أخرج عبد بن حميد - كما في «الدر المنثور» (٢٥٠/٢) - عن الحسن بلاغاً: أن رجلاً قال: يا رسول الله، نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض، أفلا نسجد لك؟ قال: «لا»، ولكن أكرموا نبيكم، واعرفوا الحق لأهله، فإنه لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله»، فأنزل الله الآية.

وروى أحمد في «المسند» (٢٢٧/٥) عن معاذ بن جبل أنه لما رجع من اليمن قال: يا رسول الله؛ رأيت رجلاً باليمن يسجد بعضهم لبعض، أفلا نسجد لك؟ قال: «لو كنت أمراً بشراً يسجد لبشر». لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، وطلبهم للسجود له ﷺ محمول على المبالغة في التعظيم، والنهي لأنه قد يبلغ العبادة.

وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ
تُعَلِّمُونَ

﴿وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ﴾ يَقُولُ: ﴿كُونُوا رَبَّيْنَ﴾: عُلَمَاءُ
عَامِلِينَ، - مَنْسُوبٌ إِلَى الرَّبِّ بِزِيَادَةِ أَلِفٍ وَنُونٍ تَفْخِيمًا - ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعَلِّمُونَ﴾ - بِالتَّخْفِيفِ
وَالتَّشْدِيدِ -

حاشية الصاوي

أَن يَتَقَدَّمَ فِي الصَّلَاةِ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(١) أَي: مَا يَنْبَغِي لَهُ ذَلِكَ، فَقَوْلُ الْمَفْسَّرِ: (يَنْبَغِي)
أَي: يُمْكِنُ، وَقَدْ فَسَّرَهُ الْمُحَلِّيُّ فِي سُورَةِ (يَس) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾
[يس: ٤٠] بِذَلِكَ.

قَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ يَقُولُ﴾ مَعْطُوفٌ عَلَى (يُؤْتِي)، وَهَذَا الْعَطْفُ لَازِمٌ يَتَوَقَّفُ صِحَّةُ الْمَعْنَى عَلَيْهِ، لِأَنَّ
مَصَبَّ النِّفْيِ الْمَعْطُوفِ وَالْمَعْطُوفُ عَلَيْهِ.

قَوْلُهُ: ﴿لِلنَّاسِ﴾ أَي: أُمَّةٌ مُحَمَّدٌ عَلَى الثَّانِي، وَنَصَارَى نَجْرَانٍ عَلَى الْأَوَّلِ.

قَوْلُهُ: ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أَي: مِنْ غَيْرِ أَنْ يَقْصِرَهُمْ عَلَى اللَّهِ؛ بِأَنْ يَشْرَكَ نَفْسَهُ مَعَ اللَّهِ فِي الْعِبَادَةِ،
أَوْ يَفْرِدَ نَفْسَهُ بِالْعِبَادَةِ، وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ حَالٌ مِنَ الْوَاقِعِ فِي ﴿كُونُوا﴾ أَي: حَالٌ كُونَكُمْ مُتَجَاوِزِينَ اللَّهَ
إِشْرَاكَ أَوْ إِفْرَادًا.

قَوْلُهُ: ﴿وَلَكِنْ﴾ اسْتِدْرَاكٌ عَلَى مَا تَقَدَّمَ.

قَوْلُهُ: (بِزِيَادَةِ أَلِفٍ وَنُونٍ) أَي: كَرَقْبَانِي وَشِعْرَانِي وَلِحْيَانِي، وَقَوْلُهُ: (تَفْخِيمًا) أَي: لِلْمَبَالِغَةِ.

قَوْلُهُ: ﴿بِمَا كُنْتُمْ﴾ الْبَاءُ: سَبَبِيَّةٌ.

قَوْلُهُ: (بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ) أَي: فَهَمَّا قَرَاءَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ^(٢)، فَالْعِلْمُ سَبَبٌ لِلْعَمَلِ، فَقَبِيحٌ

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٦٨٤)، وَمُسْلِمٌ (٤٢١) مِنْ حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَتَقْرِيرُ الْمُصَنِّفِ فِي الصُّورَةِ الْأُولَى
اسْتِحَالَةَ دَعْوَى النَّبِيِّ الْأُلُوهِيَّةِ عَقْلًا قَدْ يُقَالُ: دَعْوَى الْأُلُوهِيَّةِ دَاخِلَةً فِي الْكُذْبِ، وَاسْتِحَالَةَ الْكُذْبِ فِي حَقِّ النَّبِيِّ ثَابِتَةً
بِالدَّلِيلِ الشَّرْعِيِّ لَا الْعَقْلِيِّ، وَقِيلَ: دَلِيلُهَا عَقْلِيٌّ؛ لِتَنْزِهِهِ تَعَالَى عَنْ تَصْدِيقِ الْكَاذِبِ، وَهُوَ الْمَسْلُوكُ الَّذِي سَلَكَهُ
الْمُصَنِّفُ فِي «شَرْحِهِ جَوْهَرَةِ التَّوْحِيدِ» (ص ٢٨٣) حَيْثُ قَالَ: (وَلَوْ كَانَ كَاذِبًا لَزِمَ الْكُذْبُ فِي خَبَرِهِ تَعَالَى...،
وَالْكَذْبُ عَلَى اللَّهِ مُحَالٌ)، وَعِنْدَ الْعَلَامَةِ الْبَاجُورِيِّ فِي «تَحْفَةِ الْمُرِيدِ» (ص ٢٠٠، ٢٠٤): أَنَّ اسْتِحَالَةَ ثَبُوتِ
بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ، فَدَلِيلُهَا شَرْعِي لَا عَقْلِي.

(٢) قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَعَاصِمٌ وَحُمَزَةُ وَالْكَسَائِيُّ بِالتَّشْدِيدِ، وَالْبَاقُونَ بِالتَّخْفِيفِ. انْظُرْ «تَفْسِيرَ الْبَغُويِّ» (١/ ٤٦٣).

الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا.....

﴿الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ أي: بِسَبَبِ ذَلِكَ؛ فَإِنَّ فَائِدَتَهُ أَنْ تَعْمَلُوا.

﴿٨٠﴾ ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ﴾ - بِالرَّفْعِ اسْتِثْنَاءً أَي: اللَّهُ، وَالنَّصْبِ عَطْفًا عَلَى ﴿يَقُولُ﴾
أَي: الْبَشَرُ - ﴿أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾ كَمَا اتَّخَذَتِ الصَّابِئَةُ الْمَلَائِكَةَ.....

حاشية الصاوي

على العالم ترك العمل، وأقبح منه أن يرشد الناس ويهديهم مع كونه هو غير مُهْتَدٍ في نفسه، قال بعضهم: [الرجز]

وَعَالِمٌ يَعْلَمُ لَمْ يَعْمَلَنَّ مُعَذِّبٌ مِنْ قَبْلِ عِبَادِ الْوَثْنِ^(١)
فمثلُ العالم الذي يعلمُ الناسَ وهو غير عامل كشَمْعَةٍ موقودة تضيء للناس وتُحْرِقُ نفسها، وفي هذا المعنى قال بعضهم: [المقارب]

أَتَنْهَى النَّاسَ وَلَا تَنْتَهِي مَتَى تَلْحَقُ الْقَوْمَ يَا لُكْعُ؟
وَيَا حَجَرَ السِّنِّ مَا تَسْتَجِي نَسْنَّ الْحَدِيدَ وَلَا تَقْطَعُ^(٢)

قوله: (أي: الله) أشار بذلك إلى أن فاعل (يأمر) ضميرٌ مستتر عائد على الله.

قوله: (قوله: عطفاً على ﴿يَقُولُ﴾) أي: لأنه في حيزِ النفي، وتكون (لا) زائدة لتأكيد النفي، والمعنى: لا يمكنُ لبشرٍ أن يأمر بعبادة الناس له، ولا بعبادة الملائكة والنبيين، وقوله: (أي: البشر) أي: ففاعله ضمير يعود على البشر، ولا يصحُّ كون الفاعل ضميراً يعودُ على الله^(٣).

قوله: ﴿أَرْبَابًا﴾ أي: بل نحبُّهم ونعتقدُ أنهم عبيدٌ مكرمون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، لا يضرون ولا ينفعون؛ فتتوسلُ بهم إلى الله لذلك، لا لكونهم أرباباً.

قوله: (كما اتخذت الصابئة) هم فرقةٌ من اليهود صَبَّؤا - بمعنى: مالوا - عن دين موسى إلى عبادة الملائكة، وقالوا: إنهم بناتُ الله.

(١) من «زيد ابن رسلان» أرجوزة في الفقه الشافعي، ووقع في النسخ: (لن) بدل (لم)، والتصحيح من «غاية البيان» (ص ٤).

(٢) حكاهاما الذهبي في «تاريخ الإسلام» (١٢١/٣٦) من شعر ابن تومرت، وحكاهاما بنحوهما أيضاً الحافظ الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين» (٨/١) لأحمد الغزالي في عظة لأخيه حجة الإسلام صاحب «الإحياء»، واللحج: اللثيم ذليل النفس.

(٣) قرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب بنصب الراء، والباقون بالرفع. انظر «تفسير البغوي» (١/٤٦٣).

أَيَا مُرُكُم بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا

وَالْيَهُودُ غُزِيرًا وَالنَّصَارَى عِيسَى، ﴿أَيَا مُرُكُم بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾؟! لَا يَنْبَغِي لَهُ هَذَا.
﴿٨١﴾ اذْكُرْ ﴿إِذْ﴾: حِينَ ﴿أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾: عَهْدَهُمْ ﴿لَمَّا﴾ - بِفَتْحِ اللَّامِ
لِلْإِبْتِدَاءِ

حاشية الصاوي

قوله: (واليهود غزيراً) أي: حيث رأوه يحفظ التوراة.

قوله: (والنصارى عيسى) أي: حيث رأوه جاء من غير أب، ويحيى الموتى.

قوله: (لا ينبغي له هذا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري تعجبي، نظير قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨].

قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ (إِذْ): ظرفٌ لمحذوف قدره المفسر بقوله: (اذكر)، والمراد: ذكرُ العهد نفسه، لا ذكرُ وقته، والميثاق: هو عهدٌ مؤكَّد باليمين، واختلف فيه: هل كان ذلك في عالم الدُّرِّ، وعليه: يكون قوله: ﴿ءَاتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحَكَمَةٍ﴾ [آل عمران: ٨١] في عالم الأشباح، فالمعاهدة لما يأتي، أو كان ذلك في عالم الأشباح وكانت تلك المعاهدة تنزل في كتبهم، وعليه تكون المعاهدة في الحالة الراهنة؟

واختلف في الرسول المعاهد عليه في جميع الأنبياء؛ فذهب جماعة من الصحابة والتابعين منهم سعيد بن جبير وطاووس إلى أن كلَّ نبيٍّ يعاهد على من يأتي بعده من الأنبياء، فأخذ العهد على آدم إن جاءه رسولٌ مُصدِّقٌ لما معه ليؤمننَّ به وليُنصرنه، وكذلك شيثٌ أخذ عليه العهد، وهكذا إلى إبراهيم إلى موسى إلى بقية أنبياء بني إسرائيل إلى عيسى، فهو ﷺ معاهدٌ عليه مع كلِّ نبيٍّ في عموم الأنبياء، ومع عيسى عُوهْدٌ عليه بالخصوص، وهي حكمة قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ رَسُولِي بِأَنِّي مِنْ بَعْدِي أَنَّهُمْ أَخَذُ﴾ [الصف: ٦].

وذهب جماعة أخرى من الصحابة منهم ابنُ عباس وعليُّ بن أبي طالب والسَّدي وقتادة إلى أن المراد بالرسول المعاهد عليه هو سيدنا محمد ﷺ، فأخذ الله العهد على كلِّ نبيٍّ بانفراده لئن جاءه محمدٌ وهو حيٌّ مُصدِّقٌ لما معه ليؤمننَّ به وليُنصرنه، وعليه: فلو ظهر محمدٌ في زمن أيِّ نبيٍّ من الأنبياء لبطلَ شرعُ ذلك النبي، وكان هو وأُمَّته من أتباعه، واقتصر على هذا القول المفسر.

ءَاتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنَنَّ بِهِ. وَلَتَنْصُرُنَّهُ. قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ

وتوكيد معنى القسم الذي في أخذ الميثاق، وكسرِها مُتعلِّقة بِ﴿أَخَذَ﴾، و(ما) مَوْصُولَةٌ عَلَى الْوَجْهَيْنِ - أي: لِلَّذِي ﴿ءَاتَيْنَاكُمْ﴾ إِيَّاهُ، - وفي قِرَاءَةِ: ﴿ءَاتَيْنَاكُمْ﴾ - ﴿مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ﴾ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ وَهُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ، ﴿لَتُؤْمِنَنَّ بِهِ. وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ - جَوَابُ الْقَسَمِ - إِنْ أَدْرَكْتُمُوهُ، وَأَمُّهُمْ تَبَعَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ، ﴿قَالَ﴾ تَعَالَى لَهُمْ: ﴿ءَأَقْرَرْتُمْ﴾ بِذَلِكَ ﴿وَأَخَذْتُمْ﴾: قَبِلْتُمْ

حاشية الصاوي

قال السبكي: يؤخذ من الآية على هذا التفسير: أنه نبي الأنبياء، وأن الأنبياء نُؤَابَهُ^(١)، والحكمة في تلك المعاهدة: ارتباط أولهم بآخرهم، وبيان عصمتهم من داء الحسد، وظهور الحسد من الأمم التي تكفر بالرسول المبعوث.

قوله: (أو توكيد معنى القسم) أي: مؤكدة لليمين المأخوذ من الميثاق؛ فإنه تقدّم أن معنى الميثاق: عهدٌ مؤكَّدٌ بيمين.

قوله: (متعلقة بِ﴿أَخَذَ﴾) أي: على أنها للتعليل مع حذف مضاف؛ أي: لِرعاية وحفظ ما آتيتكم. قوله: (و(ما): موصولة على الوجهين) وهي على الأول مبتدأ، و﴿ءَاتَيْنَاكُمْ﴾: صلّتها، وقوله: ﴿مِنْ كِتَابٍ﴾ بيان ل(ما)، و﴿وَحِكْمَةٍ﴾: معطوف على ﴿كِتَابٍ﴾، وقوله: ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ﴾ معطوف على ﴿ءَاتَيْنَاكُمْ﴾، و﴿مُصَدِّقٌ﴾: صفة لـ﴿رَسُولٍ﴾، وقوله: ﴿لَتُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾: جواب القسم، وخبرُ المبتدأ محذوف تقديره: تؤمنون به وتنصرونه، والضميران في ﴿لَتُؤْمِنَنَّ بِهِ. وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ راجعان للرسول، واستشكل عود الضمير على الرسول مع أن المبتدأ في الحقيقة الكتاب والحكمة، وانظر ما الجواب؟

قوله: ﴿ءَأَقْرَرْتُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين بآلف بينهما، وتركها وتسهيل الثانية بآلف وبدونها، وبإبدال الثانية ألفاً، فالقراءات خمس^(٢).

(١) القول لتقي الدين السبكي رحمه الله تعالى في «فتاويه» (١/ ٤٠) بتصرف، وقال أيضاً: (وبهذا بان لنا معنى حديثين خفيا عنا؛ أحدهما: «بُعِثَتْ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً»، كُنَّا نَظُنُّ أَنَّهُ مِنْ زَمَانِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَبَانَ أَنَّهُ جَمِيعُ النَّاسِ أَوَّلَهُمْ وَآخِرَهُمْ، وَالثَّانِي: قَوْلُهُ ﷺ: «كُنْتُ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ» كُنَّا نَظُنُّ أَنَّهُ بِالْعِلْمِ، فَبَانَ أَنَّهُ زَائِدٌ عَلَى ذَلِكَ...).

(٢) قرأ قالون وأبو عمرو بتسهيل الهمزة الثانية وآلف بينها وبين الهمزة الأولى، وابن كثير كذلك إلا أنه أدخل ألفاً =

عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوا أَقْرَبْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا ۖ وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ ۖ أَسْلَمَ

﴿عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾: عَهْدِي؟ ﴿قَالُوا أَقْرَبْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا﴾: على أنفسكم وأتباعكم بذلك، ﴿وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾: عليكم وعليهم.

﴿٨٢﴾ ﴿فَمَنْ تَوَلَّى﴾: أَعْرَضَ ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾: الميثاق، ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

﴿٨٣﴾ ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾: -بِالْيَأِ- أي: الْمُتَوَلُّونَ، -وَالتَّاءِ- ﴿وَلَهُ ۖ أَسْلَمَ﴾: انْقَادَ

حاشية الصاوي

قوله: (عَهْدِي) سَمَّى الْعَهْدَ بِالْإِصْرِ؛ لِأَنَّ فِيهِ مَشَقَّةً.

قوله: ﴿قَالُوا أَقْرَبْنَا﴾ جوابٌ عن سؤال تقديره: ماذا قالوا حينئذٍ؟ وثمرةُ المعاهدة على محمد مع علم الله أنه لا يأتي في زمن نبيٍّ من الأنبياء: الثوابُ على العزم بالاتباع، والعقابُ على العزم بعدم الإيمان، فجميعُ الأنبياء يُثابون على الإيمان بمحمد، ومَنْ عَزَمَ على عدم الإيمان به لو ظهر عُوقِبَ.

قوله: ﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ (إِنْ قُلْتَ: إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ مَعْصُومُونَ مِنْ ذَٰلِكَ! أَجِيبْ: بِأَنَّ الشَّرْطِيَّةَ لَا تَقْتَضِي الْوُقُوعَ^(١))، أَوْ خَطَابٌ لَهُمْ وَالْمُرَادُ أَمُّهُمْ.

قوله: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾ (هَذَا رَدٌّ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى؛ حَيْثُ ادَّعَى كُلُّ دِينٍ إِبْرَاهِيمَ، وَاخْتَصَمُوا إِلَى النَّبِيِّ، فَقَالَ النَّبِيُّ: كَلَّا الْفَرِيقَيْنِ بَرِيٌّ مِنْ دِينِ إِبْرَاهِيمَ، وَالْهَمْزَةُ دَاخِلَةٌ عَلَى مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ: أَعْمُوا فَعِيرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ؟! قوله: ﴿وَلَهُ ۖ أَسْلَمَ﴾ جملةٌ حاليةٌ.

= بينهما، ولورش وجهان: أحدهما كابن كثير، والثاني: أنه يبدل الثانية حرف مدٍّ، والباقون بتحقيق الهمزتين من غير دخول ألف بينهما. انظر «السراج المنير» (٢٢٨/١).

(١) قال ابن عرفة في «تفسيره» (٦١٧/٢): (قال أبو حيان: وكل عسى في القرآن للتحقيق يعنون به الوقوع، إلا قوله عز وجل: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكِ﴾، قال ابن عرفة: بل هي أيضاً للتحقيق؛ لما تقدم من أن القضية الشرطية تقتضي صحة ملزومية الجزاء للشرط، ولا تقتضي الثبوت والوقوع، والقضية الحملية تقتضي الثبوت والوقوع).

مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ

﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا﴾ بلا إباء، ﴿وَكْرَهًا﴾ بالسَّيْفِ ومُعَايِنَةٍ مَا يُلْجئُ إِلَيْهِ، ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾؟ - بِالتَّاءِ والياء . والهمزة لِلإِنْكَارِ .-

﴿٨٤﴾ ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ يَا مُحَمَّدٌ: ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿طَوْعًا﴾ راجع لجميع أهل السماء وبعض أهل الأرض، وقوله: ﴿وَكْرَهًا﴾ راجع لبعض أهل الأرض، ف﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾: مصدران في موضع الحال، والتقدير: طائعين وكارهين .
قوله: (ومعاينة ما يلجئ إليه) أي: إلى الإسلام؛ كنتقي الجبل^(١)، وإدراك فرعون وقومه الغرق، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ...﴾ [غافر: ٨٤] الآية.

قوله: (والهمزة لِلإِنْكَارِ) أي: التوبيخي، وقَدَّمَ المفعول؛ لَأَنَّ المقصودَ إنكاره.

قوله: ﴿قُلْ ءَامَنَّا﴾ لَمَّا تَقَدَّمَ أَنَّ الله أَمَرَ الْأَنْبِيَاءَ بِالْإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ عَلَى أَرْجَحِ التفسيرين.. ذكرَ هنا أمره بالإيمان، وأفردَ في قوله: ﴿قُلْ﴾ وجمع في قوله: ﴿ءَامَنَّا﴾؛ لَأَنَّ النَّبِيَّ هو المخاطب بالوحي والتبليغ فقط، وأما الإيمان فمخاطبٌ به هو وأتباعه.

قوله: ﴿بِاللَّهِ﴾ أي: صدَّقنا بأن الله مُتَّصِفٌ بكلِّ كمال، ويستحيل عليه كلُّ نقص.

قوله: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ أي: وهو القرآن، وعَبَّرَ هنا بـ(على) وفي (البقرة) بـ(إلى)؛ لَأَنَّ مَادَّةَ النزول تتعدَّى بهما، غير أنه بالنظر للمبدا يُعدَّى بـ(على) كما هنا؛ لَأَنَّ المخاطبَ بذلك هو الموحى إليه، وهو محمد والأنبياء بعده، وبالنظر لِلْمُنْتَهَى كما في (البقرة) يُعدَّى بـ(إلى)؛ لَأَنَّ المأمورَ بذلك الأمم.

قوله: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ إنما صرَّحَ بأسماء هؤلاء؛ لَأَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ يعترفون بكتبهم ونبوتهم.

قوله: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ﴾... إلخ) أي: وما أُنْزِلَ على هؤلاء من الوحي، وكانوا يتعبدون بشرع

(١) أي: قلعه، كما في الآية: ﴿وَإِذْ نُنَاقِ الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾.

وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾

أولاده، ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ بالتصديق والتكذيب، ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾: مُخلصون في العبادة.

حاشية الصاوي

إبراهيم بوحى من الله، وإسماعيل أبو العرب، وإسحاق أبو العجم، ويعقوب بن إسحاق، والأسباط أولاد يعقوب، وكانوا اثني عشر رجلاً؛ يوسف وأخوته، ويؤخذ من الآية: أنهم أنبياء يجب الإيمان بهم، وهو المعتمد، وما يأتي في سورة (يوسف) من الوقائع العظيمة الموهمة عدم عصمتهم.. فمؤول بأنهم مأمورون بذلك باطناً من حضرة الله؛ كأفعال الخضر عليه السلام، قال تعالى في حقه: ﴿وَمَا فَعَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِئٍ﴾ [الكهف: ٨٢]، ويقال فيهم ما يقال فيه بالأولى؛ فإن المعتمد: أن الخضر ليس بنبي، والأسباط أنبياء على المعتمد، وموافقة ظاهر الشرع إنما تلزم الرسول المشرع، فتأمل^(١). قوله: (أولاده) أي: أولاد يعقوب، فهم أسباط لإبراهيم بمعنى: أولاد بنيه، لا بالمعنى المصطلح عليه وهو أولاد البنت.

قوله: ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى﴾ أي: من التوراة والإنجيل ومعجزاتهما.

قوله: ﴿وَالنَّبِيُّونَ﴾ عطف عام على خاص؛ أي: فيجب الإيمان بالنبیین عموماً، إجمالاً في الإجمالي، وتفصيلاً في التفصيلي، فيجب الإيمان تفصيلاً بخمسة وعشرين نبياً، ثمانية عشر في (الأنعام)، ومحمد وآدم وهود وصالح وشعيب وإدريس وذو الكفل، من أنكر أي واحد منهم بعد علمه.. فقد كفر، ويجب الإيمان إجمالاً بما عدا هؤلاء، ولا يعلم عدتهم إلا الله.

قوله: (بالتصديق والتكذيب) أي: بالتصديق لبعض، والتكذيب للبعض الآخر؛ كما فعلت اليهود والنصارى^(٢).

قوله: (مخلصون في العبادة) أشار بذلك إلى أن المراد بالإسلام هنا: حقيقته، وهو الانقياد الظاهري.

(١) تقدّم طرف من هذا نقلاً عن «شرح الهمزية» لابن حجر الهيتمي. انظر (٢٤٦/١)، وسيأتي في تفسير سورة (الكهف) أنه صحح نبوة الخضر عليه السلام جماعة. انظر (١٦٧/٤).

(٢) فلا يدخل في التفريق تفضيل بعض على بعض كما نطق به الشرع.

وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾

﴿٨٥﴾ وَنَزَلَ فِيمَنْ ارْتَدَّ وَلِحَقَّ بِالْكَفَارِ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾؛ لِمَصِيرِهِ إِلَى النَّارِ الْمُؤَبَّدَةِ عَلَيْهِ.

﴿٨٦﴾ ﴿كَيْفَ﴾ أَي: لَا ﴿يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا﴾ أَي: وَشَهَادَتِهِمْ ﴿أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ وَ﴾ قَدْ ﴿جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾: الْحُجُجُ الظَّاهِرَاتُ عَلَى صِدْقِ النَّبِيِّ، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أَي: الْكَافِرِينَ.

حاشية الصاوي

قوله: (فيمَن ارتدَّ) أي: وهم اثنا عشر، أسلموا بالمدينة، ولحقوا بأهل الكفر في مكة، منهم الحارث بن سويد الأنصاري، ولكنه أسلم بعد ذلك^(١).

قوله: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ﴾ اعْلَمْ: أَنَّ جَمْعَهُ السَّبْعَةُ عَلَى الْفَكِّ؛ لَوْجُودِ الْفَاصِلِ الْحَكْمِيِّ، وَهُوَ الْيَأْيُ الَّتِي حَذَفَهَا الْجَازِمُ؛ لِأَنَّ الْمَحْذُوفَ لَعَلَّةٌ كَالثَّابِتِ، وَقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو فِي أَحَدِ وَجْهَيْهِ بِالْإِدْغَامِ نَظْرًا لِلصُّورَةِ الظَّاهِرَةِ، وَنَظِيرُهُ فِي الْقُرْآنِ كُلُّ مِثْلَيْنِ بَيْنَهُمَا فَاصِلٌ حَكْمِي فَفِيهِ الْوُجْهَانِ؛ نَحْوُ ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ [يوسف: ٩]، ﴿وَإِنْ يَكُ كَذِبًا﴾ [غافر: ٢٨]، وَ(مَنْ): اسْمٌ شَرْطٌ، وَ﴿يَبْتَغِ﴾: فَعْلُهُ، وَ﴿غَيْرَ﴾: مَفْعُولٌ، وَ﴿دِينًا﴾: تَمْيِيزٌ لـ﴿غَيْرَ﴾، أَوْ بَدَلٌ مِنْهُ، أَوْ مَفْعُولٌ، وَ﴿غَيْرَ﴾: حَالٌ؛ لِأَنَّهُ نَعَتْ نَكْرَةً قُدِّمَ عَلَيْهَا.

قوله: ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ﴾ أَي: وَلَا يَقْرُ عَلَيْهِ.

قوله: ﴿كَيْفَ﴾ اسْتِفْهَامٌ إِنْكَارِي بِمَعْنَى النَّفْيِ كَمَا يُشِيرُ لَهُ الْمُفَسِّرُ بِقَوْلِهِ: (أَي: لَا يَهْدِي)، وَقِيلَ: إِنَّهُ اسْتِبْعَادِي؛ أَي: فَهَذَا هُمْ مُسْتَبْعَدٌ، قَالَ الْعَارِفُ الْبُوصِيرِيُّ: [الْخَفِيفُ]

وَإِذَا الْبَيِّنَاتُ لَمْ تُغْنِ شَيْئًا فَالْتِمَاسُ الْهُدَى بِهَيِّئْ عَنَاءُ^(٢)

قوله: (أَي: وشهادتهم) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْفِعْلَ مُؤَوَّلٌ بِاسْمِ لَصِيحَةٍ عَطَفَهُ عَلَى الْاسْمِ الَّذِي هُوَ الْإِيمَانُ.

(١) «تفسير البغوي» (١/٤٦٦).

(٢) من همزته المشهورة، انظر «المنح المكية» (ص ٤٠٢).

أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا

﴿٨٧﴾ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ .

﴿٨٨﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أي: اللعنة، أو النار المدلول بها عليها، ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾: يُمَهَّلُونَ.

﴿٨٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا عَمَلَهُمْ؛ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لَهُمْ، ﴿رَحِيمٌ﴾ بِهِمْ.

﴿٩٠﴾ وَنَزَلَ فِي الْيَهُودِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ بِمُوسَى، ﴿ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا﴾ بِمُحَمَّدٍ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ أي: حتى أهل النار في النار، قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُتَتْ لَعْنَتُ أَخْنَبَا﴾ [الأعراف: ٣٨].

قوله: (أي: اللعنة) أي: ومن لوازمها الخلود في النار، وقوله: (المدلول بها) أي: اللعنة، وقوله: (عليها) أي: النار.

قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ أي: كالحارث بن سويد؛ فإنه لما ارتدَّ وذهب لمكة مع الكفار وأراد الله له الهدى... بعث لأخ له بالمدينة وكان مسلماً يقول له: أخبر رسول الله أني إذا تبَّه هل أقبل؟ فأخبر رسول الله بذلك، فنزلت الآية، وبعثها له بمكة، فأتى طائعا وأسلم وحسن إسلامه^(١)، وهذا شروع في تقسيم الكفار إلى ثلاثة أقسام: قسم منهم كفر ولم يعد، وقسم كفر ثم عاد للإسلام ظاهراً فقط، وقسم كفر ثم أسلم ظاهراً وباطناً.

قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي: الكفر.

قوله: ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم) أي: حيث قبل توبتهم.

قوله: (بعيسى) أي: والإنجيل، وقوله: (بموسى) أي: والتوراة، وقوله: (بمحمد) أي: والقرآن.

(١) تقدَّم بعض الخبر، وقد رواه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (١٧١٨).

لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٩١﴾ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ

﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ إذا غرغروا أو ماتوا كفاراً، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾.

﴿٩١﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ﴾: مقدار ما يملؤها ﴿ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ﴾، - أدخل الفاء في خبر ﴿إِنَّ﴾ ليشبه ﴿الَّذِينَ﴾ بالشرط، وإيذاناً بتسبب عدم القبول عن الموت على الكفر - ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلِّم، ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾: مانعين منه.

﴿٩٢﴾ ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ﴾ أي: ثوابه وهو الجنة، ﴿حَتَّى تُنْفِقُوا﴾: تصدَّقوا ﴿مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ من أموالكم،

حاشية الصاوي

قوله: (إذا غرغروا) أشار بذلك إلى أن الآية مُقَيِّدَةٌ بذلك، وهذا في الكافر، وأما العاصي فتقبل منه عند الغرغرة.

قوله: (أو ماتوا كفاراً) أي: بأن تابوا عند معاينة العذاب.

قوله: ﴿مِلءُ الْأَرْضِ﴾ أي: مشرقاً ومغرباً.

قوله: ﴿ذَهَبًا﴾ تمييز، وخصه بالذكر؛ لأنه أحسن الأموال وأغلاها.

قوله: ﴿وَلَوْ افْتَدَى بِهِ﴾ أي: هذا إذا تصدَّق به، بل ولو افتداه أهله به، فالصدقة لا تنفعه منه أو من غيره لأجله.

قوله: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ﴾ لما ذكر أن صدقة الكافر لا تنفعه.. ذكر هنا أن صدقة المسلم وجميع طاعاته تنفعه.

قوله: (ثوابه) أي: البر، أشار بذلك إلى أن في الكلام حذف مضاف.

قوله: (تصدقوا) بحذف إحدى التائين على التخفيف، أو بدون حذف على التشديد؛ بقلب إحدى التائين صاداً وإدغامها في الصاد.

قوله: (من أموالكم) أي: وغيرها من الأنفس والجاه.

وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ

﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ فيُجَازِي عَلَيْهِ.

﴿٩٣﴾ وَنَزَلَ لِمَا قَالَ الْيَهُودُ: (إِنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّكَ عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ، وَكَانَ لَا يَأْكُلُ لُحُومَ الْإِبِلِ وَالْبَائِنَا): ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا﴾: ﴿لِبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ﴾: يَعْقُوبُ ﴿عَلَى نَفْسِهِ﴾، وَهُوَ الْإِبِلُ لِمَا حَصَلَ لَهُ عِرْقُ النَّسَا - بِالْفَتْحِ وَالْقَصْرِ -،
حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ هذه الجملة في محلّ الجواب؛ أي: فحيث كان عليماً بذلك لا يضيع من جزائه شيء، وقد أشار لذلك المفسر بقوله: (فيُجازون عليه).
قوله: (ونزل لما قال اليهود... إلخ) أي: سبب نزولها قول اليهود ما ذكر^(١).
قوله: (وكان لا يأكل لحوم الإبل) أي: زعموا أن ما ذكر حرام على إبراهيم؛ فلو كنت على ملته لما كان ذلك حلالاً لك، فردّ الله عليهم زعمهم.
قوله: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ﴾ أي: الذي هو حلال في شرعنا كما هو حلال في شرعنا.. كان حلالاً في شرعه.

قوله: (حلالاً) أشار بذلك إلى أنه يُقال: حل وحلال، وكذلك حرم وحرام^(٢).
قوله: ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ﴾^(٣) معناه بالعربية: عبد الله، وهو اسمه، ويعقوب: لقبه.
قوله: (عرق النسّا) أي: وهو عرق ينقر في باطن الفخذ يعجز صاحبه، وورد في دوائه عن أنس عن النبي ﷺ: أنه يؤتى بكبش عربي ويذبح، وتؤخذ أليته وتقطع ثم تسلى بالنار، ثم يؤخذ ذلك ويقسم ثلاثة أجزاء، ويشرب كل جزء على الرّيق، قال أنس: فما زلتُ أصف ذلك لمن نزل به، فشفي به أكثر من مئة^(٤).

(١) «زاد المسير» (٣٠٤/١).

(٢) «الدر المصون» (٣١١/٣).

(٣) رواه الترمذي (٣١١٧)، وما سيأتي بنحوه رواه الطيالسي في «مسنده» (٢٨٥٤).

(٤) رواه ابن ماجه (٣٤٦٣)، والنسا: بوزن: عصا، وأنس يحتمل أن يكون الصحابي ﷺ هو القائل، أو أنس بن سيرين الراوي عنه كما في «المستدرک» (٢٩٣/٢).

مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنْزَلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٤﴾

فَنَذَرَ إِنْ شَفِي لَا يَأْكُلْهَا، فَحَرَّمَ عَلَيْهِمْ، ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنْزَلَ التَّوْرَةُ﴾ وذلك بعد إبراهيم، ولم تكن على عهده حراماً كما زعموا، ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ: ﴿فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا﴾ لِيَتَبَيَّنَ صِدْقُ قَوْلِكُمْ ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فِيهِ، فَبُهِتُوا وَلَمْ يَأْتُوا بِهَا. قَالَ تَعَالَى:

﴿فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أَي: ظُهُورِ الْحُجَّةِ بِأَنَّ التَّحْرِيمَ إِنَّمَا كَانَ مِنْ جِهَةِ يَعْقُوبَ لَا عَلَى عَهْدِ إِبْرَاهِيمَ، ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾: الْمُتَجَاوِزُونَ الْحَقَّ إِلَى الْبَاطِلِ.

حاشية الصاوي

قوله: (فَنَذَرَ إِنْ شَفِي لَا يَأْكُلْهَا) أَي: وَكَانَ لَحْمُهَا أَحَبَّ الْمَأْكُولِ إِلَيْهِ، وَلِبْنُهَا أَحَبَّ الْمَشْرُوبِ إِلَيْهِ، وَمِثْلُ هَذَا النَّذْرُ لَا يُلْزَمُ فِي شَرْعِنَا؛ لِأَنَّ النَّذَرَ إِنَّمَا يُلْزَمُ بِهِ مَا يَنْدُبُ، وَتَرَكُ مَا ذَكَرَ لَيْسَ مَنْدُوباً^(١).

قوله: (فَحَرَّمَ عَلَيْهِ) قِيلَ: حَرَمْتُ أَيْضاً عَلَى أَوْلَادِهِ تَبَعاً لَهُ، وَقِيلَ: هُوَ حَرَّمَهَا عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى ذُرِّيَّتِهِ.

قوله: ﴿مِنْ قَبْلِ﴾ ظَرْفٌ مُتَعَلِّقٌ بِ﴿حَلًّا﴾ مَعَ مَلاحِظَةِ الْإِسْتِثْنَاءِ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ: ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ﴾.

قوله: (وذلك بعد إبراهيم) أَي: بِأَلْفِ سَنَةٍ.

قوله: (صدق قولكم) أَي: إِخْبَارَكُمْ عَنْهُ بِأَنَّ مَا ذَكَرَ حَرَامٌ عَلَيْهِ.

قوله: (فبهِتُوا) مِنْ بَابِ: عَلِمَ أَوْ نَصَرَ أَوْ كَرُمَ أَوْ زُهِِي، وَالْمَعْنَى: دَهَشُوا وَتَحَيَّرُوا وَانْقَطَعَتْ حُجَّتُهُمْ.

قوله: ﴿فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ أَي: اخْتَلَقَهُ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ.

قوله: (بأن التحريم) أَي: لِخُصُوصِ لَحُومِ الْإِبِلِ وَالْبَنَاهَا.

(١) وَفِي الْآيَةِ شَاهِدٌ لِمَنْ قَالَ بِالْمُجَاهِدَةِ بَتَرَكَ بَعْضَ الْمَبَاحَاتِ عَمَلًا لَا اعْتِقَادًا.

قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ

﴿٩٥﴾ ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾ في هذا كَجَمِيعِ ما أَخْبَرَ بِهِ، ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ التي أنا عليها، ﴿حَنِيفًا﴾: مائلاً عن كُلِّ دِينٍ إلى الإسلام، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿٩٦﴾ وَنَزَلَ لَمَّا قَالُوا: (قَبْلَتُنَا قَبْلَ قِبَلَتِكُمْ): ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ﴾ مُتَعَبِّدًا ﴿لِلنَّاسِ﴾ في الأرض ﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ - بِالباءِ لُغَةً في (مَكَّة) - سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَبُكُّ أَعْنَاقَ الْجَبَابِرَةِ أَي: تَذُقُّهَا، بَنَاهُ الْمَلَائِكَةُ قَبْلَ خَلْقِ آدَمَ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾ أي: ثَبَتَ وَتَقَرَّرَ صَدَقُهُ، وَظَهَرَ كَذِبُكُمْ.

قوله: (كَجَمِيعِ ما أَخْبَرَ بِهِ) أي: كَصِدْقِهِ في جَمِيعِ أَخْبَارِهِ التي جَاءَتْ بِهَا الرُّسُلُ.

قوله: (التي أنا عليها) أي: وَجَمِيعُ الْمُؤْمِنِينَ.

قوله: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ تعريضٌ لَهُمْ بِأَنَّهُمْ هُمُ الْمُشْرِكُونَ، وَبَيَانٌ أَنَّ النَّبِيَّ عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ مِنْ حَيْثُ السَّهُولَةُ وَأَصُولُ الدِّينِ.

قوله: (وَنَزَلَ لَمَّا قَالُوا... إلخ) أي: حِينَ حُوِّلَتِ الْقِبْلَةُ قَالُوا: لِمَ تَحَوَّلْتَ عَنْ قِبَلَتِنَا مَعَ كَوْنِهَا أَقْدَمَ وَأَفْضَلَ؟^(١)

قوله: (لُغَةً في مَكَّة) أي: فَأَبْدَلْتَ الْمَيْمُ بَاءً.

قوله: (لِأَنَّهَا تَبُكُّ أَعْنَاقَ الْجَبَابِرَةِ) أي: وَسُمِّيَتْ مَكَّةَ؛ لِأَنَّهُ مِنَ الْمَكِّ، وَهُوَ الْإِزَالَةُ؛ فَإِنَّهَا تَزِيلُ الذُّنُوبَ وَتَمْحُوها.

وقوله: (بَنَاهُ الْمَلَائِكَةُ) وَرَدَ: أَنَّ اللَّهَ لَمَّا خَلَقَ الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ وَكَانَتْ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ تَطُوفُ بِهِ.. اشْتَاقَتْ مَلَائِكَةُ الْأَرْضِ لِبَيْتِ مِثْلِهِ، فَأَمَرَهُمُ اللَّهُ بِنَاءِ بَيْتٍ مُحَاذٍ لِلْبَيْتِ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، وَكَانَ مِنْ دُرَّةٍ بِيضَاءَ، وَطَافَتْ بِهِ قَبْلَ آدَمَ أَلْفِي سَنَةٍ^(٢).

(١) «تفسير البغوي» (٤٧١/١).

(٢) انظر قصة بناء البيت عند البغوي في «تفسيره» (١٦٦/١)، والطبري في «تفسيره» (٢٠/٦)، وقد تقدَّم كلامُ المصنِّف عن بناء البيت في تفسير سورة (البقرة). انظر (٢٣٩/١).

مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا

وُضِعَ بَعْدَهُ الْأَقْصَى، وَبَيْنَهُمَا أَرْبَعُونَ سَنَةً كَمَا فِي حَدِيثِ «الصَّحَّاحِينَ»، وَفِي حَدِيثٍ أَنَّهُ أَوَّلُ مَا ظَهَرَ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ عِنْدَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ زُبْدَةٌ بَيضاء، فَدُجِيَتِ الْأَرْضُ مِنْ تَحْتِهِ، ﴿مُبَارَكًا﴾ - حَالٌ مِنَ (الَّذِي) - أَي: ذَا بَرَكَه، ﴿وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ لِأَنَّهُ قَبِلْتَهُمْ.

﴿٩٧﴾ ﴿فِيهِ ءَايَتٌ بَيِّنَاتٌ﴾؛ مِنْهَا ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ أَي: الْحَجَرُ الَّذِي قَامَ عَلَيْهِ عِنْدَ بِنَاءِ الْبَيْتِ، فَأَثَرُ قَدَمَاهُ فِيهِ، وَبَقِيَ إِلَى الْآنَ مَعَ تَطَاوُلِ الزَّمَانِ وَتَدَاوُلِ الْأَيْدِي عَلَيْهِ، وَمِنْهَا تَضْعِيفُ الْحَسَنَاتِ فِيهِ، وَأَنَّ الطَّيْرَ لَا يَعْلُوهُ، ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا﴾ لَا يُتَعَرَّضُ إِلَيْهِ بِقَتْلِ حَاشِيَةِ الصَّاوِي.

قوله: (ووضع بعده) أي: بعد بنائه، ظاهره: أنه وُضِعَ بعد بناء الملائكة بأربعين سنة، فيكون من وضع الملائكة، ويكون متقدماً على آدم، وليس كذلك، بل الحق أن بيت المقدس وضعه آدم بعد بنائه هو البيت الحرام بأربعين سنة^(١).

قوله: (زُبْدَةٌ) بالتحريك: رغوة بيضاء.

قوله: (ذا بركة) أي: من حيث الحج به، وتكفير السيئات لمن دخله بذلً وانكسار.

قوله: (لأنه قبلتهم) أي: يتوجهون إليه عند الصلاة، وعموم الآية يشهد بأنه قبله حتى للجُمادات؛ ولذلك ترى الأشجار عند انحنائها تكون لوجهته.

قوله: (وبقي إلى الآن) أشار بذلك إلى أن في الحجر آيتين: غوص قدمي إبراهيم فيه، وصعوده به ونزوله به، وكونه باقياً إلى الآن.

قوله: (تضعيف الحسنات فيه) أي: فالصلاة فيها بمئة ألف صلاة.

قوله: (وأن الطير لا يعلوه) أي: لا يمرُّ على ظهره إلا إذا كان بالطير مرضً، فيمرُّ ليستشفي بهوائه.

قوله: (بقتل) أي: ولو قصاصاً، هذا كان في الجاهلية، فكان الرجلُ يقتل ويدخله فلا يُتَعَرَّضُ له ما دام فيه، وأما بعد الإسلام.. فعند مالك والشافعي: إن قتلَ اقتصرَّ منه فيه، وعند أبي حنيفة:

(١) روى البخاري (٣٣٦٦)، ومسلم (٥٢٠) عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله؛ أيُّ مسجد وضع في الأرض أولٌ؟ قال: «المسجد الحرام»، قال: قلت: ثم أيُّ؟ قال: «المسجد الأقصى»، قلت: كم كان بينهما؟ قال: «أربعون سنة...»، وانظر «تفسير القرطبي» (١٣٧/٤).

وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾
 قُلْ يَتَاهَلُ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ

أو ظلم أو غير ذلك، ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ واجبٌ - بكسر الحاء وفتحها لغتانٍ في مصدر (حَجَّ) بمعنى: قصد، ويبدل من ﴿النَّاسِ﴾ - ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾: طريقاً، فسره ﷺ بالزَّادِ والرَّاحِلَة، رواه الحاكم وغيره، ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ بالله أو بما فرضه من الحج، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾: الإنس والجن والملائكة، وعن عبادتهم.

﴿٩٨﴾ قُلْ يَتَاهَلُ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ:

حاشية الصاوي

لا يقتصر فيه منه ما دام فيه، وإنما يُضَيَّقُ عليه حتى يخرج، وهذا هو الأمن في الدنيا، وأما في الآخرة.. فتكفير السيئات، ومضاعفة الحسنات.

قوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ﴾ خبرٌ مقدَّم، و﴿حِجُّ﴾: مبتدأ مؤخر، والحجُّ لغة: القصد، واصطلاحاً: عبادة يلزمها طوافٌ بالبيت سبعا، وسعي بين الصفا والمروة كذلك، ووقوفٌ بعرفة ليلةٍ عاشر ذي الحجة على وجه مخصوص، وهو فرضٌ عين في العمر مرة، وواجب كفاية كل عام إن قصد إقامة الموسم، ومندوبٌ إن لم يقصد ذلك.

قوله: (لغتان) أي: وهما قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: (ويبدل من ﴿النَّاسِ﴾) أي: بدل بعض من كل، والعائد محذوف تقديره: منهم.

قوله: ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ أي: على سبيل العادة، فلا يجب بطيران ولا خطوة، ولكن لو فعل سقط الفرض، وأما المشي.. فيجب به عند مالك إن قدر عليه.

قوله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ بالله أي: أنكر وحدانيته أو جحد شيئا من أحكامه، وقوله: (أو بما فرضه) تفسير ثانٍ.

قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ أي: فلا تنفع طاعتهم، ولا تضره معاصيهم، قال تعالى: ﴿فَكْفُرُوا وَقُولُوا﴾ وَأَسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ [التغابن: ٦].

قوله: ﴿قُلْ يَتَاهَلُ الْكِتَابِ﴾ أي: اليهود والنصارى، خصَّهم بالذكر؛ لأن كفرهم محض عناد.

(١) قرأ الجمهور: (الحج) بالفتح في جميع القرآن، إلا حمزة والكسائي وحفصاً عن عاصم فقرأوا: ﴿حِجُّ الْبَيْتِ﴾ بالكسر. «الدر المصون» (٢/٣٠٥).

وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَآبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَن ءَامَنَ تَبَغُّوتَهَا عِوَجًا وَّأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۚ وَمَا ٱللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾

القرآن ﴿وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ فيُجَازِيكُمْ عَلَيْهِ؟

﴿٩٨﴾ ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَآبِ لِمَ تَصُدُّونَ﴾ : تَصْرِفُونَ ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: دِينِهِ ﴿مَن ءَامَنَ﴾ بِتَكْذِيبِكُمُ النَّبِيَّ وَكُتِمَ نَعْتُهُ، ﴿تَبَغُّوتَهَا﴾ أي: تَطْلُبُونَ السَّبِيلَ ﴿عِوَجًا﴾ - مَصْدَرٌ بِمَعْنَى مُعَوَّجَةً - أي: مَائِلَةً عَنِ الْحَقِّ، ﴿وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ﴾ عَالِمُونَ بِأَنَّ الدِّينَ الْمَرْضِيَّ الْقِيَمَ هُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ كَمَا فِي كِتَابِكُمْ؟ ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (القرآن) أي: وما ألحق به من المعجزات الباهرة.

قوله: ﴿عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ أي: من الكفر.

قوله: (تصرفون) أي: تمنعون.

قوله: (أي: دِينِهِ) أي: المعتدل.

قوله: ﴿مَن ءَامَنَ﴾ (يَحْتَمِلُ أَنَّ الْمَعْنَى: مَنْ آمَنَ بِالْفِعْلِ تَسْعَوْنَ فِي رَدِّهِ عَنِ الْإِيمَانِ إِلَى الْكُفْرِ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّ الْمُرَادَ: مَنْ أَرَادَ الْإِيمَانَ تَصَدُّوهُ عَنِ كَوْنِهِ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ.

قوله: ﴿تَبَغُّوتَهَا﴾ (الجملة حالية من الواو في ﴿تَصُدُّونَ﴾).

قوله: ﴿عِوَجًا﴾ (هو بكسر العين: في المعاني، وبفتحتها: في الأجسام، يُقَالُ: اعْوَجَّتِ الطَّرِيقُ، وَاَعْوَجَّتِ الْحَائِطُ؛ بِمَعْنَى: قَامَ بِالْأَوَّلِ الْعِوَجُ - بِالْكَسْرِ - وَبِالثَّانِي - الْعَوَجُ - بِالْفَتْحِ، وَالْمَعْنَى: تَتْرَكُونَ السَّبِيلَ الْمَعْتَدِلَةَ وَتَطْلُبُونَ السَّبِيلَ الْمَعْوَجَّةَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ ٱللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

قوله: (مصدر) أي: حالٌ من ضمير ﴿تَبَغُّوتَهَا﴾.

قوله: ﴿وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ﴾ (الجملة حالية من الواو في ﴿تَبَغُّوتَهَا﴾).

قوله: (كما في كتابكم) المرادُ به الجنس الصادق بالتوراة والإنجيل.

قوله: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (دفع بذلك توهم أن الله حيث أمهلهم فهو غافلٌ عنهم، قال تعالى أيضاً: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾... [إبراهيم: ٤٢] الآيات.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ ﴿١٠٠﴾

مِنَ الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ، وَإِنَّمَا يُؤَخِّرُكُمْ إِلَى وَقْتِكُمْ لِيُجَارِيَكُمْ.

﴿١٠٠﴾ وَنَزَلَ لَمَّا مَرَّ بَعْضُ الْيَهُودِ عَلَى الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ فَغَاضَهُ تَأْلُفُهُمْ، فَذَكَرَهُمْ بِمَا كَانَ بَيْنَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ الْفِتَنِ، فَتَشَاجَرُوا وَكَادُوا يَقْتَتِلُونَ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (من الكفر... إلخ) بيان ل(ما).

قوله: (ونزل لَمَّا مَرَّ بعض اليهود) أي: واسمه شاس^(١).

قوله: (فغاضه تألفهم) أي: توادهم ومحبة بعضهم لبعض بعد أن كان ما كان بينهم من الشحنة والبغضاء.

قوله: (فذكرهم) ورد: أنه كان معه شاب يهودي، فقال له: اذهب إلى بني قيلة هؤلاء وقل لهم^(٢): أتذكرون يوم بُعث؟ واذكر لهم ما تناشدوه بينهم من الأشعار التي فيها الهجو لبعضهم بعضاً، وكان يوم بُعث عظيماً في اقتتال الأوس والخزرج، وكانت الغلبة فيه للخزرج، فذهب ففعل كما أمره، فقالوا: السلاح السلاح، فنزل جبريل على النبي ﷺ بالآيات إلى قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾، فخرج النبي مع بعض أصحابه، فوجدهم في الصحراء مصطفين للقتال، فقال: «يا معشر المسلمين؛ أندعون بدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن أكرمكم الله بالإسلام، وقطع عنكم أمر الجاهلية، وألّف بين قلوبكم؟!» وقرأ عليهم الآيات، فعلموا أنها نزغة من عدوهم، فألقوا السلاح، وصار يعانق بعضهم بعضاً، قال جابر بن عبد الله: ما رأيت يوماً أشأم منه ولا أسرّ منه، كان أوله شؤماً وآخره سروراً^(٣).

قوله: ﴿فَرِيقًا﴾ هو شاس وأتباعه.

قوله: ﴿يَرُدُّوكُمْ﴾ أي: يُصَيِّرُوكُمْ، فالكاف: مفعول أول، و﴿كُفْرِينَ﴾: مفعول ثان، ف(ردّ)

تنصب مفعولين، كقول الشاعر: [الوافر]

(١) هو شاس بن قيس، شيخ من اليهود شاب في الجاهلية، روى خبره الطبري في «تفسيره» (٥٥/٦).

(٢) قيلة: أصل الأوس والخزرج.

(٣) «تفسير البغوي» (٤٧٨/١).

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۚ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ.....

﴿١٠١﴾ ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ - استنفهام تعجيب وتوبيخ - ﴿وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم﴾ : يَتَمَسَّكُ ﴿بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ .

﴿١٠٢﴾ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ : بِأَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَى ، وَيُشْكَرَ فَلَا يُكْفَرُ ، وَيُذَكَّرَ فَلَا يُنْسَى ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَقْوَىٰ عَلَىٰ هَذَا؟ فَنُسِخَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] ،

حاشية الصاوي

فَرَدَّ وُجُوهَهُنَّ الْبَيْضَ سُودًا وَرَدَّ شُعُورَهُنَّ السُّودَ بَيْضًا^(١)

قوله : ﴿وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾ هاتان الجملتان حالان ، والمعنى : كيف يحصل منكم الكفر والحال أنكم تُتلى عليكم آيات الله - أي : القرآن - وفيكم رسوله محمد؟! فهذا الأمر مُستبعد أن يكون بعد تمام الهدى الكفر والضلال .

قوله : ﴿إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي : دين قيّم لا اعوجاج فيه ، وهو دين الإسلام .

قوله : ﴿حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ صفة لمصدر محذوف ؛ أي : تقوى حقُّ ثقاته .

قوله : (بأن يطاع... إلخ) تصويرٌ للتقوى حقَّ التقوى ، وهذه أخلاقُ الأنبياء والمرسلين لعصمتهم ، وتكون لخواصّ عباد الله الذين على قَدَمِ الأنبياء ؛ ولذلك قال بعض العارفين : [الطويل]

وَلَوْ خَطَرْتُ لِي فِي سِوَاكَ إِرَادَةً عَلَىٰ خَاطِرِي يَوْمًا حَكَمْتُ بِرِدَّتِي^(٢)

ولكن ليس معنى ذلك أنه يكون كافراً يستحق الخلود في النار ، بل هذا لسانُ محبٍّ عاشقٍ ، وردَّته نقضه عن مرتبة حبه ؛ أي : إلى مرتبة أدنى منها في الحبِّ ، وأما القرآن فنزل على أخلاق العوامِّ ؛ لتعليمهم ما يحتاجون إليه من أمر الدين ، فنسخ الآية من حيث التكليف بهذا المعنى على سبيل الوجوب ، وأما الرقيُّ لتلك المراتب . . فمما يتنافس فيه المتنافسون على سبيل التطوُّع والتقرب ، فتدبر ! .

قوله : (فنسخ بقوله... إلخ) فيقال في قوله : (بأن يطاع) بحسب الطاقة ، وقوله : (فلا يعصى)

(١) البيت متنازع النسبة ، ونسبه أبو حاتم السجستاني في «المعمرون» (ص ٥٠) لابن خريم الأسدي .

(٢) عمر بن الفارض رحمه الله تعالى ، ت (٦٣٢هـ) من تائيته المشهورة ، ويروى عجزه : (على خاطري سهواً قضيت بردتي) .

وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ

﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾: مُوَحِّدُونَ.

﴿١٠٣﴾ ﴿وَأَعْتَصِمُوا﴾: تَمَسَّكُوا ﴿بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ أي: دِينِهِ ﴿جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ بعد الإسلام، ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾: إِنْعَامَهُ ﴿عَلَيْكُمْ﴾ يَا مَعْشَرَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ، ﴿إِذْ كُنْتُمْ﴾ قبل الإسلام ﴿أَعْدَاءً فَأَلَّفَ﴾: جَمَعَ ﴿بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ بِالإِسْلَامِ، ﴿فَأَصْبَحْتُمْ﴾: فَصِرْتُمْ

حاشية الصاوي

يعني: أصلاً، وكذا قوله: (ويشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى)، ويناسب النسخة قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَّيِّينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وقيل: إن الآية ليست منسوخة، بل آية: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] مبيّنة للمراد منها.

قوله: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ﴾ أي: يا بني قيلة الأوس والخزرج.

قوله: ﴿إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ أي: فلا يكن منكم موتٌ على حالة دون حالة الإسلام، والمعنى: دُومُوا على الإسلام إلى الممات، ولا تغيروا ولا تبدّلوا؛ لئلا يصادفكم الموت في حالة التغير، قال المفسر في بعض كتبه: (وما شاع من تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ مُتَزَوِّجُونَ.. فهو باطل لا أصل له، ولا يجوز تفسير القرآن بمجرد الرأي^(١)، وخصّ حالة الموت بذلك؛ لأنّ ثمرّة الأعمال تظهر في تلك الحالة، والمدار عليها.

قوله: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ أي: حين الدخول في الإسلام، وقوله: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ أي: فدوموا على الاجتماع ولا يكن منكم تفرقة.

قوله: (أي: دينه) أي: أو القرآن، وفي الكلام استعارة؛ حيث شبه الدين أو القرآن بالحبل، واستعير اسم المشبه به وهو الحبل للمشبه وهو الدين أو القرآن على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية، والجامع بينهما: التوصل للمقصود في كلٍّ، وإضافته للفظ الجلالة قرينة مانعة، والاعتصام ترشيح، وفيه استعارة تصريحية تبعية؛ حيث شبه الوثوق بالاعتصام، واستعار الاعتصام للوثوق، واشتق من الاعتصام اعتصموا بمعنى: ثقوا.

(١) قاله المصنف في «التحبير في علوم التفسير». انظر «الفتوحات الإلهية» (١/٣٠١).

يَنْعِمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾

﴿يَنْعِمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ في الدين والولاية، ﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا﴾: طَرَفِ ﴿حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ﴾ ليس بينكم وبين الوقوع فيها إِلَّا أَنْ تَمُوتُوا كُفَّارًا، ﴿فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ بِالْإِيمَانِ، ﴿كَذَلِكَ﴾ كما بَيَّنَّ لَكُمْ مَا ذَكَرَ ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَتِهِ﴾ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ.

﴿١٠٤﴾ ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ الإسلام، ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ﴾ الدَّاعُونَ الْآمِرُونَ النَّاهُونَ ﴿هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: الْفَائِزُونَ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِخْوَانًا﴾ (خبر ثانٍ لِأَصْبَحْتُمْ)^(١)، وقوله: (والولاية) أي: النصر؛ أي: ينصر بعضكم بعضاً.

قوله: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَتِهِ﴾ أي: يزيدكم بياناً ما دامَ رسولُ الله فيكم.

قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ أي: تدومون على الهداية، وتريدون فيها.

قوله: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ﴾ يحتملُ أنها ناقصة، و﴿أُمَّةٌ﴾: اسمها، و﴿يَدْعُونَ﴾: خبرها، و﴿مِنْكُمْ﴾: إما ظرف لغو متعلق بـ(تَكُنْ)، أو حال من ﴿أُمَّةٌ﴾ أو من الواو في ﴿يَدْعُونَ﴾، أو تامة، و﴿أُمَّةٌ﴾: فاعلها، وجملة ﴿يَدْعُونَ﴾: صفة لـ﴿أُمَّةٌ﴾، و﴿مِنْكُمْ﴾: حال، أو متعلق بـ(تَكُنْ).

قوله: ﴿يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ مفعوله هو وما بعده مِنْ: (يَأْمُرُونَ) و(يَنْهَوْنَ) محذوف، تقديره: الناس.

قوله: (الإسلام) إنما قصره عليه؛ لأنه رأسُ الأمور، ولأجل قوله بعد: ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾.

قوله: ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ المرادُ به: ما طلبه الشارعُ إما على سبيل الوجوب كالصلوات الخمس وبرِّ الوالدين وصِلَةِ الرَّحِمِ، والندب كالنوافل وصدقات التطوع، وقوله: ﴿عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ المرادُ به: ما نهى عنه الشارعُ إما على سبيل الحرمة كالزنا والقتل والسرقة، أو على سبيل الكراهة.

(١) على أن (بنعمته) هو الخبر الأول، ويجوز أن تكون حالاً على أن (أصبح) تامة أو بمعنى صار، والأظهر أن (إخواناً) خبرها، و(بنعمته) متعلق به لما فيه من معنى الفعل. انظر «الدر المصون» (٣/ ٣٣٤).

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ

- (وَمِنْ) لِلتَّبَعِيضِ؛ لِأَنَّ مَا ذُكِرَ فَرَضُ كِفَايَةِ لَا يَلْزَمُ كُلَّ الْأُمَّةِ، وَلَا يَلِيْقُ بِكُلِّ أَحَدٍ كَالْجَاهِلِ. وَقِيلَ: زَائِدَةٌ، أَي: لَتَكُونُوا أُمَّةً ..

﴿١٠٥﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا عَنْ دِينِهِمْ ﴿وَاخْتَلَفُوا﴾ فِيهِ ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ وَهُمْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى،
حاشية الصاوي

قوله: (وَمِنْ) للتبعيض) أي: بناءً على أن المخاطب بفرض الكفاية بعض غير معين، أو معين في علم الله.

قوله: (كالجاهل) أي: فلا يأمر ولا ينهى؛ لأنه ربما أمر بمنكر ونهى عن معروف؛ لعدم علمه بذلك.

قوله: (وقيل: زائدة) أي: بناءً على أن المخاطب بفرض الكفاية الجميع، ويسقط بفعل بعضهم.

قوله: (أي: لتكونوا أمة) أي: دعاة للخير، آمرين بالمعروف، ناهين عن المنكر.

قوله: (اليهود والنصارى) أي: فافتقرت اليهود إحدى وسبعين فرقة، واحدة ناجية والباقيون في النار، والنصارى اثنتين وسبعين فرقة، واحدة ناجية والباقيون في النار، وأخبر النبي ﷺ: أن هذه الأمة ستفترق ثلاثاً وسبعين فرقة، واحدة ناجية والباقيون في النار^(١)، وهذا التفريق من بعد الصحابة، فالناجي مَنْ كان على قدم النبي وأصحابه، ويختلف في كل زمن بالقلّة والكثرة؛ ففي الصدر الأول كانوا ظاهرين أقوياء، وكلما تقدم الزمان.. ازدادوا في الاختفاء، لكن لا تنقطع الفرقة الناجية ما دام القرآن موجوداً، قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا نَفَسَعَرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ...﴾ [الزمر: ٢٣] الآية، فلولا أن أهل القرآن الذين يتدبرونه موجودون.. لما بقي القرآن.

إن قلت: إن دعاءهم مستجاب، فهلا دعوا بإصلاح العالم مثلاً!

أجيب: بأنهم لا يُلْهِمُونَ الدعاء بغير ما في علم الله، فإذا علم الله أن العالم لا يصلح مثلاً.. فلا يُلْهِمُونَ ولا يوفّقون للدعاء أصلاً، بل هم أشدّ الناس صبراً وتحملاً للمكاره، ورضاً بالقضاء والقدر، وفي ذلك قلت: [الطويل]

(١) رواه أبو داود (٤٥٩٦)، والترمذي (٢٦٤٠)، وابن ماجه (٣٩٩١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ

﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿١٠٦﴾ ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ أي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾
وَهُمُ الْكَافِرُونَ، فَيُلْقَوْنَ فِي النَّارِ

حاشية الصاوي

أَرْخَ قَلْبِكَ الْعَانِي وَسَلَّمْ لَهُ الْقَضَا تَفَرَّ بِالرِّضَا فَلَا ضَلَّ لَا يَتَحَوَّلُ

عَلَامَةٌ أَهْلِ اللَّهِ فِينَا ثَلَاثَةٌ أَمَانٌ وَتَسْلِيمٌ وَصَبْرٌ مُجْمَلٌ

والتفرُّق المذموم إنما هو في العقائد، لا في الفروع؛ فإنه رحمة لعباد الله.

قوله: ﴿وَأُولَئِكَ﴾ مبتدأ، و﴿عَذَابٌ﴾: مبتدأ ثانٍ، و﴿لَهُمْ﴾: متعلقٌ بمحذوف خبر الثاني، والثاني وخبره: خبر الأول، وقوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾ ظرفٌ متعلق بما تعلق به الجار والمجرور، تقديره: وأولئك الذين تفرَّقوا في العقائد عذابٌ عظيمٌ مستقرٌّ لهم يومَ تَبْيَضُّ وجوه... إلخ، يعني: أنه يكون ويحصلُ ذلك العذاب حينئذٍ، ويحتمل أن قوله: ﴿يَوْمَ﴾ مفعولٌ لمحذوف تقديره: اذكر يومَ تَبْيَضُّ وجوه.

وبياضُ الوجه إما حقيقة؛ فقد ورد: «أن وجهَ المؤمن يكون أضوء من الشمس في رابعة النهار»^(١)، وإما كناية عن الفرح والسرور، ومثله يُقال في اسوداد الوجه، وذلك حين تطاير الصحف، فالمؤمنُ يأخذ كتابه بيمينه ويقول: ﴿هَآؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَةَ...﴾ [الحاقة: ١٩] الآية، والكافرُ يأخذ كتابه بشماله ويقول: ﴿يَلْبَسْنِي لَرَأُوتَ كِتَابِيَةَ...﴾ [الحاقة: ٢٥] الآية.

قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ تفصيلٌ لما أجمل أولاً، والفاء: واقعة في جواب شرط مقدَّر، تقديره: إن أردت تفصيلَ ما تقدَّم فأقول لك: أما الذين اسودَّت وُجُوهُهُمْ، وقدَّم في التفصيل هذا القسمَ مبادرةً في التحذير، وليكون في الكلام حسنُ ابتداء وحسنُ اختتام، فابتدأ الآية بالبشرى وختمها كذلك.

قوله: (فيلقون في النار) أي: وإلقاؤهم مختلفٌ، فمنهم من يؤخذ بالكلايب، ومنهم من يؤخذ بالنواصي والأقدام، وعلى كلِّ حالٍ: فهم يُسحبون في النار على وجوههم، وهذه الجملة خبرُ المبتدأ قدرها المفسِّر؛ وذلك لأنَّ الخبر في المقابل هو الكون في الجنة، فالمناسبُ هنا أنه يكون هو الكون في النار، وتقديرُ القول هنا لأجل أن يكون حذفُ الفاء من جواب (أما) متعيناً^(٢).

(١) ويفاد هذا من قوله تعالى: ﴿رُجُوهٌ يُؤْمَرُ بِهَا مُتَفَرِّغِينَ﴾، والإسفارُ هو النور والضياء.

(٢) في (ط): (مقيساً) بدل (متعيناً).

أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ آتَيْنَتْهُمُ وَجُوهُهُمْ فَنِيَ رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ

وَيُقَالُ لَهُمْ تَوْبِيخاً: ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ يَوْمَ أَخَذَ الْمِيثَاقِ؟ ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ آتَيْنَتْهُمُ وَجُوهُهُمْ ﴿فَنِيَ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ أَي: جَنَّتِهِ، ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿١٠٨﴾ ﴿تِلْكَ﴾ أَي: هَذِهِ الْآيَاتُ ﴿آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ

حاشية الصاوي

قوله: (ويقال لهم) يحتمل أن ذلك من كلام الله لهم، ويحتمل أن ذلك على لسان الملائكة.

قوله: (يوم أخذ الميثاق) دفع بذلك ما يُقال: إن الآية ظاهرة فيمن ارتدَّ بعد إيمانه، لا فيمن كان كافراً واستمرَّ على كفره، وأجيب أيضاً: بأن هذا يحمل على اليهود والنصارى؛ فإنهم كانوا مؤمنين برسول الله قبل البعثة، ثم كفروا به بعدها، وأجيب أيضاً: بأن قوله: ﴿بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ أَي: بعد ظهور الأدلة التي توجب الإيمان.

قوله: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ فيه استعارة بالكناية؛ حيث شبه العذاب بشيء مرَّ يُذاق، وطوى ذكر المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه وهو الإذابة، فإثباتها تخييل.

قوله: ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ الباء: سببية، فالكفر سبب في إذابة العذاب بخلاف الطاعات، فلم يجعلها الله سبباً لدخول الجنة، بل دخول الجنة بمحض فضل الله، وإنما كان جزاء الكفار الخلود في النار؛ لأنَّ الكفر إنكارٌ لكمالات الله وهي لا تنتهي، فكان جزاؤه عذاباً لا يتناهي، وذلك يتحقق بالخلود، بخلاف معصية المؤمن.

قوله: (أَي: جَنَّتِهِ) أَي: ففيه إطلاق الحال وإرادة المحلِّ، فالجنة محلُّ هبوط الرحمة، والرحمة ناشئة عن ذات الله، فقولهم: (اللهم اجمعنا في مستقرِّ رحمتك) فالمراد بالمستقرِّ: محلُّ هبوط الرحمة، وهي الجنة، لا ذاتُ الله.

بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُنتُمْ

﴿بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾ بِأَن يَأْخُذَهُمْ بِغَيْرِ جُرْمٍ.
﴿١٠٩﴾ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مُلْكًا وَخَلْقًا وَعَبِيدًا، ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ﴾: تَصِيرُ
﴿الْأُمُورُ﴾.

﴿١١٠﴾ ﴿كُنتُمْ﴾ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: الصدق.

قوله: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾ أي: فحيث انتفت إرادة الظلم فالظلم منفي بالأولى؛ لأنَّ تعلق الإرادة في التعقل سابق على الفعل.

قوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: فيتصرف في ملكه كيف يشاء.

قوله: ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ أي: فلا مفر منه، ولا محيص عنه.

قوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ هذا مدح عظيم، وتفضيل من الله لهذه الأمة المحمدية، وفيه إعلام بتبئيتهم على تلك الأوصاف العظيمة.

واعلم: أن المخاطب مُشَافَهَةُ الصَّحَابَةِ، وثبتت لهم هذه الصفات المرضية، فمدحهم الله على ذلك، ومن تمسك بأوصافهم وأخلاقهم كان ممدوحاً مثلهم، وهذا المدح يدل على أن أوصافهم مرضية لله، فشرَّفهم الله بشرف نبيهم، قال صاحب «البردة»: [البسيط]

لَمَّا دَعَا اللَّهُ دَاعِينَا لِطَاعَتِهِ بِأَشْرَفِ الرُّسُلِ كُنَّا أَكْرَمَ الْأُمَمِ^(١)

وقال في «الهمزية»: [الخفيف]

وَلَكَ الْأُمَّةُ الَّتِي غَبَطْتُهَا بِكَ لَمَّا أَتَيْتَهَا الْأَنْبِيَاءُ^(٢)

ومدحهم الله سابقاً بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا...﴾ [البقرة: ١٤٣] الآية، وبالجمله:

فهو ﷺ أَفْضَلُ الْخَلْقِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَأُمَّتُهُ أَفْضَلُ الْأُمَمِ عَلَى الْإِطْلَاقِ.

(١) هو للبوصيري في «بردته» كما ذكر المصنف.

(٢) انظر «المنح المكية» (ص ٦٦٤)، ولو قال: غبطتك بها... لم يبعد كما ذكر الشارح.

خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ
ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ

في علم الله تعالى ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ﴾: أَظْهَرْتُ ﴿لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ
الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ﴾ الْإِيمَانُ ﴿خَيْرًا لَهُمْ﴾
حاشية الصاوي

و(كان): فعل ماض ناقص يُفيد الاتصاف في الماضي، لكن المراد هنا الدوام؛ على حد:
﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٩٦]، والتاء: اسمها، و﴿خَيْرَ﴾: خبرها، وقوله: ﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾
صفة لـ ﴿أُمَّةٍ﴾.

قوله: (في علم الله) أي: وقيل: في اللوح المحفوظ، وقيل: في كتب الأمم السابقة.
قوله: (﴿لِلنَّاسِ﴾) إنما عبّر باللام دون (من) إشارة إلى أن هذه الأمة نفع ورحمة لنفسها وللخلق
عموماً؛ في الدنيا بالدعاء لجميع الأمم، وفي الآخرة بالشهادة للأنبياء.
قوله: (﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾) إما خبرٌ بعد خبر لـ (كان)، والمقصود منه: تفصيل ما أجمل أولاً،
أو صفةٌ لمعنى الخيرية، أو استئنافٌ بياني واقعٌ في جواب سؤال مقدرٍ تقديره: ما وجهُ الخيرية؟
وراعى في الخطاب لفظ ﴿كُنْتُمْ﴾، ولو راعى الخبر لقال: يأْمُرُونَ؛ لأنَّ الاسم الظاهر من قبيل
الغيبة، واختيرت صيغة الخطاب تشريفاً لهم، وإشارةً إلى رفع الحجب عنهم؛ حيث خاطبهم ولم
يخبر عنهم، وأنهم مقربون من حضرة الله.

إن قلت: الإيمان هو الأصل، فلم لم يُقدِّم؟

أجيب: بأنه غيرٌ مخصوص بهم، وإنما الفضلُ الثابت لهم الأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر،
فهذه الأمة لها شبهة بالأنبياء من حيث إنها مهتدية في نفسها، هادية لغيرها.

قوله: (﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾) أي: اليهود والنصارى.

قوله: (﴿خَيْرًا لَهُمْ﴾) أي: من الإيمان بموسى وعيسى في زمانهما؛ أي: إنَّ مَنْ آمَنَ بمحمد
أعلى وأفضل ممن أدرك عيسى أو موسى وآمن به؛ لدخوله في هذا المدح العظيم، أو المعنى: خيراً
لهم ممَّا هم عليه في زعمهم وإن كان في الواقع ما هم عليه ليس بخير، أو ذلك تهكُّمٌ بهم،
أو أن أفعال التفضيل ليس على بابِه؛ أي: لكان هو الخير لهم.

مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَتِّلُوكُمْ يُولُوكُمْ
الْآذِبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَقِفُوا.....

مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١٠﴾ كعبد الله بن سلام ﷺ وأصحابه، ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾: الكافرون.
﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ﴾ أي: اليهود يا معشر المسلمين بشيء، ﴿إِلَّا أَذًى﴾: باللسان
من سبٍّ ووعيد، ﴿وَإِنْ يُقَتِّلُوكُمْ يُولُوكُمْ الْآذِبَارَ﴾: مُنْهَزِمِينَ، ﴿ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ﴾: عَلَيْكُمْ، بَلْ
لَكُمْ النَّصْرُ عَلَيْهِمْ.

﴿١١٢﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَقِفُوا: حيثما وجدوا،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ﴾ استئناف بياني واقع في جواب سؤال مقدّر نشأ من قوله: (ولو آمن
أهل الكتاب) كأن قائلًا قال: وهل آمن منهم أحد أو لا؟ فأجاب بذلك.

قوله: (كعبد الله بن سلام) أي: من اليهود، وأدخلت الكاف النجاشي وغيره من النصاري.

قوله: (الكافرون) أي: وسماهم فاسقين؛ لأنهم فسقوا في دينهم، فليسوا عدولاً فيه.

قوله: ﴿إِلَّا أَذًى﴾ قيل: استثناء منقطع، وهو المتبادر من المفسر، والمعنى: لا يصل لكم
منهم ضررٌ بشيء أصلاً، لكن يقع منهم أذى باللسان، قال تعالى: ﴿وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً﴾ [آل عمران: ١٨٦]، ففي الحقيقة لا ضرر في ذلك،
وقيل: الاستثناء متصل، والمعنى: لا يصل لكم منهم ضررٌ في حال من الأحوال إلا في حال الضرر
اللساني.

قوله: (من سبٍّ) أي: للنبي وأصحابه، وقوله: (ووعيد) أي: للمؤمنين بقولهم: إنا نغلبهم،
وستكون العزة لنا والذلة لهم.

قوله: ﴿ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ﴾ ليس معطوفاً على جواب الشرط، وإلا... لأوهم أنهم قد يُنصرون
من غير قتال، بل هو مستأنف؛ ليُفيد سلب النصر عنهم في جميع الأحوال.

قوله: ﴿أَيْنَ مَا تَقِفُوا﴾: اسم شرط، و﴿تَقِفُوا﴾: فعل الشرط، وجوابه محذوف لدلالة
﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾ عليه، التقدير: أينما تقفوا تضرب عليهم الذلة.

إِلَّا يَحْبِلُ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُ وَيُغْضِبُ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ
يَأْتَهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ

فلا عزَّ لهم ولا اعتِصام، ﴿إِلَّا﴾ كائنين ﴿يَحْبِلُ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾ المؤمنين، وهو
عهدُهم إليهم بالأمان على أداء الجزية، أي: لا عصمة لهم غير ذلك، ﴿وَبَاءُ﴾: رجعوا
﴿يُغْضِبُ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ يَأْتَهُمْ﴾ أي: بسبب أنَّهم ﴿كَانُوا يَكْفُرُونَ
بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (فلا عزَّ لهم) أي: ولذا لم يوجد فيهم سلطان أصلاً، فالذلُّ قد علاهم للمؤمنين
والنصارى؛ لقوله تعالى: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: ٥٥] ^(١).

قوله: (ولا اعتصام) معطوف على قوله: (فلا عزَّ لهم)، وقدَّر ذلك ليرتَّب قوله: ﴿إِلَّا يَحْبِلُ مِنَ
اللَّهِ﴾ عليه، إشارة إلى أنه مستثنى من محذوف.

قوله: ﴿يَحْبِلُ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: وهو الإيمان.

قوله: (أي: لا عصمة لهم غير ذلك) أي: لكن إن كان اعتصامهم بحبل من الله .. ارتفع عنهم
الذلُّ وعصموا نفوسهم وأموالهم، وإن كان من الناس .. فقد عصموا نفوسهم وأموالهم وعاشوا
في الذلِّ.

قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: المذكور من ضرب الذلة والمسكنة والغضب من الله.

قوله: ﴿وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ﴾ أي: فقتلوا أوَّلَ النهار سبعين نبياً وآخره أربع مئة عابد ^(٢).

إن قلت: إن القاتل لأنبياء أجداهم، فلم أؤخذوا بقتل أصولهم؟

أجيب: بأن رضا الفروع بقتل الأصول الأنبياء صيرُهُ كأنه واقعٌ منهم، فالقتلُ وقع من أصولهم
بالفعل، ومنهم بالعزم والتصميم، فهم الآن لو تمكَّنوا من النبيِّ والمسلمين ما أبقوا واحداً.

قوله: ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ أي: حتى في اعتقادهم، فاعتقادهم عدم الحقيقة مُطابق للواقع، غير أنه
عنادٌ منهم.

(١) عبارة الخازن: بل هم مستضعفون بين المسلمين والنصارى في جميع البلاد. «الفتوحات» (١/٣٠٤).

(٢) كذا أورد الخطيب في «السراج المنير» (١/٦٥)، وروى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦٣٢)، وانظر «الدر
المشثور» (١/١٧٨).

بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ
ءَانَاءَ اللَّيْلِ

تأكيد ﴿بِمَا عَصَوْا﴾ أمر الله، ﴿وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾: يتجاوزون الحلال إلى الحرام.
﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ أي: أهل الكتاب ﴿سَوَاءً﴾: مُستَوِينَ ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾:
مُسْتَقِيمَةٌ ثَابِتَةٌ عَلَى الْحَقِّ، كعبد الله بن سلام عليه السلام وأصحابه، ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ﴾
أي: في ساعاته،
حاشية الصاوي

قوله: (تأكيد) أي: فالعصيان والاعتداء هو عينُ الكفر وقتل الأنبياء، ويحتمل أنه ليس تأكيداً،
بل هو علةٌ للعلّة؛ أي: فعلةٌ ضرب الذلة والمسكنة والغضب من الله كفرهم وقتلهم الأنبياء، وعلةُ
الكفر والقتل عصيانهم أمر الله وتجاوزهم الحدّ.

قوله: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ هذه الجملة راجعةٌ لجميع أهل الكتاب؛ أي: هم غير مُستَوِينَ
في العقيدة، بل منهم من هو على حقٍّ، ومنهم من هو على باطل.

قوله: (مستوين) دفعَ بذلك ما يقال: إن ﴿سَوَاءً﴾ خبر عن الواو في ﴿لَيْسُوا﴾، فكان حقّه
أن يُجمعَ مطابقةً له! فأجاب: بأن (سواء) مصدرٌ من التسوية، بمعنى: مُستَوِينَ.
قوله: ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ﴾ هذا كالتفصيل لقوله: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾.

قوله: (كعبد الله بن سلام وأصحابه) أي: من اليهود، وكالنجاشي وأربعين من نصارى نجران،
واثنين وثلاثين من الحبشة، وثلاثة من الروم، وكجماعة من الأنصار كأُسَعد بن زُرارة والبراء بن
معوّر ومحمد بن سلمة وصرمة بن أنس؛ كانوا يتعبّدون بما يعرفون من الشرائع القديمة، فلمّا بُعثَ
النبيُّ... صدّقوه ونصّروه^(١).

قوله: ﴿ءَانَاءَ اللَّيْلِ﴾ إما جمع أنى ك: عصاً، أو إنى ك: معى، أو أنى ك: ظبي، أو إني
ك: جمل، أو إنو ك: جرو.

وقوله: (أي: في ساعاته) أي: اللغوية، وهي دقائقه ولحظاته، قال تعالى: ﴿نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ
الْمَصَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦].

(١) وهو قول عطاء كما في «تفسير الثعلبي» (١٣٢/٣).

وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا

﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾: يُصَلُّونَ، - حال ..

﴿١١٤﴾ ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي
الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، ومنهم من ليسوا كذلك، وليسوا
من الصَّالِحِينَ.

﴿١١٥﴾ ﴿وَمَا تَفْعَلُوا﴾ - بِالتَّاءِ - أَيُّهَا الْأُمَّةُ، - والياءِ - أي: الْأُمَّةُ الْقَائِمَةُ،

حاشية الصاوي

قوله: (يُصَلُّونَ) سَمَّى الصَّلَاةَ سَجُوداً؛ لَأَنَّهُ أَشْرَفُ أَجْزَائِهَا، وقوله: (حال) أي: من قوله:
﴿يَتْلُونَ﴾ أي: يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ فِي حَالِ صَلَاتِهِمْ.

قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ أي: يُصَدِّقُونَ بِأَنَّ اللَّهَ يَتَّصِفُ بِكُلِّ كَمَالٍ، يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ كُلُّ نَقْصٍ،
وقوله: ﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أي: وما فيه من النعيم والعقاب، فَيُصَدِّقُونَ بِأَنَّهُ حَقٌّ.

قوله: ﴿وَيَأْمُرُونَ﴾ مفعوله هو و(ينهون) محذوف، تقديره: الناس.

قوله: ﴿وَيُسْرِعُونَ﴾ أي: يُبَادِرُونَ بِامْتِثَالِ أَمْرِ اللَّهِ.

إِنْ قُلْتَ: إِنَّ الْعَجَلَةَ مَذْمُومَةٌ؛ ففِي الْحَدِيثِ: «الْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ»^(١) إِلَّا فِي أُمُورٍ^(٢).

وَأُجِيبُ: بِأَنَّ مَعْنَى الْمَسَارَعَةِ: أَنَّهُ إِذَا تَعَارَضَ حَقُّ اللَّهِ وَحُظُّ لِنَفْسِهِ.. بَادَرَ لِحَقِّ اللَّهِ وَتَرَكَ حُظَّهُ،
وَأَمَّا الْعَجَلَةُ.. فَهِيَ الْمُبَادَرَةُ لِلشَّيْءِ مُطْلَقاً؛ كَأَنَّهُ يَبَادِرُ لِلصَّلَاةِ قَبْلَ وَقْتِهَا، أَوْ فِي الصَّلَاةِ بِأَلَّا يُتَقَنَّ
رُكُوعَهَا وَلَا سُجُودَهَا؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مَذْمُومٌ إِلَّا فِي أُمُورٍ، فَهِيَ مَسَارَعَةٌ لَا عَجَلَةَ، كَالْتَوْبَةِ، وَتَقْدِيمِ الطَّعَامِ
لِلضَّيْفِ، وَتَجْهِيزِ الْمَيْتِ، وَزَوَاجِ الْبِكْرِ، وَالصَّلَاةِ فِي أَوَّلِ وَقْتِهَا^(٣).

قوله: (ومنهم من ليسوا كذلك) قَدَّرَ ذَلِكَ؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ فِي الْآيَةِ حَذْفَ الْمَقَابِلِ.

قوله: (وبالياء) أي: فهُمَا قِرَاءَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ^(٤).

(١) رواه الترمذي (٢٠١٢) بلفظ: «الأناء من الله، والعجلة من الشيطان» من حديث سهل بن سعد الساعدي.

(٢) قال تعالى حاكياً قول سيدنا موسى عليه السلام: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾.

(٣) رواها أبو نعيم في «الحلية» (٧٨/٨) عن حاتم الأصم رحمه الله تعالى.

(٤) قرأ حفص وحمزة والكسائي بالياء، والباقون بالتاء. انظر «السراج المنير» (٢٤١/١).

مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ
أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا
يُنْفِقُونَ

﴿مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾ - بِالْوَجْهَيْنِ - أي: تَعَدُّمُوا ثَوَابَهُ، بَلْ تُجَاوِزُونَ عَلَيْهِ، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ
بِالْمُتَّقِينَ﴾.

﴿١١٦﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ﴾: تَدْفَعُ ﴿عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: مِنْ
عَذَابِهِ ﴿شَيْئًا﴾، وَخَصَّهُمَا بِالذِّكْرِ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ تَارَةً بِفِدَاءِ الْمَالِ، وَتَارَةً
بِالِاسْتِعَانَةِ بِالْأَوْلَادِ، ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿١١٧﴾ ﴿مَثَلُ﴾: صِفَةُ ﴿مَا يُنْفِقُونَ﴾ أي: الْكُفَّار

حاشية الصاوي

قوله: ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ أي: قَلِيلٌ أَوْ كَثِيرٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾
[الزلزلة: ٧].

قوله: (بِالْوَجْهَيْنِ) أي: لِلْيَاءِ وَالتَّاءِ^(١).

قوله: (بَلْ تُجَاوِزُوا عَلَيْهِ) أي: فِي الْآخِرَةِ^(٢).

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قِيلَ: نَزَلَتْ فِي قَرِيظَةَ وَبَنِي النَّضِيرِ، وَقِيلَ: فِي مُشْرَكِي الْعَرَبِ،
وَقِيلَ: فِيمَا هُوَ أَعَمُّ، وَهُوَ الْأَقْرَبُ^(٣).

قوله: ﴿شَيْئًا﴾ أي: قَلِيلًا كَانَ أَوْ كَثِيرًا.

قوله: (يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ) أي: فِي الدُّنْيَا.

قوله: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ ﴿مَا﴾ اسْمُ مُوَصُولٍ، وَ﴿يُنْفِقُونَ﴾: صَلَاتُهَا، وَالْعَائِدُ
مَحْذُوفٌ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّهَا مُصَدْرِيَّةٌ تُسَبَّكُ مَعَ مَا بَعْدَهَا بِمُصَدَّرٍ، تَقْدِيرُ الْأَوَّلِ: مَثَلُ الْمَالِ الَّذِي يُنْفِقُونَهُ،
وَتَقْدِيرُ الثَّانِي: مَثَلُ إِنْفَاقِهِمْ.

(١) قرأ حفص وحمزة والكسائي بالياء، والباقون بالتاء. انظر «السراج المنير» (١/٢٤١).

(٢) في (ط١): (بَلْ تُجَاوِزُونَ) بدل (بَلْ تُجَاوِزُوا).

(٣) «الفتوحات الإلهية» (١/٣٠٦).

فِي هَذِهِ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتُهُ
وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً.....

﴿فِي هَذِهِ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾ في عداوة النبي أو صدقة ونحوها، ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾: حرٌّ أو بردٌ شديدٌ، ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ﴾: زرعٌ ﴿قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بالكُفْرِ وَالْمَعْصِيَةِ، ﴿فَأَهْلَكَتُهُ﴾ فلم يَنْتَفِعُوا بِهِ، فَكَذَلِكَ نَفَقَاتُهُمْ ذَاهِبَةٌ لَا يَنْتَفِعُونَ بِهَا، ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ بِضِيَاعِ نَفَقَاتِهِمْ، ﴿وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بِالْكَفْرِ الْمَوْجِبِ لِضِيَاعِهَا.

﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً﴾: أَصْفِيَاءَ تُطْلِعُونَهُمْ عَلَى سِرِّكُمْ..... ﴿١١٨﴾

حاشية الصاوي

قوله: (في عداوة النبي) أي: في مثل حُروبه، وقوله: (أو صدقة) أي: على فقرائهم أو فقراء المسلمين.

قوله: (ونحوها) أي: كصلة الرحم ومواساة الفقراء.

قوله: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ﴾ أي: كمثل مهلك ريح، فالكلام على حذف مضاف.

قوله: (حرٌّ) أي: ويُسمى بالسَّموم، وقوله: (أو برد شديد) أي: ويُسمى الزمهرير.

قوله: ﴿أَصَابَتْ﴾ أي: تلك الريح.

قوله: (أي: زرع) سَمَاهُ حَرْثًا لِأَنَّهُ يُحْرَثُ.

قوله: ﴿قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ هذا وصف المشبه به.

قوله: ﴿وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ هذا في جانب المشبه، فلا تكرار.

قوله: ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ نزلت في قوم من المؤمنين كان لهم أقارب من المنافقين والكفار، وكانوا يواصلونهم.

قوله: (أصفياء) أشار بذلك إلى أن في الكلام استعارة، حيث شبه الأصفياء بِبطانة الثوب الملتصقة به، واستُعير اسم المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية، والجامع: شدة الالتصاق؛ على حدّ: «الناسُ دثارٌ والأنصارُ شعار»^(١).

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٢٣٦١) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً.

مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي
صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَآأَنَآءُ أَؤْلَآءُ يُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ
وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لِقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ
مُوتُوا يَغِيظُكُمُ

﴿مِنْ دُونِكُمْ﴾ أي: غيركم من اليهود والنصارى والمُنافقين، ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ نَصَبَ
بِنَزْعِ الْخَافِضِ أي: لَا يَقْصُرُونَ لَكُمْ فِي الْفَسَادِ، ﴿وَدُّوا﴾: تَمَنَّوْا ﴿مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: عَنَتَكُمْ
وهو شِدَّةُ الضَّرَرِ، ﴿قَدْ بَدَتِ﴾: ظَهَرَتْ ﴿الْبَغْضَاءُ﴾: الْعَدَاوَةُ لَكُمْ ﴿مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ بِالْوَقِيعَةِ
فِيكُمْ، وَإِطْلَاعِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى سِرِّكُمْ، ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ﴾ مِنَ الْعَدَاوَةِ ﴿أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا
لَكُمْ الْآيَاتِ﴾ عَلَى عَدَاوَتِهِمْ ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ذَلِكَ، فَلَا تُؤَالُوهُمْ.

﴿١١٩﴾ - هَا - لِلتَّنْبِيهِ - ﴿أَنْتُمْ﴾ يَا ﴿أَوْلَآءُ﴾ الْمُؤْمِنِينَ ﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾ لِقَرَابَتِهِمْ مِنْكُمْ
وَصَدَاقَتِهِمْ، ﴿وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ لِمُخَالَفَتِهِمْ لَكُمْ فِي الدِّينِ، ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ أي: بِالْكِتَابِ
كُلِّهَا وَلَا يُؤْمِنُونَ بِكِتَابِكُمْ، ﴿وَإِذَا لِقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ﴾: أَطْرَافَ
الْأَصَابِعِ ﴿مِنَ الْغَيْظِ﴾: شِدَّةُ الْغَضَبِ لِمَا يَرَوْنَ مِنْ ائْتِلَافِكُمْ، وَيُعَبِّرُ عَنْ شِدَّةِ الْغَضَبِ بِعَضِّ
الْأَنَامِلِ مَجَازًا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ثَمَّ عَضٌّ، ﴿قُلْ مُوتُوا يَغِيظُكُمُ﴾ أي: ابْقُوا عَلَيْهِ إِلَى الْمَوْتِ، فَلَنْ

حاشية الصاوي

قوله: (أي: لَا يَقْصُرُونَ فِي الْفَسَادِ) أي: فَلَيْسَ عِنْدَهُمْ تَقْصِيرٌ فِي ذَلِكَ، بَلْ هُوَ شَأْنُهُمْ.

قوله: (﴿مَا عَنِتُّمْ﴾) ﴿مَا﴾: مَصْدَرِيَّةٌ تَسْبُكُ بِمَصْدَرٍ؛ أي: وَدُّوا عَنَتَكُمْ، بِمَعْنَى: تَعَبَكُمْ بِهِ
وَمَشَقَّتَكُمْ.

قوله: (بِالْوَقِيعَةِ فِيكُمْ) أي: فِي أَعْرَاضِكُمْ بِالْغِيَةِ وَغَيْرِهَا.

قوله: (فَلَا تُؤَالُوهُمْ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ جَوَابَ الشَّرْطِ مَحْذُوفٌ.

قوله: (﴿يَالْكِتَابِ﴾) أي: جِنْسُهُ، وَقَوْلُهُ: (وَلَا يُؤْمِنُونَ بِكِتَابِكُمْ) أي: الْقُرْآنَ.

قوله: (﴿وَإِذَا خَلَوْا﴾) أي: خَلَا بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ.

قوله: (﴿عَلَيْكُمْ﴾) أي: مِنْ أَجْلِكُمْ.

قوله: (﴿قُلْ مُوتُوا يَغِيظُكُمُ﴾) أي: مَصَاحِبِينَ لَهُ، وَهُوَ دَعَاءٌ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ.

إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِنْ تَمَسَّكْتُمْ حَسَنَةً سَوْهُمَ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصِيرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾

تَرَوْا مَا يَسُرُّكُمْ، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: بِمَا فِي الْقُلُوبِ، وَمِنْهُ مَا يُضْمِرُهُ هَؤُلَاءِ.

﴿١٢٠﴾ ﴿إِنْ تَمَسَّكْتُمْ﴾: تُصِيبْكُمْ ﴿حَسَنَةً﴾: نِعْمَةٌ كَنَصْرِ وَغَنِيمَةٍ، ﴿سَوْهُمَ﴾: تُحْزِنُهُمْ، ﴿وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ﴾ كَهَزِيمَةٍ وَجَدِبٍ، ﴿يَفْرَحُوا بِهَا﴾، - وَجُمْلَةُ الشَّرْطِ مُتَّصِلَةٌ بِالشَّرْطِ قَبْلُ، وَمَا بَيْنَهُمَا اعْتِرَاضٌ - وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ مُتَنَاهَوْنَ فِي عَدَاوَتِكُمْ فَلِمَ تُؤَالُونَهُمْ؟ فَاجْتَنِبُوهُمْ، ﴿وَإِنْ تَصِيرُوا﴾ عَلَى أَذَاهُمْ ﴿وَتَتَّقُوا﴾ اللَّهُ فِي مُوَالَاتِهِمْ وَغَيْرِهَا، ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ - بِكُسْرِ الضَّادِ وَسُكُونِ الرَّاءِ، وَضَمِّهَا وَتَشْدِيدِهَا - ﴿كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿بِالْيَاءِ وَالتَّاءِ﴾ - ﴿مُحِيطٌ﴾: عَالِمٌ فَيُجَازِيهِمْ بِهِ.

حاشية الصاوي

قوله: (وجدب) هو ضد الخصب.

قوله: (وجملة الشرط) أي: وهي ﴿إِنْ تَمَسَّكْتُمْ... إلخ﴾، وقوله: (بالشرط) وهو قوله: ﴿وَإِذَا لَقَوْكُمْ﴾، وقوله: (وما بينهما) أي: وهو قوله: ﴿قُلْ مُؤْتُوا...﴾ الآية.

قوله: (بكسر الضاد) أي: فهما قراءتان سبعيتان، الأولى من: ضَارَ يَضِيرُ، والثانية من: ضَرَّ يَضُرُّ، والفعل من كليهما مجزومٌ جواباً للشرط، وجزمه على الأولى ظاهر، وعلى الثانية بسكون مقدرٍ على آخره منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة الإتيان^(١).

قوله: ﴿كَيْدُهُمْ﴾ الكيد: احتيال الشخص ليوقع غيره في مكروه^(٢).

قوله: (بالياء) أي: وقد اتفق عليها العشرة، وقوله: (والتاء) أي: وهي شاذة، فكان على المفسر أن ينبّه على شذوذها؛ كأن يقول: (وقرئ بالتاء) كما هو عادته^(٣).

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بكسر الضاد وجزم الراء، وقرأ الباقون بضم الضاد وتشديد الراء مرفوعة. انظر «الدر المصون» (٣/٣٧٤).

(٢) وقد يكون الكيد ممدوحاً، ولكن الأكثر استعماله في الذم. انظر «مفردات الراغب» (ك ي د).

(٣) قراءة التاء بالخطاب قرأ بها الحسن. «الدر المصون» (٣/٣٧٨).

وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾

﴿١٢١﴾ ﴿و﴾ اذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ ﴿إِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ مِنَ الْمَدِينَةِ ﴿تُبَوِّئُ﴾: تُنْزِلُ ﴿الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ﴾: مَرَاكِزَ يَقْفُونَ فِيهَا ﴿لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لِأَقْوَالِكُمْ، ﴿عَلِيمٌ﴾ بِأَحْوَالِكُمْ، وَهُوَ يَوْمَ أَحَدٍ، خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ بِأَلْفٍ أَوْ إِلَّا خَمْسِينَ رَجُلًا، وَالْمُشْرِكُونَ ثَلَاثَةُ آلَافٍ، وَنَزَلَ بِالشَّعْبِ يَوْمَ السَّبْتِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ﴾ جمهورُ المفسرين على أَنَّ هذه الآية متعلِّقةُ بغزوة أحد، وقيل: بغزوة بدر، وقيل: بغزوة الأحزاب، والصحيح: الأول؛ ولذا مشى المفسرُ عليه.

قوله: ﴿مِنْ أَهْلِكَ﴾ أي: من بيتِ أهلك، وهي زوجته عائشة، وكان قدومُ جيش الكفار رابعَ شوال يوم الأربعاء، وأميرُهم إذ ذاك أبو سفيان، فجمع ﷺ الأنصارَ والمهاجرين وشاورَهم في الخروج لهم أو المكث في المدينة ينتظرونهم، فأشار عبد الله بن أبي بن سلول رئيسُ المنافقين هو وجماعة من الأنصار بعدم الخروج؛ فإن أتوا قاتلَهم الرجال والنساء، وأشار جماعةٌ بالخروج، فدخلَ ﷺ منزله ولبسَ لأمتهُ وخرجَ، فقال: «هلمُّوا إلى الخروج»، فقالوا: يا رسول الله؛ ما لنا رأيٌ معك، فقال: «ما من نبيٍّ يلبسَ لأمتهُ ويرجعُ حتى يحكمَ الله له بين عدوه»، وكان قد رأى في المنام بقرًا ودرعاً حصيناً وضع يده فيه وثُلماً في ذبابة سيفه، فقالوا: ما أولته؟ فقال: «أما البقرُ فخير، وأما الدرعُ الحصينُ فهبِ المدينة، وأما الثُلُمُ في السيفِ فهزيمة»، فخرجَ ﷺ هو وأصحابه بعد صلاة الجمعة، فلمَّا أصبحوا جعلَ الجيشُ خمسةَ أقسام: جناحان، ومُقدَّم، وساقَّة، ووسط، وترك كلاً في منزله، وأمرهم أن يثبتوا مكانَهم ولا يتحوَّلوا، وأخبرهم أنه بمجردَ ملاقاتِ الصفوفِ تحصلُ الهزيمةُ للكفار، فلمَّا التقى الصفَّان ولَّى عبدُ الله بنُ أبي بن سلول هو وجماعته الثلاث مئة وقالوا: لو نعلمُ قتالاً لا تُبْعناكم، ولم يبقَ إلا سِتُّ مئة وخمسون، فهزَمَ الصحابةُ الكفارَ أولاً، واشتغلوا بالغنيمة، فنزعَ الله من قلوب الكفار الرعبَ، فكروا عليهم مرة واحدة، ففرَّ المسلمون ما عدا النبيَّ وبعض الصحابة، فبعد ذلك اجتمع المسلمون للقتال، فقتلَ من كلِّ سبعون، وكانت العزَّةُ لله ورسوله^(١).

قوله: (وهو يوم أحد) أي: وهو قولُ جمهور المفسرين، وهو المعتمد.

قوله: (أو إلا خمسين) أي: فهما قولان.

(١) الخبر متوزع في كتب السنة، وانظر «الدر المنثور» (٢/٣٠٣).

إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا

سَابِعَ شَوَّالٍ سَنَةِ ثَلَاثٍ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَجَعَلَ ظَهْرَهُ وَعَسْكَرِهِ إِلَى أَحَدٍ، وَسَوَّى صُفُوفَهُمْ، وَأَجْلَسَ جَيْشًا مِنَ الرُّمَاءِ - وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ - بِسَفْحِ الْجَبَلِ، وَقَالَ: انْضَحُوا عَنَّا بِالنَّبْلِ لَا يَأْتُونَا مِنْ وَرَائِنَا، وَلَا تَبْرَحُوا غُلْبِنَا أَوْ نُصِرْنَا.

﴿١٢٢﴾ - إِذْ - بَدَلٍ مِنْ (إِذْ) قَبْلَهُ - ﴿هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ﴾: بَنُو سَلَمَةَ وَبَنُو حَارِثَةَ جَنَاحَا الْعَسْكَرِ ﴿أَنْ تَفْشَلَا﴾: تَجَبُّنَا عَنِ الْقِتَالِ، وَتَرْجِعَا لَمَّا رَجَعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي الْمُنَافِقِ وَأَصْحَابُهُ، وَقَالَ: عَلَامَ نَقْتُلُ أَنْفُسَنَا وَأَوْلَادَنَا؟ وَقَالَ لِأَبِي جَابِرِ السُّلَمِيِّ

حاشية الصاوي

قوله: (سابع شوال) وقيل: كان في نصفه، فيكون قدوم الكفار يومَ اثني عشر منه.

قوله: (وعسكره) بالجرّ، معطوفٌ على الضمير المجرور في (ظهره) أي: وجعل ظهرَ عسكره.

قوله: (وأجلس جيشاً من الرُّمَاءِ) أي: وهم المسمّون بالساقة.

قوله: (وقال: انضحوا) أي: فرّقوا، من: النَّضْح، وهو الرُّش، والمعنى: فرّقوا الأعداء عَنَّا

بالنبل.

قوله: (ولا تبرحوا) هذا في الحقيقة خطاب وأمر للجميع.

قوله: ﴿هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ﴾ أي: أرادت، ولمّا كان الهمُّ بالمعصية لا يُكتبُ.. مدحهم الله

بقوله: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾^(١).

قوله: (بنو سلمة) أي: وهم من الخزرج، وقوله: (وبنو حارثة) أي: وهم من الأوس.

قوله: (وأصحابه) أي: وكانوا ثلاث مئة.

قوله: (علامَ نقتلُ أنفسنا وأولادنا) أي: لأيِّ شيء نقتلُ؟

قوله: (وقال) أي: عبد الله بنُ أبي، ومقول القول قوله: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا... إلخ﴾.

(١) وقع في (ط) زيادة هي: وأما بالطاعة فيكتب، وأما العزم فيكتب خيراً أو شراً، وما دون ذلك من مراتب القصد

لا يكتب أصلاً، لا خيراً ولا شراً، قال بعضهم:

فَخَاطِرُ فَحْدَيْتِ النَّفْسِ فَاسْتَمِعَا

مَرَاتِبُ الْقَصْدِ خَمْسٌ هَاجِسٌ ذَكَرُوا

سَوَى الْأَخِيرِ فَنَبِيهِ الْأَخْذُ قَدْ وَقَعَا

يَلِيهِ هَمٌّ فَعَزَمَ كُلُّهَا رُفِعَتْ

وقد ضربَ عليها في (أ)؛ لأنه سبق للمصنف أن ذكرها.

وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾

القائل له: (أَنشُدْكُمْ الله في نبيكم وأنفسكم): (لو نَعَلَم قِتَالاً لَا تَبْعَانَاكُمْ)، فَتَبَّتَهُمَا اللهُ وَلَمْ يَنْصَرْفَا، ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾: نَاصِرُهُمَا، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ لِيَتَّقُوا بِهِ دُونَ غَيْرِهِ.
﴿١٢٣﴾ وَنَزَلَ لَمَّا هَزِمُوا تَذْكِيراً لَهُمْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ﴾: مَوْضِعٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ﴿وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ بِقِلَّةِ الْعَدَدِ وَالسَّلَاحِ، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نِعْمَهُ.

حاشية الصاوي

قوله: (القائل له) صفة لأبي جابر.

قوله: (أَنشُدْكُمْ الله) أي: أُلْحِفْكُمْ بالله، وقوله: (في نبيكم وأنفسكم) أي: في حفظهما.

قوله: (فتبتهما الله) أي: الطائفتين بعد أن حصلت لهما التفرقة أولاً، وشُجَّ وجهُ رسول الله، وكُسِرَت رِبَاعِيَّتُهُ، وَضُرِبَ نَيْفًا وَسَبْعِينَ ضَرْبَةً مَا بَيْنَ سَهْمٍ وَسَيْفٍ، وَطَلَحَ بَنُ عَبْدِ اللَّهِ أَحَدَ الْعَشْرَةِ يَلْقَاهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، وَحِينَئِذٍ نَادَى إِبْلِيسُ وَالْمُنَافِقُونَ فِي النَّاسِ: أَنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَكَانَ بِحِجَّةٍ فِي مَحَلٍّ مُنْخَفِضٍ، فَأَرَادَ الصُّعُودَ لِيَرَاهُ الْمُسْلِمُونَ، فَلَمْ يَنْهَضْ، فَحَمَلَهُ طَلْحَةُ عَلَى ظَهْرِهِ، وَقَدْ كَانَ عَلَى الْمُصْطَفَى دِرْعَانٌ، فَلَمَّا رَأَاهُ الْمُسْلِمُونَ.. فَرَحُوا وَصَارُوا يَأْتُونَ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ فَجٍّ كَالنَّاقَةِ الْغَائِبِ عَنْهَا وَلَدُهَا إِذَا رَأَتْهُ، فَحَصَلَ الثَّبَاتُ وَالنَّصْرُ، وَبَاتَتِ الْهَزِيمَةُ عَلَى الْكُفَّارِ.

قوله: (ناصرهما) أي: ولم يؤاخذهما بذلك الهم.

قوله: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ﴾ هذا الكلام تسلية للنبي وأصحابه فيما وقع لهم في غزوة أحد، يعني: أَنَّهُ سَبَقَ لَكُمْ النِّصْرُ فَلَا تَحْزَنُوا بِحُصُولِ تِلْكَ الشَّدَةِ، وَحِكْمَتُهَا: تَمْيِيزُ الْمُنَافِقِ مِنَ الْمُؤْمِنِ، لَا الْهَزِيمَةُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ [آل عمران: ١٦٦].

قوله: (موضع بين مكة والمدينة) أي: فَسُمِّيَتِ الْوَاقِعَةُ بِاسْمِ الْمَوْضِعِ، وَقِيلَ: إِنَّ بَدْرًا اسْمٌ لِبُئْرِ حَفَرِهَا رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: بَدْرٌ، فَسُمِّيَ الْمَكَانُ بِاسْمِ ذَلِكَ الرَّجُلِ.

قوله: (بقلة العدد والسلاح) أي: فلم يكن معهم إلا ثلاثة أفراس وثلاثة سيوف، وكان عدتهم ثلاث مئة وثلاثة عشر، وعدة الكفار نحو ألف.

قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمه) أي: حيث نصركم مع كونكم أذلة، فظفروا بهم، وأخذوا شجعانهم ما بين قتيل وأسير.

إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آَلَفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزْلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ
إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ

﴿١٢٤﴾ - إِذْ - ظَرَفٌ لـ ﴿نَصَرَكُمْ﴾ - ﴿تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ تُوَعِدُهُمْ تَطْمِينًا: ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ﴾: يُعِينُكُمْ ﴿رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آَلَفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزْلِينَ﴾ - بِالْتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ ..

﴿١٢٥﴾ ﴿بَلَىٰ﴾ يَكْفِيكُمْ ذَلِكَ، وَفِي (الأنفال): ﴿بِآَلَفٍ﴾ لِأَنَّهُ أَمَدَّهُمْ أَوَّلًا بِهَا ثُمَّ صَارَتْ ثَلَاثَةً، ثُمَّ صَارَتْ خَمْسَةً كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَصْبِرُوا﴾ عَلَى لِقَاءِ الْعَدُوِّ ﴿وَتَتَّقُوا﴾ اللَّهُ فِي الْمُخَالَفَةِ، ﴿وَيَأْتُوكُمْ﴾ أَي: الْمُشْرِكُونَ ﴿مِنْ فُورِهِمْ﴾: وَقْتِهِمْ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ سبَّبَ هَذَا الْقَوْلَ: أَنَّهُ لَمَّا تَلَقَّى الصَّفَانِ جَاءَ الصَّحَابَةَ خَبْرٌ بِأَنْ كَرَزَ بْنِ جَابِرٍ يَمُدُّ الْكُفَّارَ وَيُعِينُهُمْ^(١)، فَحَزَنَتِ الصَّحَابَةُ حُزْنًا شَدِيدًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تِلْكَ الْآيَةَ.

قوله: ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ﴾ الاستفهام إنكاري؛ نظير: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

قوله: ﴿يُعِينُكُمْ﴾ أي: يَزِيدُكُمْ.

قوله: ﴿بِثَلَاثَةِ آَلَفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ﴾ إِنْ قُلْتَ: مَا الْحَاجَةُ لِذَلِكَ الْعَدَدِ الْكَثِيرِ؟ فَإِنْ جَبَرِيلَ وَحْدَهُ أَوْ أَيُّ مَلِكٍ كَافٍ فِي قِتَالِ الْكُفَّارِ!

أَجِيبَ: بِأَنْ ذَلِكَ يَنْسَبُ النِّصْرَ لِرَسُولِ اللَّهِ وَالْمُؤْمِنِينَ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَتَلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ [التوبة: ١٤]، فَلَوْ هَلَكُوا بِشَيْءٍ مِمَّا هَلَكَ بِهِ الْأُمَمُ السَّابِقَةُ.. لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ مَزِيدٌ فَخْرٍ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَلَا شَفَاءٌ لِعِظَتِهِمْ؛ لَكُونَهُ خَارِجًا عَنْ اخْتِيَارِهِمْ.

قوله: ﴿بَلَىٰ﴾ حَرْفُ جَوَابٍ؛ أَي: وَهُوَ إِجَابٌ لِلنَّفْيِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ﴾، وَأَمَّا جَوَابُ الشَّرْطِ فَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿يُمِدُّكُمْ﴾.

قوله: ﴿لَأَنَّهُ أَمَدَّهُمْ أَوَّلًا بِهَا﴾ هَذَا إِشَارَةٌ لَوْجِهِ الْجَمْعِ بَيْنَ مَا هُنَا وَبَيْنَ مَا يَأْتِي.

قوله: ﴿مِنْ فُورِهِمْ﴾ يُطْلَقُ الْفُورُ عَلَى الْغَلْيَانِ، يُقَالُ: فَارَ الْقِدْرِ: غَلَا، وَيُطْلَقُ عَلَى الْوَقْتِ الْحَاضِرِ، وَهُوَ الْمَرَادُ هُنَا.

(١) وَهُوَ كَرَزُ بْنُ جَابِرٍ الْمَحَارِبِيُّ، رَوَى خُبْرَهُ الطَّبْرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٧/ ١٧٣).

هَذَا يُنذِرُكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِنُظْمِينَ

﴿هَذَا يُنذِرُكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ - بكسر الواو وفتحها - أي: مُعَلِّمِينَ، وقد صَبَرُوا وأنجزَ الله وَعْدَهُ، بِأَن قَاتَلَتْ مَعَهُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى خَيْلٍ بُلُقٍ، عَلَيْهِمْ عِمَائِمُ صُفَرٍ أَوْ بَيْضُ أَرْسَلُوهَا بَيْنَ أَكْتَافِهِمْ.

﴿١٢٦﴾ ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ أي: الإِمْدَادُ ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾ بِالنَّصْرِ، ﴿وَلِنُظْمِينَ﴾: تَسْكُنَ

حاشية الصاوي

قوله: (بكسر الواو) أي: اسم فاعل، والمعنى: مُعَلِّمِينَ أَنْفُسَهُمْ آدَابَ الْحَرْبِ، وقوله: (وفتحها) أي: اسم مفعول، بمعنى: أَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُمْ آدَابَهُ^(١).

قوله: (وأنجز الله وعدهم) أي: فَكَلَّمَا حَصَلَ لِلْمُؤْمِنِينَ ضَعْفٌ.. زَادَهُمُ اللَّهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

قوله: (على خيل بلق) أي: وَجُوهُهَا وَأَيْدِيهَا وَأَرْجُلُهَا بَيْضٌ، وقوله: (وعليهم عمام صفر أو بيض) أي: فَهَمَا رَوَايَتَانِ، وَجُمَعَ: بِأَن جَبْرِيلَ كَانَتْ عِمَامَتُهُ صَفْرَاءَ، وَبَاقِيَهُمْ بَيْضٌ.

قوله: (أرسلوها) أي: طَرَفَهَا، وَرَدَّ عَنْ عَلِيٍّ أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ فِي قَلْبِ بَدْرٍ، فَاشْتَدَّتْ رِيحٌ عَظِيمَةٌ، فَرَأَيْتُ جَبْرِيلَ نَزَلَ بِالْفَيْنِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَسَارَ أَمَامَ الْمُصْطَفَى، ثُمَّ اشْتَدَّتْ رِيحٌ، فَرَأَيْتُ إِسْرَافِيلَ نَزَلَ بِالْفَيْنِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَسَارَ عَلَى يَمِينِهِ، ثُمَّ اشْتَدَّتْ رِيحٌ، فَرَأَيْتُ مِيكَائِيلَ نَزَلَ بِالْفِ، فَسَارَ عَلَى يَسَارِهِ^(٢).

واعلم: أَنَّ قِتَالَ الْمَلَائِكَةِ مِنْ خَصَائِصِ هَذِهِ الْأَمَّةِ، وَلَيْسَ مَخْصُوصاً بِوَاقِعَةِ بَدْرٍ، بَلْ وَرَدَ: أَنَّ جَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ قَاتَلَا مَعَ النَّبِيِّ فِي أَحَدٍ حِينَ فَرَّتْ أَصْحَابُهُ^(٣).

قوله: (أي: الإمداد) أي: الْمَفْهُومُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿يُنذِرُكُمْ﴾.

قوله: ﴿إِلَّا بُشْرَى﴾ (البشارة: هي الخبر السار، ولا تطلق على الضد إلا مقيدة.

قوله: ﴿وَلِنُظْمِينَ﴾ (معطوف على ﴿بُشْرَى﴾) الْوَاقِعُ مَفْعُولاً لِأَجَلِهِ، وَجُرَّ بِاللَّامِ لِإِعْدَمِ اسْتِيفَاءِ

(١) وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم بكسر الواو على اسم الفاعل، والباقون بفتحها على اسم المفعول. انظر «الدر المصون» (٣/٣٨٧).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرک» (٣/٦٩).

(٣) رواه مسلم (٢٣٠٦)، وكانا في صورة رجلين عليهما ثياب بيض.

قُلُوبُكُمْ بِهِ. وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَسِبُهُمْ فَيُنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿١٢٧﴾

﴿قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾ فلا تجزع من كثرة العدو وقليتك، ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ يؤتيه من يشاء، وليس بكثرة الجند.

﴿١٢٧﴾ ﴿لِيَقْطَعَ﴾ - متعلق بـ ﴿نَصْرَكُمْ﴾ - أي: لِيُهْلِكَ ﴿طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالقتل والأسر، ﴿أَوْ يَكْتَسِبُهُمْ﴾: يَذْلَهُم بِالْهَزِيمَةِ، ﴿فَيُنْقَلِبُوا﴾: يَرْجِعُوا ﴿خَائِبِينَ﴾ لَمْ يَنَالُوا مَا رَامُوهُ. ﴿١٢٨﴾ وَنَزَلَ لَمَّا كَسِرَتْ رَبَاعِيَّتُهُ ﷺ وَشَجَّ وَجْهَهُ يَوْمَ أُحُدٍ وَقَالَ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ

حاشية الصاوي

شروط المفعول من أجله؛ فإن فاعلَ الجعل الله، وفاعل الطمأنينة القلوب، فلم يتَّحدا في الفاعل، وشرطه: الاتحاد.

قوله: (فلا تجزع من كثرة العدو) ورد: أن الملائكة كانت تُقاتل وتقول للمؤمنين: اثبتوا فإن عدوكم قليل والله معكم^(١).

قوله: (وليس بكثرة الجند) أي: فلا توهّموا أن النصر بكثرة العدد.

قوله: (متعلق بـ ﴿نَصْرَكُمْ﴾) أي: المتقدم في قوله: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ﴾.

قوله: (أي: ليهلك) إنما فسره بذلك؛ لأن القطع يأتي لمعانٍ، منها: التفريق؛ كقوله تعالى: ﴿وَقَطَعْنَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ [الأعراف: ١٦٨] وليس مراداً هنا، ومنها: الهلاك، وهو المراد.

قوله: (بالقتل) أي: وكانوا سبعين، وقوله: (والأسر) أي: وكانوا كذلك.

قوله: ﴿أَوْ يَكْتَسِبُهُمْ﴾ الكبت بمعنى: الكبّد، فتاؤه مبدلة من الدال، وهو الغيظ الذي يُحرق الكبّد^(٢).

قوله: (لم ينالوا ما راموا) أي: ما قصّده.

قوله: (لما كسرت رباعيته) أي: السنّة التي بين الثنايا والنباب، وقوله: (وشجّ وجهه) أي: غاصت فيه حلقة المغفر.

(١) قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ الآية، وانظر «الدر المنثور» (٤/ ٣٤).

(٢) كذا قال الأزهري في «تهذيب اللغة» (ك ب ت).

لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾

خَضَبُوا وَجَهَ نَبِيَّهُمْ بِالْدَّمِ؟»: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾، بَلِ الْأَمْرُ لِلَّهِ فَاصْبِرْ، ﴿أَوْ﴾ - بِمَعْنَى (إِلَى أَنْ) - ﴿يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ بِالْإِسْلَامِ، ﴿أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ بِالْكُفْرِ.

﴿١٢٩﴾ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مُلْكًا وَخَلْقًا وَعَبِيدًا، ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ الْمَغْفِرَةَ لَهُ، ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ تَعَذِّيبَهُ، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لِأَوْلِيَائِهِ، ﴿رَّحِيمٌ﴾ بِأَهْلِ طَاعَتِهِ.

حاشية الصاوي

قوله: (وقال: كيف يُفلح قوم... إلخ) ^(١) أي: وقد عزم أن يدعو عليهم، كذا قيل، والأقرب: أن مقالة النبي حزناً على عدم إيمانهم؛ فإن قصد النبي هدايتهم، وحيث وقع منهم ذلك الفعل فهو دليل على عدم إيمانهم، فيفوت مقصد النبي، فسأله الله بالآية كما سأله بقوله: ﴿فَلَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَرِهِمْ﴾ [الكهف: ٦]، وبقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَن أَحْبَبْتَ﴾ [الفصل: ٥٦].

قوله: (يوم أحد) أي: وقيل: نزلت في أهل بئر معونة، وهم سبعون رجلاً من القرأء، بعثهم رسول الله ﷺ إلى بئر معونة - وهي بين مكة وعسفان - ليعلموا الناس القرآن والعلم، وأمر عليهم المنذر بن عمرو، وكان ذلك في صفر سنة أربع من الهجرة، فخانهم عامر بن الطفيل وقتلهم عن آخرهم، فاشتد غضب رسول الله ﷺ، فسأله الله بذلك ^(٢).

قوله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ أي: لا تملك لهم نفعاً فتصلحهم، ولا ضرراً فتهلكهم، فنفي ذلك من حيث الإيجاد والإعدام، وأمّا من حيث الدلالة والشفاعة فهو الدليل الشفيع المشفع، جعل الله مفاتيح خزائنه بيده، فمن زعم أن النبي كآحاد الناس لا يملك شيئاً أصلاً ولا نفع به لا ظاهراً ولا باطناً.. فهو كافر، خاسر الدنيا والآخرة، واستدلّاه بهذه الآية ضلالاً مبيناً.

قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ علة لقوله: ﴿أَوْ يُعَذِّبُهُمْ﴾.

قوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ هذا كالدليل لما قبله.

(١) رواه مسلم (١٧٩١) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) «تفسير البغوي» (١/٥٠٤)، وأورد لكلا القولين رواية.

يَتَّيْهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ مَضَعَةً ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٦﴾
وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣٧﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٨﴾
وَسَارِعُوا

﴿١٣﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ مَصَافًهًا - بِأَلْفٍ وَدُونَهَا - يَأْتِ
تَزِيدُوا فِي الْمَالِ عِنْدَ حُلُولِ الْأَجْلِ وَتُؤَخِّرُوهُمُ الْطَّلَبَ، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بِتَرْكِهِ، ﴿لَعَلَّكُمْ
تَفْلِحُونَ﴾ : تَقْوَرُونَ.

﴿۱۳۱﴾ وَأَنْقُضُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿۱﴾ أَنْ تُعَذِّبُوا بِهَا.

﴿۱۳۲﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿۱۳۲﴾

﴿۱۳۳﴾ ﴿وَسَارِعُوا﴾ - بواو ودُونَهَا -

حاشية الصاوى

قوله: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَرْبَابًا﴾ سبب نزول الآية: أن الرجل كان في الجاهلية إذا كان له دينٌ على آخرٍ وحلَّ الأجلُ ولم يقدر الغريمُ على وفائه، قال له صاحبُ الدين: زدني في الدين وأنا أزيدك في الأجل، فكانوا يفعلون ذلك مراراً، فربما زاد الدينُ زيادةً عظيمةً.

قوله: (وتؤخّروا الطلب) أي: في نظير تلك الزيادة، والواجبُ إنظارُ المعسرِ من غير شيء، والتشديدُ على الموسرِ المماطل.

قوله: (بترکه) أي: الربا، وكذا كلُّ ما نهى الله عنه.

قوله: (أَنْ تَعَذَّبُوا بِهَا) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنْ فِي الْكَلَامِ حَذْفُ مِصْرَفٍ؛ أَي: اتَّقُوا تَعَذِيبَ النَّارِ؛ أَي: اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ وَقَايَةً.

قوله: ﴿وَسَارِعُوا﴾ أي: بادروا.

قوله: (بواو ودونها) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١)، فعلى الواو تكون الجملة معطوفة على جملة ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ﴾، وعلى عدمها تكون الجملة استئنافية، كأن قائلًا قال: وما كيفية تقوى النار؟ وبأي شيء يكون تقواها؟ فأجاب بقوله: ﴿وَسَارِعُوا... إلخ﴾.

إِنْ قُلْتَ: إِنْ مَا خَالَفَ الرَّسْمَ الْعُثْمَانِي شَدًّا، فَمُقْتَضَاهُ أَنْ أَحَدَ الْقَرَاءَتَيْنِ مُخَالَفٌ لِلرَّسْمِ!

(١) قرأ نافع وابن عامر بدون واو، والباقون بواو العطف. انظر «الدر المصون» (٣/٣٩٤).

إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾

﴿إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ أي: كعرضيهما لو وُصِلَتْ إحداهما بالأخرى، والعرض: السَّعة، ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الله بِعَمَلِ الطَّاعَاتِ وَتَرْكِ المعاصي.

حاشية الصاوي

أجيب: بأن المصاحف العثمانية تعددت، فبعضها بالواو، وبعضها بدونها، ولا يردُّ هذا الإشكال إلا لو كان واحداً.

قوله: ﴿إِلَى مَغْفِرَةٍ﴾ أي: إلى أسبابها، وهو الانهماك في الطاعات، والبعد عن المعاصي.
قوله: ﴿وَجَنَّةٍ﴾ عطفها على المغفرة من: عطف المسبب على السبب، ومُرادنا بالسبب: الظاهري، وإلا.. فالسبب الحقيقي هو فضل الله.

قوله: (كعرضيهما) أشار بذلك إلى أن في الكلام حذف مضاف وأداة التشبيه، وقد صرَّح بهما في سورة (الحديد)، قال تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١].

واختلف هل هذا التشبيه حقيقي؟ والمعنى: لو بُسِطَت السموات كلُّ واحدة بجانب الأخرى وكذلك الأرض.. لكان ما ذُكِرَ مماثلاً لعرض الجنة، وأما طولها فلا يعلمه إلا الله، وإنما لم يقل: طولها؛ لأنه لا يلزم من سعة الطول سعة العرض، بخلاف العكس، وهذا تفسير ابن عباس^(١).

أو مجازي؟ وهو كناية عن عظيم سعتها، وإلا.. فالسموات والأرض لو اتَّصَلَت ببعضها بعض.. كان ما ذُكِرَ أقلَّ ممَّا يُعْطَاهُ أبو بكر الصديق فضلاً عن غيره؛ لما ورد: أن جبريلَ يسيرُ بأجنحته الست مئة في ملكه شهراً، إذا علمت ذلك.. فالمناسب للمفسِّر أن يقول: (أو العرض السعة)؛ ليفيد أنه تفسير آخر.

قوله: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: هيئت وأحضرت، وقَدَّمَ هذا الوصف؛ لأنه مستلزم لجميع الأوصاف، و(المتقين) جمع متقٍ، وهو المنهمك في الطاعات، المجتنب للمعاصي.

(١) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢٠٧/٧).

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ

﴿١٣٤﴾ (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ) في طاعة الله ﴿فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾: اليُسْرِ والعُسْرِ ﴿وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ﴾: الكَافِينَ عن إِمضَائِهِ مَعَ الْقُدْرَةِ، ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ مِمَّنْ ظَلَمَهُمْ،
حاشية الصاوي

قوله: (اليُسْر والعُسْر) أي: الرخاء والشدة، وذلك لِثِقَتِهِ بِرَبِّهِ واعتماده عليه، فينفق في كل زمن على حَسَبِ حاله فيه قليلاً أو كثيراً، ولا يَسْتَحْفُفُ بالصدقة؛ ففي الحديث: «اتقوا النار ولو بشقّ تمر»^(١)، وفي رواية: «ولو بِظُلْفٍ مُحْرَقٍ»^(٢).

قوله: ﴿وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ﴾ أي: وهو ناريةٌ تحلُّ في القلب، يظهر أثرها على الجوارح^(٣).
قوله: (الكافين عن إِمضَائِهِ مَعَ الْقُدْرَةِ) أي: الكاتمين الغضبَ مع القدرة على العمل بِمقتضاه بظواهرهم وبواطنهم، وكظمُ الغيظ من أعظم العبادَةِ، ورد: «من كظم غيظاً وهو يقدرُ على إنفاذه.. ملاءُ الله أمانةً وإيماناً»^(٤).

إن قلت: ورد عن الشافعي أنه قال: (من استغضب ولم يغضب فهو حمار)^(٥)، فمقتضاه: أنه مذمومٌ، ومقتضى الآية أنه من المتقين!

أجيب: بأن كلام الشافعي يحملُ على ما إذا رأى حُرَمَاتِ الله تُفْعَلُ ولم يَنه عنها ولم يغضب لأجلها.

واتفق للإمام الحسن زمنَ خلافته وكان حليماً جداً أن رجلاً قدّم عليه لِيَمْتَحِنَهُ، فصار يسبُّه ويتكلّم فيه وهو يبتسم، فقال له الرجل: إن شَتَمْتَنِي واحدةً شَتَمْتُكَ مئةً، فقال الحسن: إن شَتَمْتَنِي مئةً ما شَتَمْتُكَ واحدةً، فوقّع على قدمه وقبّلها وقال: أشهدُ أنك على خُلُقِ رسول الله.

قوله: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ عطفٌ على (الكاظمين) من عطف العام على الخاص؛

(١) رواه البخاري (١٤١٧)، ومسلم (١٠١٦) من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

(٢) رواه مالك في «الموطأ» بلفظ: «ردُّوا المسكين ولو بِظُلْفٍ مُحْرَقٍ»، والظلف للبقر والغنم كالحافر للفرس والخفّ للبعير.

(٣) روى أحمد في «المسند» (١٢٨/٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: «ما تجرّع عبدٌ جرعةً أفضلَ من جرعة غيظ يكظمها ابتغاء وجه الله تعالى».

(٤) رواه أبو داود (٤٧٧٨).

(٥) رواه أبو نعيم في «الحلية» (١٤٣/٩)، والبيهقي في «الشعب» (٨٧٣٤).

وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ
فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ

أي: التَّارِكِينَ عُقُوبَتَهُ، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ بهذه الأفعال، أي: يُشِيهُهُمْ.
﴿١٣٥﴾ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً﴾: ذَنْبًا قَبِيحًا كَالزَّنا، ﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾: بِمَا دُونَهُ
كَالْقُبْلَةِ، ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ أي: وَعِيَدَهُ، ﴿فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾
حاشية الصاوي

لأن العفو أعم من أن يكون معه كظم غيظ أو لا، كما إذا سبَّه وهو غائب، فبلغه ذلك، فعفا عنه من
غير أن يستغفره الغضب.

واتفق للإمام زين العابدين أن جاريته كانت تصب عليه ماء الوضوء، فسقط الإبريق على رأسه،
فشجَّ وجهه، فرفع بصره لها، فقالت له: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾، فقال: كظمتُ غيظي، فقالت:
﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾، فقال: عفوتُ عنك، فقالت: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، فقال: أنتِ حرةٌ
لوجه الله.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا﴾ شروع في ذكر التَّوَابِينَ بعد أن ذكر المَطْهَرِينَ، وبقي قسم ثالث
وهم الذين أصرُّوا على المعاصي وماتوا من غير توبة، فأمرهم مَفُوضٌ لله؛ إما أن يدخلهم الجنة من
غير سابقة عذاب، أو يعذبهم بقدر الجرم ثم يدخلهم الجنة، خلافاً للمعتزلة؛ حيث منعوا غفرانَ
الذنوب لهم.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ﴾ مبتدأ أول، و﴿أُولَئِكَ﴾: مبتدأ ثانٍ، و﴿جَزَاؤُهُمْ﴾: مبتدأ ثالث، وقوله:
﴿مَغْفِرَةً﴾: خبر الثالث، وهو وخبره: خبر الثاني، وهو وخبره: خبر الأول.

قوله: (ذنباً قبيحاً) أي: كبيراً، وقوله: (كالزنا) أي: وغيره من الكبائر، وقوله: (بما دونه)
أي: كالصغائر، وهذه الآية نزلت في حق رجلٍ تَمَّارٍ مرَّت عليه امرأةٌ وأرادت أن تشتري منه تمرّاً،
فأعجبته، فقال لها: إن التمرَ الجديد داخل الحانوت، فدخل معها الحانوت وفعل معها ما عدا
الإيلاج، وأعطاهَا التمرَ، فتذكَّرَ هيبةَ الله وعِقابَهُ، فجاءَ لرسول الله يبكي، فنزلت الآية^(١).

قوله: (أي: وعيده) أشارَ بذلك إلى أن الكلامَ على حذف مضاف.

قوله: ﴿فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ أي: أقَلَمُوا عنها وتابوا.

(١) «زاد المسير» (٣٢٦/١) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، والرجل هو نهبان التَّمَّار.

وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاءُكُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ

وَمَنْ أَي: لا أحد ﴿يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا﴾: يُدِيمُوا ﴿عَلَى مَا فَعَلُوا﴾، بل أَقْلَعُوا عَنْهُ، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أن الذي أتوه معصية.

﴿١٣٦﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاءُكُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ - حالٌ مُقَدَّرَةٌ - أي: مُقَدَّرِينَ الْخُلُودَ فِيهَا إِذَا دَخَلُوهَا، ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ بِالطَّاعَةِ هَذَا الْأَجْرُ.

﴿١٣٧﴾ وَنَزَلَ فِي هَزِيمَةٍ أُحَدٍ: ﴿قَدْ خَلَتْ﴾: مَضَتْ ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾: طَرَائِقُ فِي الْكُفَّارِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ جملة معترضة بين الحال وصاحبها، قصد بها التعليل.

قوله: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا﴾ جملة حالية من الواو في ﴿أَسْتَغْفِرُوا﴾.

قوله: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ جملة حالية أيضاً، وقوله: (أن الذي أتوه معصية) إشارة لمفعول ﴿يَعْلَمُونَ﴾، والمعنى: وليسوا ممن يُصِرُّونَ عَلَى الذُّنُوبِ وَهُمْ عَالِمُونَ بِقُبْحِهَا وَالنَّهْيِ عَنْهَا وَالْوَعْدِ عَلَيْهَا؛ لِأَنَّهُ قَدْ يَقْدُمُ عَلَى الذَّنْبِ مَنْ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ ذَنْبٌ وَلَا يُوَازِئُ ذَلِكَ؛ كَالْمَجْتَهِدِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ فِي قِتَالِ بَعْضِهِمْ؛ وَلِذَلِكَ كَانَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ إِذَا ظَهَرَ لَهُ الْخَطَأُ.. أَقْلَعَ فِي الْحَالِ.

قوله: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ المعنى: أن القصور والأشجار مُشْرِقَةٌ عَلَى الْأَنْهَارِ.

قوله: ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (نعم): فعل ماضٍ، و﴿أَجْرُ﴾: فاعل، والمخصوص بالمدح محذوف، قدره المفسر بقوله: (هذا الأجر) أي: الذي هو المغفرة والجنة.

قوله: (ونزل في هزيمة أحد) أي: تسليّة للنبي وأصحابه على ما أصابهم من الحزن الذي وقع لهم في تلك الغزوة، فكأن الله يقول لهم: لا تحزنوا؛ فإن هذه سنن من قبلكم، والعبرة بالخواتم، وقد تمّ النصر لكم على أعدائكم.

قوله: ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ من الخلو، بمعنى: المضي.

قوله: (في الكفار) أي: كعاد مع هود، وكثمود مع صالح، وكقوم نوح معه، وكقوم لوط معه، وكالنمرود مع إبراهيم، وكفراعون مع موسى، فإن الله أمهل هؤلاء ثم أخذهم أخذ عزيز مقتدر،

فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى
وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾

بإمهالهم ثم أخذهم، ﴿فَسِيرُوا﴾ أيها المؤمنون ﴿فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا﴾ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الْمُكْذِبِينَ ﴿الرُّسُلَ﴾، أي: آخر أمرهم من الهلاك، فلا تحزنوا لِعَلْبَتِهِمْ، فإنا أمهلهم لَوَقْتِهِمْ.
﴿١٣٨﴾ ﴿هَذَا﴾ الْقُرْآنُ ﴿بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾ كُلِّهِمْ، ﴿وَهُدًى﴾ مِنَ الضَّلَالَةِ، ﴿وَمَوْعِظَةٌ
لِّلْمُتَّقِينَ﴾ مِنْهُمْ.

حاشية الصاوي

فكذلك هؤلاء، قال تعالى: ﴿وَأَمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٣]، وقال عليه الصلاة
والسلام: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»^(١).

قوله: (بإمهالهم) أي: على سبيل الاستدراج، والمعنى: فلا تحزنوا ممّا وقع لكم؛ فإن الله
يمهل ولا يهمل.

قوله: ﴿فَسِيرُوا﴾ إنما قرن الفعل بالفاء؛ لما في الجملة الأولى من معنى الشرط، كأن الله
يقول: إن كنتم في شك ممّا ذكرته لكم.. فسيروا في الأرض لتروا آثارهم.

قوله: (أي: آخر أمرهم) أي: وهو الهلاك الأخروي بإخبار الله ورسله، والديوي بالمشاهدة.

قوله: (فإنما أمهلهم لوقتهم) أي: المقدّر لهم، ولا يعجل بالعقوبة إلا مَنْ يخاف الفوات.

قوله: ﴿بَيَانٌ﴾ إما باقٍ على مصدرية مبالغة، أو بمعنى: مبين، أو ذو بيان؛ على حدّ زيد
عدل، ولذلك سُمّي القرآن أيضاً فرقاناً؛ لأنه يفرق بين الحقّ والباطل.

قوله: (كلهم) أي: مسلمين أو كفاراً، وإنما كان بياناً للجميع؛ لإقامة الحجّة على الكافر يوم
القيامة وتعيّبه.

قوله: ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة) أي: هادٍ من الكفر أو المعصية.

قوله: ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ راجع لقوله: ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ﴾، وخصّهم لأنهم هم المنتفعون بذلك،
قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧].

(١) رواه البخاري (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾

﴿وَلَا تَهِنُوا﴾: تَضَعُفُوا عَنْ قِتَالِ الْكُفَّارِ، ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾: عَلَى مَا أَصَابَكُمْ بِأَحَدٍ، ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾: بِالْغَلْبَةِ عَلَيْهِمْ، ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: حَقًّا، - وَجَوَابُهُ دَلٌّ عَلَيْهِ مَجْمُوعٌ مَا قَبْلَهُ -.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ هذا من جملة التسلية للنبي وأصحابه، وأصله: (تَوَهَّنُوا) حذفت الواو لوقوعها بين عدوتيهما^(١)، وسبب ذلك: أنه لما حصلت التفرقة لأصحاب النبي ﷺ يوم أحد، وقُتل منهم سبعون، وجرح منهم ناسٌ كثيرون، وقُتل من الكفار نيّف وعشرون، وجرح منهم ناسٌ كثيرون.. قال أبو سفيان رئيس الكفار مُنادياً للنبي وأصحابه: أفي القوم محمد؟ ثلاث مرات، فنهى النبي القوم أن يُجيبوه، فقال: أفي القوم ابنُ أبي قحافة؟ ثلاث مرات، ثم قال: أفي القوم عمر بن الخطاب؟ ثلاث مرات، ثم رجع إلى أصحابه فقال: أما هؤلاء فقد قُتلوا، فما ملكَ عمرُ نفسه فقال: كذبتَ والله يا عدوَّ الله؛ إن الذين عددتَ لأحياءِ كلِّهم، وقد بقيَ لك ما يسوؤُك، ثم أخذَ أبو سفيان يرتجزُ بقوله: اعلُ هُبْل، اعلُ هُبْل، فقال عليه الصلاة والسلام: «ألا تُجيبوه؟ قولوا: الله أعلى وأجل»، قال أبو سفيان: إنَّ لنا عزي ولا عزي لكم، فقال عليه الصلاة والسلام: «قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم»^(٢)، وفي رواية: قال أبو سفيان: يومُ بيوم، وإن الأيامَ دولٌ والحربُ سجال، فقال عمرُ: لا سواء، قَتَلْنَا فِي الْجَنَّةِ، وَقَتَلَكُم فِي النَّارِ^(٣)، ثم أمرَ النبي أصحابه جميعاً بالإقبال على قتال الكفار ثانياً، فصار الجريحُ منهم يزحفُ على الرُّكْب، ووقعَ الحربُ بينهم، وباتت الهزيمةُ على الكفار، فنزلت الآية تسليةً للنبي وأصحابه.

قوله: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ أصله: الْأَعْلَوْنَ، استثقلت الضمة على الواو فحذفت، ثم تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً، فالتقى ساكنان، حذفت الألف لالتقائهما وبقيت الفتحة لتدلَّ عليها.

قوله: (مجموع ما قبله) أي: وهو قوله: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾.

(١) إذ أصل الفعل في المضارعة: يَوْهِن، فوقعت الواو بين الياء والكسرة، فحذفت.

(٢) رواه البخاري (٤٠٤٣).

(٣) رواه أحمد في «المسند» (٢٨٧/١).

إِنْ يَمَسَّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ، وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيَمَحَّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا.....

﴿١٤٠﴾ (إِنْ يَمَسَّكُمْ): يُصِيبُكُمْ بِأَحَدٍ ﴿قَرْحٌ﴾ - يَفْتَحِ الْقَافَ وَضَمُّهَا -: جَهْدٌ مِنْ جُرْحٍ وَنَحْوِهِ، ﴿فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ﴾ الْكُفَّارَ ﴿قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾ بِبَدْرِ، ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا﴾: نُصَرِّفُهَا ﴿بَيْنَ النَّاسِ﴾؛ يَوْمًا لِفِرْقَةٍ وَيَوْمًا لِأُخْرَى لِيَتَّعِظُوا، ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾ عِلْمَ ظُهُورِ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أَخْلَصُوا فِي إِيمَانِهِمْ مِنْ غَيْرِهِمْ، ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ يُكْرِمُهُمْ بِالشَّهَادَةِ، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾: الْكَافِرِينَ، أَي: يُعَاقِبُهُمْ، وَمَا يُنْعَمُ بِهِ عَلَيْهِمْ اسْتِدْرَاجٌ.

﴿١٤١﴾ (وَلِيَمَحَّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا): يُظَهِّرُهُمْ مِنَ الذُّنُوبِ.....

حاشية الصاوي

قوله: (بفتح القاف وضمها) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١)، وجواب الشرط محذوف، تقديره: فلا تحزنوا، فقوله: ﴿فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ... إلخ﴾ مفرغ عليه.

قوله: (ببدر) أي: فكانت الغلبة فيه للمؤمنين من أوله إلى آخره، وقال بعضهم: بل في أحد أيضاً؛ لأنَّ الغلبة آخرًا كانت للمؤمنين، وأما غزوة بدر فكانت للمؤمنين خاصة.

قوله: ﴿نُدَاوِلُهَا﴾ المداولة: نقلُ الشيء من واحد لآخر، والمعنى: إنما جعلنا الأيامَ دَوَلًا بين الناس يومًا للكفار ويومًا للمسلمين لِيَتَّعِظُوا وليَعْلَمَ اللهُ... إلخ.

قوله: (علم ظهور) جواب عن سؤال مقدَّر، حاصله: إن علم الله قديم لا يتجدَّد فكيف ذلك؟ فأجاب: بأن المراد ليظهر متعلِّقٌ بعلمه بتمييز المؤمن من غيره، والمعنى: أن نصرة الكافر تارة ليست لمحبة الله له، بل لتمييز المؤمن من المنافق، وليتخذَ منكم شهداء، وإلا... فالله لا يحبُّ الكافرين.

قوله: (أي: يعاقبهم) تفسير لعدم محبة الله للظالمين.

قوله: (وما ينعم به عليهم استدراج) جواب عن سؤال مقدَّر، تقديره: إنا نرى الله ينصرهم تارة، وينعمُ عليهم بالدنيا وزينتها! فأجاب: بأنها نَقَمٌ في صورة نِعَمٍ.

قوله: ﴿وَلِيَمَحَّصَ اللَّهُ﴾... إلخ هذه حكمةٌ ثالثة، والمعنى: إنما جعلنا الغلبةَ أولًا للكفار

(١) قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بضم القاف، والباقون بفتحها. انظر «تفسير البغوي» (١/٥١٤).

وَيَمَحَقُ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الْقَاصِرِينَ ﴿١٤٢﴾

بما يُصِيبُهُمْ، ﴿وَيَمَحَقُ﴾: يُهْلِكُ ﴿الْكَافِرِينَ﴾.

﴿١٤٢﴾ ﴿أَمْ﴾: بَلْ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا ﴿يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ عِلْمَ ظُهُورٍ، ﴿وَيَعْلَمَ الْقَاصِرِينَ﴾ في الشَّدَائِدِ؟

حاشية الصاوي

ليتميز المؤمن من الكافر، ويتخذ منهم شهداء، ويخلص المؤمنين من الذنوب، ويأخذ الكفار شيئاً فشيئاً.

قوله: (بما يصيبهم) أي: بسبب ما يُصِيبُهُمْ من الجهد والمشقة.

قوله: ﴿وَيَمَحَقُ الْكَافِرِينَ﴾ أي: يأخذهم ويهلكهم شيئاً فشيئاً؛ لأنَّ المحق: الإهلاك شيئاً فشيئاً.

قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ ﴿أَمْ﴾: مُنْقَطِعَةٌ؛ فلذا فسرها بـ(بل) التي للإضراب الانتقالي، والهمزة التي قدّرها المفسر للاستفهام الإنكاري، والمعنى: لا تظنّوا يا أيها المؤمنون أنكم تدخلون الجنة مع السابقين بمجرد الإيمان من غير جهادٍ وصبرٍ، بل مع الجهاد والصبر، وهو خطابٌ لأهل أحد؛ حيث أمروا بالقتال مع كونهم جرحى وتشديدٌ عليهم في ذلك، والمقصود من ذلك: تعليمٌ من يأتي بعدهم، وإلا... فهم قد جاهدوا في الله حقَّ جهاده، وصبروا صبراً جميلاً.

قوله: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ﴾ (لما): حرفٌ نفي وجزم وقلب، تفيدُ توقُّعَ الفعل؛ فلذا عبّر بها دون (لم)، وقد حصل ذلك، و﴿يَعْلَمِ﴾: مجزومٌ بـ(لما) وعلامةُ جزمه السكون، وحركٌ بالكسر تخلصاً من التقاء الساكنين، و﴿اللَّهُ﴾: فاعلٌ ﴿يَعْلَمِ﴾، وذلك كنايةٌ عن عدم حصول الجهاد والصبر؛ لأنَّ ما لم يعلمه الله لم يكن حاصلاً.

قوله: ﴿وَيَعْلَمَ الْقَاصِرِينَ﴾ هكذا بالنصب باتفاق القراء بـ(أن) مضمرة بعد واو المعية؛ على حدٍّ: لا تأكل السمك وتشرب اللبن.

قوله: (في الشَّدَائِدِ) أي: البلايا؛ كالأمرض والفقر والمحن، فيكون عن الله راضياً في السراء والضراء. وقوله: ﴿الَّذِينَ جَاهَدُوا﴾ يدخل فيه جهادُ النفس بمخالفة شهواتها؛ لأنَّ العبرة بعموم اللفظ

وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٤٣﴾

﴿١٤٣﴾ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ - فِيهِ حَذْفُ إِحْدَى التَّائِينَ فِي الْأَصْلِ - ﴿الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾ حَيْثُ قُلْتُمْ: (لَيْتَ لَنَا يَوْمًا كَيَوْمَ بَدْرٍ؛ لِنَنَالَ مَا نَالَ شَهِدَاؤُهُ)، ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾ أَي: سَبَبُهُ الْحَرْبَ ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ أَي: بُصْرَاءُ تَتَأَمَّلُونَ الْحَالَ كَيْفَ هِيَ، فَلِمَ انْهَزَمْتُمْ؟ ﴿١٤٤﴾ وَنَزَلَ فِي هَزِيمَتِهِمْ لَمَّا أُشِيعَ أَنَّ النَّبِيَّ قُتِلَ وَقَالَ لَهُمُ الْمُنَافِقُونَ: (إِنْ كَانَ قُتِلَ فَارْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ):

حاشية الصاوي

لا بخصوص السبب، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ ﴿٤١﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١].

قوله: (فيه حذف إحدى التائين) أي: تخفيفاً، قال ابن مالك: [الرجز]
وَمَا بِتَّائِيْنِ ابْتُدِي قَدْ يُقْتَصَرُ فِيهِ عَلَى تَا كَ (تَبَيَّنُ الْعِبَرُ)^(١)
قوله: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾ (يَحْتَمِلُ أَنْ الضَّمِيرَ عَائِدٌ عَلَى الْمَوْتِ بِمَعْنَى: سَبَبُهُ، وَهُوَ الْحَرْبُ، أَوْ عَلَى الْعَدُوِّ نَفْسِهِ، وَهُوَ وَإِنْ كَانَ غَيْرَ مُتَقَدِّمِ الذِّكْرِ لَكِنَّهُ مَعْلُومٌ مِنَ السِّيَاقِ.
قوله: (ما نال شهداؤه) أي: من الأجر العظيم؛ ففي الحديث: «أَطْلَعَ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غُفِرْتُ لَكُمْ»^(٢).

قوله: (أي: سببه) ويحتمل أن الضمير عائِدٌ على العدو.
قوله: (أي: بُصْرَاءُ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنْ (نَظَرَ) بِصَرِيَّةٍ تَنْصِبُ مَفْعُولًا وَاحِدًا، قَدَّرَهُ بِقَوْلِهِ. (الْحَالِ)، وَيَحْتَمِلُ أَنَّهَا عِلْمِيَّةٌ وَمَفْعُولَاهَا مُحذُوفَانِ، تَقْدِيرُهُمَا: تَعْلَمُونَ إِخْوَانَكُمْ مَا بَيْنَ مَقْتُولٍ وَمَجْرُوحٍ.

قوله: (ونزل في هزيمتهم) أي: في أحد حين تفرقوا.

قوله: (لما أشيع) أي: أشاع المنافقون.

قوله: (أن النبي قتل) أي: وكذا أبو بكر وعمر.

(١) «الخلاصة» (باب الإدغام).

(٢) رواه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤) من حديث علي رضي الله عنه.

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْفَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ كَغَيْرِهِ ﴿انْفَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾: رَجَعْتُمْ إِلَى الْكُفْرِ؟

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ أي: لا ربَّ معبود، فالقصر قصر قلب، والمقصود من ذلك: الردُّ على المنافقين حيث قالوا لضعفاء المسلمين: إن كان قتلَ محمد فارجعوا إلى دينكم ودين آبائكم، فأفاد أن محمداً عبد مرسل، يجوزُ عليه الموت، لا ربَّ معبود حتى نترك عبادة الله من أجل موته؛ لأن المقصود من وجوده تبليغُ رسالة ربِّه؛ ولذلك نزل قرب وفاته: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، ولكن يجب علينا تعظيمه واحترامه حيًّا وميتًا، واعتقاد أن معجزاته باقية، واتباعه وطاعته، قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، ولم يقل: وهو حيٌّ، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ولم يقل: لأصحابك، وقال عليه الصلاة والسلام: «حياتي خير لكم، ومماتي خير لكم»^(١)، فمن اعتقد أن النبي لا نفع به بعد الموت بل هو كآحاد الناس.. فهو الضالُّ المضلُّ.

قوله: ﴿أَوْ قُتِلَ﴾ أي: فرضاً.

قوله: (رجعتم إلى الكفر) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿انْفَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ كناية عن الرجوع للكفر، لا حقيقة الانقلاب على الأعقاب الذي هو السقوط إلى خلف، وهذه الآية قالها أبو بكر الصديق يوم وفاته ﷺ حين طاشت عقول الصحابة، وارتدَّ مَنْ ارتدَّ، قال عمر: كلُّ من قال: إن محمداً قد مات.. رميت عنقه بسيفي، فبلغ أبا بكر الخبر، فدخل على النبي ﷺ وكشف اللثام عن وجهه وقبَّله بين عينيه وقال: طبت يا حبيبي حيًّا وميتًا، كنت أودُّ لو أفديك بنفسي ومالي، ولكن قال الله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، وخرج وجمع الصحابة، وصعد المنبر وخطب خطبة عظيمة قال فيها: أيها الناس؛ من كان يعبد محمداً فإنَّ محمداً قد مات، ومَنْ كان يعبد الله فإنَّ الله حيٌّ لا يموت، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ...﴾ [آل عمران: ١٤٤] الآية، فثبت الناس، حتى قال عمر: والله كأنَّ هذه الآية لم أسمعها إلا من أبي بكر^(٢).

(١) رواه البزار في «مسنده» (١٩٢٥) بإسناد جيد كما قال الحافظ العراقي في «طرح الثريب» (٢٩٧/٣)، وانظر «إتحاف السادة المتقين» (١٧٦/٩).

(٢) رواه البخاري (١٢٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَجَلًّا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾

- والجملة الأخيرة محل الاستفهام الإنكاري - أي: ما كان معبوداً فترجعوا، ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾ وإنما يضر نفسه، ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ نعمه بالثبات.

﴿١٤٥﴾ ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: بقضائه، ﴿كَتَبْنَا﴾ - مصدر - أي: كتب الله ذلك، ﴿مُوجَلًّا﴾: مؤقتاً لا يتقدم ولا يتأخر، فلم انهزمتم والهزيمة لا تدفع الموت، والثبات لا يقطع الحياة؟ ﴿وَمَنْ يُرِدْ﴾ بعمله ﴿ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ أي: جزاءه منها ﴿نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ ما قسم له، ولا حظ له في الآخرة، ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ أي: من ثوابها، ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (والجملة الأخيرة) أي: التي هي قوله: ﴿انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾.

قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ هذا رد لمن يفتر من القتال خوفاً على نفسه من الموت.

قوله: (لا يتقدم ولا يتأخر) أي: لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤].

قوله: ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ أي: يصرف نيته للدنيا وزخارفها تاركاً الآخرة وما فيها.

قوله: (ما قسم له) هذا هو مفعول ﴿نُؤْتِهِ﴾ الثاني، والأول هو الهاء.

قوله: (أي: من ثوابها) أي: وما قسم له من الدنيا يأتيه على كل حال، فلا فرق بين من يطلبها ومن لا يطلبها، فلا تجعل الدنيا أكبر همك ولا مبلغ علمك، بل اجعل مطمح نظرك عبادة ربك، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وما قدر لك فلا بد من وصوله إليك، طلبته أو لا.

وَكَايْنٍ مِّن نَّبِيٍّ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ

﴿١٤٦﴾ ﴿وَكَايْنٍ﴾: كَمْ ﴿مِّن نَّبِيٍّ قُتِلَ﴾ - وفي قراءة: ﴿قُتِلَ﴾، والفاعل ضميرُهُ - ﴿مَعَهُ﴾ - خبرٌ مُبْتَدَأُهُ: ﴿رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾: جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَكَايْنٍ مِّن نَّبِيٍّ قُتِلَ﴾ هذا من جملة التسلية لأهل أُحُد على ما أصابهم، وفيه توبيخ لمن انهزم منهم، وتحريضٌ على القتال، وأصلُ (كَايْنٍ): أيُّ الاستفهامية، دخلت عليها كافُ التشبيه، فأكسبتها معنى (كم) الخبرية؛ فلذا فسرَها بها، و(كَايْنٍ): مبتدأ، و﴿مِّن نَّبِيٍّ﴾: مميزُها، وجملة ﴿قُتِلَ﴾ خبرها، ونائب فاعل ﴿قُتِلَ﴾ ضميرٌ يعودُ على (كَايْنٍ) المفسر بقوله: ﴿مِّن نَّبِيٍّ﴾، وعلى القراءة الثانية يكون الضميرُ فاعل ﴿قُتِلَ﴾^(١).

وقوله: ﴿مَعَهُ رِبِّيُّونَ﴾ مبتدأ وخبر، والجملة حالية، واستشكلت تلك القراءة الأولى: بأنه لم يرد أن نبياً قُتِلَ في حال الجهاد، بل متى أَمَرَ النبيُّ بالجهاد عُصِمَ من القتل، ومقتضى الآية وقوع ذلك! وأجيب: بأنَّ المعنى: قتله قومه ظلماً في غير حرب، ولكن الأحسن أن نائب الفاعل قوله: ﴿رِبِّيُّونَ﴾، و﴿مَعَهُ﴾: ظرفٌ متعلقٌ بـ﴿قُتِلَ﴾، فالقتل واقعٌ للرَّبِّيِّين لا للأنبياء، وهو ردُّ لقول الكفار: لو كان نبياً ما قُتِلت أصحابُهُ وهو بينهم، وهذا الإعرابُ يجري في القراءة الثانية أيضاً. والضمير في ﴿أَصَابَهُمْ﴾ يعود على الأمم، ويتفرَّع على هذين الإعرابين صحة الوقف على (قُتِلَ)، أو (قاتل) على الإعراب الأول دون الثاني.

قوله: (والفاعل) أي: حقيقة على القراءة الثانية، أو حكماً على القراءة الأولى.

قوله: ﴿رِبِّيُّونَ﴾ هكذا بكسر الراء، جمعُ رَبِّي نسبةً للربِّ على غير قياس، ومعناه: العالمُ الربَّاني، أو منسوبٌ للرِّبَّة بالكسر بمعنى: الجماعة، وعليه مشى المفسرُ، وقياسُ الأول فتح الراء، وقد قرأ بها ابنُ عباس، وقُرئ بضَم الراء بمعنى: الجماعة الكثيرة أيضاً، والقراءتان شاذتان^(٢)، والمعنى: لا تحزنوا على ما وقع لكم، فكم من نبيٍّ قُتِل والحالُ أن معه أصحابه، فلم يضعفوا... إلخ، وورد: أنه لما نزلت الآية أخذ النبيُّ وأصحابه في التوجُّه خلف الأعداء، فساروا ثمانية أميال صحيحهم وجريحهم، وباتت الهزيمة على الكفار.

(١) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: (قُتِلَ) مبنياً للمجهول، والباقون: (قاتل) بالبناء للفاعل. انظر «الدر المصون» (٣/٤٢٨).

(٢) المصدر السابق، وقوله الآتي: (والمعنى: لا تحزنوا) إلى قوله: (وورد) ضُرِبَ عليه في (أ).

فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَقَالَتْ لَهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

﴿فَمَا وَهَنُوا﴾: جَبُنُوا ﴿لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: مِنَ الْجِرَاحِ وَقَتْلِ أَنْبِيَائِهِمْ وَأَصْحَابِهِمْ، ﴿وَمَا ضَعُفُوا﴾: عَنِ الْجِهَادِ، ﴿وَمَا اسْتَكَانُوا﴾: خَضَعُوا لِعَدُوِّهِمْ كَمَا فَعَلْتُمْ حِينَ قِيلَ: قُتِلَ النَّبِيُّ، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾: عَلَى الْبَلَاءِ، أَي: يُشَبِّهُهُمْ.

﴿١٤٧﴾ ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ﴾: عِنْدَ قَتْلِ نَبِيِّهِمْ مَعَ ثَبَاتِهِمْ وَصَبْرِهِمْ ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا﴾: تَجَاوَزْنَا الْحَدَّ ﴿فِي أَمْرِنَا﴾؛ إِيْذَانًا بِأَنْ مَا أَصَابَهُمْ لِسُوءِ فِعْلِهِمْ، وَهَضْمًا لَأَنْفُسِهِمْ، ﴿وَوَثَّبْتَ أَقْدَامَنَا﴾: بِالْقُوَّةِ عَلَى الْجِهَادِ، ﴿وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿١٤٨﴾ ﴿فَقَالَتْ لَهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾: النَّصْرَ وَالْغَنِيمَةَ، ﴿وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾: أَي: الْجَنَّةَ، وَحُسْنُهُ: التَّفَضُّلُ فَوْقَ الْإِسْتِحْقَاقِ، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿فَمَا وَهَنُوا﴾﴾ هكذا بفتح الهاء، وقُرئ بسكون الهاء وكسرها^(١).

قوله: ﴿﴿وَمَا اسْتَكَانُوا﴾﴾ قيل: أصْلُهُ: اسْتَكَنُوا، زِيدَ فِي الْفَتْحَةِ فَصَارَتْ أَلْفًا، وَقِيلَ: أَصْلُهُ: اسْتَكَوْنُوا، نُقِلَتْ فَتْحَةُ الْوَاوِ إِلَى السَّاكِنِ قَبْلَهَا، فَتَحَرَّكَ الْوَاوُ وَانْفَتَحَ مَا قَبْلَهَا قُلِبَتْ أَلْفًا.

قوله: ﴿﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ﴾﴾ أَي: الرَّبِّينَ، وَهَذَا بَيَانٌ لِمَحَاسِنِ أَقْوَالِهِمْ بَعْدَ بَيَانِ مَحَاسِنِ أَعْمَالِهِمْ.

قوله: ﴿عِنْدَ قَتْلِ نَبِيِّهِمْ﴾ ظَاهِرُهُ: حَتَّى فِي جِهَادِ الْكُفَّارِ، وَتَقَدَّمَ مَا فِيهِ.

قوله: ﴿﴿فَقَالَتْ لَهُمُ اللَّهُ﴾﴾ أَي: بِسَبَبِ دَعَائِهِمْ وَحَسَنِ أَعْمَالِهِمْ.

قوله: ﴿وَالْغَنِيمَةَ﴾ إِنْ قُلْتَ: إِنَّهَا لَمْ تَحُلَّ إِلَّا لِهَذِهِ الْأُمَّةِ الْمَحْمُودِيَّةِ! أُجِيبُ: بِأَنَّ الْمُرَادَ بِالْغَنِيمَةِ: مَلِكُ أَمْوَالِ الْكُفَّارِ وَرِقَابِهِمْ، وَلَا يَلْزَمُ مِنَ الْمَلِكِ حُلُّ أَكْلِهَا.

قوله: ﴿وَحُسْنُهُ: التَّفَضُّلُ فَوْقَ الْإِسْتِحْقَاقِ﴾ يَعْنِي: أَنَّ ثَوَابَ الْآخِرَةِ هُوَ الْجَنَّةُ، وَهُوَ حَسَنٌ، وَأَحْسَنُ مِنْهُ الزِّيَادَةُ لَهُمْ فَوْقَ مَا يَسْتَحِقُّونَ.

(١) الفتح قراءة الجمهور، وبسكون الهاء وكسرها قرأ أبو السَّمَّال. انظر «الدر المصون» (٣/٤٣١).

يَتَّابِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَزِدُّوَكُمْ عَلَىٰ اَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ اللّٰهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ يَمَّا اَشْرَكُوا بِاللّٰهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا وَلَّهُمْ نَاثَرٌ وَيَأْتِي مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾

﴿١٤٩﴾ يَتَّابِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿١﴾ فِيمَا يَأْمُرُونَكُمْ بِهِ ﴿٢﴾ يَزِدُّوَكُمْ عَلَىٰ اَعْقَابِكُمْ ﴿٣﴾ إِلَى الْكُفْرِ، ﴿٤﴾ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٥﴾.

﴿١٥٠﴾ ﴿بَلِ اللّٰهُ مَوْلَاكُمْ﴾: ناصركم، ﴿وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾: فأطيعوه دونهم.

﴿١٥١﴾ ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ﴾: - يَسْكُونِ الْعَيْنَ وَضَمُّهَا -: الخوف، وقد عَزَمُوا بعدَ اَرْتِحَالِهِمْ مِنْ أَحَدٍ عَلَى الْعَوْدِ وَاسْتِثْصَالَ الْمُسْلِمِينَ، فَرُعِبُوا وَلَمْ يَرْجِعُوا، ﴿يَمَّا اَشْرَكُوا﴾: بِسَبَبِ إِشْرَاكَهُمْ ﴿بِاللّٰهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾: حُجَّةٌ عَلَى عِبَادَتِهِ وَهُوَ الْأَصْنَامُ، ﴿وَمَا وَلَّهُمْ نَاثَرٌ وَيَأْتِي مَثْوَى﴾: مَاوَى ﴿الظَّالِمِينَ﴾: الْكَافِرِينَ هِيَ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿يَتَّابِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ (نزلت في أهل أحد حين تفرّقوا وصار عبدُ الله ابن سلول يقول لضعفائهم: امضوا بنا إلى أبي سفيان لناخذ لكم منه عهداً، ألم أقل لكم: إنه ليس بنبي؟! ^(١)).

قوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: كعبد الله ابن سلول وغيره من المنافقين.

قوله: ﴿فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ أي: للدنيا بالأسر والخزي، والآخرة بالعذاب الدائم.

قوله: (والله ﴿خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾) أفعل التفضيل ليس على بابه.

قوله: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ﴾ وهذا وعدٌ حسنٌ من الله بنصر المسلمين

وخذلان الكفار.

قوله: (بسبب إشراكهم) أشار بذلك إلى أن الباء سببية، و(ما): مصدرية.

قوله: (حجة) سمّاها سلطاناً؛ لقوّتها ونفوذها.

قوله: (وهو) أي: ما لم ينزل به سلطاناً.

قوله: ﴿وَمَا وَلَّهُمْ نَاثَرٌ﴾ هذا بيانٌ لحالهم في الآخرة بعد أن بيّن حالهم في الدنيا، وكلُّ ذلك

مسبّبٌ عن الإشراك بالله، فهم في الدنيا مرعوبون، وفي الآخرة معذبون.

(١) أورده ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/٣٣٣) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنه.

وَلَقَدْ مَدَدْنَا إِلَهُ وَعَدَهُ إِذْ تَحُسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ

﴿١٥٢﴾ وَلَقَدْ مَدَدْنَا إِلَهُ وَعَدَهُ ﴿١﴾ إِيَّاكُمْ بِالنَّصْرِ ﴿٢﴾ إِذْ تَحُسُونَهُمْ ﴿٣﴾: تَقْتُلُونَهُمْ ﴿٤﴾ بِإِذْنِهِ ﴿٥﴾: بِإِرَادَتِهِ، ﴿٦﴾ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ ﴿٧﴾: جَبْنْتُمْ عَنِ الْقِتَالِ، ﴿٨﴾ وَتَنَزَّعْتُمْ ﴿٩﴾: اخْتَلَفْتُمْ ﴿١٠﴾ فِي الْأَمْرِ ﴿١١﴾: أَمْرُ النَّبِيِّ ﷺ بِالْمُقَامِ فِي سَفْحِ الْجَبَلِ لِلرَّمْيِ، فَقَالَ بَعْضُكُمْ: نَذْهَبُ فَقَدْ نَصَرَ أَصْحَابُنَا، وَبَعْضُكُمْ: لَا نُخَالِفُ أَمْرَ النَّبِيِّ ﷺ، ﴿١٢﴾ وَعَصَيْتُمْ ﴿١٣﴾ أَمْرَهُ، فَتَرَكْتُمْ الْمَرْكَزَ لِطَلَبِ الْغَنِيمَةِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَلَقَدْ مَدَدْنَا إِلَهُ وَعَدَهُ﴾ سبب نزولها: أن أصحاب رسول الله ﷺ لما رجعوا إلى المدينة تذكروا ما وقع في تلك الغزوة؛ حيث قالوا: إن الله وعدنا بالنصر على لسان نبيه، فلا شيء غلبنا؟ فنزلت الآية ردًا عليهم^(١).

قوله: ﴿وَعَدَهُ﴾ مفعول ثانٍ لـ (صدق)؛ لأنه يتعدى لمفعولين، الأول بنفسه، والثاني إما كذلك كما هنا، أو بحرف الجر وهو (في).

قوله: ﴿إِذْ تَحُسُونَهُمْ﴾ ظرف لقوله: ﴿مَدَدْنَا﴾، و(حس)؛ يطلق بمعنى: علم، ووجد، وطلب، وقتل وهو المراد هنا.

قوله: ﴿حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ (حتى)؛ ابتدائية بمعنى أن ما بعدها مستأنف، ويصح أن تكون غائية بمعنى إلى، والمعنى: ولقد استمر معكم النصر إلى أن فشلت وتنازعت وعصيت، فتخلف وعده ومنعكم النصر، و﴿إِذَا﴾ على الأول: ظرف لما يستقبل من الزمان، و(عصيت): معطوف على ﴿فَشِلْتُمْ﴾، وجواب (إذا) محذوف، قدره المفسر بقوله: (منعكم نصره)، وقوله: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ﴾ معطوف على ذلك المحذوف، وقوله: ﴿مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا...﴾ معترض بين المعطوف والمعطوف عليه.

قوله: (جبنتم عن القتال) أي: بسبب الالتفات للغنيمة.

قوله: (فتركتم المركز) أي: الموضع الذي أقامكم فيه رسول الله، فإنه تقدم أنه قسم الجيش

(١) كذا عن محمد بن كعب القرظي كما في «تفسير الثعلبي» (٣/١٨٣).

مِنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلَكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ
الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾

﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلَكُمْ﴾ الله ﴿مَا تُحِبُّونَ﴾ مِنَ النَّصْرِ، - وَجَوَابُ ﴿إِذَا﴾ دَلَّ عَلَيْهِ مَا قَبْلَهُ -
أَي: مَنَعَكُمْ نَصْرَهُ، ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾ فَتَرَكَ الْمَرْكَزَ لِلْغَنِيمَةِ، ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ
يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ فَثَبَّتَ بِهِ حَتَّى قُتِلَ، كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُبَيْرٍ وَأَصْحَابِهِ، ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ﴾
- عَطَفَ عَلَى جَوَابِ ﴿إِذَا﴾ الْمُقَدَّرِ -: رَدُّكُمْ لِلْهَزِيمَةِ ﴿عَنْهُمْ﴾ أَي: الْكُفَّارِ؛
﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾: لِيَمْتَحِنَكُمْ فَيُظْهِرَ الْمُخْلِصَ مِنَ غَيْرِهِ، ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾
مَا ارْتَكَبْتُمُوهُ، ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ بِالْعَفْوِ.

﴿١٥٣﴾ اذْكُرُوا

حاشية الصاوي

خمسة أقسام: ساقه، ومقدم، وجناحان، وقلب^(١)، وأمرهم بالثبات؛ سواء حصل النصر أو الهزيمة،
فظهرت لهم أمارات النصر أولاً، فبعضهم ترك مركزه وذهب للغنيمة، والبعض ثبت.
قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلَكُمْ﴾ تنازعه كلٌّ من (فُشِلْتُمْ) و(تَنَازَعْتُمْ) و(عَصَيْتُمْ)، فأعمل الأخير
وأضمر في الأولين وحذف.

قوله: ﴿مَا تُحِبُّونَ﴾ مفعول ثانٍ لـ(أرى)، والكاف: مفعول أول.

قوله: (من النصر) أي: أولاً، فلما وقع الاختلاف.. تغيّر الحال.

قوله: (دلّ عليه ما قبله) أي وهو قوله: ﴿وَلَقَدْ مَكَّدَكُمْ اللَّهُ وَعَدَهُ﴾.

قوله: (كعبد الله بن جبیر) أي: وكان أميراً على الرّماة.

قوله: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ أي: عن المؤمن منكم بعد توبته.

قوله: (اذكروا) قَدْرُهُ إشارة إلى أن ﴿إِذَا﴾ ظرفٌ لمحذوف، ويصحّ أنه ظرفٌ لقوله: (عصيتم)،

التقدير: عصيتم وقت بُعْدِكُمْ... إلخ.

إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَكُونُوا عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَجِكُمْ فَأَتْبَعَكُمْ
عَمَّا يَغْمُرُ

﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾: تُبْعِدُونَ فِي الْأَرْضِ هَارِبِينَ، ﴿وَلَا تَكُونُوا﴾: تُعْرَجُونَ ﴿عَلَى أَحَدٍ﴾
وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَجِكُمْ أَي: مِنْ وَرَائِكُمْ يَقُولُ: «إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ، إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ!»،
﴿فَأَتْبَعَكُمْ﴾: فَجَازَاكُمْ ﴿عَمَّا﴾ بِالْهَزِيمَةِ ﴿يَغْمُرُ﴾: بِسَبَبِ غَمِّكُمْ لِلرَّسُولِ بِالْمُخَالَفَةِ،
حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ فعله رباعي بمعنى: تُبْعِدُونَ، وقُرئ: (تَصْعِدُونَ) من الثلاثي؛ بمعنى:
تذهبون متفرقين في البرية^(١).

قوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا﴾ الجمهورُ على أنها بواوين، وقُرئ شذوذاً بإبدال الواو الأولى همزة،
وأصلها: تَلْوِيُونَ بواوين بينهما ياء هي لام الكلمة، فأعلَّ بحذفها، وقرأ الحسن شاذاً بواو
واحدة^(٢).

قوله: (تعرجون) أي: لا تُقيمون مع أحد، بل كل واحد ذاهبٌ على حدة.

قوله: ﴿يَدْعُوكُمْ﴾ أي: يناديكم ولم يبقَ معه إلا اثنا عشر، وقيل: ثمانية عشر رجلاً، وقيل:
لم يبقَ معه إلا طلحةٌ عن يساره وجبريلٌ عن يمينه، وُجِّعَ بين الأقوال: بأن ذلك بحسب اختلاف
الأوقات حين احتاطت به الكفار^(٣).

قوله: (أي: من ورائكم) أشارَ بذلك إلى أن (أخرى) بمعنى: آخر، وفي بمعنى: من، ويصحُّ
أن يبقى الكلام على ما هو عليه، ويكون المعنى: والرسول يدعوكم في ساقبتكم وجماعتكم
الأخرى^(٤).

قوله: (يقول: إليَّ عباد الله) تمامه: «أنا رسول الله، مَنْ يَكُرْ فَلَهُ الْجَنَّةُ»^(٥).

قوله: (فجازاكم) أشارَ بذلك إلى أن المراد بالشواب: مطلق المجازاة، وإلا... فالشوابُ
هو ما يكون في نظير الأعمال الصالحة، وإنما سمَّاه ثواباً؛ لأنَّ عاقبتهُ محمودة.

(١) الجمهور على أنه من الرباعي، وقرأ الحسن والسلمي شاذاً من الثلاثي. انظر «الدر المصون» (٤٣٨/٣).

(٢) «الدر المصون» (٤٤٠/٣).

(٣) انظر «تفسير البغوي» (٥١٤/١).

(٤) الساقية: قطعة من الجيش كما سبق بيانه قريباً.

(٥) «تفسير البغوي» (٥٢٣/١).

لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَبَكُمْ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾
ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُّعَاسًا

وقيل: الباء بمعنى (على) أي: مضاعفاً على غم قوت الغنيمة، ﴿لِكَيْلَا﴾ - متعلق بـ ﴿عَفَا﴾، أو بـ ﴿أَثَابَكُمْ﴾ فـ (لا) زائدة، ﴿تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ من الغنيمة، ﴿وَلَا مَا أَصَبَكُمْ﴾ من القتل والهزيمة، ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً﴾: أمناً ﴿نُّعَاسًا﴾ - بدلٌ -

حاشية الصاوي

قوله: (أي: مضاعفاً) أي: زائداً.

قوله: (متعلق بـ ﴿عَفَا﴾) أي: وتكون (لا) أصلية، والمعنى: عفا عنكم ليذهب عنكم الحزن.
قوله: (أو بـ «أثابكم») أي: فيكون المعنى: أثابكم غمّاً بغمٍّ لأجل حزنكم على قوات الغنيمة وعلى قتل أصحابكم، فقوله: (فـ «لا» زائدة) أي: على هذا الثاني فقط.
قوله: (﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾) أي: فيعلم المخلص من غيره، فإنّ منهم من لزم رسول الله ولم ينتقل من موضعه أبداً، وهو طلحة بن عبد الله، ومنهم من ثبت لولا غلبة الكفار؛ كبقية الاثني عشر أو الثمانية عشر، ومنهم من فرّ خوفاً من القتل، ومنهم من فرّ ابتداءً لإظهار هزيمة المؤمنين، وهؤلاء منافقون وقد ظهروا في تلك الغزوة وافتضحوا، وأما المؤمنون فقد تمّ لهم النصر وعفا الله عن سيئتهم.

قوله: (﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ﴾) ﴿ثُمَّ﴾: للترتيب؛ بدليل تصريحه بالبعدية بعد ذلك بقوله: ﴿مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ﴾.

قوله: (أمناً) أشار بذلك إلى أن الأمانة والأمن بمعنى واحد، وهو الطمأنينة، زال سبب الخوف أو لا، وقيل: إن الأمن: هو الطمأنينة مع زوال سبب الخوف، والأمانة: الطمأنينة مع وجود أسبابه.
قوله: (بدل) أي: بدل كل من كل، وهو ظاهر؛ لأنّ الأمانة هي النعاس بعينها، وقيل: بدل اشتمال؛ لأن الأمانة لها اشتمال بالنعاس، وهو له اشتمال بها؛ لأنه لا يحصل النعاس إلا ليلاً من.

يَغْشَى طَائِفَةً مِّنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ

﴿يَغْشَى﴾ - بالياء والتاء - ﴿طَائِفَةً مِّنْكُمْ﴾ وهم المؤمنون، فكانوا يَمِيدُونَ تحت الحَجَفِ وتسْقُطُ السُّيُوفُ مِنْهُمْ، ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ أي: حَمَلَتْهُمْ عَلَى الْهَمِّ فلا رَغْبَةَ لَهُمْ إِلَّا نَجَاتُهَا دُونَ النَّبِيِّ وَأَصْحَابِهِ، فَلَمْ يَنَامُوا، وَهُمْ الْمُنَافِقُونَ، ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ﴾ ظَنًّا ﴿غَيْرَ الظَّنِّ﴾ ﴿الْحَقِّ ظَنَّ﴾ أي: كَظَنِّ ﴿الْجَاهِلِيَّةِ﴾ حيثُ اعْتَقَدُوا أَنَّ النَّبِيَّ قُتِلَ أَوْ لَا يُنْصَرُ،

حاشية الصاوي

قوله: (بالياء والتاء) أي: فهما قراءتان سبعيتان، فعلى الياء الضميرُ عائِدٌ على النعاس، وعلى التاء الضميرُ عائِدٌ على الأمانة^(١).

قوله: (يميدون) أي: يميلون، وقوله: (تحت الحَجَفِ) بفتح الحاء وتقدِيمِ الحاء، جمعُ حَجَفَةٍ - ك: قَصَبَةٍ وَقَصَبٍ - اسمٌ للترس والدَّرَقَةِ كما في «المصباح»^(٢).

قوله: (وتسقط السيوف منهم) أي: المرة بعد المرة، وكلُّما سَقَطَتْ أخذوها.

قوله: ﴿وَطَائِفَةٌ﴾ أي: من غيركم، وهم المنافقون.

قوله: ﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ (أَهَمَّ): فعل ماضٍ، والتاء: علامة التانيث، و﴿أَنفُسُهُمْ﴾.

فاعل، والمعنى: أَنَّهُمْ يَحْرِصُونَ عَلَى نَجَاةِ أَنفُسِهِمْ مِنَ الْمَوْتِ، لَا تَشْيِيدُ الدِّينِ.

قوله: (ظَنًّا) ﴿غَيْرَ الظَّنِّ﴾ ﴿الْحَقِّ﴾ أشارَ بذلك إلى أن قوله: ﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾ صفةٌ لموصوفٍ محذوفٍ مفعولٌ لـ ﴿يَظُنُّونَ﴾، وقوله: ﴿الْحَقِّ﴾ صفةٌ لمصدرٍ محذوفٍ مضافٌ لـ ﴿غَيْرَ﴾، وقوله: ﴿ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ صفةٌ ثانية، وهو منصوبٌ بنزع الخافض، والمعنى: أن هذه الطائفة حملتهم أنفسهم على الهزيمة لإنجاتها، ومن أوصافهم أَنَّهُمْ يَظُنُّونَ فِي رَبِّهِمْ ظَنًّا باطلاً مِثْلَ ظَنِّ الْجَاهِلِيَّةِ؛ بمعنى: أهل الجَهْلِ والكُفْرِ؛ حيثُ ظَنُّوا أَنَّ النَّبِيَّ قُتِلَ وَأَنَّ دِينَهُ قَدْ بَطَلَ، قال تعالى: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ أَنْ تُصَبِّحْتُمْ مِنَ الْخُسْرَيْنِ﴾ [فصلت: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]، فحسُنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ من علامات الإيمان، قال تعالى في الحديث القدسي: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيَظُنْ بِي مَا شَاءَ»^(٣)، وبالجملَةِ: فمن أرادَ أَنْ يَعْلَمَ عَاقِبَةَ أَمْرِهِ.. فليَظُنْ إلى ظَنِّهِ رَبَّهُ.

(١) الجمهور قرؤوا بالياء، وحزمة والكسائي بالتاء. انظر «الفتوحات الإلهية» (١/٣٢٦).

(٢) «المصباح المنير» (ج ح ف)، وقال: (الحجفة: الترس الصغير).

(٣) بهذا اللفظ رواه أحمد في «المسند» (٣/٤٩١)، وأصله في «الصحيحين».

يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ
لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَان لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ

﴿يَقُولُونَ هَلْ﴾: ما ﴿لَنَا مِنَ الْأَمْرِ﴾ أي: النصر الذي وَعَدْنَاهُ ﴿مِنْ﴾ - زائدة - ﴿شَيْءٍ قُلْ﴾
لَهُمْ: ﴿إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ﴾ - بِالنَّصْبِ توكيداً، وَالرَّفْعُ مُبْتَدَأٌ خَبَرُهُ: - ﴿لِلَّهِ﴾ أي: الْقَضَاءُ لَهُ يَفْعَلُ
مَا يَشَاءُ، ﴿يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ﴾: يُظْهِرُونَ ﴿لَكَ يَقُولُونَ﴾ - بَيَانٌ لِمَا قَبْلَهُ -: ﴿لَوْ
كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا﴾ أي: لو كان الاختيارُ إلينا لَمْ نَخْرُجْ فَلَمْ نُقْتَلْ، لَكِنْ
أُخْرِجْنَا كَرِهًا، ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ: ﴿لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ وَفِيكُمْ مَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْقَتْلَ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿يَقُولُونَ﴾ أي: اعتراضاً على رسول الله، وتكديماً له.

قوله: ﴿هَلْ لَنَا﴾ استفهام إنكاري بمعنى النفي؛ أي: ما ثبت لنا من النصر شيء، ف﴿لَنَا﴾:
خبرٌ مقدّم، و﴿شَيْءٍ﴾: مبتدأ مؤخر، و﴿مِنْ﴾: زائدة فيه، و﴿مِنَ الْأَمْرِ﴾: حالٌ من ﴿شَيْءٍ﴾.
قوله: (بالنصب توكيد) أي: للأمر، وخبرٌ ﴿إِنَّ﴾ قوله: ﴿لِلَّهِ﴾.

قوله: (أو بالرفع مبتدأ... إلخ) أي: والجملة خبرٌ ﴿إِنَّ﴾، والقراءتان سبعيتان^(١).

قوله: (أي: القضاء له) تفسيرٌ للأمر، والمعنى: أن النصر بيد الله، والله هو الفاعل المختار،
وليس النصر بكثرة العدد والعدد، وقوله: (بيان لما قبله) أي: استئنافٌ بيانيٌّ واقع في جواب سؤال
مقدّر، كأنه قيل: ما الذي يُخفونه؟

قوله: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ﴾ أي: الاختيار والرأي.

قوله: (لكن أخرجنا كرهاً) أي: فحصل القتل فينا.

قوله: ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ أي: ردّاً لمقاتلتهم واعتقادهم دفعَ قضاء الله المبرم.

قوله: ﴿لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ أي: لو لم تخرجوا إلى أحد ومكثتم في بيوتكم، وقوله: (لبرز)
جواب ﴿لَوْ﴾، والمعنى: لخرج من قضي عليه بالموت إلى المحل الذي مات به لسبب من الأسباب
ونفذ حكم الله فيه.

مما اتفق: أن سليمان بن داود عليهما السلام كان جالساً وإذا بملك الموت أقبل عليه ونظرَ

(١) وبالرفع قرأ أبو عمرو، والباقون بالنصب. انظر «الدر المصون» (٣/٤٤٩).

لَبَّرَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ

﴿لَبَّرَ﴾: خَرَجَ ﴿الَّذِينَ كُتِبَ﴾: قُضِيَ ﴿عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ﴾ مِنْكُمْ ﴿إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾: مَصَارِعِهِمْ، فَيَقْتُلُوا وَلَمْ يُنَجِّهِمْ قُعُودُهُمْ؛ لِأَنَّ قِضَاءَهُ تَعَالَى كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ، ﴿و﴾: فَعَلَ مَا فَعَلَ بِأَحَدٍ ﴿لِيَبْتَلِيَ﴾: يَخْتَبِرُ ﴿اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾: قُلُوبِكُمْ مِنَ الْإِخْلَاصِ وَالنِّفَاقِ، ﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾: يُمَيِّزُ ﴿مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: بِمَا فِي الْقُلُوبِ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَإِنَّمَا يَبْتَلِي لِيُظْهَرَ لِلنَّاسِ.

﴿١٥٥﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ﴾: عَنِ الْقِتَالِ ﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾: جَمْعُ الْمُسْلِمِينَ وَجَمْعُ الْكُفَّارِ بِأَحَدٍ، وَهُمْ الْمُسْلِمُونَ إِلَّا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ﴾: أَزَلَّهُمُ ﴿الشَّيْطَانُ﴾ حاشية الصاوي

إلى رجل في مجلسه، فارتعدت فرائصُ الرجل، فلما ذهب ملك الموت قال الرجل: يا نبي الله؛ إني خفت من نظرة هذا الرجل، فقال: هو ملك الموت، قال الرجل: مُرِ الرِّيحَ لتذهب بي إلى أقصى البلاد، ففعل، فبعد لحظة وإذا بملك الموت قد أقبلَ على سليمان، فقال له: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْبِضَ رُوحَ ذَلِكَ الرَّجُلِ بِتِلْكَ الْأَرْضِ، فَلَمَّا وَجَدْتَهُ فِي مَجْلِسِكَ تَحَيَّرْتُ، فَكَانَ مِنْهُ مَا كَانَ، فَهَذَا خَرَجَ هَارِبًا، وَفِي الْوَاقِعِ خَرَجَ لِمَصْرَعِهِ^(١).

قوله: ﴿و﴾ فعل ما فعل أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿لِيَبْتَلِيَ﴾ علةٌ لمحذوف، والواو عاطفة لذلك المحذوف على (أنزل).

قوله: ﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾ عطفٌ على ﴿لِيَبْتَلِيَ﴾ من عطف السبب على المسبب.

قوله: (ليظهر للناس) أي: المؤمن الخالص من غيره.

قوله: (إلا اثني عشر) منهم أبو بكر وعليٌّ وطلحةٌ وسعدٌ بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف، وتقدم في رواية: أن من بقي ثمانية عشر، وقيل: لم يبقَ إلا طلحة، وتقدم الجمع بين هذه الروايات.

(١) القصة رواها ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٢٦٨)، وأحمد في «الزهد» (ص ٣٧).

يَبْغِضُ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى

يُؤَسِّسُهُ ﴿يَبْغِضُ مَا كَسَبُوا﴾ مِنَ الذُّنُوبِ، وَهُوَ مُخَالَفَةُ أَمْرِ النَّبِيِّ، ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لِلْمُؤْمِنِينَ، ﴿حَلِيمٌ﴾ لَا يَعَجَلُ عَلَى الْعُصَاةِ.

﴿١٥٦﴾ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أَي: الْمُنَافِقِينَ، ﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ أَي: فِي شَأْنِهِمْ ﴿إِذَا ضَرَبُوا﴾: سَافَرُوا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ فَمَاتُوا، ﴿أَوْ كَانُوا غُزًى﴾: جَمَعَ (غَارِ) حَاشِيَةُ الصَّوَابِ

قوله: (وهو مخالفة أمر النبي) أي: حيث قَسَمَهُمْ خَمْسَةَ أَقْسَامٍ، وَأَقَامَ كُلًّا فِي مَرْكَزِهِ، وَقَالَ لَهُمْ: «لَا تَبْرَحُوا عَنْ مَكَانِكُمْ غُلْبَنَا أَوْ نُصْرَنَا»^(١)، فَبَعْضُهُمْ تَفَرَّقَ لِلْغَنِيمَةِ، وَبَعْضُ فَرَّقَهُ الْأَعْدَاءُ.

قوله: ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ أي: عَنِ الْجَمَاعَةِ الَّذِينَ تَفَرَّقُوا لِلْغَنِيمَةِ وَعَصَوْا أَمْرَ النَّبِيِّ.

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ هذه الجملة تأكيد وعلة لما قبلها؛ أي: إِنَّمَا عَفَا عَنْهُمْ لِأَنَّهُ كَثِيرُ الْمَغْفِرَةِ لِلذُّنُوبِ، وَاسِعُ الْحِلْمِ، فَلَا يَعَجَلُ بِالْعُقُوبَةِ عَلَى الْعَاصِي؛ لِأَنَّ الْكُلَّ فِي قَبْضَتِهِ، وَلَا يَعَجَلُ بِالْعُقُوبَةِ إِلَّا مَنْ يَخَافُ الْفَوَاتِ.

قوله: ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: لَا تُشَبِّهُوهُمْ فِي قَوْلِهِمْ فِي شَأْنٍ مَاتَ أَوْ قُتِلَ: لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا، فَهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الْفِرَارَ نَافِعٌ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ.

قوله: ﴿لِإِخْوَانِهِمْ﴾ أي: فِي النَّسَبِ أَوْ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ، وَالْمَعْنَى: لَا تَكُونُوا مِثْلَهُمْ فِي كُفْرِهِمْ، وَلَا فِي قَوْلِهِمْ لِإِخْوَانِهِمْ... إلخ.

قوله: ﴿إِذَا ضَرَبُوا﴾ ﴿إِذَا﴾: هُنَا لِمَجْرَدِ الزَّمَانِ، وَأَتَى بِ(إِذَا) إِشَارَةً إِلَى أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ مُحَقَّقٌ مِنْهُمْ.

قوله: (سافروا) أي: مطلقاً، لَغَزْوٍ أَوْ لَا.

قوله: (فماتوا) أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِهِ الْآتِي: ﴿مَا مَاتُوا﴾.

قوله: ﴿غُزًى﴾ (خَبْرٌ) (كَانَ) مَنْصُوبٌ بِفَتْحَةِ مَقْدَرَةٍ عَلَى الْأَلْفِ الْمُنْقَلِبَةِ عَنِ الْوَاوِ.

(١) بَنَحُوهُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٠٤٣) مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّئُ وَيُمَيِّتُ وَاللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

فَقُتِلُوا: ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ أي: لا تقولوا كقولهم: ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ﴾
القول في عاقبة أمرهم ﴿حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّئُ وَيُمَيِّتُ﴾ فلا يمنع عن الموت قعود،
﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ - بالتاء والياء - ﴿بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم به.

﴿١٥٧﴾ ﴿وَلَئِنْ﴾ - لَمْ قَسَمَ - ﴿قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: الجهاد

حاشية الصاوي

قوله: (جمع غاز) أي: على غير قياس، وقياس المعتل: غزاة ك(قضاة).

قوله: (فقتلوا) أخذه من قوله: ﴿وَمَا قُتِلُوا﴾.

قوله: ﴿(مَا مَاتُوا)﴾ راجع لقوله: ﴿إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ﴾، وقوله: ﴿(وَمَا قُتِلُوا)﴾ راجع لقوله:
﴿أَوْ كَانُوا غُزًى﴾.

قوله: (أي: لا تقولوا كقولهم) أي: فإنه شائبة من الكفر والضلال، واعتقاده كفر.

قوله: ﴿(لِيَجْعَلَ)﴾ اللام: للعاقبة والسيرورة؛ كهي في قوله تعالى: ﴿فَاللَّفْظَةُ مَالٌ فَرَعَوْتُ
لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصر: ٨]، والمعنى: أن الكفار قصدوا بهذا الكلام اللوم على مَرِ
خرج، ومنع من يريد الخروج، فكان عاقبة ذلك كونه يُجعلُ حسرةً في قلوبهم.

قوله: (فلا يمنع عن الموت قعود) أي: عن الغزو والسفر، ولا يجلبُ الغزو والسفر موتاً، بر
لكل أجل كتاب، فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة، ولا يستقدمون.

قوله: (بالتاء والياء) أي: فهما قراءتان سبعتان، فعلى الياء يكون وعيداً للكفار، وعلى التاء
يكون تحذيراً للمؤمنين^(١).

قوله: (فيجازيكم به) أي: إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

قوله: (لام قسم) أي: موطئة له، تقديره: والله لئن قُتِلْتُمْ^(٢).

(١) قرأ ابن كثير وحزمة والكسائي بالياء، والباقون بالتاء. انظر «السراج المنير» (١/٢٥٨).

(٢) أي: المؤذنة بالقسم، وهي الداخلة على أداة شرط، وأكثر ما تدخل كما قال المصنف على (إن) الشرطية. انظر

«مغني اللبيب» (ص ٣١٠).

١٥٧

أَوْ مُتَّمِّ لِمَغْفِرَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةً خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ

﴿أَوْ مُتَّمِّ﴾ - بِضَمِّ المِيمِ وَكَسْرِهَا مِنْ (مَاتَ يَمُوتُ، وَيَمَاتُ) - أَي: أَتَاكُمْ الْمَوْتُ فِيهِ، ﴿لِمَغْفِرَةٍ﴾ كَائِنَةً ﴿مِّنَ اللَّهِ﴾ لِذُنُوبِكُمْ ﴿وَرَحْمَةً﴾ مِنْهُ لَكُمْ عَلَى ذَلِكَ، - وَاللَّامُ وَمَدْخُولُهَا جَوَابُ الْقَسَمِ، وَهُوَ فِي مَوْضِعِ الْفِعْلِ مُبْتَدَأُ خَبَرِهِ: - ﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ مِنَ الدُّنْيَا، - بِالتَّاءِ وَالْيَاءِ -.

حاشية الصاوي

قوله: (بضم الميم وكسرهما) قراءتان سبعتان^(١)، وقوله: (مِنْ: مات يموت) راجع للمضم، ووزنه: قال يقول، وأصله: يَمُوتُ بسكون الميم وضم الواو، نقلت حركة الواو إلى الساكن قبلها. قوله: (ويمات) راجع لقوله: (وكسرهما) فيكون من باب: خاف يَخَاف، وأصله: يَمُوتُ بسكون الميم وفتح الواو، نُقِلَتْ فتحة الواو إلى الساكن قبلها، ثم تحركت الواو وانفتح ما قبلها فُلبت ألفاً. قوله: (أي: أتاكم الموت فيه) أي: في السفر.

قوله: ﴿لِمَغْفِرَةٍ﴾ أي: تَأْتِيهِ، وقوله: ﴿وَرَحْمَةً﴾ أي: إِحْسَانٌ، فالموتُ خيرٌ من الحياة إن كان في سفرٍ غير معصية أو جهادٍ؛ فإنه شهادة على كل حال.

قوله: (جواب القسم) أي: وجوابُ الشرط محذوفٌ دلَّ عليه جوابُ القسم؛ لقول ابن مالك:

[الرجز]

وَاحْذِفْ لَدَى اجْتِمَاعِ شَرْطٍ وَقَسَمٍ جَوَابَ مَا أَخَّرْتَ فَهُوَ مُلْتَزِمٌ^(٢)

قوله: (وهو في موضع الفعل) أي: فتقديره: لَغَفَرْتُ لَكُمْ وَرَحِمْتُكُمْ، وظاهره: أن جوابَ القسم لا بدَّ وأن يكونَ جملة فعلية، وليس كذلك، بل يكون جملة اسمية، وقَدَّمَ القتلَ هنا على الموت؛ لأنه أهمُّ وأشرف، وقَدَّمَ الموتَ أولاً؛ لمراعاة الترتيب، وآخرًا؛ لأنه أعمُّ من القتل.

قوله: ﴿مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ يحتملُ أن (ما) مصدرية، والمعنى: خيرٌ من جمعكم للدنيا، أو مَوْصُولَةٌ والعائدُ محذوف، تقديره: خيرٌ من الذي تَجْمَعُونَهُ مِنَ الدُّنْيَا.

قوله: (بالتاء والياء) أي: فهما قراءتان سبعتان^(٣).

(١) قرأ نافع وحمزة بكسر الميم، والباقون بضمِّها. انظر «السراج المنير» (٢٥٩/١).

(٢) «الخلاصة» (باب عوامل الجزم).

(٣) قرأ حفص بياء الغيبة، والباقون بتاء الخطاب. انظر «السراج المنير» (٢٥٩/١).

وَلَيْنَ مُتَمِّمٌ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُخْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ

﴿١٥٨﴾ وَلَيْنَ ﴿- لَامُ قَسَمَ -﴾ مُتَمِّمٌ ﴿- بِالْوَجْهَيْنِ -﴾ ﴿أَوْ قُتِلْتُمْ﴾ فِي الْجِهَادِ أَوْ غَيْرِهِ، ﴿لَإِلَى اللَّهِ﴾ لَا إِلَى غَيْرِهِ ﴿تُخْشَرُونَ﴾ فِي الْآخِرَةِ، فَيُجَازِيكُمْ.

﴿١٥٩﴾ ﴿فِيمَا﴾ - (مَا) زائدة - ﴿رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿لَهُمْ﴾ أَي: سَهَّلْتَ أَخْلَاقَكَ إِذْ خَالَفُوكَ، ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا﴾: سَيِّئَ الْخُلُقِ ﴿غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾: جَافِيًا فَأَغْلَظْتَ لَهُمْ،

حاشية الصاوي

قوله: (بالوجهين) أي: السابقين من ضم الميم وكسرها.

قوله: ﴿لَإِلَى اللَّهِ تُخْشَرُونَ﴾ قال بعضهم: إن الآية تشير إلى مقامات العبودية الثلاثة:

الأول: من يعبد الله خوفاً من ناره، وإليه أشار بقوله: ﴿لَمَغْفِرَةً﴾.

الثاني: من يعبد الله شوقاً إلى جنّته، وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَرَحْمَةً﴾.

الثالث: من يعبد الله لذاته لا طمعاً ولا خوفاً، وإليه الإشارة بقوله: ﴿لَإِلَى اللَّهِ تُخْشَرُونَ﴾.

وفي الحقيقة: الثالث قد حازَ جميعها لكن من غير قصدٍ منه؛ لأن مشاهدة الله لا تكون إلا

في الجنة ولا بدّ، ومن ذلك قولُ بعض العارفين: [الخفيف]

لَيْسَ قَصْدِي مِنَ الْجَنَانِ نَعِيماً غَيْرَ أَنِّي أُرِيدُهَا لِأَرَاكَ^(١)

قوله: ﴿«ما»﴾: زائدة) أي: للتوكيد، والمعنى: فيسبب رحمة من الله كنت لئنأ سهل الخلق، قال

أنس بن مالك: (خدمت رسول الله عشر سنين، فما لامني على شيء فعلته أو تركته)^(٢).

قوله: ﴿رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ التنوين للتعظيم.

قوله: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا﴾ أي: صعب القول والفعل، ومن سهولته: قبوله توبة وحشي قاتل عمه

حمزة.

قوله: (سَيِّئَ الْخُلُقِ) المناسب: أن يفسره بصعوبة القول والفعل.

قوله: ﴿غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾ أي: قاسية.

(١) البيت لعباس المجنون كما في «حلية الأولياء» لأبي نعيم في ترجمته ضمن أبيات له.

(٢) رواه البخاري (٦٠٣٨)، ومسلم (٢٣٠٩) بنحوه.

لَا تَقْضُوا مِنْ حَوْلِكُمْ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ

﴿لَا تَقْضُوا﴾: تَفَرَّقُوا ﴿مِنْ حَوْلِكُمْ فَأَعْفُ﴾: تَجَاوَزْ ﴿عَنْهُمْ﴾ ما أَتَوْهُ، ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ذَنْبَهُمْ حَتَّى أَغْفِرَ لَهُمْ، ﴿وَشَاوِرْهُمْ﴾: اسْتَخْرِجْ آرَاءَهُمْ ﴿فِي الْأَمْرِ﴾ أي: شَأْنِكَ مِنَ الْحَرْبِ وَغَيْرِهِ تَطْيِيباً لِقُلُوبِهِمْ، وَلِيُسْتَنَّ بِكَ، وَكَانَ ﷺ كَثِيرَ الْمُشَاوَرَةِ لَهُمْ، ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ عَلَى إِمْضَاءِ مَا تُرِيدُ بَعْدَ الْمُشَاوَرَةِ ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ ثِقْ بِهِ لَا بِالْمُشَاوَرَةِ؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ عَلَيْهِ.

﴿١٦٠﴾ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ: يُعِينُكُمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ كَيَوْمِ بَدْرٍ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لَا تَقْضُوا مِنْ حَوْلِكُمْ﴾ أي: ذهبوا إلى الكفار ولم يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَأَمَّا مَنْ قَبْلَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ.. فَقَدْ عَامَلُوا قَوْمَهُمْ بِالْجَلَالِ؛ كَنُوحٍ حِينَ قَالَ: ﴿لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]، وَكِهودٍ وَكَصَالِحٍ؛ فَنَبِيُّنَا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَلَوْلَا رَحْمَتُهُ بَنَا مَا بَقِيَ مَنَا أَحَدٌ، فَكَانَ شَفِيعاً عِنْدَ رَبِّهِ لَنَا فِي كُلِّ بَلَاءٍ عَامٌ طَلَبَتْهُ الْأَنْبِيَاءُ لِأَمَمِهِمْ.

قوله: ﴿فَأَعْفُ عَنْهُمْ﴾ شُرُوعٌ فِي ذِكْرِ تَرْقِيَّتِهِ لَهُمْ، فَذَكَرَ أَوَّلَ الْعَفْوِ عَنْهُمْ، ثُمَّ الْاسْتِغْفَارَ لَهُمْ لِيُطَهِّرَهُمْ رَبُّهُمْ مِنَ الذُّنُوبِ، فَإِذَا طُهِرُوا وَصَارُوا أَصْفِيَاءَ خُلَفَاءَ.. شَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ. قوله: (تَطْيِيباً لِقُلُوبِهِمْ) أي: تَوْنِيساً وَجَبْراً لَهَا؛ لِثَلَاثِ أَنْوَاعٍ مِنْ ضَعْفَاءِ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ لَمْ تَحْصُلِ الْمُشَاوَرَةُ مِنْهُ.

قوله: (ولِيُسْتَنَّ بِكَ) أي: لِيَصِيرَ سُنَّةً لِمَنْ يَأْتِي بَعْدَكَ، وَلِيُظْهَرَ صَاحِبُ الرَّأْيِ السَّيِّدِ مِنْ غَيْرِهِ؛ وَلِذَا قَدَّمُوا بَعْدَ النَّبِيِّ أَبَا بَكْرٍ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَشَاوَرُهُ كَثِيراً، ثُمَّ عَمَرَ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ كَانَ يَنْزِلُ عَلَى طَبَقِ مَا يَقُولُ، وَاخْتَلَفَ هَلْ كَانَتِ الْمُشَاوَرَةُ فِي أَمْرِ الدِّينِ أَوْ الدُّنْيَا فَقَطُّ؟ فَقِيلَ بِالْأَوَّلِ، وَلَكِنْ لَا يَتَّبَعُ إِلَّا الْوَحْيَ، وَإِنَّمَا الْمُشَاوَرَةُ تَطْيِيباً لِحَاظِهِمْ، وَقِيلَ بِالثَّانِي، وَهُوَ ظَاهِرٌ.

قوله: (ثِقْ بِهِ) أي: فَلَا يَرُدُّكَ عَنْهُ أَحَدٌ.

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ أي: يُثِيبُ الْمَفُوضِينَ الْأُمُورَ إِلَيْهِ.

قوله: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ﴾ هَذَا خُطَابٌ تَشْرِيفٍ لِلْمُؤْمِنِينَ الْمَجَاهِدِينَ.

قوله: (يُعِينُكُمْ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ النَّصْرَ بِمَعْنَى: الْإِعَانَةَ، وَيَطْلُقُ بِمَعْنَى: الْمَنْعَ، قَالَ تَعَالَى:

فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ

﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ﴾: يَتْرُكُ نَصْرَكُمْ كَيَوْمِ أُحُدٍ ﴿فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾: أَي: بَعْدَ خِذْلَانِهِ؟ أَي: لَا نَاصِرَ لَكُمْ، ﴿وَعَلَى اللَّهِ﴾ لَا غَيْرِهِ ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ﴾: لِيَسْتَقِيحَ ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾.

﴿١٦١﴾ وَنَزَلَ لِمَا فُقِدَتْ قَطِيفَةُ حِمْرَاءَ يَوْمَ بَدْرٍ، فَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ: (لَعَلَّ النَّبِيَّ أَخَذَهَا): ﴿وَمَا كَانَ﴾: مَا يَنْبَغِي ﴿لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾: يَخُونُ فِي الْغَنِيمَةِ،

حاشية الصاوي

﴿فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ﴾ [هود: ٦٣]، وبمعنى: الانتقام، قال تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ﴾ [القمر: ١٠].

قوله: ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ (أي: ولو اجتمعت عليكم أهل الأرض جميعاً).

قوله: (أي: بعد خذلانه) أشار بذلك إلى أن الكلامَ على حذف مضاف، والضميرُ عائذٌ على الله.

قوله: (أي: فلا ناصر لكم) أشار بذلك إلى أن الاستفهامَ إنكاريٌّ بمعنى النفي، ولم يُقَل: (فلا ناصر لكم)^(١)؛ إشارةً لعدم تقنيطهم من النصر تَلَطُّفاً بهم؛ أَي: فارجعوا إليه يَنْصُرْكُمْ، قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

قوله: ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (أي: المصدِّقون بأن النصرَ والخذلانَ من عند الله، والمعنى: فإذا علمتم أيُّها المؤمنون أن مَنْ نصرَهُ اللهُ فلا يغلبه أحدٌ، ومن خذله لا ناصرَ له سِوَاهُ... فثِقُوا بِهِ واعتمدوا عليه).

قوله: (لما فُقدت قطيفة) أَي: من الغنيمة^(٢).

قوله: (فقال بعض الناس) أَي: من المنافقين.

قوله: (ينبغي) أَي: يمكن، والمعنى: لا يتأتى ذلك؛ لأنَّ الأنبياءَ معصومون من الذنوب كبيرها

(١) بل أتى به في صورة الاستفهام وإن كان معناه نفياً، فقال: ﴿وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ﴾. «فتوحات» (١/٣٥١).

(٢) الخبر رواه أبو داود (٣٩٧١)، والترمذي (٣٠٠٩) عن ابن عباس ع.

وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ

فلا تظنوا به ذلك، - وفي قراءة بالبناء للمفعول - أي: يُنسب إلى الغلول، ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ حاملاً له على عنقه، ﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ﴾ الغال وغيره جزاء
حاشية الصاوي

وصغيرها، وأما قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ [يوسف: ٧٧] حكاية عن سيدنا يوسف.. فقال بعض المفسرين: إن يوسف وهو صغير وجد صنماً عند جدّه لأمه، فأخذه خفية وكسره ووضعه في محلّ القدر^(١).

قوله: (فلا تظنوا به ذلك) أي: لأنها خيانة، وهي محرمة، والنبى معصوم من ذلك، فمن جوز المعصية على النبى.. فقد كفر؛ لمنافاته للعصمة الواجبة.

قوله: (﴿وَمَنْ يَغْلُلْ﴾) كلام مستأنف قصد به التحذير لغير المعصومين.

قوله: (حاملاً له على عنقه) أي: والناس ناظرون له فضيحة له، روى الشيخان عن أبي هريرة قال: قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم، فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره، حتى قال: «لا ألقين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بغير له رغاء يقول: يا رسول الله؛ أغثني، فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتكَ، لا ألقين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمه، فيقول: يا رسول الله؛ أغثني، فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتكَ، لا ألقين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاغ تخفق فيقول: يا رسول الله؛ أغثني، فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتكَ، لا ألقين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت فيقول: يا رسول الله؛ أغثني، فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً^(٢)، والرغاء: صوت البعير، والثغاء: صوت الشاة، والرقاغ: الثياب، والصامت: الذهب والفضة، والحمحمه: صوت الفرس، وقوله: (لا ألقين) نفى معناه النهي؛ أي: لا يغل أحدكم حتى ألقاه هكذا.

(١) انظر «تفسير الخازن» (٢/٥٤٦).

(٢) رواه البخاري (٣٠٧٣)، ومسلم (١٨٣١) واللفظ له، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، والرواية هنا بالقاف في (ألقين)، وثم أيضاً رواية بالفاء: (ألقين) كما في شروح الحديث.

مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمِنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَاؤُهُ جَهَنَّمَ وَيُشْرَ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ

﴿مَا كَسَبَتْ﴾: عَمِلَتْ، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ شيئاً.

﴿١٦٢﴾ ﴿أَفَمِنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ فاطاع ولم يغفل ﴿كَمَنْ بَاءَ﴾: رَجَعَ ﴿بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ﴾ لِمَعْصِيَتِهِ وَغُلُولِهِ، ﴿وَمَاؤُهُ جَهَنَّمَ وَيُشْرَ الْمَصِيرُ﴾: المَرَجُّ هي؟ لا.

﴿١٦٣﴾ ﴿هُمْ دَرَجَتٌ﴾ أي: أصحابُ دَرَجَاتٍ ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: مُخْتَلِفُو الْمَنَازِلِ؛ فَلِمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانَهُ الثَّوَابُ، وَلِمَنْ بَاءَ بِسَخَطِهِ الْعِقَابُ، ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ فَيُجَازِيهِمْ بِهِ. ﴿١٦٤﴾ ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: عَرَبِيًّا مِثْلَهُمْ لِيَفْهَمُوا عَنْهُ وَيَشْرُقُوا بِهِ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَفَمِنْ﴾ (الهمزة مقدّمة من تأخير؛ لأنّ الاستفهام له الصّدارة.

قوله: (ولم يغفل) أي: لم يسرق ولم يخُن.

قوله: ﴿بِسَخَطٍ﴾ (مصدر قياسي لـ(سَخَطَ) بكسر الخاء، وله مصدرٌ سماعي وهو (سُخِطَ) بضمّ السين وسكون الخاء.

قوله: (هي) هذا هو المخصوصُ بالذمِّ، وقوله: (لا) جوابُ الاستفهام.

قوله: ﴿هُمْ دَرَجَتٌ﴾ أي: رُتَبٌ، فمنهم المقبولُ فلّه الدرجاتُ العُلا، ومنهم المردودُ فلّه الدرجاتُ السفلى، وفيه تغليبُ الدرجاتِ على الدرجاتِ؛ لِشَرَفِهَا.

قوله: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ﴾ هذا ترقُّ في تعظيمه ﷺ، فنَزَّهَهُ أَوَّلًا عن الغلول، ثم بيّن أن وجودَهُ بينهم نعمةٌ عظيمةٌ أنعمَ بها عليهم، وفي الحقيقة: هو نعمةٌ حتى على الكفّار، وإنما خَصَّ المؤمنين؛ لأنهم هُم المنتفعون بها وتَدوم عليهم، وأما الكفّار وإن آمنوا به من الخسْفِ والمسحِ وكلِّ بلاءٍ عامٍّ ورزقوا به إلا أن عاقبتَها الخلودُ في دار البوار، ويتبرأ منهم ولا يشفعُ لهم في النجاة من العذاب.

بُشِّرِي لَنَا مَعَشَرَ الْإِسْلَامِ إِنَّ لَنَا مِنْ الْعِنَايَةِ رُكْنًا غَيْرَ مُنْهَدِمٍ^(١)

يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوْلَمَّا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا
 لا مَلَكًا وَلَا عَاجِمِيًّا، ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ﴾: الْقُرْآنَ، ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾: يُطَهِّرُهُمْ مِنَ الذُّنُوبِ،
 ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾: الْقُرْآنَ ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: السُّنَّةَ، ﴿وَإِنْ﴾ - مُخَفَّفَةٌ - أَي: إِنَّهُمْ ﴿كَانُوا مِنْ قَبْلُ﴾ أَي: قَبْلَ بَعَثِهِ ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾: بَيِّنٌ.

﴿١٦٥﴾ ﴿أَوْلَمَّا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً﴾ بِأَحَدٍ يَقْتُلُ سَبْعِينَ مِنْكُمْ ﴿قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا﴾ بِبَدْرٍ يَقْتُلُ سَبْعِينَ
 حاشية الصاوي

قوله: (لا ملكاً) أي: لعدم طاقة البشر له، قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام: ٩].

قوله: (ولا عجمياً) أي: لعدم فهمهم عنه ما أرسل به، ومن نعم الله أيضاً كون القرآن عربياً، قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ ءَاجِمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ...﴾ [فصلت: ٤٤] الآية.

قوله: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ (أي: بنفسه، أو بواسطة كالعلماء).

قوله: (السُّنَّة) العلم النافع.

قوله: (مخففة) أي: من الثقلة لا عمل لها؛ أي: لِقَوْلِ ابْنِ مَالِكٍ: [الرجز]

وَحُفِّفَتْ (إِنَّ) فَقَلَّ الْعَمَلُ وَتَلَزَمَ اللَّامُ إِذَا مَا تُهْمَلُ^(١)

قوله: ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (أي: كفر واضح ظاهر، قال العارف البرعي: [الوافر]

أَتَى وَالْجَاهِلِيَّةُ فِي ضَلَالٍ وَكُفِّرَ تَعْبُدُ الْحَجَرَ الْأَصْنَا

وَتَأْكُلُ مِيتَةً وَدَمًا وَتَسْطُو عَلَى مَوْءَدَةِ الْأَطْفَالِ دَفْنَا

فَجَاءَ بِمِلَّةِ الْإِسْلَامِ يَتْلُو مِثَانِي فِي صَلَاةِ الْخَمْسِ تُثْنَى^(٢)

قوله: ﴿أَوْلَمَّا أَصَبْتَكُمْ﴾ الهمزة داخله على قوله: ﴿قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا﴾، والتقدير: أقلتم أنى هذا حين أصابتكم... إلخ.

(١) «الخلاصة»: (باب إن وأخواتها).

(٢) انظر «ديوانه» (ص ٢٤٤).

قُلْتُمْ أَنِّي هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ
الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَيَا ذِينَ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَقَالُوا قَاتِلُوا فِي
سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَكُمْ
.....

وَأَسْرِ سَبْعِينَ مِنْهُمْ، ﴿قُلْتُمْ﴾ مُتَعَجِّبِينَ: ﴿أَنِّي﴾: مِنْ أَيْنَ لَنَا ﴿هَذَا﴾ الْخِذْلَانُ وَنَحْنُ
مُسْلِمُونَ وَرَسُولُ اللَّهِ فِينَا؟ - وَالْجُمْلَةُ الْأَخِيرَةُ مَحَلُّ الِاسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِيِّ - ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ:
﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ لِأَنَّكُمْ تَرَكْتُمُ الْمَرْكَزَ فَخَذَلْتُمْ، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وَمِنْهُ
النَّصْرُ وَمَنْعُهُ، وَقَدْ جَازَاكُمْ بِخِلَافِكُمْ.

﴿١٦٦﴾ ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ بِأَحَدٍ ﴿فَيَا ذِينَ اللَّهِ﴾: بِإِرَادَتِهِ، ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾ اللَّهُ عِلْمَ
ظُهُورِ ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ حَقًّا.

﴿١٦٧﴾ ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ الَّذِينَ ﴿قِيلَ لَهُمْ﴾ لَمَّا انْصَرَفُوا عَنِ الْقِتَالِ - وَهُمْ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي وَأَصْحَابُهُ -: ﴿تَقَالُوا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أَعْدَاءَهُ، ﴿أَوْ ادْفَعُوا﴾ عَنَّا الْقَوْمَ
بِتَكْثِيرِ سَوَادِكُمْ إِنْ لَمْ تُقَاتِلُوا، ﴿قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ﴾: نُحْسِنُ ﴿قِتَالًا لَاتَّبَعْنَكُمْ﴾، قَالَ تَعَالَى
حَاشِيَةُ الصَّاوِي

قوله: (وَأَسْرِ سَبْعِينَ) أَي: لَأَنَّ الْفَخْرَ بِالْمَأْسُورِ أَعْظَمُ مِنَ الْمَقْتُولِ؛ لِذِلَالَتِهِ عَلَى عَظَمِ الشَّجَاعَةِ،
فَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿قَدْ أَصَابَتْكُمْ مَثَلَيْهَا﴾، وَالْمَقْصُودُ مِنْ ذَلِكَ: تَسْلِيَةُ الْمُؤْمِنِينَ.
قوله: (وَالْجُمْلَةُ الْأَخِيرَةُ) أَي: وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿قُلْتُمْ﴾.

قوله: (مَحَلُّ الِاسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِيِّ) أَي: فَهُوَ بِمَعْنَى النِّفْيِ، وَالْمَعْنَى: لَا تَقُولُوا ذَلِكَ حِينَ
أَصَابَتْكُمْ مَصِيبَةٌ؛ لِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ، فَسَبَبُهُ ظَاهِرٌ، فَلَا يُتَعَجَّبُ مِنْهُ.
قوله: (بِخِلَافِكُمْ) أَي: مُخَالَفَتِكُمْ، وَالْمَعْنَى: جَازَاكُمْ عَلَيْهَا.

قوله: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ شُرُوعٌ فِي بَيَانِ الْحِكْمِ الَّتِي تَرْتَبْتُ عَلَى هَزِيمَةِ الْمُؤْمِنِينَ
بِأَحَدٍ.

قوله: (عِلْمَ ظُهُورِ) أَي: بِالنِّسْبَةِ لِلْخَلْقِ.

قوله: (وَأَصْحَابُهُ) أَي: وَكَانُوا ثَلَاثَ مِثَّةٍ.

قوله: ﴿تَقَالُوا قَاتِلُوا﴾ أَي: إِمَّا فِي الْمَقْدَمِ بِالسَّيْفِ، أَوْ فِي الْمَوْخَرِ بِالسَّهَامِ.

قوله: (بِتَكْثِيرِ سَوَادِكُمْ) أَي: عَدَدِكُمْ وَأَشْخَاصِكُمْ.

هُمُ لِلْكَفْرِ يَوْمِيذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ
الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾

تَكْذِيباً لَهُمْ: ﴿هُمُ لِلْكَفْرِ يَوْمِيذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ بما أظهروا من خذلانهم للمؤمنين،
وكانوا قبلُ أقرب إلى الإيمان من حيث الظاهر، ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾،
ولو عَلِمُوا قِتَالاً لَمْ يَتَّبِعُوكُمْ، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ من النفاق.

﴿الَّذِينَ﴾ - بَدَلٌ مِنَ ﴿الَّذِينَ﴾ قبله أو نَعَتْ - ﴿قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ في الدين ﴿وَقَدْ
قَعَدُوا﴾ عن الجهاد: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾ أي: شُهداءُ أَحَدٍ أو إِخْوَانُنَا في الْقُعُودِ ﴿مَا قُتِلُوا
قُلْ﴾ لَهُمْ: ﴿فَادْرَأُوا﴾: اَدْفَعُوا ﴿عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أَنَّ الْقُعُودَ يُنْجِي
مِنْهُ.

﴿١٦٩﴾ وَنَزَلَ فِي الشُّهَدَاءِ:

حاشية الصاوي

قوله: (بما أظهروا) أي: بسببه؛ أي: فإظهارهم الخذلان للمؤمنين سببٌ في كونهم أقرب للكفر
من الإيمان.

قوله: (بدل من ﴿الَّذِينَ﴾ قبله) أي: وهو قوله: ﴿الَّذِينَ نَافَقُوا﴾.

قوله: ﴿وَقَعَدُوا﴾ الجملة حالية؛ فلذا قَدَّرَ المفسِّرُ (قد).

قوله: ﴿قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ﴾ ورد: أنه نزلَ بهم الموت وهم في دُورِهِمْ، فمات
منهم سبعون من غير قتال في يوم واحد^(١).

قوله: (ونزل في الشهداء) قيل: شهداء بدر، وقيل: أحد، وقيل: شهداء بئر معونة وهم
سبعون، أرسلهم النبي ﷺ لأهل نجد يعلمونهم القرآن، فقتلواهم عن آخرهم، ولم ينجُ منهم إلا
واحدٌ فرَّ هارباً وأخبر النبي بذلك، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فهذا الوعد الحسن
لكلِّ مَنْ قُتِلَ في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، وسبب ذلك: «أن الشهداء الذين قُتلوا لما رأوا ما رأوا

(١) كذا في «الفتوحات الإلهية» (٣٣٤/١) نقلاً عن الشيخ الأجهوري.

وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا﴾ - بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ - ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أَي: لِأَجْلِ دِينِهِ ﴿أَمْوَاتًا﴾ هُمْ ﴿أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أَرْوَاحُهُمْ فِي حَوَاصِلِ طُيُورٍ خُضِرَ تَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ، ﴿يُرْزَقُونَ﴾: يَأْكُلُونَ مِنْ ثِمَارِ الْجَنَّةِ.

حاشية الصاوي

من الحياة والرزق والنعيم الدائم.. قالوا: يَا رَبَّنَا؛ وَمَنْ يَوْصَلُ خَبَرَنَا لِإِخْوَانِنَا الْأَحْيَاءِ؟ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ: أَنَا أَبْلَغُ خَبْرِكُمْ لِإِخْوَانِكُمْ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ...﴾ الْآيَةُ^(١).

قوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ الخطابُ قيل: لِلنَّبِيِّ، وَقِيلَ: لِكُلِّ مَنْ يَصْلُحُ لِلخُطَابِ، وَ﴿الَّذِينَ﴾: مَفْعُولُ أَوَّلٍ، وَ﴿أَمْوَاتًا﴾: مَفْعُولُ ثَانٍ، وَ﴿بَلْ﴾: لِلإِضْرَابِ الْإِنْتِقَالِي، وَ﴿أَحْيَاءُ﴾: خَبَرٌ لِمَحْذُوفٍ قَدَرُهُ الْمَفْسَّرُ بِقَوْلِهِ: (هُمْ).

قوله: (بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ) أَي: فَهَمَا قَرَأَتَانِ سَبْعَتَانِ^(٢).

قوله: ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أَي: طَاعَتِهِ، وَالْمَعْنَى: لَمْ يَكُنْ لَهُمْ قَصْدٌ إِلَّا إِعْلَاءُ دِينِهِ.

قوله: ﴿بَلْ أَحْيَاءُ﴾: لِلْعُطْفِ، وَمَا بَعْدَهَا خَبَرٌ لِمَحْذُوفٍ، وَالْجُمْلَةُ مَعْطُوفَةٌ عَلَى مَا قَبْلَهَا، وَهَذِهِ الْحَيَاةُ لَيْسَتْ كَحَيَاةِ الدُّنْيَا، بَلْ هِيَ أَعْلَى وَأَجْلُّ مِنْهَا؛ لِأَنَّهُمْ يَسْرَحُونَ حَيْثُ شَاءَتْ أَرْوَاحُهُمْ.

قوله: ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ خَبَرٌ ثَانٍ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ فِي كَرَامَةِ رَبِّهِمْ وَضِيَاغَتِهِ، وَقَوْلُهُ: ﴿يُرْزَقُونَ﴾ خَبَرٌ ثَالِثٌ.

قوله: (كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ) أَي: وَهُوَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ أَرْوَاحَ الشَّهَدَاءِ فِي أَجْوَافِ طُيُورٍ خُضِرَ، تَرُدُّ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ، تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مَعْلُوقَةٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ»^(٣). انْتَهَى.

وَأَمَّا أَجْسَادُهُمْ فَمَحَلُّهَا الْقُبُورُ، غَيْرَ أَنَّ الْأَرْوَاحَ لَهَا تَعَلُّقٌ بِهَا؛ فَلِذَلِكَ لَا يَحْصُلُ لِأَجْسَادِهِمْ بَلَاءٌ، فَأَرْوَاحُهُمْ لَهَا جَوْلَانٌ عَظِيمٌ مِنَ الْبَرْزَخِ إِلَى أَعْلَى السَّمَوَاتِ إِلَى دَاخِلِ الْجَنَانِ، وَالطُّيُورُ الْخَضِرُ لَهَا كَالْهُوَادِجِ مَعَ كَوْنِهَا مَتَّصِلَةٌ بِجِسْمِ صَاحِبِهَا، وَمَا وَصَلَ لِلرُّوحِ مِنَ النِّعَمِ يَحْصُلُ لِلْجِسْمِ أَيْضًا،

(١) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (١٩٠)، وَابْنُ مَاجَهَ (٢٨٠٠).

(٢) قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ بِالتَّشْدِيدِ: (قُتِلُوا) لِلتَّكْثِيرِ، وَالْبَاقُونَ بِالتَّخْفِيفِ وَيَحْتَمِلُهُ. انْظُرْ «الدَّرُ الْمَصُون» (٣/٤٨١).

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٨٨٧).

فَرِحِينَ يَمَّا ءَاتَتْهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾

﴿١٧٠﴾ - ﴿فَرِحِينَ﴾ - حالٌ من ضمير ﴿يُرْزَقُونَ﴾ - ﴿يَمَّا ءَاتَتْهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ﴾ هُمُ ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ : يَفْرَحُونَ ﴿بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ من إخوانهم المؤمنين، - ويُبَدَلُ من ﴿الَّذِينَ﴾ : - ﴿أَنْ﴾ أي: بأنَّ ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي: الذين لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة، المعنى: يَفْرَحُونَ بِأَمْنِهِمْ وَفَرَحِهِمْ.

حاشية الصاوي

وذلك نظيرُ النَّائم؛ فَإِنَّ النَّائمَ يرى أن روحَهُ في المشرق أو في المغرب مع كونها مُتصلةً بجسمِهِ، وكالأولياء الذين أعطاهم الله التصريف؛ فَإِنَّ الواحدَ منهم يكون جالساً في مكان وروحُهُ تَسْرُحُ في أمكنة متعددة، وربُّكَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ^(١)؛ وَلِذَلِكَ قال الله تعالى في آية البقرة: ﴿وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤].

ومثلُ الشهداء الأنبياء، بل حياةُ الأنبياء أَجَلٌ وأعلى، وأما المؤمنون غيرُ الشهداء والأنبياء... فأرواحُهم تَسْرُحُ من القبر إلى باب الجنة، وتَنْظُرُ ما أَعَدَّ لها من النعيم المقيم، لكن لا تدخلُ إلا يومَ القيامة، وذلك يُسَمَّى عالمُ البرزخ، واتساعُهُ بالنسبة للعالمِ الدنيا كاتساعِ الدنيا بالنسبة لبطن الأم.

قوله: ﴿يَمَّا ءَاتَتْهُمْ﴾ متعلق بقوله: ﴿فَرِحِينَ﴾، والذي آتاهم الله من فضله هو حياتُهم ورزقُهم. قوله: ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ أشارَ بذلك إلى أن ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ خبرٌ لمَحذوفٍ، والجملة إما حاليةٌ من الضمير في ﴿فَرِحِينَ﴾، أو مستأنفة.

قوله: ﴿بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ أي: في الموت، والمعنى: أنهم يفرحون بما أعطاهم الله، ويفرحون بما أَعَدَّ لإخوانهم الذين لم يَمُوتُوا الآن، سواء كانوا موجودين أو سيوجدون إلى يوم القيامة؛ لدخولهم الجنة وإطلاعهم على منازل المؤمنين فيها.

قوله: ﴿مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ حالٌ من الواو في ﴿يَلْحَقُوا﴾ أي: حالُ كون الذين لم يَلْحَقُوا بِهِمْ متخلفين عنهم.

قوله: (المعنى: يفرحون) أي: المتقدمون، وقوله: (بأمنهم) أي: المتأخرين.

(١) كما أعطى سيدنا ميكائيل هذه الرتبة، وقوله: (وروحه في أمكنة متعددة) يتمشى على ما اختاره الغزالي والفخر من وجود حادث غير متحيز، ومثلاً له بالروح.

يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾

﴿١٧١﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ: ثواب ﴿مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾: زيادة عليه، ﴿وَأَنَّ﴾ - بِالْفَتْحِ عَطْفًا عَلَى (نِعْمَةٍ)، والكسر استئنافاً - ﴿اللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بَلْ يَأْجُرُهُمْ.

﴿١٧٢﴾ ﴿الَّذِينَ﴾ - مُبْتَدَأٌ - ﴿اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ دُعَاءُهُ بِالْخُرُوجِ لِلْقِتَالِ لَمَّا أَرَادَ أَبُو سَفْيَانَ وَأَصْحَابُهُ الْعَوْدَ، وَتَوَاعَدُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سُوقَ بَدْرِ الْعَامِ الْمُقْبِلِ مِنْ يَوْمِ أَحُدٍ، ﴿مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ بِأَحَدٍ، - وَخَبَرُ الْمُبْتَدَأِ: - ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ﴾ بِطَاعَتِهِ ﴿وَاتَّقُوا﴾ مُخَالَفَتَهُ ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ هُوَ الْجَنَّةُ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: لهم ولاخوانهم.

قوله: (بالفتح عطفًا على «نعمة») أي: ويكون المعنى: يستبشرون بنعمة من الله وفضل وبأن الله لا يضيع... إلخ، وقوله: (والكسر استئنافاً) أي: في معنى العلة لما قبله، والقراءتان سبعتان^(١).

قوله: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا﴾ نزلت في أهل أحد حين دعاهم للقتال ثانياً بعد حصول التفرقة، فخرجوا وساروا خلف العدو ثمانية أميال، فوقع بينهم ما وقع في مكان يقال له: حمراء الأسد، فحصل التوافق بين أبي سفيان والنبي أن يرفعوا القتال إلى العام القابل والموعد بدر الصغرى، فسافر أبو سفيان وأصحابه، ومكث النبي بحمراء الأسد من يوم الأحد إلى يوم الجمعة.

إذا علمت ذلك فقول المفسر: (بالخروج للقتال لَمَّا أَرَادَ أَبُو سَفْيَانَ... إلخ) ليس بسديد؛ فإن الآية نزلت مدحاً لمن أجاب الرسول للقتال ثانياً في غزوة أحد يوم الأحد بعد الواقعة التي كانت يوم السبت، وتسمى غزوة يوم الأحد غزوة حمراء الأسد، وهي التي مدحهم الله بها وانجبر خللهم بها^(٢).

قوله: (بأحد) المناسب أن يقول بعد ذلك: يوم السبت واستجابوا له يوم الأحد.

قوله: ﴿مِنْهُمْ﴾ (مِنْ): بَيَانِيَّةٌ؛ عَلَى حَدِّ: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ [الحج: ٣٠].

(١) قرأ الكسائي بالكسر، وباقي السبعة بالفتح. انظر «الدر المصون» (٤٨٧/٣).

(٢) روى الخبر النسائي في «السنن الكبرى» (١١٠١٧) عن ابن عباس ؓ، ولكن فيه إشارة إلى أن المشركين هم من رغبوا في العود إلى القتال، بل صرح بذلك البغوي في «تفسيره» (٥٣٩/١)، وهذا يؤيد ما ذهب إليه الإمام السيوطي رحمه الله تعالى، والمدح ثابت للصحابه على كل حال.

الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾

﴿الَّذِينَ﴾ - بَدَلٌ مِّنَ ﴿الَّذِينَ﴾ قَبْلَهُ أَوْ نَعَتْ - ﴿قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ أي: نَعِيمُ بْنُ مَسْعُودٍ الْأَشْجَعِيُّ: ﴿إِنَّ النَّاسَ﴾: أبا سَفْيَانَ وَأَصْحَابَهُ ﴿قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ الْجُمُوعَ لِيَسْتَأْصِلُوكُمْ، ﴿فَاخْشَوْهُمْ﴾ وَلَا تَأْتُوهُمْ، ﴿فَزَادَهُمْ﴾ ذَلِكَ الْقَوْلُ ﴿إِيمَانًا﴾: تَصْدِيقًا بِاللهِ وَيَقِينًا، ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ كَافِينَا أَمْرَهُمْ، ﴿وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾: الْمُفَوَّضُ إِلَيْهِ الْأَمْرُ هُوَ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ شُرُوعٌ فِي غَزْوَةِ بَدْرِ الثَّالِثَةِ، وَتُسَمَّى بِدْرًا الصَّغْرَى، وَكَانَتْ فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ فِي شَعْبَانَ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ مَوْسَمٌ عَظِيمٌ لِقَبَائِلِ الْعَرَبِ كُلِّ عَامٍ^(١)، فَخَرَجَ أَبُو سَفْيَانَ حَتَّى نَزَلَ مَرَّ الظَّهْرَانَ، فَأَلْقَى اللَّهَ الرَّعْبَ فِي قَلْبِهِ، فَلَقِيَ نَعِيمَ بْنَ مَسْعُودٍ الْأَشْجَعِيَّ، فَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ: يَا نَعِيمُ؛ إِنِّي قَدْ وَاعَدْتُ مُحَمَّدًا أَنْ نَلْتَقِيَ بِمَوْسَمِ بَدْرِ، وَهَذَا عَامُ جَدْبٍ، فَأَحْبَبُّ أَنْ يَكُونَ الْخُلْفُ مِنْهُ لَا مَنِّي، فَاهْذَبْ إِلَى الْمَدِينَةِ فَثَبِّطْهُمْ عَنِ الْخُرُوجِ وَلَكَ عِنْدِي عَشْرَةُ مِنَ الْإِبِلِ، فَاَنْطَلِقْ نَعِيمُ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَوَجَدَ النَّبِيَّ وَأَصْحَابَهُ يَتَجَهَّزُونَ، فَقَالَ لَهُمْ: مَا تُرِيدُونَ؟ فَقَالُوا: لِمِيعَادِ أَبِي سَفْيَانَ، فَقَالَ لَهُمْ: لَا تَقْدِرُونَ عَلَيْهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ تَجَمَّعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ: «لَاخْرَجَنَّ إِلَيْهِمْ وَلَوْ وَحْدِي»، فَخَرَجَ النَّبِيُّ فِي أَلْفٍ وَخَمْسِ مِائَةِ مَقَاتِلٍ حَتَّى بَلَغُوا بَدْرًا، وَكَانَتْ مَوْضِعَ سُوقٍ لِلْعَرَبِ يَجْتَمِعُونَ فِيهَا كُلَّ عَامٍ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ، فَصَادَفُوا الْمَوْسَمَ وَبَاعُوا مَا كَانَ مَعَهُمْ مِنَ التِّجَارَاتِ، فَرَبِحُوا فِي الدَّرْهِمِ دَرَاهِمِينَ، وَلَمْ يَأْتَهُمْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَارْجَعُوا بِرِبْحٍ وَأَجْرٍ عَظِيمَيْنِ، وَأَسْلَمَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْقَبَائِلِ حِينَئِذٍ^(٢).

قوله: (أي: نعيم بن مسعود) أي: فَأَطْلَقَ الْكُلَّ وَأَرَادَ الْبَعْضَ، وَقَدْ أَسْلَمَ بَعْدَ ذَلِكَ عَامَ الْخَنْدَقِ.

قوله: (ذلك القول) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى فَاعِلٍ (زَادَ) عَلَى حَدِّ: ﴿أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٨].
قوله: (هو) أي: الله، وَهُوَ إِشَارَةٌ لِلْمَخْصُوصِ بِالْمَدْحِ، وَهَذِهِ الدَّعْوَةُ مِنْ أَفْضَلِ الدَّعَوَاتِ، وَقَدْ اسْتَعْمَلَهَا الْعَارِفُونَ لِلْمَهْمَّاتِ، وَجَعَلُوا عِدَّتَهَا أَرْبَعَ مِائَةٍ وَخَمْسِينَ، فَمَنْ فَعَلَهَا.. كَفَاهُ اللَّهُ مَا أَهَمُّهُ.

(١) فِي (ط): (وَهُوَ يَوْمٌ مَوْسَمٌ عَظِيمٌ...).

(٢) «تفسير البغوي» (١/٥٤١).

فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مَنِ اللَّهُ وَفَضْلِ لَمْ يَمَسَّ سُهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ.....

﴿١٧٤﴾ وَخَرَجُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَوَافُوا سُوقَ بَدْرٍ، وَأَلْقَى اللَّهُ الرُّعْبَ فِي قَلْبِ أَبِي سُفْيَانَ وَأَصْحَابِهِ، فَلَمْ يَأْتُوا، وَكَانَ مَعَهُمْ تِجَارَاتٌ فَبَاعُوا وَرَبَّحُوا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَأَنْقَلَبُوا﴾: رَجَعُوا مِنْ بَدْرٍ ﴿بِنِعْمَةِ مَنِ اللَّهُ وَفَضْلٍ﴾: بِسَلَامَةٍ وَرِبْحٍ، ﴿لَمْ يَمَسَّ سُهُمْ سُوءٌ﴾: مِنْ قَتْلِ أَوْ جَرَحٍ، ﴿وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾: بِطَاعَتِهِ وَرَسُولِهِ فِي الْخُرُوجِ، ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾: عَلَى أَهْلِ طَاعَتِهِ.

﴿١٧٥﴾ ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ﴾ أَي: الْقَائِلُ لَكُمْ: إِنَّ النَّاسَ... إلخ ﴿الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ﴾ كُمْ ﴿أَوْلِيَاءَهُ﴾ الْكُفَّارَ، ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا﴾ فِي تَرْكِ أَمْرِي، ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ حَقًّا.

﴿١٧٦﴾ ﴿وَلَا يَحْزَنُكَ﴾ - بِضَمِّ الْيَاءِ وَكَسْرِ الزَّاي، وَبِفَتْحِهَا وَضَمُّ الزَّاي مِنْ (حَزَنَهُ) لَغَةً فِي (أَحْزَنَهُ) - ﴿الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾: يَقْعُونَ فِيهِ سَرِيعًا.....

حاشية الصاوي

قوله: (وربحوا) أي: في الدرهم درهمين.

قوله: (بسلامة وربح) راجع للنعمة والفضل.

قوله: (فلم يأتوا) أي: أبو سفيان وأصحابه، وقد أسلم هو يوم الفتح بعد أن أسير.

قوله: (أي: القائل لكم) أي: وهو نعيم بن مسعود الأشجعي.

قوله: ﴿يُخَوِّفُ﴾ كَمْ ﴿أَوْلِيَاءَهُ﴾ أشار بذلك إلى أن ﴿يُخَوِّفُ﴾ ينصب مفعولين؛ الكاف المقدر:

مفعول أول، و﴿أَوْلِيَاءَهُ﴾: مفعول ثان، والمعنى: يُخَوِّفُكُمْ شَرَّ أَوْلِيَاءِهِ وَهُمْ الْكُفَّارُ.

قوله: ﴿وَلَا يَحْزَنُكَ﴾ نزلت تسليّة للنبي ﷺ والمؤمنين.

قوله: (بضم الياء... إلخ) قراءتان سبعيتان، ولغتان مشهورتان^(١)، الأولى: مِنْ (أَحْزَنَ)،

والثانية: مِنْ (حَزَنَ).

قوله: (يقعون فيه) أشار بذلك إلى أن ﴿يُسْرِعُونَ﴾ مضمّن معنى: يقعون، فعذاه بـ(في)؛ إشارة

إلى أنهم تلبّسوا بالكفر وليسوا بخارجين عنه.

(١) قرأ نافع: (يُحْزِنُكَ) بالضم، والباقون بفتح الياء. انظر «الدر المصون» (٣/ ٤٩٥).

إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ.....

بِنَصْرَتِهِ، وَهُمْ أَهْلُ مَكَّةَ أَوْ الْمُنَافِقُونَ، أَي: لَا تَهْتَمُّ لِكُفْرِهِمْ؛ ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ بِفِعْلِهِمْ، وَإِنَّمَا يَضُرُّونَ أَنْفُسَهُمْ، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا﴾: نَصِيبًا ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾ أَي: الْجَنَّةِ، فَلِذَلِكَ خَذَلَهُمْ، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ فِي النَّارِ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾ أَي: أَخَذُوهُ بَدَلَهُ ﴿لَن يَضُرُّوا اللَّهَ﴾ بِكُفْرِهِمْ ﴿شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤْلِمٌ.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ - بِالْبَاءِ وَالنَّاءِ -
 حاشية الصاوي

قوله: (بنصرته) أي: الكفر بمقاتلة النبي وأصحابه.

قوله: ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ (علّة للنفي، وهو على حذف مضاف تقديره: لَن يَضُرُّوا أولياء الله شيئاً، وإنما أسند الضرر لنفسه؛ تشريفاً لهم، كأن محاربة المسلمين محاربة له.

إن قلت: إن قتلهم للمؤمنين مشاهدٌ، وهو ضررٌ، فكيف يُنفى؟

أجيب: بأنه ليس بضرر، بل هو شهادةٌ، فالمؤمنون فائزون على كلِّ حال قُتلوا أو قُتلوا، والكفارُ خاسرون على كلِّ حال قُتلوا أو قُتلوا.

قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي: جزاء لمسارعتهم في الكفر ونصرتهم له.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾ هذه الجملة مؤكدة لما قبلها.

قوله: (أي: أخذوه بدله) يعني: تركوا الإيمان واختاروا الكفر.

قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ إنما وصف العذاب هنا بكونه أليماً؛ لأنَّ مَنْ اشترى سلعةً وخسرَ فيها تألَّم منها، ووصفه فيما تقدَّم بـ(العظيم)؛ لأنَّ المسارعةَ للشيء تقتضي عظمته.

قوله: (بالياء والناء) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١)، فعلى الناء الخطابُ للنبي، وقوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مفعول أول لـ ﴿تَحْسَبَنَّ﴾، وقوله: ﴿أَنَّمَا نُكَلِّمُكُمْ﴾: في محلِّ المفعول الثاني، وهو تسليّة للنبي ﷺ، والمعنى: لا تظنَّ أنَّ إمهالَ الكافر بطولِ عمره وأكلِهِ من رزقِ الله ومقاتلَتِهِ في أولياء الله

(١) قرأ حمزة بناء الخطاب، والباقون بياء الغيبة. انظر «الدر المصون» (٤٩٦/٣).

الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾
مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ﴾ أي: إملأنا ﴿لَهُمْ﴾ بِتَطْوِيلِ الأعمارِ وتأخيرِهم ﴿خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ﴾، - (وَأَنَّ) وَمَعْمُولُهَا سَدَّتْ مَسَدَ الْمَفْعُولِينَ فِي قِرَاءَةِ التَّحْتَانِيَّةِ، وَمَسَدُ الثَّانِي فِي الْآخَرَى - ﴿إِنَّمَا نُمَلِّي﴾: نُمَهِّلُ ﴿لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ بِكَثْرَةِ الْمَعَاصِي، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: ذُو إِهَانَةٍ فِي الْآخِرَةِ.

﴿١٧٩﴾ ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ﴾: لِيَتْرَكَ ﴿الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ ﴿عَلَيْهِ﴾ مِنْ اخْتِلَاطِ الْمُخْلِصِ بغيرِهِ، ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ﴾ - بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ -: يَفْصِلُ ﴿الْخَبِيثَ﴾: الْمُنَافِقَ ﴿مِنَ الطَّيِّبِ﴾: الْمُؤْمِنِ، بِالتَّكَالِيفِ الشَّاقَّةِ الْمُبَيِّنَةِ لِذَلِكَ، ففَعَلَ ذَلِكَ يَوْمَ أَحُدٍ،

حاشية الصاوي

خيرٌ له، وإنما إمهاله ليزداد إثماً وجُرمًا، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ...﴾ [إبراهيم: ٤٢] الآية، وعلى الياء فقوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فاعل ﴿يَحْسَبَنَّ﴾، وقوله: ﴿أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ﴾ خبرٌ سَدَّ مَسَدَ مفعولها كما قال المفسر، والمعنى: لا يظنُّ الكفارُ أن إملأنا وإمهالنا خيرٌ لهم، بل هو شرٌّ لهم؛ لأننا إنما نُملِّي لهم ليزدادوا إثماً.

قوله: (أي: إملأنا) أشارَ بذلك إلى أن (ما) مصدريةٌ تسبُّكٌ مع ما بعدها بمصدر، اسم (أَنَّ).

قوله: (ومسدُّ الثاني في الأخرى) أي: ومفعولها الأول هو ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

قوله: ﴿أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ﴾ تعليلٌ لما قبله.

قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ وصفه بالإهانة؛ لأنَّ من شأنِ مَنْ طَالَ عمرُهُ في الكفر أن تنفذ كلمته ويزدادَ عِزًّا، فَعَمَلٌ بضدٍّ ما لقيَ في الدنيا.

قوله: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ هذا وعدٌ من الله لِنَبِيِّهِ بأنه سيميزُ له المؤمنَ من المنافق.

قوله: (أيها الناس) أي: المؤمنون والكفار.

قوله: (بالتخفيف والتشديد) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: (وفعل ذلك يوم أحد) أي: حيث امتحنهم بالقدوم على العدو وبذل الأموال، وكذلك

(١) قرأ حمزة والكسائي: (يُمِيزُ) بالتشديد، والباقون بالتخفيف. انظر «الدر المصون» (٥٠٩/٣).

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ. وَإِنْ تَوَمَّنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ فتعرفوا المنافق من غيره قبل التمييز، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي﴾ يختار ﴿مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ فيُظْلِعُهُ على غيبه، كما أطلع النبي ﷺ على حال المنافقين، ﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ. وَإِنْ تَوَمَّنُوا وَتَتَّقُوا﴾ التفاق ﴿فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿١٨٠﴾ ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ - بِالتَّاءِ وَالْيَاءِ - ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي: بِزَكَاتِهِ ﴿هُوَ﴾ أي: بُخْلُهُمْ ﴿خَيْرًا لَّهُمْ﴾ - مَفْعُولُ ثَانٍ، وَالضَّمِيرُ لِلْفَصْلِ، وَالْأَوَّلُ (بُخْلُهُمْ) مُقَدَّرًا قَبْلَ الْمَوْصُولِ عَلَى الْفَوْقَانِيَّةِ، وَقَبْلَ الضَّمِيرِ عَلَى التَّحْتَانِيَّةِ -
حاشية الصاوي

في غزوة الأحزاب، وكذلك في ميعاد أبي سفيان في العام المقبل من أحد، ففضحهم الله وميزهم في مواضع عديدة.

قوله: ﴿عَلَى الْغَيْبِ﴾ أي: ما غاب عنهم.

قوله: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ﴾ استدراك على ما تقدّم في قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾، كأنه قال: إلا الرسل فإنه يطلعهم على الغيب.

قوله: (بالياء والتاء) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: (أي: بزكاته) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف؛ أي: بزكاة ما آتاهم الله من فضله.

قوله: (مقدراً قبل الموصول) أي: فتقديره: ولا تحسبن بخل الذين يبخلون... إلخ خيراً لهم، إذا علمت ذلك فقول المفسر: (بخلهم) فيه تسميح؛ لأنَّ المقدّر قبل الموصول يكون مضافاً له لا للضمير، وإنما المضاف للضمير هو ما قدّر قبل الضمير.

قوله: (وقبل الضمير) أي: فتقديره: ولا يحسبن الذين يبخلون... إلخ بخلهم خيراً لهم.

(١) قرأ حمزة بناء الخطاب، والباقون بياء الغيبة. انظر «الدر المصون» (٣/٥١٠).

بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلِلَّهِ مِيراثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ

﴿بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ﴾ أي: بِزَكَاتِهِ مِنَ الْمَالِ ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ بِأَنْ يُجْعَلَ حَيَّةٌ فِي عُنُقِهِ تَنْهَشُهُ كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ، ﴿وَاللَّهُ مِيراثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يَرِثُهُمَا بَعْدَ فَنَاءِ أَهْلِهِمَا، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ - بِالتَّائِ وَالْيَاءِ - ﴿خَبِيرٌ﴾ فَيُجَازِيكُمْ بِهِ.

﴿١٨١﴾ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ وَهُمْ الْيَهُودُ، قَالُوهُ لَمَّا

حاشية الصاوي

قوله: (كما ورد في الحديث) أي: وهو قوله عليه الصلاة والسلام: «يُمَثَّلُ مَالٌ مَانِعِ الزَّكَاةَ بِشُجَاعٍ أَقْرَعَ لَهُ زَيْبَتَانِ، يَأْخُذُ بِلَهْزِمَتَيْهِ وَيَقُولُ لَهُ: أَنَا كَنْزُكَ، أَنَا مَالُكَ، ثُمَّ تَلَا: ﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ...﴾ الآية»^(١)، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُخَمَّى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتَكُوفُ بِهَا جِبَاهُهُمْ...﴾ [التوبة: ٣٥] الآية، وهذا إذا كان المَالُ مِنْ حَلَالٍ، فَمَا بِاللَّكَ إِذَا كَانَ حَرَامًا وَبَخِلَ بِهِ؟!

قوله: ﴿وَاللَّهُ مِيراثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هذا كالدليل لما قبله؛ كأنه قال: لا معنى للبخل بالمال؛ فإنه الله يُعْطِيهِ لِمَنْ يَشَاءُ؛ لِيَصْرِفَهُ فِيمَا أَمَرَ بِهِ مَدَّةَ حَيَاتِهِ، فَإِذَا مَاتَ رَجَعَ الْمَالُ لِصَاحِبِهِ، قَالَ الشَّاعِرُ: [الطويل]

وَمَا الْمَالُ وَالْأَهْلُونَ إِلَّا وَدَائِعُ وَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ الْوَدَائِعُ^(٢)

قوله: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾ اللَّامُ: مُوطئةٌ لِقِسْمٍ مَحْذُوفٍ؛ أَي: وَاللَّهُ لَقَدْ سَمِعَ... إلخ.

وَسَبَبُ ذَلِكَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا أَمَرَهُمْ بِالْدُخُولِ فِي الْإِسْلَامِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَأَنْ يُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا... قَالَ كُبْرَاءُ الْيَهُودِ كُحَيِّ بْنِ أَخْطَبٍ وَكَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ وَفُنْحَاصُ بْنُ عَازُورَاءَ لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ حِينَ أَمَرَهُمْ بِمَا ذُكِرَ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ: إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ، وَلَوْ كَانَ غَنِيًّا مَا اسْتَقْرَضَنَا^(٣). وَمَعْنَى سَمِعَهُ لَهُ: عِلْمُهُ وَإِحْصَاؤُهُ وَالْمَجَازَاةُ عَلَيْهِ.

(١) رواه البخاري (١٤٠٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا، وَاللَّهْزِمَتَانِ: الشَّدَقَانِ، وَالزَّيْبَتَانِ: إِمَّا نَابَانِ يَخْرُجَانِ مِنْ فَمِهِ، أَوْ نَقِطَتَانِ سَوْدَاوَانِ فَوْقَ عَيْنَيْهِ.

(٢) البيت للبيد العامري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انظر «ديوانه» (ص ٥٦).

(٣) رواه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١٨٣٠) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأُنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ

نَزَلَ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥] وقالوا: (لو كان غنيا ما استقرضناه)، ﴿سَنَكْتُبُ﴾: نَأْمُرُ بِكُتْبِ ﴿مَا قَالُوا﴾ في صَحَائِفِ أَعْمَالِهِمْ لِيُجَازَوْا عَلَيْهِ، - وفي قِرَاءَةِ بِالْيَاءِ مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ - ﴿وَوَ﴾ نَكْتُبُ ﴿قَتْلَهُمْ﴾ - بِالنَّصْبِ وَالرَّفْعِ - ﴿الْأُنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ﴾ - بِالنُّونِ وَالْيَاءِ - أَي: اللَّهُ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَلَى لِسَانِ الْمَلَائِكَةِ: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ النَّارَ، وَيُقَالُ لَهُمْ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا:

﴿ذَلِكَ﴾ الْعَذَابُ ﴿بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ﴾ عَبَّرَ بِهَا عَنِ الْإِنْسَانِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ هذا من تَلَطُّفِ اللَّهِ بِعِبَادِهِ، وَتَنْزُلِهِ لَهُمْ، وَإِلَّا... فالملك لله وحده، وإنما سَمَّاهُ قَرْضًا؛ لِأَنَّ جَزَاءَهُ عَلَيْهِ كُمُجَازَاةِ الْمُقْتَرَضِ أَوْ أَعْظَمَ، فَمِنْ إِحْسَانِهِ عَلَيْنَا خَلَقَ وَنَسَبَ إِلَيْنَا، وَلَيْسَ مَعْنَاهُ: أَقْرِضُوا اللَّهَ لِيَنْتَفِعَ بِهِ، بَلْ مَعْنَاهُ: أَعْطُوا الْفُقَرَاءَ لِأَجْلِي وَمُجَازَاتِكُمْ عَلَيَّ.

قوله: (وفي قراءة بالياء) أي: فهما قراءتان سَبْعِيَّتَانِ، فعلى هذه القراءة: يكون الموصولُ وَصِلَتَهُ نَائِبُ الْفَاعِلِ، وعلى الأولى: يكون مفعولاً، والفاعلُ ضَمِيرٌ يَعُودُ عَلَى اللَّهِ^(١).

قوله: (بالنصب والرفع) لَفٌّ وَنَشْرٌ مُرْتَبٌّ، وهو معطوف على محلِّ الموصول وَصِلَتَهُ، ومحلُّهُ: إما نصبٌ على قراءة النون، أو الرفعُ على قراءة الياء.

قوله: ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ أي: حتى في اعتقادهم.

إِنْ قُلْتَ: إِنْ ذَلِكَ كَانَ فِي أَجْدَادِهِمْ فَلِمَ أُؤْخِذُوا بِهِ؟ أَجِيبْ: بِأَنَّ رِضَاهُمْ بِهِ صَيَّرَهُ كَأَنَّهُ وَاقِعٌ مِنْهُمْ؛ لِأَنَّ الرِّضَا بِالْكَفْرِ كُفْرٌ.

قوله: (أي: الله) هذا تفسِيرٌ لقراءة الياء، ويحتملُ أَنَّهُ رَاجِعٌ لقراءة النون ويكونُ حَلًّا مَعْنَى، وإلا... فمقتضى حَلِّهَا أَنْ يَقُولَ: (أي: نحن).

قوله: (عبَّرَ بِهَا عَنِ الْإِنْسَانِ... إلخ) أي: فهو من باب: تسمية الكلِّ باسم جزئِهِ،

(١) قرأ حمزة بالياء مبنياً لما لم يُسم فاعله، والباقيون بالنون للمتكلم العظيم. انظر «الدر المصون» (٣/٥١٤).

وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ.....

لأنَّ أكثرَ الأفعال تُزاوَلُ بِهَا، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ﴾ أي: بِذِي ظُلْمٍ ﴿لِلْعَبِيدِ﴾، فَيُعَذِّبُهُمْ بِغَيْرِ ذَنْبٍ.

﴿١٨٢﴾ ﴿الَّذِينَ﴾ - نَعَتْ لـ ﴿الَّذِينَ﴾ قبله - ﴿قَالُوا﴾ لِمُحَمَّدٍ: ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ قد ﴿عَهِدَ﴾ إِلَيْنَا ﴿فِي التَّوْرَةِ﴾ ﴿أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ﴾: نُصَدِّقُهُ ﴿حَتَّى يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾، فَلَإِ نُؤْمِنُ لَكَ حَتَّى تَأْتِينَا بِهِ، وَهُوَ مَا يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ مِنْ نَعَمٍ وَغَيْرِهَا، فَإِنْ قُبِلَ جَاءَتْ نَارٌ بَيضاءٌ مِنَ السَّمَاءِ فَأَحْرَقَتْهُ، وَإِلَّا بَقِيَ مَكَانَهُ، وَعَهِدَ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ذَلِكَ.....

حاشية الصاوي

وقوله: (لأن أكثر الأفعال تزاوَلُ بها) علّةٌ لارتكاب المجاز.

قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾ معطوفٌ على الموصول عطفَ علّةٍ على معلول، التقديرُ: ذلك العذابُ بما قدّمت أيديكم؛ لأن الله ليس بظلامٍ للعبيد.

قوله: (أي: بذِي ظلم) دفعَ بذلك ما يقال: إن المنفيَّ كثرةُ الظلم، فيفيدُ أن أصلَ الظلم ثابتٌ! فأجابَ: بأن هذه الصيغة للنسب لا للمبالغة؛ كتمّار، قال ابن مالك: [الرجز]

وَمَعَ فَاعِلٍ وَقَعَّالٍ فَعِلٌ فِي نَسَبٍ أَغْنَى عَنِ الْيَا فَقِيلَ^(١)

قوله: (نَعَتْ لـ ﴿الَّذِينَ﴾ قبله) أي: وهو قوله: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾؛ فقد وصفهم بأوصاف زادتهم قُبْحاً وشناعةً.

قوله: (في التوراة) أي: على لسان موسى، قيل: إن تلك المقالة لم تقع أصلاً، فهي كذبٌ محضٌ، وقيل: إنها موجودةٌ في التوراة إلا في حقِّ المسيح ومحمد، وأما هما فمُعْجَزَاتُهُمَا غَيْرُ ذَلِكَ، فهم قد كذبوا على التوراة على كلِّ حال.

قوله: (من نَعَم) أي: إِبِلٌ وَبَقَرٌ وَغَنَمٌ، وقوله: (وغيرها) أي: كخيلٍ وَبِغَالٍ وَحَمِيرٍ وَأَمْتَعَةٍ.

قوله: (بيضاء) أي: لا دخانَ لها ولها دَوِيُّ.

(١) «الخلاصة»: (باب النسب)، وصيغة فَعَّالٍ وردت ولا يراد بها الكثرة؛ كقول طرفة:

ولستُ بحلّالٍ التُّلَاعِ مخافةً ولكن متي يستترِفِدِ القومُ أرفدِ

قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ

إِلَّا فِي الْمَسِيحِ وَمُحَمَّدٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ تَوْبِيخًا: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بِالْمُعْجَزَاتِ ﴿وَبِالَّذِي قُلْتُمْ﴾ كَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى فَقَتَلْتُمُوهُمْ، وَالْخِطَابُ لِمَن فِي زَمَنٍ نَبِينَا مُحَمَّدٌ ﷺ وَإِن كَانَ الْفِعْلُ لِأَجْدَادِهِمْ لِرِضَاهُمْ بِهِ، ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فِي أَنْكُمْ تُؤْمِنُونَ عِنْدَ الْإِتْيَانِ بِهِ؟

﴿١٨٤﴾ ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ﴾: الْمُعْجَزَاتِ ﴿وَالزُّبُرِ﴾ كَصُحُفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿وَالْكِتَابِ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (إلا في المسيح ومحمد) هذه طريقة، والطريقة الأخرى: أن هذا العهد باطل وكذب من أصله.

قوله: (كزكريا ويحيى) أي: فجاءوا بقربان وأكلته النار.

قوله: (لرضاهم به) أي: والرضا بالكفر كفر.

قوله: ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ﴾ أي: فلأي شيء قتلتموهم؟

قوله: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾ أي: داموا على تكذيبك، وجوابُ الشرط محذوف، قَدَرَةُ المفسر بقوله: (فاصبر كما صبروا)، والمناسب ذكره بِلصقه، وأما ﴿فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ﴾.. فدلِيلُ الجواب، ولا يصحُّ أن يكون جواباً؛ لأنه ماضٍ بالنسبة للشرط، وهذا تسليةٌ له ﷺ.

قوله: (المعجزات) أي: الظاهرة الباهرة.

قوله: ﴿وَالزُّبُرِ﴾ جمع زُبُور، وهو كلُّ كتاب اشتملَ على المواعظ؛ من: الزُّبُرِ، وهو: الموعظة والزجر.

قوله: ﴿وَالْكِتَابِ﴾ عطفٌ عامٌّ على خاصٍّ، وإنما خصَّهما؛ لِشَرْفِهما.

الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ ﴿١٨٥﴾

- وفي قراءة بإثبات الباء فيهما - ﴿الْمُنِيرِ﴾: الواضح، هو التوراة والإنجيل، فاصبر كما صبروا.

﴿١٨٥﴾ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ﴾: جزاء أعمالكم ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ فَمَنْ زُحِرَ: بُعِدَ ﴿عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾: نال غاية مطلوبة، ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي: العيش فيها ﴿إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ﴾ الباطل، يُتَمَتَّعُ بِهِ قَلِيلًا ثُمَّ يَقْنَى.

حاشية الصاوي

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعة أيضاً^(١).

قوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ هذا أيضاً من جملة التسلية له ﷺ، والمعنى: كل روح ذائقة الموت لجسمها، وإلا... فالروح لا تموت، وعموم الآية يشمل حتى الشهداء والأنبياء والملائكة، وأما قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ [آل عمران: ١٦٩]... فمعناه: تُرَدُّ بعد خروجها لهم، وكذلك الأنبياء والملائكة، وأما ما عداهم فلا تُرَدُّ لهم إلا عند النفخة الثانية.

قوله: (جزاء أعمالكم) أي: خيرها وشرها.

قوله: ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي: وما ألحق به؛ لما ورد: «القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار»^(٢).

قوله: ﴿وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ﴾ أي: مع السابقين، أو بعد الخروج من النار.

قوله: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي: القريبة، وهي التي نحن مُتَلَبِّسون بها.

قوله: (الباطل) أي: الزائل الذي لا يبقى، ويصح أن يُراد بالفرور مصدر بمعنى: اسم المفعول؛ أي: المخدوع بالشيء الحسن ظاهراً القبيح باطنه؛ بمعنى: أنه لا يدري العواقب، قال الإمام الشافعي: [الرمل]

إِنَّ اللَّهَ عِبَادًا قُطُنَا طَلَّقُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الْفِتْنَا

(١) إدخال الباء على الزبر والكتاب هي قراءة ابن عامر، والباقون بإسقاطها. انظر «الدر المصون» (٣/٥١٩).

(٢) رواه الترمذي (٢٤٦٠) آخر خبر طويل في وصف عذاب القبر.

لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ

﴿١٨٦﴾ ﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾ - حُذِفَ مِنْهُ نُونُ الرَّفْعِ لِتَوَالِي النُّونَاتِ، وَالْوَاوُ ضَمِيرُ الْجَمْعِ لِالْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ -: لَتُخْتَبَرُنَّ ﴿فِي أَمْوَالِكُمْ﴾ بِالْفَرَائِضِ فِيهَا وَالْجَوَائِحِ، ﴿وَأَنْفُسِكُمْ﴾ بِالْعِبَادَاتِ وَالْبَلَاءِ، ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾: الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى

حاشية الصاوي

نَظَرُوا فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا أَنَّهُ لَا يَسْتَلْحِي وَطْنَا
جَعَلُوهَا لُجَّةً وَاتَّخَذُوا صَالِحَ الْأَعْمَالِ فِيهَا سُفُنًا

قوله: ﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾ إخبارٌ من الله للمؤمنين بأنه سيقعُ لهم بَلَايا من الله بلا واسطة، ومن الكفار أذى كثيرٌ في أموالهم وأعراضهم وأنفسهم، وأمرٌ منه لهم بالصبر حين وقوع ذلك؛ لأنَّ الجنةَ حُقِّتْ بالمكاره.

واللامُ: موطئةٌ لقسم محذوف، و(تبلون): فعلٌ مضارعٌ مرفوع، وعلامة رفعه النون المحذوفة لتوالي النونات، والواو: نائب فاعل، والنون: للتوكيد، وأصله: تُبْلَوُونَ، أَكْثَرُ فَصَارَ تُبْلَوُونَ، ثم أتى باللام لتدلُّ على القسم المحذوف، تحركت الواو الأولى التي هي لام الكلمة وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً، فالتقى ساكنان، حذفت الألف لالتقاء الساكنين، ثم حذفت نونُ الرفع لتوالي الأمثال، ثم حُرِّكَتِ الواو بحركة مجانسة لها.

قوله: (لالتقاء الساكنين) علةٌ لمحذوف تقديره: وحذفت الألف المنقلبة عن الواو الأولى لالتقاء الساكنين.

قوله: (لتختبرن) حلٌ معنًى ل(تبلون)، والمعنى: يُعاملكم معاملةً المختبر، وإلا.. فهو أعلم بكم من أنفسكم.

قوله: (بالفرائض فيها) أي: كالزكاة والكفارات والنذور، وقوله: (والجوائح) أي: الأمور السماوية التي تهلك الزرع؛ كالجراد والفأر والظلمة.

قوله: (بالعبادات) أي: التكاليف بها، وقوله: (والبلاء) أي: الذي يُصيب الإنسان في نفسه؛ كالعمى والجراحات وغير ذلك.

قوله: ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ جار ومجرور، حالٌ من قوله: ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾، وأصل (لَتَسْمَعُنَّ): تسمعون، أَكْثَرُ بِالنُّونِ وَلامِ الْقِسْمِ، حذفت نونُ الرفع لتوالي الأمثال، فالتقى ساكنان، حذفت الواو لالتقائهما، ولوجود الضمة التي تدلُّ عليها.

وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ

﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ من العرب ﴿أَذًى كَثِيراً﴾ من السَّبِّ والطَّعن والتَّشْيِيبِ بِنِسَائِكُمْ، ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا﴾ على ذلك ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الله ﴿فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ أي: من معزوماتها التي يُعَزَمُ عليها لوجوبها.

﴿١٨٧﴾ ﴿و﴾ اذْكُرْ ﴿إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ أي: العهدَ عليهم في التَّوْرَةِ ﴿لَيُبَيِّنُنَّهُ﴾ أي: الكتابَ ﴿لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ﴾ أي: الكتابَ، - بِالْيَاءِ وَالتَّاءِ فِي الْفِعْلَيْنِ -، ﴿فَنَبَذُوهُ﴾: طَرَحُوا المِيثَاقَ ﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ فَلَمْ يَعْمَلُوا بِهِ،

حاشية الصاوي

قوله: (والتشيب بنسائكم) أي: ذكر محاسنهن بالقصائد وتناشدها بينهم، وكان يفعل ذلك كعب بن الأشرف لعنه الله^(١).

قوله: (على ذلك) أي: المذكور من الابتلاء في الأموال والأنفس وسماع الأذى من أهل الكتاب.

قوله: (لوجوبها) أي: فالصبر على ما ذكر والتقوى لله من الأمور الواجبة؛ فإن من علامة الإيمان الصبر والتقوى، وقيح على الإنسان يدعي محبة الله ثم لم يصبر على أحكامه، قال العارف: [الخفيف]

تَدْعِي مَذْهَبَ الْهَوَى ثُمَّ تَشْكُو أَيْنَ دَعْوَاكَ فِي الْهَوَى يَا مُعَنَّى؟
لَوْ وَجَدْنَاكَ صَابِراً لَبَلَّانَا لَعَطَيْنَاكَ كُلَّمَا تَتَمَنَّى^(٢)

قوله: (بالياء والتاء في الفعلين) أي: وهما (ليبيننّه) و(لا يكتموننه)، وهما قراءتان سبعيتان، فعلى الياء إخبار عنهم، وعلى التاء حكاية للحال الماضية^(٣).

قوله: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ كناية عن عدم التمسك به؛ لأنَّ مَنْ لَمْ يَتَمَسَّكْ بِشَيْءٍ وَلَمْ يَعْتَنِهِ طَرَحَهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ.

(١) «تفسير البغوي» (١/ ٥٥٠).

(٢) المشهور: (للمنحناك) بدل (لعطيناك)، ولا سيما أنَّ (عطا) الثلاثي لا يتعدى إلا لواحد.

(٣) فقرأ شعبة وابن كثير وأبو عمرو بالغيب إسناداً لأهل الكتاب، والباقون بالخطاب. «الفتوحات الإلهية» (١/ ٣٤٥).

وَأَشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾

﴿وَأَشْتَرَوْا بِهِ﴾: أَخَذُوا بَدْلَهُ ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ مِنَ الدُّنْيَا مِنْ سَفَلَتِهِمْ بِرِيَاسَتِهِمْ فِي الْعِلْمِ، فَكَتَمُوهُ خَوْفَ قُوَّتِهِ عَلَيْهِمْ، ﴿فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ شَرَاؤُهُمْ هَذَا.

﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾ - بِالنَّاءِ وَالْيَاءِ - ﴿الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا﴾: فَعَلُوا مِنْ إِضْلَالِ النَّاسِ ﴿وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ مِنَ التَّمَسُّكِ بِالْحَقِّ وَهُمْ عَلَى ضَلَالٍ، ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ﴾ - بِالْوَجْهَيْنِ، تَأْكِيدٌ - ﴿بِمَفَازَةٍ﴾: بِمَكَانٍ يَنْجُونَ فِيهِ ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾ فِي الْآخِرَةِ، بَلْ هُمْ فِي مَكَانٍ يُعَذَّبُونَ فِيهِ وَهُوَ جَهَنَّمُ، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤْلَمٌ فِيهَا، - وَمَفْعُولًا (يَحْسَبُ) الْأُولَى دَلٌّ عَلَيْهِمَا مَفْعُولًا الثَّانِيَةَ عَلَى قِرَاءَةِ التَّحْتَانِيَّةِ، وَعَلَى الْفَوْقَانِيَّةِ حُذِفَ الثَّانِي فَقَطْ..

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: خَزَائِنِ الْمَطَرِ وَالرِّزْقِ وَالنَّبَاتِ وَغَيْرِهَا، ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (شراؤهم) أشار به إلى أن (ما) مؤوَّلة بمصدر فاعل (بئس)، وقوله: (هذا) هو المخصوص بالذم، وهذه الآية وإن وردت في الكفار تجرُّ بذيلها على عُصاة المؤمنين الذين يكتُمون الحق وينصرون الباطل.

قوله: (بالياء والتاء) فعلى التاء: الخطابُ للنبي أو لمن يصلح له الخطاب، و﴿الَّذِينَ﴾: مفعول أول، والمفعول الثاني محذوفٌ دلَّ عليه قوله: ﴿بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ﴾، تقديرُهُ: ناجين من عذاب الله، وعلى الياء: فقوله: ﴿الَّذِينَ﴾ فاعل، ومفعولاها محذوفان تقديرُهُما: أنفسُهم ناجين من عذاب الله، وسيأتي يشير لذلك المفسر.

قوله: (بالوجهين) أي: الياء والتاء، لكن على قراءة التاء الباء مفتوحة، وهذه الآية تجرُّ بذيلها على من يكون خبيث الباطن ويحبُّ زينة الظاهر؛ كمن يُظهرُ العلمَ والصلاحَ والتقوى مع كونه في الباطن ضالًّا مضلًّا.

قوله: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: التصرفُ فيما في السماوات والأرض؛ لأنَّ ذات السماوات والأرض لا نزاعَ في أنهما مملوكان لله.

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾

وَمِنْهُ تَعْذِيبُ الْكَافِرِينَ وَإِنْجَاءُ الْمُؤْمِنِينَ .

﴿١٩٠﴾ ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وما فيهما من العجائب، ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ بِالْمَجِيءِ وَالذَّهَابِ وَالزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ، ﴿لَآيَاتٍ﴾ : دَلَالَاتٍ عَلَى قُدْرَتِهِ تَعَالَى، ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ : لِذَوِي الْعُقُولِ .

حاشية الصاوي

قوله : (ومنه) أي : من الشيء المقدور عليه .

قوله : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ سبب نزولها : أن كفار مكة قالوا للنبي ﷺ : اثبتنا بآية تدلُّ على أن الله واحد، فقال تعالى ردًّا عليهم : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ الآيات، و﴿إِنَّ﴾ : حرف توكيد ونصب، و﴿فِي خَلْقٍ﴾ : جار ومجرور خبرها مقدَّم، و﴿خَلْقٍ﴾ : مضاف، و﴿السَّمَوَاتِ﴾ : مضاف إليه، وقوله : ﴿لَآيَاتٍ﴾ : اسمها مؤخَّر .

قوله : (وما فيهما من العجائب) أشار بذلك إلى أن (خَلْقٍ) باقٍ على مصدريته بمعنى : الإيجاد، ويحتمل أن يكون بمعنى اسم المفعول ؛ أي : مخلوقات السماوات والأرض، وقوله : (من العجائب) كالنجوم والشمس والقمر والسحاب بالنسبة للسماوات، والبحار والجبال والنباتات والحيوانات بالنسبة للأرض، قال تعالى : ﴿أَفَلَا يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿١﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَواسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٢﴾﴾ [ق : ٦-٧] ، وبالجمل : [المقارب]

فَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَّهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الْوَاحِدُ^(١)

قوله : (بالمجيء والذهاب) أي : بمجيء الليل عقب النهار، والنهار عقب الليل، فليس أحدٌ يقدرُ على إتيان الليل في النهار ولا العكس .

قوله : (والزيادة والنقصان) أي : زيادة أحدهما بقدر ما نقص من الآخر .

قوله : (دلالات) أي : براهين قطعية دالة على كونه متصفاً بالكمالات منزهاً عن النقائص .

قوله : (ذوي العقول) أي : أصحاب العقول الكاملة .

الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾

﴿١٩١﴾ - نَعَتْ لِمَا قَبْلَهُ أَوْ بَدَلٌ - ﴿يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾: مُضْطَجِعِينَ أَي: فِي كُلِّ حَالٍ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: يُصَلُّونَ كَذَلِكَ حَسَبَ الطَّاقَةِ، ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لِيَسْتَدِلُّوا بِهِ عَلَى قُدْرَةِ صَانِعِهِمَا، يَقُولُونَ: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا﴾ الْخَلْقَ الَّذِي نَرَاهُ ﴿بَطْلًا﴾ - حَالٌ - : عَبَثًا، بَلْ دَلِيلًا عَلَى كَمَالِ قُدْرَتِكَ، ﴿سُبْحَنَكَ﴾: تَنْزِيهًا لَكَ عَنِ الْعَبَثِ، ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (نعت لما قبله) أي: وهو (أولي)، فهو في محل جر.

قوله: (مضطجعين) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ متعلقٌ بمحذوف حال، فهو حالٌ مؤولةٌ بعد حال صريحة.

قوله: (أي: في كلِّ حال) تفسيرٌ لقوله: ﴿قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾.

قوله: (يصلون كذلك) أي: قياماً إن قدرُوا، فإن لم يقدرُوا فقعوداً، فإن لم يقدرُوا فعلى جنوبهم.

قوله: (ليستدلوا به على قدرة صانعهما) أي: واتَّصافه بالكمالات، فالفكرُ مورِثٌ للعلم والمعرفة، قال العارف أبو الحسن الشاذلي: (ذرةٌ من عملِ القلوب خيرٌ من مِثاقيلِ الجبال من عملِ الأبدان).

قوله: (يقولون) قدره؛ إشارةً إلى أنه حال من الواو في (يتفكرون)، والمعنى: يتفكرون قائلين: رَبَّنَا... إلخ، وهو إشارةٌ لثمرة الفكر، فثمرةُ الفكر الاستدلالُ والمعرفةُ بالله.

قوله: (حال) أي: من قوله: ﴿هَذَا﴾، وهذه الحال لا يُستغنى عنها، فهي واجبةُ الذكر كقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِيْنٌ﴾ [الدخان: ٣٨].

قوله: ﴿سُبْحَنَكَ﴾ مصدرٌ منصوبٌ بفعل محذوف وجوباً تقديره: أَسْبَحْ سُبْحَانَكَ، وهذه الجملةُ معترضةٌ بين قوله: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا﴾ وبين قوله: ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

قوله: ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ هذا متسبِّبٌ عن قوله: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا﴾ أي: فحيث وُحِّدْنَاكَ ونَزَّهْنَاكَ عن النقائص فقِنَا عَذَابَ النَّارِ؛ لأنَّ النَّارَ جزاءٌ من عصي ولم يُوحَّدْ.

رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا

﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلُ النَّارَ ﴿لِلْخُلُودِ فِيهَا﴾ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ ﴿: أَهْنَيْتَهُ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾: الكافرين، - فِيهِ وَضَعُ الظَّاهِرِ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ - إشعاراً بِتَخْصِيصِ الْخِزْيِ بِهِمْ، ﴿مِنْ﴾ - زائدة - ﴿أَنْصَارٍ﴾ يَمْنَعُونَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى.

﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي ﴿يَدْعُو النَّاسَ﴾ لِلْإِيمَنِ ﴿: أَي: إِلَيْهِ، وَهُوَ مُحَمَّدٌ أَوْ الْقُرْآنُ، ﴿أَنْ﴾ أَي: بِأَنْ ﴿ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾ بِهِ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلُ النَّارَ﴾... إلخ) هذا علة لما قبله، والمعنى: إنما طلبنا الوقاية من عذاب النار؛ لأنَّ مَنْ أَدْخَلْتَهُ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ.

قوله: (للخلود فيها) جوابٌ عن سؤال مُقَدَّرٍ تقديره: إِنْ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾ يَقْتَضِي أَنْ جَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ مُخْزِيٍّ مَعَ أَنْ بَعْضَ الْعَصَا مِنْهُمْ يَدْخُلُ النَّارَ تَطْهِيراً لِمَا اقْتَرَفَهُ، وَهَذِهِ الْآيَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَنْ دَخَلَ النَّارَ مُخْزِيًّا وَإِنْ مُؤْمِنًا، فَأَجَابَ الْمَفْسِّرُ: بِحَمْلِ الْآيَةِ عَلَى الْكُفَّارِ.

قوله: (زائدة) أي: للتوكيد في المبتدأ المؤخر، وقوله: ﴿لِلْظَّالِمِينَ﴾ (خبرٌ مقدَّم).

قوله: ﴿مُنَادِيًا﴾ (أي: داعياً، وهو على حذف مضاف؛ أي: نداء منادٍ).

قوله: ﴿يُنَادِي﴾ (صفة لـ ﴿مُنَادِيًا﴾ على الصحيح، خلافاً لِمَنْ جَعَلَهُ مَفْعُولًا ثَانِيًا لـ (سمع) ^(١)؛ لأنها لا تنصب إلا مفعولاً واحداً على الصحيح.

قوله: (وهو محمد) أي: فإِسْنَادُ النِّدَاءِ إِلَيْهِ حَقِيقِيٌّ، وقوله: (أو القرآن) أي: فإِسْنَادُ النِّدَاءِ إِلَيْهِ مجازٌ، والمعنى: منادى به.

قوله: ﴿أَنْ ءَامِنُوا﴾ (أَنْ): تفسيريّة.

قوله: ﴿بِرَبِّكُمْ﴾ (أي: صدّقوا بأنه يجبُ له كلُّ كمال، ويستحيلُ عليه كلُّ نقص).

(١) وهو الفارسي وجماعة، والجملة الواقعة بعد المنصوب على رأي الجمهور صفة إن كان قبلها نكرة، وحالٌ إن كان قبلها معرفة، وانظر «الدر المصون» (٣/ ٥٣٤).

رَبَّنَا فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَايِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ

﴿رَبَّنَا فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ﴾ : عَطَّ ﴿عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾ فلا تُظهرها بِالْعِقَابِ عَلَيْهَا، ﴿وَتَوَفَّنَا﴾ : اقْبِضْ أرواحنا ﴿مَعَ﴾ : في جُمْلَةِ ﴿الْأَبْرَارِ﴾ : الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ .

﴿١٩٤﴾ ﴿رَبَّنَا وَءَايِنَا﴾ : أَعْطِنَا ﴿مَا وَعَدْتَنَا﴾ بِهِ ﴿عَلَى﴾ السِّنَةِ ﴿رُسُلِكَ﴾ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالْفَضْلِ، وَسُؤَالِهِمْ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ وَعْدُهُ تَعَالَى لَا يُخْلَفُ سُؤَالُ أَنْ يَجْعَلَهُمْ مِنْ مُسْتَحِقِّيهِ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَتَّقُوا اسْتِحْقَاقَهُمْ لَهُ،

حاشية الصاوي

قوله : ﴿فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ أي : اسْتُرْهَا عَنْ أَعْيُنِ الْخَلْقِ، وقوله : ﴿وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾ أي : غَطَّهَا عَنَّا فلا تَوَاحِدْنَا بِهَا، وَاْمُحْهَا مِنَ الصَّحَفِ، وهو تَرَقُّ عَظِيمٌ فِي طَلَبِ الْمَغْفِرَةِ، فهو من عَطَفَ الْخَاصَّ عَلَى الْعَامِّ.

قوله : ﴿بِالْعِقَابِ عَلَيْهَا﴾ أي : ولا بِالْعِتَابِ عَلَيْهَا.

قوله : ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ أي : احْشَرْنَا مَعَهُمْ، واجْعَلْنَا فِي رُحْمَتِهِمْ، والمرادُ بِالْأَبْرَارِ : الْمُطَهَّرُونَ الَّذِينَ لَمْ يَفْعَلُوا ذُنُوبًا.

قوله : ﴿وَأَايِنَا﴾ معطوف على محذوف، تقديرُهُ : حَقَّقْ لَنَا مَا ذَكَرَ وَأَتَنَا.

قوله : ﴿مِنَ الرَّحْمَةِ وَالْفَضْلِ﴾ بيان لـ ﴿مَا﴾.

قوله : ﴿وَسُؤَالِهِمْ ذَلِكَ...﴾ إلخ) أشارَ بِذَلِكَ إِلَى سُؤَالٍ وَارِدٍ، حَاصِلُهُ أَنْ يَقَالَ : إِنْ وَعَدَ اللَّهُ لَا يَتَخَلَّفُ، قَالَ تَعَالَى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح : ٢٩]، فلا فائدة في ذلك السُّؤَالِ ! أَجَابَ الْمَفْسِّرُ : بقوله : (سُؤَالُ أَنْ يَجْعَلَهُمْ... إلخ)، وحَاصِلُ ذَلِكَ الْجَوَابِ : أَنَّ الْعَاقِبَةَ مَجْهُولَةٌ، ووَعْدُ اللَّهِ لَا يُخْلَفُ لِمَنْ حُمدت عَاقِبَتُهُ، وَمِنْ أَيْنَ لَنَا حَسَنُ الْعَاقِبَةِ؟! ففائدةُ السُّؤَالِ : أَنَّ اللَّهَ يَحْسُنُ عَاقِبَتَهُمْ، فإذا حُسِنَتْ تَحَقَّقَ وَعْدُهُ تَعَالَى.

إِنْ قُلْتُ : لَا يَخْلُو الْأَمْرُ إِمَّا أَنْ تَكُونَ الْعَاقِبَةُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ مَحْمُودَةً، فوَعْدُ اللَّهِ لَهُ مُحَقَّقٌ وَلَا بَدَّ، وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ غَيْرَ مَحْمُودَةٍ فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ وَعْدٌ أَصْلًا، فلا فائدة في الدعاء!

وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ ﴿١٩٤﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي

وَتَكْرِيرُ ﴿رَبَّنَا﴾ مُبَالِغَةٌ فِي التَّضَرُّعِ - ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ﴾: الوعد بالبعث والجزاء.

﴿١٩٥﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ ﴿دُعَاءَهُمْ﴾ ﴿أَنِّي﴾ أَي: بِأَنِّي

حاشية الصاوي

أُجِيبَ: بأن توفيقه للدعاء دليل على أن الله لا يخلف وعده الذي وعده إياه، قال بعضهم: (ما وفقك للدعاء إلا ليعطيك)، فحيث وفق العبد للدعاء كان دليلاً على قبوله وإثابته وحسن عاقبته^(١)؛ ولذلك لم يوفق إبليس للتوبة ولا للدعاء.

قوله: (وتكرير ﴿رَبَّنَا﴾ ... إلخ) جواب عن سؤال مقدّر، حاصله: أنه لم يكرر لفظ (ربنا) خمس مرات؟ فأجاب: بأنه مُبالغة في التضرع؛ أي: الخضوع والتذلل، ولما ورد: أنه الاسم الأعظم، وعن جعفر الصادق: مَنْ حَزَبَهُ أَمْرٌ فَقَالَ خَمْسَ مَرَّاتٍ: (ربنا) .. أنجاه الله ممّا يخاف، وأعطاه ما أراد، قيل: وكيف ذلك؟ قال: اقرؤوا قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ الآيات^(٢). وهي من أوراد الصالحين، تُقرأ إلى آخر السورة عند الاستيقاظ من النوم ليلاً، فمن لازم عليها .. تحقق بما فيها، وحصل له ثواب من قام الليل.

قوله: ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ ظرف لقوله: ﴿وَلَا تُخْزِنَا﴾ أي: لا تفضحنا في ذلك اليوم.

قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ﴾ علة لقوله: ﴿رَبَّنَا وَعَدْنَا...﴾ إلخ.

قوله: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ﴾ أي: لأولي الأبواب الموصوفين بما تقدّم، واستجاب بمعنى أجاب، فالسين والتاء: زائدتان للتأكيد، وهو يتعدى بنفسه واللام.

قوله: ﴿رَبُّهُمْ﴾ إنما عبر به دون غيره من الأسماء؛ لمناسبة دعائهم به.

قوله: (أي: بأني) أشار بذلك إلى أن (أن) بفتح الهمزة باتّفاق السبعة، وفيه حذف الجار، وهو مطّرد إذا أمن اللبس، قال ابن مالك: [الرجز]

(١) وجاء ضمن حديث رواه الضياء في «المختارة» (١٨١٤) مرفوعاً: «من ألهم الدعاء لم يحرم الإجابة»، قال أبو الفتح البستي:

لَوْلَمْ تُرْدِ نَيْلَ مَا أَرْجُو وَأَطْلُبُهُ مِنْ فَيْضِ جُودِكَ مَا عَلَّمَنِي الْقُلُوبَا

(٢) «مرقاة المفاتيح» (١٨٩٠/٥).

لَا أَضِيعُ عَمَلٍ عَمِلَ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَأَلْذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي

﴿لَا أَضِيعُ عَمَلٍ عَمِلَ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتُمْ بَعْضُكُمْ﴾ كائِنْ ﴿مِنْ بَعْضٍ﴾ أَي: الذُّكُورُ مِنَ الْإِنَاثِ وَبِالْعَكْسِ، - وَالْجُمْلَةُ مُؤَكَّدَةٌ لِمَا قَبْلَهَا - أَي: هُمْ سَوَاءٌ فِي الْمُجَازَاةِ بِالْأَعْمَالِ وَتَرْكِ تَضْيِيعِهَا، نَزَلَتْ لَمَّا قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي لَا أَسْمَعُ ذِكْرَ النِّسَاءِ فِي الْهِجْرَةِ بِشَيْءٍ، ﴿فَأَلْذِينَ هَاجَرُوا﴾ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ ﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي﴾: حَاشِيَةُ الصَّادِقِ

وَحَذْفُهُ مَعَ (أَنْ) وَ(أَنَّ) يُظَرَدُ مَعَ أَمِنْ لِبَسِّ كَعَجِبْتُ أَنْ يَدُورَ^(١) وهذه الباءُ للسببية، وُقُرِئَ شَذُودًا بِإِثْبَاتِهَا، وَقُرِئَ شَذُودًا أَيْضًا بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ عَلَى تَقْدِيرِ الْقَوْلِ^(٢). قَوْلُهُ: ﴿لَا أَضِيعُ﴾ هَكَذَا بِسُكُونِ الْيَاءِ مِنْ: أَضَاعَ، وَقُرِئَ بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ مِنْ: ضَيَّعَ^(٣). قَوْلُهُ: ﴿مِنْكُمْ﴾ جَارٌ وَمَجْرُورٌ صِفَةٌ لـ ﴿عَمِلَ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتُمْ﴾ ﴿مِنْ﴾: بَيَانِيَّةٌ، وَقِيلَ: زَائِدَةٌ، وَ﴿ذَكَرٍ أَوْ أَنْتُمْ﴾: بَدَلٌ مِنْ ﴿عَمِلَ﴾، وَقِيلَ: إِنْ الْجَارَ وَالْمَجْرُورَ بَدَلٌ مِنَ الْجَارِ وَالْمَجْرُورِ قَبْلَهُ بَدَلٌ كُلٌّ مِنْ كُلٍّ.

قَوْلُهُ: ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ هَذِهِ الْجُمْلَةُ قُصِدَ بِهَا التَّعْلِيلُ وَالتَّعْمِيمُ، وَالْمَعْنَى: لَا أَضِيعُ عَمَلًا عَامِلًا مِنْكُمْ جَمِيعًا ذَكَرًا أَوْ أَنْثَى؛ لِأَنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدًا، وَأَصْلَكُمْ وَاحِدًا، وَدِينَكُمْ وَاحِدًا، وَبَعْضُكُمْ مُتَنَاسِلٌ مِنْ بَعْضٍ.

قَوْلُهُ: (مُؤَكَّدَةٌ لِمَا قَبْلَهَا) أَي: قُصِدَ بِهَا التَّعْمِيمُ. قَوْلُهُ: (نَزَلَتْ) أَي: هَذِهِ الْآيَةُ مِنْ هُنَا إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾. قَوْلُهُ: (مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ) أَي: أَوْ إِلَى الْحَبْشَةِ كَمَا كَانَ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ، فَكَانَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَمْ يَأْمَنْ عَلَى نَفْسِهِ بِأَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ بِالْهِجْرَةِ إِلَى الْحَبْشَةِ إِلَى أَنْ جَاءَهُ الْإِذْنُ بِالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ. قَوْلُهُ: ﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ﴾ يَشِيرُ بِذَلِكَ إِلَى أَنْ الْإِخْرَاجَ قَهْرِيٌّ؛ لِأَنَّهُ وَإِنْ كَانَ فِي الظَّاهِرِ طَائِعًا إِلَّا أَنَّهُ فِي الْبَاطِنِ مُكْرَهًُ.

(١) تَقَدَّمَ، وَفِيهِ أَنَّ الْبَيْتَ فِي «الْخِلَاصَةِ»: (تَقْلًا وَفِي أَنْ وَأَنْ...).

(٢) إِثْبَاتُ الْبَاءِ قِرَاءَةُ أَبِي ﷺ، وَكَسْرُ الْهَمْزَةِ قِرَاءَةُ عَيْسَى بْنِ عَمْرٍ. انْظُرْ «الدَّرُ الْمَصُون» (٣/٥٣٨).

(٣) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، مِنْ غَيْرِ نِسْبَةٍ.

وَقَتَلُوا وَقَتَلُوا لَا كُفْرًا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دَخَلَتْهُمْ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (١٩٥)

ديني، ﴿وَقَتَلُوا﴾ الكُفَّارَ ﴿وَقَتَلُوا﴾ - بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ، وفي قراءة بِتَقْدِيمِهِ - ﴿لَا كُفْرًا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾: أَسْتَرَّهَا بِالمَغْفَرَةِ، ﴿وَلَا دَخَلَتْهُمْ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا﴾ - مَصْدَرٌ مِنْ مَعْنَى ﴿لَا كُفْرًا﴾ مُؤَكِّدٌ لَهُ - ﴿مَنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ فِيهِ التَّفَاتُ عَنْ التَّكَلُّمِ، ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾: الْجَزَاءُ.

حاشية الصاوي

قوله: (بالتخفيف والتشديد) أي: فهما قراءتان سبعيتان، وقوله: (وفي قراءة بتقديمه) أي: المبني للمفعول لكن بالتخفيف^(١)، فالقراءات ثلاث، وتكون الواو على هذه القراءة بمعنى (مع) أي: قتلوا مع كونهم قاتلوا، فلم يقرؤا، بل قتلوا في حال مقاتلتهم الأعداء.

قوله: ﴿لَا كُفْرًا﴾ اللام: موطئة لقسم محذوف؛ أي: وحقِّي وجلالي لأكفرن، والقسم وجوابه في محل رفع خبر قوله: ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا... إلخ﴾، وهذا الوعد الحسن لمن اتصف بجميع تلك الصفات أو ببعضها.

قوله: (أسترها بالمغفرة) أي: عن الخلق، وأبدلها حسنات.

قوله: ﴿ثَوَابًا﴾ هو في الأصل: مقدار من الجزاء أعدّه الله لعباده المؤمنين في الآخرة في نظير أعمالهم الحسنة، لكن المراد به هنا: الإثابة، فهو مصدر مؤكّد كما قال المفسّر، ويصح أن يكون حالاً من ﴿جَنَّتْ﴾ أي: لأدخلهم جنات حال كونها ثواباً؛ بمعنى: مثاباً بها؛ أي: في نظير أعمالهم الحسنة.

قوله: (من معنى ﴿لَا كُفْرًا﴾) أي: وما بعده وهو (لأدخلهم)، فهما في معنى لأثيبنهم.

قوله: ﴿مَنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلّق بمحذوف صفة لـ ﴿ثَوَابًا﴾.

قوله: (فيه التفات عن التكلم) أي: وكان مقتضى الظاهر أن يقول: ثواباً من عندي، وإنما أظهر في محل الإضمار؛ تشريفاً لهم.

قوله: ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ لفظ الجلالة: مبتدأ، وقوله: ﴿حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ مبتدأ ثانٍ،

(١) قراءة التشديد لابن عامر وابن كثير. انظر «الدر المصون» (٣/ ٥٤٢).

لَا يَغُرَّتْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ وَيَشْسُ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾
لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ

﴿١٩٦﴾ وَنَزَلَ لَمَّا قَالَ الْمُسْلِمُونَ: (أعداء الله فيما نرى من الخير، ونحن في الجهد):
﴿لَا يَغُرَّتْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: تَصَرُّفُهُمْ ﴿فِي الْبِلَادِ﴾ بِالتَّجَارَةِ وَالْكَسْبِ.

﴿١٩٧﴾ هُوَ ﴿مَتَّعٌ قَلِيلٌ﴾ يَتَمَتَّعُونَ بِهِ يَسِيرًا فِي الدُّنْيَا وَيَفْنَى، ﴿ثُمَّ مَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ وَيَشْسُ الْمِهَادُ﴾: الْفِرَاشُ هِيَ.

﴿١٩٨﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ

حاشية الصاوي

وقوله: ﴿عِنْدَهُ﴾ خبر الثاني، والثاني وخبره: خبر الأول، ويحتمل أن يكون ﴿حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ فاعلاً بالظرف قبله^(١)، والجملة: خبر المبتدأ، وإضافة (حسن) لـ (الثواب) من إضافة الصفة للموصوف؛ أي: الثواب الحسن؛ كالجنة وما فيها، وأتى بهذه الآية تعليلاً لما قبلها.

قوله: ﴿لَا يَغُرَّتْكَ﴾ الخطابُ للنبي ﷺ والمقصودُ غيره؛ لأنَّ هذه المقالة واقعة من ضُعفاء المسلمين، و﴿لَا﴾: ناهية، و﴿يَغُرَّتْكَ﴾: فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، والكاف: مفعول، والمعنى: لا تَغْتَرَّ بِتَقَلُّبِهِمْ... إلخ.

قوله: ﴿مَتَّعٌ قَلِيلٌ﴾ خبرٌ لمحذوف قدره المفسرُ بقوله: (هو).

قوله: (يَتَمَتَّعُونَ) أي: يَتَنَفَّعُونَ وَيَتَنَعَّمُونَ به.

قوله: (هي) أشار به إلى أنه المخصوص بالذم.

قوله: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾ إنما أتى بالاستدراك؛ دفعاً لما يُتَوَهَّمُ من أن الدنيا مذمومة ومتاع قليل مطلقاً للمؤمن والكافر، فأفاد أن المؤمن وإن أخذ في التجارة والتكسب لا يضره ذلك، بل له في الآخرة الدرجات العلى، فذم الدنيا ومعيشتها للكافر خاصة، قال العارف: [البسيط]

ما أَحْسَنَ الدِّينَ والدُّنْيَا إِذَا اجْتَمَعَا! لا بَارَكَ اللهُ فِي دُنْيَا بِلَا دِينٍ^(٢)

(١) والتقدير: والله استقرَّ عنده حسنُ الثواب، وهذا الإعراب استحسنه العلامة السمين في «الدر المصون» (٣/٥٤٤).

(٢) نُسب البيت لسيدنا علي عليه السلام كما في «ديوانه»، ولأبي العتاهية أو لأبي دلامة:

ما أَحْسَنَ الدِّينَ والدُّنْيَا إِذَا اجْتَمَعَا وأقْبَحَ الْكُفْرَ والإِفْلَاسَ بِالرَّجُلِ!

تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِمَّنْ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ

تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ ﴿١﴾ أَي: مُقَدَّرِينَ الْخُلُودَ ﴿٢﴾ فِيهَا نُزُلًا ﴿٣﴾ هُوَ مَا يُعَدُّ لِلضَّيْفِ، وَنَصْبُهُ عَلَى الْحَالِ مِنْ ﴿جَنَّتٍ﴾، وَالْعَامِلُ فِيهَا مَعْنَى الظَّرْفِ - مِمَّنْ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ ﴿٤﴾ مِنَ الثَّوَابِ ﴿٥﴾ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴿٦﴾ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا.

﴿١٩٩﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ كَعَبِيدِ اللَّهِ بَنِ سَلَامٍ وَأَصْحَابِهِ وَالنَّجَاشِيِّ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ﴾ (صفة لـ ﴿جَنَّتٍ﴾).

قوله: (أَي: مقدرين الخلود) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿خَالِدِينَ﴾ حالٌ مقدرة؛ لأنَّ وقت دخولهم الجنة ليسوا بخالدين فيها.

قوله: (ونصبه على الحال) أَي: لهم جناتٌ حال كونها مُهيَّنة ومعدَّة للمؤمنين؛ كما يقري الإنسان ضيفه بأفخر ما عنده.

قوله: ﴿مِمَّنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ هذه الجملة صفة ﴿نُزُلًا﴾، وإنما سُمِّيَ نُزُلًا؛ لأنه ارتفع عنهم تكاليف السعي والكسب، فهو شيء سهل مُهيَّأ لهم من غير تعب، ولذلك حين دخولها يقولون: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ [فاطر: ٣٤].

قوله: ﴿لِلْأَبْرَارِ﴾ (أَي: الممتقين).

قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ سبب نزولها: أنه يوم موت النجاشي ملك الحبشة - واسمُه: أصحمة، ومعناه: عطية الله، أسلم من غير أن يرى النبي ﷺ، ودخلت رعيته في الإسلام تبعاً له - جاء جبريل وأخبره بأنهم متوجهون بجنائزته ليصلوا عليه، فخرج النبي وأصحابه إلى الصحراء، فكشف للنبي عنه، فصلَّى عليه هو وأصحابه، فلمَّا فرغوا قال المنافقون: انظروا إلى هذا الرجل، يُصَلِّي على عِلْج حبشي نصراني لم يَرَهُ قَطُّ وليس على دينه! فنزلت الآية^(١).

قوله: (كعبد الله بن سلام) أَي: وأربعين من نصارى نجران، واثنين وثلاثين من الحبشة، وثمانية من الروم، وراعى في الصلة لفظ (مَنْ)، وفي قوله: ﴿خَنَسِيِّنَ﴾ وما بعده معناها.

(١) رواه البغوي في «تفسيره» (٥٥٩/١) عن ابن عباس وجابر وأنس وقتادة.

وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا
أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا

﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ أي: القرآن، ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ أي: التَّوراة والإنجيل، ﴿خَشِيعِينَ﴾ - حالٌ من ضَمِيرٍ ﴿يُؤْمِنُ﴾ مُراعَى فيه معنى (مَنْ) - أي: مُتَوَاضِعِينَ ﴿لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ﴾ التي عندهم في التَّوراة والإنجيل من نَعَتِ النَّبِيِّ ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ مِنَ الدُّنْيَا، بِأَنْ يَكْتُمُوهَا خَوْفًا عَلَى الرِّيَاسَةِ كَفَعَلَ غَيْرِهِمْ مِنَ الْيَهُودِ، ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾: ثَوَابُ أَعْمَالِهِمْ ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ يُؤْتُونَهُ مَرَّتَيْنِ كَمَا فِي (الْقَصَصِ)، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يُحَاسِبُ الْخَلْقَ فِي قَدَرِ نِصْفِ نَهَارٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا.

﴿٢٠٠﴾ ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا﴾ عَلَى الطَّاعَاتِ وَالْمَصَائِبِ وَعَنِ الْمَعَاصِي،
﴿وَصَابِرُوا﴾ الْكُفَّارَ فَلَا يَكُونُوا أَشَدَّ صَبْرًا مِنْكُمْ،
حاشية الصاوي

قوله: (بأن يكتُموها) تصويرٌ للشراء المنفيّ.

قوله: (يؤتونه مرتين) أي: لإيمانهم بكتابهم والقرآن.

قوله: (كما في «القصص») أي: في سورة (القصص)، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ [القصص: ٥٤].

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ أي: المجازاة على الخير والشرّ.

قوله: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا﴾ لَمَّا بَيَّنَّ فِي هَذِهِ السُّورَةِ فَضْلُ الْجِهَادِ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْأَحْكَامِ الْعَظِيمَةِ.. حُتِمَتْ بِمَا يَفِيدُ الْمَحَافَظَةَ عَلَى ذَلِكَ.

قوله: (على الطاعات... إلخ) أشارَ بذلك إلى مَرَاتِبِ الصَّبْرِ الثَّلَاثَةِ، وَأَعْظَمُهَا: الصَّبْرُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ.

قوله: (فلا يكونوا أشدَّ صبراً منكم) أي: فلا تفرُّوا من الأعداء، واصبروا على الجهاد، وخصَّه وإن دخلَ في عمومِ الصَّبْرِ؛ لِأَنَّهُ أَعْظَمُ أَنْوَاعِهِ، وَجَامِعٌ لَهَا؛ فَإِنَّهُ صَبْرٌ عَلَى الطَّاعَةِ وَهُوَ الْجِهَادُ، وَعَنِ الْمَعْصِيَةِ وَهُوَ الْفِرَارُ مِنَ الْعَدُوِّ، وَعَلَى الْمَعْصِيَةِ وَهِيَ الْقَتْلُ وَالْجَرْحُ.

وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

﴿وَرَابِطُوا﴾: أقيموا على الجهاد، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في جميع أحوالكم، ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: تَفُوزُونَ بِالْجَنَّةِ وَتَنْجُونَ مِنَ النَّارِ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَرَابِطُوا﴾ أصلُ المِرابطة: أن يربط كلُّ من الخصمَيْنِ خيولَهُم بحيث يكونون مستعدين للقتال، ثم تُوسَّع فيه وجُعِلَ كلُّ مُقيم في الثغر لحراسة العدو مِرابطاً وإن لم يكن عدو ولا مِركوبٌ مربوط.

قوله: (في جميع أحوالكم) أي: حالاتكم؛ من رخاءٍ وشدةٍ، وعُسْرٍ ويسرٍ، وصحةٍ ومرضٍ.

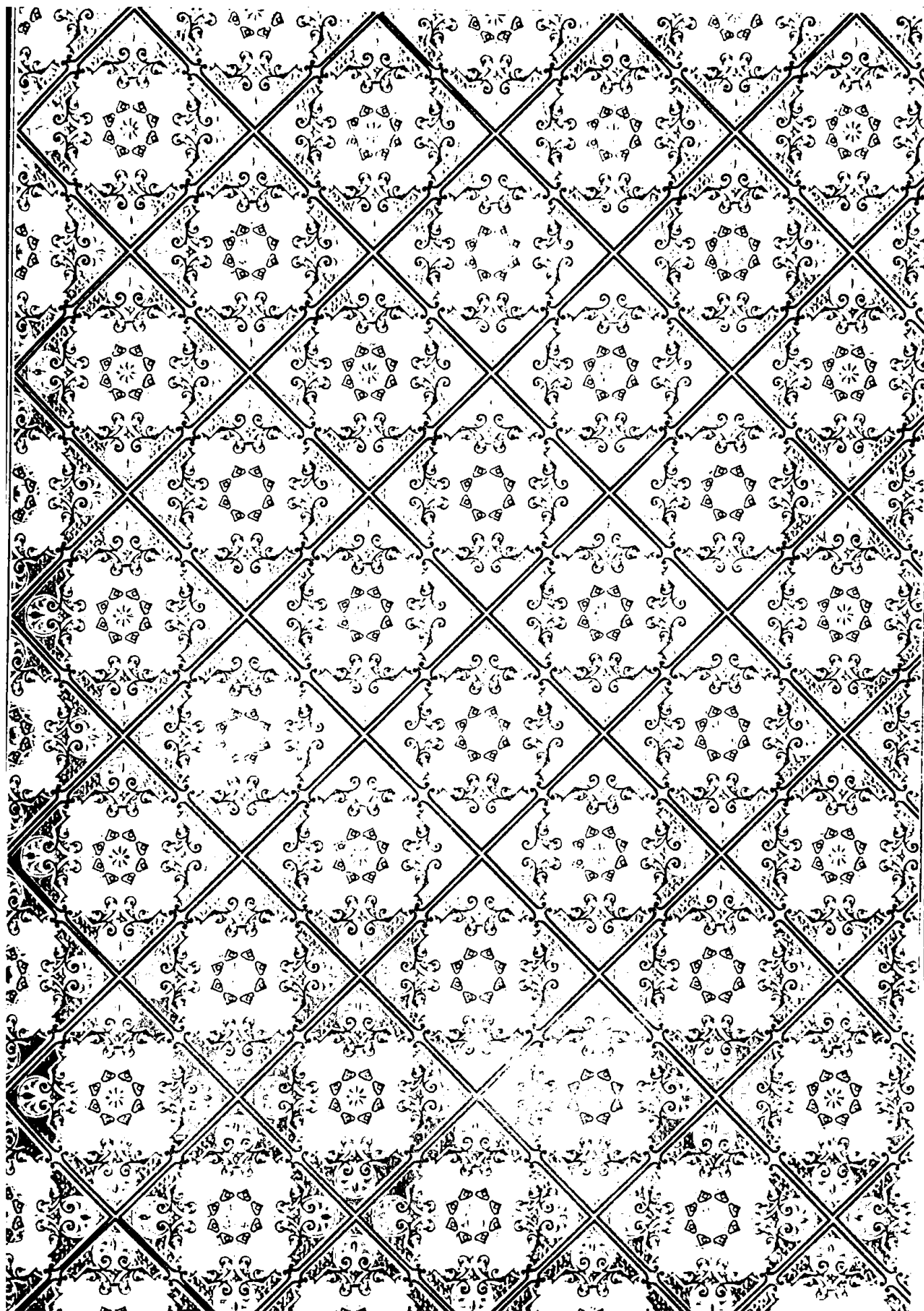
قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ الترجيُّ في القرآن بمنزلة التحقيق، والفلاحُ هو: الفوز والظفر.

ورد: أَنَّ مَنْ قرأ سورة (آل عمران).. أعطاه الله بكلِّ آية منها أماناً على جسر جهنم^(١).

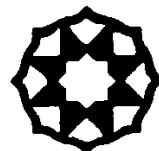


(١) رواه الواحدي في «الوسيط» (٤١١/١) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه، ولكن نَبَّه الإمام السيوطي في «نواهد الأبرار» (١١٢/٣) أنه موضوع، ونَقَلَ كلام الأئمة في ذلك.

روى مسلم (٨٠٤) عن أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعاً: «اقرأوا الزهراوين البقرة وآل عمران»؛ فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقانٍ من طير صوافٍ، تُحَاجَّانِ عن أصحابهما... الحديث.



فهرس الموضوعات



٥	تقديم الدكتور عبد القادر الحسين
٧	بين يدي الكتاب
١١	الإسرائيليات في كتاب «الجلالين» وتعامل الإمام الصاوي معها
١٥	قراءة الجلالين المعتمدة
١٦	مصادر حاشية الصاوي
٢٥	ترجمة الجلال المحلي
٢٩	ترجمة الجلال السيوطي
٣٥	ترجمة الإمام الصاوي
٤٣	منهج العمل بالكتاب
٤٧	وصف النسخ الخطية
٤٩	صور المخطوطات المستعان بها
٥٣	مقدمة العلامة الصاوي
٥٧	مقدمة الجلال السيوطي

٦٣	سُورَةُ الْفَاتِحَةِ
٧٩	سُورَةُ الْبَنَاقَةِ
٤٦٥	سُورَةُ الْغَنَاقَةِ
٦٤٣	فهرس الموضوعات

